

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة: 08 ماي 1945-قالمة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....



أوضاع الجزائر من محمد محمد بن عثمان باها إلى غاية محمد حسين باها

( 1766-1830هـ / 1179-1245-1246هـ )

-الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا-

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د، في التاريخ العام

إشراف الأستاذ الدكتور:

صالح فركوس

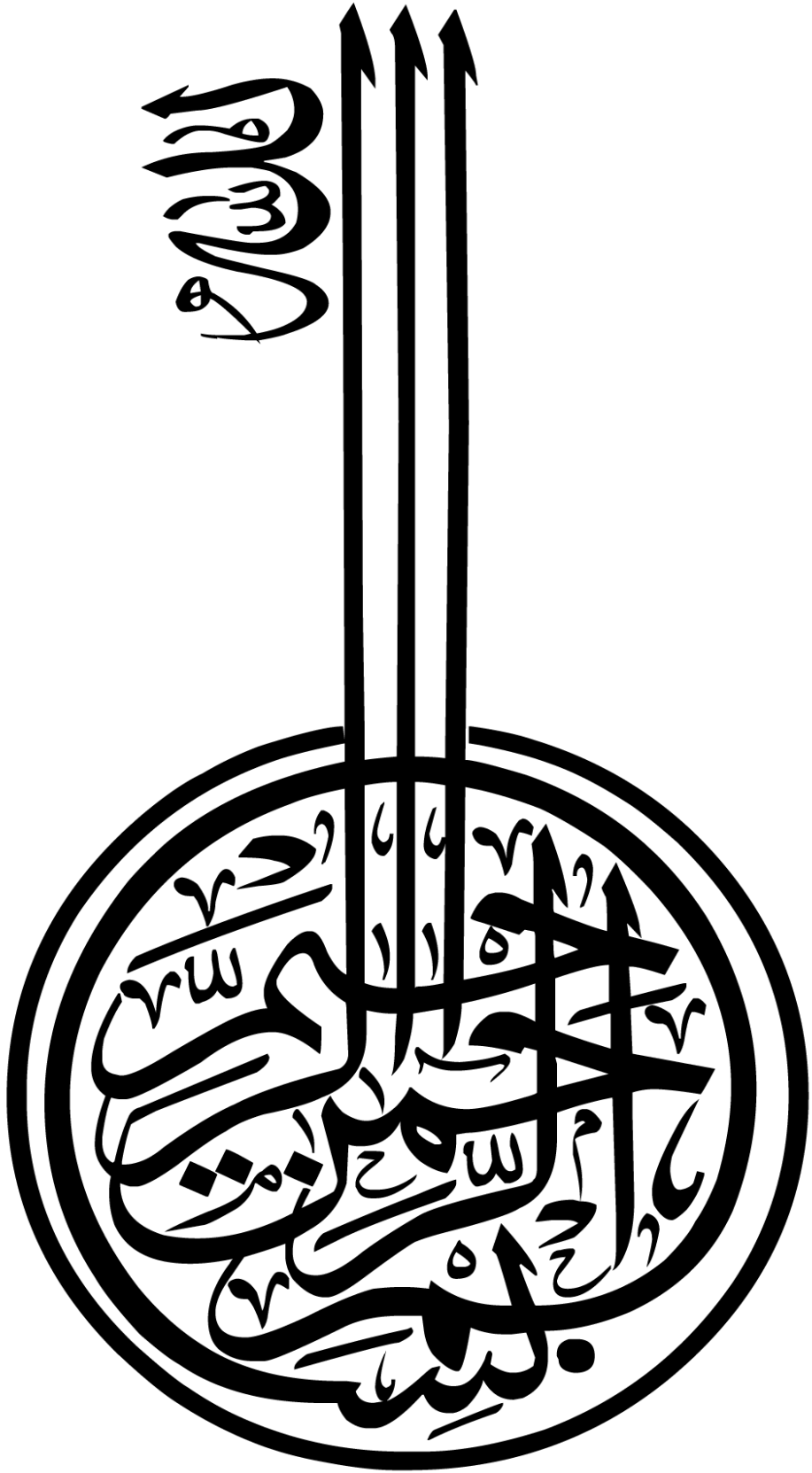
اعداد الطالبة:

نادية فتيسي

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د. خليفة حماش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د. صالح فركوس	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 45 قالمة
أ.د. علي أجقو	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة بسكرة
أ.د. شايب قدارة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 45 قالمة
أ.د. محمد شرقي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 45 قالمة
أ.د. رمضان بورعدة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 45 قالمة

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2017-2018م



اللَّهُمَّ

# الإهداء

أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلُ  
صَدَقَةً بَارِيَةً لَوَالِدَيْي الْكَرِيمَيْنِ وَأُدْعُو اللَّهَ  
أَنْ يَمْتَعَهُمَا بِالصِّحَّةِ وَطَوَّلَ الْعُمُرَ عَلَيَّ كُلِّ مَا  
بِحَالِهِ مِنْ أَجْلِي.

## كلمة شكر

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرفه  
الدكتور صالح فرحوس الذي يعود إليه الفضل في انجاز هذا  
الموضوع وعلى ما بذله من جهد فبارك الله فيه.

كما أتقدم بشكري العميق إلى الأستاذ الدكتور خليفة  
حماش الذي ساعدني في شرح كثير من المصطلحات التركبية  
والإجابة على كل استفساراتي عبر الإيميل، وأشكره كذلك على  
الكتب القيمة التي أهداها لي فبارك الله فيه وجزاه كل خير.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام الذين كان  
لهم دور كبير في توجيهي ومساعدتي خاصة لجنة المناقشة:  
الدكتور شرقي محمد وشايب قدادرة ورمضان بورنعة وعلي  
أجتمو وإلى كل من قدم لي المساعدة من قريب أو من بعيد  
فجازى الله الجميع.

## قائمة المختصرات

### 1- المختصرات بالعربية

(د.ط): دون طبعة

(د.ت): دون تاريخ

أ.و.ت: الأرشيف الوطني التونسي

أ.و.ق: الأرشيف الولائي بقسنطينة

ج. جزء

ش. و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ط: طبعة

ع: عدد

م: ميلادي

مج: مجلد

ه: هجري

م.و.ج. المكتبة الوطنية الجزائرية

أ.و.ج. الأرشيف الوطني الجزائري

س.ب.م. سجلات بيت المال

ردص. ريال دراهم صغار

ع. علبة

## 2- المختصرات بالفرنسية:

A.C.CM.	Archives de chambre de commerce de Marseille
A.M.G.	Archives du ministère de la Guerre (Vincennes)
A.O.M.	Archives outre-mer d'Aix-en- Provence
Ann.	Année
éd.	édition
Imp.	imprimerie
MI.	Micro film
O.P.U.	Office des publications universitaires.
R.A.	La Revue Africaine
R.O.M.M.	Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée
s. d.	Sans date
T.	Tome
Trad.	Traduit
Vol.	Volume

## مقدمة

يعتبر الوجود العثماني بالجزائر (1519-1830م) مرحلة هامة في مسارها التاريخي، ذلك أنّ ارتباطها بالدولة العثمانية مثل نقطة تحول من إمارات ودويلات متناثرة إلى شبه الدولة المستقلة بمؤسساتها القوية، وحدودها الواضحة، وعاصمتها الثابتة وعلاقاتها الدبلوماسية. كما برزت أهميتها لمدة ثلاثة قرون ونيف كجبهة عثمانية متقدمة في الصراع ضد البلدان الأوربية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وبالرغم من تغير موازين القوى لصالح الأوروبيين منذ بداية القرن الثامن عشر على حساب الدولة العثمانية، إلا أنّ دايات الجزائر لم يغيروا من سياستهم الخارجية وقوانينهم في البحر الأبيض المتوسط<sup>1</sup>، لاعتقادهم باستحالة اختراق تراب بلادهم، ولعلمهم اكتسبوا هذه الثقة من الفشل المستمر للحملات الأوربية على مدينة الجزائر، وهو ما نلمسه في السياسة التي سار عليها محمد بن عثمان باشا (1766-1791م) والبعض من خلفائه، كالحاج علي باشا (1809-1815م)، والداي علي خوجة (1817-1818م)، والداي حسين (1818-1830م)، هذا الأخير الذي تولى سدة الحكم في ظل معطيات دولية جديدة عرفتها أوروبا منذ عودة السلم إليها، عجلت بالقضاء على الكيان السياسي للجزائر.

وقد اشتهرت إيالة الجزائر في حوض البحر المتوسط بقوة أسطولها، وتحصينات عاصمتها. إلا أنّ قوة الإيالة الحقيقية كانت تكمن في نظامها المالي السليم، الذي يركز على ثرواتها الطبيعية الكبيرة خاصة في المجال الفلاحي.

وقد حاول الحكام العثمانيون تطوير القطاع الاقتصادي من خلال تشجيع الزراعة والتجارة، ووضع نظام كفاء لتحصيل الضرائب، بالإضافة إلى عوائد الجهاد البحري مما أدى إلى زيادة الثروة<sup>2</sup>، وبالتالي تحسين المستوى المعيشي للسكان.

---

<sup>1</sup> ونقصد بذلك المعاهدات التي تفرضها على الدول الأوربية كل واحدة على حدٍ، والضريبة التي تدفعها والهدايا القنصلية التي يقدمها القناصل في مختلف المناسبات بالإضافة إلى جوازات السفر وحق التفتيش في البحر كل هذه القوانين مقابل ملاحه آمنة للسفن التجارية في البحر.

<sup>2</sup> وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006،

وكانت الحالة الاقتصادية طوال العهد العثماني مرآة عاكسة للنظام السياسي، فهي تعكس توجهاته وأنماطه في قوانين السوق والملكية والضرائب وغيرها. كما ارتبطت باستقرار السلطة الحاكمة ومدى كفاءتها في توجيه الاقتصاد، وتوفير الحاجيات الأساسية للمجتمع؛ والمتمثلة خاصة في رواتب الجند والحماية الخارجية والداخلية، ومتى تأخرت عن التزاماتها واجهت الاضطرابات في كل مكان، فهناك علاقة واضحة بين السياسة والواقع الاقتصادي حيث يوجد تأثير متبادل بينهما، فمثلا نجد أن هناك ارتباط بين وفرة المواد الغذائية الأساسية وأسعارها والاستقرار السياسي داخل المجتمع، فكثيرا ما تسببت الأزمات الاقتصادية في القضاء على النظام السياسي الحاكم<sup>1</sup>.

ونظرا لأهمية الفترة العثمانية في تاريخ الجزائر فقد اتجهت أقلام المؤرخين والباحثين للاهتمام بالتأريخ للمنطقة في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومع ذلك مازالت تشكل مجالا خصبا تستقطب اهتمام الباحثين للكشف عن مختلف الانجازات والتطورات التي عرفت الجزائر خلال تلك الفترة.

ومن المواضيع التي ما تزال تحتاج إلى البحث والدراسة هي الجمع بين أكثر من مجال وإبراز العلاقة بينهما كمدى تأثير المجال السياسي على الناحية الاجتماعية مثلا، وفي هذا الإطار اخترنا موضوعا حول أوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية خلال عهدي الداوي محمد بن عثمان باشا والداوي حسين باشا، باعتباره يشكل مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر بين نهاية العصر العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. وهذا البحث لا يزال يحتاج إلى المزيد من تسليط الضوء خاصة من خلال الوثائق والمصادر التاريخية المحلية، ليوضح لنا تطورات البلاد التي كانت تتأثر سلبا أو إيجابا بالأوضاع السياسية والاقتصادية الداخلية، في خضم المعطيات والمتغيرات الدولية، والتي انتهت بالنتيجة المعلومة وهي "الاحتلال الفرنسي" للجزائر سنة 1830م.

وقد جاء هذا البحث بعنوان: "أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1830م)".

---

<sup>1</sup> مثل الانتفاضة التي حدثت عام 1805 ضد الداوي مصطفى الخرناجي واليهود بسبب نقص الغذاء وارتفاع أسعار القمح، فنتج عنها القضاء على النظام الحاكم.



وقد اقتصرنا دراستنا على الأوضاع السياسية والاقتصادية كنموذج، واخترنا محمد بن عثمان باشا النموذج الأول وحسين باشا النموذج الثاني.

## أولاً: أسباب اختيار الموضوع

1. كان اعتقادي في بداية البحث أن المدرسة التاريخية العثمانية في الجزائر قد قدمت الكثير حول مختلف جوانب الموضوع وجزئياته؛ كالتعريف بأهم حكامه وأبرز شخصياته ونظمه وقوانينه ومصطلحاته الإدارية، وأنواع الضرائب وأسماء القبائل ومواقعها، والموازيين والمقاييس المستعملة في المكايل. لكن بعد المطالعات المتخصصة يمكن القول أن هذه الفترة مازالت تحمل في ثناياها الكثير من الإشكاليات، وتحتاج إلى مزيد من البحث والتخصص في العديد من القضايا والمواضيع التي يكتنفها الغموض. ومن هذا المنطلق وجهت اهتمامي لدراسة التغييرات والتطورات التي حدثت في أواخر العهد العثماني على المستوى السياسي والاقتصادي، وقد حاولت إزالة الغموض عن بعض المصطلحات المبهمة.

2 - اختياري ناتج عن ميول واهتمامات خاصة بفترة هامة من تاريخ الجزائر في العهد العثماني حين كانت إيالة الجزائر حاملة للواء الجهاد في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وأحرزت انتصارات وبطولات كبيرة، ونجحت في صدّ الحملات المتكررة على مدينة الجزائر. لكن أغلب الكتابات الأوربية صورت الوجود العثماني على أنه احتلال عسكري استغل خيرات البلاد بالقوة<sup>1</sup>، وأن الجزائر خلال هذه الفترة كانت "عش القرصنة" الذي ألقى الرعب في قلوب الدول المسيحية ويعود الفضل في ازدهارها إلى القرصنة. وهذا دفعني لاختيار دراسة السياسة الداخلية والخارجية لإيالة الجزائر ونظامها الاقتصادي في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، لتقصي الحقائق التاريخية ومعرفة مدى صدق هذه الكتابات.

<sup>1</sup> وكمثال عن ذلك حمل عدد من الكتب عناوين تشير إلى الاحتلال التركي للجزائر ومنها:

W. Esterhazy, De La Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger, Paris, Librairie De Charles Gosselin, 1840. et H-D. De Grammont, Histoire d'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830),éd. Ernest, Paris, 1887.

3- كشفت لنا المطالعات المتخصصة أهمية دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهدي محمد بن عثمان باشا وحسين باشا في التاريخ السياسي والاقتصادي لإيالة الجزائر. والتي لم تحض بالقسط الوافر من الدراسات الأكاديمية. وخاصة شخصية الداوي محمد بن عثمان باشا وانجازاته<sup>1</sup> والذي أشاد به المؤرخون الأجانب مثل "دو قرامون" (De Grammont)<sup>2</sup> وأوجان بلانتي (Eugène Plantet)<sup>3</sup>. فحاولنا تدعيمها وإكمال ما بدا لنا من نقص من خلال هذه الدراسة.

4- دراسة التغيرات التي مست أوضاع إيالة الجزائر السياسية والاقتصادية منذ بداية القرن التاسع عشر، وإبراز مدى تأثير كل منهما على الآخر وانعكاساتها على البلاد.

### ثانيا: الحدود الزمنية للدراسة

لقد حددت الإطار الزمني لهذه الدراسة في الفترة الممتدة ما بين 1766 و1830م (1179-1245-1246هـ)، ويمثل التاريخ الأول بداية حكم محمد بن عثمان باشا، أما التاريخ الثاني (1830) فهو نهاية حكم الداوي حسين باشا، وتاريخ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو بتعبير آخر نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

### ثالثا: إشكالية الموضوع والدراسات السابقة

1- الإشكالية: عاشت الجزائر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر استقرارا سياسيا طويلا إذ في خمسين سنة تعاقب على الحكم ثلاثة دايات، وكانت نهايتهم بوفاة طبيعية، وأطولهم مدة الداوي محمد بن عثمان باشا. لكن منذ اغتيال الداوي مصطفى باشا (1798-1805م) شهدت الجزائر ما اصطلح المؤرخون على تسميته بعهد الفوضى الذي يستمر إلى غاية الاحتلال الفرنسي 1830<sup>4</sup>، وقد تولى خلال هذه الفترة الأخيرة ثمانية دايات كانت نهاية معظمهم الاغتيال على يد الجند.

<sup>1</sup> جاءت إشارات حول الداوي محمد بن عثمان باشا في رسالة رجاء رهيوي بعنوان، دايات الجزائر صور وأبعاد (1671-1830م)، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، 2007/2008. ص ص. 53-55

<sup>2</sup> H-D. De Grammont, Op. cit, p. 318

<sup>3</sup> أوجان بلانتي، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ج2، ط1، ترجمة، تحقيق، سلامنية بن داود، دار الوعي، الجزائر، 2014، ص. 181

<sup>4</sup> محمد بوشنافي، حسين وسقوط الإيالة الجزائرية 1818-1830م، مجلة عصور، العدد 6-7، جوان-سبتمبر 2005م، جامعة وهران، وهران، 2005، ص-ص. 98

من هذا المنطلق فإن الإشكالية المطروحة هي:  
هل يمكن حصر أسباب الاضطرابات في الجزائر منذ بدايات القرن التاسع عشر، بعد فترة طويلة من الاستقرار في عهد محمد بن عثمان باشا في العوامل الاقتصادية؟، أم أن هناك ظروفًا ومعطيات أخرى ساهمت في تدهور الأوضاع وعجلت بسقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي؟

وتتفرع عن ذلك مجموعة من التساؤلات التي تثيرها طبيعة الموضوع منها:  
- من هم أبرز دايات الجزائر في هذه الفترة؟ وهل كانت لديهم اتجاهات سياسية واقتصادية مختلفة عن سابقهم؟ هل حدث تغيير برحيل وتنصيب آخر؟  
- كيف كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية في ولاية آخر دايات العهد العثماني في الجزائر؟ ما الذي كان يحدث في الجزائر وغير موازين القوى لصالح فرنسا؟

## 2- الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات أكاديمية سابقة مختصة حول الموضوع في كليته، إلا أن هناك بعض البحوث تناولت جوانب هامة فيه ومنها:  
دراسة الباحث بلبروت بن عتو بعنوان، "محمد بن عثمان باشا وسياسته"، بمجلة عصور، عدد 6-7، ديسمبر 2005.<sup>1</sup> حول أوضاع الجزائر خلال عهد محمد بن عثمان باشا وأهم أعماله. وهي دراسة مقتضبة حول الجزء الأول من الموضوع، ركز فيها على الجانب السياسي والعسكري. ومن الدراسات ذات الأهمية البالغة للباحث والمؤرخ ناصر الدين سعيدوني بحث بعنوان: "صالح باي ومكانته في تاريخ قسنطينة"، وقد نشرها ضمن كتابه "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر"، العهد العثماني. طبع الكتاب بالمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر عام 1984. وهي دراسة قيمة أعدها حول شخصية صالح باي قسنطينة تحت حكم محمد بن عثمان باشا، وأبرز من خلالها أهم أعمال هذا الباي وقدم تفسيرات لنهايته الغامضة، ولكنها اختصت ببايلك الشرق دون باقي المناطق في الجزائر.

<sup>1</sup> بلبروت بن عتو، "محمد بن عثمان باشا وسياسته"، بمجلة عصور، عدد 6-7، ديسمبر 2005، جامعة وهران، الجزائر، صص 80-98

ومن الدراسات الأكاديمية أيضا حول فترة الداوي حسين والاحتلال الفرنسي، رسالة ماجستير، للأستاذة فتيحة صحراوي الموسومة: "الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)"، بجامعة الجزائر عام 2011/2010<sup>1</sup>. وقد عالجت من خلالها أوضاع الجزائر خلال فترة حكم الداوي حسين بعد التعريف بشخصيته، وآثاره وقد استعانت في بحثها بوثائق من الأرشيف الوطني الجزائري، وقد خصص الباحث أرزقي شيوتام رسالة ماجستير لدراسة "نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره." وهي دراسة قيمة أنجزها على ضوء الوثائق الأرشيفية خاصة الفرنسية، وضح من خلالها أوضاع الجزائر نهاية العهد العثماني وأسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد طبع هذا العمل بدار الكتاب العربي بالجزائر سنة 2011.

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية في عهد محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، فلم نعثر على دراسات سابقة حول هذه الفترة، وحتى في الفترة الثانية الممتدة من 1792 إلى غاية 1830، لا يوجد سوى موضوعين، الأول يتعلق بدراسة الباحث محمد العربي الزبيري، وهي رسالة ماجستير بعنوان: "التجارة الخارجية في الشرق الجزائري منذ 1792-1830"، وهي دراسة في غاية الأهمية عالج فيها التبادل التجاري الجزائري مع الشركات الفرنسية المتعاقبة على امتيازات "الباستيون" بالشرق الجزائري، مدعمة بإحصائيات مستخرجة من الأرشيف الفرنسي. وتم نشرها من طرف المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، عام 1972. والموضوع الثاني هو أطروحة دكتوراه للباحث ناصر الدين سعيدوني، بعنوان: "النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)". نوقشت بمعهد التاريخ بالجزائر عام 1974، ونشرت هذه الدراسة لأول مرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1985، وآخر طبعة كانت عن دار البصائر، بالجزائر سنة 2012. وتكتسي هذه الدراسة فائدة كبيرة في التعريف بواقع الاقتصاد الجزائري نهاية العهد العثماني وأهم مداخل الخزينة العمومية.

---

<sup>1</sup> فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010

هذا بالإضافة إلى عدة دراسات لها صلة بموضوع البحث، نشرت في عدة مجلات علمية منها: مقال لـ (Gorguos)<sup>1</sup> نشر بـ"لا روفي أفريكان" La Revue Africaine في عدة أجزاء خلال سنتي، 1856، 1857 بعنوان: "لمحة حول باي وهران محمد الكبير" "Notice Sur Le Bey D'Oran Mohamed ElKabir"

ومقال آخر لـ: (A.Berbrugger) بنفس المجلة لسنة 1856 بعنوان: "الشريف القبائلي خلال سنة 1804م،"، "Un Chérif Kabile en 1804"<sup>2</sup> وهو مقال في غاية الأهمية يتناول ثورة الشريف بن الأحرش في بايلك قسنطينة عام 1804. ومن البحوث المتخصصة في المجال الاقتصادي أواخر العهد العثماني، دراسة للأستاذ ( Marcel EMERIT) بعنوان: "الوضع الاقتصادي لولاية الجزائر خلال 1830م".

<sup>3</sup>"La situation économique de la régence d'Alger en 1830"

ومن بين المقالات التي كتبت باللغة العربية دراسة للباحث والمؤرخ مولاي بلحميسي الموسومة بـ: "الثورة على الأتراك في الجزائر" نشر بمجلة الثقافة، العدد 48، سنة 1978<sup>4</sup>، أمدنا من خلاله بمعلومات جديدة حول ثورة الباي أبو كابوس (1813) على السلطة العثمانية استقاها من الأرشيف الوطني الإسباني. وكذلك عدة مقالات متخصصة للباحث خليفة حماش منها؛ بحث نشره في مجلة المعالم بعنوان: "قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطه والي في 27 ذي الحجة 1245هـ/19 جوان 1830<sup>5</sup>". أبرز فيه البعد الحضاري في انهزام الجزائريين في معركة اسطاولي أمام الفرنسيين.

<sup>1</sup> Gorguos, Notice Sur Le Bey D'Oran Mohamed El Kabir, in, R.A., Vol. n° 1,2, 1856, 1857, éd. A. Jourdan, Alger. pp.223-241, 403-416.

<sup>2</sup> A. Berbrugger, Un Chérif Kabile En 1804, In R. A., Vol. N° 03, 1856, éd. A. Jourdan, Alger, pp. 209-214

<sup>3</sup> Marcel EMERIT, La situation économique de la régence d'Alger en 1830, in, Information Historique, n°5, 1952, librairie J-B. Baillière et Fils, Paris, pp.169-171

<sup>4</sup> مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 48، ديسمبر 1978. ش. و. ن. ت، الجزائر، ص-ص. 41-51

<sup>5</sup> خليفة حماش، قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطه والي في 27 ذي الحجة 1245هـ/19 جوان 1830، مجلة المعالم، العدد، 16، محرم 1436هـ/نوفمبر، 2014، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة. ص-ص. 173-216

وقد اعتمدت في بحثي على تلك الدراسات القيمة وغيرها مما ورد في ثبت المصادر والمراجع.

#### رابعاً: خطة البحث والمصادر المعتمدة 1 - خطة البحث:

تتشكل خطة البحث من مقدمة وجزئين وخاتمة ومجموعة من الملاحق والفهارس: وقد جاء الجزء الأول بعنوان: "الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)", والجزء الثاني بعنوان: الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد حسين باشا (1818-1830م)، وقد قسمنا الجزء الأول إلى أربعة فصول والثاني إلى ثلاثة فصول.

تتأول الفصل الأول الذي يحمل عنوان: "السياسة الداخلية"؛ ترجمة لمحمد بن عثمان باشا، وكيف تولى سدة الحكم ومميزات تنظيماته الداخلية في تسيير البلاد وإقرار الأمن والاستقرار.

وخصّص الفصل الثاني الذي يحمل عنوان: "آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات"، لدراسة بايلك الشرق في عهد صالح باي، وبايلك الغرب في عهد محمد باي الكبير، وتطرقت من خلاله إلى التعريف بشخصية هذين الرجلين، وأهم إنجازاتهما العمرانية والثقافية، كما تطرقت إلى تحرير وهران والمرسى الكبير بقيادة محمد باي الكبير، وإلى شروط معاهدة السلام بين الجزائر وإسبانيا.

وعالج الفصل الثالث الذي يحمل عنوان: "السياسة الخارجية" العلاقات الجزائرية مع الباب العالي، وركزت من خلاله على الأسس التي كانت تقوم عليها العلاقات بين البلدين، كمباركة الداوي الذي يختاره الديوان وتبادل الهدايا والدعم العسكري. ثم درست العلاقات مع تونس والمغرب، منذ بداية التواجد العثماني بالجزائر إلى غاية نهاية عهد محمد بن عثمان باشا.

وركزت في دراسة العلاقات الجزائرية الأوربية على العلاقات مع إسبانيا والحملات البحرية التي قادتها على مدينة الجزائر. ولا تكتمل صورة العلاقات الخارجية الجزائرية دون الفرنسية التي عدنا إلى بدايتها بصفة مختصرة ثم تطوراتها في عهد محمد بن عثمان باشا.

كما أُلقيت الضوء على العلاقات الجزائرية مع دول شمال أوروبا، وبالخصوص على الحملة الفاشلة التي قادتها الدانمارك ضد مدينة الجزائر ونتائجها.

وقد جاء الفصل الرابع تحت عنوان: "الأوضاع الاقتصادية"، تناولت في البداية مناطق توزيع الأراضي الفلاحية في الجزائر والمناخ السائد في كل منطقة، ثم أنواع ملكيات الأراضي وحيازاتها. وتطرقت كذلك إلى الإنتاج الفلاحي وأنواعه وتوزيعه في الجزائر، ثم عالجت التجارة بفرعيها الداخلية والخارجية وأهم واردات وصادرات الجزائر مع أوروبا، وخاصة مع فرنسا مع تقديم إحصائيات مستقاة من أرشيف الغرفة التجارية الفرنسية. ودرست كذلك الحرف الصناعية وتنظيمها في المدن والأرياف، وفي الأخير تطرقت إلى مصادر دخل الخزينة العامة في عهد محمد بن عثمان باشا.

وخصصت الجزء الثاني الذي يحمل عنوان: "الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد حسين باشا (1818-1830)"، لدراسة التطورات السياسية والاقتصادية إثر رحيل محمد بن عثمان باشا إلى غاية نهاية عهد الداوي حسين باشا، وتناولت من خلاله الأوضاع السياسية والاقتصادية الداخلية للجزائر وتطور العلاقات في حوض البحر الأبيض المتوسط وارتباطها بالمسألة الشرقية وانعكاسها على الجزائر، وقسمته إلى ثلاثة فصول:

حيث عالج الفصل الخامس "الأوضاع السياسية الداخلية" إثر رحيل محمد بن عثمان باشا إلى نهاية عهد الداوي حسين باشا، وخصص المبحث الأول منه لدراسة الاضطرابات التي عرفتتها السلطة الحاكمة وأسبابها، وكذا انعكاساتها على الأوضاع الاقتصادية والأمنية، ومن خلال المبحث الثاني تطرقت إلى أهم الثورات التي اندلعت بقيادة الطرق الصوفية في الشرق والغرب الجزائري.

أما المبحث الثالث فقد عالجت من خلاله السياسة الداخلية التي سار عليها الداوي حسين باشا (1818-1830م) بعد أن قدمت ترجمة له وكيف نصب دايا على إيالة الجزائر، ثم تطرقت إلى سياسته اتجاه القبائل والأزمات التي واجهته لفرض سلطته. وفي المبحث الرابع عالجت سياسته الداخلية على مستوى البايلكات لإقرار الأمن وفرض الاستقرار.

وتناول الفصل السادس العلاقات الجزائرية الخارجية؛ حيث ركزت في دراسة العلاقات الجزائرية التونسية على الحروب المتواصلة بين البلدين وحاولت تقصي أسبابها ونتائجها، ثم درست العلاقات الجزائرية مع الدولة العثمانية في الفترة من 1791 إلى غاية 1830، وحاولت الكشف عن أسباب تأزم العلاقات بين البلدين، والقطيعة التي استمرت من عهد مصطفى باشا 1805م إلى غاية تولي عمر باشا (1815-1817م)، وبيّنت كيف سعى هذا الأخير لاستعادة العلاقات الودية بين البلدين في ظل المتغيرات الدولية الجديدة، والتكتل الأوربي ضد الجزائر في مؤتمر فيينا (1814-1815) ومؤتمر إكس لاشبيل (1818).

وأفردت المبحث الثالث لدراسة العلاقات الجزائرية الأمريكية منذ استقلالها إلى غاية إبرام معاهدة السلام الأولى بين البلدين، وأبرزت أهم بنودها بالإضافة إلى الضريبة السنوية والهدايا التي كانت تقدمها إلى الجزائر. ثم عالجت الأزمة التي حدثت بين البلدين وانعكاساتها.

وجاء الفصل السابع والأخير بعنوان: "العلاقات التجارية الجزائرية الفرنسية وقضية الديون (1791-1830م)" ومن خلاله حاولت أن أوضح السياسة الاقتصادية الجديدة التي اتبعتها خلفاء محمد بن عثمان باشا ومدى تأثيرها على الاستقرار الداخلي للبلاد، وكذلك على العلاقات التجارية الفرنسية وكيف نشأة قضية الديون التي تسببت في حادثة المروحة الشهيرة، ومن ثمة إعلان فرنسا الحرب وفرض الحصار البحري على سواحل الجزائر.

كما تطرقت إلى استعداد الجانبين للمواجهة، ثم تتبعت انطلاق الحملة من ميناء طولون إلى غاية سقوط مدينة الجزائر ورحيل الداي حسين سنة 1830. وفي المبحث الأخير رصدت مواقف الدول الأوربية الكبرى والدولة العثمانية تونس والمغرب من احتلال الجزائر.

وانتهت الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات تدور حول الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولزيادة توثيق الموضوع وتوضيح بعض المعلومات والتفاصيل وضعت قسما للملاحق اشتمل على خرائط ووثائق، وفهرسا للأشكال والجداول، وآخر للمحتويات.



## 2- المصادر والمراجع:

### أولاً: الوثائق غير المنشورة

قد تطلب مني إعداد هذا الموضوع السفر إلى العديد من دور المحفوظات للبحث عن المادة التاريخية داخل الوطن وخارجه قصد الاطلاع على الوثائق التي تتصل بموضوع البحث وهي موجودة في دور المحفوظات التالية:

**1-محفوظات المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة(م.و.ج):** يحتوي قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية على ألف وست وثمانين وثيقة(1086) تعود إلى العهد العثماني وهي موزعة على خمس مجموعات تشكل كل واحدة منها ملفا مستقلا وهي التي تحمل الأرقام الآتية:1641، 1642، 1903، 2316، 3203. وتمثل الألف وست وثمانون وثيقة الرصيد الجديد الذي حصلت عليه المكتبة الوطنية مؤخرا، وهو رصيد دلفان، وهي موزعة على خمس مجموعات، تحمل الأرقام التالية 3190(ملفان)، 3204 (ملفان)، 3205 (ثلاثة ملفات)، 3206(ثلاثة ملفات)، 3207(ملفان)<sup>1</sup>، وقد اعتمدت على المجموعات التي تخدم موضوع الدراسة وخاصة **المجموعة 3190**، وهي عبارة عن وثائق مختلفة ولكن أغلبها مراسلات وصلت من الباب العالي إلى باشاوات الجزائر ومن وكلائهم في عدد من مدن الدولة العثمانية، وتغطي بشكل عام الفترة بين عامي (1162-1245/1748-1830م) وإن كان أكثرها يعود إلى عهد الداوي حسين.

كما اعتمدت على **المجموعة 1641** التي تحوي على مراسلات صالح باي قسنطينة ووكلائه، وفي أغلبها رسالة إلى وكيل حصن "الباستيون" بالقالة، وتغطي الفترة من 1776 إلى 1791م، والكثير من رسائل هذه المجموعة تواريخها ليست محددة وكتب عليها تاريخ الوصول بالميلاد، بالإضافة إلى **المجموعة 1642** وهي عبارة عن رسائل باللغة العربية أرسلها محمد باي وأحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا بالجزائر بين عامي 1232-1245هـ (1817-1830م) ويبلغ عددها ثلاثون رسالة مرقمة من 1 إلى 30 بقلم الرصاص وكلها أصلية وتتحدث عن مواضيع مختلفة، وخاصة الوضع الأمني والاقتصادي ببايلك الشرق.

<sup>1</sup> خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نوميديا،

واعتمدت أيضا على وثائق المجموعة 3204 التي قام الأستاذ الباحث خليفة حماش بتحقيق كل وثائقها الملف الأول والثاني، وألحق بها قاموسا لشرح المصطلحات الغامضة، في القسم الثاني من الكتاب<sup>1</sup>.

ومن الدفاتر الجبائية الهامة بالمكتبة الوطنية؛ استعنت بسجل الضرائب رقم 1646 خاص بقبائل الشرق، في معرفة أسماء القبائل وقيمة الضرائب التي تدفعها ونوعها وتاريخها، يغطي نهاية القرن الثاني عشر هجري(1171-1184هـ/1757-1770م).

2- **الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم** (أ.و.ج): ويوجد به 64 سجلا لبيت المال موزعة على 11 علبة و386 سجلا موزعة على 36 علبة خاصة بالبايلك إضافة إلى 139 سجلا موزعة على 15 علبة، كلها في شكل ميكروفيلم، وأوراق متفرقة معظمها يتعلق بقضايا الأوقاف، و28 سجلا موجودة في المكتبة الوطنية قسم المخطوطات<sup>2</sup>، وقد قمت باستغلال على بعض سجلات بيت المال لتحديد المهام المنوطة به.

3- **الأرشيف الولائي بقسنطينة** (أ.و.ق): اطلعت في هذا الأرشيف على سجلات المحاكم الشرعية، وهي في مجملها عشرة سجلات تغطي الفترة من(1202-1249هـ/ 1787 - 1833م) تزود الباحث بمعلومات دقيقة، وتفصيلية حول مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، في إطار الشرع الإسلامي الذي عالج أمور المسلمين، وامتد ليشمل أهل الذمة، فكانت هذه السجلات تمثل القانون العام الذي يحفظ حقوق جميع السكان<sup>3</sup>، وقد اعتمدت على السجل الأول الذي يغطي فترة حكم صالح باي من (1202-1205هـ/ 1787-1791م)، وهو في غاية التنظيم وبخط مغربي واضح، يحتوي على المعاملات والمبادلات الاقتصادية كعقود البيع والشراء والهبات والتركات وعقود الزواج والطلاق وغيرها. وهي مسجلة وفق التسلسل التاريخي لوقوعها.

---

<sup>1</sup> خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ج1، منشورات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013  
<sup>2</sup> شهاب الدين بلس، الوثائق الوطنية، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني 1058-1279هـ/1648-1862م، مجلة الوثائق الوطنية، عدد خاص(8-9)، 1980، ص.8

<sup>3</sup> يوسف صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004-2005، ص. 2

**4-محفوظات الأرشيف الوطني التونسي(أ.و.ت):** استفدت من القسم الخاص بالفترة العثمانية من وثائق السلسلة التاريخية، والدفاتر الإدارية الجبائية خاصة في دراسة العلاقات الجزائرية التونسية في حالة السلم والحروب.

**5-محفوظات ما وراء البحار بأكس -أن- بروفانس، بفرنسا(A.O.M):** اطلعت بهذا الأرشيف على الدفاتر التركية الجزائرية تحديدا السجل رقم 60 و 62، وعثرت على معلومات جديدة تخص الداوي محمد بن عثمان باشا تتعلق بمدى مساهمته في الجانب الثقافي. كما اعتمدت على المجموعة 3B6 من الأرشيف الوطني للجزائر، وتشمل على وثائق خاصة بالسفن التي تنقل القمح من موانئ الجزائر، واستفدت كذلك من وثائق المجموعة رقم F/80/970، التي تخص العملة الجزائرية وقيمتها بالفرنك الفرنسي. وقمت باستغلال وثائق المجموعة رقم Aix 1 MI 46, 1B13، وهي تضم رسائل القناصل الفرنسيين بالجزائر خلال عام 1794، حول الأزمة الغذائية بفرنسا والمساعدات المالية والغذائية المقدمة لها من طرف سلطات الجزائر.

**6-محفوظات الغرفة التجارية بمرسيليا(A.C.CM):** اعتمدت على حسابات وفواتير وسجلات الغرفة؛ وهي تشتمل على معلومات تاريخية حول صادرات الجزائر إلى الشركات الفرنسية من مختلف موانئها، وأسماء المواد والكميات والأسعار، وأسماء السفن وقادتها والمتعاملين الاقتصاديين بمرسيليا والجزائر. ووظفتها خاصة في الجانب الاقتصادي من الدراسة.

**7-محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بفانسان(A.M.G):** اطلعت على تقرير حول عدد القتلى في معارك احتلال الجزائر أعده أحد جنرالات الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830. بالإضافة إلى رسالة من باشا طرابلس إلى الداوي حسين يخبره فيها عن مشروع بولينياك محمد علي لغزو الجزائر.

وقد أثبت الملفات والدفاتر والوثائق المهمة من هذه المحفوظات مع بقية المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، كما وضعنا قائمة بالمختصرات العربية والفرنسية حتى لا ننقل السياق بتكرار بعض الكلمات المستعملة.

**8-مخطوط، "ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح أمير بلد قسنطينة"،** لمحمد الطاهر النقاد، رقم 263، كتب بتاريخ أوائل ذي القعدة 1264 هـ/1848م، أواخر سبتمبر

أوائل أكتوبر 1848، وبخط مغربي واضح مقروء أسود والعناوين بالأحمر كتب في الصفحة الأولى منه أنه يشتمل على أربعة فصول، الفصل الأول بعنوان: في وقت ولايته والثاني: في بيان وزراءه وأهل مملكته علمائه والثالث: في رأفته وشفقته على بلده ورعيته، والفصل الرابع والأخير في واقعة موته. ولكن المخطوط الذي اطلعت عليه بدار الكتب الوطنية التونسية. يتكون من الفصل الأول والثاني فقط، وفي 32 ورقة، ولا ندري أين باقي الفصول هل كتبت وضاعت أم لم تكتب من الأساس. وأفادنا هذا المخطوط في التعريف بأعضاء حكومة صالح باي وسياسته الداخلية وعلاقاته مع باي تونس.

#### ثانيا: المصادر المنشورة:

كما حتم علينا الموضوع الرجوع إلى العديد من المصادر المحلية والأجنبية وبها مادة خبرية هامة، ومنها:

1- "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار" نقيب أشرف الجزائر (1781-1872م/ 1196-1289هـ): قام بتحقيق هذا المؤلف أحمد توفيق المدني ونشره لأول مرة عام 1972، وأعيد طبعه سنة 1980م بالمؤسسة الوطنية للنشر الكتاب، ويعد أهم مصدر في الفترة المتأخرة للعهد العثماني في الجزائر. وقد سجل به الأحداث التي جرت في الجزائر منذ عهد علي بوصباغ باشا، (1755-1766م/ 1168-1171هـ)، إلى آخر الدايات حسين باشا (1818-1830م/ 1233-1246هـ)، فكان يبدأ بتاريخ ولاية الباشا أو الأمير كما يسميه هو، ثم يفصل في باقي الأحداث التي وقعت في عهده سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية. أما العناوين فكلها من وضع المحقق ولا يوجد في الأصل منها شيء<sup>1</sup>، وكان يتبع في تأليفه الأسلوب السردى ومن حين لآخر يبدي رأيه في الحكام والأحداث. وقد اعتمدنا على هذا المؤلف في الجزء الأول والثاني خاصة في تواريخ الأحداث وسير الحكام والولادة والحروب وغيرها.

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت.

2ط، الجزائر، 1980، مقدمة المحقق، ص.13.

2- "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة (1773- توفي ما بين 1840 - 1845م -  
1256/1187-1261هـ<sup>1</sup>): هذا الكتاب نسخته العربية الأصلية مفقودة والنسخة العربية  
الموجودة هي ترجمة عن النسخة الفرنسية التي تحمل عنوان: "Aperçu historique sur la  
"Régence d'Alger"، وقد نشرت لأول مرة في باريس شهر أكتوبر 1833م، وكتاب المرآة  
كان عرض حال قدمه إلى اللجنة البرلمانية التي أرسلت من فرنسا للبحث إثر احتجاجات  
ومساعي حمدان خوجة ورفقائه، بعد صدور قرارى الجنرال "كلوزال" المؤرخين في 10 جوان  
وفي 8 سبتمبر سنة 1831م، من أجل مصادرة أملاك الدولة والأتراك، وأملاك الأوقاف،  
وقد ذكر فيه بالتفصيل حالة البلاد الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي، ثم ظروف الاحتلال  
والمعاهدة المتفق عليها من الجانبين ثم تعرض للفظائع التي ارتكبتها الفرنسيون العسكريون  
في مدة ثلاث سنوات<sup>2</sup>. وقد قام بترجمته وتحقيقه كل من الأستاذ محمد بن عبد الكريم عام  
1972، والأستاذ محمد العربي الزبيري عام 1982م. وقد اعتمدت عليه في دراسة  
الأوضاع السياسية في الجزء الثاني من البحث وخاصة فيما يتعلق بمشكل الديون  
والاستعدادات الجزائرية لمواجهة الاحتلال وسير الحملة الفرنسية.

3- "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" (1206-1207/1791-1792)  
لأحمد بن سحنون الراشدي: قام بتحقيق هذا المؤلف الشيخ المهدي البوعبدلي وتم طبعه  
لأول مرة بمطبعة البعث بقسنطينة سنة 1973م، وأعيد طبعه بعد ذلك عدة مرات. وهذا  
الكتاب هو عبارة عن قصيدة نظمها وشرحها الكاتب أحمد بن سحنون وأتمها سنة  
1207هـ/1792م، وقدم فيه معلومات وافية عن استعدادات الباى محمد الكبير لفتح وهران،  
وقد ذكر أدق التفاصيل حول الحصار ورباط الطلبة وعن دخول وهران بقيادة محمد باى  
الكبير، بالإضافة إلى أهم أعمال هذا الأخير في باقي المدن والحواضر وخاصة تشجيعه  
للعلم والعلماء، ويعد كتابه المصدر الأساسي لكل باحث في تاريخ الجزائر العثماني وخاصة

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب، وتحقيق، محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. ط2، الجزائر، 1982،  
مقدمة المحقق، ص. 43

<sup>2</sup> المهدي بوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة، العدد 8، مجلة ثقافية  
تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثانية ماي جوان 1972، ص ص. 309-310

فيما يتعلق ببايلك الغرب الجزائري، وذلك لأنه كان شاهدا عيانا على تلك الفترة المليئة بالأحداث.

**4- "أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر" لمسلم بن عبد القادر الوهراني، المتوفى في 1832م/ 1248هـ: حقه الأستاذ رابح بونار وطبع بالمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع عام 1974، وقد ولد صاحب المؤلف في أواخر العهد العثماني، لكن سنة ميلاده غير معروفة. اشتغل في شبابه كاتباً لأحد آغاوات مخزن الترك بوهران ثم ارتقى إلى باش كاتب لدى الباي حسن آخر بايات وهران، شارك في الحرب ضد الفرنسيين وشاهد دخول المحتلين إلى وهران فسافر إلى ناحية عين تموشنت وتوفى بها بعد سنة 1832م/ 1248هـ، والمتتبع لكتابه الذي ألفه عام 1230هـ/ 1814م<sup>1</sup>، يجد فيه تسجيلاً للأحداث منذ ولاية محمد باي الكبير إلى بداية ولاية آخر البايات حسن باي عام 1816م/ 1232هـ، لكنه لم يتعرض لوقائع الاحتلال رغم أنه عاصرها. ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المحلية الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها لدراسة تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وخاصة الحالة السياسية والاجتماعية في بايلك الغرب منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر. وقد قدم فيه الكثير من التفاصيل والمعلومات خاصة حول ثورة الدرقاوي، وكان شاهدا عيانا لها.**

**5- "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" لمحمد بن يوسف الزباني توفى في أوائل القرن 13 هجري<sup>2</sup>: قام بتحقيق هذا المؤلف الشيخ المهدي البوعبدلي وطبع بالمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1979م، وصاحبه ينتمي إلى أسرة علمية، بنواحي مدينة "برج عياش" قرب معسكر، وقد تولى القضاء في سنة 1863 بنفس القرية، وبواد سيق، توفي بمدينة البرج، ويؤرخ هذا الكتاب لمدينة وهران، ويشمل تاريخ العهد العثماني بالجزائر بصفة إجمالية ويركز على الفترة الأخيرة منه. تحدث المؤلف عن وهران والبايات الذين توالوا على حكمها وأهم الأحداث التي وقعت في عهدهم وركز بصفة خاصة على**

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، ذخائر المغرب العربي، تاريخ البايات المتأخر، تحقيق، وتقديم، رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، مقدمة المحقق، ص. 33، 61

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران، تحقيق، تعليق، المهدي بوعبدلي، ش.و.ن.ت. الجزائر. 1979. مقدمة المحقق، ص. 20

ثورة درقاوة، وقد اعتمد في كتابته للأحداث التاريخية على المصادر المحلية، والروايات الشفوية والشعر الشعبي، لذلك فهذا المؤلف يعتبر مصدرا مهما لكل باحث في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية.

6- "رحلة محمد الكبير إلى الغرب الجزائري" لأحمد بن هطال التلمساني توفي في 1219هـ/1804م: وهو كتاب من نوع الرحلات سجل فيه كل أحداث هذه الرحلة التي وقعت سنة 1785م بتفاصيلها كما قدم معلومات عن قرى ومدن وقبائل بعين ماضي والأغواط. وقد توفي هذا الكاتب والأديب الكبير في معركة فرطاسة بين الباي والدرقاوي في 8 ربيع الأول 1219هـ (16 جوان 1804م).

وما يأخذ على هذه المؤلفات المحلية بصفة عامة، رغم ما تقدمه من مادة خبرية قد لا نجد لها في غيرها من المصادر هو عدم دقتها في المعلومات خاصة إذا تعلق الأمر بعدد القتلى والجرحى وقيمة الأموال فعادة ما نجد عبارة و"مات خلق كثير من الفريقين"، وعن الأموال تقول "أموال هائلة" دون ذكر للأرقام.

7- "مذكرات جزائرية عشية الاحتلال"، لمؤلفها الأسير سيمون بفايفر (1830): وهو طبيب ألماني أسر بالجزائر آخر خمس سنوات قبل الاحتلال الفرنسي، وقد صدرت في طبعتها الأولى سنة (1975م)، وكان أبو العيد دودو قد ترجم هذا المؤلف لأول مرة إلى العربية سنة (1968م)، ونشره في مجلة (الجيش) في أعداد متوالية تحت عنوان: "أضواء على تاريخ احتلال الجزائر"، مركزا فيه على الجانب السياسي والتاريخي، ثم عُنِي فيه بعد ذلك بالجانب الإنساني، وعلى إثرها ترجم فصولا أخرى، الفصول الخمسة الأولى، والفصل الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، بالإضافة إلى عدد من الفقرات كان قد أهملها أو نسيت في الترجمة الأولى، وأضاف إلى العنوان الأول في الترجمة عنوانا أصليا هو: "مذكرات جزائرية عشية الاحتلال".<sup>1</sup> وتبرز أهمية مذكرات بفايفر بدء من الفصل السادس، حيث يتحدث عن العلاقات الجزائرية الفرنسية في الفترة التي سبقت دخول الفرنسيين إلى الجزائر. وينقل إلينا الكاتب مشاهداته وملاحظاته عن استعدادات الجزائر للحرب بعد نزول

<sup>1</sup> سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو العيد دودو، دار هومة، ط2،

الجيش الفرنسي إلى البر، والمعارك والخسائر التي تعرض لها الجانب الجزائري وسقوط مدينة الجزائر.

#### 8- كتاب: "Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle" (Venture De Paradis 1739-1799):

يعتبر هذا المؤلف للمستشرق الفرنسي "فنتير دوباردي" من أهم المصادر الأجنبية التي عاصرت الداوي محمد بن عثمان باشا، لما يتميز به من دقة الملاحظة والمعلومات الغزيرة التي يقدمها عن الداوي وأعضاء حكومته والنظام الإداري وعن الجيش والأسطول والحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة الجزائر، وقد اعتمدنا عليه كثيرا خاصة في الجزء الأول من هذه الدراسة.

#### 9- تشريفات (Tachrifat 1852م/1258هـ):

"دفتر التشريفات" هو اسم للسجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة العثمانية في الجزائر تسجل فيه أعمالها وقوانينها وتنظيماتها، وهو وثيقة ثرية بالمعلومات الرسمية المتعلقة بالتاريخ العثماني في الجزائر ترجمها من التركية والعربية السيد "أ. دوفو" (A.Devoulx) محافظ الأرشيف العربي بخزينة أملاك الدولة بمساعدة السيد محمد بن مصطفى موظف بالإدارة في سنة 1852م، وأهداها إلى الوالي العام للجزائر في تلك الفترة السيد "الكونت راندو" لكنه لم يحافظ على تسلسله التاريخي الأصلي بل تصرف فيه وأعاد تبويب الكتاب وترتيب المعلومات حسب المواضيع<sup>1</sup>.

وقد اعتمدت عليه في معرفة الهدايا المتبادلة بين الباب العالي وإيالة الجزائر وسك العملة وجلب المعادن لصناعاتها، والرسوم التي يدفعها أمناء الحرف في الفصل الخاص بالأوضاع الاقتصادية.

#### 9- "Voyage dans la Régence d'Alger" لـ (Thomas Shaw 1692-1751م):

مؤلف هذا الكتاب هو الطبيب الإنجليزي "طوماس شو"، وهو مصدر في غاية الأهمية، ذلك أن صاحبه قد أقام بالجزائر مدة اثنتي عشر سنة (1720-1732م) بصفته قسيسا للوكالة الإنجليزية، وخلال هذه الفترة جال بالجزائر وجمع عنها معلومات غزيرة ودقيقة في الجغرافيا والحياة الثقافية والاجتماعية، والإدارة العثمانية وتنظيمها وقوتها العسكرية وعن مقاطعاتها الإدارية، وقد ترجم ونشر في فرنسا عام 1830.

<sup>1</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, imp. Du gouvernement, Alger, 1852, p. 6



ومن بين الكتابات التي استعنت بها كذلك ما ألفه العسكريون الفرنسيون خاصة الذين شاركوا في الحملة على الجزائر عام 1830، وما جمعه من معلومات حول استعداداتهم العسكرية والمعارك التي خاضوها لاحتلال الجزائر، والكثير منهم لم يُخف دهشته من شجاعة المقاومة الجزائرية ومن نقص تحضيراتهم وخبرتهم في فنون الحرب والقتال. ونذكر منهم: NETTEMENT, Histoire de la conquête d'Alger، ثم تقرير هام أعده الأدميرال "بارون دي بري" (L'Amiral Baron Duperré)، قائد الأسطول البحري الفرنسي حول الحملة الفرنسية في 14 صفحة، واعتمدت كذلك على المؤلف الضخم الذي أعده قائد الأركان أ. بيليسي، بعنوان: "حوليات جزائرية"، بالمجلد الأول في وقائع الاحتلال. وقد قام بترجمته دليلة حياتي، وصدر عن دار أصالة للنشر، وبالرغم من ذلك تبقى هذه المصادر تستعمل بحذر ولا نأخذها بمنطق التسليم بكل ما فيها لأن المصادر الأوربية وخاصة كتابات العسكريين الفرنسيين منها لا تستخدم المصادر المحلية في كتابة التاريخ الجزائري، ودراساتهم في مجملها تعتبر دراسات مغرضة وتهدف إلى خدمة الاستعمار وتبرير الوجود الفرنسي بالجزائر.<sup>1</sup>

ومن أهم المراجع العامة التي اعتمدت عليها، كتاب: "محمد بن عثمان باشا، داي الجزائر 1766-1791"، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، لأحمد توفيق المدني، نشر لأول مرة سنة 1937، ثم أعيد طبعه سنة 1986 بالمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، وهي من الكتابات الأولى حول التاريخ الجزائري العثماني باللغة العربية. وقد استفدت منه في التعريف بحياة محمد بن عثمان وإنجازاته الداخلية والخارجية، واعتمدت كذلك على كتاب: "قسنطينة في عهد صالح باي البايات" للأستاذة فاطمة الزهراء قشي<sup>2</sup>، وهي دراسة في غاية الأهمية تميزت بالتحليل العلمي الدقيق استخلصت منها مادة خبرية هامة في التعريف بإنجازات صالح باي وخاصة العمرانية منها.

وكما استفدت من كتاب "الحاج أحمد باي قسنطينة"، 1826-1850م، نشر بديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2007، للأستاذ صالح فركوس، وهي دراسة في غاية

<sup>1</sup> بلقاسم العياشي، قضايا التاريخ العثماني عند الجزائريين منذ 1962م، مذكرة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ

الحديث، 2006-2007، جماعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص. 20

<sup>2</sup> فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، الجزائر، 2005.

الأهمية مدعمة بوثائق جديدة تنشر لأول مرة مما زاد في قيمة هذا العمل، في التعريف بالعائلات الكبرى في بايلك قسنطينة وفي التنظيم الإداري والقضائي والجبائي لهذه المقاطعة، كما خدمتني كثيرا كتابات الأستاذ المؤرخ أبو القاسم سعد الله في دراسة الطرق الصوفية وثوراتها وأسباب الاحتلال الفرنسي، وبالخصوص مؤلفه "تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول" و"محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال".

ويكتسي كتاب، "دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخل"، ج1، من 1520-1830. للباحث المنور مروش، نشر بدار القصبة، الجزائر، سنة 2009 أهمية بالغة في دراسة التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني، نظرا لأنه لا يكتفي بالمعلومات والإحصائيات الدقيقة التي يقدمها حول العملة المتداولة في الإيالة الجزائرية وقيمتها وأسعار المواد الغذائية، ومداخل الدولة وثروات كبار المسؤولين، والتي اقتبسها من الوثائق المحلية والأجنبية للفترة العثمانية بالجزائر، بل يرفقها بالتحليل العلمي الموضوعي لذلك تعد هذه الدراسة من الدراسات التي لا غنى عنها لأي باحث يعالج الأوضاع الاقتصادية خلال العهد العثماني.

ومن الكتابات الأجنبية نذكر، كتاب لشارل رو (Charles Roux) بعنوان: فرنسا وإفريقيا الشمالية قبل 1830، "France Et Afrique Du Nord Avant 1830"، طبع بالجزائر عام 1932، وهو كتاب ضخم اعتمدت عليه في دراسة الأزمة في العلاقات الجزائرية الفرنسية، وتعرفت من خلاله على مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر. ولمعالجة الجانب الاقتصادي اعتمدنا على كتابات، بول ماسون (Paul Masson) ومنها: تاريخ المؤسسات والتجارة الفرنسية بإفريقيا الشمالية 1560-1793، الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب

Histoire Des Etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560- 1793), Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc.

طبع بباريس عام 1903، وكذلك مؤلفه الذي يحمل عنوان: الامتيازات والشركة الإفريقية عشية الغزو (1800-1830)  
La veille d'une conquête concessions et compagnie d'Afrique (1800- 1830).

طبع بباريس عام 1909، وهو تكملة لنشاط الوكالة الإفريقية بالشرق الجزائري إلى غاية الاحتلال.

وكما استندت كتاب أندري نوشي (André Nouschi) في دراسة ملكيات الأراضي وتوزيع الإنتاج الفلاحي خاصة في بايلك الشرق ويحمل عنوان: "بحث حول مستوى معيشة سكان الريف في الشمال القسنطيني من الفتح حتى عام 1919".

"Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919"<sup>1</sup>.

واعتمدت كذلك على كتاب "بيار بوي" (Pierre Boyer) الذي يحمل عنوان<sup>2</sup>:

"الحياة اليومية في الجزائر عشية التدخل الفرنسي"

"La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française".

### خامسا: منهج الدراسة

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على عدة مناهج وفقا لما تتطلبه الفصول والمباحث، فكان المنهج الوصفي في مباحث عديدة تطلبت مني شرح الموضوعات التي حددناها، ووصف الشخصيات من خلال المصادر المعتمدة في البحث، وذلك ما استخدمته في عدد من مباحث الفصل الأول والثاني والخامس، حيث قدمت ترجمة الدايات وبعض البايات والتنظيم الإداري والقضائي، وسير الحروب والمعارك، علاوة على مباحث أخرى في الفصل السادس والسابع من الجزء الثاني.

وإلى جانب المنهج الوصفي، استخدمت المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على الرجوع إلى الوثائق التاريخية وتحليلها واستقراءها واستنباط المادة التاريخية الخام منها، وتوظيفها في عملية البناء التاريخي للموضوع ومقارنتها مع ما أثبتته المصادر، والخروج بالنتائج ثم تحليلها وتفسيرها. وقد كان المنهج التاريخي هو المنهج الغالب في هذا الموضوع، وقد استخدمته في المبحث الأول من الفصل الثالث لتوضيح العلاقات بين الباب العالي والجزائر من خلال فرمانات والرسائل المتبادلة بين البلدين، كما استعنت بوثائق من الأرشيف التونسي لدراسة العلاقة بين الإيالتين، وفي المبحث الثالث وضحت العلاقة بين دول أوروبا الشمالية والجزائر والضرائب التي كانت تدفعها إليها سنويا من خلال وثائق

<sup>1</sup> A. Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919. Essai d'histoire économique et sociale, Paris, Tunis, 1961.

<sup>2</sup> Pierre BOYER, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, éd. Hachette, Paris, 1963.

المجموعة 3190 بالمكتبة الوطنية الجزائرية. وفي المبحث الثاني من الفصل الخامس بينت اعتمادا على وثائق المجموعة 1642 الحملات التي قادها أحمد باي في الشرق، وإخضاعه للقبائل وتوطيده للأمن وقد جاءت غنية بالتفاصيل والأرقام.

والمنهج الثالث المتبع هو المنهج الإحصائي، وقد استخدمته لدراسة الجانب الاقتصادي في الفصل الرابع، وكذا في المبحث الأول من الفصل السابع، وكان ضروريا استعماله لمعرفة الجانب الكمي خاصة في صادرات الجزائر، وتبويبها، وقدمت أهم النتائج في جداول بيّنت فيها الكم والنوع والسعر. ثم قمت بتحليل النتائج المتحصل عليها عن طريق استعمال متوسط الحسابات للمبيعات في سنوات مختلفة، ومقارنتها مع بعضها البعض والحكم عليها بطريقة موضوعية لأن الأرقام هي التي تتكلم.

#### سادسا: الصعوبات

واجهتني في بحثي هذا الصعوبات التالية:

- 1- ضيق الوقت بالنسبة لرسالة دكتوراه (L.M.D) خاصة وأن الموضوع واسع ومتشعب.
  - 2- شرح المصطلحات الإدارية المكتوبة باللغة التركية والعثمانية بالجزائر فبالرغم من وجود العديد من القواميس إلا أن الكثير منها مازال غامضا.
  - 3- الحصول على الوثائق والمصادر في الخارج، خاصة وأن الأرشيف الجزائري متفرق على الكثير من دور الأرشيف في العالم.
- وعلى الرغم من الصعوبات فقد حاولت قدر الإمكان وبقدر ما أتيسر لي من إمكانيات الإلمام بالجوانب الرئيسية للموضوع، وتقديمه في الوقت المحدد، تاركين الباب مفتوحا لدراسات وأبحاث أخرى تستكمل ما قد يظهر على الموضوع من نقائص أو ما يفتحه من مجالات جديدة للبحث.

# الجزء الأول

الأوضاع السياسية والاقتصادية في

عهد محمد بن عثمان باشا

(1766-1791م)

- الفصل الأول: السياسة الداخلية
- الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات
- الفصل الثالث: السياسة الخارجية
- الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

# الفصل الأول

## السياسة الداخلية

➤ أولاً: ترجمة لمحمد بن عثمان باشا

➤ ثانياً: سياسته الإدارية

➤ ثالثاً: سياسته الاجتماعية

➤ رابعاً: سياسته اتجاه القبائل

➤ خامساً: سياسته العسكرية

قبل الحديث عن أوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية في عهد محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، يجب علينا أن نتعرف أولاً وقبل كل شيء على هذه الشخصية التاريخية الهامة، التي كان لها الدور الكبير في توجيه إيالة الجزائر سياسياً واقتصادياً، فمن هو محمد بن عثمان باشا؟ كيف كانت صفاته من خلال معاصريه؟ وبماذا تميّزت سياسته الداخلية والخارجية؟

### أولاً: ترجمة لمحمد بن عثمان باشا

**1- نشأته:** هو محمد بن عثمان من قرمان جنوبي الأناضول المقابلة لجزيرتي رودس وستودش، ولد في بداية القرن الثامن عشر، تعلم القراءة والكتابة بمسقط رأسه<sup>1</sup>، ثم سافر إلى مدينة الجزائر وانضم إلى الأوجاق<sup>2</sup>، وعندما جمع مائة بدقة شيك<sup>3</sup> دفعها للبابلك ليعين ضمن هيئة الكتاب (الخوجات)، ثم ترقى إلى خوجة النوبتاجية المكلفة بحراسة الداوي ليلا ونهاراً، وهو منصب لا يختص به سوى أهل الثقة، فحصل على رضا الباشا علي بوصب

<sup>1</sup> Venture De Paradis, Alger Au XVIII Siècle, éd. Bouzlama, Tunis, (s.d.), p.96

<sup>2</sup> الأوجاق: مفرد يجمع على صيغة أوجاقات أو وجاقات، لفظ تركي معناه الأصلي: المكان المعد من الطين أو القرميد الذي تنفخ وتشعل فيه النار. تطور مدلوله ليطلق على الجماعة التي يتواجد أفرادها في مكان واحد، ثم على مجتمع، أرباب الحرف، ليصبح في العصر العثماني لقباً لأصناف من السلطنة الذين تشكلت منهم القوات العثمانية "البرية والبحرية" ومن ثمة فإن كلمة أوجاقات اصطلاحاً يقصد به الجيش العثماني الذي كان يتكون من سبعة أوجاق وأولها هي أوجاق الإنكشارية. ينظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص ص. 53 - 54. وفي إيالة الجزائر كان يقصد به الإنكشارية، وفي كثير من الأحيان يطلق على الإيالة الجزائرية. جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببالك قسنطينة رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2008، ص. 08

<sup>3</sup> بدقة شيك: Pataque chique، لفظ تركي يعني الدرهم الأبيض، وقد شاع استعمالهما في إيالة الجزائر على أساس وحدة حسابية لكل العملات النقدية الجزائرية، ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 205.

(1168-1180 هـ / 1754-1766 م) سلفه، وعينه خزناجيا، وأثناء مرضه لعب دورا هاما في الحفاظ على الأمن وقمع حركات التمرد<sup>1</sup>.

**2- صفاته الخلقية والخلقية:** كان رجلا طويلا ونحيفا، يجر رجله اليسرى قليلا بسبب رصاصة أصابته أثناء حصار وهران، له نظرة حادة غير لطيفة، وظل يتمتع بصحته وسلامة سمعه وبصره ورجاحة عقله إلى غاية وفاته، وقد تجاوز الثمانين عاما عندئذ، وكان إذا مرض يداوي نفسه بشرب الماء النقي وينتظر بصبر شفاؤه، ولم يتناول دواءً طوال حياته<sup>2</sup>.

كان ملتزما بأخلاق الإسلام الفاضلة، ومتشبهها بالسلف الصالح إذ عرف بالتواضع في لباسه وطعامه، فكان لا يغير ثوبه إلا إذا لم يجد كيف يرقعه ويحمل خنجرًا من فضة وليس من الذهب كما جرت العادة<sup>3</sup>، ويقول عنه الزهّار أنه: "وكان رحمه الله مؤثرا للعدل والانصاف، عارفا بقوانين الملك ملتزما لأحكام الشريعة المطهرة، وكان يحب الجهاد، ووقعت في أيامه حروب كثيرة، رزقه الله النصر في جميع حروبه"<sup>4</sup>، ويعتبره "فتير دوباردي" المعاصر له "التركي الوحيد في الجزائر صاحب الأخلاق العالية في صغره، وكان ملتزما بها في كل المناصب التي شغلها، فهو لا يقوم بأي طيش، ولم يشرب الخمر في حياته، ولم يدخل ولم يتزوج أبدا وكان عفيفا طاهرا"<sup>5</sup>.

**3- تنصيبه على رأس السلطة العثمانية بالجزائر:** توفي الداوي علي بوصبح في 02 فيفري 1766م بعد مرض مزمن، واستطاع محمد بن عثمان الذي كان يشغل منصب الخزناجي بفضل صلابته أن يجبر المليشيا على الانضباط بعد ما كانت تسعى لإحلال الفوضى. وقد عين بموافقة جماعية ليتولى حكم إيالة الجزائر، ويروي الشريف الزهّار تفاصيل ولايته فيقول: "لما مرض علي باشا الملقب ببوصاع، نادى وزراءه وجمعهم وهم؛ الخزناجي وآغا العرب، خوجة الخيل وكيل الحرج بباب الجهاد، ووكيل بيت مال المسلمين

<sup>1</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p., 96

<sup>2</sup> Idem, p., 97

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1756-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.80.

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 23

<sup>5</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p. 97,98.



وأوصاهم بولاية محمد باشا، بل أولاه وأوصاه على أولاده، وهم الحاج محمد وأخته وأمهما وهي أم ولد، علجة من استانبول. وكانت وفاة علي باشا رحمه الله يوم الأحد 21 من شعبان 1179هـ<sup>1</sup>.

وفي اليوم الموالي أي يوم الاثنين 22 من شعبان قدم آغا العسكر وكاهيته وكافة الديوان والمفاتي والقضاة ونقيب الأشراف وأعيان الناس واجتمعوا بدار الإمارة، فجلس محمد باشا على كرسي الملك وبايعه العلماء، ثم نقيب الأشراف ثم الوزراء وكافة الديوان ولبس القفطان (الخلعة السلطانية) وأطلقت المدافع ومباشرة بعد ذلك شكل أعضاء حكومته<sup>2</sup>، وهكذا تمت ولاية محمد بن عثمان باشا بإجماع من أصحاب الحل والعقد وبوصية من علي بوصباغ سلفه في هدوء تام.

قضى محمد بن عثمان باشا مدة طويلة في الحكم (25 سنة) إلى غاية وفاته عام 1791م، وكان هادئاً ورزيناً وله بصيرة في اتخاذ القرارات السديدة مما جعله يعيش في هدوء واحترام، ويقول عنه "فنتير دوباردي": "لم يكن داي مثله في مرونته وإنسانيته وتعامله مع الجنود والحراس، وكان يشترط في الرجال الذين يعملون معه السيرة الحسنة والأخلاق الطيبة، وكانوا يخافون من سوء تصرفاتهم أن تصل إلى مسامع الداوي"<sup>3</sup>.

ويقول عنه (De Grammont)<sup>4</sup>: "إنه كان بالتأكيد أحسن من جميع الذين تولوا عرش إيالة الجزائر لمدة 25 عاماً يدير الحكم بالرغم من العديد من المؤامرات التي كانت نتيجة لصرامته في تطبيق العدل"، ويضيف أوجان بلانتييت<sup>5</sup>: "كان محبا للعدل والمساواة وكان حازما جدا حافظ على ملكه 25 سنة، وهذا يعد إنجاز كبير في دولة لا ينفك قائدها المختار يتعرض لمؤامرات الطامعين وتمرد الحراس".

من خلال عرضنا لأهم الآراء حول شخصية محمد بن عثمان باشا من المصادر المحلية والأجنبية نلاحظ أنها تجمع على أخلاقه العالية ورجاحة عقله وحسن تسييره للأمور كأحسن داي عرفته الإيالة، كما تجمع كذلك على شدة بخله وتقشفه، ويفسر الزهّار هذا

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 23

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 79، 80

<sup>3</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p. .97.

<sup>4</sup> H-D.De Grammont, Op.cit., p. 318.

<sup>5</sup> أوجان بلانتييت، المصدر السابق، ص. 181.

البخل على أنه زهد في الدنيا ومتاعها<sup>1</sup>، ويراها "فنتير دوباردي" نقشا من أجل زيادة أموال الخزينة وتطوير البلاد<sup>2</sup>. أما دو "كارسي" (Dekercy) الفنصل الفرنسي بالجزائر (1782-1791م) فقد وصفه بالرجل الجشع والبخيل<sup>3</sup>، وربما يعود ذلك بسبب رفعه لقيمة اللزمة التي كان يدفعها الفرنسيون مقابل اختكارهم امتياز "الباستيون" بالشرق الجزائري من 1221 إلى 4500 بياستر إسباني<sup>4</sup> كل شهرين، إضافة إلى دفع مبلغ قدره 500 بياستر كل ثلاثة أشهر إلى باي قسنطينة كشرط أساسي لتجديد الاتفاقية المؤبقة للامتيازات الفرنسية في الجزائر سنة 1790<sup>5</sup>.

لقد تعرض محمد بن عثمان باشا في بداية حكمه لعدة محاولات اغتيال كانت الأولى بعد حوالي شهرين من توليه الحكم وبالضبط يوم 11 أبريل 1766<sup>6</sup> حاول اغتياله رجل تركي ذراعه مقطوعة بعد أن استطاع أن يخفي خنجره وضربه على رأسه ولحسن الحظ كان يضع عمامته فنجا من الموت<sup>7</sup> وراح ضحية هذه المؤامرة سبعة متمردين وفرّ ثلاثون رجلا إلى بلاد القبائل<sup>8</sup>.

كما تعرض الداوي لمحاولة اغتيال أخرى شهر جوان من نفس العام قرب المسجد فشنق ثلاثة عشر من المجرمين<sup>9</sup>، وبعد فترة من هذه الحادثة تأمر عليه تسعة أتراك وحاولوا قتله بحجة قبض رواتبهم، ولحسن حظه أوقف الخوجة البعض منهم واعدموا كلهم في منزل الآغا<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 23.

<sup>2</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p. 97.

<sup>3</sup> Charles Roux, France Et Afrique Du Nord Avant 1830, Les Précurseurs De La Conquête, Imp., Librairie, Felise, Alger, Paris, 1932, p.350.

<sup>4</sup> بياستر: **Piastre**: وهو القرش الإسباني، وكما يسمى "سكة الثمانية" أو البوجو القوي، ويسمي أيضا الريال الإسباني، وكان هذا القرش عمله التداول في المبادلات التجارية في جزء كبير من العالم منذ القرن 16م إلى غاية القرن 19م. وهو النموذج الذي جاء منه الدولار، وهو قطعة نقدية فضية تزن 23.36غ من الفضة الخالصة، لمزيد من التفاصيل، ينظر المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2009، ص ص. 41-42.

<sup>5</sup> Paul Masson, Histoire Des Etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560- 1793), Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Librairie Hachette, Paris, 1903, p. 574

<sup>6</sup> H-D-De Grammont, Op.cit., p. 318.

<sup>7</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p.98.

<sup>8</sup> H-D-De Grammont, Op.cit., p. 318.

<sup>9</sup> Idem

<sup>10</sup> Venture De Paradis, Op. cit, p. 98.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

والراجح أن كثرة محاولات الاغتيال التي تعرض لها محمد بن عثمان باشا كانت نتيجة لصرامته في تطبيق القانون والعدل على الجميع، فقد أخبر رياس البحر مباشرة بعد توليه الحكم أنه لن يتسامح معهم إذا خالفوا القانون. ومن جهة أخرى منع الانكشارية<sup>1</sup> من الخروج إلى المدينة بالسلاح، وحذرهم إذا لم يمتثلوا لأوامره سينزل بهم أقصى عقوبة<sup>2</sup>. ولحماية نفسه أصدر قرارا يمنع دخول المسلحين إلى القصر (دار الإمارة) دون استثناء أحدٍ فلا يدخل أي كان قبل تفتيشه<sup>3</sup>.

ولا شك أن هذه الإجراءات المتشددة، ومنع الجميع من الدخول بالسلاح إلى دار الإمارة أنقذت حياة الباشا وأجبرت الانكشارية على الانضباط وعدم إثارة الفوضى وهذا ما يؤكد "فنتير دو باردي" حيث يقول: «لقد كان من عادة الآغا بعد خروج المحلة<sup>5</sup> في أبريل أن يقوم بجولة في كل نواحي مدينة الجزائر، ومنذ زمن طويل والهدوء يسود البلاد فأصبحت هذه الجولة لا داعي لها».

<sup>1</sup> الانكشارية: أصلها ينكجری، أو يکيجريلر: لفظ تركي يعني العسكر الجديد، في الأصل فرقة من الجيش العثماني، كان أفرادها يختارون من الشباب المسنين الذين ترسلهم المدن المسيحية الخاضعة للأتراك، أغلبهم من اليتامى وأسرى الحرب، تطورت فيما بعد لتصبح بحد ذاتها جيشا كبيرا وأول من أمر بتشكيله هو السلطان أو رخان سنة 730هـ/1330، وكانت أداة قوة في فترة عظمة الدولة العثمانية ثم أصبحت عامل هدم وتخريب في فترة ضعفها قضى عليها السلطان محمود الثاني في الواقعة الخيرية سنة 1826م. مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص. 50

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p. 317

<sup>3</sup> Venture De Paradis, Op. cit, p. 98

<sup>4</sup> Idem. p. 71

<sup>5</sup> المحلة: هي الوحدات العسكرية التي ترسلها السلطة المركزية من مدينة الجزائر في فصل الربيع من كل سنة إلى البايكات الثلاثة من أجل الانضمام إلى وحدات الجيش الإقليمية (النوبات) في عواصم تلك المقاطعات لمساعدتها في جمع الضرائب من السكان على مستوى كل المقاطعات، أما النوبة فهي وحدات عسكرية كانت ترسل كل سنة أيضا إلى المدن وبعض المراكز الداخلية وعلى السواحل والحدود لتستقر هناك، وتقوم بحفظ الأمن وحماية الوحدة الترابية للإيالة ثم تعود بعد سنة لتذهب وحدات أخرى وتحل محلها، بنظر خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص. 72

### ثانيا: سياسته الإدارية

#### 1- التنظيم الإداري وجهاز الحكومة:

##### 1-1- التقسيم الإداري للإيالة: استقر التقسيم الإداري لإيالة الجزائر في عهد محمد

بن عثمان باشا على خمس مقاطعات: ثلاثة بايلكات، دار السلطان، وقيادة سباو<sup>1</sup>. والبايلكات الثلاثة مرتبة على حسب فتوحات العثمانيين الأوائل للجزائر وهي: بايلك التيطري جنوبا، بايلك الغرب، بايلك الشرق<sup>2</sup>.

##### -بايلك التيطري<sup>3</sup>: أو كما يسمى بايلك الجنوب وكانت لديه عاصمتان واحدة في

المدينة وأخرى في سباو، ومنذ سنة 1775م استقرت قاعدتها نهائيا في المدينة وفصلت قيادة سباو، وعين عليها قائد تابع مباشرة إلى آغا الجزائر<sup>4</sup>، وعمالته زاوية وسباو<sup>5</sup>.

##### -بايلك الغرب: عاصمته معسكر وكانت قبل ذلك وهران بعد أن حررها الباي مصطفى

بوشلاغم من سيطرة الإسبان في 26 شوال 1119هـ الموافق لـ 20 جانفي 1708م، ثم انتقلت عاصمة البايلك مرة أخرى إلى معسكر بعد استرجاع الإسبان مدينة وهران والمرسى الكبير في سنة 1143هـ/الموافق 1730م، وفي آخر عهد محمد بن عثمان باشا استطاع الباي محمد الكبير تحريرها نهائيا وجعلها عاصمة لإقليمه سنة 1206/1791م<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سباو: اسم منطقة ببلاد القبائل الكبرى تقع على ضفافي الوادي المسمى بهذا الاسم وهو ينبع من جبال جرجرة ويصب بالجنوب الغربي من مدينة دلس، وكانت قيادة القبائل في برج سباو القريب من ذراع بن خدة ودلس، أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق، تعليق تقديم، عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، هامش المحقق، ص.

<sup>2</sup> أحمد الشرف الزهّار، المصدر السابق، ص.35

<sup>3</sup> التيطري: أخذ هذا الاسم من بحيرة تقع في الإقليم أو من جبل التيطري ولعله هو الذي يعرف الآن بجبل الكاف الأخضر، ينظر، ودان بوغفالة، المدينة ومليانة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدینتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2009، ص.84.

<sup>4</sup> Henri Federmann, Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik de Taitri et les Beys, in, R.A.n°09,1867, éd. A. Jourdan, Alger, p.282.

<sup>5</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.126

<sup>6</sup> مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص. 15

- **بايلك الشرق**: وقاعدته قسنطينة ولم تتغير منذ الفتح العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي وهي أكبر المقاطعات وأغناها<sup>1</sup>.

ويحكم البايلكات ثلاثة بايات يعينهم الداى ولديهم أعوانٌ وآغات وهم: آغا الدواير من العرب وآغا الصبايحية من الأتراك<sup>2</sup>.

- **دار السلطان**: تشمل مدينة الجزائر وضواحيها، المتيجة والساحل من تنس غربا إلى دلس شرقا<sup>3</sup>، وكان تحت حكم الداى مباشرة، ويفوض لإدارتها آغا السباهية<sup>4</sup> (آغا فرسان العرب).

وكانت كل مقاطعة إدارية مقسمة إلى وحدات صغيرة يطلق عليها اسم وطن<sup>5</sup>، يشرف عليه قائد يعينه الباى من حاشيته وتقسّم الأوطان إلى وحدات إدارية أصغر تسمى مشيخة أو عشيرة يترأسها شيخ يعينه القايد<sup>6</sup>.

وتتألف العشيرة من مجموعة قبائل متعددة تسكن عدة قرى ومداشر، وربما دواوير متجاوزة أما القبيلة فهي تتكون من مجموعة من الأسر تتحدر كلها من جد وأصل واحد، لها رئيسها، يسمى شيخ القبيلة<sup>7</sup>، ويتمتع بصلاحيات قضائية واسعة في حل

<sup>1</sup> أحمد الشرف الزهّار، المصدر السابق، ص. 35.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر نفسه، ص. 35.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص. 48.

<sup>4</sup> Louis. RINN, Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey, éd. A. Jourdan, 1900.p. 14

<sup>5</sup> **وطن**: جمعها أوطان، يعني محيط الإقليم الذي تسكن فيه مجموعة من العشائر ويحمل إما باسم القبيلة الأكثر قوة أو اسم الجبل أو النهر المعروف في الوطن، ينظر، ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص. 105. وكان الباى يعين قياد الأوطان من كبار موظفي البايلك (من الأتراك) أو من الشيوخ الكبار للعشائر مثل شيخ الحنانشة الذي كان يسير 12 قبيلة، شيخ العرب يسير جميع زاب بسكرة و 12 قبيلة من الرحل في بايلك الشرق. ينظر،

E. Vaysstes, Histoire des Derniers Beyes de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'hadj Ahmed in. R.A. éd. A. Jourdan, Alger, 1858, p.117

<sup>6</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988، ص. 84.

<sup>7</sup> كانت السلطات العثمانية تختار الشيوخ من العائلات ذات النفوذ الكبير على القبائل، وتترك لهم حرية الإدارة الداخلية كاملة. ومهمتهم الأساسية تتمثل في الحفاظ على النظام، وتعويض القائد في حالة غيابه. كما يشرف على توزيع أراضي البايلك بين الفلاحين وتنظيم ملكيتها بين العائلات ومراقبة كمية الإنتاج وجودته لتحصيل الضرائب مقابل إعفائه منها ينظر،

Henri Federmann, Notice sur l'histoire et l'Administration du Beylik de Taitri et les Beyeys, in, 366.R.A n° 11, 1867, éd., A. Jourdan, Alger, p

المنازعات بين أفراد القبيلة<sup>1</sup>.

من خلال ما تقدم يتضح لنا بأن إيالة الجزائر كانت تتمتع بإدارة واضحة المعالم والمسالك والحدود فمن حيث البنية والتنسيق نرى جهازا إداريا على كامل مناطق سلطة البايلك على مستوى المدن والأرياف. مؤلفة من السلطة الحاكمة والخزينة وأجهزة أخرى، وهو ما يشبه حاليا التقسيم الولائي<sup>2</sup>.

### 1-2 جهاز الحكومة:

يتألف جهاز الحكم في إيالة الجزائر خلال حكم محمد بن عثمان باشا من الديوان الصغير برئاسته، والديوان الكبير، ويطلق عليه أيضا اسم المجلس العام وأعضاؤه من جنود الانكشارية<sup>3</sup>، ولقد تراجع دوره كثيرا منذ بداية القرن الثامن عشر بعد أن جمع الداوي كل السلطات في يده، وصار هو الباشا المبارك من السلطان العثماني، فأصبح الديوان الكبير قليلا ما ينعقد<sup>4</sup> بعدما كانت له صلاحيات مراقبة حكومة الداوي، بات نشاطه في غالب الأحيان استعراضا شكليا أثناء الأعياد والمواسم الدينية وحفلات توزيع الأجور<sup>5</sup>.

أما الديوان الصغير فهو بمثابة الحكومة وأعضاؤه يعتبرون وزراءها يساعدون الداوي في أداء مهامه ورئيس الديوان الصغير:

-**الداوي:** هو محمد بن عثمان باشا وهو الحاكم الأعلى للإيالة في يده كل السلطات فهو قائد القوات البرية والبحرية، يعزل متى أراد الموظفين السامين والصغار، ويستدعي الديوان للاجتماع ليوافق على قراراته، وله حق إصدار العفو والعقوبات على أي كان حتى ولو كان أحد وزرائه، يقدم المكافآت، يعلن الحرب يوقع على السلم، يزكي القناصل، يوقع المعاهدات مع الدول يرسل الملوك ورؤساء الحكومات<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19، مجلة الثقافة، عدد، 80، مارس أبريل 1984، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، 1984، ص ص. 161-162

<sup>2</sup> شهاب الدين يلس، المرجع السابق، ص. 12

<sup>3</sup> Laugier de Tassy, Histoire de Royaume d'Alger, éd., Henry du Sauzet Amsterdam, 1725, p.77.

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 74.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر (د.ت)، ص.9.

<sup>6</sup> Thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger, Trad. J. Maccathy, éd., chez Marlin, Paris, 1830, p. 152.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

وصل محمد بن عثمان باشا إلى الحكم بوصية من خلفه علي باشا وإجماع من الحل والعقد (العلماء والقضاة) كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ووافق السلطان مصطفى الثالث (1717-1774م) عليه، وأرسل له فرمان لتعيينه والياً على الجزائر خلفاً للمرحوم علي باشا<sup>1</sup> بتاريخ 17 ربيع الأول 1180هـ/22 فيفري 1768م<sup>2</sup>.

وكان الباشا يقيم في قصر يطلق عليه دار الإمارة<sup>3</sup>، وإذا كان متزوجاً يتخذ منزلاً خاصاً بعائلته. ولا يسمح له بزيارتهم فيما عدا ليلة الخميس والجمعة، وباقي الأيام يقضيها في مقر الحكم لا يغادره إلا في حالات خاصة جداً، وحسب "فنتير دوباردي" فإن محمد بن عثمان باشا لم يخرج من قصره أبداً إلا ثلاث مرات في مدة 23 سنة، باستثناء خروجه يوم الجمعة إلى مسجد السيدة لأداء الصلاة بمرافقة أعضاء الديوان والشواش<sup>4</sup>.

وكان الداوي يبدأ عمله يومياً بعد صلاة الفجر مباشرة إلى الساعة التاسعة صباحاً وقت تناول الغداء ثم يعود مرة أخرى حتى العصر يومياً باستثناء يوم الثلاثاء فهو عطلة أما يوم الجمعة مخصص للصلاة<sup>5</sup>.

ويقبض الباشا مقابل هذا الجهد نفس الراتب الذي يتقاضاه كبار رجال الدولة الآخرين، ولقد قدره دوقرامون بـ 50 بياستر قوي<sup>6</sup>، ولكنه يزيد عليهم بنصيبه في عوايد البايات، القناصل، الغنائم، تحرير الأسرى، إضافة إلى نصيبه في المؤونة الغذائية الضرورية لمائدته ولعائلته<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة رقم 3190، الملف الأول، فرمان رقم 12، من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد بن عثمان باشا أواسط شعبان 1180هـ/(22 أوت 1766م)، حول تعيينه والياً على الجزائر خلفاً للمرحوم علي باشا، ينظر الملحق رقم (1)، صورة للفرمان مع إعادة كتابة النص الأصلي.

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة رقم 3190، الملف الأول، فرمان رقم 14، من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد بن عثمان باشا في 4 شوال 1181هـ/ (22 فيفري 1768م)، وجاء فيه تجديد للولاية باشا الجزائر، ينظر الملحق رقم (2)، صورة الوثيقة الأصلية.

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.23.

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 103.

<sup>5</sup> وقد سن هذه العطلة لأول مرة علي باشا (1755-1766م) ولم يكن يعمل بها من قبل، فتير دوباردي، المصدر نفسه، ص.119.

<sup>6</sup> H.D.De Grammont, Op.cit., p.230.

<sup>7</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.92.

وكان يساعد الداى محمد بن عثمان باشا في عمله مجموعة من الموظفين السامين يأتي على رأسهم:

- **الخنزاجي**: وهي كلمة مركبة من لفظين (خزينة) و(جي)، الأولى عربية والثانية تركية وتعني الوظيفة، ومعناه المسؤول عن الخزينة العامة للدولة<sup>1</sup>، وهو بمثابة الوزير الأول ووزير المالية حالياً، وينوب عن الباشا عند غيابه في رئاسة الديوان كما يستقبل القناصل ويتفاوض معهم، ويفصل في القضايا التي ترفع إليه من قبل الرعية<sup>2</sup>.

ويعتبر الخنزاجي المرشح الأول لنيل منصب الداى إذا مات بطريقة طبيعية، ونظراً لأهمية هذا المنصب في إيالة الجزائر كانت القنصليات الأوروبية تقدم له الهدايا الثمينة<sup>3</sup>.

وفي عهد محمد بن عثمان باشا شغل هذا المنصب السيدان: حسان وحسن، الأول أمر الباشا بإعدامه في شهر ماي 1788م<sup>4</sup>، واختلفت الروايات في سبب قتله، فحسب رواية الزهّار<sup>5</sup>، حدث ذلك بسبب وشاية صالح باي قسنطينة إلى الباشا، ويذكر "فنتير دوباري"<sup>6</sup> أن الخنزاجي أساء التصرف في أموال البايك حيث كان يقرض إلى الأجانب مبالغ كبيرة ولآجال طويلة فأمر الباشا بقتله، وخلفه حسن وكيل الحرج، وهو صهره وزوج ابنته واستمر في هذا المنصب حتى وفاة محمد بن عثمان باشا، وكان له دور كبير في عقد الصلح مع إسبانيا سنة 1786م، ثم أصبح دايا على الجزائر من 1791-1798م.

ومهمة الخنزاجي الأساسية هي إيداع الأموال الواردة، وإخراج أموال النفقات وحده دون غيره من وإلى الخزينة<sup>7</sup>، بحضور الداى والخوجات الأربعة<sup>8</sup>، لتغطية النفقات الواجبة على البايك، وحسب "فنتير دوباردي" كانت نفقات الدولة الأساسية هي أجور الإنكشارية

<sup>1</sup> مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص. 156.

<sup>2</sup> H.D.De Grammont, Op .cit, p.229.

<sup>3</sup> في سنة 1737م إثر عودة الخنزاجي من تونس قدمت له القنصلية الفرنسية قفطان مطرز بالذهب، لمزيد من المعلومات ينظر:

A. Devoux, Les Archives du Consulat Général de France à Alger, Imp., V. Marius Olive, Marseille, 1863, p.34.

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. .87

<sup>5</sup> أحمد الشرف الزهّار، المصدر السابق، ص.49-50.

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. .87.

<sup>7</sup> Idem, p.102.

<sup>8</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 167



## الفصل الأول: السياسة الداخلية

والموظفين في البايك، أو عند حدوث حالات طارئة يضطر الخزناجي لإخراج الأموال منها بأمر من الداى، لأن كل الأعمال العمومية كانت تتم عن طريق السخرة<sup>1</sup>.

وهذا العمل يفرض على الخزناجي أن يكون على معرفة ولو قليلة بالمحاسبة ويساعده موظف تركي في عمله يطلق عليه صايجي (محاسب)<sup>2</sup> ومعه أربعة عمال، اثنان من اليهود<sup>3</sup>، واثنان من العرب<sup>4</sup>. يكلف اليهوديين بمراقبة العملة من التزييف والتأكد من وزنها الصحيح أما العربيان فيقومان بعد النقود ويعلنان بصوت عالٍ عن المبالغ المقبوضة والمدفوعة ويدونها الخوجة باشي في سجله<sup>5</sup>.

ويجب على الخزناجي الاحتفاظ بالمفتاح تحت مسؤوليته من الصباح الباكر إلى أن تغلق الخزينة عند منتصف النهار، وبعد صلاة العصر يسلمه للباشا قبل مغادرته قصر الإمارة، وفي اليوم التالي يستلمه مرة أخرى من الداى، ولا تفتح الخزينة نهائياً يومي الثلاثاء والجمعة<sup>6</sup>.

وكانت خزينة الدولة تقع في سرداب تحت قصر الإمارة، تتكون من عدة غرف ويفتح بابها على مجلس الديوان، ويحرسها 16 حارساً من النوبتاجية<sup>7</sup>، وتحتوي على أكياس النقود الذهبية والفضية، ويوجد بها أيضاً التحف الثمينة كالأسلحة المرصعة بالذهب والفضة والمرجان والأحجار الكريمة، كالخناجر، السيوف، البنادق والمسدسات، إضافة إلى المجوهرات والساعات الغالية والمرجان الذي كانت تدفعه الشركة الإفريقية كإتاوة منذ 1685م، وهو من أجود الأنواع، وكانت الحكومة بين الحين والآخر إذا احتاجت إلى السيولة تخرج من هذه الأشياء الثمينة وتبيعها في المزاد العلني لتغطي النفقات اللازمة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 88.

<sup>2</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 167

<sup>3</sup> Idem.

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 107.

<sup>5</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 167.

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 107.

<sup>7</sup> النوبتاجية هم حراس القصر: ينظر، فننير دو باردى، المصدر نفسه، ص. 106

<sup>8</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 107

وقبل أن ننتقل إلى وزير آخر ينبغي أن نشير إلى وظيفة الخزندار التي يُخلط بينها وبين الخزناجي<sup>1</sup>، فهي من حيث المعنى واحد أما من ناحية الوظيفة فهناك فرق نود توضيحه

- **الـخزندار**: لفظ مركب من كلمتين: (خزينة) عربية، و(دار) فارسية، وتعني الوظيفة، ويقصد بالكلمتين معا القائم على الخزينة<sup>2</sup>، ولقد عرفت الدولة الإسلامية هذه الوظيفة (الـخزندار) من قبل<sup>3</sup>، وفي نهاية العهد العثماني أصبح القائم على خزينة الدولة هو الخزناجي الذي سبق التطرق إليه، واقتصرت وظيفة الخزندار أو الخزنة دار على تسيير نفقات الحرم السلطاني في اسطنبول<sup>4</sup>، أما في الجزائر فكان مكلفاً بالخزينة الخاصة للداي، ولا يمكنه الاقتراب من الخزينة العامة للدولة في أي حال من الأحوال<sup>5</sup>، وبدون شك كان يختاره الـداي من الثقات.

وشغل هذا المنصب في عهد محمد بن عثمان باشا السيد علي برغل صهر الخزناجي حسان المقتول، ولم يكن مكلفاً بخزينة الـداي فقط بل كان له دور بارز في العلاقات الجزائرية الإسبانية، ويتضح ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين الوزير الأول الإسباني "الكوندي دي فلوريدا بلانكا" (El Conde de Foloride Banlka) حول شروط الصلح الذي تمّ بين الجزائر وإسبانيا عام 1786م، وتحرير الأسرى وكيف اهتم بدفع مال الفدية إلى ملاكهم، ودفع الرسوم الجمركية، وتسفيرهم على فرقاطة إسبانية إلى بلادهم، كما كان يرسل أيضا الهدايا الثمينة ويتلقى مثلها من الحكومة الإسبانية. وكل هذه المهام تؤكد أنها

<sup>1</sup> وكمثال على ذلك ما ذكره "توماس شو" عن مهام الخزناجي ولكنه كان يسميه الخزندار، ينظر المصدر نفسه، ص. 165.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ص. 435.

<sup>3</sup> لمزيد من التفاصيل حول وظيفة الخزندار ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج1، ص. 161، 162.

<sup>4</sup> محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جانفي-جوان، جامعة دمشق، 2012، ص. 372.

<sup>5</sup> H.D.De Grammont, Op.cit., p.229

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

الرسائل الموجودة في أرشيف التاريخ الوطني بمديرية بقسم الدولة الرزمة 13615. وبعد مقتل حسان الخزناجي عين علي برغل وكيلا للخرج واحتفظ بمنصبه الأول كخزانه دار<sup>2</sup>.

- **البيت مالجي:** وهي تعني المسؤول عن بيت المال أو كما يطلق عليه ناظر بيت المال، و"بيت المال"<sup>3</sup> عرفته الدولة الإسلامية منذ بدايتها الأولى، وكان يقصد به المكان المخصص لحفظ أموال المسلمين من غنائم، زكاة خراج، فيء، جزية وغيرها، ومع انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة وزيادة نفقاتها ومواردها أصبح لهذه المنشأة أقسام على حسب المداخل والنفقات، وفروع في مختلف الولايات تنظم في شكل دواوين مختلفة<sup>4</sup>، وفي عهد الدولة العثمانية احتفظ بالاسم ولكن انحصرت مداخله ووظيفته، وأصبحت الخزينة تتكفل بجمع إيرادات الدولة المختلفة والنفقات العامة المتمثلة أساسا في أجور الانكشارية، وصار بيت المال يجمع فيه التركات التي لا وارث لها، وأموال المفقودين والغائبين والأسرى بالخارج

<sup>1</sup> نذكر مثالا على ذلك: الرسالة رقم 6 لسنة 1786م باللغة التركية إلى الوزير الأول الإسباني تحدث فيها حول وصول الهدايا المرسله من الحكومة الإسبانية، والرسالة رقم 2 المؤرخة في 20 مارس 1786م إلى نفس الوزير، تتحدث حول شروط الصلح بين البلدين ويطلب منه تعيين أحد الأسرى كمرجم للإسبان في الجزائر بعد إطلاق سراحه، ويخبره بالهدية التي أرسلها له وهي عبارة حصان. وتواصلت المراسلات بينهما إلى أن أصبح وكيلا للخرج سنة 1788م، وبعد ذلك صار يكتب من "سيد علي وكيل الخرج" كما تدل على ذلك الرسالة رقم سبعة المؤرخة في 24 ديسمبر 1789م والمبعوثة إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا الوزير الأول الإسباني، أورد هذه الرسائل وترجمها وحققها الأستاذ يحيى بوعزيز في كتابه، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمديرية 1780-1798، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 67-134.

<sup>2</sup> جاء في الرسالة رقم 2 المجموعة 3204 الملف الأول؛ عبارة واضحة تشير إلى المهام التي شغلها علي آغا حيث قال صاحب الرسالة وهو الحاج عثمان وكيل الجزائر في أزمير إلى محمد بن عثمان باشا يطلعه عن أخباره: "وإن تشرف قدرك بالسؤال أفندم سلطانم، عن الذي كان بحضرتك خزنه دار ثم وكيل الخرج سيدي علي آغا فإنه يوجد منذ ثلاثة أشهر ونصف في جانب ساقز (جزيرة ببحر ايجة) ولم تساعده الهوى على دخول الأستانة". ينظر خليفة حماش، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 33. وراجع أيضا أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص 50.

<sup>3</sup> حول بيت المال راجع، الماوردي، الأحكام السلطانية، الولايات الدينية، المكتبة التوفيقية، مصر (د س)، ص 205.

<sup>4</sup> سلام عبد الكريم آل سميّسم، السياسة المالية في التاريخ الاقتصادي الإسلامي، دراسة لصدر الإسلام والدولة الأموية، دار مجدلاوي، الأردن 2010، ص 187-195.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

إلى أن يعودوا، وإن لم يرجعوا فهي من حق بيت المال<sup>1</sup>، وأملاك الأوقاف كالجوامع والكوشات<sup>2</sup>، إضافة إلى العقارات المنقولة وغير المنقولة المصادرة بأمر الحاكم<sup>3</sup>.

وفي عهد محمد بن عثمان باشا كان السيد علي هو المسؤول الأول عن بيت المال، ولقد قام بمصادرة ممتلكات حسان الخزناني المقتول بأمر الداى، وكانت قيمتها كبيرة حسب "فنتير دوباري"، فبيته الخاص قدر بـ 15000 سكة جزائرية، إضافة إلى الأساور والجواهر والملابس المطرزة ولكنهم لم يقتربوا من منزل زوجته<sup>4</sup>.

ومن وظائف البيت مالجي أيضا:

- تقديم التصريح بالدفن، فلا يدفن أحد دون ترخيص منه وتسجيله<sup>5</sup>، وذلك لضمان حق الورثة.

- توزيع الصدقات على الفقراء، والتكفل بدينهم.

- صيانة المؤسسات الدينية (المساجد والزوايا) واقتداء الأسرى المسلمين من البلاد المسيحية.

- تلبية مطالب الحكومة المالية عند الحاجة إذا توفرت الأموال الضرورية في بيت المال<sup>6</sup>، ويساعد البيت مالجي في وظيفته، قاضٍ يعرف عادة باسم الوكيل وموثقان يعرفان باسم العدول يعينهم الداى<sup>7</sup>.

- **وكيل الحرج:** أو كبير الترسانة<sup>1</sup>، وهو المسؤول الذي يتولى وزارة البحرية. وكان يشرف على أشغال الترسانة وعلى العتاد الحربي في الإيالة<sup>2</sup>، فهو مسؤول على السفن والرياس،

<sup>1</sup> ينظر، أ.و. ج./س.ب.م./س. 1/ع/33-24 (1111-1129هـ/1699-1716م) سجل خاص بالتركات.

<sup>2</sup> ينظر، أ.و. ج./س.ب.م./س. 139/ع/33-24 (1143-1160هـ/1730-1748م) يحتوي على أملاك بيت المال كالجوامع والكوشات.

<sup>3</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. .168.

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. .115.

<sup>5</sup> ينظر: أ.و. ج./س.ب.م./س. 36/ع/33-24 (1170هـ-1756-1757م)، سجل خاص بالمدفوعات والزكوات والاعشار والمعاملات التجارية والتركات مع ذكر أسماء الهالكين والورثة. راجع كذلك، س.7/ع/33-24 (1211-1232هـ)/(1796-1816-1817م)، ذكر فيه أسماء الهالكين (الموتى) والورثة في بيت المال مرتب حسب شهور السنوات الهجرية.

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص-ص. 22-23.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص.20.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

ويرافق الداى إلى الميناء لاختيار الرياس، لقيادة سفنهم<sup>3</sup>. ويقوم أيضا بمهام وزير الخارجية، حيث يتكلف بتسوية المسائل الخاصة بعلاقات الإيالة مع الدول الأجنبية، ويتحصل على العديد من الهدايا من القناصل والتجار الأجانب<sup>4</sup>، ولقد شغل هذا المنصب خلال فترة حكم محمد بن عثمان باشا شخصيتان هما السيد حسن الذي أصبح فيما بعد خزناجياً، والسيد علي برغل الذي خلفه<sup>5</sup>، ويعتبر هذا المنصب من المناصب الهامة في الدولة فإذا ترقى صاحبه إلى خزناجي تضاعفت أحلامه في أن يصبح دايا كما حدث مع محمد بن عثمان باشا وحسن الخزناجي.

والجدير بالذكر أن حسن باشا لعب دورا بارزا وهاماً في هذا المنصب سواء بالنسبة لشؤون البحرية أو العلاقات الخارجية، فبالنسبة للبحرية أشرف على صناعة نوع جديد من السفن لمواجهة الحملات الأجنبية، وقد سماها الشريف الزهّار باللنجور، وهي نوع من السفن حاملة المدافع القاصة وهو ما سمح برد الحملات الإسبانية المتتالية على مدينة الجزائر<sup>6</sup>. وعلى مستوى العلاقات الخارجية كانت له رسائل كثيرة متبادلة<sup>7</sup> مع ملك إسبانيا كارلوس الثالث ووزيره الأول (الكوندي دي فلوريدا بلانكا) بلغ عددها سبع عشرة رسالة أظهر فيها مساعيه من أجل عقد الصلح مع الجزائر والذي تمّ بالفعل في 17 شعبان 1200هـ الموافق لـ 14 جوان 1786م، وكما بعث برسائل أخرى إلى مصطفى خوجة وزير حمودة باشا من أجل عقد الصلح مع تونس.

<sup>1</sup> الترسانة: هي دار الصناعة أو المكان المخصص لإنشاء وتعمير السفن. سهيل صهيان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص.73.

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.118.

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 44.

<sup>4</sup> H.D.De Grammont, Op.cit., p. 230.

<sup>5</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 116.

<sup>6</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص.32.

<sup>7</sup> من بينها رسالة رقم 1، من وكيل الخرج إلى الوزير الإسباني بتاريخ 4 جانفي 1780م، وهي رد على رسالته وتتحدث حول شروط الصلح بين الجزائر وإسبانيا. وكذلك رسالة رقم 1 من وكيل الخرج إلى الوزير الأول الإسباني بتاريخ 21 شعبان 1199هـ/29 جوان 1785م وأكد له أن الجزائر تسعى لإبرام الصلح بين تونس وإسبانيا وسيواصلون سعيهم حتى يتحقق ذلك. وتتحدث الرسالة 7 بتاريخ 24 جمادى الأول 1200هـ/ 26 مارس 1786م عن نفس الموضوع. حول هذه الرسائل راجع، يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص55 وما بعدها.

-آغا الانكشارية وآغا السباهية: وكانا يعتبران أكبر قائدين في الأوجاق، ومصطلح آغا هو فارسي ويعني به "السيد" اعتمده العثمانيون لدلالات متعددة وخاصة في المجال العسكري<sup>1</sup>، وأصبح يدل على صاحب المنصب الكبير ويذكر أن هذه الكلمة محرفة من كلمة "أقا" المغولية وقيل فارسية مستخدمة لصفة العلماء<sup>2</sup>، وفي الجزائر كان آغا الانكشارية هو القائد الأعلى للمشاة في مدينة الجزائر<sup>3</sup>، يصل إليه بالأقدمية ويبقى فيه عادة شهرين قمريين، وكان منزله تطبق فيه العقوبات سرا على الأتراك من الجلد إلى غاية الإعدام، ويطلق على داره اسم سرکاجي، ولذلك يطلق عليه أيضا آغا سرکاجي<sup>4</sup>.

ويحتل الآغا في الديوان مكانة كبيرة ومشرفة إذ يجلس إلى جانب الداى مباشرة من الجهة اليسرى، كما أنه يحضر اجتماعات الديوان على حصانة إلى باب القصر، ويحيط به الشواش، ويدخل هو أولا، ومن ورائه كل الضباط بالتتابع<sup>5</sup>، وهذا يدل على سمو منصبه. ومن مهامه الأساسية هي حضوره الإجباري لدفع أجور ورواتب الانكشارية كل شهرين، كما أنه يحتفظ بمفاتيح مدينة الجزائر كل ليلة<sup>6</sup>.

وبعد انتهاء مدة شهرين قمريين يصبح الآغا معزول آغا<sup>7</sup> وينضم إلى الديوان الكبير ويتمتع براتبه كاملا إلى غاية وفاته<sup>1</sup>، ويترك المجال لكاهيته (نائبه).

<sup>1</sup> محمود عامر، المرجع السابق، ص. 361

<sup>2</sup> سهيل صهبان، المرجع السابق، ص ص. 15-16

<sup>3</sup> Laugier De Tassy, Op.cit., p. 212

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. .118

<sup>5</sup> Idem

<sup>6</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 158,159

<sup>7</sup> عندما ينضم المجدد الجديد إلى الإنكشارية ويصل إلى الجزائر يسمى يولداشاً Yoldach، وهي عبارة تركية تعني الرفيق أو الزميل، وتطلق على الجندي البسيط وبعد أن يقضي 3 سنوات حاملا لقب "يني يولداش" يترقى إلى "إسكي يولداش"، ومعناها الجندي القديم، ثم ينتقل إلى رتبة "باش يولداش"، وهو وكيل الحرج المسؤول عن صرف المؤونة وأمتعة الفرقة، بعد ذلك يترقى إلى "ضاباشي"، وهو رئيس الفرقة المتكونة من 10 إلى 20 جندي ثم إلى البولكباشي، وهو بمثابة نقيب، ويسمى برئيس الرفقاء، ثم "أيا باشي"، وهو بمثابة رائد مكلف بحمل قرارات الداى إلى الإيالة والبلدان الخارجية ويسهر على مراقبة السفن في الميناء ويأتي بعده، "الكاهية" أو "الكخية": وهو بمثابة عقيد وهو الضابط المرشح لخلافة منصب الآغا بعد شغوره، وكان نظام الترقيية يتم كل ثلاثة سنوات بالتدرج، وفقا لمبدأ الأقدمية في الخدمة وحسن السلوك والكفاءة في العمل، وكان للجنود سنة عمل والسنة للراحة. ولمزيد من التفاصيل ينظر، توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي للسياسي وللعسكري للجزائر وثائق تنشر لأول مرة، الدار العثمانية، الجزائر، 2009، ص. 21-23. راجع كذلك، جميلة معاشي، المرجع السابق، ص. 27

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

ويقدر فنثير دوياري<sup>2</sup> عدد أوجاق الجزائر بـ 420 أورطة وكل أورطة مقسمة إلى عدة صفرات من 16 جندياً وعدد الصفرات في كل أورطة غير محدد فقد تتكون الأورطة من صفرتين أو ثلاثة أو أربعة أو يمكن أكثر من ذلك و420 أورطة هي من الأتراك والكراغلة ومجموعها يكون قوات المشاة في الجزائر، وقد عددهم الإجمالي سنة 1789م من سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف ويذكر أن عددهم كان 12 ألف<sup>3</sup> رجل وقد نقص بسبب الوباء الذي ضرب عام 1785م ولم يجند العدد اللازم لتعويض الهالكين<sup>4</sup>.

-آغا السباهية: كلمة السباهية مشتقة من اسباه: لفظ فارسي يقصد به جيش أو مجموعة عسكرية كبيرة تطور مدلوله ليصبح في العصر العثماني فرسان الجيش العثماني<sup>5</sup>، وآغا السباهية في الجزائر هو القائد الأعلى للفرسان. وتختلف المصادر في طريقة كتابتها: (صباحية، وإصباحية، وسباهية، واسباهية). ويقصد بها في كل تلك الحالات صيغة الجمع وليس المفرد.

وتتكون فرقة السباهية من الجنود الأتراك الذين قضوا عشر سنوات في الخدمة العسكرية وعن طريق العفو الخاص الذي يسمح لهم بترك الخدمة في المشاة أصبحوا فرسانا، ومكانهم ليس بمدينة الجزائر ولكن بالقرب من البايات<sup>6</sup>. وقائدهم الأعلى يسمى كذلك آغا العرب يشرف على إقليم دار السلطان<sup>7</sup>، وملحقاته من سهول سباوالسفلى، وعريب وقيادات متيجة والساحل ومن مهامه الأساسية كذلك هي قيادة الجيش في المعارك<sup>8</sup>. ولقد لعب فرسان السباهية دورا كبيرا في حفظ الأمن وجمع الضرائب والقضاء على الثورات الداخلية وهذا ما سنتطرق إليه في حينه.

<sup>1</sup> Venture De Paradis, Op.cit.,p. 74

<sup>2</sup> Idem, p.75

<sup>3</sup> ذكر كل بيسونال ولوجي دوطاسي أن عدد المشاة في إيالة الجزائر سنة 1725 بلغ 12000 جندي لمزيد من التفاصيل ينظر:

Peyssonnel Et Desfontaines, Les Régences De Tunis Et D'Alger, Librairie, Decitte , Paris, 1838, p.404. Laugier de Tassy, Op.cit., p. 77 .

<sup>4</sup> Venture de paradis, Op.cit., p. 168

<sup>5</sup> مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص. 27

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.75, 76

<sup>7</sup> H.D. De Grammont, Op.cit., p.229.

<sup>8</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص.29

ويذكر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني<sup>1</sup> أنه بعد إصدار قانون تنظيم الخدمة العسكرية المعروف بعهد الأمان سنة (1748م) نظمت الأمور وارتفعت عدد فرق الانكشارية وزاد عدد جماعات المخزن (الفرسان العرب) والأعوان حيث أصبح عدد الانكشارية لا يقل عن عشرة آلاف وقوة الكراغلة لا تقل عن 2000 وفرسان المخزن وجماعة زاوية والحضر والمتطوعين 6000.<sup>2</sup>

-**الكتاب الأربعة أو الخوجة باشي:** كلمة خوجة مأخوذة من اللفظ الفارسي خواجا، ومعناها: سيد، إنما استعملها الأتراك العثمانيون بلفظ خوجة وجعلوها لقباً من ألقاب التشريف اختص به الشيوخ والعلماء ومشايخ الكتاتيب الذين كانوا يعلمون الأطفال القرآن الكريم.<sup>3</sup> والخوجات في أوجاق الجزائر هم الذين يحسنون القراءة والكتابة ويختارهم الداي بنفسه وليس بالأقدمية<sup>4</sup>، ليعين من بينهم الكتاب والأمناء، ويأتي في مقدمتهم الخوجات الأربعة أو الكتاب الكبار. ويعتبرون كوزراء للدولة، ويزاولون أعمالهم إلى جانب الباشا في الديوان، وكان للكتاب الأول والثاني نفوذ كبير<sup>5</sup>.

وفي عهد محمد بن عثمان باشا كان يشغل منصب الكاتب الأول السيد: أحمد خوجة، ويكلف بسجلات رواتب الجند، وتقييد كل الممتلكات والإتاوات الخاصة بالبايالك<sup>6</sup>، وكل المصاريف العادية وغير العادية (المفاجئة) ويعتبر رئيس الكتاب، ويسمى "المقطعجي"، وهو مسؤول أيضاً على فرض الضرائب والمحافظة على سجل محاسبات الدولة المشتمل على ما تحويه دفاتر الكتاب الثلاثة الآخرين الذين هم تحت تصرفه<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> حول نص عهد الأمان لسنة 1748م ينظر: A. Devoulx, Ahad Aman, ou règlement politique et militaire, Taxe turc, Traduit, en Arabe Mohamed Ben Mostafa et reproduit en Français par, A. Devoulx fils in R. A, vol. n°04, Ann. 1860, éd. A. Jourdan, Alger, pp.211-219

راجع أيضاً نص الوثيقة مترجم إلى العربية في كتاب توفيق دحماني، المرجع السابق، ص.45-55. وينظر كذلك الوثائق: م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثائق رقم 42 خاصة بعهد أمان محلة التيطري، 43، عهد أمان محلة الشرق، 45 وثيقة خاصة بعهد أمان محلة الغرب.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص. 18

<sup>3</sup> مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص. 166

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 91

<sup>5</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 165

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 116

<sup>7</sup> ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة، المرجع السابق، ص. 32، 33



ويحظى الكاتب الأول بمكانة كبيرة لذلك فهو يلقب ب: أفندي الذي لا يطلق سوى على الداوي والمفتي واحتراما له يقف له جميع القادة العسكريين<sup>1</sup>.

-الكاتب الثاني: ويسمى باش دفترجي: وكان اسمه حسان يمस्क بنسخة ثانية من قائمة الجيش وله مكانة شرفية<sup>2</sup>، كما أنه يمस्क حسابات الجمارك<sup>3</sup>.

-الكاتب الثالث: يمस्क نسخة من دفتر الممتلكات وإتاوات البايك وهي من مداخل الدولة<sup>4</sup>.

-الكاتب الرابع: يطلق عليه أيضا الرقمجي<sup>5</sup> يشرف على السجلات المتعلقة بمصالح البايك والمتصلة بالشؤون الخارجية للبلاد، فإذا تقدم قنصل أجنبي بشكوى للداوي بسبب بعض الانتهاكات في الاتفاقيات المبرمة بين دولته والإيالة، يأمر الداوي وكيل الخرج أن يحضر سجل المعاهدات، يفتحه ويجيب مباشرة على شكوى القنصل فيقرأ الوزير بصوت عال البند الذي ادعى القنصل اختراقه، وإذا كان لديه حق يرد إليه، ولكن إذا كان على خطأ يرفض ما يطلبه<sup>6</sup>.

إنّ معالجة الأمور بهذه السرعة تدل على حسن التنظيم والمتابعة الجيدة والمتواصلة للعمل من طرف هؤلاء الكتاب الأربعة، مما يجعل كل المهام تتم في وقتها المحدد دون تأجيل أو مماطلة.

ويساعد الكتاب الأربعة مجموعة كبيرة من الكتاب الصغار وحسب "طوماس شو"<sup>7</sup> أن عددهم كان ثمانين كاتباً وقال دوقرامون<sup>8</sup>، إنّ عددهم مائتان خوجة، وكان لديهم وظائف مختلفة بعضهم مكلفون بتحصيل الرسوم على المنازل والحوانيت والبعض الآخر مكلفون بالرسوم المفروضة على أبواب المدينة؛ على الماشية، الجلود، الشمع، الزيت، والمنتجات الزراعية.

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.129

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.116

<sup>3</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p.165

<sup>4</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p.165/ Venture de Paradis, Op. cit., p.117

<sup>5</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.117.

<sup>6</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p.165, Laugier de Tassy, Op.cit., p.237

<sup>7</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p.169

<sup>8</sup> H. D. De Grammont, Op.cit., p.229

- **خوجة الخيل:** (أت خوجه سي) وهو واحد من بين الوزراء الأربعة الكبار في الحكومة وقد يختار لتولي منصب الداوي في حالة عدم وقوع انقلاب على السلطة<sup>1</sup>. وفي عهد محمد بن عثمان باشا شغل هذا المنصب وزيران هما: السيد عصمان والسيد مصطفى، وحسب "فنتير دوباري"، كان عصمان خوجة رجلاً فاضلاً يتحرج من استلام العوائد والهدايا بنفسه فكان يعين رجلاً آخر يستلمها بدلاً منه مهما كانت صغيرة، وكان تقياً لم يتزوج أبداً وكانت فرحته في راحة الفقراء وغايته في خدمة المسلمين مثل الداوي<sup>2</sup>.

وخوجة الخيل هو بصفة عامة وزير مكلف بمداخل الإيالة التي تأتي من الداخل كالضرائب التي يجمعها البايات والقياد، ومنتجات الأراضي الزراعية التابعة للبايلك، إضافة إلى عوائد بيع الحيوانات من خيول وبغال وجمال...<sup>3</sup>، ويضيف حمدان خوجة إلى مهامه إدارة الحارات والتصرف في الخيول والجمال المخصصة لنقل الجيوش والعتاد الحربي، وهو الذي يأمر بتوزيع هذه الخيول والجمال على مختلف قبائل الإيالة التي تتولى الاعتناء بها والمحافظة عليها ودمغها بخاتم البايك، ويحدد كذلك سعر بيع الحيوانات بأثمان معقولة<sup>4</sup>. ويشيد المؤرخون الأوروبيون "كالوجي دوتاسي"<sup>5</sup>، و"توماس شو"<sup>6</sup>، و"فنتير دوباري" بمدى نشاط الداوي وحكومته في أداء مهامهم وأعمالهم اليومية والتي تتم بانتظام مدهش، فأصحاب المناصب العليا في الديوان يشتغلون أكثر من الموظفين الصغار والأعدار الصغيرة لا تمنعهم من ترك وظائفهم<sup>7</sup>.

وكان الداوي ينزل يومياً إلى مجلس الديوان بعد صلاة الصبح، وهو الوقت الذي يفتح فيه باب قصر الإمارة ويكون كل أعضاء مجلس الديوان ينتظرونه هناك فيقبل الجميع يده ويتناولون القهوة<sup>8</sup>، ثم يباشرون أعمالهم. وكان يحضر إلى جانب أعضاء الديوان الشواش،

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.91

<sup>2</sup> Idem, p.111

<sup>3</sup> Idem, p. 116.

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.128

<sup>5</sup> Laugier de Tassy, Op. cit., p. 223.

<sup>6</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 176

<sup>7</sup> Idem, p.119

<sup>8</sup> Idem, p.176

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

الحراس (النوبتاجية) و مترجم القصر<sup>1</sup>، إضافة إلى الضباط القدامى ولا يستطع أحد مغادرة القصر ولو لحظة واحدة عندما يكون الداى حاضراً، فيجب عليهم جميعاً البقاء في مناصبهم منتظرين أوامره<sup>2</sup>.

وتعرض على الداى كل القضايا المدنية والجنائية من جميع الرعايا مهما كان مستواهم، ويفصل فيها مباشرة ما عدا الأمور الدينية الفقهية يحيلها على القاضي<sup>3</sup>. ويتوقف الجميع لتناول الغداء على الساعة التاسعة صباحاً في القصر، ويعودون مرة أخرى ولا يغادرون إلا بعد صلاة العصر وعزف الموسيقى، وحتى يوم الجمعة كان يجب عليهم الحضور لمرافقة الداى لصلاة الجمعة على الساعة الحادية عشرة صباحاً وينصرفون على الساعة الثانية مساءً<sup>4</sup>.

والخلاصة حول التنظيم الإداري في عهد العثماني أنه قد امتاز بطابعه العسكري فالتدرج في الرتب كان أفضل وسيلة لنيل أعلى المناصب، فمحمد بن عثمان باشا نفسه قدم للجزائر كيولداش وأصبح داياً، ونفس الشيء للوزراء والبايات وغيرهم من كبار وصغار الموظفين في الدولة، هذا ما جعل عملهم يكتسي الصبغة العسكرية التي تظهر من خلال الانضباط والسرعة في إنجاز المهام، واستعمال القوة، وربما كان هذا يتلاءم مع الظروف التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة.

### 1- النظام القضائي:

لا يمكن بأي حال من الأحوال معرفة النظام القضائي في العهد العثماني إلا في سياق النظام الهيكلي الإداري، الذي سبقت الإشارة إليه، حيث لم تكن هيئة القضاء مستقلة بذاتها في العهد العثماني، وإنما كان نوعاً من المزج بين السلطة السياسية والقضائية، وجميع الموظفين كبارهم وصغارهم يشاركون القاضي في سلطة القضاء ابتداءً من الباشا، كبار

<sup>1</sup> مترجم القصر: هو تركي يعرف القراءة والكتابة بالتركية والعربية يترجم كل الرسائل التي يستلمها الداى من المغرب، تونس أو من باقي مناطق الإيالة، إضافة إلى رسائل الأسرى الجزائريين لدى الدول المسيحية،

Thomas Shaw, op.cit,p.157

<sup>2</sup> Laugier de Tassy, Op. cit., p.223

<sup>3</sup> Thomas Shaw, Op. cit., p.157

<sup>4</sup> Laugier de Tassy, Op. cit., p.223

الضباط، البايات القياد، وشيوخ القبائل كانوا جميعا يقضون جزء من أوقاتهم في الفصل في القضايا التي ترفع إليهم<sup>1</sup>.

وحسب شهادة المؤرخين الأوروبيين<sup>2</sup>، كان بإمكان أي فرد في الإيالة مسلم، أو غير مسلم اللجوء للعدالة وتقديم شكواه ضد أي كان، ومباشرة دون محام أو وسيط، ومن حقه اختيار القاضي أو الجهة التي يلجأ إليها، وكانت الأحكام تصدر بسرعة كبيرة دون تأجيل. وكان يطبق في الإيالة نوعان من القضاء: عسكري ومدني، ينقسم هذا الأخير بدوره إلى قضاء حضري (يتم في المدن) وقضاء تقليدي (في الأرياف) ولكل نوع قوانين وأعراف خاصة به.

**1-2 القضاء التقليدي:** كان يُطبَّق هذا النوع في الأرياف والمناطق الممتعة في الجبال الوعرة منذ زمن بعيد وحتى قبل دخول الأتراك إلى الجزائر<sup>3</sup>، حيث كان سكان هذه المناطق يلجأون إلى حل مشكلاتهم وإنهاء منازعاتهم إلى شخصيات محلية تتمتع بالعلم والنسب الشريف والصلاح والتقوى كالقياد، المرابطين والجماعة وكانوا يتمتعون بسلطة سياسية وقضائية على حد سواء، وهم على اتصال دائم مع الناس ويجتمعون في الأسواق الأسبوعية المنتشرة في المنطقة ويتفاوضون ويتبادلون الآراء حول كل القضايا العامة التي تقع بين الأعراس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص.39

<sup>2</sup> من بين المؤرخين الذين أشادوا بالقضاء في العهد العثماني: Laugier de Tassy, Op.cit, p. 223, et Thomas Shaw, Op. cit., p. 177-180

<sup>3</sup> خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابك الشرق الجزائري، نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999، ص.12-15

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص. 46

### 2-1-1 القيادة:

كان القضاء في الأرياف الجزائرية التي يحكمها القياد وهم عادة من الأسر الكبيرة يتوارثون هذه المناصب<sup>1</sup>، بالمشاركة مع القاضي المعين من قبل البايات<sup>2</sup> ويتم داخل شبه محكمة تتكون من كوخين أحدهما للقاضي والآخر للقايد ومقرها دائما بالقرب من منزل هذا الأخير وكلاهما يستقبل الناس في حدود صلاحيته ويتلقيان الشكاوى والقضايا الخاصة بالاحتجاجات، وغالبا ما تحل في حينها إذا كانت بسيطة أما إذا كانت معقدة فتؤجل إلى وقت قريب<sup>3</sup>.

وكان القايد يفصل في المخالفات والجنح سواء ضد الأمن العام أو ما بين الأشخاص وكانت أحكامه لا تقبل الطعن إلا من طرف الباي، وكان يصدر أحكاما تتراوح ما بين الغرامة، الجلد بالعصا، السجن لمدة قصيرة، وأما الجرائم التي تتطلب الاعتقال والسجن لمدة طويلة أو الإعدام فإنه يحولها للباي ليحكم فيها. وكان القياد يجتمعون كل يوم جمعة في حوش الباي للنظر في مختلف القضايا ورفع ما هو مهم منها إلى الباي<sup>4</sup>. وللقاضي حق النظر والحكم في القضايا المدنية والالتزامات الفردية، وكانت له أيضا رقابة على المخالفات الدينية والانتهاكات الخطيرة للشريعة الإسلامية مثل الإفطار في شهر رمضان جهارا، الردة عن الإسلام، الفجور وغيره<sup>5</sup>.

### 2-1-2 المرابطون:

يعرف حمدان خوجة المرابط كما يلي<sup>6</sup>: "إن اسم المرابط مشتق من كلمة ربط العربية التي تعني الالتزام والتعهد أي أن المرابط يعاهد الله على ألا يتصرف إلا بما فيه خير الناس، ولذلك فحتى بعد موتهم يبقى هؤلاء المرابطون محل توفير دائم".

<sup>1</sup> ومن أشهر القيادات في الشرق الجزائر: أسرة المقراني جنوب سطيف، أسرة ابن عاشور حوض فرجيو، أسرة عز الدين زواغة ينظر، L.ch. Feraud, Ferjouia et Zouara : Notes Historiques sur La Province de Constantine Vol : 22, in R.A, éd, A. Jourdan, Alger, 1878, p.5.

<sup>2</sup> وكان البايات هم الذين يعينون القضاة وكمثال على رسالة تعيين التي بعث بها أحمد باي قسنطينة الى القاضي السيد على الزغداني أواسط جمادى الأولى 1250 هـ والتي أو ردها الأستاذ صالح فركوس في كتابه، أحمد باي... المرجع السابق، ص ص. 102-103

<sup>3</sup> خنوف علي، المرجع السابق، ص. 49

<sup>4</sup> ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص ص. 113-114

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص. 114

<sup>6</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 57

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

وكان لهؤلاء المرابطين سلطان كبير على الكثير من الأعراس والقبائل في بلاد زاوارة<sup>1</sup>، وغرب مدينة الجزائر في المنطقة الممتدة من تيبازة إلى تنس<sup>2</sup>، وفي بايلك الشرق في الجبال الساحلية الممتدة من جيجل إلى بجاية وسكيكدة<sup>3</sup>. وكانت أعراس هذه المناطق لا تخضع لسلطة البايك ولكنها تطيع المرابط طاعة عمياء<sup>4</sup>، وكان العثمانيون يدركون جيدا حقيقة هذه الطاعة ومقدار احترام هذه القبائل الخارجة عن سلطتهم لهؤلاء المرابطين، لذلك اتبعت نفس طريقة السكان في التعامل مع المرابطين وأولت لهم الاحترام والتقدير وأكدته في دستور الإنكشارية أو ما يعرف بعهد الأمان<sup>5</sup>، حيث جاء فيه: "يوجد في بعض المناطق رجال صالحون هم المرابطون يجب أن يستقبلوا ويحظوا بالاحترام اللائق وآراؤهم تتبع حرفيا ذلك أن الله يتقبل صلواتهم ودعواتهم من أجليكم".

وهناك نص آخر أورده "فيرو" (Féraud) في المجلة الإفريقية لسنة 1869م<sup>6</sup>، عبارة عن تعيين للمرابط الحاج أحمد المكي بن محمد أمقران على قرية جيجل أواسط شوال عام 1168هـ/1755م وجاء فيه كل عبارات الاحترام والتقدير كما أنه يوصي كلا من الآغا وجنود النوبة باحترامه وعدم التعرض له".

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المرجع نفسه، ص. 46.

<sup>2</sup> أحمد الشرف الزهار، المصدر السابق، ص. 48.

<sup>3</sup> خنوف علي، المرجع السابق، ص. 13.

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 56.

<sup>5</sup> Devoulx, Ahad Aman, Op.cit., p. 214

<sup>6</sup> يقول هذا النص: "ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم من القواد والعمال والخاص والعمال وجميع المتصرفين في الأحوال خصوصا قرية جيجل. أما بعد فإن حامله المعظم الأجل السيد "الحاج أحمد المكي نجل القطب السيد محمد أمقران نفعنا الله ببركاته أمين، أنعمنا عليه وقدمناه مرابط بقرية جيجل ولا يتعدى عليه النوبة ولا غيره من سكان قرية جيجل من العسكر هذا كله عليه أحد من أهل النوبة ولا من يسكر عليه حرمة لا آغة النوبة ولا غيره من سكان قرية جيجل من العسكر هذا كله حرمة منا له ولوقوفه مع النوبة في إتيان الأرزاق ولوجه جده المذكور ولطعامه الفقراء والمساكين. كتب عن إذن المعظم الأرفع مولانا الدولتلي السيد علي باشا أواسط شوال عام 1168هـ/1755".

L.Ch. Féraud, Exploitation des Forêts de la KARASTA dans la Kabylie Orientale Sous La Domination Turquie, in. R. A, vol. n° 13 éd. A. Jourdan, Alger, 1869, p.38

وكان المرابط يفرض السلم بين القبائل، وينشر الأخلاق الكريمة ومبادئ الدين الإسلامي يفض النزاعات بين الناس على حسب فهمه للشريعة الإسلامية والعادات والأعراف المعمول بها<sup>1</sup>. كما يعلم الطلبة القراءة ويحفظهم القرآن الكريم.

### 2-1-3 الجماعة:

كانت الجماعة تمثل هيئة القضاء على مستوى التجمعات السكانية ابتداءً من الدشرة، العرش ومجموعة الأعراش، وكان نظام القضاء بهذا الشكل سائداً في العديد من الأقاليم الريفية الشمالية الجزائرية خاصة في المناطق الجبلية والهضاب المجاورة لها وبعض السهول الساحلية البعيد عن السلطة المركزية وقد اشتهرت به أعراش زاوية ومدن الجنوب وقرى بني ميزاب<sup>2</sup>.

ويتكون مجلس الجماعة عادةً من كبار السن إذا كان خاصاً بالدشرة الواحدة أما إذا كان خاصاً بالأعراش يتشكل من ممثلي كل عشيرة، من العقلاء، وتتفق الجماعة على مجموعة من الموثيق والضوابط والعادات أغلبها مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية حسب درجة فهمهم للفقهاء والدين<sup>3</sup>.

وقد أورد "فيرو" <sup>4</sup> نصاً آخر في المجلة الإفريقية لعام 1863 باللغة العربية حول القوانين والأعراف التي تحكم بها الجماعة في مختلف القضايا والجرائم، وهي خاصة بقبائل منطقة زواغة وأراس، أولاد حابة، وأولاد عيدون وبني خطاب<sup>5</sup> وغيرهم. وكان لكل عرش من أعراشهم جماعة تفصل في قضاياهم وأهم القضايا التي يفصلون فيها هي مسائل النكاح، التركة، قتل النفس، السرقة والحرائق وسرقة السلاح، التعدي على المحارم، تجاوز الحدود

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 56-58

<sup>2</sup> خنوف علي، المرجع السابق، ص. 11

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص. 11

<sup>4</sup> L.Ch.Féraud, Mœurs et Coutumes Kabyles, in R.A, vol, N° 07, éd, A. Jourdan, Alger, 1863, pp. 68-75

<sup>5</sup> هذه القبائل تسكن بجاية سكيكدة شمالاً، سطيف قسنطينة، ينظر: خنوف علي، المرجع السابق، ص. 25. ولمزيد من المعلومات عن قبائل الشرق ينظر خريطة توزيع قبائل الشرق بالملحق رقم (3).

الفاصلة بين الأراضي. ونذكر<sup>1</sup> فيما يلي بعض الأمثلة من هذه القوانين أو المواثيق وعددها الإجمالي هو 46 فصلاً.

-**الفصل الأول:** إن من عاداتهم يزوجون المرأة بالجدى، وهذا الشرط عندهم على التعاقد وإن توفي المتزوج فيردها من أقاربه أحد منهم ثم الثالث والرابع وهكذا لأنهم يرثونها.  
-**الفصل الثاني والثالث** متعلق بالزواج أيضاً.

-**الفصل الرابع:** وإذا تعدى أحد على رجل من أهل القبيلة وقتله وعمداً، تتهب داره وتهدم ويذبحون له عشرة رؤوس من البقر خطية، ويدفع دية كاملة وإن كانت له بنت أو أخت يزوجه أحد من أقارب المقتول بأخذها في الدم وتبقى المرأة معطية على حسب زواج الجدى.

-**الفصل السابع:** إن السارق إذا مات بداخل الدار يدفع القاتل أربعين دورية فعشرون من عند القاتل وعشرون من عند الجماعة فيأخذون ذلك أهل الميت وتنتهي القضية.  
-**الفصل التاسع:** ومن تشاجر في العرش وصدر منه شتم يلزمه رأس بقر خطية.

أما باقي المواد الأخرى فتعالج القصاص في الجروح، وغرامة الشتم في العرش والشجار كما تعالج سرقة الحيوانات من بغال، حمير... وغيرها. وتعالج خمس مواد الاغتصاب، الزنا، هروب المرأة من بيت زوجها، وأخرى تعالج قتل الحيوانات الأليفة. وتحدد المادة الأخيرة رقم 46: عقوبة من تأخر عن الدفاع الجماعي الذي نادى به الجماعة. ويظهر على هذه القوانين أن أغلبها يعتمد على العرف ويبتعد عن الفقه والشريعة الإسلامية مما يدل على المستوى الثقافي لتلك القبائل الجبلية المعزولة ورغم ذلك تدعو إلى احترام ممتلكات الغير وحسن الخلق والالتفاف حول الجماعة، وكما ساهم هذا القضاء وبصورة ملحوظة في تحقيق العدل ونشر الأمن بفضل عقوباته الرادعة المطبقة في مختلف الجرائم والجنايات.

**2-2 القضاء الحضري:** كان هذا النوع من القضاء يطبق في المدن والمراكز الإدارية الكبيرة، وينقسم إلى فرعين:

<sup>1</sup> أوردنا نصوص الفصول كما هي حتى نوضح المستوى اللغوي والثقافي لهذه القبائل في تلك الفترة.



2-2-1 القضاء الجنائي: كان الداى هو المسؤول من الناحية القانونية عن الشؤون القضائية ويعتبر القاضي الأول في البلاد، وكانت حكومته كما رأينا لا تشتمل على وزير العدل<sup>1</sup>. وكان الباشا يقضي بعضا من يومه يفصل في القضايا المختلفة بين رعاياه من عرب، كراغلة، يهود، مسيحيين، وأسرى باستثناء الانكشارية فإنهم يخضعون للقضاء العسكري<sup>2</sup>.

كان من حق المسيحيين اللجوء للقضاء أمام قناصلهم دون تدخل الباشا، ولكن عندما تكون القضية بين مسيحي ومسلم تعرض أمام الداى ليفصل فيها بحضور القنصل وكان من حق المدعي والمدعى عليه التكلم مباشرة دون وكيل (محامي) أو مساعد، ويصدر القرار فورا دون تكاليف وأحكامه غير قابلة للاستئناف<sup>3</sup>.

كما كان بإمكان أي شخص لم يتحصل على حقه من الجهات الأخرى أن يأتي إلى باب إمارة القصر ويمسك بسلسلة الباب وينادي "العدالة بشرع الله" فيأخذونه أمام الداى محمد بن عثمان باشا ليسمع شكواه ويصدر حكمه في قضيته في الحال، وإذا كان على غير حق يجلد فورا<sup>4</sup>.

وتكون العقوبات التي يصدرها الباشا على قدر المخالفة أو الجناية المرتكبة. فهو يعاقب على الجرح بالسجن<sup>5</sup>، وكان موجودا في قصر الإمارة-، والغرامات المالية أو الجلد بالعصا وينفذ في مجلس الديوان، كما تدفع الغرامة المالية في الحال إلى الخزانجي الحاضر في الجلسة، أما الجرائم فيعاقب عليها بالإعدام، أو التعذيب وغيرها<sup>6</sup>، وكمثال على ذلك حكم الإعدام الذي أصدره محمد بن عثمان باشا على الخزانجي في ماي 1788م بسبب خيانتة واستغلال منصبه كما سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>7</sup>. ويساعد الباشا في أداء مهامه:

<sup>1</sup> الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني، دار مدار الجزائر، 2013، ص.216

<sup>2</sup> Thomas Shaw, Op. cit, p.180

<sup>3</sup> Idem.

<sup>4</sup> مذكرات أسير الداى كاتكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 91

<sup>5</sup> H.D. De Grammont, Op.cit., p. 230

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 158

<sup>7</sup> Idem.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

- ضابط الشرطة: يوجد في مدينة الجزائر ضابط يفصل في كل النزاعات بين الأتراك والعرب واليهود والمسيحيين عندما تكون هناك إصابات دموية والجروح، ويسمى جراح باشي ويكون من الأتراك أو الكراغلة ويعينه الباشا في هذا المنصب،<sup>1</sup> ومنزله يستخدم لاعتقال النساء ويعاقبن فيه سرا<sup>2</sup>.

- المزوار: مكلف بتطبيق الإعدام والضرب بالعصا يشغله دائما عربي ويقوم بدورية ليلية، في المدينة ويوقف كل من لا يحمل إنارة بعد صلاة العشاء<sup>3</sup>.

- كولجي باشي: ويقوم بالدورية الليلية أيضا، وهو منصب يختص به الثقات فقط من الضباط الأتراك وله الحق في ضرب العرب واليهود في وسط الطريق، فهو يوقف كل من يجدهم بعد صلاة العشاء حتى ولو معه المصباح، ويمنع تجمعاتهم ما عدا احتفالات الزواج والعزاء<sup>4</sup>.

- قائد الزواوة: مكلف أيضا بدورية ليلية للقبض على المجرمين وسجنهم، أو الذين يمشون بعد صلاة العشاء دون مصباح، وجميع من يدخل السجن يدفع غرامة مالية على ما ارتكبه من أخطاء ولكن إذا كانت القضية كبيرة تعرض على الداوي<sup>5</sup>.

2-2-2 القضاء المدني: يفوض الباشا سلطته القضائية لقضاة يعينهم بنفسه يحكمون طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وكان التقاضي يتم في المحاكم على أساس المذهبين المالكي والحنفي، الأول خاص بالرعايا الجزائريين والثاني خاص بالأتراك والكراغلة<sup>6</sup>، وكانت المحاكم تتشكل من القاضي، المفتي، العدول، الشهود، الكتاب، الشواش.

-المفتي: وهو إما مالكي أو حنفي وهو منصب مشرف جدا ودوره هو تقديم الفتاوى شفويا أو كتابيا<sup>7</sup>.

-القاضي: يعينه الداوي في مقاطعة دار السلطان، والبايات في أقاليمهم (ملكي أو حنفي).

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 158

<sup>2</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 168

<sup>3</sup> Idem, p.176

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 159

<sup>5</sup> Idem

<sup>6</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. 117

<sup>7</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 103

برسالة تعيين والتي تسمى رسالة إنعام أو تولية: كما توضح الرسالة التي بعث بها الحاج أحمد باي قسنطينة إلى علي الزغداني لتوليه القضاء على نجع الحراكته لأولاد عيسى بالأوراس ويقول الباي: "الحمد لله أمرنا بهذا السعيد المبارك بحول الله تعالى وقوته (...). الأجل ابننا السيد علي الزغداني الذي أنعمنا عليه وولينا قاضيا بنجع الحراكته أولاد عيسى وأوصينا به بأن يحكم بمشهور مذهب الإمام مالك بن أنس الذي به الفتوى وأوصينا بتقوى الله العظيم وطاعته في السر والعلانية ومراقبته من لا تخفاه خافية وامرنا بطاعته في السر والعلانية والإذعان لحكمه مع الإيحاء عليه بالحرمة والاحترام والميرة والإكرام بحسب الواجب على أمرنا، هذا أن يعمل بمقتضاه ولا يخالفه ولا يتعداه ومن خالف الأمر يستوجب العقوبة والحبس والمشقة من المنعم سمو مولانا السيد الحاج أحمد باشا أيده الله تعالى ونصره أمين". أواسط جمادى الأولى 1250هـ.

توضح لنا هذه الرسالة حرص الحكام الأتراك على ضمان السير الحسن للعدالة من خلال حماية الحرية الشخصية للقاضي وعدم التعرض له، وتطبق أقصى العقوبة لمن يمسّه بسوء، وفي نفس الوقت يوصي القاضي بتقوى الله في أحكامه والالتزام بالمذهب المالكي.

ويفصل القاضي في المنازعات المدنية، وفي الأحوال الشخصية كالطلاق، الميراث، كما يحكم بالتعويض عن الضرر الذي يلحقه بعض الأشخاص بغيرهم من الناس، أو بالسجن، الجلد وتحديد قيمة الفدية، وأحكامه غير نهائية يمكن الطعن فيها<sup>1</sup>.

إضافة إلى القضاء يقوم القاضي بمهام أخرى من بينها:

- **التوثيق**: يقوم القاضي بالتصديق على الوثائق المحررة في جميع المعاملات كعقود البيع والشراء وعقود الزواج والطلاق والتي تسجل في المحاكم الشرعية ويحصلون مقابل هذا العمل على موزونة واحدة على كل وثيقة يصادق عليها، وحين يتعلق الأمر بعقود بيع الأملاك العقارية كالمباني والأراضي يجب عليه القراءة وفحص السندات لتحريز العقد، ولكنه لا يأخذ أكثر من موزونة، أما في حالة تقسيم التركات يأخذ القاضي نسبة 10%<sup>2</sup> من

<sup>1</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. 113.

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 162-163

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

قيمتها الإجمالية، ومثال على ذلك نذكر بعض العقود المسجلة في المحكمة الشرعية ببايلك قسنطينة:

\* عقد بيع دار مؤرخ في 1 صفر من سنة 1202هـ / 1787م<sup>1</sup>

" الحمد لله اشترى المكرم الحاج أحمد بن السعيد الصدراتي وشقيقه الحاج رابح وعاشور سوية بينهم جميع الدار الجوفية الكاينة بزنقة قديد داخل القصبة السعيدة ممن تقرر لهم الاشتراك بها وهم سي حسن بن سي محمد الأموي وزوجته خديجة ومحمد بن مخلوف ومباركة بنت بلقاسم على حسب التفاصيل بينهم حسبما هو مميز بقيده يعادل الشهادة وقف عليه شهيدا تقرر إتماما وتقابضا في ذلك ثمننا ومثمننا وقدره أربعمائة ريال عدى خمسة أريلة<sup>2</sup> وذلك بتاريخ اليوم الآخر من محرم الحرام من السنة المذكورة أعلاه وتأخذ الكتب بهذا السجل إلى صبيحة مفتتح صفر من السنة المذكورة أعلاه".

\* عقد نكاح مؤرخ في 1 صفر من سنة 1202هـ / 1787م<sup>3</sup>.

" الحمد لله تزوج محمد بن أحمد بن الحاج علي سمايلي فاطمة بنت سي أحمد الصدراتي على صداق قدره ثمانون ريال وملحفة مخمل وحزام ينفذ لها شطر العدد مع الملحفة والباقي على سبعة أعوام".

\* عقد طلاق مؤرخ في السابع من صفر 1202هـ / 1787م<sup>4</sup>.

" الحمد لله طلق عبد الله بن حمد السليمي نورة بنت مسعود المهناوي طليقة أولى له عليها بعد البناء بها على أن سلمت له في باقي صداقها طليعة بذلك راضية".  
ويساعد القاضي في مهامه:

- **العدول:** أو شهود العدل أو شهود القاضي يختارهم القضاة من ذوي الأخلاق النزينة وشهادتهم لا تقبل التجريح، وكل قاض يعمل معه اثنا عشر عدلا يقومون بتحرير جميع المعاملات، وكل وثيقة يجب أن يمضي عليها اثنان ويختمانها قبل أن يضع القاضي ختمه

<sup>1</sup> أ. و. ق. سجل عقود الزواج والطلاق، رقم 1، (1202-1205هـ-1787-1790م)، ص. 3.

<sup>2</sup> وهذا المبلغ قدره 395 ريال .

<sup>3</sup> أ. و. ق. سجل عقود الزواج والطلاق، رقم 1، المصدر السابق، ص. 3.

<sup>4</sup> أ. و. ق. سجل عقود الزواج والطلاق، رقم 1، المصدر نفسه، ص. 5.

(الطابع)، ويقبضون مقابل عملهم من نصف بدقة شيك إلى بدقة كاملة على حسب أهمية الوثيقة، ولكنها لا تتعدى سكة جزائرية واحدة.<sup>1</sup>

- **الشهود:** يستدعى الشهود في الحال ويسألون من طرف القاضي حول مختلف ظروف القضية إذا أنكر المدعي عليه التهمة، بشرط أن يكونوا ذوي سمعة طيبة وإلا لا يسمح لهم بالشهادة.<sup>2</sup>

- **الكتاب:** يقوم الكتاب بتسجيل أحكام وقرارات المحكمة القضائية ويسهر الشواش على الأمن داخل المحكمة.<sup>3</sup>

وكان بإمكان كل شخص متضرر من حكم القاضي أن يطعن فيه ويستأنف الحكم أمام المجلس القضائي الذي ينعقد كل يوم جمعة في عاصمة البايك بالمسجد الأعظم، ويتشكل من القاضيين المالكي والحنفي، المفتيين، العدول وناظر المسجد، للفصل في القضايا الأكثر خطورة وكان يرأسها الباي بنفسه وقايد الدار، وأعضاء هذه المحكمة يشكلون هيئة العلماء ولهم دراية بالدين والقانون.<sup>4</sup>

ويعتبر المجلس القضائي آخر دائرة اختصاص يمكن الاستئناف أمامها على مستوى البايك، وبإمكان المتظلمين الاستئناف أمام الداي أو المحكمة العليا في المجلس العلمي أو "المجلس الشريف" الذي ينعقد كل يوم خميس ويرأسه المفتي المالكي، وكان الجامع الأعظم بالعاصمة مقراً له، ويتشكل هذا المجلس من المفتي المالكي والمفتي الحنفي والقاضيين المالكي والحنفي وكبار العلماء والقضاة وفي البداية كان يساعدهم عدد من أعيان البلد والإشراف ومن عهد حسن ميزومورطو (1683-1688م) انسحب الأعيان والأشراف وبقي فيه العلماء بمفردهم ومعهم كاهية دار الإمارة (نائب الآغا).<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 165

<sup>2</sup> Thomas Shaw, Op. cit., p. 177

<sup>3</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. 113

<sup>4</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. 114

<sup>5</sup> ابن المفتي حسين بن رجب شواش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها جمعها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص. 81

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

وكان المجلس الشريف يفصل في المسائل الهامة بحضور الباشا أو نائبه كالقضايا الفقهية الشائكة ولاسيما تلك التي يختلف فيها القضاة عند التطبيق والتنفيذ أو تلك التي يحتاج فيها الباشا إلى فتوى العلماء.<sup>1</sup> وينظر حتى في قضايا اليهود والمسيحيين.<sup>2</sup>

وكان الجامع الجديد بالعاصمة مقرا للمفتي الحنفي الذي كان في مقام شيخ الإسلام في اسطنبول<sup>3</sup> وللأفراد الحرية في اختيار المجلس الذي يريدونه وتعتبر أحكام المجلس العلمي نهائية غير قابلة للاستئناف. وفيما يلي نذكر بعض رجال الإفتاء على المذهب الحنفي والمالكي الذين شغلوا هذه المناصب في عهد محمد بن عثمان باشا:<sup>4</sup>

- علماء الإفتاء من الحنفية: مصطفى بن عبد الله (1150هـ/1766م)، محمد بن مصطفى (1180هـ/1766م)، حسن بن احمد (1191هـ/1776م)، محمد بن إسماعيل (1200هـ/1785م) محمد بن عبد الرحمن (1204هـ/1789م).

- ومن علماء الإفتاء المالكية: عبد الرحمن بن أحمد المرتضي (1180هـ/1766م) الحاج احمد بن عمرو (1180هـ/1766م) الحاج محمد بن جبدون (1185هـ/1771م) محمد بن الشاهد (1192هـ/1778م) الحاج علي بن عبد القادر (1206هـ/1791م).

3-2 القضاء العسكري: ويقصد به محاكمة أو مقاضاة مؤسسة الأوجاق، كان لا يسع القضاة وحتى الباشا نفسه النظر في القضايا المتعلقة بالانكشارية؛ فإذا ارتكب اليولداش أية مخالفة أو جنحة أو جناية، وأمسك به ينقل مباشرة إلى دار الآغا أو كما تسمى دار سركاخي، أين تتم محاكمته من طرف الآغا وتطبق عليه العقوبة فوراً وسراً بعيداً عن أعين الناس، من الجلد أو الغرامات أو السجن الموجود في دار الآغا، وأقصى عقوبة هي الإعدام.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص.258

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 157

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 259

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 74

<sup>5</sup> Thomas Shaw, Op.cit., p. 177

وإذا لم يقبض على اليولداش يبقى متابعا قضائيا، ولكن هذا المجرم إذا أخذ وقت هو قدمت له المساعدة وتمكن من الهرب لمدة ستة أشهر أو عام، يعود بعد ذلك إلى مدينة الجزائر ويسقط عنه الحكم<sup>1</sup>.

كذلك إذا هرب القاتل سواء كان من الرعايا أو اليولداش واختبأ في إحدى الزوايا الثلاثة لمدينة الجزائر لا يقبض عليه احتراما للولي وينتظرونه إلى حين يخرج بنفسه طالبا الماء أو الأكل ويقبض عليه<sup>2</sup>.

كما لا يقبض على اليولداش في المدينة خلال النهار إلا من طرف الشواش<sup>3</sup>، وإذا تخاصم اثنان من اليولداش بالخناجر في الطريق، فلا يتدخل أحد من العرب لفض النزاع<sup>4</sup>. وفي الليل يقبض عليهما فقط من طرف "قرة قولك" (Karakolluk) وهي الفرقة العسكرية الليلية وظيفتها التنقل بين أحياء المدينة ليلا وتفقد أحوالها الأمنية<sup>5</sup>.

من خلال ما تقدم حول القضاء في المدن وبفرعيه الجنائي والمدني لاحظنا عدم مركزتيه، ذلك أن المحاكم الأولية ومحاكم الاستئناف من الدرجة الثانية كانت موجودة على مستوى كل بايلك، كما أنه يستطيع أي شخص اللجوء إلى المحكمة وعرض قضيته مباشرة دون محام على القاضي، الذي لا يتأخر في إصدار حكمه بالاستعانة بالمفتي.

وإذا رأى المدعي أنه متضرر من الحكم فمن حقه الاستئناف أمام المجلس العلمي الذي يجتمع كل يوم جمعة، وإذا لم يقبل بالحكم مرة أخرى يمكنه الطعن أمام الباشا نفسه، أو أمام المجلس العلمي الأعلى أو المجلس الشريف في المسجد الأعظم بالعاصمة، وأحكام نهائية لا تقبل الاستئناف.

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 86

<sup>2</sup> هذه الزوايا الثلاثة في مدينة الجزائر: هي زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية الولي داه، وزاوية عبد القادر الجبلاي. لمزيد من التفاصيل حول موضوع الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني ينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 262-273.

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.86

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.86

<sup>5</sup> كلمة "قرة" تعني الليل، "قول" بمعنى فرقة عسكرية واللاحقة "لق" دالة على الوظيفة، والكل يعني الفرقة العسكرية الليلية، ثم تطور المصطلح من "قره قول" إلى كركول والذي مازال دارجا على ألسنة أهل الشام حي يومنا هذا، ويعني مقر الشرطة، مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص. 349

كما أن العقوبات كانت رادعة سواءً جسدية كالجلد أو الحبس، وقد تصل حتى إلى الإعدام في حالات الخيانة والقتل المتعمد، والمساس بأمن الدولة، أو التفرغ والمصادرات، مما ساعد على نشر الأمن والاستقرار في عهد محمد بن عثمان باشا، الأمر الذي جعل "فنتير دي باردي" يشيد بالأمن السائد في مدينة الجزائر<sup>1</sup>.

### ثالثاً: سياسته الاجتماعية

#### 1- مد الشبكة المائية في مدينة الجزائر:

يذكر اندريه ريمون أن مدينة الجزائر قبل الوجود العثماني كانت خالية من أي نظام للتزود بالمياه عكس مدينة تونس مثلاً، التي استفادت من هذا النظام في عهود سابقة خاصة في العهد الحفصي، ولقد بادر العثمانيون بعد استقرارهم بالجزائر إلى تنظيم الشبكة المائية وتسخيرها للاستغلال الزراعي وتلبية حاجات السكان المتزايدة<sup>2</sup>. إذ حرص العديد من الباشوات والآغوات والدايات على القيام بأعمال خيرية في مجال المنشآت العمرانية الخاصة بالمياه، مثل الآبار والعيون والسواقي والأحواض والصحاريج والقنوات التي تشكل في مجموعها شبكة مائية كثيفة، وكانت لهذه المنشآت أحباس من الأملاك والأراضي الزراعية التي يخصص مردودها لسد النفقات المترتبة على صيانتها<sup>3</sup>.

لقد أنشأ حكام الجزائر العثمانيين ثلاث قنوات أساسية منذ نهاية القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر كانت تزود مدينة الجزائر بالمياه الشروب والاستعمال المنزلي، وتعتبر كذلك المصدر الأساسي للأحواض والعيون والسواقي والحمامات الواقعة داخل المدينة وأقدم القنوات هي:

- **قناة التلاوأملي:** قام بتشييدها حسن باشا في حوالي عام 1550م تصدر من المنابع الواقعة في مرتفعات مصطفى الأكبر والمشرفة على خليج الجزائر، وتصل إلى المدينة عن طريق الباب الجديد لتصب في خزان الماء المقام على ارتفاع 85م بالقرب من تحصينات

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op. cit., p.98

<sup>2</sup> أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة، لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات، القاهرة،

1991، ص. 120 - 121

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 407



## الفصل الأول: السياسة الداخلية

القصبية، ويبلغ طولها 48800م<sup>1</sup>، ومعدل تدفق المياه فيها من 6 إلى 7 لتر/ثانية أي ما يقدر بـ 561 ألف لتر يوميا، وتوزع مياه القناة على 29 عينًا بالثكنة الجديدة التحتية بجوار قصور الجنية<sup>2</sup>. ويحصى الأستاذ عبد الجليل التميمي عدة عيون في مدينة الجزائر من خلال الدراسة التي أنجزها حول "وثيقة خاصة بالأملاك المحتبسة باسم الجامع الأعظم في مدينة الجزائر" منها: عين الزرق، عين عبد الله عالج، عين الحمراء، عين جديدة، عين العطش، عين مراد قورصو، عين الرباط، عين السخونة وغيرها.<sup>3</sup>

- **قناة بيرتراريا:** أوطارية: أنشأها عرب أحمد باشا سنة 1573م تجلب مياه عيون بيرطرية، وتتروذ في طريقها نحو مدينة الجزائر من آبار وعيون عدة واقعة بمنحدرات وادي المغاسل المعروف بالوادي الرطب (Frais Vallon)، ويبلغ طولها 1800 مترا وتغطي احتياجات الجهة الشمالية لمدينة الجزائر بمعدل تدفق قدره 1.46 لتر/ثانية أي 126140 لترا يوميا<sup>4</sup>.

- **قناة الحامة:** أنشأها أحد المهندسين الأندلسيين يسمى "أوسطا موسى" ( S'ta Moussa) سنة 1611<sup>5</sup>. ثم أدخلت عليها عدة إصلاحات فيما بعد أهمها تلك التي قام بها خوجة العيون بأمر من محمد بن عثمان باشا، ويبلغ طولها 4300م تدخل المدينة من باب عزون، يبلغ تدفق مياهها، 9 لتر/ ثانية، بصفة شبه ثابتة أي بمعدل 777600 لتر يوميا<sup>6</sup>، ولعل الأسير كاتكارت قد شرب من إحدى هذه العيون بالمدينة، وتحدث عن عذوبة مائها فقال<sup>7</sup>: "إن الانطباع الذي رسخ في ذهني عن هذه العين لا يمحي وسيبقى عالقا بذاكرتي مدى الحياة". وأشار إلى ذلك أيضا فنثير دو باردي حيث ذكر أن محمد بن عثمان باشا كان يتداوى بالماء النقي وينتظر بصبر شفاؤه كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص. 411

<sup>2</sup> أندري ريمون، المرجع السابق، ص. 121

<sup>3</sup> عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحتبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، 1980، تونس، ص. 25.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيديوني، المرجع السابق، ص. 411-412.

<sup>5</sup> أندري ريمون، المرجع السابق، ص. 121

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيديوني، المرجع السابق، ص. 412

<sup>7</sup> مذكرات أسير الداوي كاتكارت، المصدر السابق، ص. 20

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

لقد ظلت مدينة الجزائر تتزود بالمياه بواسطة تلك القنوات الثلاث إلى غاية بداية القرن التاسع أين قام حسين باشا (1818 - 1830م) آخر الحكام العثمانيين بالجزائر بتشييد قناة رابعة وهي:

-قناة عين زبوجة: تعتبر أطول القنوات الأربعة إذ يزيد طولها عن 9 كلم تتحصل على المياه من منابع بن عكنون، ثم تتصل بقنوات فرعية يبلغ طولها 3 كلم، وهو مشروع هام وضخم تطلب المرور عبر أنفاق واجتياز الوديان، لتصل المياه إلى القصبية وتغذي 14 عينًا. يبلغ معدل تدفق الماء بها من 8 إلى 9 لتر/ ثانية أي ما يعادل 734400 لتر يوميا، ولكنها تنقص في فترات الجفاف<sup>1</sup>.

لقد اهتم الباشوات والدايات بإقامة العيون العامة المزودة بالأحواض ومد القنوات، وكان من أبرزهم علي باشا (1754-1766م)، سلف محمد بن عثمان باشا الذي أولى اهتماما كبيرا بمسألة توفير المياه لسكان مدينة الجزائر، حيث أقام 12 عينًا<sup>2</sup> عمومية وأصلح قنوات المياه بعد الزلزال العنيف الذي ضرب المدينة عام 1755م، والذي أدى إلى نقص المياه ومعاناة السكان، وبغية إصلاحها بسرعة فرض ضريبة على الأهالي<sup>3</sup> وبذلك أصلحت مناهل المياه، والطرق وعاتت الحياة إلى الهدوء<sup>4</sup>.

ومن مآثره أيضا أنه جعل خزانات للمياه تحفظه بشكل ممتاز ومنبعًا لكل العيون ومسالك المياه بالمدينة، كما نظم مسالك قنوات صرف المياه القذرة إذ تنتهي كلها للبحر، ومن بين العيون التي أنشأها علي باشا، عين الأزرق، سنة 1179هـ/1765-1766م، عين البحرية 1764م وقام أيضا بتجديد عين الحامّة وإصلاحها سنة 1173هـ/1759م، وهذه العين ما زالت موجودة إلى اليوم في حديقة التجارب بالحامّة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 412-413/ أندري ريمون، المرجع السابق، ص 121

<sup>2</sup> صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا (1754-1766)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 101

<sup>3</sup> H.D-De Grammont, Op.cit., p. 314

<sup>4</sup> عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمود عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989. ص 518

<sup>5</sup> صليحة جبار، المرجع السابق، ص 102-107

ولم يكن اهتمام محمد بن عثمان باشا أقل من باقي باشوات الجزائر في انشاء العيون ومد القنوات، ذلك أنه بعد أن تمكن من اخضاع القبائل المتمردة (أهل فليسة) وردّ العدو الخارجي، واستقرت الأوضاع وعاد الأمن للبلاد، التفت إلى احتياجات السكان الضرورية، فقام بعمل خيرى وحيوي فيه فائدة للناس أيام السلم والحرب وخاصة في حالة إذ ما وقع حصار على المدينة، وعملا بقوله تعالى "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا"<sup>1</sup>. قرر باشا الجزائر جلب مياه الحامة إلى المدينة فتشاور مع خوجة العيون والعمال المختصين فوافقوه الرأي، وبدأ العمال بتجديد مرافق قناة الحامة في 7 شوال 1203هـ/1788م من أجل المحافظة على المياه من التسرب إلى أن وصلت إلى المدينة<sup>2</sup> وزودها بحوض ذي شكل غير منتظم وزينه بزخارف بسيطة<sup>3</sup>.

ويقول صاحب تحفة الزائر عن هذا العمل: "أصلح قناة الحامة وأجرى ماءها إلى ساقيات اتخذها على أبواب المساجد والأبراج والحصون وخوابٍ من الرخام في شوارع البلد وأوقف أوقافا جارية"<sup>4</sup>. وتلك الأوقاف كانت لخدمة مجرى الماء إن فسد، ولأجرة وكيل الماء، ووزعه على الثكنات العسكرية والميحدات للوضوء وما تبقى فرقه على ميحدات العيون بزقاق البلاد يملأ الناس منه لمنازلهم، وكان الماء الموجود من قبل لا يكفي للبلاد<sup>5</sup>. وعين الحامة هذه ماؤها ساخن يتداوى به المرضى<sup>6</sup>.

إضافة إلى ما ذكرته المصادر حول إنشاء قناة الحامة، توجد وثيقة<sup>7</sup> تعود إلى نهاية جمادى الأولى من سنة 1183هـ/1769م تبين أن خوجة العيون في ذلك التاريخ كان السيد أحمد خوجة، وتوضح كيف قام بالبحث عن أوقاف جديدة لضم عوائدها لصالح عيون المياه.

<sup>1</sup> سورة الأنبياء، الآية 30.

<sup>2</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Op. cit, p.121

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 401

<sup>4</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، تعليق، ممدوح حقي، دار ثالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. 141

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 24

<sup>6</sup> نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 118

<sup>7</sup> أورد هذه الوثيقة مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-

1830م، من واقع الأوامر السلطانية وعقود المحاكم الشرعية، ط1، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000، ص. 164-165

حيث لاحظ حانوتا مهديا لا منفعة فيه، بحث عن مالك أرضه في أوقاف الجزائر كلها فلم يجد لها محبسا، ولا مالكا ولا مرجعا، عندئذ طلب من محمد بن عثمان باشا أن يأذن له في إعادة بناء الحانوت (الدكان) من الأوقاف الخاصة بالعيون لتضاف عوائده لمصلحة المياه وعمالها.

وافق الباشا بعد أن تأكد من عدم ملكية أرض الحانوت لأي طرف وسجل العقد في المحكمة الشرعية على يد القاضي الحنفي السيد ابن عبد الله السيد أفندي، وهذا جزء من بداية الوثيقة "الحمد لله بعد أن كان تهدم جميع بناء الحانوت الكائنة خارج باب عزون المقابلة لفندق الكبير في السالف عن التاريخ بأعوام عديدة وسنين مديدة... وصارت الحانوت المذكورة بقعة لا منفعة فيها أصلا ورام الآن المعظم الأجل السيد أحمد خوجة العيون في التاريخ ابن خليل إقامة بناء الحانوت المذكورة من مال أوقاف ما هو حبس على العيون...<sup>1</sup>.

وعلى أية حال كانت شبكة المياه في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من قنوات وسواقٍ وعيون وأحواض وخزانات، محل رعاية واهتمام الحكام الذين كلفوا للسهر عليها جهازا إداريا، أوكلوا الإشراف عليه إلى خوجة العيون، وأوقفوا عليه الأملاك لينفق على صيانتها وإصلاحها، ولم يبخل أهل الخير من السكان بالهبات والجهد ليستثمر تلك الشبكة في تلبية حاجيات السكان الخاصة أو من أجل العمل.

هذا، ويشيد "وليم سبنسر" بمستوى تطور شبكة المياه في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر وجعلها مساوية لأية مدينة أخرى من مدن البحر الأبيض، فيقول أن المدينة قد تجهزت جيدا بماء الشرب والغسيل زيادة على ما كان ميسرا لها من آبارها الصغيرة<sup>2</sup>. وكانت كمية المياه التي يتزود بها السكان حتى نهاية العهد العثماني 50 لتر لكل فرد يوميا، وهي كمية كافية للاستعمال المنزلي ولممارسة النشاط الاقتصادي، وقد استمر العمل بنفس شبكة المياه بعد الاحتلال الفرنسي والى غاية سنة 1880م، رغم زيادة عدد السكان الكبير<sup>3</sup>. وهي دلالة على المستوى العالي لشبكة المياه العثمانية بالمدينة.

<sup>1</sup> مصطفى أحمد بن حموش، المرجع نفسه، ص. 165

<sup>2</sup> وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 55

<sup>3</sup> أندري ريمون، المرجع السابق، ص. 122

ولقد زودت هذه الشبكة المائية الأفران والحمامات والفنادق والثكنات والدكاكين خاصة المدابغ والمصابغ وفي صناعة الآجر والخزف<sup>1</sup>، وغيرها من الصناعات التقليدية التي تتطلب كميات كبيرة من المياه.

ويبرز هنا الدور الاقتصادي للشبكة المائية وخاصة الحمامات التي تستهلك كميات كبيرة من المياه الساخنة والباردة، وحسب "هايدو" كان عدد الحمامات نهاية القرن السادس عشر التي أنشأها الباشوات ما بين 50 و60 حماما خاصا، وواحد من بينهم كان يسمى باسم حسن باشا بن خير الدين بربروسا، وشكله الخارجي مقبب ومن الداخل بلاطه من الرخام، وأغلب تلك الحمامات كانت تسير من طرف جماعة بني مزاب المختصين في هذه الحرفة<sup>2</sup>. ومن أهم الحمامات الأخرى: حمام القصبية، حمام مالح، حمام سركاجي، حمام قايد موسى، حمام جلاللي، حمام صغير، حمام باب الوادي، حمام باب الجزيرة، وغيرها<sup>3</sup>.

يعتبر تزويد المدينة بالمياه من بين أهم الإنجازات العظيمة التي قام بها الولاة العثمانيون بالتعاون مع أهل الخير من الجزائريين للمصلحة العامة، وعلى درجة كبيرة من التطور يُضاهي المدن الأوروبية في تلك الفترة، وهذا العمل الهام والحيوي ما زالت آثاره باقية إلى اليوم، يحسب لصالح الحكام العثمانيين لأن غايتهم في ذلك المنفعة العامة ونيل الأجر من الله سبحانه وتعالى.

## 2- تجديد المعالم الدينية- مسجد السيدة نموذجا:

يتهم الحكام العثمانيون سواء في الأناضول أو في الولايات التابعة لهم كالجزائر مثلا باهتمامهم بالأمر العسكري دون المدنية، وحبهم للمال وابتعادهم عن الدين والثقافة، وتشجيعهم للطرق الصوفية وعدم تشجيعهم للعلم والعلماء، ولم يعتنوا بالدين إلا في ما يخدم مصلحة الحكم والأمن، واكتفوا ببناء المساجد وحبس الأوقاف عليها وتوقير الأولياء

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 415-417

<sup>2</sup> Don Diégo de Haede, Topographie et Histoire Générale d'Alger, 1612, Trad., MM, Le Dr. Monweaaw et A. berbrugger, Imp., valladolid, pp. 384- 385

<sup>3</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص25

الصالحين والمرابطين<sup>1</sup>، وحسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن محمد بن عثمان باشا الذي حكم لمدة ربع قرن لم يخالف هذه السيرة، ويقول عنه<sup>2</sup>: "وقد دام حكم محمد باشا 25 سنة دون أن نعرف أنه قد كرم شاعرا أو أجاز كاتباً على تأليف أو شجع حركة التعليم".

غير أننا عثرنا على وثيقة في أرشيف "فيما وراء البحار" بفرنسا بالسجل رقم 62 يعود تاريخه إلى عهد "محمد بن عثمان باشا" تبين أن هذا الداوي تبرع ب 156 كتاب باللغة العربية إلى ناظر بيت المال في عام 1199هـ / 1784م، وجعلها وقفا على البيت، وكانت في مختلف المواضيع من بينها: كتاب "شرح منظومة ابن وهبان" في اللغة، وفي الفقه الإسلامي كتاب "الدرر النظيم في خواص القرآن العظيم لليافعي"، وكتاب "ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه" لابن سلمة في تفسير القرآن الكريم، وكتاب آخر في التصوف "مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة" لأبي عباس في التصوف، كتاب "جامع صحاح السنن من الإسراف لمعرفة الأطراف" من خمسة أجزاء، ونسخ عديدة للقرآن الكريم<sup>3</sup>.

والراجح أن محمد بن عثمان باشا كان يمتلك مكتبة كبيرة في مختلف المواضيع والعناوين، أمضى حياته في اقتناء كتبها وقراءتها خاصة أنه كان أعزب ولم يكن لديه رفيق غير الكتب. كما تبين لغة الكتب وعناوينها أن الباشا كان رجلاً يتقن اللغة العربية، وعلى ثقافة واسعة في علوم الدين والحديث والتصوف، وأراد أن يستفيد طلبة العلم من كتبه، فتبرع بقسم منها أو كلها لاندري، وقد تكشف مصادر أخرى في المستقبل عن المستوى الثقافي الحقيقي لهذا الداوي المتميز.

ومن جانب آخر سار محمد بن عثمان باشا على طريقة سلفه في انجاز المنشآت الخيرية ذات المنفعة العامة كتوزيع المياه وتشديد المساجد، وحبس الأوقاف عليها. وقد أحصى "هايدو" نهاية القرن السادس عشر في مدينة الجزائر لوحدها مائة مسجد كبير وصغير شيّدوا من طرف الحضرة، الأتراك، والأعلاج، وأوقفوا عليها الهبات المعتبرة لصيانتها وللعاملين عليها وذكر سبعة مساجد أساسية منها: المسجد الأكبر، مسجد القشاش، جامع

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 193

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص.172.

<sup>3</sup> A.O.M. 288 MI, Archives Turques d'Alger, 15 MI, 17 vol. Novembre 1791, Registre N° 62, ANN. Moharam 1158/ Février 1745 à Rabi II 1206, 56 feuilles, arabes, p.52

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

السيدة، مسجد كتشاوة وجامع سيدي رمضان.<sup>1</sup> وكانت الحكومة العثمانية بالجزائر لا تتكفل بالمنشآت الدينية سواء كانت مساجد، مصليات أو زوايا، وكانت تبني دائما من طرف الأفراد، وتمون عن طريق الهبات والتبرعات والأوقاف التي يقدمها المسلمون، فكانت كل منشأة تتكفل بنفسها وتسير من طرف وكيل يعينه الباشا إضافة إلى عدد آخر من الموظفين على حسب حجم وأهمية المؤسسة.<sup>2</sup>

وكان يوجد في كل مدينة ما يسمى بالجامع الأكبر أو الأعظم ويكون هو الأجل والأوسع وفيه مقر للمفتي، والجوامع هي التي تؤدى بها صلاة الجمعة وتكون بها مئذنة ومنبر وعدد الموظفين بها كبير وهم:

-**الوكيل:** وهو مكلف بإدارة المصاريف المالية للمؤسسة، وجمع الأموال من العقارات الموقوفة.

-**الشاوش:** وهو مساعد الوكيل في تسيير أمور المسجد ومسؤول عن النظافة والإنارة.

-**الإمام:** يؤم المصلين في الصلوات الخمس المفروضة.

-**الخطيب:** يؤدي خطبة وصلاة الجمعة.

-**المؤذن:** ويسمى باش شاوش، يؤذن للصلوات الخمس بأعلى صوته.

-**الحزّاب:** أويّاش حزّاب يقرأ القرآن مع الطلبة في ساعات معينة ولوقت محدد وأيضا

البخاري وكتب أخرى.<sup>3</sup>

أما في المساجد الصغيرة (المصلى) فلا توجد بها مئذنة ولا منبر ومساحتها صغيرة ولا تحتوي على أية زخرفة وواجهتها بسيطة ولا تعلوها صومعة كما في المساجد الكبيرة ويعمل بها وكيل واحد فقط، يشتغل كإمام ومؤذن وحزّاب للقراء وأحيانا أستاذًا للمدرسة.<sup>4</sup> وكان الوكيل في المساجد الصغيرة أو الكبيرة يقوم بإحصاء أموال الأوقاف والتبرعات، فيخصص أولا مصاريف صيانة المؤسسة، ثم مصاريف إقامة الصلاة مثل شراء

<sup>1</sup> Don De Heado, Op.cit., pp.383-384

<sup>2</sup> A. Devoulx, Les Edifices, religieuse de L'ancien Algérie, in R.A, N° 6, 1862, éd., A, Jourdan, Alger, p. 370

<sup>3</sup> A. Devoulx, Op. cit., p. 375

<sup>4</sup> Idem.

الزيت للمصاييح، النظافة ويدفع أتعاب الموظفين، وما تبقى بعد اقتطاع المصاريف الإجبارية يعتبر أجره الوكيل القائم بهذه المهام، ذلك أنه لا يتقاضى أجره من الدولة<sup>1</sup>. وأهم ما يميّز المساجد في العهد العثماني بالجزائر، الصومعة والمحراب والمنبر والعرضات وبعض المساجد كانت مبنية بالرخام والزليج المجلوب من الخارج (تونس، إيطاليا)<sup>2</sup>.

ومن الباشوات الذين اهتموا ببناء المساجد: الحاج حسين ميزومورطو الذي أسس جامعاً كبيراً سنة 1097هـ/1685م. أوقف عليه أراضي ودكاكين وسوق، وقام عبدى باشا كذلك ببناء مسجد جامع وأوقف عليه أوقافاً جعلها تحت إدارة أوقاف مكة والمدينة، محمد بكداش بنى زاوية للأشراف<sup>3</sup> وأوقف عليها، على بن تشين بنى جامعاً حمل اسمه يعود تاريخ بنائه إلى 1031هـ/1622م ولقد حوله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة (NOTRE Dame Victoire) وله واجهة تقابل نهج باب الوادي، وعاد مسجداً بعد الاستقلال، كما قامت مجموعة من الجنود ببناء مسجد اسمه "محل صيد السمك" أو (الحواتين) سنة 1070هـ/1660م. وكان مثالا هاما من حيث الصنع والهندسة والزخرفة<sup>4</sup>.

إضافة إلى الباشوات اهتم الوزراء وكبار الضباط والرياس، وحتى النساء بتشيد المساجد كالسيدة مريم، المرأة الصالحة التي خصصت جزءاً من ثروتها لتجديد مسجد يقع على بعد بضعة أمتار من باب الوادي إلى جهة اليمين، وهو مسجد صغير بدون منئذنة حمل اسمها وهو "مسجد ستي مريم" أو مسجد "الست مريم"، في متوسط رجب 1070هـ/1681م، وأوقفت عليه الأوقاف<sup>5</sup>. حولته إدارة الاحتلال الفرنسي إلى إدارة عسكرية ثم هدمه الاحتلال الفرنسي سنة 1840م<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> A. Devoulx, Op. cit., p. 375

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 447.

<sup>3</sup> الأشراف بالجزائر هم الذين ينحدرون من سلالة فاطمة الزهراء ابنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ولهم قيمة كبيرة عند الحكام والمسلمين ينظر: A. Devoulx, Op.cit., p.375

<sup>4</sup> رشيد بوربية، رشيد الدكالي، المساجد في الجزائر، سلسلة فن والثقافة، وزارة الأخبار، مطبعة التامير، إسبانيا 1970، ص 50-54

<sup>5</sup> A. Devoulx, Op.cit., pp. 29-30.

<sup>6</sup> رشيد بوربية، رشيد الدكالي، المرجع السابق، ص. 47



## الفصل الأول: السياسة الداخلية

أما محمد بن عثمان باشا فقد قام بتجديد مسجد السيدة، والذي كان من أهم مساجد الجزائر ويرتاده الحاكم وكبار رجال الدولة والأعيان، ذكره "هايدو" من بين أهم المساجد في المدينة، وأعاد بناءه محمد بن عثمان باشا في 1198هـ/1784م<sup>1</sup>، وزينه بأعمدة من الرخام الأبيض وكسا حيطانه بالزليخ حتى لا يرى البياض بداخله إلا المنبر وأعراس الرخام. وكان بجوار دار الإمارة<sup>2</sup>. وخلال إعادة بنائه اشترى الباشا الحوانيت المحيطة بالمسجد بغرض توسيعه وبنى دكاكين جديدة على حواف المسجد أوقفت عليه<sup>3</sup>.

يتميز مسجد السيدة بعمارته الجميلة وبساطة مظهره الخارجي، أما من الداخل فقد كانت هندسته رفيعة وفنونه الزخرفية بديعة وتعلوه في الوسط قبة كبيرة تستند إلى حوالي عشرين عمودا من الرخام الأبيض، وقد نقل المنبر والأعمدة بعد هدمه سنة 1830 إلى المسجد الجديد<sup>4</sup>. وقد أشاد بروعة هندسته المعمارية "دوفو" الذي يرى أن مسجد السيدة وكتشاوة من أحسن المساجد التي شيدها الأتراك في الجزائر لجمال أعمدة المرمر بهما وحيوية الألوان المزينة لهما<sup>5</sup>. وللأسف الشديد تعرض مسجد السيدة للهدم، وضاع أثر مهما من تاريخ الجزائر وشاهدٌ على انجازات الهندسة المعمارية الجزائرية في تلك الفترة.

لقد كان اهتمام المسلمين ببناء المساجد في الجزائر يتزايد من سنة إلى أخرى، وقد أحصى "دوفو" في سنة 1830م ثلاثة عشر مسجدا جامعا، مائة وتسعة مساجد صغيرة، 12 زاوية والمجموع 134 مبنى مخصصا للعبادة<sup>6</sup>. ولم تكن المساجد مكانا للعبادة فقط بل كانت مدرسة للتعليم وداراً للقضاء ومأوى للطلبة وعابري السبيل<sup>7</sup>. ومعظم الجوامع كان بها مكتبات موقوفة على القراء والطلبة والأساتذة، وهي متنوعة مصاحف وكتب دينية مختلفة<sup>8</sup>. وازدياد

<sup>1</sup> مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكيس والوثائق العثمانية، ترجمة، تحقيق، تعليق، مصطفى بن حموش، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص. 65

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 24

<sup>3</sup> مساجد مدينة الجزائر وزواياها ...، المصدر السابق، ص. 65

<sup>4</sup> مساجد مدينة الجزائر وزواياها ...، المصدر السابق، ص. 66

<sup>5</sup> A. Devoulx, les Edifices..., R.A, N :°6 Op.cit., p. 375

<sup>6</sup> Idem, p. 372.

<sup>7</sup> حورية قايش، التحليل اللغوي الخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي: ديوان أشعار أبو القاسم سعد الله نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشلف، 2007-2008، ص. 17

<sup>8</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 255

عدد المساجد في الجزائر باستمرار هو دليل على قيمتها الكبيرة في قلوب المسلمين الجزائريين، فجميعهم كان يساهم في تشييد وصيانة المساجد كل على حسب استطاعته ومقدرته، فبناء المساجد وإعمارها وتهيئتها للمصلين، من أفضل أعمال البر والخير التي رتب عليها الله تعالى ثوابا عظيما، وهي من الصدقة الجارية التي يمتد ثوابها وأجرها حتى بعد موت الإنسان، مصداقا لقوله تعالى: ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ).<sup>1</sup>

لا نستطيع تجاوز مساجد مدينة الجزائر دون التحدث عن مسجدين لهما أهمية كبيرة من الناحية التاريخية والعمرانية ونقصد الجامع الأعظم (الجامع الكبير) وجامع كتشاوة.

**2-1 جامع الأعظم (الكبير):** يعد أكبر وأقدم الجوامع، بناه المرابطون في أول رجب سنة 490هـ/14 جوان 1092م، له قاعدة صلاة كبيرة وجميلة وأقواسها مسننة أو كما تسمى مخرسة بكيفية متناسبة للغاية، احتفظ بمنبره وهومن أقدم المنابر وأروعها من حيث نقوشها البديعة، أدخلت عليه تحسينات وإصلاحات في العهد العثماني من بينها جلب المياه وإقامة نافورات في ساحة مكشوفة<sup>2</sup>.

اتخذ الولاة العثمانيين من الجامع الأعظم مقرا يجتمع فيه المجلس القضائي لفصل النوازل بين الأهالي وكان يعين على رأس المجلس مفتي حنفي وآخر مالكي، إضافة إلى القضاء والعبادة كانت له أدوار في غاية الأهمية منها:

- دوره في تكتيل الصفوف لمواجهة الغزاة الأجانب ورفع المعنويات وحث الناس على التضحية بل أن نتائج المعارك الحربية والانتصارات كانت تقرأ من فوق المنابر.

- الدور التعليمي للجامع الأعظم وزاويته، فكان من أبرز المظاهر التي تميز بها خلال العصر العثماني وقد وجدت به مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب والمخطوطات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة التوبة الآية 18

<sup>2</sup> رشيد بوربية، رشيد الدكالي، المرجع السابق، ص. 14

<sup>3</sup> عبد الجليل التميمي، من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد 19 / 20 أكتوبر 1980، تونس، ص. 157-159

- لقد عرف الجامع الأعظم خلال العهد العثماني نشاطا قضائيا ودينيا وتعليميا وسياسيا مهما، أكثر من بقية المساجد الأخرى التي بناها الولاة العثمانيين أنفسهم. ومن خلال الوثيقة التي نشرها الأستاذ عبد الجليل التميمي حول أوقاف الجامع الأعظم في الفترة العثمانية يتبين لنا أن عدد عقود تحبیس العقارات كان يتزايد من سنة إلى أخرى بشكل ملحوظ، وخاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث بلغ عدد العقود 227 عقداً. مقارنة مع النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان عددها 157 عقداً<sup>1</sup>، وأغلب أسماء المحبسين كانوا من الحجيج، وهذا دلالة على وضعهم المالي الجيد مما سمح لهم بأداء فريضة الحج وحبس العقارات لصالح المسجد الأعظم مثال على ذلك:

- "العقد رقم 22 المؤرخ في سنة 1197هـ/1783م، جميع الدار الكائنة قرب حمام سيركاجي، تحبیس الحاج محمد بقط. وكذلك العقد رقم 29 المؤرخ في سنة 1196هـ/1782م، عقد الدار الكائنة بحومة بيرزق، تحبیس الحاج حسين رئيس". كما كان للنساء الصالحات والثريات نصيباً في التحبیس مثل: "العقد رقم 24 المؤرخ في سنة 1216هـ/ (1801-1802)م، عقد الدار الكائنة بحومة السلاوي، تحبیس الولية فاطمة الزهراء"<sup>2</sup> وغيرها كثير.

### 2-2 مسجد كتشاوة:

ذكره "هايدو" من بين المساجد السبعة الأساسية في مدينة الجزائر عند زيارته لها عام 1581م<sup>3</sup>. أما تاريخ تأسيسه فمزال مجهولاً. ويؤكد "دوفو" وجود عقد يعود إلى سنة 1021هـ/(1612-1613م) يذكر فيه الجامع<sup>4</sup>. ومعنى ذلك أن تاريخ المسجد يعود إلى القرن السادس عشر وربما قبل تواجد الأتراك أنفسهم بالمدينة. وقام حسن باشا (1791-1798)م عام 1209هـ(1794-1795)م بإعادة تصميمه وفق نموذج مسجد السيدة وأوقف عليه عدة مبانٍ داخل المدينة، جزء للعاملين فيه والباقي على الإنارة وباقي مستلزماته<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحتبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص. 19

<sup>2</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه، ص. 29

<sup>3</sup> Don Diego De Haedo, Op. cit, p.384

<sup>4</sup> مساجد مدينة الجزائر وزواياها ...، المصدر السابق، ص. 69

<sup>5</sup> مساجد مدينة الجزائر وزواياها ...، المصدر نفسه، ص. 69

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

وكان موقعه كحدٍ فاصلا بين المدينة العليا<sup>1</sup> المعروفة بالجبل الآهل بالسكان والمدينة السفلى التي فيها الأسواق والمقاهي والفنادق، فضلا عن المساجد، ودار الإمارة، قصر الجنية<sup>2</sup>.

وقد أشاد "دوفو" بجمال هندسته المعمارية وزخرفته المتنوعة<sup>3</sup>، وكانت حجرة الصلاة مربعة الشكل مغطاة بقبة مثمثة الأضلاع والزاوية الجنوبية منه ترتفع المنارة المربعة<sup>4</sup>، وأما منبره فكان في غاية الجمال والإبداع من الرخام الأبيض<sup>5</sup>.

وهناك اختلاف بين الباحثين حول أصل تسمية "كتشاوة" هل هي تركية أم محلية أمازيغية. فالرأي الأول يرى أن أصل اللفظ يتكون من كلمتين تركيتين: كجي، أووه، (kerci,oua) فالأولى تعني الماعز، والثانية تعني سهل أو رحبة وبجمع الكلمتين نحصل على سهل الماعز أو رحبة الماعز<sup>6</sup>. والرأي الثاني يقول كتشاوة هو اسم لحي أو لحارة قديمة في القصبية والمسجد أخذ اسمها<sup>7</sup>.

وقد طرح الباحث خليفة حماش في دراسة حول هذه الإشكالية كل الآراء وخرج في الأخير بنتيجة تدعم الرأي الثاني ذلك لأنه عثر على عقود مسجلة في المحكمة الشرعية تعود إلى القرن السادس عشر تبين أن اسم كتشاوة كان يطلق على حي أهل بالسكان وليس

<sup>1</sup> كانت مدينة القصبية مقسمة إلى قسمين يفصل بينهما نهج باب الوادي المدينة العليا، والمدينة السفلى. ينظر: سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص.46

<sup>2</sup> محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الأساسية في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002، ص.89

<sup>3</sup> A. Devoulx , Op. cit., p.375

<sup>4</sup> اشتمل مسجد كتشاوة على أنواع مختلفة من الزخارف منها الهندسية والنباتية والكتابية، لمزيد من المعلومات، ينظر محمد الطيب العقاب، المرجع السابق، ص-ص.93-97.

<sup>5</sup> سعاد فويال، المرجع السابق، ص.73

<sup>6</sup> خليفة حماش، اسم كتشاوة الذي يطلق على أشهر جامع لمدينة الجزائر هل هو اسم تركي، أم محلي، أعمال المؤتمر التاسع عشر للدراسات العثمانية وبحوث أخرى، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تشرين الثاني أكتوبر،

2007، تونس، ص. 31

<sup>7</sup> من الباحثين الذين قالوا بالرأي الثاني كل من الأستاذين رشيد بوربيبة ورشيد الدكالي، المرجع السابق، ص. 54. والأستاذة سعاد فويال، المرجع السابق، ص. 72

بالسهل ولا بالرحبة للماعز. ويضيف أن كلمة كتشاوة هي لفظ أمازيغي ومعناه الدودة أي حي الدودة<sup>1</sup>.

ولقد قامت إدارة الاحتلال بتحويل هذه القطعة الأثرية الفنية إلى كنيسة بعد أن هدمت معالمه الداخلية والخارجية، ولم يبق من البنيان الجميل سوى السواري<sup>2</sup>. وعاد مسجدا من جديد بعد الاستقلال، وأقيمت به أول صلاة للجمعة يوم 2 نوفمبر 1962م بإمامة الشيخ البشير الإبراهيمي:

في ختام حديثنا حول المنشآت الخيرية نقول إنه بفضل تضافر جهود الحكام العثمانيين وأعيان البلد خلقت أرضية للعمل المشترك بينهم غطت على كل الانتماءات العرقية والمذهبية، وظهر التعاون فيما بينهم كما رأينا في تزويد المدينة بالمياه غايتهم في ذلك نيل الأجر والمغفرة من الله تعالى، وتنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة الجزائر، كما ظهر هذا التعاون في بناء المساجد والزوايا التي وأوقفوا عليها الأوقاف الكبيرة، وإلى حد اليوم مازال البعض منها شاهدا على إنجازاتهم وبصمتهم الفنية المعمارية. ولقد لعبت تلك المساجد والزوايا دورا كبيرا في تعليم أركان الدين الإسلامي ونشر التعليم خاصة الديني، وفض النزاعات بين المسلمين وتوحيد صفوفهم لتلبية نداء الجهاد ضد المعتدين

### رابعا: سياسته اتجاه القبائل

كان حرص محمد بن عثمان باشا شديدا للمحافظة على إقرار الأمن والاستقرار فكان يعمل بدون هوادة لإخضاع القبائل المتمردة. مما أدى به للدخول في مواجهة دامية مع قبائل أهل فليسة:

كانت بلاد القبائل تابعة لبابلك التيطري، يحكمها باي يقيم بالتناوب بين المدينة وبرج سيباو ببلاد القبائل<sup>3</sup>. وكان أهل فليسة قبائل مستقلة عن العثمانيين ببلاد جرجرة، ولكنها تدفع ضريبة سنوية مقابل استقلالها الداخلي لقائد سيباو<sup>4</sup>. وفي بداية القرن الثامن عشر بدأ

<sup>1</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص ص. 31-53.

<sup>2</sup> سعاد فويال، المرجع السابق، ص. 73.

<sup>3</sup> Henri Federmann, Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik de TAITERI, Vol. N° 09, IN R.A 1865, éd., A. Jourdan, Alger, p.282.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 213.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

العثمانيون يتغلغلون في المنطقة فأنشأوا برج سيباو وبرج بوغني في سنة 1724م وبرج تيزي وزو، وزودوها بحاميات عسكرية لتثديد المراقبة على القبائل<sup>1</sup>. وفرضوا ضرائب جديدة على أهلها<sup>2</sup>.

وبعد وفاة قائد سيباو محمد الفريرا عام 1754م المشهور بالذباح، خرج أهل فليسة في عهد علي باشا (1754-1766م) في ردة فعل عنيفة ضد النظام المفروض منذ مدة طويلة، فهجموا على برج بوغني وهدموه وقتلوا قائده وأسروا الحامية في 16 شوال 1169هـ/16 جويلية 1756م، ثم تحالفوا مع قبائل الغرب والبيبان واستولوا على برج حمزة (البويرة)<sup>3</sup>. وفي 25 أوت 1756م جند علي باشا جيشا من العاصمة بقيادة شريف آغا وآخر من المدينة بقيادة الباي "سفطة"، ومن قسنطينة أحمد القلي باي، وتمكنوا بعد إجراء مفاوضات مع رؤساء الثوار للوصول إلى هدنة وإعادة بناء برج بوغني ودفع ضريبة رمزية في مقابل حصولهم على حرية شراء البارود، من الجزائر والقيام بالتجارة<sup>4</sup>.

نفس المتمردين ثاروا في عهد محمد بن عثمان باشا عام 1767م، لأن السلطات العثمانية فرضت الضرائب جديدة<sup>5</sup>، فامتعت قبائل فليسة عن دفعها، فأرسل لهم الباشا فرقة انكشارية، هزموها شر هزيمة، وقتل منهم 300 جندي في المعركة وفقدوا كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر، وفروا راجعين إلى الباشا<sup>6</sup>.

خلال 1768م جمع الباشا كل ما يستطيع جمعه من الرجال حيث استدعى باي التيطري وباي وهران وباي قسنطينة ليلتحقوا بالآغا وجيشه، وسلمت القيادة لأحمد القلي باي قسنطينة الذي استطاع أن يجعل من بني مقران<sup>7</sup> على الحياد بعد أن تزوج واحدة من بناتهم

<sup>1</sup> Gaid Mouloud, Les Berbères Dans L'histoire, Lutte Contre Le Colonisation, Tome3, éd., Mimouni, (s.d.), Alger, p.39

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 213

<sup>3</sup> Gaid Mouloud, Op.cit., p. 39

<sup>4</sup> Idem, p.40

<sup>5</sup> Idem

<sup>6</sup> H.D-De Grammont, Op.cit., p. 320

<sup>7</sup> جددهم الأول هو سيد أحمد بن عبد الرحمن زواوي مؤسس قلعة بني عباس خلال القرن 9هـ/15م. وحكم ابنه أحمد المقراني مجانية معا أبنائه آل مقران وكانت أسرتهم بيت علم ودين، وفقه أب عن جد، وكانت علاقتهم مع الأتراك في البداية علاقة تعاون ضد الإسبان، وبعد أن تخلصوا من الخطر الإسباني عمد العثمانيون إلى محاصرة آل مقران من كل جهة للحد من نفوذهم. وقاموا ببناء عدة حصون تحيط بإمارتهم مثل حصن حمزة، حصن صور الغزلان، حصن سطيف وحصن

لأن حركة التمرد قد توسعت كثيرا وشملت 16 قبيلة تحت قيادة الشيخ بن بوزيد بن مكلة (شيخ فليسة)<sup>1</sup>، بعد الانتصار الكبير الذي حققه على الأتراك، كما انضمت قبائل ناحية حمزة، وأقبو، وبني عباس<sup>2</sup> وبني مقران وقطعوا طريق الجزائر فلا يمر أحدا من جانب الأتراك إلا قتلوه<sup>3</sup>.

ولما وصلت قوات الباشا إلى فليسة اجتمع عليهم أهل الجبال وقاتلوهم قتالا شديدا كانت الغلبة للقبايل مرة أخرى، ومات من الأتراك عدد كبير، وانهمز أحمد باي وصاحب محلة الجزائر ولم ينج إلا القليل<sup>4</sup>، وحسب "دوقرامون" أن المعركة بدأت بالقرب من قرية أمنوش وفقد الأتراك 1200 تركي و300 رجل من فرسان القوم (Goums) وقائدهم، إضافة إلى السلاح والمؤن. وامتدت المعركة إلى أسوار مدينة الجزائر وانتشر المنتصرون على الساحل وفي سهول متيجة حيث خربوا وقطعوا الطرق وأخذوا قوافل القمح مما سبب أزمة كبيرة، ألزمت محمد بن عثمان باشا قصره بالجينة<sup>5</sup>، واندلعت التمردات في المدينة وبدأت الانكشارية تطارد قبائل المدينة وسادت الفوضى وأصبح كل تركي خائفا على نفسه<sup>6</sup>.

لكن الباشا لم يستسلم وأعد في سنة 1769م حملة جديدة وأمر آغاته بتطبيق حصار محكم حول منطقة فليسة، لا يمر أحد ولا تباع لهم ولو حبة قمح واحدة أو شعير، فلم

---

المسيلة وزودها بحاميات للحد من نشاطهم السياسي والعسكري والاقتصادي، وبعد قيام ثورة فليسة انظموا إليهم لمحاربة الأتراك، لجأ أحمد القلي باي قسنطينة لمصاهرتهم لتجنب خطرهم، لمزيد من التفاصيل ينظر: مزيان وشن، مقاومة الاحتلال بالهضاب العليا عبر العصور، إقليم برج بوعريش نموذجاً، دار كوكب للعلوم، الجزائر 2013، ص ص. 140-

155

<sup>1</sup> Gaid Mouloud, Op.cit., p. 40

<sup>2</sup> بني عباس: هم سكان جبل بني عباس، وهو جبل وعر عال شديد الانحدار متصل بالأطلس الكبير يقع على بعد 25 كلم من بجاية من جهة الغرب والجنوب، ويبعد عن مدينة كوكوب 20كم، وتوجد به قلعة سكنها رئيس هؤلاء القوم، وعند دخول الأتراك إلى المنطقة تعاون عبد العزيز من بني عباس معهم بقيادة حسن بن خير الدين في فتح تلمسان، ينظر، مارمول كريخال، إفريقيا، ج1، ترجمة، محمد حجي، محمد زنيير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بنجون، دار المعرفة، الرباط. 1989، ص. 385-389. وبسبب حصانة موقعهم ظلوا مستقبلين داخليا وشاركوا في ثورة أهل فليسة، مزيان وشن، المرجع السابق، ص. 148-150

<sup>3</sup> أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص. 137

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص. 138

<sup>5</sup> H.D-De Grammont, Op.cit., p. 320

<sup>6</sup> Gaid Mouloud, Op. cit., p. 42

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

يستطع أهل فليسة المقاومة أكثر، وانسحب حلفاؤهم المعاتقة<sup>1</sup> وبني عيسى<sup>2</sup>، وعادوا إلى قراهم ولم يقدروا على رفع الحصار بوسائلهم الضعيفة مقارنة مع قوة الجيش العثماني، فكانوا فريسة سهلة للمجاعة والانشقاق الداخلي. فاتصل ممثل فليسة حسين بن زموم بأغا الإنكشارية وبعد عدة مشاورات سرية توصلوا إلى شروط الصلح التالية:

- 1- كل قبيلة من فليسة تدفع غرامة تقدر بـ 100 ريال بوجو تقدم لقائد سيباو.
- 2- لا يجبي الأتراك الضرائب عنهم.
- 3- لا يتدخل الأتراك، في إقليم فليسة.
- 4- كل سكان فليسة معفون من السخرة الجماعية لفائدة الأتراك أو البايك.
- 5- كل فرد أصله من فليسة ويقوم بجريمة السرقة أو أية جنحة خارج حدود منطقة فليسة ينفذ فيه الحكم دون تدخل من القبيلة.<sup>3</sup>

من خلال ما تقدم يتضح أن محمد بن عثمان باشا قد طبق سياسة الترهيب والترغيب مع قبائل أهل فليسة، فلقد استعمل معهم القوة في البداية لإخضاعهم، ثم فرض شروط اتفاقية كانت أغلبها لصالحهم، ذلك لأن هدفه هو إقرار الأمن والاستقرار الداخلي والمحافظة عليهما، وتوحيد البلاد لمواجهة الخطر الأجنبي الذي يهددهم جميعا. وللمحافظة على الأمن الدائم أنشأ محمد بن عثمان باشا قيادة خاصة ببلاد القبائل في سيباو بعدما فصلها عن إقليم التيطري، وطبق هذا التقسيم عام 1775م، وعين عليه قائدا مرتبطا مباشرة بأغا الجزائر وجعل مقر بابليك التيطري مدينة نهائيا كما سبق ذكره.

### خامسا: سياسته العسكرية

يبدو أن محمد بن عثمان باشا قد بدأ يستشعر الخطر الأوربي وخاصة منه الإسباني، حيث باتت الأطماع الإسبانية تظهر لتوسيع سيطرتهم على مدينة الجزائر، وربما

<sup>1</sup> قبيلة المعاتقة: تقع على مسافة 18 كم جنوب غرب تيزي وزو، معجم قبائل ودواوير الجزائر، تحت إشراف لوميرديفيلر، إعداد، ف. اكارو، ترجمة، حمزة الأمين يحيوي، مالك بن خيرة، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص. 148

<sup>2</sup> بني عيسى: قبيلة تقع على بعد 10 كم من تيزي وزو، معجم قبائل ودواوير الجزائر، المعجم السابق، ص. 48

<sup>3</sup> Gaid Mouloud, Op. cit., p.43



على باقي الإيالة، وعليه شرع في الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة هذه الأخطار التي أضحت تهدد بلاده في أية لحظة، وقد بنى سياسته العسكرية على مايلي:

### 1- تقوية دفاعات مدينة الجزائر:

عرف عن محمد بن عثمان باشا البخل والتكشف كما ذكرنا سابقا، ولكنه في الواقع كان يبتعد عن الإسراف والتبذير، ويتبع سياسة ترشيد الأموال في النفقات العامة<sup>1</sup>، التي تقوم على ترتيب النفقات العامة على حسب الأولوية من الأهم إلى المهم لتحقيق أهداف حكومته الرامية إلى تطوير الاقتصاد، وتقوية البلاد عسكريا لمواجهة الخطر الأوروبي. ومن أجل تحقيق غايته بادر إلى زيادة تحصين مدينة الجزائر، ووجه الأعمال بنفسه، وأشرف على توزيع 1525 ليرة في يوم واحد على الأسرى الذين أصلحوا بطاريات (وهي عدد من المدافع تنصب في منطقة معينة) الميناء<sup>2</sup>. كما أنشأ عدة أبراج لمرسى الجزائر وأولها:

- **برج السردين:** يقع في الجهة الجنوبية للمدينة بمحاذاة برج "مايين" الذي أسسه لتقديم التحية للسفن الحربية، وقد كانت هذه التحية تحتوي على 21 طلقة مقسمة على عدة أبراج وسمى ببرج السردين لوجود سمكتين في نقش يعلو باب البرج ولقد شيد أول مرة في عهد علي آغا (1664-1671م)، وأعيد بناؤه من طرف محمد بن عثمان باشا سنة 1190هـ (1776-1777م)، ويتكون هذا البرج من طابقين يحتويان على 32 مدفعا، 14 منها في الطابق السفلي<sup>3</sup>.

- **برج رأس عمار:** وهو من أبراج الميناء شيد لربط رأس عمار القديم بالفنار شرقا وكان مسلحا بـ 34 مدفعا<sup>4</sup> وتظهر تلك التحصينات أن الجهة الجنوبية من المدينة كانت غير محصنة لذلك ركز عليها الباشا ببناء عدة أبراج.

<sup>1</sup> يعرف خبراء الاقتصاد سياسة ترشيد النفقات العامة أنها: " هو الحصول على إنتاج عام بأقل قدر ممكن من الإنفاق والإسراف". لمزيد من المعلومات حول مفهوم ترشيد النفقات العامة وأهدافها وشروط نجاحها، ينظر، بلعاطفي عياش، نوي سميحة، آليات ترشيد الإنفاق العام من أجل تحقيق التنمية البشرية المستدامة في الجزائر 2001-2014، أبحاث المؤتمر الدولي، تقييم أثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل والاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة من

2001-2014، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس 2013، ص. 5

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op .cit., p.324

<sup>3</sup> لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007، ص. 110-

لا شك أن الأبراج والحصون الجديدة تحتاج إلى مدافع وذخائر كبيرة حتى تؤدي مهمتها في الدفاع عن المدينة. فكيف استطاع محمد بن عثمان باشا تسليحها؟

### 2- دعم التسليح العسكري:

تصنف المدافع على رأس الأسلحة النارية الثقيلة ولا قيمة للحصون والأبراج والسفن الحربية من دونها، وقد اعتمد محمد بن عثمان باشا في توفير ما يلزم منها على طريقتين تمثلت الأولى في صناعتها محلياً، والثانية جلبها من الخارج بطرق مختلفة: نظراً لنقص المهندسين والخبراء المحليين، سعى محمد بن عثمان باشا لاستقدامهم من أوروبا للإشراف على سبك المدافع بمدينة الجزائر، وذلك ما تشير إليه الرسالة التي بعث بها إلى كونت "دوسارتين" (Conte De Sartine) وزير الدولة للبحرية الفرنسية بتاريخ 26 جوان 1775م يطلب منه صانع مدافع ماهر في عمله مثل السباك السيد Dupont (François) وابنه، وهما خبيران في سباكة المدافع، وقد تعاونوا معه من قبل مقابل أجر محدد<sup>1</sup>، وردا على هذه الرسالة أرسلت له باريس بعد موافقة الحكومة مدرّبين لتحسين أداء 200 مدفعي أرسلهم السلطان العثماني للإيالة حديثاً، إضافة إلى خبراء في سلاح المدفعية، وقاذفي القنابل وسباك المدافع السيد (Dupont)<sup>2</sup>.

كان هؤلاء الخبراء الأجانب يشرفون على الحرفيين المختصين من الأتراك، والكراغلة والعرب وعددا من الأسرى<sup>3</sup> في صناعة (سبك) المدافع تحت مراقبة وكيل الحرج وقائد المدفعيين<sup>4</sup>، يزاولون عملهم في ورشة أو شبه مصنع يسمى "دار النحاس" كان متواجدا بالقرب من باب الوادي. كما توجد به ورشات لصناعة العتاد الحربي والأسلحة الصغيرة من قنابل، قذائف سبطانات البنادق والمسدسات وقوارير البارود، وكانت هناك ورشة لصناعة أسرة المدافع وعجلاتها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أورد هذه الرسالة أوجان بلانتيث، المصدر السابق، ص. 232

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op. Cit., p. 324

<sup>3</sup> علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007، ص. 104-155

<sup>4</sup> لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 202

<sup>5</sup> لخضر درياس، المرجع نفسه، ص. 205

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

وكانت الفرقة المختصة بالمدافع تسمى بالمدفعيين (الطوبجية) وعملهم مرتبط بالمدفع وهم صناع المدافع، صناع البارود، مستعملو المدافع وتتنوع فرقة المدفعية على وحدات الأبراج، الأسوار، الحصون، القلاع، الموانئ والسفن الحربية والمتاريس<sup>1</sup>، ولكي يعمل المدفع يتطلب وجود أربعة جنود لكل منهم مهمة محددة وهم: حامل المشعل، حامل المكيال، حامل المدك، مسئول التسديد<sup>2</sup>.

وبالنسبة للبنادق، كانت هناك ورشات عديدة مختصة في صناعة البنادق بمناطق: بني راشد، جرجرة، القرقور، الحضنة، الزيبان وميزاب. وأحسن الأسلحة النارية كانت تصنع بورشات قلعة بني راشد<sup>3</sup> التي حافظت العائلات الأندلسية بها على صناعة البنادق منذ القرن السادس عشر. وقلعة بني عباس وقرى فليسة حيث كانت تصنع البنادق المزخرفة والمرصعة بالفضة والمرجان، وكذلك قرى وادي ميزاب ومدينة توقرت وبوسعادة<sup>4</sup>.

أما الذخائر الحربية التي يأتي على رأسها البارود، فكانت الإيالة تنتجها في مشاغلها (شبه مصنع)، كما تشتغل بصناعته أيضا مجموعة من الأسر ترتبط مع البايك بعقود لمزاولة الحرفة مقابل دفع ضرائب معينة<sup>5</sup>، ومن أشهر مصانع البارود "مصنع قصبه

<sup>1</sup> المتاريس: لفظ عربي، ومفردتها (مترس)، وتعني الحواجز التي يضعها الجيش لقطع الطريق أمام العدو كأن تكون حواجز خشبية أو جدران أو خنادق خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص. 390

<sup>2</sup> على خلاصي، المرجع سابق، ص. 147

<sup>3</sup> بني راشد: إقليم أو إمارة خاصة تمتد طولاً على مسافة 17 فرسخاً وعرضاً على 9 فراسخ وطرفها الجنوبي سهل وشمالها تلال يصلح بها الزرع والمراعي، سكانها بربر من قبيلة مقاطع، وهم على فرقتين أهل الجبال و يسكنون القرى والأماكن مغلقة ويشغلون بزراعة الحقول والكروم، وأما غيرهم فيجوبون الأفاق كما يفعل الأعراب وهم أكثر ثروة وشهرة، وأكثر خيلاً وجمالاً. وفي هذا الإقليم ثلاثة مدن رئيسية وهي "بنو راشد" التي تسمت باسمها الإمارة وهي عاصمتها، وهي أقدم المدن الثلاث يسكنها عدد من أشرف الناس وأثريائهم وإن كانت غير محصنة بسور.

المدينة الثانية: "القلعة"، وهي أكثر مناعة من سابقتها بنيت على سفح تل بين جبلين عاليين، تحيط به أدوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة يسكنها تجار وصناع أغنياء

المدينة الثالثة: "معسكر": وهي عبارة عن قرية كبيرة بها قلعة أتم بنائها الأتراك و وضعوا بها حامية من الفرسان. تعقد بها سوق يوم الاثنين. ينظر، مارمول كريخال، المصدر السابق، ص. 324

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر العثماني، المرجع السابق، ص. 188

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 150

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

الجزائر للبارود<sup>1</sup>، الذي شيد لأول مرة سنة 1517م، واستمر في العمل إلى غاية عهد علي باشا (1809-1815م)<sup>2</sup>.

كما كانت صناعة البارود منتشرة بمنطقة زاوية وتستخرجه من ملح البارود<sup>3</sup> الموجود في منطقة جرجرة واشتهرت بصناعته أيضا قرية آيت العربية التابعة لقبيلة بني بني. وفي نواحي قسنطينة كانت صناعة البارود مزدهرة بشكل كبير خاصة عند قبيلة "الربولة"، وفي الغرب كانت صناعته منتشرة في مستغانم وهران، وتلمسان التي تعد من المدن الهامة في هذه الصناعة نظرا لوجود مادة الملح في سبخ أرزيو وتلمسان، أما قرى الجنوب فكانت بدون استثناء تمارس صناعة البارود، ونظرا لكثرة الطلب على المادة الأولية (ملح البارود) كانت القبائل تستقدمه من أولاد سيدي الشيخ ووحدات تيميمون وبلاد السودان<sup>4</sup>.

هكذا كانت الجزائر بمختلف مدنها وقراها تشارك في صناعة البارود، مما يدل على الاستهلاك الواسع لهذه المادة بسبب كثرة الحروب الخارجية ضد الايالة وسنتطرق إلى أهمها في حينه.

وبالرغم من هذا الاهتمام بإنتاج البارود محليا إلا أنه كان غير كافٍ لتوفير احتياجات الايالة، لذلك كان باشاوات الجزائر ومن بينهم محمد بن عثمان باشا يفرضون في معاهدات السلام مع الدول الأوروبية شروطا وترتيبات محددة إضافة إلى ضريبة سنوية يطلبها الداوي في شكل عتاد حربي وذخائر، وعتاد ولوازم السفن من حبال، سوارى، وكمثال على ذلك نذكر من بين شروط معاهدة السلام التي تمت مع الدانمارك سنة 1772 م، أوردها

<sup>1</sup> مصنع قصبية الجزائر للبارود من أقدم مصانع البارود في شمال إفريقيا شيد سنة 1517م لكنه دمر في عهد الباشا مصطفى (1616-1617م)، ثم أعيد بناءه في 1629 ثم نسف ثانية أثناء ثورة الكراغلة سنة 1638م ثم أعيد بناءه مرة أخرى، لمزيد من التفاصيل حول مخطط المصنع وظائف كل قسم ومعلومات أخرى ينظر: علي خلاصي، المرجع السابق ص ص. 210-223

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص. 224.

<sup>3</sup> ملح البارود يدخل كمادة أساسية مع الفحم والكبريت ويمقادير معروفة في تحضير البارود. لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 54.

<sup>4</sup> لخضر درياس، المرجع السابق، ص ص. 44-47.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

دوقرامون<sup>1</sup>: أربع مدافع من البرونز، 400 قنبلة، 40 مدفعاً حديدياً، أربعة آلاف قذيفة مدفع و500 قنطار من البارود، 50.

وتبين لنا الوثائق التي اطلعنا عليها بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية<sup>2</sup> أن البارود كان يأتي في معظم الأحيان على رأس قائمة الذخائر الحربية المطلوبة.

كما أن الأسلحة والذخائر وعتاد السفن كانت ترسلها الدولة العثمانية وبكميات معتبرة، ولقد سجل دفتر التشريفات أمثلة عن هذه الهدايا المقدمة لمساعدة أوجاق الجزائر لمواجهة أعدائها وتقوية مركزها في البحر الأبيض المتوسط نذكر منها:

"في 15 رجب 1180هـ/1766م حملت عمارة هولندية هدايا من القسطنطينية تتكون من مدفعين من نوع الهاون عيار 200، مدفعين عيار 100، مدفعين من النحاس عيار 32، مدفعين من النحاس عيار 4، 60 عجلات المدافع، 1577 قذيفة إضافة إلى عتاد السفن، صواري كبيرة وصغيرة، مجاديف، ألواح خشبية وغيرها. كما حملت سفينة فرنسية في 25 شوال 1766/1180م عشر قطع من الخشب لبناء عربات المدافع ومجموعة هائلة من معدات ولوازم السفن. وفي 5 رجب 1198هـ/1784م أرسل السلطان العثماني هدية إلى أوجاق الجزائر استلمها مصطفى خوجة، فيها مواد وذخائر متنوعة أهمها: 500 قنطاراً من النحاس، 104 منصة للمدافع، 538 قنطاراً من البارود، 200 قنطاراً من الأشرعة، 500 قنطار من حبال الحديد وغيرها من لوازم السفن"<sup>3</sup>.

وفي 2 شوال 1199هـ/1785م أرسل السلطان العثماني إلى أوجاق الجزائر هدايا مختلفة استلمها سليم آغا وحملها علي سفينة من سردينيا مقابل سبعة آلاف من القروش اشتملت أساساً على 450 قنطاراً من البارود 50 قنطاراً من النحاس، 20000 قذيفة وعشرة مدافع، معدات السفن، 50 من مجاديف، 17 صواري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> H-D-De Grammont, Op.cit., P. 320

<sup>2</sup> م. و.ج. المجموعة، 3190، الملف 2، نذكر مثلاً: الوثيقة رقم 5، وهي قائمة بالمعدات التي أحضرتها السفينة الأمريكية إلى الجزائر بتاريخ 14 جمادى الأولى 1215 الموافق لـ 2 أكتوبر 1800، وجاء فيها 19 قنطار بارود، 283 قنطار مسمار. ينظر صورة الوثيقة بالملحق رقم (4).

<sup>3</sup> Tachrifat, Op. cit. pp. 59-60

<sup>4</sup> Idem., p. 60

3- دعم الأسطول:

لم يكن اهتمام محمد بن عثمان باشا مقتصرًا على تحصين المدن وتسليحها فقط بل أولى عناية كبيرة بالأسطول الحربي وتسليحه نظراً لأهميته الكبيرة في الدفاع المتقدم عن المدينة في عرض البحر ومهاجمة العدو قبل وصول الخطر إليها، وفي فرض هيبة الدولة في البحر الأبيض المتوسط.

لقد عرف الأسطول الجزائري أوج تطوره منذ نهاية القرن السادس عشر إلى غاية النصف الأول من القرن السابع عشر. وقد كان متوسط عدد السفن ما بين 60 إلى 80 سفينة "بارجة" (Vaisseaux) حسب الدراسة التي قدمها الأستاذ المنور مروش<sup>1</sup>، وكانت هذه السفن مجهزة من 30 إلى 40 مدفعاً من مختلف الأنواع والعيارات، أما الغنائم فقدت بأكثر من 2 مليون فرنك<sup>2</sup>.

وابتداءً من النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأت قطع الأسطول الجزائري في الانخفاض إذ بلغ عدد السفن من 22 إلى 42 سفينة مسلحة من 40 إلى 50 مدفعاً<sup>3</sup>، وحسب (Laugie de Tassy) فإن الحكومة الجزائرية حافظت خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر على معدل 20 سفينة كبيرة مجهزة من 40 إلى 50 مدفعاً، وإذا تحطمت لها سفينة تقوم بصناعتها أو شرائها فوراً<sup>4</sup>.

ويمكننا أن نتتبع عدد السفن في عهد محمد بن عثمان باشا من خلال إحصائيات (A.Devoulx) بالرغم من أنها اشتملت على بعض الثغرات، وقد تمكن الأستاذ المنور مروش من إثباتها، والكثير منها واضحٌ للباحثين خاصة عندما ينتقل "دوفو" من 13 سفينة تحمل 196 مدفعاً سنة 1770م إلى 5 سفن تحمل 17 مدفعاً عام 1771م دون أن يقدم تفسير لذلك. وخاصة أن المصادر لم تذكر أنه تم تدمير الأسطول الجزائري في تلك السنة

<sup>1</sup> المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير و الواقع، ج2، دار القصب، الجزائر، 2009، ص. 231

<sup>2</sup> A. Devoulx, La Marine De La Régence d'Alger, in R.A. N° 13, ANN. 1869, éd. A Jourdan, Alger, p. 391.

<sup>3</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ص. 232-233

<sup>4</sup> Laugier De Tassy, Op.cit., p.262

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

(حملة الدانمارك) كما سنتطرق إليه في حينه. ويبقى الرأي الغالب هو الذي قدمه الأستاذ المنور مروش بأن "دوفو" أخذ إحصاءاته من سجلات القنصلية الفرنسية بالجزائر، التي كانت تمنح جوازات للسفن التي تخرج للجهاد، واعتبرها هي مجموع السفن التي يتكون منها الأسطول الجزائري<sup>1</sup>. وسنحاول المقاربة بين تلك الإحصائيات ونتائج أخرى قدمها كل من "فنتير دو باردي" والزهار.

حسب "دوفو" كان متوسط عدد السفن في العشرية الأولى لحكم محمد بن عثمان باشا (1766-1775م) هو 13 سفينة<sup>2</sup>، وهو رقم صغير لا يتناسب مع سياسة الإيالة المتبعة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر أي 20 سفينة حربية كبيرة<sup>3</sup>. التي أشار إليها "لوجيي دوتاسي".

وعلى العكس من ذلك يشير الزهار أن محمد بن عثمان باشا أنشأ فرقاطة (FREGATE) كبيرة وبركنتي (BOGANTIN) كبير عليه 24 مدفعاً و6 شواطئ أبحرت في عام 1184هـ/1775م<sup>4</sup>.

وكان متوسط عدد السفن في العشرية الثانية (1776-1785م) هو 19 سفينة حربية كبيرة<sup>5</sup>، ويبدو أن سلطات الجزائر، استعدت ورفعت عدد قطع الأسطول للصدوم أمام الحملات الأوربية المتكررة على مدينة الجزائر حيث قامت إسبانيا بحملتين متواليتين خلال سنتين 1197هـ/1783م، 1198هـ/1784م<sup>6</sup>.

وحسب الزهار<sup>7</sup> أن الداوي وكبار رجال الدولة كانوا يعملون على زيادة القوة العسكرية البحرية للإيالة لمواجهة الحملة الثالثة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 1197هـ/1784م،

<sup>1</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ج 2، ص ص. 401-402

<sup>2</sup> A. Devoulex, Op.cit., pp., 404-406

<sup>3</sup> Laugier de Tassy, Op.cit., p. 262

<sup>4</sup> A. Devoulex, Op.cit., pp. 406-410

<sup>5</sup> Idem.

<sup>6</sup> سنتعرض إلى الحملات الإسبانية الثلاثة في الفصول الموالية.

<sup>7</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 32.

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

حيث يقول: «أن إسبانيا كانت تمتلك نوعا من السفن يسمى اللنجور، وقد أوقع هدمها كبيرا في البلاد (هذا النوع من السفن كان يحمل المدافع)، وقد تكسر واحد قرب الشاطئ، فأرسل إليه معلم السفن فعابنه وأخذ قياسه، ثم اتفق مع الباشا على صناعة نحو خمسمائة لنجورا من ذلك النوع فأمرؤا كبير الطرسنة<sup>1</sup> ويقال له وكيل الحرج أن يباشر صنعهم فآتم عمله قبل نهاية السنة 1784م.»

والراجح أن تلك المراكب التي سماها الزهّار اللنجور قد تكون هي نفسها القوارب القاذفة أو القوارب حاملة المدافع التي تحدث عنها "فنتير دوبادي"، و قال بأن الداوي وكبار رجال الدولة قد ساهموا في مصاريف صناعتها<sup>2</sup>.

وحسب ذات المصدر أن عدد سفن الأسطول الجزائري عام 1788م يتكون من 8 شباك تحمل من 18 إلى 22 و 30 مدفعا من عيارات مختلفة وغيلوطتين صغيرتين، اثنان أو ثلاث بوارج (Vaisseaux)، وقد كانت الغيلوطتان (GALOITTE) ملك للبايلك والباقي لكبار رجال الدولة والخواص. وكان مجموع السفن الحربية هو 13 سفينة، وبالمقارنة مع إحصائيات دوفو<sup>3</sup> نلاحظ أنها أقل منها بأربع سفن.

ويبدو أن تلك القوارب أو الزوارق (اللنجور) كانت قوارب دفاعية صغيرة لا تخرج للجهاد في البحر لذلك لم يتم إحصاؤها في المصدرين السابقين. أما عدم اتفاقهما حول عدد السفن الكبيرة ربما يرجع إلى اعتماد الأول على سجلات الخروج السنوية كما سبق ذكره واعتماد الثاني على ملاحظاته الشخصية للسفن، وقد يكون ما أورده تتقص منه عض السفن

---

<sup>1</sup> الطرسنة: أو ترسانة لفظة تركية مأخوذة في الأصل من دار الصناعة، وهي المكان المخصص لإنشاء وتعمير السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة سواء كانت حربية أو تجارية بالإضافة إلى أنها المكان الذي يتلقى فيه عساكر الحربية تعليمهم و تدريبهم ينظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص.73. أما كبير الطرسنة أو وكيل الحرج من مهامه النشاطات المتعلقة بالميناء سواء منها العسكرية أو التجارية بالإضافة إلى مسؤولياته المتعلقة بتسوية المسائل الخاصة بالعلاقات الخارجية للإيالة، كما ذكرنا سابقا.

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.40

<sup>3</sup> A. Devoulx, Op.cit., p.411



## الفصل الأول: السياسة الداخلية

التي أبحرت، وما نستدل به هو ذكره لعدد السفن البحرية الجزائرية في موضع آخر من الكتاب، وقال أنها إحدى عشرة سفينة في نفس السنة<sup>1</sup>.

كان اهتمام محمد بن عثمان باشا بالسفن كبيراً ويحاول زيادة عددها لإدراكه قيمتها من الناحية العسكرية ودورها الفعال في الاقتصاد وزيادة الغنائم، ولم يعتمد في صناعة السفن على الخبراء المحليين فقط بل كان يستعين بخبير إسباني اسمه (Pédro Antonio de verra)، وهو مهندس وخبير حاذق كان يعمل في ورشة بناء السفن البحرية الجزائرية، كما تدل على ذلك الرسالة رقم 8 لسنة 1791م و الرسالة رقم 5 لسنة 1792م<sup>2</sup>.

وبخصوص المواد واللوازم لصناعة السفن، فكانت تأتي كلها من الخارج ما عدا أسفل السفينة كان يصنع من الخشب الذي يجلب من بجاية، أما باقي المواد والمعدات الأخرى الضرورية من صوارٍ، حبالٍ، أشرعةٍ، قد تتحصل عليه السفن التي يأسرها رياس البحر بعد تفكيكها ببراعة<sup>3</sup>، أو من الدول الأوربية تقدمها في شكل ضرائب سنوية عينية إما كل سنة أو سنتين<sup>4</sup>، وبهذه الطريقة تصنع عدة سفن دون إنفاق شيء تقريباً، أو تقوم بشرائها جاهزة من إحدى الدول الأوربية<sup>5</sup>.

كما كان السلطان العثماني يرسل في بعض الأحيان هدايا للإيالة في شكل سفن، معدات وأسلحة، كما فعل السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789م) عند ما قدم للحاج سليمان رياس فركاطة (FREGATE) وكرفيط (Corvette) وسفينة أخرى مقابل مشاركة إيالة

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.40

<sup>2</sup> أورد الرسالتين، يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية...، المرجع السابق، ص. 158، 166

<sup>3</sup> Laugier de Tassy, Op.cit., p.261

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول حول تلك المعدات والأجهزة التي كانت ترسلها الدول الأوربية ينظر الوثيقتين رقم 451، 452، بالملحق رقم (4) و(5). راجع كذلك يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 165، ويذكر في الرسالة رقم 4 لسنة 1791، أن الداوي " وصله الخشب وكل الأدوات اللازمة لبناء المركب".

<sup>5</sup> Laugier De Tassy, Op.cit., p. 261

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

الجزائر في الحرب مع الدولة العثمانية ضد روسيا عام 1774م، وفي طريق العودة تحطمت الفركاطة ووصل المركبان إلى مدينة الجزائر سنة 1779م/1188هـ<sup>1</sup>.

ويقول "فنتير دوباردى" أن الجزائريين كانوا يفضلون السفن الصلبة ذات الأشعة الجيدة، ويسلحونها بعدد كبير من المدافع ولم يكن لديها متسع للتراجع، دون مراعاة لحجم السفينة أو قوتها، وكانوا يبحرون في مجال واسع جدا، وسفنهم ذات صارٍ واحد، ومن السهل التعرف عليهم، أما الرياس فيتميزون بالشجاعة والمهارة وكانوا يبادرون بمهاجمة سفن العدو بالأسلحة البيضاء<sup>2</sup>.

ولحماية السفن من أشعة الشمس وسوء الأحوال الجوية تم إنشاء مخازن كبيرة جدا مقببة<sup>3</sup>. وفي الأحوال العادية كانت التحضيرات تبدأ نهاية مارس بتسليح السفن من نوع شباك وبريك وتزويدها بالمؤونة اللازمة طوال الرحلة، التي تدوم من 40 إلى 50 يوما.

في الحالات العادية تكون الرحلة الثانية خلال شهر سبتمبر وكان يتم إعداد وتجهيز الغيلوطتين في شهر جويلية وأوت. ويتم إغلاق الميناء أثناء تسليح السفن وتزويدها بالمؤونة، وعند إبحارها للقرصنة تطلق المدافع القذائف وعند عودتها كذلك<sup>4</sup>.

وكانت المؤونة المقدمة من البايك، هي عبارة عن حلوى مصنوعة من دقيق القمح والشعير، الزيتون الأسود، الزيت، الخل، التين المجفف، واليولداش مسؤول عن تسليح نفسه (أسلحة نارية وبيضاء) وكل لوازم النوم من فراش وغطاء كما يحمل معه الخليع، الكسكس، الأرز، الخضر، الفواكه ويقدم البايك للسفينة البارود عند خروجها من الميناء<sup>5</sup>.

وتجدر الإشارة أنه كان بإمكان السفن التي تخرج للجهد التزود بالمؤونة اللازمة من موانئ تونس، كما هو مقيد في سجل الدفتر الجبائي رقم 1046 بتاريخ (1170-1206هـ/ 1756-1792م)، وقد سجل في الورقة رقم 13 مؤونة قدمت في 3 ذي القعدة

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 31

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 40

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 47

<sup>4</sup> Idem.

<sup>5</sup> Idem., p. 42

## الفصل الأول: السياسة الداخلية

1179هـ/13 أبريل 1766م لريس جزائري لم يذكر اسمه يقود سفينة من نوع "برقنتي" قدم لحلق الوادي، ومعه غنيمة زيت زيتون، وكانت متكونة من خبز البشماط، زيت، خل، سمن، 8 كباش، 5 أبقار، 1000 فرد خبز، خضر، عشرة حمولة حطب، بيض.<sup>1</sup>

ولم يكن اهتمام الداي منصبا على تقوية الجانب المادي فقط للأسطول بل كان يخرج بنفسه برفقة وكيل الحرج للبحرية لاختيار الرياس (مفردها ريس فهو قائد السفينة) ويعين لكل واحد سفينته<sup>2</sup>، ومن يساعده من البحارة إضافة إلى وحدة من جنود المدفعية (الطوبجية)، بقيادة طوجي باشي، وأخرى من الإنكشارية<sup>3</sup> بقيادة بلوك باشي<sup>4</sup>، ويختار الرياس عادة ممن له دراية في هذا المجال، إضافة إلى الشجاعة<sup>5</sup>. ومن أشهر الرياس في عهد محمد بن عثمان باشا سليمان ريس، والحاج محمد قبطان ريس<sup>6</sup>.

وحسب فتير دو باردي أنه سنة 1788م، كانت ثلاث سفن ملك للبايلك والباقي ملك للداي ولكبار رجال الدولة والخواص الصغار، وفي الوقت الحاضر صار الرياس كلهم من أتراك الشرق، بينما كانوا من قبل كلهم من العرب والأعلاج<sup>7</sup>.

ويرى جون ب-وولف أن سبب عزوف الأعلاج عن البحرية الجزائرية هي معاهدات التجارة والسلام بين الايالة وفرنسا وانجلترا التي جعلت تجارة تلك الدول الغنية بعيدة المنال على البحارة الجزائريين خلال القرن الثامن عشر<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> أ. و. ت. الدفتر رقم 1046 (1170-1206هـ/1756-1792م)، ورقة رقم 13، سجلت فيها بيان المؤونة التي قدمتها إيالة وتونس إلى أهل الجزائر من الوكلاء الجزائر بتونس، سفن متجهة للجزائر أو خارجة منها.

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 45.

<sup>3</sup> لقد سمحت طائفة رياس البحر لجنود الإنكشارية بالانضمام إليها منذ 1568م، بعدما عقد محمد باشا بن صالح ريس صلحا بين رجال الطائفة والإنكشارية، ينظر: Don Diégo de Haede, Op. cit. p. 57

<sup>4</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 141

<sup>5</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص. 86

<sup>6</sup> استولى سليمان ريس على 50 سفينة من مجموع 150 سفينة أوروبية احتجزت ينظر:

Venture de Paradis, Op.cit., p., 47.

<sup>7</sup> Idem., p. 40

<sup>8</sup> جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة وتعليق، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 392.

# الفصل الثاني

## آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

➤ أولاً: بايلك قسنطينة في عهد صالح باي

(1772-1792م)

➤ ثانياً: بايلك الغرب في عهد محمد بن عثمان

الكردي الملقب الباي الكبير (1779-1798م)

يعتبر صالح باي قسنطينة ومحمد الكبير باي الغرب من أهم الشخصيات في التاريخ العثماني الجزائري، كُتِبَ عنهما الكثير ومازالا يثيران اهتمام الباحثين بفضل الجهود التي بذلوها لتطوير البلاد، وحققا شهرة كبيرة في ظل حكم محمد بن عثمان باشا ما تزال الذاكرة الشعبية تحتفظ بأعمالهما الخالدة، لذلك اخترنا بايلك قسنطينة والغرب لدراستهما في عهديهما.

### أولا: بايلك قسنطينة في عهد صالح باي بن مصطفى (1771-1792)<sup>1</sup>

قبل أن نتطرق إلى سياسة صالح باي الإدارية وإنجازاته العمرانية والثقافية نتعرف أولا على بايلك قسنطينة جغرافيا:

1-المجال الجغرافي للبايلك - الموقع والتضاريس: يعتبر بايلك الشرق من أكثر المقاطعات ثروة وخصبا ومن أوسعها مساحة<sup>2</sup>، ويعتبر كذلك من أهم الأقاليم جغرافيا، وذلك لتنوع مناخه واختلاف مناطقه<sup>3</sup>. يحده شمالا، البحر الأبيض المتوسط، وغربا وادي الصومام الذي يعرف بوادي بني منصور وبني عباس ويصب هذا الوادي في البحر بالقرب من بجاية ويدخل ضمن هذا البايك برج حمزة (البويرة) ومن الجنوب يحده الصحراء<sup>4</sup>، وفي عهد صالح باي وصلت حدوده إلى تقرت<sup>5</sup>، وأما من جهة الشرق فيحده تونس.

وتحتوي هذه الرقعة الجغرافية الواسعة على مظاهر تضاريسية متنوعة: سلاسل جبلية، سهول، هضاب، وأودية، حيث تلتقي فيه حبال الأطلس التلي وجبال الأطلس الصحراوي عند كتلة جبال الأوراس، وبين السلسلتين ينحصر حوض الحضنة الذي يمثل القسم الشرقي للهضاب العليا الجزائرية. ولا توجد به السهول المنبسطة سوى حوض وادي الصومام والسهول العليا القسطنطينية إلى جانب منبسطات تبسة في أقصى الشرق،

<sup>1</sup> الموافق ل(1137 - 1207هـ)

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 48

<sup>3</sup> لمزيد من التفاصيل حول جغرافية بايلك الشرق، ينظر، بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم(1826-

1848م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحدي والمعاصر، جامعة الجزائر، 1990/1991، ص. 1-7

<sup>4</sup> Thomas Shaw, Op. cit., p. 325

<sup>5</sup> محمد صالح العنترى، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة،

مراجعة وتحقيق وتعليق، يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005. ص. 83. حيث يقول : "وصل إلى تقرت أقصى وطن الصحراء، وطن لم يصلوا إليها البايات السابقين ولا أدركوها المتأخرين".

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

وحوض وادي سوف في الجنوب، والسهول الساحلية مثل سهل عنابة الخصب، وسكيدة، وبجاية<sup>1</sup>، وهي سهول ضيقة لانحصارها بين البحر وسلسلة الأطلس التلي. وأهم الأودية هي وادي الصومام الذي يعتبر الحد الطبيعي الذي يفصل بين إقليم قسنطينة وإقليم الجزائر<sup>2</sup>. بالإضافة إلى وادي سييوس، وادي الكبير.

ولقد قسم بايلك الشرق إداريا إلى أربعة أقسام على كل منها حاكم من الأهالي ينتمي إلى إحدى العائلات الكبرى التي تحظى بنفوذ قوي بالمنطقة<sup>3</sup>، وهذه الأقسام هي:

- **القسم الشرقي:** يشمل مضارب قبيلة الحنانشة وواد الزناتي وبالتحديد منطقة سوق أهراس وقالمة والطارف وربما جزء من ولاية أم البواقي حاليا يحكمه أحد أعيان قبيلة الحنانشة.

- **القسم الشمالي:** يمتد من عنابة إلى حدود فرجيوة كان تحت إشراف عائلة بوعكاز بن عاشور في فرجيوة وعائلة ابن عز الدين في الزواغة.

- **القسم الغربي:** يمتد من مدينة سطيف إلى جبال البيبان وقرى بني منصور وونوغة تشرف عليه عائلة أولاد مقران في مجانة.

- **القسم الجنوبي:** تحت إشراف أولاد ابن قانة والدواودة بمنطقة الزيبان، الزاب الشرقي الزاب الظهري، الزاب القبلي والشرقي<sup>4</sup>. إن كبر مساحة بايلك الشرق وقوة العائلات الكبرى التي تقطنه وكثرة وتنوع انتاجه كان يشكل مسؤولية كبيرة على حاكمه. وليس من السهولة بمكان إخضاعه إلا من طرف البايات الأقوياء كأمثال صالح باي. فمن يكون هذا الباي؟

**2- ترجمة لصالح باي:**

ولد صالح بن مصطفى بأزمير سنة 1137هـ/1725م، أمضى بها طفولته، واسمه الكامل هو صالح باي بن مصطفى حسب الختم الموضح في سجله للأوقاف، وعندما بلغ السادسة عشر من عمره هاجر إلى الجزائر، فارا من الانتقام بعد أن قتل صبيا

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 159-186

<sup>2</sup> بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 3.

<sup>3</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص 25.

<sup>4</sup> مختار حساني، التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (نماذج)، ج2، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009، ص 192-193

خطأ، وفي الجزائر عمل في مقهى تابعة للأوجاق، وتعرف بها على أصحاب النفوذ من الإنكشارية فساعده على الانضمام إليهم، ومنذ ذلك الحين راح يتدرج في المناصب، وبعد مشاركته في الحملة التي نظمها الباي أرزق عينيه ضد تونس، جلب انتباه "أحمد القلي" بفضل الشجاعة والحنكة العسكرية التي أظهرهما، فقربه منه، وعندما أصبح أحمد القلي بايا على قسنطينة عينه قائدا على قبيلة الحراكطة وأكثر من ذلك زوجه ابنته، ثم عينه خليفة له واستمر في منصبه الجديد لمدة ست سنوات، وبعد وفاة الباي أحمد القلي<sup>1</sup> 1771م عينه محمد بن عثمان باشا بايا على قسنطينة واستمر في منصبه إلى غاية سنة 1792م/1207هـ<sup>2</sup>.

ويعتبره المؤرخ محمد الصالح العنثري من أحسن البايات الذين حكموا المقاطعة خلال العهد العثماني كله، وقد عرف بحسن طاعته للباشا واهتمامه بشؤون الرعية والتزامه بالعدل والمساواة بين الناس، فاستقامت أحوال البلاد وأحبه الجميع، وساد الأمن<sup>3</sup>. ويقول عنه أوجين فايست: "أنه رجل إدارة من الطراز الأول لا يماثله أحد ويتفوق عن كل رجال عصره"<sup>4</sup>. ويضيف عنه صاحب تاريخ قسنطينة، "أنه كان رجلا عارفا بالسياسة وأمور السلطنة"، تدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب الباي<sup>5</sup>.

### 3- تنظيماته الإدارية وسياسته اتجاه القبائل:

تميزت سياسة صالح باي بجوانب مشرقة كما عرفت جوانب مظلمة، أما الجوانب المشرقة فتشهد لها انجازاته التاريخية التي سنتطرق إليها في حينه. بيد أن سياسته اتجاه رعيته يمكن القول أنها اتسمت بسياسة الترغيب والترهيب لأن مجتمع قسنطينة كما هو

<sup>1</sup> تولى بايا على قسنطينة في الفترة ( 1170-1185هـ / 1756-1771م)

<sup>2</sup> سجل صالح باي للأوقاف ( 1185-1207/1771-1792)، تحقيق، فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع الجزائري، الجزائر، 2009/1430م. ص. 45-67، يوضح اسم صالح باي بن مصطفى على ختمه. ولمزيد من المعلومات حول حياة صالح باي ينظر أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في عهد التركي من 1792م 1873، ج2، ترجمة، صالح نور رحمه الله، دار طليطلة، الجزائر، 2013، ص. 23-24

<sup>3</sup> محمد الصالح بن العنثري، المصدر السابق، ص. 78-79

<sup>4</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص. 54

<sup>5</sup> مؤلف مجهول، تاريخ قسنطينة، تحقيق، مختار حساني، منشور في كتاب التراث الجزائري المخطوط، في الجزائر والخارج، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص. 249

معروف كانت تسوده ظاهرة العائلات الكبرى المتنفذة، الأمر الذي جعل الباي ينتهج معها سياسة التحالف، في حين سلك سياسة الترهيب مع القبائل المتمردة فكيف كان ذلك؟ قبل ذلك ينبغي أن نشير إلى موظفيه السامين وأعوانه الأساسيين الذين ساعدوه في حكم بايلك قسنطينة.

### 3-1 التنظيم الإداري في عهده:

حسب ما جاء في مخطوط محمد الطاهر النقاد، الموسوم ب: " ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أمير بلد قسنطينة"<sup>1</sup>، فإن موظفي صالح باي كانوا كما يلي: - **الخليفة:** كانت وظيفة الخليفة الأساسية هي قيادة المحلة نيابة عن الباي وكانت تتكون من ستين خيمة من الأتراك تأتيه من الجزائر، إضافة إلى فرسان الصبايحية والمخزن، وكل فرقة لها آغا وشواش وسنجد (راية)<sup>2</sup>. تجول المحلة مع الخليفة أو الباي، الأوطان وتقف عند كل عرش لمدة ستة أشهر ثم تعود إلى الجزائر ومعهم الخليفة حاملا دنوش إلى الباشا ويسمى دنوش الخريف<sup>3</sup>، وتمكث محلة الشتاء بوادي الرمال، ويقودها الخليفة للسفر في الصحراء ومعه شيخ العرب بن قانة بحشوده، وتعود في أول فصل الربيع، وتقوم بتحصيل الضرائب والعشور وتأديب القبائل المتمردة، وعند عودتها إلى الجزائر يذهب معهم الخليفة مرة أخرى في دنوش الربيع<sup>4</sup>.

شغل هذا المنصب السيد "حسن خوجه"، وخلفه السيد الحاج حسين بن عبد الله خوجة<sup>5</sup>، بينما تشير الوثيقة رقم 63 من المجموعة 1641 بالمكتبة الوطنية الجزائرية أن منصب خليفة الباي كان يشغله السيد مصطفى في سنة ( 1191-1192هـ/1778م)<sup>6</sup>، ثم

<sup>1</sup> محمد الطاهر النقاد، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح أمير بلد قسنطينة، مخطوط، رقم 263، كتب بتاريخ أوائل ذي القعدة 1264 هـ/أواخر سبتمبر أوائل أكتوبر 1848، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة رقم: 9-31.

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 16.

<sup>3</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر نفسه، ورقة، 16.

<sup>4</sup> المصدر نفسه

<sup>5</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 19.

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، تشير الرسالة رقم 63، مؤرخة في ( 1191-1192هـ/1778م) توضح أن السيد مصطفى هو خليفة صالح باي، وقد بعث هذه الرسالة إلى وكيل الباسطيين يخبره فيها أنه حمل الدنوش إلى الجزائر واستقبله الباشا وأعضاء دولته أحسن استقبال.



شغله السيد الحاج حسين بن عبد الله خوجة في سنتي (1202-1204هـ/1788-1789م)<sup>1</sup>.

- **قائد الدار:** اسند هذا المنصب للقائد رضوان، والذي اهتم بتصريف أمور البايك وإعداد مؤونة المحلة، كما كان يتكفل بنفقات دار الباي وعائلته ويهتم بتعمير المخازن بالقمح والشعير والصوف والسمن والعسل، والزيت، وعرف عنه حسن أدائه لواجبه واتقانه لعمله<sup>2</sup>.

- **قائد الجابري:** وظيفة قام بإدارتها السيد أحمد نعمون حيث يطلق عليه كذلك "قائد التراب"، وكان مسؤولاً عن الأمن داخل البلاد، ويشرف كذلك على ثلاثة مخازن لتخزين قمح البايك في "صطيف"، و"برج وادي الذهب"، و"برج المعمرة"، كما أنه ينزل ضيوف الباي بداره، وعرف براجحة عقله وحسن عمله<sup>3</sup>.

- **قائد الباب:** يعينه الباي ويلبسه قندورة وبرنسا ملفا، ويقدم له طابعا(ختما)، ومقره بالقرب من باب الوادي، وله أعوان يستخلصون له المكس (الرسوم) ويتقاضون أجورهم، وتفرض تلك المكوس، على الملابس التي تأتي من الصحراء، الصوف، التي تباع مثل البرنس والقندورة والكساوي، وعلى الحيوانات التي تباع برحبة البلد<sup>4</sup>.

- **الخبزاجي:** كان يتصرف في جميع المصالح المالية للباي، حيث يشرف على تسيير النفقات ويراقب تحصيل وإدخال الضرائب إلى خزينة الباي<sup>5</sup>.

- **آغا الدائرة:** تداول على هذا المنصب القائد سي فرحات والقائد الحاج محمد بن حملاوي<sup>6</sup>، وهم قادة أو رؤساء فرسان المخزن، وكان يدير 39 قبيلة وله عمله الخاص فغالبا ما يوكل بحملات صغيرة لتأديب القبائل المتمردة<sup>7</sup>. وأما قائد الزمالة في أول حكمه كان السيد "محمد بوبعاية"، كما تبينه الرسالة رقم 56 من المجموعة 1641، التي أرسلها

<sup>1</sup> م، و، ج، المجموعة، 1641، ينظر، الرسائل رقم: 89، 90، وكلاهما من الحاج حسين بن عبد الله خوجة إلى وكيل الباستيون مؤرختين على التوالي، الأولى في 1202-1203هـ/1788م، والثانية خلال عام 1204/1789م.

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، الورقة، 19-20

<sup>3</sup> المصدر نفسه، الورقة، 21.

<sup>4</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، الورقة 12

<sup>5</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. .111

<sup>6</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، الورقة، 21

<sup>7</sup> E. Vayssettes, Op.cit., p. .111

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

صالح باي إلى وكيل "الباستيون" عام 1775/1188-1189هـ)، يطلب منه إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج "الحاج بوبعاية" قائد الزمالة في قسنطينة<sup>1</sup>.

- **شيخ البلد:** وهو رئيس الأمناء الحرفيين، وفي قسنطينة كان السيد عبد الرحمن الفكون<sup>2</sup> شيخ البلد وشيخ الإسلام أيضاً<sup>3</sup>، وقد قام بدور كبير عند عزل صالح باي وتمكن أن ينقذ المدينة من حرب أهلية أكيدة، وسنتطرق إلى ذلك في حينه.

- **الكتّاب:** كان لصالح باي ثلاثة كتّاب أولهم هو: السيد محمد بن كوجك كاتب أول، السيد أحسن بن جلول كاتباً ثانياً، السيد محمد بن جلول كاتباً ثالثاً<sup>4</sup>.

- **الباش سيّار:** كلمة مركبة من: الباش: هو القائد، وسيّار: هو البريد، ومعنى اللفظين هو قائد البريد<sup>5</sup>، شغل هذا المنصب الحاج مسعود بن ركزي، وكان له دورا بارزا في حكومة صالح باي، وكان محبوبا عند العامة لحسن تسييره للأمر، وخبرته بأحوال البايك. وعندما احتاج الباي إلى مبلغ مالي كبير يرسله إلى الباشا بالجزائر، وكان حينئذ بالمحلة ناحية الشرق، وتشاورا مع "الحاج مسعود" في الموضوع فأشار عليه بأن كل واحد من وزرائه يعطي قدرا من المال فسكت عليه صالح باي، ولما عاد ابن زكري إلى خيمته كتب في الحين كتابا أرسله مع بعض خدمه إلى السيد "حمودة باشا" باي تونس دون علم صالح باي، ورجعوا إليه "بمال عظيم فوضعه ابن زكري بين يدي صالح باي"، فتفاجأ

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، الرسالة رقم، 56، رسالة من صالح باي إلى وكيل "الباستيون"، طلب منه فيها أن يرسل له الطبيب الفرنسي المقيم بالقالة ليعالج "محمد بوبعاية" قائد الزمالة في قسنطينة خلال عام 1185هـ/ (1771-1772م)

<sup>2</sup> عائلة ابن الفكون بقسنطينة ذات التاريخ العريق ترجع أصولها إلى قبيلة تميم العربية منها الشعراء، وعلماء ومتصوفة وقضاة ويعتبر عبد الكريم الفكون من أبرز أفراد العائلة علما وسمعة صاحب كتاب منشور الهداية تمتعت العائلة بقيادة ركب الحج الجزائري إلى الحجاز ولهم زاوية تحمل اسمهم بقسنطينة ومدرسة أيضا، وبقيت فيهم مشيخة الإسلام إلى بداية العهد الفرنسي. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى حال ادعى العلم و الولاية، تحقيق، تقديم، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، مقدمة المحقق، ص. 7، 19

<sup>3</sup> الحاج أحمد العطار، المصدر السابق، ص. 142-143

<sup>4</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، الورقة، 21

<sup>5</sup> سهيل صهبان، المرجع السابق، ص. 56

لذلك وأرسله إلى السيد محمد بن عثمان باشا بالجزائر، وبعد وفاة الحاج بن زكري<sup>1</sup> شغل منصبه الحاج أحمد بن الأحرش وبعده عين السيد الدهماني بورنان، باش سيار<sup>2</sup>.

- الشواش: كان لصالح باي أربعة شواش أتراك<sup>3</sup>.

ومن أبرز موظفيه كذلك ابن حمادوش مركانتيا(وكيل)، بعنابة وابن حميدة بشورة مهمتهم بيع القمح، والشعير والصوف وغير ذلك للأجانب بإذن صالح باي، ووكيله في تونس الحاج محمد بن فريكح كان ي كاتب الملوك أحيانا دون الرجوع إلى الباي<sup>4</sup>. وتجدر الملاحظة أن وكيل باي قسنطينة في تونس كان هو وكيل الجزائر كلها، كما جاء في سجلات إيالة تونس، وفي الفترة التي سبقت ولاية صالح باي كان الوكيل "الحاج محمد بن فريكح"<sup>5</sup>، وخلفه "علي بن فريكح" في ولاية صالح باي،<sup>6</sup> وهما من نفس العائلة، وكانت مهام الوكيل سياسية، وتجارية تتمثل الأولى في كتابة المراسلات، والثانية في تجارة الحيوانات بين البلدين.<sup>7</sup>

هكذا إذن شارك هؤلاء الموظفين صالح باي في مهامه وساعده في تحقيق انجازاته الكبيرة.

### 3-2 سياسته اتجاه القبائل:

واجه صالح باي في بداية حكمه صعوبات اتجاه القبائل المتمردة مما جعله يقوم ضدها بعدة حملات تأديبية لفرض الأمن والاستقرار نذكر منها:

<sup>1</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، الورقات، 30-31.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ورقة، 19

<sup>3</sup> نفسه

<sup>4</sup> نفسه

<sup>5</sup> أ. و. ت. سجل رقم 139، بيان محصول الحاج بن زكري وعلي فريكح، وكلاء الجزائر من بيع البقر والغنم الإبل في تونس، المؤرخ في شعبان 1179 هـ / (جانفي - فيفري) 1766م من السجلات التي ذكر فيها أسماء وكلاء الجزائر بتونس، ص. 02

<sup>6</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة. 19

<sup>7</sup> أ. و. ت. سجل رقم 139، المصدر السابق، ص. 02

● **حملته ضد أولاد نايل:** هي أول حملة تأديبية قادها صالح باي ضد قبيلة أولاد نايل المتمردة، وهي قبيلة كبيرة كانت تقيم ما بين بوسعادة والجلفة وهذه القبيلة غيرت حدودها وأقلقت السكان في المنطقة الجنوبية، فتحرك ضدهم صالح باي بسرعة وفاجأهم في مواطنهم، خلال عام 1773م، في المنطقة المسماة "المالح" وشتت قواتهم، فطلبوا الأمان وجنحوا للسلم<sup>1</sup>. ورجع صالح باي إلى قسنطينة منتصرا.

● **حملته ضد أولاد عمور:** أولاد عمور هي قبيلة تقع قرب باتنة ومنها قرية النملة، أعلنت التمرد والعصيان، فعاقبهم صالح باي مع محلته بعنف وأعادهم للطاعة من جديد خلال نفس السنة<sup>2</sup>، ثم اتجه نحو بلاد الأغواط فهاجمها واحتلها عنوة<sup>3</sup>، وفي طريق عودته هاجم قبيلة السيقنية في سهول عين مليلة التي امتنعت عن دفع الضرائب<sup>4</sup>.

● **حملته في الزيبان (بسكرة):** تعتبر منطقة الزيبان حلقة وصل ما بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري، وتمتد بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية شرقا وجبال الأوراس في الشمال التي تعتبر كحاجز طبيعي يفصلها عن التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ وواحات وادي سوف ووادي ريغ، يتجمع السكان في الشمال عبر واحات بسكرة والوطاية والقنطرة وفي الغرب في واحات طولقة وأولاد جلال والدوسن وسيدي خالد، وفي الشرق عبر واحات سيدي عقبة ومشونش وزريبة الوادي وخنقة سيدي ناجي أما في الجنوب فيستقر بعض السكان على امتداد واحات السوافة والرواعة<sup>5</sup>.

وكانت هذه المنطقة تحكمها أسرة بوعكاز من الدواودة بطريقة شبه مستقلة في العهد العثماني، وحاكمها يسمى "شيخ العرب" يتوارث هذا المنصب الأبناء عن الآباء<sup>6</sup>، وذكر

<sup>1</sup> Ernest Mercier, Histoire De Constantine, Imp. éd. J. Marle et F. Biron, Constantine, 1903, p.272

<sup>2</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.28

<sup>3</sup> ناصرالدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.61 / أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.137

<sup>4</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.29

<sup>5</sup> إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر، 2009، ص.27

<sup>6</sup> Ernest Mercier, Op. cit, p. 267

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

حمدان خوجة أن أصلهم عربي ويزعمون أنهم ينتمون إلى النبي داوود عليه السلام<sup>1</sup>، ربما لذلك يسمون بالذوادة أو الذوادة.

استمرت مشيخة العرب في أسرة بوعكاز الذوادة أسياد الصحراء إلى غاية عهد أحمد القلي (1756-1771م)، والذي قام بإقحام أصهاره من عائلة بن قانة في المنطقة، وهي أسرة من المرابطين كانت تقيم في رجاص<sup>2</sup> قرب ميلة تزوج ابنتهم وعين أخوها بن قانة شيخ للعرب في الصحراء بطلب من أهلها بعدما رافقهم في رحلتهم إلى الحج وأظهر الكثير من الشجاعة والرعاية لهم، فوافقهم الباي ولبي رغبتهم. وزود الحاج بن قانة بقوات عسكرية تركية وطلب منه التوجه إلى بسكرة للاستيلاء على الرياسة، ولكن منافسه علي بوعكاز سرعان ما فاجأه وقضى كل قواته، وهرب بن قانة لوحده، فعاد إلى قسنطينة وأقام فيها. واحتفظت أسرة بوعكاز بالمشيخة الفعلية في الصحراء وحصل بن قانة على المشيخة الشكلية<sup>3</sup>، إلى غاية وصول صالح باي إلى الحكم.

بعد وفاة علي بوعكاز خلفه ابن أخيه فرحات ولكنه سرعان ما قتل في شجار، فانتقلت القيادة إلى قريبه محمد الملقب بالذباح ابن بوعكاز الذي كانت له حياة مهنية طويلة ومضطربة. ومن جهة أخرى خلف الحاج بن قانة بعد وفاته ابنه محمد وورث لقب شيخ العرب، فسارع صالح باي بإرسال هذا الأخير إلى بسكرة، ولكن سرعان ما تم رده من الصحراء من طرف الذوادة، فلم يجرأ على الرجوع إلى قسنطينة واتجه إلى بلاد "أحمر خدو" التي تقع على المنحدر الجنوبي للأوراس وبقي يتربص هناك الأخبار<sup>4</sup>. استمرت القبائل الصحراوية في ذلك الوقت تحت السلطة المستقلة للذوادة وبني جلاب سلاطين توقرت وأولاد ريغ، لم يبأس صالح باي وراح يكرر حملاته على واحات الزاب، خلال عام 1773م<sup>5</sup>، وحاول القبض على محمد الذباح ولكنه لم يفلح<sup>6</sup>، وفي الأخير اجتمع صالح باي مع الشيخ الذباح ومحمد بن قانة قرب بسكرة وقسم المنطقة بين الطرفين وجعل إقامة بن

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.76

<sup>2</sup> أصبحت قبل الاستقلال مقر لبلدية زغاية المختلطة ليعاد تسميتها بعد الاستقلال بلدية واد النجاء وحاليا هي مقر دائرة تابعة ل "ميلة" بالشرق الجزائري.

<sup>3</sup> Ernest Mercier, Op.cit., p. 266-269

<sup>4</sup> Idem, pp.272-273

<sup>5</sup> Ernest Mercier, Op.cit., 272-273

<sup>6</sup> Idem, pp. 272-277

قانة في بسكرة ومحمد الذباح بمنطقة سيدي خالد، ويمتد نفوذها حتى واد سوف<sup>1</sup>، وهكذا نجح صالح باي في النهاية في تثبيت عائلة بن قانة في منطقة الزيبان<sup>2</sup>.

### ● حملته ضد أولاد عاشور بفرجيوة:

استقلت أولاد عاشور بفرجيوة عن السلطة استقلال تاما، وكان قائدهم محمد شلغوم، ولما فر حسن بن حسن بوحنك باي قسنطينة السابق (1736-1754م) من صالح باي قاموا بإيوائه ورفضوا تسليمه له مما سمح له بالهرب<sup>3</sup>. وفي السنوات (1776-1781م) هاجم صالح باي أولاد عاشور ثلاث مرات للانتقام منهم، ومن أماكن مختلفة، ولكنه لم ينجح في حصار الثوار الذين وصلتهم قوات معتبرة من عند حلفائهم القبائل الذين أرسلوا لهم قوات معتبرة، ونجحوا في صد كل هجمات باي قسنطينة<sup>4</sup>.

تراجع صالح باي إلى عين البيضاء وأرسل مبعوثيه إلى عم شلغوم ويسمى "ما قوره بن عاشور" ويلقب "بوطغان" وعينه رسميا قائدا على المنطقة<sup>5</sup>، ونجح في ضمه إلى صفه، وليس وحده بل انحاز إليه عدد آخر من أولاد عاشور بعضهم بالمال والبعض الآخر وعدمهم بالمناصب الرفيعة في البايك. وخلال 15 يوما بدأ الجميع يتخلى عن الشيخ "شلغوم"، الذي فر بعد انهزامه إلى الجبال ومات هناك<sup>6</sup>، لقد كانت سياسة صالح باي ناجحة إلى حد كبير في تفريق جموع أولاد عاشور ضده، وكسبهم إلى جانبهم.

### ● حملته ضد بني جلاب في تقرت:

بحاصرها سبعين يوما، وسبب هذه الحملة أن تقرت كانت لا تدفع سوى قسما ضئيلا من الضرائب، ولما طلب منهم الباي رفعها امتنعوا، فسار إليهم بنفسه في أكتوبر سنة 1788م، مع محلته والمدافع والقنابل، ولكنه رغم ذلك لم يستطع دخول المدينة بسهولة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> جميلة معاشي، الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (16-19م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1992، ص. 276.

<sup>2</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 45.

<sup>3</sup> Ernest Mercier, Op.cit., p. 272

<sup>4</sup> L.Ch Féraud, Ferdjouia et Zouar'a, notes historiques sur la Provence de Constantine, in R.A. Vol. n°22, ANN. 1878, éd. A. Jourdan, Alger, p. 09

<sup>5</sup> ERNEST Mercier, Op.cit., p. 279

<sup>6</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص. 83.

<sup>7</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 44-42.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

بسبب الخندق الذي حفروه حول سورها، وأطلقوا فيه المياه<sup>1</sup>، ولما طال الحصار وتضرر السكان رفع حاكم تقرت فرحات بن جلاب الراية البيضاء، وقبل بكل شروط صالح باي<sup>2</sup>.

ويذكر أوجين فايست أنه تم الاتفاق على أن يدفعوا لصالح باي كل مصاريف الحرب، وغرامة قدرها 300 ألف ريال زيادة على ضريبة من الخيل والعبيد<sup>3</sup>. ومهما يكن من أمر فإن صالح باي كان لا يرضى الطرف عن القبائل الكبرى في الجنوب الشرقي ويواصل مراقبة القبائل الحدودية الشرقية مع إيالة تونس الحنانشة<sup>4</sup> والنمامشة<sup>5</sup>.

فحسب شارل فيرو كان قائد الحنانشة هو إبراهيم بن بوعزيز بن الناصر الحنانشي في عهد صالح باي، وقد خلف بوعزيز القائد بعد مقتله، ومقتل الأعضاء البارزين في الأسرة، مما تسبب في خروج الكثير من القبائل التي كانت تحت سلطتهم، لذلك ترك صالح باي الحرية له لمحاربة النمامشة وأولاد يحيى بن طالب وسكان الأوراس الناحية الشرقية،

<sup>1</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 23، وراجع كذلك:

L. Ch. Féraud, Ben Gjellab Sultans De Tougourt, Notes Historiques Sur La Province De Constantine, In. R. A., Vol. n° 23, 1872, éd. A. Jourdan, Alger, p.57

<sup>2</sup> محمد صالح العنترى، المصدر السابق، ص. 83.

<sup>3</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص. 45.

<sup>4</sup> سميت هذه القبيلة بالحنانشة نسبة إلى سليم ابن عبد الواحد ابن الصقر ابن محمد ابن بارا ابن حناش قائد هوراء، الواقعة في المنطقة الممتدة من بلاد إفريقية شرقا وعمالة قسنطينة غربا وما بين عنابة شمالا ومنطقة تبسة جنوبا، وفي العهد العثماني ظهرت كقوة عسكرية وعددية كبيرة، وكان شيخ الحنانشة يعتبر حارسا للحدود الشرقية للبايلك، ومشرفا على أمن الطريق الرابط بين قسنطينة وتونس، وبحكم أهمية المنطقة فقد اكتسب هذا الشيخ مكانة هامة لدى الحكام العثمانيين ونال العديد من الامتيازات فقد منح حتى حق ارتداء القفطان تعبيرا عن اعتراف السلطة المركزية بحكمه كما خول له حق استعمال الطابع الذهبي وذلك مقابل دفع ضريبة سنوية تقدر ب: 10000 بوجو، وكان شيخ الحنانشة يتحكم في 16 قبيلة وكان يتأخر مجلس جماعة القبيلة الذي كان يقوم بتعيين أعضاء ديوان القبيلة ولا يمكن للشيخ التصرف في أي أمر دون الرجوع إليه لأنه كان يتمتع باستقلال داخلي. ينظر، حليلة أمقران، موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004، 2005، ص. 25.

L. CH. Féraud, Les Harar Seigneurs Des Hanencha, Etudes Historiques Sur La Province De Constantine, In R. A. , Vol. N°, 18, 1874, éd. A. Jourdan, Alger, pp.119-149

<sup>5</sup> النمامشة: كانت تتكون من قبيلتين أساسيتين هما أولاد خيار والأعشاش شرق عاصمة الإقليم قسنطينة،

ERNEST Mercier, Op.cit., p. .257

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

الذين أرادوا الخروج عن سلطة الأتراك والحنانشة معا. واستمرت المعارك بينهم طويلا إلى غاية أن حدث الانقسام بين القائد إبراهيم وابنه بوحفص الذي هجره وانضم إلى أعدائه النمامشة<sup>1</sup>.

كما أنه تمكن من كسب الحركة إليه وصارت ضمن قبائل المخزن وكوّنت قيادة تابعة للبايك تحت إشراف قايد العواسي<sup>2</sup>.

• **ضم بلاد ميزاب:** كانت بلاد بني ميزاب منطقة صحراوية فقيرة، تحكمها مجالس العزابة على المذهب الإباضي، ومنذ دخول العثمانيين إلى الجزائر وإقامة حكمهم اعترفوا بالاستقلال الداخلي لبني ميزاب استقلالا تاما على بلادهم مقابل أن يدفعوا لهم ضرائب سنوية محددة<sup>3</sup>، وقد يكونوا امضوا معهم معاهدة تضمن لهم هذه حقوقهم<sup>4</sup>.

وفي آخر أيام حكم صالح باي حاول ضم بلاد بني ميزاب إلى مقاطعته، وتوسيع حكمه، وحسب إبراهيم بحاز أن صالح باي أراد الانتقام من جماعة بني ميزاب المقيمة بقسنطينة بعدما رفضت دفع ضرائب فرضها عليها، واعتبرتها مجحفة في حقها فقام بمصادرة أملاكهم وأخرجهم من قسنطينة. وحسب الرسالة التي بعث بها أعيان بني ميزاب إلى حسن باشا في ذي القعدة عام 1206هـ (20 جوان - 18 جويلية 1792م)، أن الباي قد توجه إلى مدينة الجزائر يحمل معه أموالا كبيرة في نظير أن يأذن له الداوي بضم وادي

<sup>1</sup> L. CH. Féraud, Op. cit, pp.355-357

<sup>2</sup> **قائد العواسي:** كان يطلق على قبيلة الحركة اسم أولاد عيسى أو العواسي الذي استعمل رسميا في لقب الموظف المخزني قائد العواسي، قبيلة واسعة ومركبة، انتقلت من بلزمة بسبب الكوارث الطبيعية وصراعات داخلية في اتجاه أريس، منطقة عين البيضاء. وتنسب القبيلة إلى رجل نشيط، خلف أربعة أبناء تختلف أسماؤهم حسب الروايات المنقولة عن كل فرع من فروعها. منهم عيسى (منه الجمع: العواسي)، وكان منصب قائد العواسي ذا أهمية كبيرة ولا يسنده الباي إلا إلى أقاربه كأخ الباي أو صهره. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السابق، ص.92. وكانت قبيلة الحركة تنقسم إلى: أولاد خنفر، أولاد عمارة، أولاد سلوان، ينظر:

L.Ch. Féraud, Ain, Beida (Province De Constantine), In. R.A., Vol. n ° 16, éd. A.Jourdan, Alger, 1872, p.40

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 138

<sup>4</sup> يمكننا استنتاج وجود معاهدة أو اتفاقية بين الديوان وبين بني ميزاب من الرسائل التي نشرها إبراهيم بحاز في مقاله الموسوم ب: ثلاث رسائل محفوظة حول الإباضية الميزابيين بالجزائر في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغاربية العددان 89-90، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1998، ص. 239



بني ميزاب إلى مقاطعته، ومما جاء في الرسالة: " أن صالح باي قد دخل بلد الجزائر واشترى من المولى حسن الدولاتي بلاد بني ميزاب بأن يكون أميراً عليهم بعدة ألوف لا تحصى وأن يجعل أمورهم بيده وجهاز مما لا يعد ومما يستقصى".<sup>1</sup>

وقد سببت حملة صالح باي لسكان وادي ميزاب هلعاً ورعباً كبيرين، فلم يجدوا سبيلاً معه سوى أن يرسلوا برسالة إلى حسن باشا عن طريق وزيره وصهره الحاج علي بن عبد اللطيف، وحسب نفس الرسالة أن ما كتبوه جعل الداوي حسن يغير رأيه ويقف إلى جانبهم ومما جاء فيها: " أن ما كتبوه أثر في حسن باشا أثراً عجبياً... ورجع في حينه وساعاته عما جعله لذلك اللعين ونقض ما أبرمه له فكتب إليه أن يرجع عما عزمه ويخلي سبيل بني ميزاب وحذره وأكد له أن لا يذكرهم حتى ولو باللسان ما دام على مر الزمان".<sup>2</sup> غير أن صالح باي رفض الامتثال لأمر الداوي حسن باشا، فقرر هذا الأخير عزله وتعيين إبراهيم باي مكانه فتصاعدت الأمور وقتل صالح باي، وسنتطرق إلى هذه الأحداث في حينها.

### 3-3 سياسته اتجاه المرابطين :

لم تقتصر معارضة صالح باي على شيوخ القبائل ومنافسيه على الحكم بل شملت بعض شيوخ المرابطين، ومنهم الشيخ سيدي محمد، فقد كان يجاهر بعدائه لصالح باي وأكثر من ذلك التف حولة عدداً كبيراً من الناس وصار يحرضهم ضده فقبض عليه وأعدمه أمام جموع الناس.<sup>3</sup>

كما لاحق صالح باي مرابط آخر يدعى الشيخ سي أحمد الزواوي والذي كان في البداية صديقاً له ومستشاره، فأرسل إليه جنوده ليقبضوا عليه لكنه استطاع الهرب، فخرّب الجنود زاويته. وفي المرة الثانية أرسل له الهدايا ليسامحه على فعلته، ولكن الشيخ رفض هديته، والعودة لولايته.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص. 241

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص. 242

<sup>3</sup> هناك رواية شعبية أقرب ما تكون للخيال، تقول أن الشيخ محمد بعد مقتله تحولت جثته إلى غراب وطار وحط على الحمامات التي تقع في حدائق صالح باي الواقعة على جبل شطابة جنوب غرب قسنطينة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت تسمى

مزرعة سيدي محمد الغراب، ينظر: ERNEST Mercier, Op. cit.,p. 283

<sup>4</sup> أوجين فايس، المصدر السابق، ص -ص. 62-64

يتضح لنا مما سبق أن الكثير من المناطق والقبائل كانت تمتنع عن دفع الضرائب للباييك ومستقلة تماما عن السلطة المركزية كأولاد عاشور في فرجوة وبني جلاب في تقرت والدواودة وبن قانة في الزيبان، فاستطاع هذا الباي الجديد فرض سلطته على كامل الاقليم حتى وصل إلى أقصى الجنوب ( تقرت ) ووجد الأوطان وأصبحت القبائل خاضعة لسلطته وتدفع الضرائب للباييك بانتظام وعادت كل القبائل المتمردة إلى السلم، ودخلت الحركة وأولاد عاشور في خدمته (كفرسان للمخزن) وهذا بفضل قوة شخصيته وحنكته السياسية، تارة باللجوء إلى القوة، وأخرى باستعمال اللين وتقريب شيوخ القبائل منه، وحافظ على السلم لأكثر من عشرين سنة.

**4- علاقة صالح باي بالسلطة المركزية:** كانت العلاقة بين الدايات والبايات في مختلف بايكات الوطن لا تكاد تخرج عن التزامهم بواجباتهم اتجاه سلطات الجزائر وتتمثل أساسا في طاعة الأوامر وتقديم الضرائب في أوقاتها المحددة وبقيمتها المتفق عليها، والتي تعرف "بالدنوش".

وحسب العنتري أن سيرة صالح باي مع رعيته كانت حسنة طول فترة حكم محمد بن عثمان باشا، وكان شديد الولاء والطاعة له ولم يعرف عنه أنه عصى له أمرا في يوما من الأيام أو تأخر عنه في شيء إلى غاية وفاة الداوي سنة 1791م<sup>1</sup>.

ومن الأمور التي قام بها وتوضح انصياعه لأوامر للباشا ما جاء في رواية محمد الطاهر النقاد، إذ يقول أنه كان يستلف المال من عند باي تونس ويقدمه للباشا<sup>2</sup>، وهذه الرواية توضح أن الباي كان لا يمكنه أن يتأخر عن أوامر باشا الجزائر، ويفعل أي شيء ليرضيه.

وتظهر طاعته كذلك في تقديمه للدنوش وقيمه فكان يحمله إلى الجزائر كل ثلاثة سنوات، وخليفته كل ستة أشهر<sup>3</sup>. وكلمة الدنوش هي لفظ تركي ويعني العودة، وباللغة

<sup>1</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص. 78-83

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ص. 31

<sup>3</sup> أحمد شريف الزهّار، المصدر السابق، 46، هناك تناقض في كلام أحمد الشريف الزهّار حول فصل تقديم دنوش باي الشرق حيث قال في الصفحة 35 فصل الربيع، والصفحة 46 يذكر أنه في فصل الصيف، والشيء المؤكد هو أن دنوش البايات يقع مرة في كل ثلاث سنوات.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

التركية "DonÖs"، ومعناه الاصطلاحي هو عودة أو رجوع البايات بأنفسهم كل ثلاث سنوات إلى مدينة الجزائر أو يرسلون خلفائهم نيابة عنهم كل ستة أشهر، ليقدّموا للباشا حساباتهم المالية وتقاريرهم العامة<sup>1</sup>.

وحسب الدراسة التي أنجزتها الأستاذة رقية قندوز، فإن تاريخ بداية تقديم الدنوش ليس معلوماً، وعملية تقديمه هي خاصة بإيالة الجزائر دون غيرها من الولايات العثمانية<sup>2</sup>. وكان الباي يخرج في موكب كبير من عاصمة البايك في اتجاه مدينة الجزائر والأعلام مرفوعة والطبول تدق، والبنادق تطلق البارود، حتى يستقبلهم الآغا مع قواده والشواش في بوفاريك، فيقدم لهم الهدايا القيمة من الخيل المسومة والعبيد والكسوة والحياك الفاخرة، ثم ينطلقون باتجاه مدينة الجزائر، ويبدأ الباي في توزيع الدراهم على الناس المصطفة التي جاءت لرؤية هذا الاستعراض والفرجة الكبيرة، فكان صالح باي ينام تلك الليلة في قنطرة الحراش، وفي الصباح الباكر ينطلق لعين الربط، وهو المكان الذي يبني فيه باي التيطري وباي الغرب، ومنه ينطلق إلى دارة الإمارة<sup>3</sup>.

وفي الصباح الباكر يستقبل رجال الدولة الباي ورجاله، يسرون باتجاه دار الملك أين يكون الباشا في انتظارهم، وينطلق المهرجان الذي يتقدمه كبار رجال الدولة مع رجال البايك، وتمتدح فيه دقات الطبول مع طلقات البارود مع الرقص وفرحة السكان خاصة بالنقود التي تتناثر يمنا وشمالاً في الطرقات، فمن البايات من يرمي بالنقود الذهبية، ومنهم من يرمي بالفضة ومنهم من يرمي بالضبلون، والمنادي (البراح) ينادي بالصلاة على النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ وبين يدي الباي شواش السلام يسلم على الناس. ويحمل الباي معه إلى دار الإمارة الهدايا كالخيل المسومة والبغال وأقفاص السباع والنمور والعبيد وغيرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> رقية قندوز، مراسيم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006 ص.42

<sup>2</sup> رقية قندوز، المرجع نفسه، ص.46-49

<sup>3</sup> أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص.36-38

<sup>4</sup> أحمد شريف الزهار، المصدر السابق ص.38-39.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

فالدنوش هو مهرجان حقيقي يلتقي فيه لسكان العاصمة مع السلطة الحاكمة في فرجة حقيقية لا يتخلف عنها أحد.

وعندما يدخل الباى إلى دار الإمارة يستقبله الباشا ويجلسه إلى يمينه ويسأله عن أحوال الرعية وهو يتناول القهوة، فيقدم له الخزناجى الخلعة (القفتان) يلبسها ثم يقبل يد الباشا وينصرف إلى مكان إقامته والنوبة تعزف من ورائه<sup>1</sup>.

ويقدم في اليوم الأول هدية الباشا وهي 30 ألف محبوب ذهباً وبعض المجوهرات والملابس الفاخرة، وعدد من المواشي التونسية والطيب مثل، عطر الورد، عطر الياسمين، وتسابيح العنبر، والمرجان والبرانس الفاخرة والمجبود، والأثاث والخيل والسمن والمحور (كسكس) وفي الأيام الموالية يقدم هدية للوزراء وهي تقريبا كلها متعادلة وهي ألفي دورو والأثاث والمجوهرات، عبيد، كسوة، حياك، برانس، شمع، عسل، ثم هدية الكتاب والشواش، وهي دراهم وبالنسبة للشواش تصل إلى أربعة آلاف دورو<sup>2</sup>.

كل هذه الهدايا تقدم للباشا وأعوانه قبل أن تقدم اللزّمة (ضرائب مالية) وكانت لزّمة باى الشرق تقدر بثمانين ألف ريال كبيرة<sup>3</sup>.

هكذا، كان الباى يقوم بتحضيرات ومصاريف مالية وهدايا متنوعة ومكلفة جدا، ويسير بها في مهرجان وفرجة كبيرة، مما يؤدي بنا إلى التساؤل حول الغاية الحقيقية من كل هذه المصاريف والتبذير في الأموال، والتي يستفيد منها في النهاية فئة صغيرة جدا هي الباشا وموظفو قصر الإمارة؟. ذلك أن الباشا كان يمكنه أن يرسل أحد موظفيه مباشرة إلى الباى ويحصل منه الضرائب العينية والنقدية المفروضة على كل إقليم ويعود في سرية تامة، ولكن الذي يحدث هو العكس فالباى هو الذي ينتقل إلى العاصمة ويقدم الدنوش بنفسه، وهذا يجعلنا نعتقد أن الغاية الحقيقية من تقديم الدنوش هو إرضاء الباشا وحاشيته من أجل تجديد ولايته التي كانت تتم كل ثلاثة سنوات بالباسه القفتان (الخلعة السلطانية) هذا من جهة، ومن جهة أخرى حضور الباى الإجابري في السنة الثالثة بدلا من خلفيته هو

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص.39.

<sup>2</sup> أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص.40-46.

<sup>3</sup> أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص.46.

تأكيد لخصوعه لسلطته وولائه له، ويظهر ذلك في تقديمه للهدايا والّلزّمة وتقبيل يده بعد إلباسه القفطان.

وعلى أية حال كان الباي مستقلا إداريا، ولكنه سياسيا كان مسؤولا أمام الباشا الذي منحه السلطة، والذي يحاسبه على كل موارد وثروات الإقليم<sup>1</sup>.

ونشير هنا أن قيمة الدنوش التي كان يدفعها صالح باي من الهدايا والّلزّمة كانت تثقل كاهل السكان بابلك الشرق وترهقهم، مما دفع شيوخ الإقليم إلى تقديم شكاوي ضده إلى محمد بن عثمان باشا، غير أنه كان يرى نفسه في غاية الاعتدال معهم، مقارنة بما يقدمه هو وخلفيته في مراسيم الدنوش حيث كان يدفع عدة آلاف من ماله الخاص، حتى يستمر في منصبه، يرضى عنه الباشا<sup>2</sup>.

وكان لكل باي من البايات وكيل، وكاتب في مدينة الجزائر ومكتب قرب دار الإمارة يقيمون به، فإذا جاء السيّار من عند الباي للجزائر فإنه ينزل عند الوكيل بالمكتب، ويقدم له المكاتيب التي جاء بها، فيحملها الكاتب للداي ومعه السيّار فحين يدخلون على الباشا يسلم له الوكيل الكتاب، فيسألهم عن الباي، فيبلغون له سلامه، وإذا كان عندهم أمر يتكلمون فيه وإذا انتهى الحديث سلموا عليه وانصرفوا<sup>3</sup>. هكذا إذن كان الاتصال بالبايات يتم عن طريق وكلائهم الذين يقيمون في مكاتب خاصة في مدينة الجزائر بالقرب من دار الإمارة.

### 5- إنجازاته في المجال الاجتماعي والثقافي: قام صالح باي بعدة انجازات لخدمة

المجتمع والثقافة نذكر منها ما يلي:

<sup>1</sup> Abdeljelil TEMIMI, Le Beylik De Constantine et Hadj Ahmed Bey(1830-1847),La Société Tunisienne Des Arts Graphiques, Tunis,1978, p.52

<sup>2</sup> مذكرات كاتكارت، المصدر السابق، ص.52./ كان صالح باي يمارس تجارة الحبوب مع الشركة الملكية الإفريقية ويجنى منها أرباحا معتبرة مكنته من تغطية كل نفقاته وخاصة هدايا الدنوش إضافة إلى الضرائب المفروضة على سكان الأرياف بهذه المناسبة، وسنتحدث بالتفصيل حول التجارة الخارجية والضرائب في عهد صالح باي في حينه.

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.111

5-1 مسجد ومدرسة سيدي الكتاني:

اختار صالح باي حومة سوق الجمعة، لبناء مسجده الأعظم الذي يحمل اسم مسجد سيدي الكتاني، كما تدل على ذلك صريح العبارة التي جاءت في العقد رقم 18<sup>1</sup> والمتعلق بوقفية السيد "عاشق عمر" لصالح هذا المسجد بتاريخ أوائل رجب عام 1188هـ، حيث أشار إلى أنه "حبس على مسجد الشيخ البركة سيدي الكتاني الكاين بحومة الشارع، الذي بناه سيدنا صالح باي المذكور وجعله جامع خطبة"، أو الجامع الأعظم الذي تؤدي فيه صلاة الجمعة.

وكانت تلك المنطقة خالية تقريبا من السكان تكثر فيها الخرابات التي يمتلكها اليهود والمسلمون<sup>2</sup>، وقد أطلق عليه مسجد سيدي الكتاني لأنه بني على ضريح الشيخ الكتاني<sup>3</sup>، وترجع أقدم الوقفيات حسب ما جاء في سجل صالح باي للأوقاف - لفائدة المسجد إلى سنة 1188هـ/1774م، وهي سنة تأسيسه على الأرجح، لأن قبل هذا التاريخ لا توجد لصالحه أحباس.

والى جانب المسجد الأعظم بنى صالح باي مدرسة للتعليم العالي، استكمل إنجازها في سنة 1189هـ/1775م، وفي السنة الموالية 1776م، جلب إلى مسجد سيدي الكتاني من مدينة ليفورن الإيطالية منبرا من الرخام يقول عنه "فايست" أنه تحفة حقيقية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سجل صالح باي للأوقاف، المصدر السابق، ص.95. كثيرا ما يقع خلط بين حومة سوق الجمعة، وحي الشارع، ومعظم العقود قد جاء فيها العبارة التالية "الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه في سوق الجمعة".

<sup>2</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p.292

<sup>3</sup> جاء في العقد رقم 14 من سجل صالح للأوقاف- المؤرخ في فاتح محرم 1192هـ العبارة التالية "الجامع الأعظم الذي أحدث بنائه بسوق الجمعة والقريب جدا من ضريح الشيخ سيدي الكتاني، الذي هو تحت الجامع المذكور الاستقرار التام" وتؤكد هذه العبارة أن الجامع بني على ضريح سيدي الكتاني، كما تشير أيضا إلى أنه في حومة سوق الجمعة، ونجدها مكررة في الكثير من العقود من هذا السجل، وحول هذه النقطة تقول الأستاذة فاطمة الزهراء قشي، أن هناك خلط بين الحومتين: حومة الشارع وحومة سوق الجمعة. والمسجد في حقيقة أمره قد بني في حومة الشارع. ينظر هامش المحقق رقم 1، ص.95.

<sup>4</sup> إضافة إلى العقد رقم 18 لسنة 1188هـ، يوجد العقد رقم 1 في نفس السنة، وهو وقف خيربي لصاح باي للمسجد الأعظم المذكور أعلاه

<sup>5</sup> أوجين فايس، المصدر السابق، ص.46، 47.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

ولإتمام بناء المدرسة والمسجد، أوقف<sup>1</sup> عليهم الكثير من الحوانيت<sup>2</sup>، والمنازل<sup>3</sup> كما اشترى الأراضي الواسعة<sup>4</sup> وحبسها عليهما إما وقفا خيريا أو أهليا، وقلدوه أعيان البلد، فحبسوا الكثير من ممتلكاتهم على الجامع الأعظم والمدرسة ومنهم:

من أعيان البلاد الذين سجلوا وقفيات لصالح المسجد الأعظم والمدرسة، وقف السيد "رضوان خوجة" لرحى الكاينة بالشراك على حافة وادي حومة، كما يشير إلى ذلك

<sup>1</sup> الوقف: في اللغة العربية، من المصدر وقف ويدل على الحبس، والمنع، أما اصطلاحا : فهو كان معروفا في صدر الإسلام باسم الحبس والصدقة والتحبيس، والفقهاء متفقون على أن الوقف مستحبا شرعا مندوب إليه، وعائد الوقف تستفيد منه الجهة الموقوفة عليها، وهناك اختلاف بين المذاهب الأربعة في مسألة الوقف، سنبرز هنا رأي الإمام أبي الحنيفة والإمام مالك باعتبار إنهما المذهبي المتبعين في الجزائر خلال العهد العثماني، يرى الإمام أبي الحنيفة بأن الوقف هو: "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنافعها على جهة من الجهات البر في الحال، أو في المال"، ومن هذا التعريف نستنتج أن للوقف نوعين وقف خيري وآخر أهلي، فالخيري : هو ما جعل ابتداءً وقفا على جهة من جهات البر فكان متصدقا به في الحال. والوقف الأهلي: هو ما جعل أول الأمر على معين (شخص) أو أشخاص. وسواء كانوا معينين بالذات كأحمد أو معين بالوصف كأولاد فلان، ثم من بعدهم، على جهة بر كان مصدقا بها في المال. أما المذهب المالكي: فيعرف الوقف بأنه حبس عين عن التصرفات التملكية مع بقائها على ملك الواقف والتبرع اللازم، يرفعها على جهة من الجهات"، ومعناه أن الوقف لا يخرج العين الموقوفة عن ملك الواقف بل يبقى على ملكه يمنعه من التصرف فيها، التصرفات الناقلة للملكية ويلزمه بالتصديق بمنفعتها، فلا يجوز له الرجوع فيه. ونستنتج مما سبق أن المذهب المالكي لا يجيز الوقف الأهلي أو الذري ويسمح بالوقف الخيري وهو ما يسمح به المذهب الحنفي، ولمزيد من المعلومات ينظر : محمد مصطفى شلبي، أحكام الوصايا والأوقاف، مطبعة دار التأليف، مصر، 1962، ص.322-339.

<sup>2</sup> أوقف صالح باي على الجامع الأعظم، 9 جوانيت في سوق الجمعة بالقرب من المسجد، حسب العقد رقم 1 لسنة 1188هـ، ص. 20، و14 حانوتا في باب الوادي أحد أبواب قسنطينة، كما جاء في العقد رقم 3 لسنة 1189هـ، من سجل صالح باي للأوقاف، المصدر السابق، ص.22.

<sup>3</sup> كما حبس دارا في محلة القصبه بقسنطينة وأخرى بالقرب من سوق الجمعة، ينظر: العقد 5، 6، سجل صالح باي للأوقاف، ص.24، 25.

<sup>4</sup> ومن العقود المهمة التي قام صالح باي بحبسها على المسجد الأعظم، العقد رقم، 4 لسنة 1193هـ، وهو وقف أهلي(ذري)حبسه على نفسه ثم على ولده محمد وإخوته من بعده ثم يرجع إلى الجامع الأعظم والمدرسة وهو عبارة عن أراضي زراعية واسعة غرس بها جنة وكذلك جميع الأراضي التي حبسها بموجب العقد رقم 6 بدون تاريخ وهو وقف خيري لجميع الأراضي الكاينة خارج قسنطينة بالناحية الجوفية بكدية جمال وأبي الغمار والأراضي الواقعة غرب وادي قسنطينة، سجل صالح باي للأوقاف، المصدر السابق، ص.41.

عقد رقم 16 بتاريخ 1191هـ وهو وقف أهلي، ولكن تدفع كل سنة لمصلحة الجامع الأعظم خمسة أريلة ضرب كبير من غلة الرحي على أن يرجع الحبس نهائيا إلى المسجد<sup>1</sup>. وسجل السيد "مصطفى قيساوي" سبعة عقود في السجل صالح باي للأوقاف، وكانت أغلبها خيرية أوقفها على الجامع الأعظم وعلى عين ماء بالقرب منه بناها صالح باي، وبني هو نفسه عين ماء أخرى (سبالة) أوقف عليها جنتين. وباقي أوقافه على المسجد الأعظم كانت في معظمها منازل<sup>2</sup>.

وقبل أن ننتقل لباقي الانجازات العمرانية الأخرى نتحدث عن تلك المدرسة ونظام التعليم فيها، فلقد كانت المدرسة تتكون من أربع حجرات للطلبة وغرفة للأساتذة والشيخ وغرفة للصلاة، ومايضة وغرفة للمهمات، وتتبع النظام الداخلي<sup>3</sup>، وعدد طلابها مختلف فيه، حسب المؤرخ الفرنسي "أوجين فايست"<sup>4</sup> كان يساوي ثمانية طلبة، وأما محمد الطاهر النقاد<sup>5</sup> فيضاعف العدد ثلاث مرات ويذكر أنه كانوا أربعة وعشرين طالبا، ولا ندرى ما هو سبب هذا الاختلاف، فهل أحصى الأول المتخرجين والثاني تكلم عن المسجلين الجدد أو أن الاختلاف يرجع إلى المصادر التي اعتمد عليها كلا المؤرخين، ومهما كان العدد يبقى عدد الطلبة سواء 24 أو 8 يمثل نسبة صغيرة جدا من عدد الطلبة المتمدرسين في الشرق بالمقارنة مع عدد طلبة مدارس الغرب كما سنرى في حينه.

وكان يشرف على إيرادات ونفقات المدرسة وكيل أشبه ما يكون اليوم بالمقتصد ويساعده شاوش مكلف بالإدارة والتنظيف<sup>6</sup>، وخصص صالح باي للجميع في المدرسة رواتب سنوية قدرت بـ: 30 ريال في سنة للأساتذة و 8 ريال للوكيل، وتسعة للشاوش بينما يمنح لكل طالب مبلغ قدره 6 ريال في السنة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سجل صالح باي للأوقاف، المصدر السابق، ص.93

<sup>2</sup> ينظر، سجل صالح باي، المصدر السابق، صص.77-83

<sup>3</sup> ERNEST Mercier, Op.cit., p.294

<sup>4</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.48

<sup>5</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 10

<sup>6</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p. 294

<sup>7</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.50



## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

أما بالنسبة لبرنامج التعليم في المدرسة فقد كان مكثفا ولا مجال فيه للراحة أو الترفيه، فكان الطلبة يقرؤون كتاب دلائل الخيرات<sup>1</sup> يومي الخميس والجمعة يختمنونه صباحا ومساءً.

وكان الأستاذة يلقون الدروس صباحا ومساءً خلال شهر رجب وشعبان ورمضان، وفي باقي الأشهر يقرؤون الحديث والفقه والنحو وعلم الكلام<sup>2</sup>، و كل يوم يقرأ الطلبة أربعة أحزاب من القرآن الكريم حزبين بعد صلاة الصبح وحزبين بعد صلاة العصر، ويختمون في كل مرة بالابتهاال إلى الله والدعاء بالرحمة لمؤسس المدرسة<sup>3</sup>.

لم يكن التعليم في المدرسة مجاني فقط، وإنما كان يقدم منحا مالية للطلبة، وهو أشبه ما يكون بالتعليم العالي اليوم، وكان يشترط في الطلبة سواء كانوا من المدينة أو البادية أن يكونوا من حفظة القرآن الكريم، وعزاب ومن ذوي الأخلاق الحسنة<sup>4</sup>، ويلتزمون بالقانون الداخلي للمدرسة والذي يركز أساسا على عدم التغيب عن المدرسة خارج العطلة السنوية وهي ثلاثون يوما إلا بتقديم عذر حقيقي ومقبول<sup>5</sup>، والالتزام بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة مع الزملاء وإذا لم يحرز الطالب أي تقدم خلال عشر سنوات يطرد من المدرسة<sup>6</sup>.

ويرى "أوجين فايست" أن برنامج التعليم في المدرسة مكثفا جدا<sup>7</sup>، والحقيقة أن ظروف الدراسة وبرامجها آنذاك في الإيالة تختلف كلية عن ظروف وبرامج التعليم في أوروبا.

لم يقتصر دور صالح باي على إنشاء المسجد والمدرسة الكتانية وتوفير الموارد المالية والبشرية الضرورية لتسييرها فقط، بل اهتم أيضا بتجهيز المدرسة بالكتب، فحبس

<sup>1</sup> عنوان الكتاب الكامل هو: "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" للمؤلف محمد سليمان الجزولي، المتوفي في 870هـ، وفيه صيغ الصلاة على الرسول محمد عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم .

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 11

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.135

<sup>4</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.50

<sup>5</sup> محمد طاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 11، وأوجين فايست المصدر السابق، ص.50

<sup>6</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p.294

<sup>7</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.50

عليها مجموعة من الكتب القيّمة في علوم الفقه، اللغة، الحديث وغيرها، كما يثبت ذلك عقد الوقف الخيري رقم 18<sup>1</sup> دون تاريخ، ولكنه بالتأكيد كان بعد استكمال بناء المدرسة سنة 1189هـ/1775م. ومن بين تلك الكتب كتاب: "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار"، و"شرح الجزرية وأسماء الله الحسنى" في جزء، صحيح البخاري، الجزء السابع وغيرها.

لم يكتف صالح باي بهذه المدرسة وقام بإنشاء مدرسة أخرى بالقرب من مسجد سيدي الأخضر تنشر تعليماً في مستوى الثانوي والعالي، كسابقاتها، وكان صالح باي يتولى تعيين أساتذتها بنفسه، ويتقاضون أجورهم من أوقاف المساجد<sup>2</sup>.

كما واصل صالح باي تعمير حومة سوق الجمعة بإقامة مشاريع ذات طابع اجتماعي وتجاري تمثلت أساساً في الفندق ودار المرضى، حيث قام بإعادة بناء الخرابات التي اشتراها من ملاكها بعقود شرعية، وجعلها فندقاً، يتشكل من سبعة وسبعين غرفة في طابقين، أربعون بالطابق العلوي وسبعة وثلاثون حجرة أسفل منها، وبداخله إسطل وخارجه واحد آخر، وبنى أيضاً سبعة حوانيت خارج باب الفندق، وحبس كل هذه المنشآت على الجامع الأعظم وقفا خيرياً<sup>3</sup>.

لإنشاء دار المرضى قام صالح باي ببناء قطعة أرض مربعة الشكل طولها 25 ذراعاً وضم إليها قطعة أخرى اشتراها مسبقاً في سوق الجمعة وبنى قهوة وثلاثة دكاكين وفوق كل ذلك أنشأ داراً للمرضى (شبه مستشفى) وحبس جميعها حبساً خيرياً على الجامع الأعظم، وقد استثنى من حبسه دار المرضى، وجعلها معدة للمرضى من الجند يستشفى بها، واشترط أن تبقى كذلك إلى أن تم الاستغناء عنها ولم تعد لهم حاجة إليها رجعت الدار المذكورة حبساً على الجامع الأعظم<sup>4</sup>. لم تقتصر إنجازات صالح باي العمرانية على مدينة

<sup>1</sup> العقد رقم 18، دون تاريخ، سجل صالح باي للأوقاف، المصدر السابق، ص. 37.

<sup>2</sup> أوجين فايس، المصدر السابق، ص. 48.

<sup>3</sup> سجل صالح باي للأوقاف، العقد رقم 12، 1191هـ، المصدر السابق، ص. 31.

<sup>4</sup> سجل صالح باي للأوقاف، العقد رقم 16، 1194هـ، المصدر نفسه، ص. 35.

قسنطينة فقط بل شملت مدن أخرى في الشرق<sup>1</sup>، ومنها تشييده لمسجد بعنابة "متقنا به منارة"<sup>2</sup>.

### 5-2 دوره في إحياء نظام الوقف:

لقد كان صالح باي مدركا لفائدة الأوقاف وتتميتها حتى تؤدي دورها في رعاية المشاريع الموقوفة عليها، لذلك كان يشتري الخرابات ثم يعيد بناءها في شكل مشاريع تجارية تذهب أرباحها لرعاية تلك المنشآت العامة وعمالها. ولما وصلت الأخبار بالتقصير الذي وقع في أوقاف المساجد وإهمال الوكلاء إلى درجة أنها صارت مرابط للدواب أو خرابا، أصدر قرارا في أواسط شهر ربيع الأول عام 1190هـ/ أول أبريل 1776م أمر فيه قضاؤه والمفتيين في الحال أن يبحثوا على أوقاف المساجد ويقيدوها في أربعة سجلات متماثلة، أي أربع نسخ لتوزيعها واحدة لصاحب بيت المال، والثانية لشيخ البلد، والثالث عند قاضي الحنفية والرابع عند قاضي المالكية كما قرر محاسبة الوكلاء على أوقاف المساجد مرة لكل ستة أشهر حتى يتحلوا بالانضباط وروح المسؤولية، وعهد إلى المجلس العلمي المكوّن من العلماء وصاحب بيت المال بالنظر في الأوقاف والفائض السنوي منها يشتري به عقارا آخر يصبح وقفا جديدا، وهكذا تستمر الأوقاف في التجديد والزيادة<sup>3</sup>.

ويشيد المؤرخون الغربيون بالجهد الكبير الذي قام به صالح باي للبحث في هذه الأملاك وإعادتها لصالح مؤسساتها<sup>4</sup>، وكما يعتبر هذا التنظيم الإداري الذي قام به صالح باي من أهم الأعمال الإدارية التي أعادت إلى الأوقاف أهميتها ودورها الفعال في خدمة الدين والتعليم في المجتمع، كما أبرزت مدى الكفاءة التي يتميز بها هذا الباي كرجل إدارة متقن في عمله.

وقد أضاف صالح باي بالقرب من المسجد والمدرسة منزلا كبيرا لنسائه<sup>5</sup> من طابقين اشتمل الطابق السفلي على 16 حانوتا وحمام وحديقة ( جنينة ) واسطبلات للحيوانات - ثم

<sup>1</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p.294

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 11

<sup>3</sup> نشر نص هذه الوثيقة في :

Berbrugger, Province de Constantine, Les Anciens Etablissements Religieuse, Musulmans De Constantine, in R.A., vol. N° 12, 1868,éd. A. Jourdan, Alger, pp.122-124

<sup>4</sup> ينظر، أوجين فايست، المصدر السابق، ص.64. وراجع أيضا ERNEST Mercier, Op.cit, p.294

<sup>5</sup> ، أوجين فايست، المصدر السابق، ص.64

حبس الدار كاملة على نفسه وذريته من بعد ( وقف أهلي) ثم على المسجد الأعظم، كما يشير إلى ذلك العقد رقم 1 المؤرخ بتاريخ أواسط شهر صفر عام 1189هـ<sup>1</sup>. وبهذا العمل نقل صالح باي المركز الرسمي للحكم من باب الوادي إلى حي سيدي الكتاني<sup>2</sup> كما سمي فيما بعد<sup>3</sup>.

### 3-5 ترميم جسر باب القنطرة:

كان جسر باب القنطرة قبل أن يتهدم من أهم الجسور التي كانت تربط مدينة قسنطينة بالطرق الشرقية والجنوبية الشرقية التي كانت تسلكها القوافل التجارية والمحلات العسكرية<sup>4</sup>، وحسب الوثيقة التي نشرها "بربروجي" في المجلة الإفريقية لسنة 1868م<sup>5</sup> باللغة العربية والتي عثر عليها عند عائلة القاضي مصطفى بن جلول مساعد صالح باي أن هذا الجسر بناه الرومان سنة 335م، وكان يسمى ب "المشبكة".

وكان ذلك الجسر يتكون من أربعة أقواس، قوسين في الجزء العلوي وقوسين في الجزء السفلي، وبسبب التقادم تهدم منه القوسان العلويان، وبقي السفليان والأعمدة الثلاثة التي يرتكز عليها في حالة جيدة، ولكنه تعطل عن أداء مهامه في عبور المارة والقوافل إلى ضفة الشرقية، ومنذ أن تهدم بحث صالح باي عن مهندس كفء من أوربا لإعادة بنائه، وتمكن بفضل علاقاته من استقدام المهندس (Don Bartolomeo) من "ماهون" الإسباني<sup>6</sup>، ومعه مجموعة من الفنيين<sup>7</sup> وشرعوا في العمل أواخر جمادى الثانية سنة 1206هـ الموافق لمنتصف شهر فيفري 1792م<sup>8</sup>. وجلب الصخور اللازمة للبناء من جزر البليار (Baléares)، ولكن لم تصل سوى شحنة واحدة عبر ميناء صتورة بسكيكدة.

وبسبب هذا التأخير وصعوبة نقل الحجارة إلى قسنطينة قرر صالح باي استعمال مواد البناء المحلية، فقاموا بتهديم بناء رومانيا كان يسمى "قصر الغولة"، واستغلوا حجارته

<sup>1</sup> سجل صالح باي للأوقاف، العقد رقم 1 / 1189هـ، المصدر السابق، ص ص. 41-42

<sup>2</sup> سجل صالح باي للأوقاف، المصدر نفسه، مقدمة، المحقق، ص. 13.

<sup>3</sup> ERNEST Mercier, Op.cit, p. 292

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 65.

<sup>5</sup> Berbrugger, Op.cit, pp. 131,132

<sup>6</sup> ERNEST Mercier, Op.cit, .p294

<sup>7</sup> Berbrugger, Op.cit, p. 132

<sup>8</sup> Idem.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

وجلبوا الباقي من سهل المنصورة بالقرب من الحصن العتيق المسمى "المدفعية التونسية" لإتمام البناء.<sup>1</sup>

وحسب العطار<sup>2</sup>، فإن هذا الجسر كلف خزينة البايلك أموالا عظيمة، ولكنه حقق منفعة للعباد ومصلحة<sup>3</sup>، وحسب رواية الطاهر النقاد، فإن أهل البلد قد ساهموا في حفر الأساس لذلك الجسر تحت إشراف مهندس من "الجنويز" له معرفة في بناء الجسور وكان الباي يتفقد كل يوم وينتظر نهاية الأشغال به<sup>4</sup>.

ونشير هنا إلى أن المصادر الغربية لا تتحدث عن مساهمة سكان قسنطينة في بناء الجسر إطلاقا، على عكس محمد طاهر النقاد الذي ذكر دورهم ودور صالح باي في المراقبة وتفقد سير الأعمال باستمرار، مما عجل بإتمامه فكان "في غاية الإتقان"، وقال عنه العنصري<sup>5</sup>: "إنه بنى قنطرة بطرف قسنطينة فوق الهوى أسسها، وأتقن بناءها".

لم يكتف صالح باي ببناء الجسر فقط بل قام بمد قناة من المياه جلبها من جبل الوحش عبر الجسر إلى المدينة لتزويدها بالمياه الشروب، حتى لا يضطر السكان إلى حمل الماء، من أسفل الوادي ( وادي الرمال )<sup>6</sup> إلى المدينة. وظل هذا الجسر قائما إلى غاية سنة 1857م أين سقط جزء منه فهدمته السلطات الفرنسية، وأعدت بناءه من جديد ومازال قائما إلى اليوم.

والخلاصة أن صالح باي في الشرق قد استغل أوقات الأمن والسلام في إنجازات عمرانية هامة في حي سيدي الكتاني (دينية، تعليمية وثقافية) وأوقف عليها أوقافا كبيرة، واتبع سيرته أعيان البلاد. وكان اهتمامه بالأوقاف كبيرا حيث أعاد تنظيمها وتسجيلها من جديد حتى يعيدها إلى وظيفتها؛ وهي تمويل المؤسسات العامة والخيرية لفائدة المجتمع. ومن خلال إنشاءاته العمرانية المختلفة مثل: المساجد والمدارس، الحمامات، الفنادق،

<sup>1</sup> ERNEST Mercier, Op.cit, p.296

<sup>2</sup> أحمد بن مبارك العطار، المصدر السابق، 2011، ص.138.

<sup>3</sup> محمد صالح العنصري، المصدر السابق، ص. 82.

<sup>4</sup> ذكر المؤلف خطأ في تحديد بلد المهندس، وقال إنه من جنوا الايطالية بينما هو من إسبانيا. محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 12.

<sup>5</sup> محمد صالح العنصري، المصدر السابق، ص.83.

<sup>6</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p. 296

المحلات التجارية، دار للمرضى وعيون الماء يتضح لنا أن هذا الرجل كان يمتلك فعلا فكرا مستنيرا يهدف إلى خدمة المجتمع وترقيته.

ثانيا: بايلك الغرب في عهد محمد بن عثمان الكردي المعروف بمحمد باي الكبير<sup>1</sup>  
(1779-1798م / 1192-1212هـ)

**1 - المجال الجغرافي للبايلك - الموقع والتضاريس:** يمتد بايلك الغرب من حدود بايلك التيطري ودار السلطان شرقا إلى بداية حدود المغرب الأقصى غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية مشارف الصحراء جنوبا<sup>2</sup>، وعلى مساحة حددها الآغا مزارى ب أحد عشرة مليون وخمسمائة ألف وسبعمئة واثنان وسبعون هكتارا (500 772 11هكتار)<sup>3</sup>، ويأتي في المرتبة الثانية بعد بايلك الشرق من حيث المساحة.

وتتميز تضاريس بايلك الغرب بتنوعها وعدم تجانسها، حيث تمتد من البحر إلى الجنوب مجموعة متنوعة من الجبال (كمرتفعات وهران وجبال الظهر)، والسهول والهضاب (كالسهول الخصبة لشلف وغريس ومينة والهبرة، وتلمسان ومعسكر)، إضافة إلى بعض الأراضي القاحلة (كسبخة وهران)، نتيجة ارتفاع كميات الملح بها، خاصة تلك القريبة من المرسى الكبير، والتي كانت تمون كل البلاد بالملح، وتصدر منها إلى الخارج، وتخترق هذه الأراضي والجبال أودية وأنهار وأشهرها وادي شلف<sup>4</sup>.

غير أن هذا البايك لم يعرف استقرار عاصمته كباقي الأقاليم بسبب الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير وهران<sup>5</sup>، باستثناء الفترة التي أخرجهم فيها الباي مصطفى

<sup>1</sup> عرف عند الناس باسم محمد الأكل وفضل أعماله الكبيرة وانجازاته الحربية العديدة أطلق عليه محمد الكبير  
A. Gorguou, Notice Sur Le Bey D'Oran Mohamed El Kabir, In, R.A., Vol. n° 1, 1856, éd. A. Jourdan, Alger, p.407

<sup>2</sup> Louis Rinn, Op.cit., p. 51

<sup>3</sup> الآغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر التاسع عشر، ج2، تحقيق، يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص.271

<sup>4</sup> الواليش فتيحة، الحياة الحضريّة ببايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993، 1994، ص.36-38

<sup>5</sup> في شهر أوت 1505م قاد الماركيز "غوماريس" حملة بحرية تتكون من 5000 رجل واتجه صوب قرية المرسى الكبير وحاصرها لمدة 50 يوما ثم أحتلها بعد أن طرد سكانها منها في 23 أكتوبر وحول مسجدها إلى كنيسة سميت بكنيسة "القديس ميغال". وفي عام 1509م أتم الكاردينال "كازمينيس" استعداداته وخاض أسطوله البحري في منتصف شهر ماي

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

بوشلاغم سنة (1119هـ-1708م) إلى (1144هـ-1732م)، لذلك كان باي الغرب يتصرف بحرية مع الإسبان باعتبار وهران جزء من بايلكه في إعلان الحرب أو عقد السلم<sup>1</sup>.

كان بايلك الغرب قبل تأسيسه في النصف الأول من القرن السادس عشر (1540-1552م)<sup>2</sup> مقسما إلى قسمين، الجزء الأول كانت قاعدته مازونة، والقسم الثاني قاعدته تلمسان، ثم جمع القسمين الباي مصطفى بن يوسف المسراتي، المعروف بمصطفى بوشلاغم في عام 1098هـ/1690م، وهو أول من حكم البايك موحدا<sup>3</sup> وجعل القاعدة قلعة بني راشد، ثم نقلها إلى المعسكر (معسكر حاليا)، ثم أصبحت وهران بعد أن فتحها للمرة الأولى عام 1119هـ/1708م، وبعد أن طرده الإسبان منها عام 1732م/1144هـ، انتقل إلى مستغانم، وبقي هناك حتى وفاته في عام 1146هـ/1737م، ثم أصبحت معسكر، مرة أخرى عاصمة البايك، إلى غاية الفتح الثاني عام 1792 م، ثم نقلت نهائيا إلى وهران إلى نهاية العهد العثماني بالجزائر<sup>4</sup>.

**2- ترجمة للباي محمد الكبير:** اسمه الكامل هو محمد بن عثمان الكردي<sup>5</sup>، ويعرف بمحمد باي الكبير نظرا لإنجازاته الكبيرة، والده هو السيد عثمان كان بايا على بايلك الجنوب إلى أن قتل في إحدى غاراته على قبائل أولاد نايل. وأمه أم ولد اسمها "زايدة"

---

صحبة القائد "بيدرو نفارو" على رأس 1500م رجل ونزل بالمرسى الكبير ومنها اتجها إلى مدينة وهران ونجح في احتلالها دون مقاومة كبيرة. ينظر:

A. Gorguos, Notice sur le bey d'Oran, Mohamed El kabir in R.A. Vol, n° 02, 1857, éd. A. Jourdan, Alger, p. 28

<sup>1</sup> A. Gorguos, Op.cit., pp. 33, 38, 45

<sup>2</sup> أنشأ في ولاية حسن باشا بن خير الدين الأولى، ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق، تقديم، محمد ابن عبد الكريم، الجزائر، ش. و. ن. ت. ط. 2، الجزائر. 1981، ص. 16.

<sup>3</sup> محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم، تحقيق، محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا، الجزائر، 2008، ص. 170.

<sup>4</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 191.

<sup>5</sup> يقول ابن سحنون عن لقب الكردي أنه نسبة إلى الأكراد القوم الذين منهم صلاح الدين الأيوبي، أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق، تقديم، المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ط1، د.ت، ص. 120.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

أهداها له ملك المغرب لمحبة بينهما. وله أخ غير شقيق يسمى محمد الصغير ويقال له "الرقيق" و يلقب "بأبي كابوس" أيضا<sup>1</sup>.

بعد وفاته خلفه السيد أبو إسحاق إبراهيم الملياني على التيطري وتكفل بأولاده، وكانت بينهما صداقة كبيرة، فأحسن إلى أبنائه، وفي سنة 1173هـ عين هذا الخليفة بايا على بايلك الغرب، فأحضر معه محمد بن عثمان الكردي وكان يحبه كأحد أولاده<sup>2</sup>.

وكان هذا الباي محبا للعلم وأهله ومن أهم أعماله أنه بنى برج العسكر بمعسكر، وقد دام حكمه أربع عشرة سنة، وكان هذا الباي يحب العلماء ويغدق عليهم الهدايا ويشاركهم في مجالسهم ويقضي لهم مصالحتهم<sup>3</sup>.

هكذا تربي محمد بن عثمان الكردي في بلاط الباي مع العلماء، فتعلم الكثير من سياسة الأمور وتسييرها، وحب العلم وتوقير العلماء، وهذا ما يفسر لنا شغفه للعلم وحسن معاملته للعلماء لهم طوال فترة حكمه كما سنرى.

أول منصب شغله محمد بن عثمان الكردي هو قايد على فليته<sup>4</sup> سنة 1178هـ، قام بتعيينه الباي إبراهيم الملياني لمدة ثلاث سنوات أظهر فيها حسن إدارته وتسيير الأمور، وتيقن الباي أن قدراته أكبر من تلك القيادة، فعينه خليفة له، ومسؤول عن المؤونة ويشاركه بالحكم في نصف إيالته الشرقية منذ سنة 1182هـ، فقام بمهامه على أكمل وجه ونال حب الرعية<sup>5</sup>.

ولما توفي إبراهيم باي سنة 1189هـ، عين "مكانه الحاج خليل" بايا مع أن الرعية كانت تنتظر تعيين محمد بن عثمان الكردي، وكان خليل هذا رجل صاحب ثروة يقال أنه اشترى منصبه بالمال واستمر في الحكم مدة ثلاث سنوات ونصف<sup>6</sup> إلى غاية 1192 هـ،

<sup>1</sup> الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص.291

<sup>2</sup> أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.125

<sup>3</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص.196

<sup>4</sup> قبيلة فليته: تقع بزمورة ناحية غليزان، محمد مقصورة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014، ص.180

<sup>5</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص.126

<sup>6</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص.126



وبقي معه محمد بن عثمان خليفة له، وحسب رواية محمد بن يوسف الزياتي أن هذا البايع كان لا يحب العلماء ولا الأولياء وسبب موته يقال هو دعاء الشيخ "سيدي المدني ابن عطاء الغريسي" شاعر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والأولياء عليه بالهلاك<sup>1</sup>.

وفي آخر أيامه ظهر الشريف الدرقاوي في بلاد تلمسان والتف حوله الناس وعلا شأنه فأعلن التمرد على الأتراك، فأراد الحاج خليل باي مهاجمته والقضاء على ثورته في مهدها لكنه وجد مقتولا في خيمته دون أن يعرف من هو الجاني. وكان ذلك عام 1192هـ/1779م<sup>2</sup>. وبعده ولي محمد بن عثمان إيالة الغرب واستبشر الناس به، وقبل أن نفصل في أهم إنجازات هذا البايع نذكر أهم صفاته وفضائله.

### 2-1 صفاته وفضائله:

كان يكنى بالكبير، والمجاهد، الأكحل والمنصور، أبو عثمان، أبو أحمد، وأبو الفتوحات، وأبو النصر وأبو المذاهب، وأبو الربيع، وأبو الفتح وغيرها<sup>3</sup>. ويقول عنه مسلم بن عبد القادر المتوفى بعد سنة 1248هـ/1832م<sup>4</sup>: "إنه رجلا جسيما في الوجه أسمر اللون لا بالطويل ولا بالقصير وكان محبا للعلماء سريع الغضب قريب الرضا كثير الغزو على أهل الصحراء حكم ثماني عشر سنة".

ويضيف "تيدنا" (THEDNAT) أسير البايع الذي عمل عنده كخزناجي لعدة سنوات ورافقه في غزواته قائلا: "إنه كان في الأربعينيات من عمره في سنة 1779م، وكان ذو وجه جميل لحية شديدة السواد، وله ثقافة واسعة يتكلم الإيطالية بطلاقة واللغة الفرنكفونية، وعن أخلاقه يقول أنه كان شديد الإنسانية وذو سلوك طيب، وأحيانا تمتلكه موجة من الغضب لا يسيطر عليها، وقال عنه أيضا أنه مكث مدة طويلة في إيطاليا ب ليفورن، وزار مرسيليا وعدة موانئ بفرنسا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص.197

<sup>2</sup> W. Esterhazy, Op.cit. p.186

<sup>3</sup> الآغا بن عودة المزاربي، المصدر السابق، ج1، ص.298

<sup>4</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.63

<sup>5</sup> تيدنا (THEDNAT)، رجل مثقف فرنسي أسر على ظهر سفينة إسبانية ينقل براميل الخمر من طرف بحارة جزائريين، ومن حسن حظه اشتراه البايع محمد بن عثمان الذي عينه عنده كخزندار وأكرمه غاية الكرم وقد مكث عنده تقريبا أربعة

ويقول محمد أبو راس الناصري عن حب محمد بن عثمان باي للعلم والعلماء<sup>1</sup>:  
" أميرنا المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان باي ممدوحنا بهذه القصيدة فإنه والله أتقن سوق العلم وغلاء سعرها وعلا شأنه وعظم أهله فجمع بحزمه بين دينه ودنياه ولم يطاوع أحدا في هواه فسياسته للخاصة إشادة وللعامّة سعادة، بل بلطائفه المستحسنة ومقاصده الحسنة، وكيف أميرنا لا يجمع الخصال المحمودة والهداية المشهودة بل خليق بكل ذلك وجدير بجميع ما هنالك لأنه ذو بديهية معجزة وبصيرة مطرزة ولا يشق له غبار. ويقول فيه هذه الأبيات:

بشرى لأهل المغرب الأوسط أن لهم ركنًا وثيقًا إليه تسند الأمور  
لقطب دائرة الملوك قاطبة فخرهم غدا ما بالملوك افتخر  
محمد الهمام المخشى بـوادره يحلل النصر مرتد ومترز  
ومما قاله أيضا في جوده وكرمه اخترنا هذه الأبيات<sup>2</sup>:

ولكن إحسان الملك محمدا دعنتي إلى شعر في مدحه بارع  
فسار مسير الشمس في كل بلد وهب كريح يجلب الغيث نافع  
ففاق ملوك الأرض طرا كأنهم نجوم وهو بينها البدر الطالع  
فقد سادهم علما وحلما ونجدة وبالجود والإقدام لكل جامع

### 3- تنظيماته الإدارية وسياسته اتجاه القبائل:

سارع الباي فور توليته للحاق بالتطور الذي كانت تعيشه مختلف مناطق البلاد وخاصة الشرقية منها، ورأى أنه لا يتسنى له ذلك إلا بقوة ديوانه وجهازه القضائي

سنوات، ثم حرر وعاد إلى فرنسا وكتب هذه المذكرات سنة 1785م، ويقدم لنا الكثير من المعلومات عن طبيعة عمله وعن شخصية وتصرفات الداوي معه بشكل خاص، وعن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك الغرب بصفة عامة، ينظر، عميرايو أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص. 24-31

<sup>1</sup> محمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، دراسة وتحقيق، بوركية محمد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص. 172-173

<sup>2</sup> محمد أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص. 411

والعسكري، واتبع في أعماله سياسة الترغيب والترهيب من أجل إقرار الأمن وتحقيق العدالة وتطوير البلاد.

### 3-1 التنظيم الإداري:

كان الجهاز الإداري الحاكم في بايلك الغرب هو نفسه تقريبا في باقي البايلكات مع وجود اختلافات في بعض الوظائف والمهام كوظيفة الخليفة التي كان يقسم مهامها شخصين في الغرب بينما يقوم بها موظف واحد في الشرق. ولتسير إدارته اختار محمد باي الكبير موظفين من مقربيه ممن تتوفر فيهم الكفاءة وحسن الخلق في المناصب السامية:

- **الخليفة الأول:** كان يطلق عليه خليفة الشرق، ينوب عن الباي في الخروج للرعية بالجهة الشرقية لتحصيل الضرائب، وفي القدوم إلى الجزائر عند الحاجة<sup>1</sup>، ويحمل إليها الدنوش مرتين في السنة<sup>2</sup>، وكان يعرف أيضا بالخليفة الكبير لأن الباي هو الذي كان يعينه. ومن أبرز مهامه هي قيادته للمحلة ضد القبائل المتمردة أو الثائرة، وكان مسؤول عن 23 قبيلة بمحيط الشلف، 12 قبيلة بنواحي تنس<sup>3</sup>، وقبائل سهلية وأخرى جبلية، ويقوم بتحصيل الضرائب المختلفة منها<sup>4</sup>. وفي عهد محمد بن عثمان الكبير كان الخليفة الأكبر أخوه السيد محمد الصغير والمعروف بالرقيق، وكان يرافقه أثناء خروج المحلة ويحمل الدنوش إلى دار السلطان<sup>5</sup>.

- **الخليفة الثاني:** كان يطلق عليه أيضا **خليفة الكرسي:** وكان ينوب عن الباي إذا كان غائبا<sup>6</sup> وكان الباي كثير الغياب عن مجلسه بالشهور، وبالتالي فإن هذا الخليفة له دور كبير

<sup>1</sup> الآغا مزاري بن عودة، المصدر السابق، ج2، ص.274

<sup>2</sup> E. Vayassettes, Op.cit, p. 110

<sup>3</sup> كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2013، ص.43

<sup>4</sup> من القبائل السهلية نذكر: عياشة، بني زروال، أولاد بورحمة، أولاد خلوف، زريقة، عياشة، أولاد يونس، بني زنتيس، بني مديونة، صبيح، حميس، أولاد فارس، أولاد قصير، سنجاس، العطاف، بنو حميد، ومن القبائل الجبلية: بني وراغ، بني مسلم، حلوية، شكلة، البصرة، مطماطة، قبائل الونشريس، قبائل بدوان، أولاد عياد، البسناس W. Esterhazy, Op.cit, p.276. ولمزيد من التفاصيل عن قبائل ببايلك الغرب الجزائري ومناطق توزيعها ينظر، الملحق رقم (6).

<sup>5</sup> عميراوي أحمدية، المرجع السابق، ص.50

<sup>6</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص.190

في تسيير أمور الحكم وفض النزاعات في غيابه الطويل<sup>1</sup>، وحسب ابن هطال أن هذا الخليفة كان السيد محمد بن عبد الله من المشاهر، وقد سافر مع الباي في رحلته النحو الجنوب، وكان يتولى خدمته وينفذ أوامره<sup>2</sup>، والراجح أنه ترك وراءه الخليفة الأول ينوب عنه بمعسكر، أخوه أبو كابوس.

- **آغا الدواير أو قايد آغا:** ويسمى الآغا الكبير<sup>3</sup> كان السيد قدور بن إسماعيل البحتاوي، وهو من أعيان الدواير من يقوم بمهام هذا المنصب<sup>4</sup>، وكان مسؤولاً عن جميع الجهة الغربية إلى وجدة ما عدا تلمسان وضواحيها، وتحت تصرفه قبائل بني وعزان وأولاد الميمون، وأولاد بالغ وبني مطهر والجعافرة الغرابية وسائر الحشم ورزيو وبني شقران والبرجية جبلا وسهلا وزدامة والحوارث وخلافة وفرندة والكسانة والأحرار في بعض الأحيان وأولاد الشريف وأولاد الأكرد وأولاد خليف وسائر سويد وأولاد عايد وأولاد عياد وبني امديان وسائر من بالجبال. وبصفة عامة الدائرة التي كان يسيرها كبيرة بخلاف الدائرة التي يحكمها الوزير الثاني، وهذا المنصب كان لا يتولاه إلا من كان من أبناء العائلات الكبرى<sup>5</sup>.

- **قايد الزمالة:** وهو الآغا الصغير ويسمى أيضا قايد كبير، وهو من أعيان الزمالة وكان مسؤولاً على أعراش الزمالة والغرابية واليعقوبية ومجاهر وحميان ودائرتة صغيرة تتكون من خمسة أعراش فقط<sup>6</sup>.

وهذان الوزيران هما اللذان يستقبلان شكاوي العرب كلا في دائرتة ثم يعرضانها على الباي، وكان الباي يشاورهما ويأخذ بنصائحهما وأحيانا أخرى يجمعهما للمشورة<sup>7</sup>.

- **قايد البلد:** يشرف على المدن الهامة مثل تلمسان ومستغانم ومازونة وغيرها، ويعين الباشا حكام المدن بنفسه، ومهمته الأساسية هي تثبيت السلطة المركزية وجمع الضرائب

<sup>1</sup> حسب رواية "تيدنا" فإن رحلة الباي مع المحلة دامت أربعة شهور، عميرواي أحميدة، المرجع السابق، ص. 43.  
<sup>2</sup> أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق، تقديم،

محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1979، ص. 50.

<sup>3</sup> الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص. 272.

<sup>4</sup> عميرواي أحميدة، المرجع السابق، ص. 50.

<sup>5</sup> الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص. 272.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص. 272.

<sup>7</sup> محمد بن يوسف الزياني، ص. 190.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

والحفاظ على أملاك الدولة<sup>1</sup>، وتحت تصرفه شيخ عربي يقال له شيخ البلد، وهو مسؤول عن أجور الجند ومؤونتهم، وتعاقب في بيته النساء سرا اللواتي يرتكبن مخالفات<sup>2</sup>، ويرعى مصالح الطوائف الدينية والحرفية بالمدينة<sup>3</sup>.

- **الخرندار:** يشغل هذا المنصب من كان يحسن القراءة والكتابة ويتميز بالثقة والأمانة، وفي عهد محمد باي الكبير شغله أجنب؛ الأول كان إسبانيا والثاني هو "تيدنا" الأسير الفرنسي، وبعده لا ندري من خلفه، ومن خلال مذكرات "تيدنا" استخلصنا أهم أعمال الخرندار، ونذكر منها: كان عليه أن يرافق الباي أو خليفته إلى دار السلطان لتقديم الدنوش، وهو مسؤول عن إعداد كل شيء قبل خروج المحلة من المؤونة والدواب والأسلحة الخيام، وكان يحملها ثلاثمائة أو أربعمائة جمل لتقضي أربعة شهور في الأرياف قبل عودتها إلى معسكر، وهو مدير قصر الباي يعد له مائدته وحصانه وغيرها من أشيائه الخاصة<sup>4</sup>.

كما يجب عليه أن يكون ذو خبرة في العملة ويفرق بين الصحيحة والمزورة من الذهب والفضة، ويقوم بإيداع النقود في الخزينة، بعد أن يفصل بين مداخل كل مدينة حتى يضبط حسابها بدقة، ويتفادى تلاعب المكلفين بتحصيل الضرائب. ويسجل كل صغيرة وكبيرة في سجلات بتواريخها. ويمكنه أيضا بحكم وظيفته التدخل في منح الوظائف لطالبيها لدي الباي، وكانت أجرته عشرة سكات شهريا<sup>5</sup>.

- **الكاتبان:** ويكونان من العرب: يكتبان له جميع الأوامر والقرارات التي يصدرها  
- **الكاتب الأول:** وهو كاتب السر أو الكاتب الكبير ويقال له باش تافتار، وكان يشغل هذا المنصب أحمد بن هطال التلمساني<sup>6</sup>، الذي رافق الباي في رحلته إلى الأغواط وسجل أهم أحداثها بأمر من الباي في مؤلفه الموسوم ب: "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري

<sup>1</sup> كمال فيلال، البايك نظام حكم في الجزائر العثمانية، مجلة الهجرة والرحلة، أبريل 2014، عدد خاص، جامعة قسنطينة 2، ص. 32.

<sup>2</sup> Laugier De Tassy, Op .Cit, P.236

<sup>3</sup> Ernest Mercier , Op.cit., p. .214

<sup>4</sup> عميرواي أحميدة، المرجع السابق، ص. 42-58

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص. 44.

<sup>6</sup> أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 137.

إلى الجنوب الصحراوي" عام 1785م، ومن خلال هذا الكتاب يتضح لنا المستوى الثقافي للكاتب وضلوعه في اللغة العربية.

- **الكاتب الثاني:** يذكر أبو راس الناصري في كتابه "فتح الإله" أن للباي محمد الكبير كاتب أديب وعالم كبير التقى به عند زيارته لبلاط الباي وصحح له خطأ لغويا، وقال عنه<sup>1</sup>: " لسان الدولة وفارس الجولة الذي عظم الله مكانه ورفعته...العالم الفقيه الحبر النزيه ذو البلاغة والجزالة السيد محمد بن حسن من بيت علم وصيانة...وكان ذا يد في النحو واللغة وسائر العلوم ولا سيما الأدب فينسل إليه من كل حذب"، يؤكد لنا كلام أبو راس أن "محمد بن حسن" شغل منصب كاتب الدولة عند الباي محمد الكبير، ولكن لا ندري هل هو الكاتب الأول أو الثاني بعد ابن هطال، وكانت من بين مهامه الأساسية هي كتابة الرسائل وتسجيلها<sup>2</sup>.

- **الشواش:** عددهم ثمانية، أربعة من الترك يرتدون زيّ عسكري مختلف عن شواش الباشا يعنهم الباي، ومهمتهم هي تنفيذ العقوبات والأوامر من الجلد إلى الإعدام، وأربعة آخرين لفرض النظام ويقال لهم شواش بني العرب<sup>3</sup>.

- **الباش سيار:** أو قائد البريد كما سبق ذكره، وكان مسؤولا عن ثلاثة كتّاب مكلفون بمراسلات الباي مع الباشا، والموظفين السامين في حكومته والاتصالات الشخصية، ويقوم بنقل بريد الباي إلى الوكيل بدار السلطان بالقرب من قصر الإمارة، وله دور آخر يتمثل في معرفة إذا كانت هناك مؤامرات تحاك ضد الباي من طرف أعضاء حكومة الباشا أو لا، فيتصرف الباي فورا ويخصم بهدايا قيمة تعدّل من رأيهم فيه<sup>4</sup>.

وكان للباي مجموعة أخرى من الموظفين الصغار يسهرون على خدمته الخاصة وخدمة منزله منهم قائد الدار المسؤول عن داره وقايد السبسي المسؤول عن غيلومه، وآخر مكلف بأمور الطابع يقال له قايد الطابع وهكذا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو راس الناصري، فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته تقديم، تحقيق، محمد عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص.100

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص.190

<sup>3</sup> المصدر نفسه.

<sup>4</sup> W. Esterhazy, Op.cit,p.245,246

<sup>5</sup> الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص.273

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن بايلك الغرب كان مقسما بين ثلاثة مسؤولين كبار يحصلون الضرائب ويعينون القياد، وهم آغا الدواير وآغا الزمالة والخليفة الأكبر، وفي الحقيقة كان يوجد أربعة آغوات اثنان من الزمالة واثنان من الدواير يتناوبون على العمل بحيث يعمل اثنان ويستريح اثنان، وكانا مجبرين على التنسيق بينهما<sup>1</sup>.

كان القياد يعينهم الآغوات أو الباي من العائلات الكبيرة في الأرياف على الأوطان<sup>2</sup>، وهم بدورهم يعينون شيوخ أو رؤساء القبائل، وكانت لهم مهام إدارية وقضائية تماما كما ذكرناها سابقا في بايلك الشرق.

ومن أبرز القياد في بايلك الغرب؛ قائدان واحد يسمى قايد البلد، والثاني يسمى قايد الجبل، وكانا يشرفان على تحصيل الضرائب في ضواحي تلمسان، ولكل واحد رجاله من المخزن من حضر وكراغلة تلمسان، وقبائل تابعة له وأخرى مسؤول عنها<sup>3</sup>. ومن أبرز القياد كذلك كان قايد الجندل وقلية، الأول مكلف بجمع الضرائب من بلاد جندل وبلاد بلال، والقبائل في ضواحي مليانة، والثاني كان يشرف على القبائل التالية: أولاد سويد، أولاد أرزين، أولاد بوعلي، أولاد سيدي بوعلي منداس، عكرمة الغرابية عكرمة الشراقة، بني درقن، وتدفع هذه القبائل للقايد إضافة إلى الضرائب المعتادة لزمة تتمثل في الزيدة والخيول<sup>4</sup>.

### 3-2 نظام القضاء:

كانت السلطة القضائية ببائلك الغرب صورة مصغرة عن السلطة القضائية في الإيالة، بحيث يتم النظر في مختلف القضايا واصدار الأحكام بنفس التنظيم والاجراءات والسرعة كما كان يحدث في باقي المناطق، وكان يطبق فيه كذلك قضاء تقليدي وآخر حضري؛ تقليدي تديره شخصيات محلية ذات مكانة عالية سياسية أو دينية، كالشيوخ والقياد والمرابطين في الأرياف، وقضاء مدني يشارك فيه الباي والقضاة والمفاتي وكبار الموظفين في الحواضر والمدن.

<sup>1</sup> W. Esterhazy, Op.cit., p. 261

<sup>2</sup> Idem, p.247

<sup>3</sup> القبائل التابعة لقائد البلد هي: بني وعزان الغسل، أولاد سيدي العبدلي، بني سنوس، بني ورتيد، ولاسة، بني سماعيل. أما القبائل التابعة لقايد الجبل فهي: الجويدات، أولاد لرياح، أولاد ورياش، بني حميل، بني سعيد، W. Esterhazy, Op.cit., p.271. راجع الملحق رقم (6) حول موقع هذه القبائل في بايلك الغرب.

<sup>4</sup> W. Esterhazy, Op.cit, p.273- 274

ويأتي على رأس الجهاز القضائي في البايك الباي الذي له حق التصرف المطلق في الرعية وإصدار الأحكام من الجلد والغرامات والسجن إلى غاية عقوبة الإعدام على العرب دون أن يعترضه أحد، أما الأتراك فلا يستطيع أن يصدر في حقهم الإعدام دون الرجوع إلى الباشا بالجزائر<sup>1</sup>. وكان الباي محمد الكبير يفصل في القضايا التي ترفع إليه وكانت له دراية واسعة في الفقه والقضاء، وقد تحدث الأسير "تيدنا" مطولا عن الأحكام التي يصدرها الباي فيقول: " كان سيدي أفتق من الذين يتولون مهام القضاء ورأيته يحاكم في القضايا الأكثر غموضا التي بإمكانها أن تحيّر الشخص الأكثر معرفة ولكنه كان يقدم أحكامه في الدقيقة نفسها، والله وحده يعرف كيف يتأتى له ذلك"<sup>2</sup>. ومن بين تلك الأحكام التي شاهدها ورواها "تيدنا" نذكر:

- **عقوبة القتل العمدي:** كان المتهم بالقتل بعد أن يرتكب الجريمة لا يهرب أبدا حتى تأتي عائلة الضحية لتقدم شكوى إلى الباي، وفورا يرسل هذا الأخير في طلب القاتل، وعندما يسأله الباي لماذا فعلت ذلك تكون الإجابة إته قدره الله وكتب له ذلك وفي الحين يطلب الباي من عائلة الضحية ماذا يفضلون إما طلب الفدية أو الصلح، أو إعدام القاتل، وإذا اتفقوا على الصلح يأخذ الباي نصف المبلغ، وفي حالة عدم الاتفاق فإنهم يأخذون القاتل ويقوم بقتله أقرب أحد للضحية بالقرب من خيمة الباي وبحضوره شخصيا ودون تدخل منه<sup>3</sup>.

- **عقوبة سرقة الماشية:** تتوقف العقوبة على قيمة الأشياء المسروقة، إذ قد تصل إلى حد القتل وينفذها فورا الشواش، وقد تكون الجلد فقط<sup>4</sup>.

أما عقوبة الزنا بين أسير مسيحي وامرأة مسلمة هي الجلد من 400 إلى 600 جلدة بالعصا، وغرامة مالية كبيرة، وتشنق المرأة وتنفيذ العقوبة وتدفع الغرامة في الحال<sup>5</sup>. ولقد أصدر الباي حكما على أسير وامرأة مسلمة ارتكبا جريمة الزنا بتعليق كل منهما من رجليه

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 190

<sup>2</sup> عميراوي أحميده، المرجع السابق، ص. 53.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص. 53.

<sup>4</sup> عميراوي أحميده، المرجع السابق، ص. 67.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص. 68-69.



في باب السجن حتى الموت، ولكن تدخل الأسير "تيدنا" خفف الحكم إلى جلد الرجل وشريكته 200 جلدة<sup>1</sup>.

وحسب ذات المصدر أن هذه الرذائل كانت تثير غضب الباي إلى حد كبير لذلك كان يوقع على من تثبت عليه الجريمة اشد أنواع العقاب، حتى يحد من انتشارها، كما حدث مع الأسير نفسه<sup>2</sup>.

### 3-3 علاقة محمد باي الكبير مع باشا الجزائر:

حسب ما يجمع عليه معاصروه كانت علاقته مع الحكومة المركزية علاقات "ودية" ومن بين هؤلاء نذكر أحمد بن هطال الذي قال أن باشا الجزائر وأعضاء حكومته أرسلوا لمحمد باي الكبير هدية ثمينة عندما خرج في رحلته نحو الصحراء في عام 1785م، وكانت عبارة عن فرسا أنثى من عتاق الخيل<sup>3</sup>، ردا على الهدايا القيمة التي كان يحملها الباي معه أثناء الدنوش، وحسب أحمد سحنون الراشدي، أن سكان دار السلطان كانوا ينتظرون بفارغ الصبر وقت زيارة باي الغرب لتقديم الدنوش كل ثلاث سنوات، وكان مجمل ما يدفعه من الهدايا ويفرقه من مال على الفقراء والعلماء يفوق مائة ألف سلطاني<sup>4</sup>، إضافة إلى ما يعادل تسعين ألف سلطاني من الشعير ونفسها من القمح<sup>5</sup>، والعبيد والأحصنة والبرانس أعداد كبيرة<sup>6</sup>، وأما مراسيم تقديم الدنوش فكانت تتم بنفس الطريقة كما سبق وأن ذكرنا مع باي الشرق مع اختلاف وقت قدوم كل باي، فقد كان قدوم باي الشرق في الصيف، وباي الغرب في الخريف، وخلال الأيام الثمانية التي يقيم بها الباي في دار السلطان يسأله الباشا عن حال الرعية ويوصيه عليهم جيدا ومن جملة ما أوصى به محمد باي الكبير هو عدم ترك قتال الإسبان حتى لا يهنأون فيها أبدا<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> عميرواي أحميده، المرجع السابق، ص.50

<sup>2</sup> ذكر الأسير "تيدنا" أنه خوفا من تلك العقوبات غير سلوكه تماما ينظر: المرجع نفسه، ص.69

<sup>3</sup> أحمد بن هطال، المصدر السابق، ص.39

<sup>4</sup> أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.144

<sup>5</sup> ذكر استرهادزي أن العشور والزكاة من الحبوب والحيوانات تباع ويحمل الباش سيار ثمنها نقدا إلى الباشا في مدينة الجزائر، راجع: Esterhazy, Op.cit, p.240-241

<sup>6</sup> Venture De Paradis, Op. cit, p.62

<sup>7</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.49

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

وكان الباي ملتزماً بدفع الدنوش الكبير الذي يحمله هو بنفسه كل ثلاثة سنوات والدنوش الصغير الذي يحمله خليفته كل ست أشهر، ويقدرها (Esterhazy) استرهازي بألف ريال بوجو للباشا وتسمى باللزمة، إضافة إلى عدد من العبيد والبغال والحياك وبرانس بيضاء وسوداء والجلد الأحمر لصنع البشماق (الأحذية) للجنود وفرسين من عتاق الخيل وعددا من الأحصنة العادية والبغال وهي هدايا تسمى "العوايد" للباشا وكل موظفين الحكومة بدار الإمارة<sup>1</sup>.

إضافة إلى الدنوش الكبير والصغير كان يتوجب على البايات دفع مبلغ مالي شهري ينقله الباش سيار إلى الباشا قدره استرهازي بخمسة آلاف سلطاني<sup>2</sup>، بينما حدده أحمد الشريف الزهار بأربعة آلاف دورو بجة وقال أنه يسمى "البيباشي"<sup>3</sup>، ومنهم من كان يدفعه كل شهر مثل باي الغرب، وأما باي الشرق فيدفعها كل ستة أشهر<sup>4</sup>، بينما تشير الوثائق التي عثرنا عليها أن هذا المبلغ المالي أو الضريبة الشهرية كان يدفعها بايلك الغرب كل ستة أشهر "وأولها جمادى الأولى وآخرها شوال كالعادة" وتسمى "بياشي"<sup>5</sup>، أو كل ثمانية أشهر "أولها ذو القعدة الحرام وآخرها جمادى الثانية بحسب العادة والقانون" وتسمى "بيباشي"<sup>6</sup>. ويتضح لنا من العبارة "بحسب العادة والقانون" و "كالعادة" أن تقديم البيباشي أو

<sup>1</sup> Esterhazy, Op.cit, p.240

<sup>2</sup> Idem.

<sup>3</sup> البيباشي: بحثنا عن معنى هذه الكلمة في القواميس المتوفرة لدينا لكننا لم نجد لها، فاتصلنا بالأستاذ خليفة حماش عبر البريد الالكتروني الذي يتقن اللغة التركية ورد علينا بهذا الجواب الوافي: " البيباشي أو البيكباشي، كلمة تركية، مركبة من (ال)، وهي أداة تعريف عربية. ثم كلمة (بين)، وهي (بيك) بكاف نوني، في العثمانية، ومعناها (ألف)، ثم لفظة (باش) التي تعني (الرأس، والمقدم، وأول الشيء)، وأخيرا حرف (ي) وهو علامة للمضاف. ويقصد بذلك كله (مقدم الألف، أو قائد الألف)، وهي رتبة عسكرية تعادل رتبة المقدم وفق المصطلحات العسكرية المعاصرة، ظهرت في رتب الجيش المحمدي في عهد السلطان محمود الثاني بعد إلغاء الجيش الانكشاري ولكنها لم تكن موجودة في الجيش العثماني في الجزائر، مما يبين أن ذكرها بذلك الشكل عند أحمد الشريف الزهار هو من باب الخلط مع رتب عسكرية أخرى، أو من باب القراءة الخاطئة للمصدر من جانب المحقق.

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.47

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، رسالة رقم، 11، من حسن باي الغرب إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 14 ذي القعدة 1242هـ/8 جوان 1827م يعلمه أنه أرسل الى الدار الكريمة لزمة بياشي لمدة ستة أشهر ومعها عوائد ميناء المرسى الكبير. لمزيد من المعلومات حول لزمة بيباشي ينظر، صورة عن الرسالة رقم، 11 بالملحق رقم(07).

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة 3205، الملف الثالث، رسالة رقم، 51، من حسن باي الغرب إلى حسين باشا حول إرسال لزمة ميناء وهران كتبت خلال عام 1243هـ/1827-1828 م

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

يباشي كان يتم في بايلك الشرق والغرب بنفس الطريقة إما كل ستة أشهر أو ثمانية أشهر منذ زمن طويل.

وأما مصطلح "اليباشي وبياشي"، فالمقصود به نفس الكلمة، وهي كتابة غير صحيحة للفظ (باياباشي)، وهي رتبة عسكرية كانت موجودة في الجيش الانكشاري في استانبول كما في الجزائر<sup>1</sup>. وصاحبها في الجزائر هو ضباط سامي يرتقي إلى رتبة (باش يايا باشي)، ثم إلى رتبة آغا الانكشارية كما ذكرنا سابقا. أما لماذا عرفت تلك الضريبة باسم تلك الرتبة فربما أنها كانت توزع على أصحاب تلك الرتبة ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

وبعد تحرير وهران سنة 1792م صار باياتها يدفعون لزمة شهرية عن مرسى وهران مع ضريبة اليباشي كما تشير إلى ذلك الرسالة رقم 11 المرسله من حسن باي إلى إبراهيم وكيل الحرج في 14 ذي القعدة 1242هـ/8 جوان 1826م<sup>2</sup>، والرسالة رقم 51 المبعوثة من حسن باي إلى حسين باشا خلال عام 1243هـ الموافق ل1827-1828م<sup>3</sup>.

إضافة إلى الدنوش والضريبة الشهرية يدفع البايات زكاة العشور من الحبوب والحيوانات. فكان باي الغرب يدفع عشرة آلاف صاع قمحا ومثلها شعير ويوزع على الوزراء والموظفين الساميين نحو ألف صاع قمحا ومثلها شعيرا والغنم ستة آلاف رأس مرتين في السنة في شهر أبريل وسبتمبر يعطي العوايد في عيد الفطر وعيد الأضحى ويوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف للباشا ووزرائه وكتّابه وجميع الموظفين. وكان يدفع باي الشرق مثله في عوايد المواسم وفي زكاة القمح والغنم ويزيد نحو ألفي رأس من البقر في العوايد، والتمر والزيتون في كل سنة ويبيعت في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن للمراكب الجهادية من مرسى عنابة<sup>4</sup>.

والخلاصة حول التزامات البايات اتجاه السلطة المركزية أنها كانت واجبات مالية تمثلت في الضرائب التقليدية المختلفة، والهدايا والعوايد يؤديها البايات وخلفاؤهم في أوقاتها المحددة، ويستفيد منها الباشا ووزرائه وكبار الموظفين ربما أكثر من خزينة الدولة نفسها،

<sup>1</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، المرجع السابق، ص ص. 103-104

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، رسالة رقم، 11، المصدر السابق

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3205، الملف الثالث، رسالة رقم، 51، المصدر السابق

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 47.

ونعتقد أن كل من عمل داخل قصر الإمارة وخاصة إذا كان من كبار الموظفين جمع ثروة هائلة وذلك لأنه في كل مناسبة تأتيه هدايا أموال معتبرة.

### 3-4 سياسته اتجاه القبائل:

بمجرد تولي محمد باي الكبير حكم بايلك الغرب، اهتم بإقرار الأمن والاستقرار في ربوع مقاطعته، لذلك بادر بإخضاع القبائل المتمردة والممتنعة عن دفع الضرائب، والقبائل التي تمتنن للصوصية وقطع الطرق على الناس والقوافل التجارية، فأخضعها لسلطته فساد الأمن والاستقرار في كل مكان، فكيف تم ذلك؟.

في البداية اتجه الباي صوب الغرب إلى قبيلة "الأعشاش" الواقعة في الحدود بين مقاطعة الغرب وبلاد المغرب الأقصى، وكانت نساء تلك القبيلة ورجالها يقطعون الطريق على المسافرين وخاصة التجار، فغزاهم وشتت شملهم، فاستقر الأمن في تلك الجهة. وفعل نفس الشيء بقبيلتي "المهابة" وأولاد علي بن طلحة" وهم كانوا كذلك خارجون عن دائرة سلطته<sup>1</sup>.

وكانت قبيلة "الحشم" تسكن بين معسكر وسعيدة تعيش مستقلة عن سلطة الباي لا يدخلها فرسان المخزن مهما فعل أهلها، فكثرت اعتداءاتهم، واشتهروا بعدم احترامهم للشريعة الإسلامية والأعراف، فخافهم الناس في كل مكان، وتجنب البايات غزوهم، حتى ولي الباى محمد بن عثمان الكبير فغزاهم وأدبهم، ودخلوا تحت سلطته وانضموا إلى مخزنه وصاروا من جنده<sup>2</sup>.

و"قليته" كانت قبيلة مشهورة بقطع الطريق أيضا على المسافرين فلا يمر بها في غير أيام المحلة إلا قتل أو مأسور، غازهم الباى وأخضعهم لطاعته، فأصبحوا "أذل من بناتهم". وكذلك كان "الأحرار العرب" لا يؤدون الضرائب ويقطعون الطريق فلم يزل يحاربهم حتى خضعوا لطاعته. وأصبحوا يؤدون المطالب المخزنية من الضرائب شتاء وصيفا وزال خطرهم على الناس. وأخضع كذلك قبائل "حميان"، وأعراب" العمور وسعيد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 136.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص. 137.

<sup>3</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص - ص. 137-138. ينظر الملحق رقم (6) حول موقع هذه القبائل.

أما أولاد الشريف فقد عاقبهم محمد باي الكبير أيام كان خليفة فتحالف معهم الأعراب وتكاثرت أعدادهم ولم يتمكن من هزيمتهم، ولما صار بايا حاول الكرة عدة مرات ولكنه لم يقم بحملة شاملة عليهم خوفاً على جنوده من الهزيمة، فأمر بإنشاء مركزا للمحلة بالقرب من أراضيهم، ولما رأى الأعراب المحلة تفرقوا في كل وجهة. وحسب ابن سحنون أن الباي ومحلته عادوا من حملتهم على أعراب أولاد الشريف يوم الثامن والعشرون ربيع الثاني سنة 1199هـ. ومعه أموال كبيرة لخزينة البايلك من الضرائب التي تعهدت القبائل بدفعها سنويا<sup>1</sup>.

وفي رحلته إلى الجنوب، قاد المحلة بنفسه ومعه خليفته لإخضاع قبائل الصحراء وضم تلك المناطق إلى سلطته، ورافقه كاتبه ابن هطال وقد سجل أهم أحداث الرحلة وذكر أنهم انطلقوا في 9 ربيع الأول 1199هـ وعادوا إلى معسكر في 28 ربيع الثاني 1199هـ، ( 10 جانفي -10 مارس 1785م)، وخلال تلك المدة خضعت لهم الكثير من القبائل وطلبت الأمان بمجرد ما اقترب منهم الباي ومحلته، وقدمت له الضرائب المفروضة عليها، وقبائل أخرى غرقتها قوتها فحاربتة فهزمتها وغنم الكثير من المواشي والحبوب والأموال، كقبائل "بني الأغواط"، ولكنه في الأخير عفا عنهم توفيرا لعلمائهم وشيوخهم بعدما التزموا بدفع الضرائب في أوقاتها، ومن ثمة عاد إلى معسكر<sup>2</sup>.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن الكثير من القبائل في مقاطعة الغرب عند وصول الباي محمد الكبير إلى الحكم كانت ممتنعة عن سلطته وخارجة عن القانون، والناس والتجار لا يأمنون على حياتهم وأموالهم في الطرقات الداخلية وعلى الحدود الغربية، وقام الباي بتأديب تلك القبائل متبعا سياسة الترهيب والترغيب، بحيث يعاقب المتمردة ويؤدبها، ثم يبسط رحمته وعدله عليهم ويحترم أعيانهم ويتخذ منه أعوانا لمخزنه فساد الأمن والاستقرار في ربوع البايلك وازدهرت التجارة، ودخلت الكثير من القبائل تحت سلطته والتزمت بدفع الضرائب وانضم رجالهم إلى قبائل المخزن.

وربما أراد الباي محمد الكبير كذلك من كثرة غزواته ترهيب الإسبان في وهران من خلال استعراض قوته العسكرية وتوسيع مجال سلطته ونفوذه على كامل المقاطعة الغربية.

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص. 73-75

<sup>2</sup> أحمد بن هطال، المصدر السابق، ص ص. 36-100

كما يبدو أن الحملات التي قادها محمد باي الكبير في مقاطعته وخاصة رحلته نحو الجنوب كانت اقتداءً بأعمال صالح باي الذي سبقه إلى إخضاع قبائل الصحراء كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

### 3-5 اهتمامه بالصحة والمجتمع:

في عام 1199هـ/1779م ضربت البلاد مجاعة كبيرة ومات فيها الكثير من الناس وعبر عن ذلك الوضع الكارثي الذي وصلت إليه حالة البلاد والسكان مسلم بن عبد القادر قائلاً: " وقعت في عهده مسبغة عظيمة هلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضاً"<sup>1</sup>. فقام بشراء القمح من أوروبا وباعه بسعر رمزي في الأسواق للناس ووزع كميات أخرى بالمجان عليهم، وأعفى الفلاحين من دفع زكاة العشور على الحبوب<sup>2</sup>. وقد استمر في تطبيق هذا البرنامج في كامل المقاطعة حتى زال الجفاف<sup>3</sup>.

وقد صاحب المجاعة وباء كبير ضرب كل دول شمال إفريقية من الإسكندرية إلى المغرب الأقصى خلال عام 1786م. وقد سمي ذلك العام في بايلك الغرب بـ "حبوبة الأمجاد" لأنه قضى على قبيلة الأمجاد عن آخرها المعروفة والكثيرة العدد<sup>4</sup>. وكما سمي أيضاً "الطاعون العظيم" والذي لم يعرف مثله في هذا الإقليم قبل. وقد مات فيه جل سكانه بدوا وحضرا. وهربا منه انتقل سكان معسكر ومعهم الباي بأهله ومخزنه إلى البدو وسكنوا في خيام الشعر لمدة طويلة، واتخذ الباي خيمة حمراء من الوير ببلاد "أولاد سليمان" أحد بطون بني عامر مقرا له، وسمي العام بعام "الخيمة الحمراء"<sup>5</sup>. وأظهر في هذه الأزمة أنه كان على دراية واسعة في الطب، فكان يصف للناس الأدوية ويقدم للفقراء ما يحضره بنفسه من العلاج<sup>6</sup>.

وإذ صحت تلك الروايات فإن هذا الباي قد أعطى صورة مشرفة عن المسؤول صاحب الضمير الحي الذي لا يختفي أثناء الأزمات، فكان حاضرا وبذل كل ما في وسعه

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.64

<sup>2</sup> Esterhazy, Op.cit, p. 190

<sup>3</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.135، 136

<sup>4</sup> Esterhazy, Op.cit, p.190

<sup>5</sup> الآغا بن عودة مزارى، المصدر السابق، ص.298

<sup>6</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.147

لتجاوز الأزمة الغذائية والقضاء على الوباء. فلم يتأخر لا بالمال ولا بالغذاء ولا بالدواء حتى زالت الأزمة وعادت الحياة إلى طبيعتها.

#### 4- إنجازاته العمرانية والثقافية:

##### 1-4 العلمية والثقافية:

استطاع محمد باي الكبير خلال فترة حكمه أن يشيد مشاريع كبيرة وينجز إنجازات بمعسكر عاصمته الأولى وبقاقي المدن كوهران، وتلمسان وحتى في مدينة الجزائر، وكانت أهمها:

#### - المساجد والأوقاف:

كان اهتمامه منصبا على إصلاح المساجد وتوسيعها، فقام بتهديم المسجد العتيق في معسكر وإعادة بنائه، ووسع فيه وزوده بالماء وبنى الميصات للوضوء، وغير منبره. كما وسع في جامع السوق أيضا<sup>1</sup>.

وبعد ذلك شرع في بناء المسجد الأعظم بعين البيضاء بالقرب من مدينة معسكر<sup>2</sup>، والمعروف بجامع "حسن"، و"جامع المبايعة" لأنه تمت فيه مبايعة الأمير عبد القادر الثانية سنة 1248هـ/1833م<sup>3</sup>، وقد بدأ في تشييده خلال سنة 1192هـ/1779م، بعدما اشترى أرضه من أصحابها، وتحمل نفقات بنائه من ماله الخاص. كما حبس عليه أوقافا واسعة. وقد فتح هذا المشروع مناصب شغل جديدة لفائدة البطالين والفقراء، وزاد من إنتاج وبيع مواد البناء. وبعد الانتهاء من تشييده وتزينه كان غاية في الجمال والإتقان وذلك سنة 1196هـ/1781م<sup>4</sup>. فراح الشعراء يتغنون بجماله ومن بينهم قصيدة نظمها عنه ابن سحنون اخترنا منها هذين البيتين: <sup>5</sup>

انظر رعاك إله الخلق واعتبر  
متوج بالبه بالحسن مشتمل  
لمسجد رائق قد لاح للبشر  
بالظرف مؤتزر باللطف مشتهر

<sup>1</sup> المصدر نفسه

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 204

<sup>3</sup> المهدي بوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر هجري، جمع وإعداد، عبد الرحمان ذويب، عالم العلم والمعرفة، الجزائر، 2012، ص. 68

<sup>4</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص-ص. 127-128

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص. 128

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

وكما قال عنه أيضا السيد أحمد بن السيد محمد بن علال القرومي<sup>1</sup>:

لقي العصا وأفك رحل ركائب  
بالمسجد المنشى بام العسكر  
المحكم التشييد في شرفاته  
فتراه يخطف أعيننا للنظر  
لما رأت قمر السما خالعا على  
جبل ويعرف بالمكان المقمر

ومن جملة أحباس هذا المسجد "الحمام العظيم" الذي بناه بالقرب منه، وجنان ومنازل ودكاكين وفرنا للخبز وجعلهم كلهم وقفا خيريا عليه. وكانت عوائد تلك الأوقاف تسد جميع نفقاته ويدخر منها، ولما زاد في عماله بنى الفندق الجديد بالسوق القديم وزاده في أحباس مسجده، ووظّف له إماما خطيبا وأربعة مدرسين أحدهم للتفسير والحديث والثلاثة لتدريس العلوم،<sup>2</sup> بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر بداية شهر فيفري 1842م بقيادة الجنرال "لامورسير"<sup>3</sup>، حولت سلطات الاحتلال المسجد إلى مخزن للمنتوجات الفلاحية<sup>4</sup>. كما قام الباي بعد فتح وهران بإنشاء مسجده الأعظم في المكان الذي وقف به فرسه عند الباب، وحسب رواية محمد بن يوسف الزياني بدأت أشغال البناء فيه خلال عام 1207هـ/1792م، وانتهى منه ما بين سنتي 1208 و1209هـ (1793-1794م)، وتكفل بمصاريف إنجازه حسن باشا، ولذلك عرف بـ "جامع الباشا"، وقد أرسل للباي صندوقين من المال مع أمين البنائين السيد "محمد الشرشالي بن بيرت" للإشراف على بنائه، فحفروا أساسه في بستان تحت البرج الأحمر وجمعوا لمناراته حجرا ضخما أتوا به من برج الصبايحية وكان العمل فيه يتم عن طريق السخرة، وقيد الباي كل نفقاته ومصاريفه جملة وتفصيلا في دفاتر<sup>5</sup>. ربما ليقدمها للداي حسن لمراقبة تسييره للأموال ونسبة تقدمه في إنجازه للمسجد.

<sup>1</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص. 128

<sup>2</sup> ابن سحنون، المصدر نفسه، ص. 128، 133

<sup>3</sup> بن عتو بلبراوت، وقائع الاحتلال الفرنسي لمعسكر وأحوازها ما بين 1835-1842م، معسكر، المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، طباعة مكتبة الرشاد، الجزائر 2014، ص. 209

<sup>4</sup> Fathi Jarry, Note Préliminaires Sur Le Cadran Solaire De La Grande Mosquée, Ibid, p.267.

<sup>5</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 203، 204/ الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 296.



### -المدارس:

كان التعليم في العهد العثماني تقليديا يركز أساسا على العلوم الدينية النقلية من تفسير القرآن وحديث وفقه، وبعض العلوم العقلية كالحساب والفلك، وكان منتشرًا في البوادي والحواضر والقرى والأرياف<sup>1</sup>. وعلى العموم كان جميع الجزائريين، قبل الاحتلال الفرنسي عام 1830 يحسنون القراءة والكتابة بشهادة الفرنسيين أنفسهم<sup>2</sup>. وفي المرحلة الأولى كان التعليم يتم في الكتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة- ونستطيع أن نطلق عليها مرحلة التعليم الابتدائي-، وكانت أجرة المعلم في الغالب يدفعها أولياء التلاميذ أو من الأوقاف. ثم تأتي مرحلة التعليم الثانوي والعالي تتم في المدارس أو تعقد لها حلقات في صحن المسجد<sup>3</sup>. يلقي فيها العلماء والأئمة دروسا في مختلف العلوم الدينية.

وقبل تولي محمد باي الكبير كان بايلك الغرب يعيش تدهورا ثقافيا كبيرا نتيجة لانصراف الناس للتجارة لكسب قوتهم وتركهم التعليم، وكذلك لعدم اهتمام الحكام بتشجيع مؤسساته وطلابه ومدرسيه<sup>4</sup>، فظهر انحطاط ثقافي عبر عنه أبو راس الناصري قائلا: "إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموراده... ولاسيما فن التاريخ والأدب، وأخبار الأوائل والنسب، طرحت في زوايا الهجران. ونسجت عليها عناكب النسيان..."<sup>5</sup>

وقد قدم الباي خلال فترة حكمه مشروعا ثقافيا اعتمد فيه على إنشاء المدارس والمساجد في مختلف حواضر البائلك، ساهمت في ازدهار التعليم ونشر الثقافة وزيادة الإنتاج الفكري، ومن أشهر المدارس في الغرب الجزائري مدرسة "المحمدية" التي أنشأها الباي محمد الكبير (نسبة إلى اسمه) والتي يقول عنها ابن سحنون "المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"، وقد بناها بجانب المسجد وزودها بمكتبة عامة تشتمل على نفائس الكتب التي اقتناها من مختلف البلاد<sup>6</sup>، وحبسها على المدرسة والطلبة وكل راغب في

<sup>1</sup> المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 99-100

<sup>2</sup> M. Habart, histoire d'un parjure, Paris, 1960, p.138

<sup>3</sup> المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 99-100

<sup>4</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص. 135

<sup>5</sup> أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص. 50

<sup>6</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص. 133

المطالعة<sup>1</sup>، اقتداء بالداي محمد بن عثمان باشا في مدينة الجزائر وصالح باي في الشرق كما سبق ذكره.

كما عين المدرسين والموظفين في المدرسة برواتب ثابتة من الأحباس فتيسرت أحوالهم وزادت رغبتهم في التدريس وارتفع عدد طلبة العلم، بعدما كانوا يفضلون للاشتغال بالتجارة<sup>2</sup>، فقد صارت تلك المدرسة توفر لهم مناصب شغل في القضاء والإفتاء والإدارة وغيرهما<sup>3</sup>. وقد اختار الباي محمد الكبير الشيخ "محمد بن عبد الله الجيالي" وهو من أكبر علماء البلاد لإدارة المدرسة المحمدية<sup>4</sup>. وقد كانت هذه المدرسة تطبق النظام الداخلي والخارجي<sup>5</sup>، ويختار الطلبة حسب السكن الأصلي النظام المناسب لهم.

ولعل أهم انجاز للمدرسة هو إحياء الرياضات الجهادية، فلما نادى منادي الجهاد انتقل طلبة المدرسة وأساتذتها وربطوا بجبل المائدة بوهران للجهاد يقاتلون بالنهار ويدرسون بالليل<sup>6</sup>، وقد أبلى الطلبة بلاء حسنا، وعن ذلك يقول ابن زرفة كاتب الباي<sup>7</sup>: "واثن الطلبة في النصاري اثنا عظيم أحل به على النصاري النكال".

وكان عدد طلبة المدرسة يفوق أربعمائة طالب ففي الفترة التي تم فيها الفتح النهائي لوهران أي في عام 1791م، استنادا لدراسة الأستاذ خليفة حماش سابقة الذكر<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 141

<sup>2</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 135

<sup>3</sup> صالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري، مجلة الثقافة، العدد، 71، سبتمبر،

أكتوبر 1982، ش، و، ن، ت، ص. 17.

<sup>4</sup> ابن سحنون المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 61.

<sup>5</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>6</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص - ص. 241-242

<sup>7</sup> قام الأستاذ خليفة حماش بدراسة اعتمد فيها على مخطوط محمد المصطفى بن عبد الله المعروف ب ابن زرفة الموسوم ب: "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، الموجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 2597، لتوضيح دور الطلبة في تحرير وهران، تحت عنوان: دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، عامي 1118هـ/1706-1707م و 1205هـ/1791م، مقارنة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية، مجلة جامعة الأمير

عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 09، 2001، دار البعث، قسنطينة، ص. 207.

<sup>8</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 207.

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

وعلى أية حال كانت المدرسة المحمدية معهدا عاليا ساهم في تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية بنشر العلم وتكوين الأساتذة والقضاة<sup>1</sup>، وإحياء الروابط الطلابية الجهادية. ولم تقتصر إنشاءاته الثقافية على مدينة معسكر فقط، بل جدد كذلك المدرستين القديمتين<sup>2</sup> بتلمسان وأحي آثارهما فأعاد لهما نشاطهما وتبع أحباسهما، فوجد أراضي كثيرة ملك للمدرستين فأعادها إليهما<sup>3</sup>.

كما جدد الباي محمد الكبير مدرسة مازونة الفقهية بعد أن شارك صاحبها الشيخ العلامة الكبير "محمد بن علي أو طالب" المتوفى حوالي 1237م في فتح وهران الثاني مع مائتي من طلبته ورفقة ولديه، واعترفا من الباي بحسن أدائه جدد له مدرسته بعد استرجاع وهران 1792م، وحبس عليها كتبا قيّمة، وبقيت هذه المدرسة تنشر العلم إلى غاية الحرب العالمية الثانية وبالضبط إلى سنة 1939م، أين توقفت نهائيا بسبب مشاكل اقتصادية وسياسية عرقلت مهامها ومن أشهر علمائها الشيخ الفقيه "مصطفى الرماصي"<sup>4</sup> المتوفى عام 1137 هـ / 1724م، والشيخ "محمد بن حوا" دفين مستغانم<sup>5</sup> صاحب منظومة "سبيكة

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 135

<sup>2</sup> ويقصد بهما: المدرسة التاشفينية ومدرسة العباد (أبي مدين): وتعتبر المدرسة التاشفينية التي شيدها أبو تاشفين بجنوب الجامع الكبير من أشهر مدارس ذلك العهد حيث بنيت بنمط معماري جمع بين الفن المغربي والأندلسي. الرزقي شرقي، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية، المؤتمر العاشر للاتحاد العام للأثريين العرب، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2007، ص. 381. وعن مدرسة "أبي مدين" التي بنيت سنة 747 هـ من طرف أبو الحسن المريني، ينظر، الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983، ص ص. 239-240.

<sup>3</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص. 133.

<sup>4</sup> هو الشيخ الإمام مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي نسبة إلى رماصة قرية قرب مستغانم، قام بشرح مختصر خليل في الفقه المالكي ووضع عليه حاشية، وكانت تدرس في الأزهر والزيتونة والقرويين، وهو من مدرسة الراشدية قرب معسكر، ويقول عن الفقه: "لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله خذ به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام، وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى". ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعرف الخلف برجال السلف، القسم الأول، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة، تونس، 1982 م، ص. 578، 579. وراجع أيضا المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 23.

<sup>5</sup> يقول الشيخ الحفناوي عن الشيخ محمد بن حوا: "الإمام والقُدوة الهمام من ألفت إليه العلوم زمامها"، كان ممن جمع الله له بين العلم والعمل وله منظومة شهيرة غوثيته الكبرى التي هي في الشدائد حصن منيع وتحتوي على أربعمئة بيت، ومطلعها:

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

العقيان " فيمن حل بمستغانم وأحواها من الأعيان"<sup>1</sup> وغيرهم. وبنى كذلك مدرسة أخرى في "خندق النطاح" تسمى الجليلة التي بها ضريحه<sup>2</sup>.

### 2-4 علاقاته مع العلماء:

كان البايع محمد الكبير يعمل على تقريب العلماء إليه، من أدباء وشعراء وكتاب وخاصة في المناسبات، أو من أجل الأخذ بأرائهم ومشورتهم في مختلف القضايا التي تحتاج إلى ذلك<sup>3</sup>، وقد عين من بينهم مساعدين له وقضاة ومدرسين، فمثلا اختار بن هطال مستشاره الخاص وكتابا له كما سبق الإشارة إلى ذلك، واسند وظيفة قاضي قضاة مدينة معسكر للعلامة "الطاهر بن حوا"، واختار الشيخ محمد بن عبد الله الجلاي مديرا على المدرسة المحمدية، ثم رئيسا على الرباط عند حصار مدينة وهران<sup>4</sup>.

وكان محمد باي الكبير يشجع العلماء على الكتابة والتأليف، فظهرت مجموعة من الكتب في الأدب والتاريخ والعلوم الدينية، وبرزت أسماء العديد من العلماء والشيخو كأمثال أبو راس الناصري وابن سحنون الراشدي وغيرهم، فكان يطلب من الكتاب والأدباء نسخ الكتب وإنشاء التأليف في مختلف العلوم والفنون، كما كان يوجه العلماء للكتابة في أعمالا كثيرة كاختصارات لكتب مطولة، وشروحات لمنظومات شعرية، وتسجيل أحداث معينه يراها مفيدة للأجيال اللاحقة، ومن أمثلة ذلك أنه قد طلب من كاتبه، أحمد بن هطال التلمساني

يقول راجي ربه العفو  
محمد الشهير بابن حوا  
الحمد لله العظيم الطول  
الواسع الجود العميم الفضل

إلى أن قال:

يا سامع الدعاء يا قديريا  
من إليه ترجع الأمور  
يا مالك الملوك يا جبار  
انصر ذليلا ماله من أنصار

ينظر أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص. 373-374

<sup>1</sup> أسس مدرسة مازونة الشيخ محمد بن الشارف ودرس بها من سنة 100 هـ إلى 1065 هـ ومازال ضريحه إلى اليوم هناك،

وقد هدمتها سلطات الاحتلال الفرنسي، ينظر، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 94، 95

<sup>2</sup> ما تزال هذه المدرسة قائمة وحولت إلى مسجد باسمه، أما قبر البايع محمد الكبير فلا يوجد هناك وقيل أن رفاته نقلت إلى مقبرة "مول الدومة بحي راس العين"، وكذلك مسجد الباشا ما يزال قائما، الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، هامش

المحقق، رقم 1، ص. 296

<sup>3</sup> صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية...، المرجع السابق، ص. 544

<sup>4</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص-ص. 61-62

تسجيل رحلته إلى الجنوب بكل أحداثها، وكان هذا الشيخ مدركا لأهمية التاريخ وتسجيل أحداثه لأخذ العبرة منها، وقد أشار إلى ذلك في بداية كتابه<sup>1</sup>، وأمر كاتبه الثاني محمد المصطفى ابن زرفة، بتسجيل أحداث الفتح الوهراني. وكما أمر الطلبة المتفوقين بجمع فتاوي العلماء في جوائز الملوك، فجمع له طالب ما أراد فكرمه عليها بسبعين ديناراً، وجمع له طالب آخر كلام "شارح السلوانة في البازي وصاحب التذكرة" في أقل من كراسة فقدم له ما يستحقه مقابل جهده<sup>2</sup>.

وقد أمر ابن سحنون باختصار كتاب "الأغاني للأصفهاني" فأنجز ذلك في نحو ثمانين كراسة فأثابه بمائة سلطاني، ثم أمره مرة أخرى بجمع "طب القاموس" فجمعه وزاد عليه من كلام الأطباء فكافأه بـ 50 سلطانيا، وألف باسمه كتاباً في الأدب سماه "عقود المحاسن"، كما قام ابن سحنون بشرح "العقيلية"، وكتب الثغر الجماني بمناسبة فتحه لوهرا<sup>3</sup>.

وكما طلب من أبي راس الناصري شرح قصيدة نظمها بمناسبة فتح وهران مدح فيها الباي محمد الكبير وأشاد بمآثره العديدة، وجاءت هذه القصيدة في 118 بيتاً وسماها "نفيضة الجمال في فتح ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان، أن يشرحها شرحاً وافياً فكان ذلك الشرح كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وقد أنهى أبو راس تدوينه في أواخر ذي القعدة سنة 1206هـ<sup>4</sup>، ويعتبر هذا المؤلف اليوم من أهم مصادر التاريخ العثماني لا يمكن الاستغناء عنه.

<sup>1</sup> قال ابن هطال التلمساني عن علم التاريخ: "فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً، وأكملها محاسن، وفخراً، فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية. كان أحق ما تنفق فيه الذخائر السنوية وتصرف إليه المهج الزكية، إذ به عرفت قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم فاشتغلت به علماء كل قطر، وصنفت فيه أدباء كل عصر..."، ينظر ابن هطال المصدر السابق، ص. 35.

<sup>2</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 146، 147.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص. 146.

<sup>4</sup> أبو راس الناصري، المصدر السابق، ج 1، مقدمة المحقق، ص. 34.

كان للباي علاقات طيبة مع علماء عصره المشهورين في الجزائر وخارجها في مكة والمدينة ومصر، وكان يتصل بهم ويرسل إليهم الهدايا القيمة، كالشيخ أبو الفيض المرتضى الزبيدي، صاحب تاج العروس في شرح القاموس<sup>1</sup>.  
من خلال ما تقدم يمكننا القول أن الباي محمد الكبير قد لعب دورا كبيرا في نشر العلم والثقافة في المدن والأرياف على حد سواء<sup>2</sup> بما شيده من مساجد ومدارس وخاصة ذات النظام الداخلي التي كان يقصدها الطلبة من داخل البلاد وخارجه<sup>3</sup>، ويفضل تشجيعه وتقريبه للعلماء وتكريمهم على جهودهم، كان عصره متميزا ومزدهرا ثقافيا، وراح العلماء يمدحونه<sup>4</sup> بالقصائد الطوال، وساندوه في مهامه السياسية والعسكرية وقادوا الرباطات الطلابية، وجاهدوا معه، من أجل تحرير وهران وطرد المحتل واستكمال السيادة الوطنية.

### 5- محمد باي الكبير يحرر وهران والجزائر تستكمل سيادتها:

منذ أن احتل الإسبان المرسى الكبير ووهران في مطلع القرن السادس عشر وحكام بايلك الغرب يحاولون استردادهما، إلى أن نجح الباي مصطفى بوشلاغم في سنة 1708م فتحها وطرد الإسبان منها، ولكن ذلك لم يدم طويلا، إذ بعد ربع قرن استعادوها مرة أخرى في سنة 1732م كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبِعزم وإصرار كبيرين أعاد الكرة الباي محمد

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 144

<sup>2</sup> هناك الكثير من الباحثين ينتقدون الباي محمد الكبير على أنه نشر التعليم داخل المدن دون الأرياف، وهذا ما يجعلنا نتساءل من كان يستفيد من النظام الداخلي لهذه المدارس إن لم يكن سكان الأرياف والمناطق البعيدة، ومن بين الباحثين نذكر معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص. 138.  
<sup>3</sup> يذكر المهدي بوعبدلي أن أكثر طلبة مدرسة مازونة من المغرب الشرقي أي من نواحي وجدة وتازة والريف، وكانت شهادة مدرسة مازونة الفقهية تسمح لحاملها بالتوظيف في سلك العدالة والقضاء. راجع المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص. 93-94

<sup>4</sup> ومن أمثلة ما مدح به العلماء الباي محمد باي الكبير ما قاله أبو راس الناصري: " أميرنا المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان باي ممدوحنا بهذه القصيدة فإنه والله أنقن سوق العلم وغلاء سعرها وعلا شأنه وعظم أهله فجمع بحزمه بين دينه ودنياه ولم يطاوع أحدا في هواه فسياسته للخاصة إشادة وللعمامة سعادة بل بلطائفه المستحسنة ومقاصده الحسنة وكيف أميرنا لا يجمع الخصال المحمودة والهداية المشهودة بل خليق بكل ذلك وجدير بجميع ما هنالك لأنه ذو بديهة معجزة وبصيرة مطرزة ولا يشق له غبار. أبو راس الناصري، المصدر السابق، ج1، ص. 172

الكبير سنة 1791م ودخلها سنة 1792م، وسنتطرق لهذا الفتح بصورة موجزة لأن الموضوع إذا فصلنا فيه يحتاج إلى مذكرة مستقلة وهذا ما لا يتسع له بحثنا.

منذ أن تولى الباي محمد الكبير حكم بايلك الغرب لم يكف عن مهاجمة الإسبان في مدينة وهران والمرسى الكبير، فحسب رواية تيدنا كان الباي يخرج كل شهر رمضان لقتالهم مع فرقة من جنده<sup>1</sup> حتى لا يتركهم ينعمون بالعيش فيها، خاصة بعد الحملات الحربية الثلاث التي قادها الإسبان على مدينة الجزائر وما ألحقته من خسائر بها، وسنتطرق إلى هذا الموضوع في حينه.

ورغم توقيع الصلح بين الملك الإسباني والداي محمد بن عثمان باشا في 14 جوان 1786م، إلا أنه كان سلام جزئيا، وهشا، لأن جوهر المشكلة لم يناقش، ونقصد وهران والمرسى الكبير، وقد اشترط داي الجزائر مقابل هذا الصلح استقلال وهران تحت سلطة باي معسكر<sup>2</sup>، ومعنى ذلك أن للباي الصلاحيات الكاملة في مهاجمة وهران أو عدم مهاجمتها وثبت هذا الشرط في البند رقم عشرون من اتفاقية السلام، في النسخة التركية، ولكن المفوض الذي قام بترجمة المعاهدة إلى الإسبانية أجرى تعديلا وتبديلا على هذا البند وجعله يتماشى مع مصلحة إسبانيا، حيث ألزم نفس البند في النسخة الإسبانية داي الجزائر وبإي معسكر على عدم مهاجمة وهران والمرسى الكبير وتبقى مستقلة تماما وتابعة للإسبان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أميدة عميروبي، المرجع السابق، ص، 50، وتشير كذلك الرسالة التي بعثها الكوندي دي فلوريدا إلى باي معسكر في سنة 1785م، وهي جواب على رسالته السابقة أخبره فيها أنه اتصل برسالته وصر بقرار عدم مهاجمة وهران، وأكد له بأنه سيكتب إلى حاكم وهران ليأمره بعدم مهاجمة سكان الضواحي المسلمين، ونفهم من هذه الرسالة أن الاعتداءات بين باي معسكر وحاكم وهران كانت مستمرة قبل صلح 1786م، ويعدده كذلك استمرت مضايقات الباي لوهران كما تدل على ذلك الرسالة التي أرسلها الملك الإسباني "كارلوس الثالث" إلى الداوي محمد بن عثمان باشا بتاريخ 25 أفريل 1786م، يشكره فيها على نصحه لبإي معسكر بعدم مهاجمة وهران، لمزيد من المعلومات حول هذه الرسائل ينظر يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية، المرجع السابق، ص ص. 66-85

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 110

<sup>3</sup> Ismet TERKI-HASSAINE, Oran au XVIIIe siècle: du désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne in, *Insaniyat*, Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, n° 23-24, janvier – juin 2004, CRASC . Oran, p.214

-حول بنود معاهدة الصلح بين الجزائر وإسبانيا ينظر، يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص.ص. 42-45

وعلى إثر اكتشاف سلطات الجزائر لهذا التغيير والتحريف في بنود المعاهدة أرسل الداوي محمد بن عثمان باشا عدة رسائل احتجاجية خلال عامي 86 و1787م حول هذا الموضوع<sup>1</sup>، ومن جانبها حكومة إسبانيا لم ترض بهذا السلام الجزئي وسعت عن طريق حاكمها بوهران (B.Gascon) الدخول في محادثات مباشرة مع محمد الكبير باي معسكر، للحصول على وقف لإطلاق النار وإبرام اتفاقية سلام معه، ولكنهم قبل ذلك طلبوا منه أن ينال ثقة الباوي محمد الكبير بإتباع سياسة حسن الجوار، وفي بداية عام 1790م طبق حاكم وهران مجموعة من القرارات لصالح الجزائريين منها:

- منع الجنود الإسبان الخروج من وهران والتحرش بالقبائل العربية المجاورة.
- إطلاق سراح الأسرى الجزائريين بوهران، وتشجيع المسلمين بوهران على زيارة عائلتهم خارج مدينة وهران.
- السماح لسكان القبائل العربية المجاورة لوهران ببيع منتوجاتهم الفلاحية على أبواب وهران<sup>2</sup>.

وقد أعطت سياسة التقارب هذه ثمارها ونجح حاكم وهران في إرسال رسالة إلى الباوي محمد الكبير من أجل مناقشة صفقة شراء القمح لحساب الشركة الإسبانية (Goyenede) تشحن من ميناء أرزيو وتنقل إلى ميناء "مالقا". إلا أن الداوي لم يكن مرتاحا لهذه السياسة واعتبر هذا التقارب بين باي الغرب وإسبانيا هو تطلع لإعلان محمد باي الكبير استقلاله السياسي والتجاري، فحذره ومنع السفن الإسبانية من شحن القمح من ميناء أرزيو دون إذن داي الجزائر، وبذلك وضع حدا لمساعي التقارب مع إسبانيا<sup>3</sup>.

### 1-5 حصار وهران:

جاء الزلزال الذي ضرب في ليلة 8 إلى 9 أكتوبر 1790م (الموافق للفتح من صفر 1205هـ) ليضع حدا نهائيا لمفاوضات السلام مع باي وهران، وحطم المدينة التي كان يصعب اقتحامها، في بضع دقائق، حيث تهدمت ثلثي المنازل ومات أغلب السكان<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، المرجع، نفسه، ص. 115

<sup>2</sup> Ismet TERKI-HASSAINE, Op.cit., p.214

<sup>3</sup> Idem, p.215

<sup>4</sup> J.CAZENAVE, Présides espagnoles d'Afrique (leur organisation au XVIIIe siècle), suite, in R.A. Vol. N° 63, Ann. 1923, éd. A. Jourdan, Alger, p. 230



## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البائلكات

ومن بين القتلى الحاكم الإسباني وعائلته وحوالي ثلاثة آلاف شخص تحت الأنقاض، كما انقطع عن المدينة الماء وتعطلت أفران الخبز. من جانبها لم تتأخر الحكومة الإسبانية في إرسال مساعدات غذائية وطبية وتعزيزات عسكرية قدرت بحوالي 5000 رجل إلى وهران والمرسى الكبير. وبدوره الباي محمد الكبير لم يتأخر في الخروج بقواته حيث وصل في يومين إلى وهران قادما من معسكر مغتتما هذه الفرصة لطرد المحتل من المدينة<sup>1</sup>، وحسب "فوي(FEY)" أن خروج الباي كان بأمر من الداوي محمد بن عثمان باشا.<sup>2</sup>

وحسب "جروجوس" (Groguos) أن محمد باي الكبير قام بجمع قواته مباشرة بعد أن وصله خبر الزلزال واستقدم الطلبة ودرهم، ثم سار إلى مدينة وهران مع خمسين ألف من قواته ولكنه لم يتمكن من دخولها، لأن تحصيناتها لم تتهدم وكل ما أصابها بعض الشقوق والتصدعات وظلت قائمة، وحسب ذات المصدر فإن القوة الدفاعية لمدينة وهران والمرسى الكبير<sup>3</sup> كانت كبيرة مما جعل منهما مركزا دفاعيا يصعب اختراقه، وقد عمل الإسبان على تقويتها وتسليحها طوال المدة التي احتلوها<sup>4</sup>. مما جعل مدة الحصار تمتد من أكتوبر 1790م إلى غاية نهاية شهر جويلية 1791م<sup>5</sup>، دون أن يتمكنوا من اقتحامها، وإضافة إلى قوة المراكز الدفاعية لمدينة وهران والمرسى الكبير كان جيش الباي يعاني من نقص المدفعية والذخائر الحربية وعدم خبرته ب فنون الحصار، ونقص الجيش النظامي ورجال المدفعية<sup>6</sup>، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أن الحصار كان جزئيا، فهو مطبق على جهة البر فقط، ومن جهة البحر كانت تصل إلى وهران والمرسى الكبير كل المساعدات والتعزيزات العسكرية اللازمة، مما أدى إلى استمراره لفترة طويلة.

<sup>1</sup> G. Faure-Biguet, Histoire de l'Afrique Septentrionale sous la domination musulmane, éd. Henri Charles Lavanzelle, Paris, 1905, p. 411

<sup>2</sup> H. L. Fey, histoire d'Oran avant pendant et après la domination espagnole, éd. Adolphe Perrier, Oran. 1858, p.

<sup>3</sup> حسب ابن سحنون فإن مدينة وهران كانت محاطة بسور عظيم فوقه مدافع كبيرة مختلفة العيارات، ومجموع عدد المدافع بأبراج وقلاع مدينة وهران والمرسى الكبير كان م تقريبا ألف مدفعا، وكان برج مجاجو والبرج الأحمر و برج المرسى من أكبر الأبراج، ومجهزا كل منهم ب300 مدفع، وكل القلاع الكبيرة محاطة بخنادق وعلى حافة الخندق أعمدة خشبية حادة الرؤوس، لتمنع التسلل إليها، راجع، ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص- ص. 201-200

<sup>4</sup> A.Groguos, Op.cit., p.38

<sup>5</sup> M. Léon Galibert, Histoire d'Alger ancienne et moderne, éd. FURNE ET Cie, Paris, 1843, p.241

<sup>6</sup> A.Groguos, Op.cit., p. 42-43

ومهما يكن فإن البايع قد وصل أمام أسوار مدينة وهران مع قواته من بينهم أكثر من ألف طالب جاؤوا لتلبية نداء الجهاد من عدة مدن من القطاع الغربي، فحسب ابن زرقعة فإن البايع أراد تجنيدهم "تبركا بالعلم الشريف في فتح الأفعال المستعصية"، وقد حضروا من معسكر، مازونة، غريس، تزارة، وندرومة، وأولى البايع لهم عناية خاصة، فقد خصص لهم الغذاء والأسلحة والمال والذخائر<sup>1</sup>، وعين لهم الشيوخ الكبار لقيادتهم وتدريبهم كأمثال محمد بن عند الله الجبالي، ومحمد الطاهر بن حوا كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وابتداء من شهر نوفمبر رابطوا<sup>2</sup> بجبل المائدة المطل على مدينة وهران من الجهة الشرقية، وكانت مهمتهم الأساسية هي مراقبة وهران من تلك الجهة ومناوشة الحامية الإسبانية لمنع خروجهم من المدينة<sup>3</sup>، مع التزامهم بدروس العلم وقراءة القرآن ليلاً ونهاراً<sup>4</sup>.

أما البايع فقد نصب مدافعه مع جيشه على المرتفعات المحيطة بالمدينة، وشرع في إطلاق النار محاولاً أن يحدث فتوحات في أسوار المدينة، ولكنه لم يحرز نتائج كبيرة، ومع بداية فصل الشتاء وتساقط الأمطار غادر إلى معسكر وعاد في بداية فصل الربيع إلى وهران<sup>5</sup>. وترك وراءه الطلبة وشيوخهم مرابطين بجبل المائدة لا يتوقفون عن مناوشات الإسبان واستطاعوا أن يلزموهم المدينة، وقطعوا عنهم كذلك الماء<sup>6</sup>، وخلال تلك المناوشات قتل عدد من الطلبة وشيوخهم الكبير القاضي ابن حوا في 2 جمادى الأولى<sup>7</sup> 1205هـ (7 جانفي 1791م).

يبدو أن البايع أدرك الضعف الذي كان يعاني منه جيشه بعد المواجهات الأولى مع القوات الإسبانية، لذلك بادر عند وصوله إلى معسكر بإرسال رسله إلى إنجلترا لشراء

<sup>1</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 207-211

<sup>2</sup> نقول رَابِطٌ، يُرَابِطُ، رِبَاطٌ، ومُرَابِطَةٌ فهو مرابِطٌ، والرِبَاطُ: هو لزوم الثغر وأصله من رباط الخيل، وهو الإقامة على جهاد العدو بالحرب، أو هو المقام في الثَّغور هو رِبَاطٌ. وأما الثَّغْرُ وجمعها الثَّغُور هي ما يلي دار الحرب وهو موضع المخافة من فروج البلدان، وهو أيضا الموضع الذي يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد. ابن المنظور لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف، يوسف، خياط، مجلد1، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت)، ص. 1108

<sup>3</sup> A.Groguos, Op.cit., pp.224-225

<sup>4</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 243

<sup>5</sup> H. L. Fey, Op.cit. p. 250

<sup>6</sup> A.Groguos, Op.cit., p.225

<sup>7</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 220

المدافع وكوراتها (البونية)، والقنابل والبارود. واستأجر سفن الدول الأوروبية لنقلها حتى لا يتعرض إليها قراصنة إسبانيا في عرض البحر، كما أرسل مبعوثه الخاص "ابن هطال" إلى سلطان المغرب لشراء البارود وكل الذخائر الحربية، وبعد مدة وصلت المدافع من إنجلترا وعاد ابن هطال بـ 250 قنطارا من البارود، كما أرسلت منطقة زواوة كميات أخرى منه<sup>1</sup>. وأقام ورشات لصناعة أسرة المدافع استقدم إليها عمال وصناع من مختلف مدن الوطن، ودرّب مجموعة من الجنود على سلاح المدفعية، وأمر بشق الطرق لجر المدافع إلى جبل المائدة وفرع منها يتجه إلى المرسى الكبير، وقد أخذت هذه التحضيرات مدة خمسة أشهر كاملة، ولم يتحرك الباي من معسكر مع قواته إلا في 8 رجب 1205 هـ (13 مارس 1791م)<sup>2</sup>.

### 5-2 مفاوضات السلام:

الظاهر أن أخبار تلك الاستعدادات وصلت إلى الحكومة الإسبانية فسعت لتضع حدا لهذا التصعيد العسكري من جانب الباي، حيث أعطت تعليمات في 15 فيفري 1791م إلى نائب قنصلها بمدينة الجزائر السيد (M.Lerrea) للتدخل بأقصى سرعة لدى داي الجزائر للشروع في فتح المفاوضات حول الصلح، واقترح خروجهم من وهران والاحتفاظ بالمرسى الكبير. هذا الشرط لم ينل موافقة كل أعضاء حكومة الجزائر إذ الأغلبية كانت تسعى إلى استرجاع وهران والمرسى الكبير وعلى رأسهم باي معسكر، وعليه طلب نائب القنصل هدنة لمدة شهر لاستشارة أعضاء حكومته بمدير والرد على الداي. وافق الداي على الهدنة وشرع في تطبيقها ابتداء من 20 مارس 1791م، غير أن الهدنة انتهت ولم يصل رد الحكومة الإسبانية حول شروط الصلح، فستأنف الطلبة القتال وبأمر من الداي<sup>3</sup>. في الواقع إنه عندما أصدر الداي قرار الهدنة كان الباي وقواته على الطريق من معسكر إلى وهران لم يصلوا بعد إلى المدينة، فعسكروا "بسيق" إلى أن سمح لهم محمد بن عثمان باشا ببدء القتال في 22 شعبان 1205 هـ (25 أفريل 1791م)<sup>4</sup>، وفورا استأنف الحصار بقوة ودام ثلاثة أشهر والباي يقود المعارك ويوجه الهجمات على كل المراكز

<sup>1</sup> ابن سحنون، المصدر السابق، ص. 247

<sup>2</sup> A. Groguos, Op.cit., p. 226

<sup>3</sup> Ismet TERKI-HASSAINE, Op.cit., p.215-216

<sup>4</sup> A. Groguos, Op.cit., p. 227

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

الدفاعية للمدينة<sup>1</sup>، وسرعان ما بدأت نتائج المعارك تميل لصالح الباي وقواته، وعلى سبيل المثال، ذكر "قوي" أنه خلال شهر جويلية من نفس السنة اندلعت معركة كبيرة استمرت طوال النهار، مع حامية أحد الأبراج واستطاع جنود الباي التقدم إلى غاية الأسوار وكانت النتيجة جرح قائد البرج ومقتل 260 جندي إسباني.<sup>2</sup>

في خضم تلك الانتصارات التي أحرزتها قوات الباي توفي الداوي محمد بن عثمان باشا<sup>3</sup> رحمه الله، وخلفه حسن الخزناجي الذي وعد الإسبان بأنه سيضع حدا للمعارك وسيعود مرة أخرى إلى الطرق الدبلوماسية لحل هذا النزاع<sup>4</sup>، وبعد أسبوعين من توليه الحكم أمر الباي بوقف القتال والرحيل إلى معسكر، ذلك لأنه دخل في مفاوضات مع الملك الإسباني حول الصلح وأعلن عن هدنة جديدة ابتداءً من الثامن ذو القعدة 1205هـ (29 جويلية 1791م)<sup>5</sup>، وانتهت تلك المحادثات بالاتفاق على شروط التالية<sup>6</sup>:

- 1- تم الاتفاق على معاهدة تنسحب إسبانيا من وهران والمرسى الكبير، دون قيد أو شرط.
- 2- تدفع إسبانيا لخزينة الجزائر سنويا مقدار أثنى عشر ألف سلطاني
- 3- ترجع إسبانيا للجزائر كل القنابل والمدافع والذخيرة التي غنمتها عند استرجاعها لوهران والمرسى الكبير.
- 4- تحمل سفينة إسبانية بصفة رسمية إلى استانبول مفتاحين ذهبيين رمز استسلام وهران والمرسى، مع جرتين من ماء عيون وهران، للسلطان العثماني.
- 5- أن تقيم إسبانيا مركزا تجاريا في الغزوات.
- 6- تسمح الجزائر لإسبانيا بشراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح.
- 7- تباشر إسبانيا صيد المرجان على الساحل الغربي الجزائري.
- 8- إعطاء مهلة لسكان وهران لمغادرة المدينة ونهايتها أول يناير 1792م

<sup>1</sup> G. Faure-Bigué, Op.cit., p.412

<sup>2</sup> H. L. Fey, Op. cit. p. 251

<sup>3</sup> توفي محمد بن عثمان باشا رحمه الله في التاسع من ذي القعدة الموافق 12 جويلية 1791م.

<sup>4</sup> Ismet TERKI-HASSAINE, Op.cit., p.219

<sup>5</sup> A. Grogos, Op.cit., p. G. Faure-Bigué, Op.cit., p.412

<sup>6</sup> أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص.491

9- يبتعد عنهم الطلبة والقوات المتواجدة بالقرب من وهران فورا وقف كل أنواع العدوان.<sup>1</sup> تم الاتفاق على معاهدة الجلاء يوم 12 سبتمبر 1791م في مدينة الجزائر، بعد مشاورات مع الباي، وقد وصلت إليه نسخة عن المعاهدة يوم 19 محرم 1206هـ/ 18 سبتمبر 1791م، وهو بدوره أرسلها إلى حاكم وهران حتى يكون على علم بما تم الاتفاق عليه.<sup>2</sup> وأمضى المعاهدة في مدريد الملك شارل الثالث يوم 9 أكتوبر من نفس السنة، وكان آخر حاكم عام إسباني لوهران والمرسى الكبير هو السيد: (Don Juan Courten)، الذي كان كذلك آخر من غادر وهران والمرسى الكبير يوم 29 فيفري 1792م على ظهر سفينة الأميرال (Saint Jouchin)، وفورا دخلها الباي وقواته في موكب مهيب.<sup>3</sup> وعلى أية حال كانت نهاية الحصار والحرب بين الجزائر وإسبانيا بعد أن دامت ثلاثة قرون تقريبا وبهذه الشروط المذلة لإسبانيا التي فرضوها على أنفسهم تم الصلح بين البلدين وعادت وهران والمرسى الكبير إلى الجزائر وإلى حظيرة الإسلام، واستكملت البلاد سيادتها واستفادت إسبانيا من بعض الامتيازات التجارية.

### 3-5 الباي محمد باي الكبير يدخل وهران:

قبل رحيل الإسبان عن مدينة وهران استدعى حسن باشا الباي محمد الكبير إلى مدينة الجزائر وزين عمامته بريشة ذهبية لم يحظ بها باي من قبله ولا من بعده وسماه باي وهران، بدل باي الغرب.<sup>4</sup> وقد أظهر محمد باي الكبير الكثير من العدل والإنسانية سواء

<sup>1</sup> A.Groguos, Op.cit., pp. 235-236

ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص.310<sup>2</sup>

<sup>3</sup> J.CAZENAVE, Gouverneurs d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville (1505-1792),In, R.A, Vol,71,Année,1930, éd., A. Jourdan , Alger. p.299

وبوافق تاريخ دخول الباي إلى وهران يوم الاثنين الخامس من رجب عام 1206هـ، حسب ما ذكره أبو راس في آخر كتابه فقال: "ختمت هذا الكتاب بتاريخ الفتح العظيم المتكفل بالسلامة والريح والنجح فقلت:

في خامس الفرد ضحى يوم الاثنين      كان الدخول بعون الملك القدس

سنة ست ثم الحمد لخالفنا      وصل أيضا على المنقى من الدنس

ينظر، أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، دراسة وتحقيق، بورقيبة محمد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص.571

<sup>4</sup> Esterhazy, Op. cit, p.197

اتجاه العرب الذين كانوا متعاونين مع الإسبان أو الإسبان الذين أرادوا البقاء في وهران، أو أولئك الذين واهجوا تقلبات بحرية أخرت سفرهم عن المدة المحددة.<sup>1</sup> وحسب ابن سحنون فإن الباي لما رجع إلى معسكر استشار العلماء في شأن العرب الموالين للإسبان بوهران هل يؤمنهم على حياتهم ويستقبلهم عنده، بدلا من ذهابهم مع الإسبان فينتصرون هناك، فأشاروا عليه باستقبالهم، فبعث إليهم قاضي البلد السيد "عبد الله بن حواء" وإمام المسجد الأعظم والسيد "بن فرحة" فقدم معهما بعضهم وآثر الباقي البقاء مع الإسبان<sup>2</sup>، وهم بدورهم رحلهم إلى سبتة ومليلة ولم يسمحوا لم بدخول إسبانيا<sup>3</sup>.

### 5-3-1 إعادة تعمير وهران:

لما استقر محمد باي الكبير بوهران، رحل إليها الكثير من الناس من كل مكان للسكن والعيش بها فباع لبعضهم، ووهب للبعض الآخر قطعا أرضية لبناء مساكنهم، وثنم البيع أودعه في خزينة البائلك<sup>4</sup>. ومن بينهم اليهود الذين قدموا من مستغانم، معسكر، ندرومة وتلمسان باع لهم أرضا واسعة بمدينة وهران لبناء مساكنهم ووهب لهم مجانا قطعة أرض لإقامة مقبرة خاصة بهم. وكان أكثرهم تجارا سيطروا على التجارة الخارجية في مدة قصيرة<sup>5</sup>.

وكان محمد باي الكبير قد أمر بعد بعضة أسابيع من دخوله لوهران بهدم الأبراج الموالية للبر أهمها برج مرجاجو، برج رأس العين الكبير والصغير برج الويز وغيرها من الأبراج المواجهة للبر، لأنه رأى فيها خطر كبير على الجزائريين في حالة ما إذا رجع الإسبان إلى وهران، وترك الأبراج البحرية لتحميهم من خطر الغزو الخارجي<sup>6</sup>.

ثم شرع في إعادة معالم الإسلام إلى وهران فبنى المسجد والمدرسة اللذين سبق الحديث عنهما، وواصل إنجازاته العمرانية والدينية في مدينة وهران، التي صارت عاصمة إقليمه إلى غاية زوال حكم الأتراك، وتوفي رحمه الله في بلاد "صبيح" وهو عائد من الجزائر

<sup>1</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p.412

<sup>2</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص.427-428.

<sup>3</sup> M. Léon Galibert, Op.cit., p.241

<sup>4</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص.201

<sup>5</sup> Isaac Bloch, Les israélites d'Oran de 1792à 1815, éd. A. Jourdan, Alger, 1886, pp. 5-7

<sup>6</sup> الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص.294

## الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايكات

فأرسلت جثته إلى وهران ودفن في مدرسة "خناق النطاح"<sup>1</sup>، فعين الداوي حسن باشا ابنه عثمان خلفا لوالده في حكم البايك. وكانت وفاته رحمه الله في سنة 1212هـ/1798م.

والخلاصة حول انجازات الباي محمد الكبير في بايلك الغرب أنه نجح في تحرير وهران والمرسى الكبير بفضل الله سبحانه وتعالى وبفضل إصراره وعدم استسلامه، وطرد العدو المحتل واستكملت الجزائر سيادتها، وعادت وهران إلى الإسلام من جديد، وشيدت بها المساجد ورفع بها صوت الأذان إلى يوم الدين إنشاء الله. كما كانت له أيادي بيضاء في بعث الثقافة والرباطات الطلابية وتشجيع العلماء على الكتابة والتأليف وتأطير الطلبة في العلم والجهاد، هذا فضلا عن دوره الحضاري في البناء والتعمير، فقد أحدث حركة كبيرة ونشاطا كثيفا في تشييد مؤسسات دينية وأخرى علمية وثقافية. غير أن هذا لا يعني أنه الباي الوحيد في عصره الذي شجع الثقافة، فكان صالح باي حاكم بايلك الشرق ينشر التعليم ويشجع الثقافة ويوفر مصادر تمويلها لتستمر في عطائها، ولكن هذه المشاريع الحضارية والثقافية اختلفت باختفائهما في بايلك الشرق والغرب، وكان يمكن أن تتحقق نهضة حقيقية في البلاد، لكن عوامل كثيرة سياسية وغيرها حالت دون تحقيق تلك الانطلاقة الحضارية، وللأسف سارت الأوضاع في طريق نحو الانحطاط والتخلف واللامن، وهذا ما سنتعرض إليه في الفصول الموالية.

<sup>1</sup> دفن الباي في مدرسته في خناق النطاح والتي تعرف بمدرسة الباي، وفي بداية الاحتلال الفرنسي اتخذ جنوده هذه المدرسة المباركة حماما يستحمون فيه، ولهذا السبب طمس قبر الباي محمد الكبير، عبد الحق شرف، تراجم لبعض علماء مدرسة الباي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة، دورية كان التاريخية، العدد 23، مارس 2014، ص. 107، [www.kanhistorique.org](http://www.kanhistorique.org)

<sup>2</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 65.

# الفصل الثالث

## السياسة الخارجية

- أولا: العلاقات الجزائرية العثمانية
- ثانيا: العلاقات المغاربية
- ثالثا: العلاقات الجزائرية الأوربية
- رابعا: العلاقات الجزائرية الروسية
- خامسا: العلاقات الجزائرية الأمريكية



### أولاً: العلاقات الجزائرية العثمانية:

اتسمت العلاقات الجزائرية العثمانية في عهد محمد بن عثمان باشا بالتعاون المتبادل فقد كان الباب العالي يرسل المساعدات العسكرية من الأسلحة والعتاد والجنود إلى إيالة الجزائر، وفي المقابل كانت ترسل إليه الهدايا القيمة وتشارك بأسطولها وجنودها في كل حروبه مع أوروبا، ليس في عهد محمد بن عثمان باشا فقط بل على مدى ثلاثة قرون من الوجود العثماني بالجزائر.

وقد عاشت الدولة العثمانية طوال القرن السابع والثامن عشر في حروب مستمرة أفقدتها مساحات واسعة من أراضيها وخاصة تلك التي خاضتها مع روسيا، ووصلت على حسابها إلى البحر الأسود لأول مرة، بموجب معاهدة "كينارجي" لسنة 1774م<sup>1</sup>. وبدأت تظهر عليها علامات التراجع نحو الانحطاط والسقوط. في ظل هذه الظروف أردنا أن نتعرف على طبيعة العلاقات بين البلدين هل كانت مستقرة؟ أو حدث عليها تغيير؟

كانت العلاقات الجزائرية العثمانية تقوم على أساس ولاء باشا الجزائر للسلطان وتبادل الهدايا، وتقديم المساعدات العسكرية إلى بعضهما البعض، ويمكن تلخيصها في ثلاث عناصر:

### 1-فرمان التولية:

جرت العادة على أن يتم تعيين الدايات من طرف أوجاق الجزائر بعيدا عن تدخل السلطان العثماني وذلك منذ سنة 1711م عندما توقف السلطان العثماني عن إرسال الباشوات إلى الجزائر وبعدها تجرأ علي شاوش داي في تلك السنة على طرد مبعوث السلطان شارقان إبراهيم من الجزائر<sup>2</sup>، ومنذ ذلك الوقت اكتفى السلطان بإرسال فرمان التولية لمباركة اختيار الديوان، ويقدم له جملة من الوصايا أهمها حسن طاعة السلطان، وتطبيق العدل بين الرعية. وعندما تولى محمد بن عثمان باشا سنة 1766م أرسل له

<sup>1</sup> تم إمضاء معاهدة كينارجي في 21 جويلية 1774م بعد حرب دامت خمس سنوات وكانت مفروضة بشروط روسيا، وفتحت الطريق أمامهم إلى البحر الأسود وحرية الملاحة فيه واحتلال شبه جزيرة القرم ، ينظر:

Albert SOREL, La question d'Orient au XVIII<sup>e</sup> siècle, Libraire, Plon, Paris, 1889, p.262

<sup>2</sup> Eugène Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833,T2(1700-1833),Paris,1889, p.62

السلطان مصطفى الثالث (1757-1774م)، فرمان التولية في بتاريخ 17 ربيع الأول 1180هـ/ 22 أوت 1766م، وهذا جزء مما جاء فيه<sup>1</sup>:

"قدوة الغزات (كذا) والمرابطين عمدة الحماة والمجاهدين المختص بمزيد عناية الملك المعين داي أوجاق جزاير الغرب حالا محمد خوجة زيد مجده التوقيع الرفيع من باي العالي الواجل إليكم، يكن في علمكم أنه قد بلغنا وفات (كذا) باي البيلار بأوجاق جزاير الغرب على باشا وارتحاله بأمر الله تعالى لدار البقا (كذا) وانحلال حكم الباي بيلار وكنت أنت للمتوفى المزبور (كذا) خوجة ثم خزندار والخدمات أظهرت فروسية وافتكا (كذا) ومجرب الطوال يحب من كل وجه حسن استحقاقك لتقديم اللوا (كذا) خصوصا بناؤه بانتخاب مفاتي الجزائر والقضاة وآغة الأوجاق والضباط وأكابر الديوان والعلماء والصلحاء والأئمة (كذا) والخطباء وسائر الكبير والصغير باستصواب..."<sup>2</sup>.

وقام السلطان بتجديد ولايته بعد مضي سنتين وأرسل له فرمان آخر لتجديد التولية في 4 شوال 1181هـ الموافق ل 23 فيفري 1768م، ومما جاء فيه: " أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى المتصرف بإيالة الجزائر الغرب حالا محمد دام إقباله التوقيع الرفيع من الباب العالي الواصل إليك معلوم... وإننا ونشرف صدور خط بابي العالي وشوكته مقرونة به موجبا الإيالة المزبورة إلا إبقاء كمقرر باقي على ما كان تصرفك بآتم الكمال بهذا أبرز الأمر بخط بابي العالي وشوكته مقاربا لإصدار هذا فرمان جليل القدر ابقاؤ (كذا)، مقرر باقي على الطريق المذكور بيلار جزاير (كذا) الغرب أنت المتصرف من ضبط وربط المملكة وحماية وصيانة في رعية بابك..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أنظر نص فرمان كاملا في الملحق رقم (1)

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الرسالة، 12، وهي فرمان تولية من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد باشا، في 17 ربيع الأول 1180هـ (22 أوت 1767م).

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 14، فرمان من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد بن عثمان باشا لتجديد ولايته في الرابع من شوال 1181هـ (22 فيفري 1768م). ينظر الملحق رقم (2)

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وكان السلطان يرفق فرمان التولية أو التجديد حسب ما جرت عليه التقاليد عند العثمانيين بسيف عثماني والقفطان، في الحقيقة تعود باشاوات الجزائر حصولهم على فرمان التولية أو تجديدها لهم من طرف السلطان العثماني كأسلوب لتدعيم الجانب المعنوي في العلاقات بين الجزائر والباب العالي وتعزيزا للسيادة الروحية للسلطان على الإيالة الجزائرية<sup>1</sup>، باعتباره خليفة للمسلمين.

2-تبادل الهدايا: كان الباشا يقدم الهدايا للسلطان بمناسبة توليه حكم البلاد، واستمرت تلك العادة إلى غاية احتلال الجزائر عام 1830م، وكانت هدية محمد بن عثمان باشا التي أرسلها في الثاني من شوال 1179هـ الموافق ل 13 مارس 1766م مع أحمد خوجة تتكون من أحسن المنتوجات الصوفية في الإيالة كالزرابي والأغطية إضافة إلى الحرير والمجوهرات ومبلغ مالي قدره 7140 سلطاني، ومسدسات مزينة بالمعادن الثمينة وقارورات لحفظ البارود وسباحات من المرجان والعاج والعنبر. بالإضافة إلى خاتم من الألماس وساعة من الأحجار الكريمة<sup>2</sup>. وتعتبر هذه الهدية في حقيقتها على تبعية الإيالة إلى الدولة العثمانية ومدى ولاء الباشا إلى السلطان.

وفي نفس الشهر بعث السلطان هدايا قيمة ردا منه على تلك التي أرسلها محمد بن عثمان باشا على قسمين، الجزء الأول حملته سفينة فرنسية والجزء الثاني على متن سفينة من سردينيا وتمثلت أساسا في ذخائر حربية ومعدات ولوازم السفن<sup>3</sup>. وهي مواد وأجهزة تحتاجها الإيالة في تقوية تحصناتها الدفاعية وأسطولها البحري.

هناك مناسبات أخرى قدم فيها محمد بن عثمان باشا هدايا كبيرة إلى السلطان العثماني ومن بينها نذكر الهدية التي نقلها حسن وكيل الحرج على السفينة الفرنسية على إثر انتصاره على الحملة الإسبانية الأولى بقيادة "أوريلي" سنة 1775م ضد مدينة الجزائر، كانت تتكون من: 52 حزاما حريريا و 60 عقد مرجان وعقد عاج وسبحتين من العنبر، و 22 ستارا و 10 محازم و 10 مسدسات و 10 بنادق و 10 قارورات لحمل البارود، 10

<sup>1</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي...، المرجع السابق، ص. 38، 41

<sup>2</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Op.cit. p.58

<sup>3</sup> Idem, p. 60

ساعات، 60 حايك من النوعية الرفيعة، 120 حايك أحمر بسكري، 60 سجاد من الجنوب، 15 أسدا، 10 زنجيات و16 زنجيا و70 عبدا مسيحيا<sup>1</sup>.

وقد أرسل السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789م)، للجزائر عتاد ضخم للسفن كالصواري والحبال ولكن للأسف تم اختطاف السفينة بطاقمها وحمولتها من طرف الإسبان مما تسببت في أزمة خطيرة بين فرنسا والجزائر، وبعد مدة تم إطلاق صراح الأسرى وإعادة حمولة السفينة بفضل تدخل الملك الفرنسي شخصيا لدى البلاط الإسباني، وسنتطرق إلى هذا الموضوع في حينه.

**3- التحالفات والإمدادات العسكرية:** يظهر التضامن والالتحام بين الإيالة الجزائرية والباب العالي، في مواجهة العدو المشترك الذي يسعى لتخريب أراضي المسلمين والاستيلاء عليها سواء ضد الدولة العثمانية أو إيالة الجزائر، وكان محمد بن عثمان باشا الجزائر لا يتأخر عن نجدة السلطان في كل الحروب التي اندلعت ضد الدولة العثمانية بالرغم من الحروب التي كان يخوضها في الجزائر ضد الدول الأوروبية.

وحسب الزهّار فإن السلطان مصطفى الثالث (1757-1774م) أرسل خلال الحرب الروسية العثمانية (1768-1774م)، يطلب أسطول الجزائر وتونس عام 1183هـ/1769م، وفورا امتثل الباشا لأوامر السلطان وشرع في إصلاح خمس سفن وزودها بالموّن وسارت إلى اسطنبول وبعد أن أمضوا خمس سنوات سمح لهم القبطان باشا بالعودة<sup>2</sup>، وفي عهد السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789م) أرسل الباشا مراكبه بقيادة "الريس الحاج سليمان" إلى جزر بحر الأرخييل (بحر ايجة) لمقاتلة المراكب اليونانية، وكان السلطان من قبل قد أرسل سفنه فلم يقض عليهم، واستطاعت السفن الجزائرية بقيادة الريس صالح والحاج سليمان حرق مراكب اليونان التي كانت تمنع السفن الإسلامية من الإبحار سواء من الإسكندرية أو من أزمير<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Eugène Plantet, Op.cit, p.225

<sup>2</sup> كان القبطان باشا "حسن الجزائري" قد شغل منصب بايا على وهران ثم سافر إلى استانبول بعدما سوء تفاهم مع آغا الباشا السالف علي بوصيغ، فعينه السلطان قبطانا على الأسطول العثماني، أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 28-29

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 29، 30

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

بعد ذلك توجه الأسطول الجزائري إلى استانبول واستقبلهم السلطان بترحاب كبير وبعد ما استراحوا لعدة أيام بدل السلطان مراكبهم وسافروا إلى البحر الأسود وهناك التقوا مع الأسطول الروسي في معارك كبيرة، وظلوا هناك إلى أن تمّ التوقيع على معاهدة كينارجي في جمادى الثانية 1188هـ / 1774م.<sup>1</sup>

لم تقتصر مشاركة الأسطول الجزائري على الحرب الروسية العثمانية الأولى (1768-1774م)، بل انضم كذلك إلى الحرب التي أعلنتها الدولة العثمانية على روسيا عام 1787م بالتحالف مع إمبراطورية النمسا، وكان السبب المباشر لإعلان الحرب هو هجوم الروس على شبه جزيرة القرم واحتلال جزء منها، واستمرت تلك الحرب إلى غاية سنة 1791م<sup>2</sup>. وعليه أرسل السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789) عدة فرمانات إلى محمد بن عثمان باشا أوردها عزيز سامح التتر في كتابه "الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية" وتتمحور في مجملها حول طلب توجيه كامل الأسطول الجزائري للالتحاق بالأسطول الهامبوني في بحر إيجه، وقد أرسل الداوي خمس سفن للاشتراك في الحرب ضد روسيا والنمسا مع الأسطول العثماني في سنتي 1203، 1204هـ / 1790، 1789م، وقدم الاسطول الجزائري المشارك خدمات مشرفة<sup>3</sup>.

وبشأن نفس الحرب كتب حسن باشا قبطان دريا باستانبول أمرا إلى محمد بن عثمان باشا في 17 شعبان 1203هـ الموافق 13 ماي 1789م، جاء فيه: « صدر هذا الخط من الباب العالي، سفن دار الجهاد الجزائر مملوءة بالبولداش لار وتجهيز وإرسال وإيصال وعلى الخصوص البولداش لار التابعين لأوجاق جزائر دار الجهاد ودائرة أحوازها [يُعدّون] غزات مجاهدين وكلمات مرابطين تابعيين النص الشريف: «فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً»<sup>4</sup>. وقد طلب في هذا الفرمان القبطان دريا من داوي

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 30

<sup>2</sup> للمزيد من التفصيل حول هذه الحرب ينظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سليمان، مراجعة وتقيق، محمد الأنصاري، ج1، مؤسسة فيل للتمويل، تركيا، 1988، ص ص. 639-642

<sup>3</sup> عزيز سامح التتر، المرجع السابق، ص ص. 548-550

<sup>4</sup> هذا النص القرآني هو جزء من الآية الكريمة: "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا." (النساء/94)

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الجزائر إرسال أسطوله مع الجنود وتجهيزهم بالموونة اللازمة والالتحاق بأسطول الباب العالي في البحر الأسود لجهاد العدو الروسي هناك.<sup>1</sup>

لم يتوقف دور محمد بن عثمان باشا عند المساهمة بالأسطول والجنود، بل سعى كذلك إلى التضييق على السفن الروسية ومنعها من دخول البحر الأبيض المتوسط عبر جبل طارق، حيث كتب رسالة إلى الملك كارلوس الثالث بتاريخ 27 جمادى الثانية الموافق لـ 4 أبريل 1788م، أوردها يحيى بوعزيز، يخبره فيها بأن السلطان العثماني أرسل إليه رسول مع رسالة يأمره أن يكتب إلى ملك إسبانيا ويطلب منه منع الأسطول الروسي من المرور عبر مضيق جبل طارق إلى مياه البحر الأبيض المتوسط لأن الدولة العثمانية في حالة حرب مع روسيا، وإسبانيا صديقة للسلطان والجزائر وبينهما معاهدة سلام ولها أسطولاً قادراً على منعها من ذلك، وفعلاً استجابت إسبانيا لطلب الداي والسلطان العثماني وأغلقت المضيق في وجه السفن الروسية سنة 1788م.<sup>2</sup>

كما توسطت إسبانيا من أجل عقد الصلح بين المتحاربين بعد أن طرحته على الدولة العثمانية أولاً ووافقت عليه.<sup>3</sup> وتم الصلح مع النمسا بموجب معاهدة "زستوفي" (zistovi) في 1791/8/4م، ومع روسيا بمعاهدة "ياش" في 1792/1/9م.<sup>4</sup>

كانت تلك أمثلة عن المساعدات العسكرية البحرية الجزائرية للدولة العثمانية، أما الإعانات التي كان يقدمها الباب العالي إلى الجزائر لتدعيمها في حروبها خاصة منها ضد الإسبان، فقد سجل دفتر التشريفات أنه في 5 رجب عام 1198هـ الموافق لـ 25 ماي 1784م، أرسل السلطان العثماني مع الحاج مصطفى خوجة 500 قنطاراً من النحاس 18 عموداً للأشعة، 6 صواري، 104 بطانيات المدافع، 500 قنطاراً من الحبال الحديدية، 200 قنطار، 472 من المجاذيف، 206 من ألواح البناء، 538 قنطاراً من البارود.<sup>5</sup>

وفي 2 شوال سنة 1199هـ الموافق لـ 7 أوت 1785م، أرسل السلطان إلى أوجاق الجزائر كمية هائلة من الذخائر والأسلحة وعتاد السفن منها : 450 قنطاراً من البارود،

<sup>1</sup> خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، الوثيقة رقم، 3، ص.40، 41

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية، المرجع السابق، ص. 60

<sup>3</sup> بلبروت بن عتو، المرجع السابق، ص. 94

<sup>4</sup> يلماز أروتونا، المرجع السابق، ص.642

<sup>5</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Op.cit. p.60

200 لوح خشبي، 17 عمودا للصواري، 50 قنطارا من النحاس، 20 ألف قذيفة، 10 مدافع<sup>1</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذه المساعدات المقدمة للإيالة كان لها دورا مهما في زيادة القوة العسكرية الجزائرية، وبالتالي تحقيق الانتصارات المتوالية ضد أعدائها، ويمكن القول أن تلك الهبات التي يقدمها السلاطين العثمانيين كانت تسير في نفس سياسة سلفهم لدعم ورعاية الأسطول الجزائري الذي لا يتأخر عن نجدة الدولة العثمانية مهما كانت الظروف التي تعاني منها الإيالة.

وبالرغم من ذلك لم يكن الدايات ومن بينهم محمد بن عثمان يطيعون جميع أوامر السلطان العثماني في شؤون الخارجية للإيالة، فحكومة الجزائر كانت مستقلة في قراراتها، وكثيرا ما كانت ترفض فرماناته وتدخلاته خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الجزائرية الأوربية، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا، وسنرى كيف أن محمد بن عثمان باشا كان يرفض تدخل السلطان العثماني في علاقاته مع بعض الدول الأوربية ومنها علاقاته مع إسبانيا، التي حاولت أن تلزم سلطات الجزائر بالصلح الذي أبرمته مع الدولة العثمانية سنة 1782م، باعتبارها ولاية تابعة لها، فأرسلت نسخة منه إلى داي الجزائري، ولكنه رفضه ولم يحترمه،<sup>2</sup> ورد على مبعوث السلطان قائلا: "أنني أعلم أن ملك إسبانيا شارل الثالث يقوم بتجهيز أسطوله، ولا أريده أن يعتقد أنني هرعت إلى عقد الصلح خوفا منه، فلا أريد التحدث بهذا الموضوع"<sup>3</sup>.

ونفس الشيء حدث مع إنجلترا فقد رفض الدايات تدخل الباب العالي من أجل قبول القنصل "فريزر" بالجزائر ولو لمدة خمسة عشر يوما بل رفض نزوله إلى الميناء وطالب بتغييره<sup>4</sup>، وعلى العكس من ذلك قبل تدخل الباب العالي واستقبل مبعوث السلطان الذي قدم مع قائد الأسطول الفرنسي "سونفيل" من أجل إبرام معاهدة السلام المئوي سنة 1789م

<sup>1</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Op.cit. p.60

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية، المرجع السابق، ص. 60

<sup>3</sup> عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص. 539

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.323

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

بعدما كان يرفض تجديدها<sup>1</sup>، وهذا لم يكن خوفا من السلطان أو طاعة له بل هي رغبة الداي وحكومته في الحفاظ على استمرار العلاقات ودية مع فرنسا. مما تقدم يمكننا القول أن العلاقات الجزائرية العثمانية لم تكن علاقة تبعية مطلقة للباب العالي بل كانت علاقة تبعية اسمية باستثناء ما ذكرناه سابقا، وخاصة المساعدات العسكرية ذلك أن الجيش النظامي في الإيالة (الإنكشارية)، كانت عناصره تجند من أراضي الدولة العثمانية وخاصة من الأناضول ولا تعتمد على العناصر المحلية إلا كفرق احتياطية. كانت بداية تجنيد المتطوعين لصالح أوجاق الجزائر منذ عهد سليمان القانوني (1520-1566م) الذي حول لخير الدين حق التجنيد من مناطق الأناضول ابتداء من سنة 1525م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر وكالات خاصة أهمها "خان" إزمير<sup>2</sup>، يشرف عليه وكيل يعينه الباشا في الجزائر ويسمى "باش دائي" أو "باش داي"<sup>3</sup>. وكان السلاطين من بعد سليمان القانوني لا يسمحون بالتجنيد في أراضي الدولة العثمانية إلا بإذنهم بواسطة فرمان يسلم إلى الباش داي، واشتراطوا أن تكون رواتب الموظفين ومصاريف إقامة المتطوعين ونقلهم إلى الجزائر على حساب خزينة الإيالة<sup>4</sup>، ويذكر "كولمب" أن التجنيد كان يتم من كامل المقاطعات العثمانية الآسيوية والأوربية، الآسيوية من منطقة الأناضول<sup>5</sup>، والأوربية من الروملي<sup>1</sup> والمورة إضافة إلى جزر بحر إيجه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Henri Garrot, Histoire Générale de l'Algérie, Imp. P. Cresenzo, Alger, 1910, p. 583

<sup>2</sup> جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص. 17

<sup>3</sup> باش داي أو باش دائي: هو مصطلح تركي مركب من لفظة (باش)، بمعنى رئيس، و(داي)، ولها معاني كثيرة في اللغة التركية منها الخال والبطل السند، ولكن في الإدارة الجزائرية خلال العهد العثماني كانت تطلق على الضابط العسكري الذي صار يعينه الجيش لتولي الحكم بالإيالة عوض الوالي الذي يرسله السلطان من استانبول، ويطلق من جهة ثانية على الموظفين الذين كانت تعينهم الإيالة للعمل في وكالتها بأزمير وتسمى خان، خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص. 318-319

<sup>4</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، المرجع السابق، ص. 171-172

<sup>5</sup> أناضول: اسم يوناني يعني الشرق ويقصد به المنطقة التي يطلق عليها في العصر الحديث اسم (أسيا الصغرى)، وتتشكل منها أغلب أراضي الجمهورية التركية الحالية. وهو يمتد من الحدود مع إيران شرقا إلى ساحل بحر إيجه غربا ومن سواحل البحر الأسود شمالا إلى الحدود مع سوريا والعراق جنوبا. خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص. 312



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وحسب "حمدان خوجة" أن التجنيد كان في البداية لا يتم إلا من بين الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة، ثم فتحو أبواب الأوجاق لأي كان حتى إلى المجرمين، وهكذا صارت المليشيا لا مبدأ ولا أخلاق لها ترتكب المخالفات والمظالم<sup>3</sup>، ويذهب "لوجي دوتاسي" الذي زار الجزائر في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى نفس الرأي ويقول<sup>4</sup>: " إنَّ كل الأتراك الذين أدمجوا في المليشيا هم أصلاً أناس بدون أمل، ولا مصدر رزق لهم وفي معظمهم من حثالة المجتمع، أو أناس مطاردون من قبل العادلة." ويتفق معه تمام "طوماس شو" فيقول<sup>5</sup>: " جميع المجندين الذين وصلوا إلى الجزائر كانوا من المتشردين والمعدومين مالياً والمنحرفين أخلاقياً". وبالرغم من ذلك تمكن محمد بن عثمان باشا من إخضاعهم لأوامره وحققوا معه الانتصارات في كل الحروب التي قادها.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان العثماني كان يستعين بجنود أوجاق الجزائر في حروبه التي كان يواجهها ضد الدول الأوروبية، فقد بعث السلطان مصطفى الثالث في حربه ضد روسيا (1768-1774م)، فرمان إلى محمد بن عثمان باشا في أواخر شعبان 1183هـ الموافق لأواخر ديسمبر 1769م، يطلب منه إرسال خمسين جندياً من فرقة المدفعية لتلبية نداء الجهاد الذي أعلنه على روسيا، وجاء فيه: "وانتظارنا قدوم جنود الظفر من أناس دائرة أوجاق جزائر الغرب، فعلى الدوام إجراء فريضة الغزو والجهاد باذلين أنفسهم في تحصيل أوامري الشريفة بذل اجتهاد...، وموجود إجراء غزو الأوجاق المزبور وله شأن واعتبار، تزايد الباعث الآن من قدوم الفن الماهر ممن له ذكر وصيت في علم المدافع من نفرات الطوبجية عدداً قدره خمسين رجلاً...، ومطالب مصاريف الميرية لا تتناولكم." طلب

<sup>1</sup> الروملي: صوابها (روم ايلي)، اسم أطلقه العثمانيون على القسم الأوربي من دولتهم وهو ثاني إيالة تأسست بعد الأناضول وكانت هذه الإيالة في سنة 1609م، تشمل على اليونان الحالية وألبانيا وبلغاريا، خليفة حماش، المرجع نفسه، ص. 351

<sup>2</sup> M. Colombe, Contribution à l'étude de recrutement d'Odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence in R.A., vol, 87, 1943, éd. A. Jourdan, Alger, p.172

<sup>3</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 149

<sup>4</sup> Laugie de Tassy, Op.cit.p.125

<sup>5</sup> Thomas Show, op.cit, p. 182

السلطان في هذا الفرمان خمسين مدفعيا من المحترفين المهرة ونقلهم إلى البحر الأسود أين تجتمع كل عساكر الدولة العثمانية. والمصاريف يتحملها الباب العالي<sup>1</sup>.  
والخلاصة أن العلاقات الجزائرية العثمانية، كانت تقوم على أساس تبادل الهدايا والمساعدات العسكرية من ذخائر حربية وعتاد السفن التي يقدمها الباب العالي، ويسمح بتجنيد المتطوعين في صفوف الانكشارية في مختلف أقاليمها، وفي المقابل كان الداوي يلبي نداء الجهاد الذي يعلنه السلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين، وطاعته واجبة بتقديم أسطوله وخيرة جنوده ومساندته في كل حروبه. ومع ذلك لا يسمح محمد بن عثمان باشا للباب العالي بالتدخل في شؤون الإيالة الداخلية والخارجية.

### ثانيا: العلاقات المغاربية

#### 1- العلاقات الجزائرية التونسية:

##### 1-1- أولى المواجهات بين إيالتي تونس والجزائر:

تمكن بيلربايات الجزائر من تحرير تونس من الاحتلال الإسباني وبقايا الأمراء الحفصيين خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر وصارت تابعة للجزائر منذ سنة 1569م إلى غاية سنة 1574م، أين استقلت تونس وصارت إيالة تابعة رأسا للباب العالي يحكمها باشا يرسله السلطان العثماني. وفي سنة 1598م استولى الدايات على الحكم فيها إلى غاية سنة 1613م، ليبدأ عصر الأسر الحاكمة المرادية والحسينية وأصبح الحكم فيهما وراثيا<sup>2</sup>. على عكس إيالة الجزائر التي استمر فيها حكم الدايات إلى غاية نهاية الوجود العثماني بالجزائر. وقد عرفت العلاقات الجزائرية التونسية التوترات والنزاعات منذ استقلال إيالة تونس عن حكم الجزائر، وكان الصراع في البداية بسبب مشكلة الحدود، وبعد ذلك حاول حكام الجزائر إخضاعها لسيادتهم.

وقد سعى حكام تونس منذ نهاية القرن السادس عشر إلى توسيع سلطتهم على الأطراف الغربية أين تتواجد قبائل مستقلة ومعروفة بقوتها وكثرة عددها، ونقصد قبائل

<sup>1</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، المجموعة، 3204، الوثيقة رقم، 1، ص ص. 28-31

<sup>2</sup> محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب، محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار السراس، تونس، 1993، ص ص. 67-91

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الشابية، أولاد شنوف<sup>1</sup> والحنانشة<sup>2</sup>، وكان التوغل العسكري والجبائي للأمحال في هذه القبائل وخاصة الحنانشة مصدر اضطرابات لرفضها الخضوع للحكام الجدد، مما يجعلها تستنجد بأتراك الجزائر لتواجه مَواطنها بين الإيالتين، فتحدث المعارك والنزاعات. ومنذ نهاية القرن السادس عشر إلى سنة 1628م قامت عدة حروب بين الإيالتين، وكان سببها هو عدم تحديد المجال الجغرافي لكل منهما والمجموعات القبائلية التي ستخضع لكل بلد من قبل حكام البلدين أو من طرف الباب العالي<sup>3</sup>.

وأكبر معركة وقعت بين الإيالتين كانت عام 1628م، وانتهت بانهزام الجيش التونسي بقيادة مراد كورسو<sup>4</sup> وعُقد صلح في 16 جوان 1628م، الذي أقر معاهدة سنة 1614م، التي تبين الحد الفاصل بين الإيالتين يكون: من ناحية القبلة وادي سراط، وادي ملاق، والإحيرش، وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا إلى البحر<sup>5</sup>، مع إضافة بنود تضبط القبائل التي ستخضع لكل إيالة وتدفع لها الجباية، وجاء في الوثيقة مايلي: « على أنه من دخل عمالة الجزائر وحل غرب وادي سراط يكون خراجه لقسنطينة ولا يطالبه أهل مدينة

<sup>1</sup> يمتد مجال الشابية ما بين "مكثّر" في منطقة الجريد وقبائل أولاد شنوف التي استوطنت منطقة الكاف، فاطمة بن سليمان، الأرض والهوية، نشوء الدولة الترابية في تونس، 1574-1881م، منشورات إدي سيونس، تونس، 2009، ص. 98

<sup>2</sup> قبائل الحنانشة، تتواجد أراضيها بين الإيالتين، فهي تمتد ما بين عنابة وقسنطينة ووادي سراط، وكانت لا تدفع الضرائب مروغة بولائها حسب ما تحصل عليه من منافع وقد تسببت في الكثير الحروب، عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، درا بئر الزمان للنشر، تونس، 2012، ص. 128.

<sup>3</sup> قام الباب العالي بتحديد المجال الجغرافي لكل من إيالة تونس وطرابلس، لمزيد من المعلومات ينظر، فاطمة بن سليمان، المرجع السابق، ص. 57-59.

<sup>4</sup> أصله من جزيرة كورسيكا قدم صغيرا إلى تونس تدرج في المراتب إلى أن تقلد لقب الباشوية، وأسس بذلك الأسرة المرادية (1613-1702م) وفي آخر أيامه تنازل عن الخروج بالمحال لابنه حمودة باي الذي خلفه بعد وفاته، وجملة ممن تولى الإمارة من آل مراد ثمانية بايات، ينظر محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق، حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص. 48 وما بعدها.

<sup>5</sup> ينظر الخريطة المرفقة، توضح الحدود القديمة والحديثة بين تونس والجزائر بالملحق رقم (8).

تونس، وكذا من دخل تونس من الرعايا واجتاز الوادي وكان شرقيه فهو لهم ولا يطالبه أهل الجزائر.<sup>1</sup>

ونشير هنا إلى أن الحدود أو الحد في تلك الفترة كانت لا تحمل المفهوم المعروف اليوم، والذي يعني الخط الفاصل، ف"الحد" كان يستخدم للإشارة إلى المجال الذي يصل إليه نفوذ الحاكم السياسي والجغرافي والبشري<sup>2</sup>، بمعنى المناطق التي تخضع لسلطة الحاكم بالفعل، وكانت الحدود (بمعنى الخط) تسمى بالحدادة في المصادر المحلية.<sup>3</sup>

### 1-2 الحملة على باردو:

رغم تسوية مسألة الحدود (الحدادة) بين البلدين استمرت العلاقات مضطربة ومتوترة بينهما خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والرابع الأول من القرن التاسع عشر. وكان أساس الصراع بين الإيالتين هو تنافس أبناء الأسر الحاكمة في تونس حول العرش، ونقصد بذلك أفراد الأسرة المرادية (1613-1702م) والأسرة الحسينية (1705-1957م)<sup>4</sup>، حيث كان المتنافسون يطلبون مساعدة حكام قسنطينة والجزائر ضد خصومهم، وكثيرا ما كان دايات الجزائر يساندون كل ثائرا أو متمردا على عرش تونس ويقدمون لهم المساعدات العسكرية وينصبونهم على العرش في مقابل شروط قاسية، وما إن يعجز الحاكم الجديد عن تنفيذها يهاجمه أتراك الجزائر مرة أخرى ويعينون غيره<sup>5</sup>، وعادة يكون التدخل العسكري

<sup>1</sup> أ.و.ت. سجل رقم، 2847، يشتمل على نسخ لأوامر صادرة عن الباي وتخص علاقة تونس مع الدول الأجنبية وهي غالبا موجهة إلى قناصل هذه الدول بتونس. وجاء في أوله قضية الحدود بين إيالة الجزائر وتونس سنة 1037هـ/1627-1628م وترجع بعض الوثائق فيه إلى 1023هـ/1614 (1614-1615م). وتخص الأوامر الأخرى دول أوربية وأمريكا ومصر خلال الفترة من 1137-1248هـ/1833-1833م.

<sup>2</sup> فاطمة بن سليمان، المرجع السابق، ص. 86

<sup>3</sup> أ.و.ت. وردت العبارة "الحدادة الفاصلة بين المدينتين واد سراط" في السجل، 2847، ورقة رقم 2، ولقد عثرنا في نفس الأرشيف على وثيقة أخرى عبارة عن خريطة للحدود الفاصلة بين الإيالتين وقد جاء عنوانها "تصوير خط الحدادة" وهي توضح الحدود بين إيالتى تونس والجزائر، ينظر، أ.و.ت. العلبة، 212، الملف 120، الوثيقة رقم، 119. دون تاريخ

<sup>4</sup> مؤسس الأسرة الحسينية هو حسين باي بن علي التركي وأصل والده من جزيرة كريت قدم إلى تونس في بداية عهد الدولة المرادية وانخرط في الجند، ونشأ ابنه حسين في كنف البايات المراديين. وراح يتدرج في المناصب العالية إلى أن تم انتخابه للولاية في سنة 1705م، حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015، ص. 125.

<sup>5</sup> حصام حورية، العلاقات بين إيالتى الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013، ص. 22.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الجزائري في تونس من أجل أداء مهمة محددة كإعادة تآئر مطالب بالعرش ووضعه على رأس النظام هناك، أو جلب أموال كان متفقا عليها بين النظامين وتماطلوا في دفعها. ولم يحدث أن تمت محاولة إلحاق تونس بالجزائر<sup>1</sup>، بالرغم من توفر الفرص لضمها. ولعل أكبر غزوة قام بها جيش الجزائر على تونس هي تلك التي حدثت في عهد الداى علي بوصبع 1756م، وهي أيضا لم تخرج عن الأسباب المذكورة أعلاه. وترجع جذور هذه الحملة إلى بداية عهد الحسين بن علي (1705-1735م) عندما عين ابن أخيه علي بن محمد وليًا للعهد ثم عزله بعدما رزق بثلاثة أولاد ذكور، وعرفت تونس خلال العشرين سنة الأولى من حكم الحسين السلم الداخلي والخارجي، واستطاع اكتساب حب الرعية في كل مكان، وأما باقي القرن الثامن عشر عرف الاقتتال والافتسام من أجل الحكم<sup>2</sup>.

وكانت بداية الصراع عندما ثار علي باى ضد عمه ورحل إلى الجزائر فأمده حاكمها بجيش كبير يحارب به على شروط اتفقا عليها. وفعلا تمكن هذا الأخير من إحراز النصر، وجلس محل عمه الحسين عام 1735م، وصار تابع لداى الجزائر يقدم إليه ضريبة سنوية، أما الحسين بن علي فقد هرب مع أبنائه إلى القيروان واستمر في الحرب إلى غاية مقتله عام 1740م، واستطاع أبنائه الفرار إلى الجزائر طالبين بثأر أبيهم، وظلوا بها إلى حين تولى علي بوصبع حكم الجزائر سنة 1754م، وكان ابن أخته حسن أزرق عينيه بايا على قسنطينة، فطلبوا مساعدته لاسترجاع ملك والدهم، ويذكر "المشرع الصغير" أن حسين باى قاد بنفسه جيش الجزائر ومعه محمد وعلي أما محمود فقد مات في مدينة الجزائر، وتمكنوا من دخول مدينة الكاف بسبب خيانة جندها ثم تقدموا إلى تونس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السايح فيلالي، العلاقات الجزائرية التونسية 1792-1837م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1997-1998م، ص ص. 47-48

<sup>2</sup> Ahmed Abdesslem, Les Historiens Tunisiens des XVII<sup>e</sup>, XVIII<sup>e</sup>, XIX<sup>e</sup> Siècles, Essai d'histoire culturelle, Librairie, C. Klincksieck, Paris, 1973, p.60

<sup>3</sup> الشيخ الصغير بن يوسف، المشرع الصغير في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق، أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، (د.ت) ص ص. 51-52

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وحسب "فنتير دو باردي" أن عدد جيش الجزائر الذي دخل تونس بلغ ستة آلاف جندي، وقام بسلبها لمدة ثلاثة أيام متوالية، واستولوا على أموال الخزينة بقصر باردو<sup>1</sup> وتحفه، وارتكبوا فيها جرائم كبيرة<sup>2</sup>. ويذكر ابن أبي ضياف أن حسين باي بعدما انتصر على علي باي كتب إلى باشا الجزائر يبشره بالنصر، وبعث له مفاتيح تونس وخيَّره بين أن يضم تونس إلى مملكة الجزائر أو أن يترك البلاد لصاحبها مع ضريبة يؤديها كل سنة<sup>3</sup>. وقد طبق الداوي الخيار الثاني وتم تنصيب محمد بن الحسين بايا على تونس بعدما أمضى على معاهدة مذلة بشروط قاسية ومنها ما ذكره "فنتير دو باردي"<sup>4</sup>:

- تدفع تونس ضريبة سنوية من الزيت قدرها حمولة سفينة للإيالة.
- هدايا للداوي ووزرائه تتكون من مجموعة كبيرة من البرانيس والأغطية الصوفية الرفيعة والأغطية المطرزة وكميات من ماء الورد. ويقدم كذلك هدية الباي التي قدرها ثلاثون ألف ايكوس.

ويقول حمدان خوجة عن هذه المعاهدة المبرمة "أنها مخزية"، وذكر بعض الشروط إضافة إلى تلك المذكورة أعلاه:

- لا يسلح حصن الكاف، وعندما يصل أحد المراكب الجزائرية إلى ميناء تونس فإن قائد المركب الجزائري هو الذي يتولى قيادة الميناء طوال المدة التي يقيمها فيه.
  - يحترم وكيل الجزائر وقسنطينة كما يحترم السفراء الأوربيين<sup>5</sup>.
- هكذا فرض داي الجزائر شروط مهينة على محمد بن الحسين (1756-1769م)، الباي الجديد الذي فضل الجلوس على عرش ملوث بالدماء، وطلب مساعدة الجزائر

<sup>1</sup> اتخذ الحسين بن علي مرة من باردو القريبة من مدينة تونس مقرا للحكومة وبنى بها قصرا ومسجدا، وأحاطها علي بن محمد خلفه بخندق وسورين وركب عليها بطاريات المدافع، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 127

Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle, Mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, éd, Sindbad, Paris, 1983, p. 30

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit, p.80

<sup>3</sup> أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص. 159.

<sup>4</sup> Venture de Paradis ,Op.cit, p.80

<sup>5</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 163

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

العسكرية جعلتهم يعيشون في حالة تبعية لها دون أن يجدوا لها مخرجا مهما إلى غاية بداية القرن التاسع عشر كما سنرى في حينه.

وعلى إثر حملة الجزائر على تونس سنة 1756م أرسل السلطان العثماني فرمانين<sup>1</sup> إلى الداوي يطلب منه إعادة ما سلبه عسكر الجزائر من قنصلية السويد وهولندا اللتان قدما شكواي كثيرة له بخصوص هذا الاعتداء، واكتفى السلطان بتوجيه اللوم للداوي على عدم إخباره بالحادثة، وقال: «...متضمن عسكر الجزائر لما دخلوا بلد تونس عنوة، غصبوا أموال الفلامينك (كذا) المقيم هناك وسائر أثاثه...، ووقع في ذلك اليوم استغراب واستعجاب، يجب بوصول هذا الأمر... فتخلوا سبيل المسفور (كذا) واواد (كذا) وعياله وخدامه وأمواله» .

طالب السلطان من خلال فرمانين داي الجزائر بإعادة ما تم نهبه من القنصلية السويدية والهولندية، ولم يطالبه بإعادة ما سلبوه من خزينة باردو، واكتفى بالاستغراب من عدم طلب إذنه في الحملة على تونس، ونعتقد أن السلطان تخرج من شكواي القناصل الأوربيين الذين تربطه معهم معاهدات سلام، ولو لا ذلك ما تدخل نهائيا في القضية وترك حرية العمل لعسكر الجزائر.

والخلاصة أن الحملات العسكرية التي قادتها الجزائر ضد إيالة تونس لم يكن يستأذن فيها الدايات من السلطان العثماني قبل خروج قواتهم، ورغم سفك دماء المسلمين إلا أن الباب العالي لا يتدخل ويترك الحرية للعمل العسكري الجزائري، وبيبارك الحاكم الجديد لتونس ويرسل له القفطان الشرفي<sup>2</sup> (قفطان التولية)، وهذا التصرف يدل إما على ضعف الدولة العثمانية وعجزها على مراقبة الإيالات المغربية منذ أواخر القرن السابع عشر، أو يعطي للجزائر مكانة مميزة بين إيالات المغرب بحكم أن باشواتها هم الذين فتحوا تونس وحرروا سواحل المغرب من الاحتلال الإسباني.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، فرمان الأول يحمل رقم، 4، أرسله في أواخر جمادي الأولى (10-19) فيفري 1757م، والفرمان الثاني، يحمل رقم 5 من نفس المجموعة في أواخر ذي القعدة 1170 هـ / (6-15) أوت 1757م. وكلاهما من السلطان عثمان الثالث إلى علي باشا بوصباغ داي الجزائر، حول الشكوى التي تقدم بها السفير الهولندي للباب العالي التي أدعى فيها أن عسكر الجزائر اعتدى على مقر قنصليته ونهبوها. فأمره أن يعيدوا كل ما أخذوه من دار القنصل.

<sup>2</sup> Venture de Paradis ,Op. cit, p.80

### 1-3 العلاقات الجزائرية التونسية في عهد محمد بن عثمان باشا:

توفي محمد بن الحسين (1756-1759م) بعد سنتين ونصف تولية الحكم وترك طفلين صغيرين، وخلفه أخوه علي بن الحسين (1759-1782م)، والذي وعد أخوه قبل وفاته بأنه سيتترك السلطة لولده الأكبر عندما يبلغ سن الرشد، ولكنه تناسى الوصية وطلب لابنه محمود لقب الباشا من الباب العالي في نهاية حكمه، ولمّا توفي علي باي في 26 ماي 1782م، عُيّن ابنه مكانه حمودة باشا (1782-1814م) بايا على تونس<sup>1</sup>. وقد عاصر كل من علي باي وحمودة باشا محمد بن عثمان باشا الجزائر فكيف كانت العلاقات بين الإيالتين في عهديهما؟

كانت علاقة الحكومة التونسية مع الجزائر خلال الفترة الممتدة من سنة 1756م إلى بداية القرن التاسع عشر علاقة الدولة التابعة والمهيمن عليها من قبل دايات الجزائر الذين ألزموا أبناء الحسين بن علي قبول شروط مهينة وصعبة. يقول حمدان خوجة حول هذه الوضعية أن باي تونس بعد إمضائه لتلك المعاهدة المهينة صار "شبه ملك" وباشا الجزائر هو الذي يحكم البلاد والشعب "حسب رغبته" وأصبحت تونس تابعة للجزائر<sup>2</sup>.

فقد ألزموا باي تونس قبول بيع كميات كبيرة من المواشي في تونس قبل حيواناتهم وإرسال ثمنها إلى الداوي، وتقديم هدايا نقدية وعينية لكبار المسؤولين في الدولة وصغارهم ولرؤساء القبائل وتزويد مختلف أنواع السفن الجزائرية بالمؤن الغذائية، ويحتفظ الأرشيف الوطني التونسي بدفاتر تتضمن الهدايا الموجهة إلى الجزائر والسلع التي تجلب منها وتباع في تونس وأهمها المواشي والصوف. ونذكر على سبيل المثال ما سجله الدفتر رقم 394<sup>3</sup>، الذي اشتمل على المصاريف الشهرية الموجهة إلى داي الجزائر وباي قسنطينة وكبار رجال الدولة منهم الخزناجي، خوجة الخيل، والآغا وكيل الحرج، الوكلاء وصبايحية على شكل هدايا وإحسان أو أموال نقدية، وكذلك ثمن بيع البقر والجمال بتونس ودفع ثمنها إلى وكلاء

<sup>1</sup> J.J. Marcel, Histoire de Tunis, éd, Firmin Didot Frères, Paris, p.190

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.164

<sup>3</sup> أ.و.ت. الدفتر رقم 94، سجل مداخيل الخزينة والمصاريف مفصلة ومبوية للأموال التي سلمت للجزائر في ذي القعدة 1172هـ/ 1759م، وأموال سلمت للجزائر في رجب 1173هـ/ 1779م، بالإضافة إلى مرتبات ومصاريف أخرى خاصة بإيالة تونس 1780/1173 م .



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الجزائر منهم: محمد بن نعمون ، رمضان بن حراث، الحاج محمد السفاقصي وعلي بن فريكح.

وكانت مبالغ كبيرة تقدم لكبار رجال الدولة في الجزائر ومثال على ذلك نذكر ما دفعته خزينة تونس خلال شهر رجب 1173هـ الموافق (15 فيفري-17 مارس 1760م)<sup>1</sup>:

33000 ريال	- مرفوع لدولاتي (داي) الجزائر:
11000 ريال	- مرفوع لباي قسنطينة
25114 ريال	- هدايا لباي قسنطينة
38028 ريال	- هدايا إلى باي قسنطينة
	(برانس وطابخات ويطآغانات وزعفران)
<u>5375</u> ريال	- مرفوع إلى باي قسنطينة
112517 ريال	المجموع:

ونلاحظ أن المبالغ والهدايا التي تحصل عليها باي قسنطينة أكبر من تلك المقدمة لداي الجزائر، ربما لتخوفهم من خروج محلة قسنطينة إليهم بحكم قربهم من إيالة تونس. وفي الواقع لم تكن الخزينة التونسية تقدم الأموال والهدايا إلى كبار رجال الدولة في الجزائر فقط، بل كانت تقدم المنح المالية حتى للموظفين الصغار "كسيارة قسنطينة" (عمال البريد)، ولقد سجل الدفتر رقم 100 في سنة 1180هـ / (1766-1767م)، أنه تم تقديم مبلغ 2,3 ريال لسيارة باي قسنطينة وعددهم سبعة أنفار<sup>2</sup>.

وبالنسبة لمواشي الجزائر التي كانت تباع في تونس يشير الدفتر رقم 1769 لسنتي 1181-1182هـ الموافق (1767-1768)-(1768-1769)م والدفتر 139 لعام 1779هـ الموافق ل(1765-1766)م أن باي تونس يشتريها من وكلاء الجزائر بسعر محدد ثم يعاد بيعها في تونس، وكانت تلك الحيوانات متنوعة وبأعداد كبيرة من بقر وغنم

<sup>1</sup> أ.و.ت ،الدفتر، 94، المصدر نفسه، ص. 119

<sup>2</sup> أ.و.ت. الدفتر، 100، خاص بمصاريف ومدخيل الدولة ومنها مصاريف الهدايا الموجهة الى الجزائر على يد الشيخ محمد بن بوديدح من 1171 إلى 1187هـ/(1757-1758) إلى (1773-1774 م)، ص. 25

وما عز، وقد بيعت في تونس لحساب خزينة تونس على يد تجّار المواشي<sup>1</sup>، ونورد مثال على بيع المواشي بتونس من الدفتر رقم 139 الصفحة رقم 2: وهو بيان ما قبضه الحاج مسعود بن زكري وعلي فريكح وكلاء الجزائر وعدد الحيوانات المباعة بتونس في شعبان 1179هـ:

-2200 ريال في قبضهما حق المائة ثور الذي مشوا في الشتاء للحرث في القيروان.  
-9550 ريال في قبضهما حق ألف وخمسمائة رأس بقر. ( ثمن رأس البقر يساوي: 6.37ريال)

-6950 ريال في قبضهما من حق البقر<sup>2</sup>  
-300 ريال في قبض علي فريكح حق أربعة جمال قبضهم قايد العربي<sup>3</sup>.  
من خلال هذا المثال يمكننا القول أن أعدادا كبيرة من الأبقار كانت تباع في تونس، أما الثيران فكانت تجلب للحرث مقابل مبلغ مالي معتبر، وكان ثمن بيع رأس البقر يساوي 6.37 ريال.

وتجدر الإشارة أن المواشي التي تجلب من الجزائر وتباع في تونس لم تكن تشكل عبئا خزيتها وذلك بسبب الفائدة التي تحققها من الفرق في سعر الشراء من وكلاء الجزائر وسعر البيع للتجار في تونس، ويوضح لنا الدفتر رقم 2984 هذه الأرباح، حيث أعيد بيع 300 بقرة في تونس بمبلغ إجمالي قدره 3750 ريال على يد أحمد الساحلي في سنة 1178هـ (1764-1765م)<sup>4</sup>، وسعر البيع للرأس يساوي 12.5ريال ، وحسب ما ذكرناه أعلاه أن سعر شراء البقر في سنة 1766م يساوي 6.37 للرأس، وهذا يعني أكثر 50 % أرباح هذا إذا اعتبرنا أن سعر البيع والشراء ثابتين في سنة 1766م، لأنه وحسب الدفتر

<sup>1</sup> خليفة حمّاش، كشاف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013، ص.406

<sup>2</sup> عدد الأبقار المباعة ب 6950 ريال هي 1091 رأسا، وبقسمة 9550 ريال على 1500 عدد الأبقار نجد ثمن الرأس يساوي 6.37 ريال

<sup>3</sup> أ.و.ت. الدفتر، رقم 139، المصدر السابق، ص. رقم 2

<sup>4</sup> أ.و.ت. الدفتر، رقم، 2984، حساب البقر الذي أتى به من الجزائر وذلك في 1170-1182هـ/1756-1769م صفحاته من دون ترقيم

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

رقم 2984، كان ثمن بيع البقر في تونس خلال 1763، 1762، 1764 مرتفعا إذ كان يساوي بالترتيب: 13,88، 10، 16، 23,50 ريال<sup>1</sup>.

وبالنسبة للمؤونة الغذائية التي كان يقدمها قائد ميناء تونس وحلق الوادي للسفن الجزائرية المتوجه من وإلى الجزائر والتي ترسو بموانئ تونس، سواء كانت سفن لرياس البحر أو تحمل حجاج، جنود أتراك جدد متوجهين إلى الجزائر، أو كبار المسؤولين من اسطنبول، سجلها الدفتران رقم 143 و1046؛ ويغطي الدفتر الأول مصاريف مختلفة من سنة 1171-1180هـ/(1757-1767م)، ونذكر على سبيل المثال المؤونة التي خصصها القائد علي بن عباد وعلي ريس للفرقاطة "المغراوية" بقيادة الرئيس علي بن الحاج الجزيري في 5 جمادى الأولى 1184هـ الموافق ل 27 أوت 1770م، وزودها ب: 25 قنطار بشماط، 3 أقطار زيت، 3 أقطار خل، زوج قصار سمن وقنطارين ونصف زيتون، و3 كباش، ونصف قنطار روز، وقفيز غير ربع قمح، نصف قنطار بارود، وقنطار واحد ثقيل، 25 حصيرة لوضع البشماط بل 30 حصيرة وقنطار واحد شحم<sup>2</sup>.

ويغطي الدفتر رقم 1046 الفترة من 1170-1206هـ/1756-1792م، وسجل في الصفحات: 8، 10، 11، 12، 13 بيان المؤونة الموجهة للسفن الجزائرية والمراكب المتوجهة من وإلى الجزائر<sup>3</sup>.

والواقع أن ما كانت تقدمه تونس للجزائر من الأموال والهدايا والمؤن الغذائية والذخائر الحربية، كان يشكل عبءاً كبيراً على خزينتها. وكمثال على ذلك كميات الزيت التي سجلها الدفتر رقم 193، لشتاء عام 1187هـ الموافق لسنة 1773م الخاص بتسجيل "مصروف الزيت" المرسل للجزائر على يد حسين بولكباشي كانت قيمته 36244 ريال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أ.و.ت. الدفتر، 2984، المصدر نفسه

<sup>2</sup> أ.و.ت. الدفتر رقم، 143، يشتمل على هدية للجزائر يغطي الفترة من (1171-1194هـ/1757-1781م)، ينظر على سبيل المثال الصفحات رقم، 60، 61، 62، 67، 87، 89، تشتمل على توزيع كميات من الزيت هدية للجزائر.

<sup>3</sup> أ.و.ت. دفتر رقم، 1046، بيان المؤونة التي قدمتها تونس لقرصان الجزائر يغطي الفترة (1170-1206هـ/1756-1792م). ص. 11. ينظر صورة هذه الصفحة بالملحق رقم (09)

<sup>4</sup> أ.و.ت. دفتر رقم، 193، محاسبة الوكلاء على الأملاك من 1187-1202هـ/1773-1788م، ويشتمل كذلك على الهدايا المقدمة لأوجاق الجزائر ص. 6. ينظر صورة لهذه الصفة من السجل بالملحق رقم (10)

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

كما سجل الدفتر رقم 1046 والدفتر رقم 2145، الهدايا والإحسان والعوايد المقدمة لأهل الجزائر، ويوضح لنا الدفتر الأول معلومات عن المؤن التي تقدم لسفن الجزائر التي تنقل كبار المسؤولين في الدولة ولقرصان الجزائر، كذلك المؤونة المقدمة للحاج مسعود بن زكري الذي أحضر الخيل صحبة ثلاثين نفرا وعين لهم على يد "علي بن الحاج" مؤونة غذائية يومية طوال مدة إقامتهم بعد أن قسمهم إلى أربع مجموعات (سفرات) كمايلي:

"سبعين رطل لحم للسفرات، زوجين خبز سميد كبير يومي، اثني عشر زوج خبز سميد أبيض صغير، عشر رطل سمن يومي، ثمانية أرطال روز يومي، مثلهم زبيب يومي ثمانية طيور دجاج، أربعة أزواج حمام، رطلين قلب لوز، رطل واحد خل يومي، أربعين عظم (بيض) دجاج يومي، ريال خضرة يومي، ريال ونصف غلة (فواكه) يومي، حملة حطب يومي، خمسة أصواع زيت يومي، ستة أواق فلفل يومي، ومثلها زعفران يومي، ثلاثة أرطال سكر دقيق يومي، رطل قهوة يومي، ثلاث شمعات يومي، عشرة حصر<sup>1</sup>.

أما المؤونة المعينة لرياس البحر فلا تختلف عن تلك المقدمة للجنود، ولقد سجل الدفتر 1046 بالأرشيف التونسي ما قدم لعدد من رياس البحر جزائريين في 3 ذي القعدة 1179هـ الموافق لـ: 13 أبريل 1766م، وتتكون من مايلي<sup>2</sup>:

ثلاثون قنطار بشماط، خمسة أقطار زيت، خمسة أقطار خل، قنطارين زيتون، قنطارين سمن، ستة كباش، رأسين بقر، ألف فرد خبز، حليلين خضرة، عشرة حمول حطب.

وسجل في الدفتر 2145 الهدايا والإحسانات والعوايد (أموال نقدية) المقدمة تقريبا لسائر قبائل بلاد الجزائر في الفترة من (1191-1197هـ) - (1777-1782م)، إلى أعيان وقبائل بالجزائر من الشرق إلى الغرب مروراً بالوسط وقبائل الجنوب بالصحراء، ومرتبعة من أصغر إحسان (164ريال) إلى أكبر إحسان (263 ريال) في سنة 1191هـ / 1777م. وقد شملت<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> أ.و.ت. دفتر، رقم، 1046، المصدر السابق، ص. 14

<sup>2</sup> أ.و.ت. دفتر رقم، 1046، المصدر نفسه، ص. 13

<sup>3</sup> أ.و.ت. دفتر رقم، 2145، بيان لما احتوت عليه دفاتر بيت خزندار من الإحسان والصدقات و"العوايد" لفائدة سكان سائر أماكن البلاد والهدايا الموجهة إلى البلدان الأجنبية أهمها الجزائر، وذلك من سنة 1191 - 1197هـ / (1777-1782م)، ص. 2

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

أولاد سي يحيى بن طالب، تبسة ، حنانشة الشيخ إبراهيم، حنانشة محمد بن سلطان، وعنابة والقل وبجاية وسكيكدة، قسنطينة، سيدي عبد الملك السناني، قرفة، أولاد عيسى العامة ومشايخهم أولاد بوترة، أولاد عيسى بن محمد، محمد بن بالضياف من بني مومنين، وأهل عمرو، جبل أوراس وأولاد بن العيدون من أولاد بوعون، أهل بن علي وأولاد ماضي وأولاد بوجملين وبن قانة وعرب المسيلة، الحشم وعرب البيبان ومشائخهم أولاد بوزيان أهل بوزيد بن بالتقا، جبل زاووة، محروسة الجزائر ومتيجة، قروم زاوية محمد بن علال، تيطري، سيدي علي بن مبارك، مجاجة (مجانة)، تلمسان، أم عسكر (معسكر) ومستغانم، مليانة زاوية سيدي أحمد بن يوسف، غات بلاد التوارق، ورقلة، توقرت، سوف ورجال الدبيلة.

بيان هدايا موطن الزاب: شلف، بسكرة ودوكال، مسيلة، سيدي عقبة، أهل خنقة سيدي ناجي، أولاد صولة، النميلة، قرية جلال، أولاد سيدي عبيد، زاوية الشابي وأولاد الميдами، النمامشة، طولقة.

كما أشتمل هذا الدفتر أيضا على إحسانات وهدايا لباي قسنطينة وحفيد الخليفة الأكبر وكانت هدية صالح باي لسنة 1192هـ/1778م تتكون من: أربعين سفساري (قماش من النوع الرفيع)، وعشرين برنوس، وأربعمائة ذراع ملف معهود، وأربعمائة ذراع كمخة<sup>1</sup>. وهدية محمد خوجة حفيد شندولي إبراهيم الخليفة الكبير في قسنطينة المقدمة له أواسط جمادي الأولى 1193هـ الموافق ل(26-31) ماي 1779م، تمثلت في: ملابس مطرزة منها: غليله ملف حرجها فضة الجزائر، وكبان ملف حرجها فضة، صدرية ملف حرجها فضة، وسروال ملف حرجه بالفضة، برنس ملف حرجه فضة<sup>2</sup>.

والخلاصة أن حكام تونس كانوا يعانون من ثقل الهدايا والأموال والمؤن الغذائية التي كانوا يقدمونها إلى كبار رجال الدولة في الجزائر وشيوخ قبائلها وعسكرها ورياسها. ونجد أثر هذه المعاناة واضحا في الأرشيف الوطني التونسي، وفي ما سجلته المصادر كابن أبي الضياف الذي أشار إلى معاناة علي باي من تبعيته لولاة الجزائر وقسنطينة،

<sup>1</sup> أ.و.ت. دفتري رقم، 2145، المصدر السابق، ص.182.

<sup>2</sup> أ.و.ت. دفتري رقم، 2145، المصدر نفسه.

حيث قال<sup>1</sup>: « وكان الباشا علي باي يعاني من مداراة ولاية الجزائر وقسنطينة، ويتجرع من مرارة مَنهم وتغلبهم، ما يستفز غضب الحليم، ولا تحتمله النفوس الإنسانية. وبعد تولي حمودة باشا اتبعت معه الجزائر نفس سياسة والده، وكان يعاني هو ورعيته من هذه الهيمنة، ولم يجد من يعتمد عليه في دفع هذا البلاء. وكانت الفكرة الأساسية التي سيطرت على علي باي وولده هي إعداد العدة والتخلص من تلك التبعية<sup>2</sup>، وكان وزراء حمودة باشا ينصحونه بالتريث ويخففون عليه الأمر إلى أن يحين الوقت المناسب، ويقول ابن أبي الضيَّاف: « أرادوا(سلطات الجزائر) ابتداء الأمر معه من حيث انتهى الأمر مع أبوه، ولم يكن من أخلاقه احتمال الضيم، ومن وزراء أبيه من يسليه ويهون عليه الاحتمال في حقير الأمور، وما دري أن الحقير يعظم والصغير يكبر»<sup>3</sup>.

وكان حكام الجزائر يعتبرون أنفسهم أصحاب حق، وأنهم السبب في ولاية أولئك البايات وسيطرتهم على ملك تونس، ومن حقهم اقتسام مداخل خزينتها معهم، ولكن يبدو أنهم تَمادوا كثيرا، وهذا ما أشار إليه "العطار" حين قال<sup>4</sup>: «أن تونس وعمالتها كانوا تحت قهر وذلة لسلطان الجزائر وعامله على قسنطينة لأن السبب في ولاية سلطانها وتمكنه بمملكتها كان بواسطة سلطان الجزائر، فكان يعامل أهل الجزائر لذلك ويراعي حقهم،...فكانوا يغظون على رعية تونس ويظلمونهم...فيبلغ ذلك إلى حمودة فيتحمل لهم ذلك.»

في الحقيقة لم تكن مداراة حكام الجزائر في الأمور الصغير والحقيرة كما عبر عنها ابن أبي الضيَّاف بل كانت أموال وهدايا كبيرة تدفع لسلطات الجزائر، كما تثبتته الدفاتر الأرشيفية المذكورة أعلاه، وتبينه بعض المصادر التي اطلعنا عليها، ومن بينها ما ذكره "محمد الطاهر النقاد" حول علاقة صالح باي بحموده باشا التي يقول عنها أنها كانت حسنة ويتم بينهما تبادل "الهدايا العظيمة والمودات الكثيرة"<sup>5</sup>، ولكننا نعتقد أن تلك الهدايا

<sup>1</sup> أحمد بن أبي الضيَّاف، المصدر السابق، ص. 37.

<sup>2</sup> أحمد بن أبي الضيَّاف، المصدر نفسه ص. 40.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص. 37.

<sup>4</sup> الحاج أحمد العطار، المصدر السابق، ص. 114-115.

<sup>5</sup> محمد الطاهر النقاد، المصدر السابق، ورقة، 17.

كانت من طرف حمودة باشا فقط لأنه في موضع آخر أشار إلى أن صالح باي عندما احتاج إلى مال كثير بعث إلى حمودة باشا فأرسل له "مالا عظيما"<sup>1</sup> كان في حاجة إليه. ويذكر ارنست مارسى أن علي باي تجنب كل المشاكل التي تثير الصدام مع الجزائريين وحافظ على السلام، وسار ابنه حمودة باشا على سياسته مع صالح باي الذي احتج بسبب عبور قبيلة تونسية الحدود الشرقية واستقرارها في جنوب تبسة فطلب تعويض مالي عن الإضرار التي سببتها للأهالي الجزائريين، في البداية رفض حمودة باشا دفع هذا المبلغ وكادت تندلع الحرب بينهما في شتاء 1783-1784م، ولكنهما في الأخير اتفقا على السلام، ودفع حمودة باشا مكرها خمسة وعشرون ألف سكة، وكميات من الزيت، والملح والدقيق للأوجاق<sup>2</sup>، وحسب "قايد مولود" أن حمودة باشا تجنب الصدام لأنه كان في حرب مع البنادقة وخاف من مغبته تقسيم جيشه على جبهتين<sup>3</sup>.

وخلال سنة 1787م تكررت نفس الأحداث تقريبا حيث طالب صالح باي بتعويضات من حمودة باشا لأنه سمح لقبائل جزائرية الدخول إلى الأراضي التونسية، فرفض الباشا دفعها رفضا قاطعا، لأن اتفاقية 1628م تترك الحرية لتنتقل القبائل الحدودية والضرائب تدفعها للإيالة التي تقيم فيها كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فطلب صالح باي الإذن من باشا الجزائر لتجهيز حملة على تونس، وتمكن في وقت قصير أن يجمع ستة آلاف رجل، وفي تونس تم تحضير قواتهم العسكرية ولكنها كانت أقل من قوات الجزائر. فانصاع لشروط صالح باي ودفع التعويضات المطلوبة مرغما<sup>4</sup>.

والخلاصة أن العلاقات الجزائرية التونسية على المستوى السياسي كانت غير متكافئة بين الإيالتين مما جعل تونس تعيش في حالة تبعية لحكام الجزائر بعد ما ألزمتها تطبيق بنود معاهدة مذلة أمضاها محمد بن الحسين مقابل جلوسه على عرش تونس، وجعل نفسه وخلفه يحكم منقوص السيادة، ومجبور على دفع الهدايا والعوايد لحكام وأهل الجزائر، مما أثقل على الخزينة والاقتصاد التونسي، وأصبحوا يعيشون في شقاء وخير مثال

<sup>1</sup> محمد الطاهر النقاد، المصير نفسه، ورقة، 31

<sup>2</sup> Ernest Mercier, Op.cit, p.278

<sup>3</sup> Mouloud Gaid, Chronique des Beys de Constantine, O.P.U., Alger, 1983, p.43

<sup>4</sup> Ernest Mercier, Op.cit, p.278

على ذلك ما فعله صالح باي مع حمودة باشا وكثرة طلبه للأموال مما جعل هذا الأخير يحاول أكثر من مرة محاربتة ووضع حد لهذه التبعية، ولكن نقص إمكانيته العسكرية جعلته يجنح للسلم. فهل سيظل مسالما خاضعا لخلفاء صالح باي أم لا؟ هذا سنعرفه في الفصول الموالية.

### 2- العلاقات الجزائرية المغربية:

قبل أن نتطرق إلى العلاقات الجزائرية المغربية في عهد محمد بن عثمان باشا ومعاصره سلطان المغرب المولى محمد بن عبد الله بن إسماعيل (1757-1790م)، من المفيد أن نعود إلى بداية الاحتكاك العثماني المغربي خلال القرن السادس عشر، حتى يمكننا فهم طبيعة العلاقات بين البلدين.

#### 1-1 بداية الاحتكاك بين العثمانيين والسعديين:

سعى العثمانيون منذ دخولهم لبلاد المغرب الأوسط إلى بسط نفوذهم على المغرب الأقصى، ليوحدوا كامل شمال إفريقيا تحت راية الدولة العلية، ولكنهم اصطدموا مع أشرف السعديين ومن بعدهم العلويين، والذين كانوا يعتبرون أنفسهم أحق بالخلافة منهم، نظرا لنسبهم الشريف و"أن الخلافة في قريش وغيرهم مغتصب لها"، ومن هذا المنطلق اعتبروا بأن سلاطين بني عثمان أعاجم لا تصح الخلافة فيهم، وبالتالي لا يجب الاعتراف بنفوذهم حتى ولو أدى ذلك إلى خوض حرب ضدهم. وفي هذا الصدد يقول أحمد الزباني: "ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن ادعاء الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يصح أصلاً".<sup>1</sup>

وخلال القرن السادس عشر كانت تلمسان وفاس مسرحا لمواجهات عديدة بين حكام الجزائر العثمانيين والأشرف السعديين، حيث استطاع حسن بن خير الدين في ولايته الأولى<sup>2</sup> استرجاع مدينة تلمسان بعدما استولى عليها المولى محمد الشيخ السعدي وهزمه

<sup>1</sup> أبو القاسم أحمد الزباني، جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص. 45.

<sup>2</sup> تولى حسن بن خير الدين منصب بايلرباي الجزائر ثلاث مرات قبل أن يستدعيه السلطان العثماني نهائيا لتولي لوزارة البحرية الفترة الأولى (1544-1555م) والثانية من (1557-1560م) والأخيرة كانت من (1560-1567م) وقام بعدة



بالقرب من مدينة مستغانم ونصب المولى الحسن الزياني ملكا على تلمسان تحت حماية إيالة الجزائر سنة 960هـ/1552م<sup>1</sup>. ثم استولى صالح باشا على مدينة فاس سنة 961هـ/1553م -حسب رواية ابن المفتي-<sup>2</sup>، وفي مقال "البربروقجي" حول "الحدود الجزائرية" يوضح أن سبب تلك الحملة هو أن باشا الجزائر قد كتب إلى ملك "فاس" يطلب منه عدم تجاوز جبال ملوية التي تفصل بين مملكة فاس وتلمسان، ولكن الشريف لم يعمل بوصيته، فقام صالح باشا بمحاربه وهزيمته مرتين واستولى على عاصمته فاس، إلا أن سلطان المغرب لم يستسلم واسترجعها وزحف مرة أخرى على تلمسان وبسط نفوذه حتى مستغانم ونواحي وادي الشلف، فتحرك إليه حسن بن خير الدين باشا من الجزائر وأرغمه على العودة على إلى بلاده وألحق تلمسان بإيالة الجزائر نهائيا سنة 964هـ/1557م<sup>3</sup>.

كما شنّ باشوات الجزائر حملات أخرى على "فاس" ومن ذلك الحملتين اللتان جردّهما حسن بن خير الدين عامي 1561، 1562م، وحملة رمضان باشا من أجل تنصيب "المولى عبد الملك السعدي" في سنة 983هـ/1575م، الذي استتجد بحكام الجزائر هو وأخوه "أبو العباس" ضد "محمد المتوكل على الله"، ولكنه قتل بعد سنتين فقط من استلامه الحكم<sup>4</sup>.

هكذا، كانت الهجومات سجالا بين حكام الجزائر العثمانيين والسعديين على المدن الحدودية تلمسان وفاس، لكن كلاهما لم يحقق أهدافه في مد سلطته على مجال الآخر. فهل استمرت نفس التوترات في عهد الدولة العلوية؟

### 2-2 العلاقات بين البلدين في عهد الدولة العلوية:

وجه محمد بن الشريف العلوي (1056-1075هـ)/(1646-1664م)، ضربات قوية خلال خلافته للحكام الأتراك في تلمسان وضواحيها؛ فبعد أن عجز عن التوسع على

إنجازات أهمها التقسيم الإداري لإيالة الجزائر الذي استمر بنفس الطريقة تقريبا طوال العهد العثماني، أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.ص. 27-29

<sup>1</sup> نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 100

<sup>2</sup> ابن المفتي رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان، بيت الحكمة، سطيف، ط1، 2009، ص. 40

<sup>3</sup> A. Berbrugger, Des frontières de l'Algérie, in. R.A. Vol, N° 04, 1860, éd. A. Jourdan, Alger, p. 414

<sup>4</sup> ابن المفتي رجب، المصدر السابق، ص. 42، 43

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

حساب الدلائيين<sup>1</sup> في الجهة الغربية لبلادهم قرر التوجه نحو شرق المغرب، فاستولى على وجدة واتخذها قاعدة له بعدما طرد منها بني يزناسن المواليين للأتراك وسلبهم ممتلكاتهم وأموالهم. ومن ثمة راح يشن الغارات المتوالية على مقاطعة الغرب متبعا أسلوب الكر والفر حيث جرد حملة إلى تلمسان والقرى المجاورة في سنة 1064هـ / 1653م، فتقدم إليه سكانها وحامية المدينة فهزمهم وفر راجعا إلى وجدة، كما أغار على الجعافرة وبني عامر وسلب أموالهم<sup>2</sup>.

وبعد هذه الانتصارات المتوالية انضم إليه بعض شيوخ القبائل العربية كقبلة بني زغبة، ودخيسة، الذين ساعدوه في غزوته على الأغواط وبني ماضي والغاسول فسلب ونهب تلك القرى، وفرت قبائل عرب أبحاث وسويد وحصين من بني مالك إلى جبل بني راشد وتحصنوا به. وما أن وصل الخبر إلى داي الجزائر أحمد باشا (1653-1655م)، حتى أرسل محلة من الجنود إلى تلمسان فكان المولى محمد بن الشريف قد تراجع إلى وجدة وفرق العرب من حوله<sup>3</sup>.

وعن حالة مدينة تلمسان وسكانها وكيف وجدتها محلة الجزائر يحدثنا أحمد الناصري قائلاً: « وجدوا البلاد خالية وكل الرعايا تركت أوطانها وتحصنوا بالجبال، ولم

<sup>1</sup> الدلائيين: هم أتباع الزاوية الدلائية وهي طريقة دينية تابعة للشاذلية، تنسب إلى قبيلة دلاء من صنهاجة وتعرف أيضا بالطريقة البكرية نسبة إلى مؤسسها أبي بكر بن محمد الدلائي . كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 74-73، وكانت تقع بوسط المغرب، في مكان بوادي نهر أم الربيع. وقد أصبحت مقصد الزوار في حياته وذات شهرة واسعة في حياة ابنه محمد، واستغل حفيده محمد الحاج ما كان لأسرته بالمغرب من سمعة طيبة ومن نفوذ روحي لتثبيت أركان دولة جديدة تختلف عن الدولة السعدية التي كانت وقتئذ مفككة ومشرفة على الانهيار. وكان محمد الحاج مسموع الكلمة، مطاع الأمر في بعض مناطق البلاد إلى أن تغلب عليه مولاي الرشيد سنة 1668م. ليفي بروفونصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب، عبد القادر الخلافي، دار المغرب، الرباط، 1977م، ص 213.

<sup>2</sup> محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق، تعليق، تقديم، أحمد العماري، دار المؤثرات، الرباط، 1986، ص 19/أحمد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، ج7، تحقيق، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1906، ص. 16، 17، 20 / ابن زيدان عبد الرحمن المكتاسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج3، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 162.

<sup>3</sup> أحمد الناصري، المصدر نفسه، ص 21/ ابن زيدان، المصدر السابق، ص 162.

يأتهم أحد بمؤونة ولا خراج، وخرج عنهم أهل تلمسان أيضا وكانوا قد مالوا إلى المولى محمد، فرأى الترك أنهم قد شركوا في بلادهم وزحموا في سلطانهم فرجعوا إلى الجزائر. <sup>1</sup> ولما رجعت المحلة إلى الجزائر وأخبرت الباشا بما حدث في تلمسان وضواحيها وبما فعله المولى محمد جمع الديوان وقرروا اللجوء إلى المفاوضات الدبلوماسية المباشرة لتسوية النزاع بين البلدين فأرسلوا إلى سلطان المغرب سفارة تتكون من عالمين فقهاء واثنين ومن كبار رجال الدولة ومعهم رسالة، بعدما فشلوا في محاربتهم، وهذا ما عبر عنه ابن زيدان قائلاً: «كان يغير ويظفر وينتهب ثم يصحّر فلا يمكنهم التعلق بأذياله ولا قطع فراسخه وأمياله» <sup>2</sup>.

وقد كتبت الرسالة بأسلوب يجمع بين اللين والشدّة، حيث بدأت بمقدمة يستنكر فيها باشا الجزائر أعمال النهب والسلب التي قام بها المولى محمد الشريف ثم ذكره بأنه أخطأ بتجاوز حدوده بكل غاراته ضد القبائل وتأليبهم لأهل تلمسان والقبائل العربية ضده وطلب منه الصلح حتى تنتقل الناس والتجار في أمان، وأن يترك تلمسان وشأنها ولا يهاجمها مرة أخرى. <sup>3</sup>

وما إن اتصل المولى محمد الشريف برسالته حتى اغتاز كثيرا وصبّ غضبه على السفراء، فقالوا له: «نحن أتيناك سفراء برسالة من باشا الجزائر، فاكتب لنا الجواب ولا تقابلنا، بعتاب» فقال: «صدقتم». فرد عليهم برسالة بتاريخ أواخر شعبان 1065هـ <sup>4</sup> بين فيها مكانته وأصله الشريف، وفند كل التهم الموجهة إليه وقال أن سبب ثورة القبائل وأهل تلمسان هو ظلم وجور الترك على مر السنين، وذكرهم باغتصابهم للخلافة في تونس وتلمسان ولام أحمد المنصور لتوجهه إلى السودان وتعاميه على الترك، ولم يجيبهم إلى طلبهم. <sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد الناصري، المصدر نفسه، ص. 21

<sup>2</sup> ابن زيدان عبد الرحمن المكناسي، المصدر نفسه، ص. 164

<sup>3</sup> أورد محمد الضعيف نص الرسالة كاملة، مؤرخة في 15 رجب من سنة 1065هـ/22 ماي 1655م، ص ص. 20-23

<sup>4</sup> الموافق ل (26 جوان-4 جويلية) 1655م

<sup>5</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص ص. 23-29

رجعت البعثة الدبلوماسية برسالة المولى محمد الشريف إلى باشا الجزائر، ولكنهم سرعان ما عادوا إليه مرة ثانية برسالة شفوية جاء فيها: « أنه لم يكن لنا علم بما في الكتاب ولو اكتفينا به ما رجعنا إليك، نحن جنناك لتعمل معنا شريعة جدك وتقف عند حدك، فما كان جدك يحارب المسلمين ولا يأمر بنهب المستضعفين فإن كان غرضك الجهاد فربط على الكفار الذين هم معك في وسط البلاد...، فهذا ما جننا له والسلام وأما إيقاد نار الفتنة بين العباد فليس من شيم أهل البيت الأمجاد ولا يخفى عليك أن ما تفعله حرام لا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين ولا قانون من قوانين الأعجام.»<sup>1</sup>

وقد كالت تلك المساعي الحميدة للسفارة بالنجاح، وكان من نتائجها هو رسم الحد الذي يفصل بين المغرب الأقصى وإيالة الجزائر وهو "وادي تافنا"، وقد أقسم محمد بن الشريف أن لا يتخطى هذا الوادي إلا فيما يرضى الله ورسوله، وكتب لهم بذلك عهدا إلى باشا الجزائر.<sup>2</sup>

وفي أعقاب وفاة المولى محمد بن الشريف (1664م) وجلس أخيه المولى الرشيد على كرسي الحكم أرسل إليه باشا الجزائر كتابا آخر يتضمن رسم الحدود التي تفصل المغرب الأقصى عن إيالة الجزائر وهو وادي تافنة والتزم به<sup>3</sup>، وهكذا اعترف الطرفان بجعل وادي تافنة خطا فاصلا بين البلدين.

وعلى عكس ما حدث في عهد المولى محمد بن الشريف لم تعرف الجهة الغربية لإيالة الجزائر حملات عسكرية أو غارات طويلة حكم المولى الرشيد (1075-1082هـ / 1664-1672م)، والتزم بالعهد الذي كتبه إلى باشا الجزائر، وبالرغم من أنه قام بتهجير الحاج محمد شيخ الدلائيين وأولاده وأقاربه إلى تلمسان، بعد أن استولى على عاصمتهم فاس في 8 محرم سنة 1079هـ<sup>4</sup> وهدم زاويتهم، غير أنه لم تحدث مشاكل بين البلدين ودام السلام إلى غاية وفاته.

<sup>1</sup> أحمد الناصري، المصدر السابق، ص. 26

<sup>2</sup> أحمد الناصري، المصدر نفسه، ص. 27 / ابن زيدان المكناسي، المصدر السابق، ص. 165

<sup>3</sup> أحمد الناصري، المصدر نفسه، ص. 60

<sup>4</sup> الموافق لـ 18 يونيو 1668م.

ويذهب الأستاذ إبراهيم شحاتة إلى أن سنوات سلطنة المولى رشيد قد مرت دون أن يطرأ على علاقات الحدود بين المغرب والجزائر من الأحداث غير ما يتعلق بتهجير الدلائيين إلى تلمسان وثورات القبائل المغربية القريبة من هذه الحدود، مثل بني يزناسن وبين زروال. وحسب رأيه أن السبب في ذلك هو تراجع قوة الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ولم تعد لها الأثر الفعال الذي كان لها في القرن السادس عشر أيام العلاقات مع السعديين<sup>1</sup>.

ونرى أن انشغال المولى الرشيد بمحاولة بسط نفوذه على كامل بلاد المغرب والقضاء على منافسيه،<sup>2</sup> من الأسباب المهمة أيضا في عدم توسعه على حساب إيالة الجزائر وإشغال الحروب على عدة جبهات. كما أن قصر مدة حكمه (سبع سنوات)<sup>3</sup> ربما لم تكن كافية لتسمح له بالتوسع نحو الشرق<sup>4</sup>.

وبمجرد وصول المولى إسماعيل (1672-1727م) إلى حكم المغرب عادت التوترات من جديد على الحدود وعرفت تلمسان وغيرها من مدن الغرب عدة هجمات، فبعد

<sup>1</sup> إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947م)، دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص.404

<sup>2</sup> استعمل المولى الرشيد في محاولة توحيد المغرب تحت سلطته قبائل من مقاطعة الغرب الجزائري كبني عامر وسويد وغيرهم، لمزيد من التفاصيل ينظر، بن قايد عمر، أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الواحات والدراسات، العدد، 17، 2012، قسم التاريخ، جامعة غرداية، ص. 145

<sup>3</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص.202

<sup>4</sup> لما وصل المولى الرشيد إلى الحكم كان المغرب الأقصى مقسما بين عدة حكام، فكانت سلا في يد الدلائيين، أصيلة والقصر الصغير وتطوان تحت حكم الخضر غيلان، أسفى وأزمور أكادير بأيدي السلايين، طنجة في يد الإنجليز سبتة ومليلة والعرايش والمعمورة ومازاكان تحت حكم الإسبان. إبراهيم شحاتة حسن، المرجع السابق، ص.398. وقد قضى المولى الرشيد مدة حكمه في توحيد البلاد تحت سلطته حيث فتح سجلماسة (1665م)، وفاس (1666م)، وهزم الخضر غيلان وأرغمه على الهجرة إلى الجزائر (1666م)، كما استولى على زاوية الدلائيين وطردهم إلى فاس ثم هجرهم إلى تلمسان في سنة 1668م. وفي نفس السنة فتح مراكش كما تمكن من أن يفتح بلاد السوس (1670م)، ويقضي على قائدها أبو عبد الله محمد بن أبي حسون، ومن أهم إنجازاته كذلك تكوينه لجيش "الشرافة" وسمي بهذا الاسم لأن عناصره من شرق المغرب عرب وبربر. ولمزيد من المعلومات حول المولى الرشيد ينظر: أحمد الناصري، المصدر السابق، ص.32-

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

أن وفق في توحيد بلاده نظم جيشه الجديد الذي عرف باسم "عبيد البخاري"<sup>1</sup>، وقاد ثلاثة حملات منها بنفسه، وكانت في سنوات التالية بالترتيب (1678، 1691، 1701م)، بالإضافة إلى الغارات المتوالية التي كلف ولده الأمير زيدان بقيادتها ضد أتراك الجزائر<sup>2</sup>. لقد حاول المولى إسماعيل التوسع على حساب المدن الحدودية الغربية الجزائرية، فحسب أبو القاسم الزياني، أن السلطان المغربي توجه نحو الشرق في سنة 1089هـ/1678م، عن طريق الصحراء ولما بلغ وجدة انضم إليه بني عامر وسقونة وذوي منيع ودخيسة وحميان والعمور وأولاد جرير والحشم وقادوه على طريق الصحراء إلى أن وصل وادي شلف بالقويعة فوجد محلة الجزائر بانتظارهم على وادي شلف بأسلحتهم ومدافعهم، ولما أطلق الأتراك مدافعهم تفرق عنه العرب وتركوه وحده مع جيشه فانهزم دون قتال، ووجه له الأتراك رسلهم وألزموه بالوقوف عند الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب الذي سبقت إليه الإشارة، وهو وادي تافنا كما التزم به من قبله سلفه المولى محمد والرشيد أبناء الشريف، وأبرموا الصلح على ذلك<sup>3</sup>.

والظاهر أن المولى إسماعيل كان يفكر جديا في الاستيلاء على مقاطعة الغرب الجزائري ذلك أنه هاجم قبائل بني عامر سنة 1093هـ/1682م لتحالفهم مع إسبان وهران ونهب أموالهم. وخلال عام 1103هـ/1691م قاد حملة ضد إسبان وهران لطردهم منها،

<sup>1</sup> كان الجيش على عهد مولاي إسماعيل يتكون أساسا من جيش الودايا وجيش عبيد البخاري، ويتألف الأول من أهل السوس، المغافرة، الودايا ويطلق على الجميع بالودايا تغليبا، أما جيش عبيد البخاري يقال عنه أنه من أعظم جيوش هذه الدولة، جمعهم السلطان من أولاد عبيد عسكر المنصور وكانوا متفرقين في مراكز ونواحيها فجمع في سنة واحدة ثلاثة آلاف جندي ثم جمع من كامل مناطق سلطنته كل العبيد والإيماء السود، فكساهم وسلحهم ودرهم وعين عليهم قوادهم حتى وصل عددهم إلى 14 ألف. أما عن أصل تسميتهم بعبيد البخاري، فيقال أن المولى إسماعيل لما جمعهم أحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم: «أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به ففعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل.» فعاهده على ذلك وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة، وأن يحملوها عند سفرهم ويقدموها أمامهم في حروبهم كتابوت بني إسرائيل. ولهذا قيل لهم عبيد البخاري. أحمد الناصري، المصدر السابق، ص ص. 50-58

<sup>2</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، هامش المحقق رقم، 721، ص. 70

<sup>3</sup> أبو القاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي، وهو منقول من كتاب الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب، مطبعة الجمهورية، باريس، 1886م، ص. 17/ أحمد الناصري، المصدر السابق، ص - ص. 59-60

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

ومن ثمة الاستيلاء عليها، وقد قام بتحضيرات كبيرة بخصوص هذه الحرب، وانطلق باتجاه وهران، ولكن داي الجزائر الحاج شعبان (1688-1695م) كان له الوقت الكافي للاستعداد جيدا لملاقاة عدوه في منطقة ملوية، وما أن التحم الجيشان حتى كانت الخسارة من نصيب المولى إسماعيل مرة أخرى مما أدى به طلب الصلح، والتزم بعدم توغله في داخل مقاطعة وهران. وبالرغم من هزيمته والعهد الذي قطعه على نفسه أعاد الكرة في السنة الموالية 1692م، وبدأ بمهاجمة بني عامر ثم حاول انتزاع وهران ولكنه فشل<sup>1</sup>.

عرفت المعركة التي هزم فيها المولى إسماعيل سنة 1691 بالقرب من نهر ملوية بمعركة "المشارع"، وعلى إثرها عين سفارة في سنة 1103هـ/1692م تتشكل من ابنه عبد الملك وعدد من العلماء، وجماعة من كبار موظفي البلاط المغربي لإمضاء الهدنة مع حكام الجزائر<sup>2</sup>. وفعلا نجحوا في عقد الصلح مع سلطات الجزائر وعادوا سالمين بعدما أشيع أنهم قتلوا جميعا<sup>3</sup>.

يبدو أن محاولات المولى إسماعيل لطرد الإسبان من وهران والاستيلاء عليها أغضبت السلطان العثماني الذي أرسل إليه رسالة مطولة بتاريخ 22 شوال 1110هـ/23 أفريل 1699م، قام بنشرها الأستاذ عبد الهادي التّازي في كتابه "التاريخ الدبلوماسي للمغرب" الجزء التاسع، باللغة التركية وقدم ملخصا عنها بالعربية ومما جاء فيها: «إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة... وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها وجندها منقادة بعد أجدادنا لنا... وبقرب دار سلطان المغرب ما تزال توجد مليلة والبريجة وسبتة وبادس وهي بيد الكفار... وأنتم تمدون أيديكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع في جوار تلمسان ألا وهي وهران تريدون أن تحزوها بأعدار واهية<sup>4</sup>»

وتشير المصادر أن المولى إسماعيل قد عين ابنه زيدان على عمالة الشرق المغربي وأمره بتكثيف الهجومات على الجزائر، ولم يأبه لا بالرسالة السلطان العثماني ولا بالصلح الذي أبرمه مع سلطات الجزائر، وقام الأمير بتنفيذ غارات عنيفة توغل في بعضها

<sup>1</sup> G. Faure-Biguët, Op.cit., p. 352

<sup>2</sup> ليفي بروفونصال، المصدر السابق، ص ص. 200-201

<sup>3</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص. 76

<sup>4</sup> عبد الهادي التّازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، مجلد، 9، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988، ص ص. 19-21

إلى عمق الجزائر ثم تراجع<sup>1</sup>. فأزعج بتلك التصرفات سلطات الجزائر، فطلبوا من الباب العالي التدخل لدى المولى إسماعيل فأرسل السلطان بعثة من اسطنبول تتكون من عشرة أشخاص يحملون رسالة منه إلى السلطان المغربي واستطاعت أن تقنع المولى إسماعيل بقبول الصلح والحدود بوادي تافنا. ومن جهة أخرى لجأ داي الجزائر إلى تدعيم المعارضين للمولى إسماعيل داخل المغرب والاتفاق معهم على حربه، لينشغل عنهم، فقدم مساعدته للثائر ابن أخيه المدعو "أحمد بن محرز" الذي دامت حربه سنوات طويلة وأخذت حيزاً جغرافياً واسعاً<sup>2</sup>.

وبعدما تمكّن من كسر شوكة القبائل المتمردة والخارجين عليه، زحف في حملة جديدة وكانت الأخيرة، قادها باتجاه وهران في عام 1112هـ / 1701م، والمدن الحدودية الجزائرية، ولكنه لم يحرز أية نتيجة تذكر وتلقى هزيمة نكراء، وكان ذلك في ولاية مصطفى بوشلاغم على بايلك الغرب. وحسب الزياني أن المولى إسماعيل نزل بـ"هيدور" واستعان بقبائل سويد ولكنه لم يتمكن من دخول وهران، فصعد إلى جبل المائدة ونظر إليها وعابن تحصيناتها وقال: « هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر » ، ورحل عنها متجه إلى "زوج الأوسط" حيث قامت عليه الأعراب هناك في معارك دامية وألحقت بالجيش المغربي هزيمة كبيرة<sup>3</sup>. ونتيجة لذلك تفرقت عنه الدواير والعيبد، وراحوا يعرضون خدماتهم العسكرية على الباي بوشلاغم فقبلهم وقرر استخدامهم في مهاجمة وهران<sup>4</sup>.

والخلاصة أن سياسة المولى إسماعيل اتسمت بالعداء ترجمتها الحملات والغارات المستمرة على مدن الغرب الجزائري، وكان في كل مرة يهزم فيها يطلب الصلح ولكنه سرعان ما ينقضه ويتجاوز حدود وادي تافنا ويقود هجماته من جديد، وفي آخر أيام خلافته غير سياسته بعد خسائره المتوالية ولجأ إلى أسلوب التقرب من السلطان العثماني عن طريق

<sup>1</sup> أبو القاسم أحمد الزياني، المصدر السابق، ص. 24 / محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص. 78 / أحمد الناصري، المصدر السابق، ص. 87

<sup>2</sup> كانت مقاومة ابن محرز في جنوب المغرب. لمزيد من التفاصيل عن هذه المقاومة ينظر، أبو القاسم أحمد الزياني، المصدر السابق، ص. 19 - 20. وراجع كذلك أحمد الناصري، المصدر السابق، ص. 62، 64، 69،

<sup>3</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 199 / الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 230

<sup>4</sup> Esterhazy, Op.cit, p.171



السفارات والهدايا، وحاول تأليبهم ضد دايات الجزائر بكشف تصرفاتهم نحوه رعيته<sup>1</sup>، غير أنه لم ينجح كذلك في هذا المسعى.

وبعد وفاة المولى إسماعيل<sup>2</sup> دخلت المغرب في فوضى داخلية،<sup>3</sup> أبعدها عن الحرب مع إيالة الجزائر، خاصة بعد طرد الإسبان من وهران وتوحيد بايلك الغرب تحت حكم مصطفى بوشلاغم وجعل قاعدته وهران<sup>4</sup>.

وبالرغم من الظروف الصعبة التي مر بها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل بسبب التنافس على الحكم بين أولاده، فقد استمر تواصله مع الباب العالي وخاصة بين المولى عبد الله بن إسماعيل (1729-1757م) والسلطان العثماني محمود الأول (1696-1754م)، الذي سار على نفس سياسة والده بإرسال السفارات والرسائل في المناسبات الرسمية والخاصة إلى السلطان العثماني<sup>5</sup>.

### 2-3 العلاقات الجزائرية المغربية في عهد المولى محمد الثالث:

عرف عهد المولى محمد بن عبد الله بن إسماعيل (1757-1790م)، أو المولى محمد الثالث، سياسة انفتاح كاملة على الشرق العثماني، إذ أنه أحدث قطيعة مع الماضي واتبع سياسة التقرب والتضامن مع السلطان مصطفى الثالث (1757-1774م)، وأخوه عبد الحميد الأول (1774-1789م) من بعده، وترجمته سفارات عديدة بعثها المولى محمد الثالث إلى استانبول محملة بالهدايا الثمينة، كما عبّر عنه خبر زواج ابنة مولاي محمد السلطان من شريف مكة الأمير سرور وأداء أبناء السلطان المغربي فريضة الحج إلى

<sup>1</sup> عبد الهادي التّازي، المرجع السابق، ص. 22.

<sup>2</sup> توفي المولى إسماعيل في 20 مارس 1727م.

<sup>3</sup> بعد أن حكم السلطان إسماعيل المغرب أكثر من 55 سنة، أجلي فيها الإنجليز عن طنجة. والإسبان من المعمورة والعرايش، واستمروا في احتلال سبتة ومليلة كما استمر البرتغال في مازاكان. وبعد وفاته عادت الاضطرابات والتفكك إلى المغرب وظهرت حركات انفصالية عديدة، بحيث في مدة 20 سنة تم فيها تنصيب 12 سلطان منهم السلطان عبد الله الذي تم تنصيبه ست مرات، وعاد المغرب في عهده إلى استقراره ووحدته. لمزيد من المعلومات، ينظر إبراهيم حسن شحاتة، المرجع السابق، ص. 435-439.

<sup>4</sup> أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، المصدر السابق، ص. 170.

<sup>5</sup> أورد عبد الهادي التّازي في كتابه نماذج ملخصة عن تلك الرسائل المتبادلة بين سلاطين المغرب والسلاطين العثمانيين، عبد الهادي التّازي، المرجع السابق، ص. 22-23.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

البقاع المقدسة.<sup>1</sup> فضلا عن اهتمامه بافتداء الأسرى المسلمين لدى النصارى وتسليمهم إلى ذويهم مما جلب له حب واحترام السلاطين العثمانيين والمسلمين في كل مكان، كما سنتعرض إليه في حينه .

والملفت للانتباه هو كثرة عدد السفارات إذ تحصي لنا المصادر المغربية العشرات منها وجهت للباب العالي من طرف السلطان المغربي، وكانت الأولى في سنة 1175هـ/1760م، ثم توالى في السنوات: 1179هـ/1765م، 1180هـ/1766م، 1181هـ/1767م، 1187هـ/1773م وفي سنة 1200هـ 1785م أرسل السلطان المغربي سفارتين الأولى حملها ابن عثمان المكناسي<sup>2</sup> والثانية ترأسها أبو القاسم الزياني<sup>3</sup>. وعلى سبيل المثال حملت سفارة سنة 1180هـ من المغرب الخيل العتاق بسروج مذهبة ومرصعة بالجوهر والياقوت والأحجار الكريمة... فكافأه السلطان العثماني بمركب مملوء بالمدافع والمهاريس والقذائف المدفعية وتجهيزات السفن وصلت إلى المغرب سنة 1181هـ/1767م<sup>4</sup>. ومنذ بداية الحرب العثمانية الروسية النمساوية سنة 1767م أضاف المولى محمد الثالث إلى الهدايا المرسله إلى الباب العالي المساعدات المالية والعسكرية، ويذكر أبو القاسم الزياني في "الترجمانة الكبرى" أن المولى محمد الثالث أرسل للسلطان العثماني ستمائة وخمسون ألف ريال في شكل سبائك من الذهب وضعها في أربعة صناديق وختم

<sup>1</sup> أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص. 78

<sup>2</sup> انطلقت سفارة ابن عثمان المكناسي في سنة 1785م الموافق 1200هـ، في سفينة إسبانية برئاسة محمد عبد الوهاب بن عثمان المكناسي إلى الأستانة وبعد ثلاثة وعشرون يوما توجهوا إلى الشام والحجاز لأداء فريضة الحج. وقد ألف كتاب حول هذه الرحلة بعنوان: "إحراز المعلي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب واختصرت بعنوان "رحلة المكناسي" من تحقيق وتقديم، محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003

<sup>3</sup> وخلال نفس السنة أي 1200هـ وجه المولى محمد الثالث كاتبه أبو القاسم الزياني مع هدية إلى السلطان العثماني، فأقام هناك مائة يوم وقد ألف هو كذلك كتاب عن رحلته وصف فيها كل ما شاهده، ينظر، أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور سرا وبحرا، تحقيق وتعليق، عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة، الرباط، 1991. مقدمة المحقق ص 36-41

<sup>4</sup> أبو القاسم الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين، المصدر السابق، ص. 78 / أحمد الناصري، الإستصقا، ج8، ص. 32

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

عليها. ثم أرسلها إلى ملك إسبانيا لينقلها بدوره إلى ملك فرنسا وهو يوصلها ليد السلطان عبد الحميد، فوصلت في ستين يوما إلى اسطنبول<sup>1</sup>.

كما أرسل السلطان المغربي سفارة لهدايا الأتراك بمالها الخاص ولكن للأسف حكامها رفضوا الافتداء، فأمر رؤساء السفارة أن يحملوا ذلك المال للسلطان العثماني وقدره مائتين واثنين وسبعون ألف ريال وأن يخبروه، "إن هذا المال كنا أخرجناه في سبيل الله بقصد افتداء أسراكم، وحيث امتنع الكفار عن البيع لا نقبل إعادته فاصرفوه في الجهاد"<sup>2</sup>. وأما المساعدات العسكرية فإنه أرسل أربعة آلاف برميل من البارود<sup>3</sup>، وفي سفارة أخرى وجه اثني عشر ألف قنطار من ملح البارود في أربعة مراكب، كما بعث أيضا أربعة آلاف قنطار من النحاس<sup>4</sup>.

ويبدو أن محاولات المولى محمد الثالث لافتداء الأسرى الأتراك نجحت أخيرا، فحسب رواية الضعيف أنه في 28 شوال عام 1203هـ<sup>5</sup> ورد على الرباط نحو ستمائة أسير افتداها السلطان المغربي من مالها بأربعمائة مثقال لكل واحد وقدمهم للسلطان العثماني عبد الحميد الأول (1774-1789م)<sup>6</sup>.

وعلى أية حال قد تمكن المولى محمد الثالث بكثرة سفاراته وإعاناته للباب العالي أن يربط علاقات جيدة مع الدولة العثمانية، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن غرضه من سياسة التقارب والتضامن مع السلاطين العثمانيين؟ وهل عمل على توطيد علاقاته مع حكام الجزائر العثمانيين كذلك أم لا؟

التزم محمد بن عثمان باشا والسلطان المولى محمد سياسة حسن الجوار فلم يتعد أحد منهما على الآخر أو يتدخل في شؤونه الداخلية. وحسب ابن سحنون، كان محمد باي الكبير والسلطان المولى محمد يتبادلان الهدايا القيمة، وكمثال على ذلك عندما مرّ الأمير

<sup>1</sup> أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص. 131.

<sup>2</sup> ابن زيدان المكناسي، المصدر السابق، ص. 352.

<sup>3</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص. 187.

<sup>4</sup> أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص. 132.

<sup>5</sup> الموافق ل 22 يوليو 1789 م

<sup>6</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص. 197.

يزيد متوجها إلى للشرق لأداء فريضة الحج استضافه باي الغرب وأكرمه غاية الكرم<sup>1</sup>. وأثناء عودته منعه والده من دخول المغرب بسبب خلاف وقع بينهما<sup>2</sup> إلا أن الباي محمد الكبير لم يغتتم الفرصة ويحرضه ليثور على والده، وحسب ما تثبته المصادر المغربية أن الأمير يزيد عاد إلى المغرب عام 1203هـ وحيدا مع عائلته ولم ترافقه أية قوات من الجزائر<sup>3</sup>. وهذا دلالة على أن الجزائر كانت تتجنب التورط في المشاكل الداخلية للمغرب وإثارة الفتن، ربما لأنها كانت منشغلة بالجهاد ضد القوات الإسبانية المحتلة.

كما كان للمولى محمد الثالث دورا كبيرا في تحرير الأسرى الجزائريين بإسبانيا، فعندما قام بتحرير أسرى بلاده من هناك، كتب إلى محمد بن عثمان باشا أن يجري تبادل بين الأسرى الجزائريين والإسبان، ولكنه رفض فكتب إليه ثانية وثالثة وخوفه من عقاب الله ورغبه في ثوابه، فحينئذ قبل بافتداء الأسرى. فطلب من المولى محمد أن يبعث إليهم من يقوم بإتمام عملية التبادل، فيقدم إليه أسراهم الإspanيين، ويتسلم منهم مثل عددهم من الأسرى الجزائريين، فكتب السلطان إلى الإسبان أن يبعثوا ما عندهم من أسرى المسلمين في مركب إلى الجزائر وينتظروا هنالك "أبا العباس الغزال" كاتب سلطان المغرب الذي كلفه بعملية الافتداء، وحين وصل مركب الإسبان إلى مرسى الجزائر أنزل الغزال أكثر من ألف وستمئة أسير مسلم، فأخرج أهل الجزائر من أسرى الإسبان نفس العدد، وبقي عندهم عدد آخر تم افتدائهم بالمال، وأبحروا إلى بلادهم في عام 1182هـ / 1768م<sup>4</sup>.

كما قام المولى محمد الثالث بتبنيه داي الجزائر محمد بن عثمان باشا في شهر ماي 1773م، وأخبره باستعدادات الأسطول الإسباني لغزو مدينة الجزائر، فلم يتأخر الداوي في تحصين دفاعات مدينته<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص. 144-145

<sup>2</sup> كان سبب الخلاف بين المولى محمد وابنه يزيد هو استيلاء هذا الأخير على جزء من الأموال بعثها والده إلى أشرف مكة والمدينة فغضب وتبرأ منه، لمزيد من المعلومات ينظر: أبو القاسم الزياني، الخبر عن دولة الأشرف العلويين، المصدر السابق، ص. 84، 85، وراجع أيضا: أحمد الناصري، الاستقصا، ج8، ص ص. 63-65

<sup>3</sup> محمد الضعيف الرباطي، المصدر السابق، ص. 196/ أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص. 85

<sup>4</sup> محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، ج2، دراسة وتحقيق، إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005، ص. 22

<sup>5</sup> أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة، المرجع السابق، ص. 511 وما بعدها.

وبالرغم من تلك المساعي الإنسانية الطيبة لسلطان المغرب لصالح الأسرى والمسلمين إلا أننا نسجل حذرا وتخوفا مغربيا من سلطات الجزائر عندما نقرأ المادة التاسعة من معاهدة المغرب وفرنسا لسنة 1767م التي نصت على التزام فرنسا الحياد التام في حالة وقوع حرب بين المغرب وإيالة الجزائر<sup>1</sup>.

وربما كان هذا الحذر والتخوف بسبب ما يصل إلى المولى محمد عن حكام الجزائر من الرعايا الذين يلجأون إليه ويشتكون منهم ومن ظلمهم. وهذا ما عبر عنه الزياني المعاصر لتلك الأحداث بقوله: «أنهم (حكام الجزائر) كانوا على طرفي النقيض مع المولى محمد لما يبلغه عنهم من المناكر والعبث وظلمهم لقبائل العرب وتأثيره وفودهم يتظلمون عنده فكان يكاتبهم ويحضهم على العدل وينهاهم عن الجور فانزعجوا من ذلك وكانوا يعاقبون من يأتيهم بمكاتبه أشد العقاب»<sup>2</sup>.

وعليه قرر المولى محمد الثالث مكاتبة السلطان العثماني ليضع حدا لسوء تصرفاتهم مع الرعية، والملاحظ أن السلطان المغربي كان لا يبعث رسائله ضد أهل الجزائر إلا مع السفارات التي تحمل المساعدات المالية أو العسكرية الكبيرة، مثلما حدث حين وجه السفارة التي تحمل مبلغ 274 ريال الخاص بافتداء الأسرى الأتراك بمالطا سنة 1186هـ/1772م، وبعث معها برسالة ضد ظلم أترك الجزائر للرعية، وأرسل كتاب آخر مع سفارة كانت تحمل اثني عشر ألف قنطار من ملح البارود ضد أهل الجزائر<sup>3</sup>، يقول فيه: «إن لم ترفع ضررهم عن المسلمين فدعني وإياهم». فلما بلغ الكتاب إلى الباب العالي بعث إليهم رسائل مع السفير "إسماعيل أفندي" إلى والي الجزائر وتونس، وأمرهم بالتأدب مع السلطان المغربي المولى محمد كما يفعلون مع السلطان العثماني عبد الحميد الأول (1774-1789) ورسالة أخرى إلى المولى محمد<sup>4</sup>.

وعندما حمل السفير العثماني تلك الرسائل حدث سوء فهم كشف النية الحقيقية للسلطان المغربي وراء المساعدات والهدايا التي كان يقدمها للباب العالي. وذلك أن

<sup>1</sup> احمد الناصري، الإستقصا، ج8، ص.31

<sup>2</sup> أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، المصدر السابق، ص.82-83

<sup>3</sup> ابن زيدان المكناسي، المصدر السابق، ص.353

<sup>4</sup> أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص.84

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

السلطان العثماني قد طلب في رسالته إلى المولى محمد مراعاة أهل الجزائر وأن لا يحاربهم لأنهم مجاهدون، وأن يحسن جوارهم ويغض الطرف عن جهلهم وأفعالهم الذميمة ولا يقابلهم بمكروه<sup>1</sup>. كان هذا هو مضمون الرسالة الموجهة إلى سلطان المغرب، إلا أنه أعتقد شيء آخر يتمنى حدوثه.

ولما أبحر السفير العثماني "إسماعيل أفندي" مع سفارة أهل المغرب العائدة إلى بلادهم سألوهم عن رسالة أهل الجزائر فقال عندي المكاتيب لباشا الجزائر وباشا تونس ولسلطان المغرب، وإن السلطان عبد الحميد كتب لهم أن يكونوا عند أمر مولاي محمد وأني متوجه لهم بالمكاتيب، فاعتقد أهل المغرب أن السلطان عبد الحميد ولى أمر تونس والجزائر للسلطان المغرب. وما إن وصلوا إلى "الرباط" حتى كتبوا إلى المولى محمد واجتمعوا مع السفير العثماني بعد صلاة العيد في المسجد وطلبوا منه أن يقرأ الكتاب الموجه إليه أمام العلماء والقضاة، فما وجدوا به إلا التماس العذر لأهل الجزائر والتوصية بهم وبأهل تونس، فغضب غضبا شديدا ومنع إسماعيل أفندي من السفر إلى الجزائر وتونس وأمر بترحيله فورا على السفينة والمتوجهة إلى اسطنبول، وكانت هذه الأحداث خلال عام 1200هـ/ (1785-1786م)، واتهمه بالكذب وقال أنه لا يصلح لأن يكون سفيرا بين الملوك<sup>2</sup>.

ويبدو أن السلطان المغربي كان لا يهدف فقط إلى الظهور بحامي المسلمين والمتضامن مع إخوانه في الدين، ولكنه في نفس الوقت كان يسعى لاستمالة الباب العالي وتشويه صورة داي الجزائر وحكومته عند السلطان العثماني، لكي يمنحه ولاية الجزائر وتونس ويحقق أحلام أجداده دون إراقة الدماء، ولما اكتشف مكانة الجزائر لدى السلطان العثماني صب جم غضبه على المبعوث العثماني إسماعيل أفندي.

وقد نجحت مساعي المولى محمد ولو نسبيا في عتاب الباب العالي لمحمد بن عثمان باشا على رد شفاعة السلطان المغربي من أجل فك أسيرة إسبانية قريبة من ملك إسبانيا تم أسرها أثناء سفرها إلى نابولي في سنة 1199هـ/1784-1785م، ذلك أن سلطات الجزائر لما عرفت مكانة هذه الأميرة رفضوا اقتداءها مهما كان الثمن، فكتب المولى محمد إلى سلطان عبد الحميد حول الأميرة، فبعث لحكام الجزائر يوبخهم على

<sup>1</sup> أبو القاسم الزياني، المصدر نفسه.

<sup>2</sup> أبو القاسم الزياني، المصدر نفسه، ص ص. 84-85

رفض شفاعة السلطان وقال لهم: «إن الواجب أن تسرحوها من دون مال وما عسى أن يبلغ ثمن هذه النصرانية، ولو طلب مني سلطان المغرب ألف نصرانية لبعثتها إليه، وحتى الآن نأمركم أن تبعثوا إليه بهذه النصرانية ولو كانت هي الملكة ولا تقبضوا فيها فداء، أو ما رأيتم ما افتكه ملك المغرب من أسرى الترك من كل جنس حتى لم يبق في أسر الكفر مسلم، وأنتم تردون شفاعته في نصرانية لا بال لها، فلا تعود لمثل هذا فيكون سببا في تغيير باطننا عليكم والسلام.»<sup>1</sup> وما إن اتصلوا برسالة السلطان العثماني حتى أرسلوا تلك النصرانية إلى المغرب وكتبوا له معتردين عما صدر منهم.<sup>2</sup>

والخلاصة أن العلاقات الجزائرية المغربية اتسمت بالهدوء والاستقرار خلال عهد محمد بن عثمان باشا والمولى محمد الثالث، الذي حاول التقرب من السلطان العثماني وأن يظهر كسلطان قوي على الساحة الدولية يناصر الدين ويحمى المسلمين، فلم تشهد العلاقات بين البلدين توترات ولا مناوشات التي عرفتها مع السلاطين السابقين وخاصة المولى إسماعيل، ومع ذلك كان الحذر والتخوف بين الطرفين كان هو السمة الغالبة على العلاقات بين البلدين.

### ثالثا: العلاقات الأوربية

نظرا لمكانة الجزائر الجيوسياسية في البحر المتوسط وعلاقتها الاقتصادية مع بعض الدول الغربية وصراعها مع البعض الآخر، جعلت منها محط أنظار وأطماع كثير من الدول الأوربية. لذلك طرحت هذه العلاقات عدة إشكالات على المستوى الخارجي بلغت حد المواجهات الحربية، فكيف كانت تلك العلاقات ومن هي أبرز دولة كانت تشكل بالنسبة لإيالة الجزائر الخطر المترص بها؟

#### 1- العلاقات الجزائرية الإسبانية:

قبل الحديث عن العلاقات الجزائرية الإسبانية في عهد محمد بن عثمان باشا ينبغي أن نشير إلى أن السبب الأول لتواجد العثمانيين في الجزائر كان هو الغزو الإسباني لسواحل المغرب، وقد نجحوا في تحرير بعض الثغور المحتلة كمدينة الجزائر وبجاية وظلت المحاولات متكررة لاسترجاع وهران والمرسى الكبير. إلا أن تمكن الباي مصطفى بوشلاغم

<sup>1</sup> أحمد الناصري، الإستقصا، ج8، المصدر السابق، ص. 58.

<sup>2</sup> ابن زيدان المكناسي، المصدر السابق، ص. 372.

من تحريرهما سنة 1708م، ولكن للأسف استعادها الإسبان مرة أخرى وظلوا بها إلى أن تمكن الباي محمد الكبير من تحريرها نهائياً سنة 1792م<sup>1</sup>، وطوال تلك القرون اتصفت العلاقات بين البلدين بالعداء وكثرت الحروب، وتوالت الحملات الإسبانية على الجزائر منذ سقوط الأندلس. فما هي أبرز الحملات الإسبانية على إيالة الجزائر في عهد محمد بن عثمان باشا؟

**1-1- حملة أوريلي:** قادت إسبانيا ثلاث حملات خلال عشر سنوات على مدينة الجزائر، لم تنجح في أية واحدة منها وكانت البداية مع حملة الأميرال أوريلي عام 1775م فما هي أسبابها ونتائجها؟

تميز عهد كارلوس الثالث<sup>2</sup> (1759-1788م) ملك إسبانيا بالإصلاحات الإدارية والاقتصادية التي ساعدته على زيادة قدرته العسكرية وبناء أسطول بحري قوي<sup>3</sup>. فبدأ يخطط للقيام بحملة بحرية ضد مدينة الجزائر وإسقاط حكومة الداوي، والقضاء على الأسطول الجزائري ورياسه لتأمين الخطوط الملاحية في البحر المتوسط. وحسب الزهار أن محمد بن عثمان باشا منذ أن توليه الحكم لم يتوقف عن إرسال السفن الجزائرية لغزو السواحل الإسبانية وكانت "ترجع بالغنائم والأسرى"<sup>4</sup>. والراجح أن هذا ما أدى بالملك الإسباني إلى تحضير حملة ضد مدينة الجزائر ليضع حداً لنشاط هذا الأسطول واحتلال مدينة الجزائر.

وقد قامت السلطات الإسبانية في البداية بتحركات دبلوماسية واتصالات مع حكومة الداوي من أجل تبادل الأسرى أو افتدائهم خلال عام 1767م، لكنها سرعان ما غيرت من سياستها نحو استعمال القوة ضد الجزائر<sup>5</sup>. وأخذ الملك كارلوس الثالث يعد العدة في قرطاجنة ويجمع الأسطول ويختار أحسن القادة. وحسب دوقرامون تمكن من جمع أكثر من اثنين وعشرين ألف مقاتل ومائة قطعة مدفعية لحصار المدينة تحملهم أربعة وأربعون

<sup>1</sup> سبق الحديث عن الفتح الوهراني في الفصل السابق

<sup>2</sup> كان ملك إسبانيا في تلك الفترة كارلوس الثالث (1759-1788م) من أسرة آل بريون التي كانت تحكم فرنسا وإسبانيا، ناصر الدين سعيدوني، المعاهدة الجزائرية الإسبانية، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد 7، 1993م، جامعة الجزائر، ص. 72

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص. 72-73

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 26

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 72



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

سفينة حربية، وثلاثمائة وأربعة وأربعون ناقلة للجند والسلاح، واختار الكونت أوريلي قائدا عاما على الأسطول<sup>1</sup>، ولذلك عرفت الحملة باسمه.

وفي الجزائر كان محمد بن عثمان باشا على علم بالحملة التي يحضرها الإسبان ضده، فباشر بالاستعدادات اللازمة بكل جد وحزم وأشرف بنفسه على تقوية تحصينات المدينة ودفاعاتها، واستدعى كل القوات الاحتياطية في كامل البلاد، فأرسل الأوامر إلى صالح باي ليعسكر بقواته بالقرب من مدينة حمزة<sup>2</sup> للانطلاق نحو الجزائر في حالة ما إذا احتاج إليهم.

كما بعث نفس التعليمات إلى باي التيطري لجمع كل ما يستطيع جمعه لإنقاذ العاصمة، واستدعى أيضا قوات إبراهيم الملياني باي الغرب، إلا أنه كان غائبا وتلقى الأوامر خليفته محمد بن عثمان الكردي، وأمر الباي أن يتوجه لمراقبة ومحاصرة القوات الإسبانية المحتلة لوهران في حالة ما إذا شنت هجوما بري أو بحري على مدينة الجزائر أو المدن الداخلية<sup>3</sup>، ولم ينس سكان القبائل وأرسل إليهم المرابطين يدعونهم إلى الجهاد<sup>4</sup>، وقد تولى قيادة المعركة الداوي بنفسه بمساعدة وزرائه، وصالح باي الشرق ومصطفى الوزناجي باي التيطري ومحمد بن عثمان خليفة باي الغرب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.324

<sup>2</sup> مدينة البويرة حاليا

<sup>3</sup> Muhamad Ben Muhammad Al Tilimsani, Chroniques de la Régence d'Alger, Traduite d'un manuscrit arabe, El-Zohrat-El-Nayerat, par Alphonse Rousseau, Imp. Du Gouvernement, Alger, 1841, p. 166

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.324

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف 2، الوثيقة رقم، 13، تقرير حول الحملة الإسبانية بقيادة أوريلي ضد الجزائر سنة 1775. كتب في جمادى الأولى 1189هـ/ 29 جوان -28 جويلية 1775م وقد جاء تحت هذا العنوان: "تاريخ مجيء كفرة مخذول الصبنيول لمحروسة الجزائر الغرب في جمادى الأولى سنة 1189هـ". لمزيد من المعلومات ينظر، صورة التقرير بالملحق رقم (11) مع إعادة كتابة التقرير.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

لقد شوهدت السفن الإسبانية مسلحة، ولأول مرة على سواحل مدينة الجزائر في الفاتح من شهر جويلية 1775م، وبعد تردد قائدها اختار مكان الإنزال بين مصب وادي خنيس ووادي الحراش<sup>1</sup>، في الثامن من نفس الشهر<sup>2</sup>.

وبعد معارك عنيفة بين الطرفين خلفت خسائر كبيرة للجانبين انهزم الإسبان وعادوا أدراجهم، وحسب فتير دوباردي الذي كان معاصر للأحداث أنه عندما غادر الإسبان حملتهم المشؤومة تركوا وراءهم خمسة أو ستة آلاف قتيلًا في ساحة المعركة<sup>3</sup>.

وقد انتشر خبر انتصار إيالة الجزائر على الحملة الإسبانية في كل مكان ونظم حوله الشعراء القصائد الطويلة، وأرسل الباشا بهذه المناسبة هدية قيمة إلى السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789) مع حسن وكيل الحرج على سفينة فرنسية وعند عودتها أثقلها السلطان بالهدايا القيمة وعتاد السفن من صواري وأشعة وحبال وحديد وغيرها، غير أن السفينة لم تصل إلى مدينة الجزائر واعترض طريقها الإسبان وأسروها مع وركابها وحمولتها<sup>4</sup>. وربما أراد الإسبان من هذا التصرف الضغط على محمد بن عثمان باشا من أجل عقد الصلح.

وبالرغم من محاولة الإسبان الوصول مع الداي إلى عقد الصلح أو اتفاقية سلام، فقد رفض ذلك رفضًا قاطعًا ما داموا يحتلون وهران والمرسى الكبير، وقطع على نفسه عهد ألا يصلحهم أبدًا قائلًا: « لا أصلحهم ما دمت حيا<sup>5</sup> ».

وكان لهزيمة أوريلي صدا واسعًا على الساحة الدولية الأوروبية والإسلامية إذ اعتبرت ضربة قاضية وجهت لإسبانيا ليس بالنسبة لمشاريعها الاستعمارية فقط، وإنما أيضًا بالنسبة لموقعها ومكانتها كدولة كبرى<sup>6</sup>، مما جعلها تخاطر مرة أخرى وتنظم حملة جديدة للانتقام لهزيمتها الأولى، ورد الاعتبار لمكانتها الدولية، فبعدما فشلت في إبرام الصلح مع محمد

<sup>1</sup> لقد اختار الإسبان مكان للنزول بين مصب وادي خنيس ووادي الحراش لقرب هذا الموقع من مدينة الجزائر من ناحية وبعده عن دفاعات المدينة من ناحية أخرى، جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، دار هومة، الجزائر، 2010، ص. 204.

<sup>2</sup> Charles Roux, Op. cit, p.303

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op. cit, p.88

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, pp.328-329

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 34.

<sup>6</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص. 206.

بن عثمان باشا بتوسيط حسن وكيل الحرج والباب العالي، عاد البلدين إلى الحرب من جديد فكيف كانت خطة الإسبان هذه للمرة للانتقام من الجزائر وحاكمها؟

### 1-2 الحملة الإسبانية الثانية:

في الثالث عشر من شهر جويلية من سنة 1783م انطلق "دون أنطونيو دو بارسولو" (Don Antonio de Barcelo)، من قرطاجنة مع أسطول ضخم يتكون من ستة وسبعون قطعة منها أربعة بوارج حربية وستة سفن من نوع فرقاطة وأربعون زورق مدفعي وعاني في طريقه من العواصف وأخيرا تم الإنزال في ميناء الجزائر في الفاتح ومن شهر أوت وبدأ إطلاق النار، ومن جهته كان الجانب الجزائري مستعدا لهذه المعركة حيث تم تحضير المدافع والمهارس وبعض السفن القاصفة و20 مركبا وزورقا<sup>1</sup>، وتلقى كل من باي الشرق والغرب والجنوب الأوامر لإرسال قواتهم وتمّ إنشاء زورقين حاملين للمدافع بسرعة كبيرة لترحيل الأسرى خارج المدينة<sup>2</sup>.

وكان من نتائج هذه المعركة الهزيمة الكبرى لعدو شديد العناد أراد احتلال البلاد، وبالنسبة للجزائريين -حسب دوقرامون- استشهد مائة من رجال البحرية وثلاثمائة مدني، وتهديم عدد كبير من المباني من بينها مسجد السيدة<sup>3</sup>.

### 1-3-الحملة الإسبانية الثالثة :

بالرغم من الهزائم المتكررة فإن نار الروح الصليبية لم تتطفئ وأصر الإسبان على الاستمرار في محاولاتهم العدوانية على الجزائر بهدف احتلالها فكانت الحملة الثالثة التي تم تجهيز أسطولها بأكبر ما تملك إسبانيا من عدة وعتاد. وفي المقابل كانت القوات الجزائرية بقيادة محمد بن عثمان باشا لا تستسلم وكل حملة تزيد من شجاعتها على المواجهة والصمود، وقبل الحملة الثالثة والأخيرة للإسبان كان الباشا متيقنا من عودتهم مرة أخرى للأخذ بثأرهم ومسح عار الهزيمتين. ومن أجل تلك المواجهة قام بالاستعدادات والتحضيرات اللازمة للمعركة، وجملة ما قام به هو إصلاح كل آثار الحملة السابقة وما

<sup>1</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.334

<sup>2</sup> Ernest MERCIER, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérís), Tome3, éd. ERNEST LEROUX, Paris, 1868, p. 413

<sup>3</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.335

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

تسببت فيه من تدمير وخراب<sup>1</sup>، وإيماننا منه بقوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِّنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"<sup>2</sup>. قام ببناء زوارق جديدة أطلق عليها الزهار إسم "النجور"، قلد صناعتها على زورق إسباني تحطم قرب الشاطئ في معركة سنة 1783م، فأحضر محمد رابيس ومهندسا لبناء السفن وصنع منها حوالي 500 لنجورا في أقل من سنة. ولما علم بخروج الحملة الإسبانية من قرطاجنة باتجاه الجزائر أعطى أموالا كبيرة للربيس محمد لتغطية مصاريف الحرب<sup>3</sup>.

لقد صمم الإسبان هذه المرة على الانتقام وقاموا باتصالات مع نابولي ومالطة والبرتغال ليكونوا حلفا مسيحيًا ضد الجزائر، وقد بارك البابا هذه الحملة المسيحية في منشور أعلنه يوم 14 جوان 1784م، فمن بين 130 سفينة مشاركة، اثني عشرة منها كانت لنابولي، ثمان لمالطا. هذا، وانطلقت الحملة في 28 جوان 1784م بقيادة نفس القائد الأول "دون بارسلو" وأرست في ميناء الجزائر في التاسع من شهر جويلية<sup>4</sup>، وفي الثاني عشر من نفس الشهر تقدم ستون زورقا حامل للمدافع في صف واحد باتجاه مدينة الجزائر وتمكنت الزوارق الجزائرية المزودة بالمدافع من ردها ومنعتهم من الاقتراب من الميناء. ولم تحدث أي خسائر تذكر للجانبين واستمرت المعارك بشكل متقطع إلى غاية واحد وعشرين من شهر جويلية، وفي الثالث وعشرين أنطلق الأسطول الإسباني راجعا بعدما تأكد من عدم جدوى محاولاته، ويشيد المؤرخ الفرنسي أرست مرسي بشجاعة الجزائريين وبسالتهم في الدفاع عن مدينتهم، "ذلك أنه ولا سفينة واحدة استطاعت الاقتراب من المدينة وقصفها ولو بقذيفة واحدة"<sup>5</sup>.

هكذا حمل محمد بن عثمان باشا الإسبان على قبول الأمر الواقع وعدم التفكير في إحراز النصر لاحتلال الجزائر، الأمر الذي اضطرهم للدخول في مفاوضات مع الداوي للتوصل إلى عقد صلح، فكيف تم ذلك؟

<sup>1</sup> L.ch. Féraud, Les Trois attaques des espagnoles contre Alger au XVIII EME siècle, in ; R. A. Vol. N° 20. ANN. 1876. éd. A. JOURDAN, Alger, p.313

<sup>2</sup> سورة الأنفال/الآية 60

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 32

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.336

<sup>5</sup> Ernest MERCIER, Op. cit, p.414

### 1-4 معاهدة الصلح بين الجزائر وإسبانيا:

تعود مساعي الصلح إلى سنة 1777م أو ربما قبل ذلك كما تبينه رسالة وكيل الحرج حسن بن حسن إلى الوزير الأول الإسباني في 4 جانفي 1780م، وهي جواب على رسالته التي تحمل تاريخ 13 أفريل 1779م، وقد أخبره فيها أن الجزائر قبلت شروط الصلح المقترحة من طرف إسبانيا شريطة أن يوافق عليها الباب العالي، وأعلمه أنه حدّث بذلك الماركيز "قونزاليز"، وقد أرسل إليه رسالة تحمل تاريخ 23 جانفي 1778م<sup>1</sup>. ولكن هذه المساعي باءت بالفشل ولم تحقق أية نتيجة ملموسة، واندلعت الحرب بين البلدين وقاد "دون انطونيو" حملتين كبيرتين على مدينة الجزائر، ولم يحقق أهدافه، وتحمل الإسبان خسائر كبيرة مادية وبشرية، كما سبق ذكره.

وقبل انطلاق الحملة الإسبانية الثالثة (1784م)، كتب الملك كارلوس الثالث إلى سلطان المغرب المولى محمد الثالث جوابا ردا على رسالته بتاريخ 20 جوان 1784م، طلب منه تأجيل حملته على الجزائر لأنها ستقبل الصلح لا ما حالة، فأعلمه أن إسبانيا قد وقعت صلحا مع الدولة العثمانية وأرسلت نسخا عن هذا الصلح إلى كل من تونس طرابلس والجزائر حتى تفعل مثلها، ولكن داي الجزائر لم يقبل هذا الصلح ولم يحترمه<sup>2</sup>. وفي بداية شهر جوان من عام 1785م الموافق لنهاية شهر رجب 1199هـ، قررت إسبانيا الدخول في مفاوضات رسمية من أجل عقد السلام، فأرسلت كل من الكونت "ديسبلي" (Conte d'Expily)، رفقة الأميرال "مازريدو" (Mazarredo) بمساعدة القنصل الفرنسي بالجزائر "دو كيرسي"<sup>3</sup> (De Kersey)، الذي بذل هو ولسطان المغرب مولاي محمد بن عبد الله جهودا كبيرة لنجاح مفاوضات السلام بين البلدين، وقد شكر الملك الإسباني كل من فرنسا والمغرب الأقصى على وساطتهما بخصوص هذا الصلح، حسب ما جاء في رسالة الوزير الأول الإسباني "الكوندي دي فلوريدا" إلى الداي محمد بن عثمان باشا في

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 55.

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 60.

<sup>3</sup> Ernest Mercier, Op.cit, p.414

13 أوت 1785م<sup>1</sup>، وخلال نفس السنة تم تبادل العديد من الرسائل والهدايا<sup>2</sup> بين البلدين من أجل عقد الصلح.

ويذكر شارل فيرو في مقاله حول الهجمات الإسبانية الثلاثة أن الكونت ديسبلي عندما حل بالجزائر واستقبله الداوي فرق أموالا كبيرة على الداوي ووزراءه قدرها ب240000 بياستر، وعندما وصل الأميرال "مازريدو" قدم مليون بياستر وذخائر حربية قدرها 880000 فرنك<sup>3</sup>.

هذا وقد تم عقد هدنة بين الجزائر وإسبانيا لمدة ثلاثة أشهر ابتداءً من 9 محرم إلى غاية 10 ربيع الثاني 1200هـ الموافق ل12 نوفمبر 1785 إلى 10 فيفري 1786م<sup>4</sup>، وبعد سنة كاملة من المفاوضات تم الاتفاق على الصلح، وأمضى محمد بن عثمان باشا على شروط السلام بصفة رسمية في يوم 17 شعبان 1200هـ الموافق ل14 جوان 1786م، وبعد شهرين ونصف وقعها الوزير الأول الإسباني "الكوندي فلوريدا" يوم 26 أوت 1786م، وكانت تتألف من خمسة وعشرون بندا مكتوبة باللغتين التركية والإسبانية في ثلاث نسخ ونصّ فيها على أن يحتفظ كل من الداوي والملك الإسباني والقنصل الإسباني بالجزائر بنسخة لديه يستند عليها في علاج المشاكل<sup>5</sup>.

وحسب الأستاذ ناصر الدين سعيدوني فإن نص الاتفاق جاء على شاكلة الاتفاقيات التي اعتادت الجزائر إبرامها مع فرنسا خاصة. وقد جاءت بنوده الخمسة والعشرون لتكرس السلم ولضمان الحقوق الجمركية وامتيازات تجارية وصلاحيات قنصلية وحرية ملاحية ودينية<sup>6</sup>، إلا أنه كان سلام هشاً لأن جوهر المشكلة لم يناقش، ونعني بذلك احتلال مدينة وهران والمرسى الكبير، ويقول البند رقم عشرون من النسخة الإسبانية التي وصلت إلينا وقد

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص. 64-65

<sup>2</sup> تشير الرسالة رقم (1) بتاريخ 21 شعبان 1785م من حسن وكيل الحرج إلى الوزير الأول الإسباني إلى تبادل الهدايا بينهما، كما توضح الرسالة رقم (6) لسنة 1785 من خزندار علي إلى الوزير الأول الإسباني من دون تاريخ، يبلغه فيها بوصول الرسالة والهدايا يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 68، 63

<sup>3</sup> L. Ch. Féraud, Op. cit, p.318

<sup>4</sup> يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 61

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص. 38

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 75

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

ترجمها الكونت ديسبلي من اللغة التركية، حول مدينة وهران وحصونها وقاعدة المرسى الكبير يبقى الحال على ما كان عليه ولن يهاجمها داي الجزائر أبدا وتبقى مستقلة تماما عن الجزائر وتابعة للإسبان ولا يعتدي عليها أبدا باي معسكر بأية غارة.<sup>1</sup> وهذا معناه اعتراف من حكومة الداى باستقلال وهران عن الجزائر وتبعتها للإسبان.

غير أن الرسائل التي بعثها الداى قبل توقيع المعاهدة يشترط فيها استقلال وهران تحت حكم باي معسكر كشرط من شروط الصلح<sup>2</sup>، وبعد توقيع المعاهدة أرسل الداى مرة أخرى رسالة إلى الوزير الإسباني "الكوندي بلانكا" بتاريخ 9 رجب 1201هـ الموافق ل24 أبريل 1787م، يحتج فيها على البند المتعلق بوهران رقم 20 والبند رقم 25 الذي يقول: "يحترم الجزائريون السواحل الإسبانية وحتى السواحل البابوية إجلالا للملك الكاثولوكي" ولكنه أطلق اسم "بونطفيسة" على الإمارات البابوية، مما يدل على محاولة التضييق وعدم صدق النية، ويقول في نفس الرسالة: "فعندما عرفنا معناها قررنا رفضها بتاتا، وهي تعني شواطئ الإمارات البابوية في ايطاليا"، والتي أرادت إسبانيا إقحامها في الصلح ولكن الداى رفض ذلك رفضا قاطعا لأن حرمة المراكب الإسبانية مقيدة بمسافة رمي مدفع من الشواطئ الإسبانية وأشار الداى إلى أن سبب هذا الخلاف هم الوسطاء ولو تم الصلح والتفاوض على يد القنصل الإسباني المعتمد في الجزائر لما حصل ذلك كما تشير إلى ذلك الرسالة التي أوردها يحيى بوعزيز وتحمل رقم 15 بتاريخ 9 رجب 1201هـ / 24 أبريل 1787م<sup>3</sup>. وبالنسبة لمسألة وهران والمرسى الكبير فالمعاهدة التي وصلت إلينا تنص على تكريس الوجود الإسباني بهما على عكس شروط الاتفاق التي أمضاها الداى في النسخة التركية وهذا ما تشير إليه رسائل الاحتجاج التي أرسلها الداى محمد بن عثمان باشا إلى حكومة إسبانيا، وهذا التبديل والتحريف في بنود المعاهدة التي أشار إليها الداى يجعلنا نتساءل عن سبب التغيير في النسخة الإسبانية للمعاهدة، وهذا التساؤل حاول الأستاذ ناصر الدين سعيدوني الإجابة عليه في دافعين اثنين:

<sup>1</sup> Ismet TERKI-HASSAINE, Op.cit., p. 214

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 110.

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 115.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

1- بما أن النص الإسباني نسخة موجهة أساسا للرأي العام الإسباني كان يري في التخلي أو الانسحاب من وهران عملا غير مشرف للعرش الإسباني وسلوكا ينتافي وكرامة الإيبانيين.

2- أو أن النص الإسباني وقع التغيير والتبديل فيه عن عمد حتى لا تطرح قضية الجلاء عن وهران والمرسى الكبير مرة أخرى.<sup>1</sup>

كان هذا التغيير في بنود المعاهدة من أجل الاحتفاظ بوهران والمرسى الكبير ولكن سلطات الجزائر اعتبرت هذا الصلح جزئي "في البحر فقط" كما يقول الزهار. ولكن كم كلف إسبانيا يا ترى؟

لقد كلف هذا الصلح الجزئي الإسبان مبالغ مالية ضخمة كما تشير إليها الرسالة التي بعثها محمد بن عثمان باشا في أول جمادى الأول من سنة 1201هـ الموافق ل18 فيفري 1787م إلى الملك الإسباني حول مبلغ مليون ريال الذي اقترحه كتعويض على الأضرار التي لحقت بمدينة الجزائر خلال حملتي 1783 و1784م، ومبلغ 20 ألف ريال الذي اقترحه عوضا عن الأسلحة التي اعتذرت إسبانيا عن عدم تقديمها له كشرط من شروط الصلح.<sup>2</sup> وقد أشار الزهار إلى ذلك المبلغ المعتبر بقوله: "ودفع الأصبانيول ثمن الصلح وغرامة مائة سنة سلفا وانزلوا العوايد...، وقد تعمرت بذلك المال الخزانة الأولى والثانية، ووضعوا منه في الثالثة، هذا خلاف ما دفع عن الأسرى لأهل البلد".

وحسب شارل فيرو أن مجمل ما كلفت معاهدة الصلح إسبانيا لسنة 1786م، قدر بعشرين مليون بياستر، وتبقى منطقة وهران خارج المعاهدة،<sup>3</sup> وهو نفس المبلغ الذي ذكره دوقرامون.<sup>4</sup> بالإضافة إلى مبالغ فداء الأسرى فقد تم تبادل للأسرى بين البلدين، ودفعت إسبانيا ثمن فدية الباقيين ألف دورو عن كل رأس، ويقول فننير دو باردي أن قيمة فدية الأسرى الإسبان بلغ سبعمائة ألف بياستر.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 77

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 50

<sup>3</sup> L.Ch. Féraud, Op. cit, pp.318-319

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.338

<sup>5</sup> Venture De Paradis, Alger au 18<sup>eme</sup> siècle Op.cit, p. 53



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

على إثر هذه الاتفاقية حل السلام بين البلدين وهدأت الأوضاع إلى غاية سنة 1790م عندما وقع الزلزال وبدأ الباي محمد الكبير بمحاصرة وهران ولم تنته الحرب إلا في سنة 1792م بمعاهدة سلام نهائية استرجعت الجزائر بموجبها وهران والمرسى الكبير واستكملت سيادتها على أرضها ورحل الإسبان إلى بلادهم نهائياً.<sup>1</sup>

### 2- العلاقات الجزائرية الفرنسية:

#### 1-2 بداية العلاقات بين فرنسا والجزائر:

تعود العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى أيام الدولة الحمادية إذ يذكر "ألبير دوفو" أن العلاقات التجارية بين مرسيليا وبجاية تعود إلى القرن الثالث عشر، وتدعمت أكثر بعد عقد معاهدة تجارة وتعيين قنصل فرنسي ببجاية في بداية القرن الرابع عشر<sup>2</sup>، وفي عهد قوة الدولة العثمانية، حدث تقارب بين الملك فرنسوا الأول (1515-1547م) وسليمان القانوني (1520-1566م) تكلم بمعاهدة الامتيازات الاقتصادية الشهيرة في فيفري 1535م<sup>3</sup>، وبفضل تلك الامتيازات التجارية والدبلوماسية دعم الفرنسيون استغلالهم لصيد المرجان في شرق البلاد وأقاموا حصن الباستيون سنة 1561<sup>4</sup> الذي توسع نشاطه لتصدير أهم منتجات المنطقة مقابل ضريبة سنوية تدفع إلى داي الجزائر<sup>5</sup>.

غير أن التمثيل الدبلوماسي تأخر إلى غاية نهاية القرن السادس عشر بالرغم من إباح السلطان العثماني على هذا الأمر، وقد تم إنشاء أول قنصلية فرنسية بالجزائر

<sup>1</sup> حول تحرير وهران ينظر الفصل السابق .

<sup>2</sup> A. Devoulex, Archives du Consulat général de France à Alger, imprimerie et lithographie Marius Olive, Marseille, 1863, p.2

<sup>3</sup> هناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ إبرام معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية إذ ذهب أغلبهم إلى أنها عقدت في فيفري 1535م ، بينما نشر فريد بك المحامي في كتابه تاريخ الدولة العلية نص الوثيقة بتاريخ فيفري 1536م، لمزيد من المعلومات ينظر، محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1981م، ص-ص.225-229. وراجع كذلك الشيخ لكحل، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م (1604-1659م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية ، 2012-2013م، ص. 14

<sup>4</sup> A. Devoulex, Op. cit, p.3

<sup>5</sup> يدفع حصن "الباستيون" صندوقين من المرجان الجيد مقابل استغلاله، محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص.91 ، وإتاوة تقدر ب1500 إيكوس ذهبية سنويا لخزينة الجزائر مقابل باقي الامتيازات الأخرى، ينظر جمال قنان ، المرجع السابق، ص.55

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

حوالي 1578م، وتم قبول القنصل الفرنسي بها بعد 15 سنة من هذا التاريخ<sup>1</sup>. وحسب "دوفو" فإن غرفة التجارة بمرسيليا هي التي كانت تدفع أجرة القناصل الفرنسيين إلى غاية 1718م<sup>2</sup>. وكانت فرنسا مصرّة على التمثيل الدبلوماسي خدمة لمصالحها الاقتصادية ورعاياها.

وعلى أية حال كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السادس عشر طبيعية ولصالح فرنسا، إذ علاوة على الامتيازات التجارية التي حظيت بها في شرق الجزائر قدمت لها مساعدات عسكرية في حربها ضد شارل الخامس (1519-1556م) سنة 1543م و"فليب" الثاني (1556-1598م) سنة 1552م<sup>3</sup>.

ومع مطلع القرن السابع عشر تآزمت العلاقات وبلغت حد إعلان الحرب بين الطرفين وتهديم حصن "الباستيون" وقتل سفراء الجزائر وسرقة المدافع<sup>4</sup>، وتطورت إلى المواجهة المسلحة ومحاولة الاستيلاء على جيجل سنة 1664م، وقيادة الحملات الحربية ضد مدينة الجزائر في سنتي، 1682، 1683، 1688، ولم تهدأ الأوضاع إلا بعد إمضاء معاهدة سلم لسنة 1689م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> لمزيد من معلومات حول بداية تعيين القناصل الفرنسيين في الجزائر ينظر، بركاهم دهان، دور القناصل الفرنسيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689-1789م، مذكرة ماجستير، في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012-2013، ص 18-21

<sup>2</sup> A. Devoux, Op. cit, p.3

<sup>3</sup> شارك حسن أغا بيلرباي الجزائر في الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بحوالي 40 سفينة جزائرية في حرب سنة 1543م، وفي ذلك الوقت كان خير الدين قد استدعاه السلطان العثماني لقيادة أسطوله، كما استتجد ملك فرنسا هنري الثاني بصالح رابيس باشا الجزائر ضد ملك الإسبان سنة 1552م، ينظر الشيخ لكحل، المرجع السابق، ص 34-36

<sup>4</sup> Voir, H-De Grammont, Relations entre la France et la Régence D'Alger au XVII<sup>e</sup> siècle, éd.,A. Jourdan, Alger.1879, pp.6-12

<sup>5</sup> سعى لويس الرابع عشر للقضاء على إيالة الجزائر وتحطيمها عن طريق الحملات العسكرية المتوالية، وطوال عهده أصبحت الحرب ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية، ولم تستقر الأوضاع إلا بعد رحيله عام 1715، ولمزيد من التفاصيل حول تلك الحروب التي قادها لويس الرابع عشر ضد إيالة الجزائر ينظر: عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص ص. 65-98

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وقد سجلت العلاقات الجزائرية الفرنسية حالة استقرار وسلام على امتداد القرن الثامن عشر مقارنة بالحروب والتوترات المستمرة التي عاشتها في القرن السابع عشر.<sup>1</sup> ويذكر أن عهد الداوي محمد بن عثمان باشا عرف استقرارا في العلاقات على عكس عهد الداوي علي باشا الذي كان فيه قنصلة فرنسا يفتعلون المشاكل، مما اضطره لطرده القنصل "أندري ألكسندر" (A. Alexandre)، و"جيمون" (Gimon) اللذين أنهى مهامها بعد أن تبين له أنهما غير مرغوب فيهما نتيجة لما يحيط بهما من شكوك، والظاهر أنهما كانا يتجسسان على البلاد.

إضافة إلى مشاكل القناصل واجهه الداوي علي باشا مشكلة مهاجمة القراصنة الفرنسيين للسفن الجزائرية، وتشير الرسائل التي تم تبادلها بينه وبين وزير الشؤون البحرية الفرنسي أن قراصنة بلاده استولوا على ثلاث سفن جزائرية خلال سنوات 1755-1757م فما كان على الداوي سوى المطالبة بدفع تعويضات عن الخسائر التي تعرضت لها السفن وحمولتها والأسرى الذين تم اختطافهم، وفي الأخير قبلت الحكومة الفرنسية دفع التعويض المطلوب.<sup>2</sup>

وخلال سنة 1763م تازمت العلاقات ووصلت إلى طريق مسدود وكادت تندلع الحرب، وذلك بسبب السفن الفرنسية التي هاجمت فرقاطة جزائرية، وبررت فعلتها بأنها أخطأت وظننتها تابعة لقراصنة سلا. لم يتقبل الداوي هذا العذر وصعد الموقف من جانبه وقام باحتجاز القنصل والراعي الفرنسيين بالجزائر، وأرسلهم إلى الأعمال الشاقة، وغلق الشركات التجارية بالشرق وصادر حمولة سفينتين من المرجان. فما كان على الحكومة الفرنسية سوى الرضوخ إلى التفاوض، وبعد أخذ ورد سويت المسألة وتم تجديد معاهدة 1689م في 16 جانفي 1764م. بعد أن أضافوا إليها سبعة بنود جديدة تتعلق بعدم الاعتداء على السفن الجزائرية في البحر مرة أخرى، ومعاقبة المعتدين، مع ضمان سلامة الراعي الفرنسيين المقيمين بالجزائر، وتأكيدا لهذه المعاهدة أرسلت فرنسا سفينة الملك إلى

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات ينظر، يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا ديوان المطبوعات الجامعية،

1985، الجزائر، ص 65-100 وراجع أيضا جمال قنان، المرجع السابق، ص 132-149

<sup>2</sup> Eugène Plantet, Op. cit., pp. 227-235

ميناء الجزائر تحمل عددا من الأسرى الجزائريين ومعهم هدايا قيمة للداي وكبار رجال الدولة<sup>1</sup>.

### 2-2 العلاقات الجزائرية الفرنسية في عهد محمد بن عثمان باشا:

اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال عهد محمد بن عثمان باشا عموما بالاستقرار والهدوء بين البلدين، وقد سعى كل من داي الجزائر وملك فرنسا لويس السادس عشر إلى توطيد العلاقات بينهما والمحافظة على السلام. ويذكر "أوجان بلانتييت" أن باشا الجزائر قد أحسن استقبال أسطول الملك الفرنسي بقيادة الأميرال ليستنوا بتاريخ 10 جوان 1766م، ومن جانبه قدر القنصل "فالير" (Vallière) تلك النوايا الطيبة، وقدم له الهدايا الثمينة<sup>2</sup>. هذا، وقد تدعمت أكثر أواصر الصداقة بين البلدين بتجديد معاهدة الامتيازات التجارية لسنة 1684، بتاريخ 10 جوان 1768م وأضيف إليها مادة جديدة تنص على أن تدفع الشركة الملكية الإفريقية مستقبلا للجزائر مبلغ آخر يقدر بألفين بياستر كل عشر سنوات<sup>3</sup>.

وبالرغم من سعي كل من الداي محمد بن عثمان باشا وملك فرنسا لدوام العلاقات ودية بين البلدين إلا أنه حدثت عدة مشاكل وتجاوزات خاصة من الجانب الفرنسي ولكنها حلت بالطرق السلمية وبالرجوع للمعاهدات السابقة، ولم تصل إلى القطيعة وإعلان الحرب، وسنذكر أمثلة عنها:

كانت بداية تلك التجاوزات هي الحادثة التي أخبر عنها محمد بن عثمان باشا القس "تيراي" وزير الدولة للبحرية في رسالته بتاريخ 14 مارس 1771م، التي كان سببها الحرب الروسية العثمانية 1768-1774م، ووصل فيها لأول مرة الأسطول الروسي بقيادة الأميرال "ليكسيس أولوف" عبر بحر البلطيق إلى البحر الأبيض المتوسط، حيث نجحوا في تدمير الأسطول العثماني في ماي 1770م، مما سهل عليهم الوصول إلى شرقي البحر المتوسط وإلى سواحل مصر وسوريا وضربوا الحصار على الأساطيل الموالية للدولة العثمانية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Henri GARROT, Op.cit., pp.574-575

<sup>2</sup> أوجان بلانتييت، هامش المحقق، رقم، 547، المصدر السابق، ص. 191.

<sup>3</sup> Henri GARROT, Op.cit, p.576

<sup>4</sup> روبري مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992، ص. 408.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وحينئذ كانت مجموعة من التجار الجزائريين محاصرين في الإسكندرية فاستأجروا سفينة فرنسية أملا في العودة إلى الجزائر، وفي الطريق اختبأوا بإحدى الموانئ وقرروا عدم إكمال طريقهم خوفا من الأسطول الروسي، ولكن للأسف تم القبض عليهم من طرف السفن الروسية، وتم أسر وبيع التجار الجزائريين في مالطا واستولوا على بضاعتهم<sup>1</sup>.

اغتاظ الداوي كثيرا لهذه الواقعة وطلب من وزير البحرية التدخل لتحرير التجار وإعادة ممتلكاتهم لأن فرنسا لم تكن في حرب مع روسيا، وليس من حقهم الاستيلاء على سفنها، وحسب "أوجان بلانتيت" أن حكومة فرنسا أبلغت حكومة روسيا عن الإحراج الذي يمكن أن يتسبب فيه أخذ سفينة فرنسية فأعادها الأميرال "أورولف" إلى الملك ومن ثمة تم إرجاعها إلى الجزائر مع طاقمها وحمولتها<sup>2</sup>.

وبعد اعتلاء لويس السادس عشر ملك فرنسا خلفا لجده لويس الخامس عشر (1715-1774م)<sup>3</sup> توطدت العلاقات أكثر بين البلدين بفضل التعاون وتبادل المصالح والخبرات، إذ تشير رسالة محمد بن عثمان باشا إلى وزير البحرية الكونت "دوسارتين" في 26 جوان 1775م إلى تلبية طلب الداوي محمد بن عثمان باشا وإرسال صانع مدافع ماهر لمساعدته على إدارة شؤونه بنفسه<sup>4</sup>.

وقد سعت إسبانيا إلى توتير العلاقات بين فرنسا والجزائر وخلق الاضطراب بينهما، وذلك حينما قامت بالاعتداء على سفن فرنسية كانت تحمل رعايا جزائريين ومساعدات عسكرية. وكان الاعتداء الأول على إثر الحملة الإسبانية الأولى عام 1775م، عندما قرر السلطان العثماني إرسال مساعدات<sup>5</sup> إلى إيالة الجزائر على متن سفينة فرنسية. فاحتجزتها

<sup>1</sup> أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ص ص. 195-196

<sup>2</sup> أوجان بلانتيت، المصدر نفسه، هامش المحقق رقم، 552، ص. 197.

<sup>3</sup> توفي لويس الخامس عشر في سنة 1774م وخلفه لويس السادس عشر وكان شابا صغيرا،  
Jean Christian Petit fils, LOUIS XVI, éd , Perrin , Paris, 2010, p.53

<sup>4</sup> أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ص.ص. 232-233

<sup>5</sup> حسب دوقرامون تم التحفظ على حمولة السفينة في قرطاجنة، واعتبروها بضائع حرب مهربة وكانت تتكون من 5000 قنطار من الحديد، 82 سارية و 500 قنطار من حبال الربط و 4200 قطعة من نسيج الشراع، ورفض قبطان السفينة السيد "سيرين" المغادرة من دون ركابه والبضاعة،

H-D-De Grammont, l' Algérie sous la domination turque, Op.cit., p.329

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

إسبانيا مع ركابها ونقلتها إلى قرطاجنة<sup>1</sup>. وقد تمكنت الحكومة الفرنسية من استرجاعها مع حمولتها وإطلاق سراح الأسرى، وكانوا من كبار رجال حكومة الجزائر وعلى رأسهم وكيل الحرج حسن<sup>2</sup>.

وخلال صيف 1777م تمكن قراصنة إسبانيون من احتجاز سفينة فرنسية أخرى تحمل حجاج جزائريين في طريقهم من الإسكندرية إلى مكة، فقاموا بأسر الحجاج واستولوا على أمتعتهم وأموالهم، وبفضل احتجاجات الداي محمد بن عثمان باشا تدخل الملك الفرنسي وأطلق سراح الحجاج ودفع لهم تعويضات من ماله الخاص<sup>3</sup>. والراجح أن إسبانيا كانت تهدف من وراء هذه الاعتداءات إلى الضغط على الجزائر لعقد الصلح معها، ولكنها فشلت<sup>4</sup>. إلا أنها نجحت في إثارة بلبلة واضطراب في العلاقات بين فرنسا والجزائر<sup>5</sup>.

كما لعب القنصل الفرنسي "دوكارسي" (1782-1791م)، دورا بارزا في توتير العلاقات الجزائرية الفرنسية وافتعال المشاكل، ذلك لأنه كان يطالب في الخفاء باحتلال الجزائر، وأعد مشروع حملة قدمه إلى وزارة الشؤون الخارجية عام 1791م. وكان من بين الأوائل الذين اقترحوا أن الإنزال يتم في سيدي فرج، واحتلال المدينة يكون عن طريق البر كما اقترح أن تغطي مصاريف الحملة من خزينة الجزائر العامرة بالكنوز<sup>6</sup>.

ويبدو أن الحكومة الجزائرية قد ارتابت في تحركات القنصل الفرنسي "دو كارسي" (1782-1791م) ومترجمه "فنتير دوبرادي"، الذي أعد بدوره خطة لغزو الجزائر سنة 1789م واقترح فيها أن يتم الإنزال البري ما بين رأس كاسين وسيدي فرج ويتم الاستيلاء على مدينة الجزائر من الخلف، وقال هي منطقة غير مسلحة واقترح عدد الجنود يكون ستة وعشرون ألف ما بين الفرسان والمشاة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص ص. 199-201

<sup>2</sup> اوجان بلانتيث، المصدر السابق، ص. 247

<sup>3</sup> Jean Cazenave, Un Consul français en Alger au XIII<sup>e</sup> siècle, Langoisseur De La Vallée, in R.A, Vol. N° 78, éd. A. Jourdan, Alger, 1936, pp. 109-110

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.330

<sup>5</sup> Jean Cazenave, Op.cit.,p p. 107-108

<sup>6</sup> Voir, Charles Roux, Op.cit., pp. 320-357

<sup>7</sup> Venture De Paradis, Op.cit, pp.168-169

ويظهر ذلك الشك والارتياب لدى سلطات الجزائر من خلال الرسالة التي بعثها وزير الدولة للبحرية الفرنسية إلى محمد بن عثمان باشا في 31 جانفي 1790م، والتي نفهم منها أنه اشتكى من تصرفات القنصل ومترجمه، وطلب رحيلهما عن الجزائر، مما جعله يطلب من الداوي أن يشمل "دوكارسي" برعايته وطمأنه بأنه سيمنحه إجازة ليعود لوطنه بسبب مرضه. وقال عن فنتير دو باردتي إنه لن يمكث في الجزائر إلا لوقت قصير ويتحتم عليه العودة مع المفوض "الفارس دوسانفيل"<sup>1</sup> الذي كان هناك من أجل تجديد معاهدة السلم المئوي.

هكذا منذ نهاية القرن الثامن عشر اتفقت الآراء لدى الوكلاء القنصلين الفرنسيين الجزائريين حول المكان الملائم لإنزال القوات العسكرية لمهاجمة مدينة الجزائر من البر، وبما أن الظروف لم تكن مناسبة للقيام بتلك المشاريع سعى البلاط الفرنسي لإرضاء حكومة الجزائر من أجل تجديد معاهدة السلم المئوي (معاهدة مارسال 1689 م)، والتي تأكدت بمعاهدة "ديسول" 1719 (Disault)، وحسب "دوقرامون" أن معاهدة 1719م قد جددت بنفس الصياغة ولهذا أراد القنصل "دوكارسي" أن تستمر حتى 1819م<sup>2</sup>، وحسب "قاروت" (Garrot) أن تدخل الإنجليز حال دون ذلك، حيث حرضوا الديوان على القول أن معاهدة 1719م، ما هي إلا تصديق بسيط، ولا تأخذ بالحسبان، ومن جهة أخرى انخفضت غنائم البحر في تلك الفترة فاضطروا إلى تجديد المعاهدة على أمل الحصول على الهدايا في المفاوضات<sup>3</sup>.

وبمناسبة تجديد معاهدة السلم المئوي كتب الملك لويس السادس عشر رسالة إلى محمد بن عثمان باشا بتاريخ 6 ديسمبر 1789م جاء فيها: "أن رغبتنا في وضع حد للخلافات التي سببها مؤخرا سوء التفاهم بين فرنسا وإيالة الجزائر، وبحثنا عن حلول مستقبلية لها عن طريق أحداث بعض التعديلات أو التغييرات في بنود المعاهدات القائمة بيننا، والمتعلقة بتعيين حدود مسار سفنكم الحربية على سواحلنا، وجوازات السفر التي نمناها لسفننا التجارية، والشكاوي المتعلقة بالسفن التي تم الاستيلاء عليها"<sup>4</sup>، وقد تعرض

<sup>1</sup> أوجان بلانتييت، المصدر السابق، ص. 362

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.340

<sup>3</sup> Henri GARROT, Op.cit, p.583

<sup>4</sup> أوجان بلانتييت، المصدر السابق، ص. 358

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الملك في رسالته إلى ثلاث نقاط أساسية محل النزاع بين الدولتين، والتي سببت العديد من المشاكل والتوترات كما سبق الإشارة إلى ذلك.

كانت فرنسا تريد توضيح المادة رقم 9 من المعاهدة وتضيف سواحل كورسيكا إلى السواحل الفرنسية على اعتبار أنها لم تصبح في سنة 1689م فرنسية بعد، فكانت مستثناة بطبيعة الحال، كما كان مجال رياح البحر الجزائريين في المعاهدة السابقة غير محدد<sup>1</sup>.

وقد طلبت الحكومة الفرنسية تجديد المعاهدة في سنة 1787م، وبعد تبادل الرسائل بين الباب العالي والإيالة بخصوص هذا الموضوع، أرسلت حكومة لويس السادس عشر في 16 ديسمبر 1789م "الفارس سونفيل" قائد الأسطول الحربي الذي وصل إلى الجزائر في 26 مارس 1790م على فرقاطة (IRIS) برفقة "سعيد باي" مفوض الباب العالي حاملا معه فرمان من عند السلطان لتجديد معاهدة سنة 1689م، وقد أمضى السيد "سونفيل" مع الداوي في 29 مارس 1790م معاهدة تجديد السلام المؤمي، ورسمت الحدود الجديدة لرياس البحر الجزائريين على أن تكون عند مجال رمية المدافع من السواحل فرنسا وكورسيكا<sup>2</sup>.

وقد أنهى السيد "سونفيل" مهمته وغادر الجزائر في 4 أبريل وقد كلفت سفارته فرنسا قيمة الهدايا التي حملها معه ثلاثمائة وثلاثون ليرة. وتجدر الإشارة أن كل تغيير للقنصل يكلف كثيرا، فكل قنصل جديد يصل إلى الجزائر يجب عليه تقديم هدايا إلى الداوي وأعضاء الديوان والوزراء. فالسيد "فالبيار" الذي خلف السيد "دوكارسي" في 15 جانفي 1971م قد قدم هدايا إلى 92 شخص كلفته ثمانية وأربعون ألف وأربعمائة وسبع وسبعون ليرة. وكانت الغرفة التجارية بمرسليا عموما هي التي تتكفل بتقديم تلك المبالغ وتدفع التعويضات عن مختلف الأحداث<sup>3</sup>.

لم تكن الحكومة الفرنسية تمنح الأسلحة والذخائر للإيالة على غرار دول شمال أوربا، بل كانت تقدم الهدايا القنصلية للداوي وحاشيته ولشخصيات الكبيرة مرة في السنة. على شكل أنواعا من اللحوم والفواكه المجففة والطازجة والمربى والمخللات والسماك المصبر والزيتون والكحول والمشروبات الروحية غير المسكرة والكستاء والتفاح الإجااص وغيرها من

<sup>1</sup> Henri Garrot, Op.cit, p. 583

<sup>2</sup> Idem. P.584

<sup>3</sup>Idem.

Idem.



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الفواكه والمصبرات والمكسرات في مقابل الاحتكارات التي تحصل عليها من صيد المرجان والتجارة مع الجزائر<sup>1</sup>.

وفي شهر جوان من سنة 1790م، تم توقيع معاهدة جديدة حول امتياز استغلال "الباستيون" وفيها رفعت قيمة الإتاوة إلى أزيد من ثلاثة أضعاف ما كانت عليه؛ إذ كانت تساوي 1221 وأصبحت 4500 بياسترا إسبانيا كل شهرين، إضافة إلى دفع مبلغ قدره 500 بياستر كل ثلاثة أشهر إلى باي قسنطينة كشرط أساسي لتجديد الاتفاقية المئوية للامتيازات الفرنسية في الجزائر سنة 1790<sup>2</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة اللزمة القديمة لم تتغير منذ أن بدأ الفرنسيون استغلال امتياز الباستيون<sup>3</sup>، ونجح محمد بن عثمان باشا في مضاعفتها من أجل مصلحة بلاده.

استطاع الفرنسيون تحقيق طموحاتهم في الجزائر بتجديد المعاهدة المئوية للسلم وضبط مواردها والاحتفاظ بملكية امتيازاتهم التجارية في الشرق الجزائري بفضل التدخل الودي للباب العالي وليونة "سونفيل" الذي بذل كل جهده للمحافظة على مصالح بلاده وإبعاد منافسيهم الإنجليز عنها.

وبالرغم من كل الامتيازات الحصرية التي كان يتمتع بها الفرنسيون في شرق البلاد، لم يسمح لهم صالح باي بالتدخل في تسيير شؤون مقاطعته وعصيان أوامره، حيث وجه رسالة شديدة اللهجة إلى وكيل البستيون خلال عام 1776م بسبب مخالفته لأوامره، وعدم قطعه للعلاقات مع الشيخ عبد الله بالعباس شيخ المعزول بالقالة لأن الباي عزله، قال فيها: "أنتم معشر النصارى سوقكم عامر وأموركم مقضية سواء كانت مع عبد الله أو مع ابن الشيخ بالعباس...، فالبلاد بلادنا نتصرف فيها بنظرنا ولا دخل لكم في ذلك"، وأضاف له أنه ليس لديكم حق سوى في البيع والشراء على حسب العادة القديمة والقانون ومع أي شيخ نعيه وهكذا يكون عملكم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مذكرات كائنات، المصدر السابق، ص. 41

<sup>2</sup> Paul Masson, Op.cit, p. 561

<sup>3</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص. 210

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 58، من صالح باي إلى وكيل الباستيون بالقالة في عام 1776م/ (1189-1190هـ) حول عزل شيخ المعزول عبد الله بن العباس بالقالة ومنع وكيل التعامل معه، لمزيد من المعلومات ينظر صورة الرسالة بالملحق رقم (12)

وفي المجال السياسي والدبلوماسي سعى الباي لدى وكيل "الباستيون" السيد "برفيون" لتحرير عدد من الأسرى العنابيين الذين اختطفتهم إحدى الدول الأوربية على زورق فرنسي تحت الراية الفرنسية، والتزم الوكيل بتحريرهم، وبعد ذلك تراخى فبعث له صالح باي رسالة عاتبه فيها حيث قال: "وطلبناكم تأتي بهم من بر النصارى والتزمت أنت بذلك والآن تراخيت هذه لا تليق"<sup>1</sup>، وطلب منه الوفاء بعهده والعمل على إعادة الأسرى فوراً، حالما تصله رسالته، وشدد عليه مرة أخرى في رسالة وجهها إليه في نفس السنة، واستطاع الوكيل بعد مدة إعادة الأسرى فسر الباي بذلك ورد عليه قائلاً<sup>2</sup>: تبارك الله ما قصرت في أمرنا هذا هو المقطوع عليكم وأنت خديمتنا فلا بد تحرص على أسارى ولا بد.

وعلى أية حال فقد استمرت العلاقات الجزائرية الفرنسية بين المد والجزر في عهد محمد بن عثمان باشا الذي استطاع أن يتحكم في الأوضاع الداخلية ويفرض الأمن والاستقرار، لأن فرنسا بدأت تعمل على إعداد العدة لاحتلال الجزائر بالعمل على ذبذبة السياسة الخارجية لكنها فشلت.

### 3- العلاقات الجزائرية البرتغالية:

اتسمت العلاقات الجزائرية البرتغالية بالعدائية، تجلى ذلك بالرغم من تنافسها مع إسبانيا، على احتلال السواحل المغربية، في تحالفها مع هذه الأخيرة ضد الجزائر في حملة شارلكان (1500-1558م) على الجزائر عام 1541م<sup>3</sup>. وازدادت ظاهرة العداوة التي طغت على العلاقات المتأزمة طيلة ثلاثة قرون نتيجة التحالف المسيحي الإسباني البرتغالي على دار الجهاد (الجزائر)، وتعزز هذا التحالف في الحملة الإسبانية - البرتغالية على مدينة الجزائر في سنة 1784م، لكن بعد الوصول إلى عقد هدنة مع الإسبان، تفرغ الأسطول الجزائري لشن حملاته على السفن البرتغالية في المحيط الأطلسي، حيث تمكن

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 49، رسال من صالح باي إلى وكيل الباستيون طلب منه إطلاق الأسرى العنابيين الذين اختطفتهم السفينة الفرنسية كتبت خلال عام 1774م / (1187-1188هـ)

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 52، من صالح باي إلى وكيل "الباستيون" حول نفس الموضوع أعلاه، خلال نفس العام 1774م

<sup>3</sup> عبد القادر فكايير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، مجلة كان التاريخية الإلكترونية . العدد الثامن عشر، ديسمبر 2012. ص 24.

من أسر عدد من السفن البرتغالية والجنوية هناك<sup>1</sup>. وربما نتيجة لهذا الصلح الجزائري الإسباني المضر بالبرتغال، وقّعت ملكة البرتغال "ماريا الأولى" هدنة مع داي الجزائر سنة 1785م بوساطة القنصل "لوجي" البريطاني<sup>2</sup>، حتى يتفرغ رياس البحر الجزائريين لأسر السفن الأمريكية، التي لم يكن يرغب لا هو ولا ملكه في دخولها إلى البحر الأبيض المتوسط، فهياً كل الظروف لرياس البحر الجزائريين، ليتخلصوا من المنافسة التجارية الأمريكية في حوض المتوسط<sup>3</sup>، أما البرتغال فقد استفادت من هذا السلام في حماية سفنها وتجارها.

### 4- العلاقات الجزائرية مع النمسا وجمهورية البندقية:

كانت أوروبا تنظر لإيالة الجزائر على أنها بلد يعيش على القرصنة والأسرى وفرض الضرائب على الدول الأوروبية بفضل شجاعة بحارتها التي لا تقاوم<sup>4</sup> ومن بينها:

**4-1 إمبراطورية النمسا:** كما كانت تسمى أيضا الإمبراطورية الألمانية، لم ترتبط الجزائر والنمسا بمعاهدة سلام، ذلك لأن الدولة العثمانية كانت تحميها من خطر أوجاقات الغرب وتدفع لها تعويضات في حالة ما إذا تعرضت إلى هجمات من طرفهم، وظل الأمر كذلك إلى غاية سنة 1161هـ / 1748م أين اضطرت أوجاق الجزائر إلى الإمضاء على المعاهدة التي وقعتها الدولة العلية مع النمسا في نفس السنة<sup>5</sup>.

وفي عهد علي باشا (1754-1766م) أرسل السلطان العثماني مصطفى الثالث فرمان يطلب فيه من الداوي توقيع معاهدة سلام مع النمسا، وإرسال نسخة عنها إلى ديوان الهمايوني، وقد جاء في الرسالة: "أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام...علي داي أوجاق جزائر الغرب...ليكن في علمكم أن الدولة العلية لها طريق المسالمة مع إمبراطور

<sup>1</sup> مذكرات كاتنارت، المصدر السابق، ص. 17.

<sup>2</sup> عبد القادر فكبير، المرجع السابق، ص. 27.

<sup>3</sup> مذكرات كاتنارت، المصدر السابق، ص. 16.

<sup>4</sup> هذا ما أشار إليه "دوقرامون" حين قال: "لقد ظلت الجزائر طيلة ثلاثة قرون رعباً للنصرانية وكرارثتها، فلم تسلم أية دولة أوروبية من جرأة بحارتها، وقد رددت سجونها الواسعة صدى صوت كل لغات الأرض، وأعطت للعالم المثال لأمة تعيش على القرصنة دون غيرها، وتقاوم بشجاعة لا تصدق هجمات لا تتوقف ضدها، وأخضعت لمهانة الضريبة السنوية ثلاثة

أرباع أوروبا وحتى الولايات المتحدة". H-D-De Grammont, Op.cit, p.1.

<sup>5</sup> عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص. 519.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

المنامسة والسلطة السنوية أعطت عهدها من بابها العالي ... تتضمن المسالمة والمصالحة ... أنت المطلوب في إعطاء المكتوب يتضمن عقد مواد معاهدة طرف الأوجاق وابعثوا عهدهم بصورة واحدة تبقى تحت أوجاقكم وصورة تسلم ليد القنصل والصورة الثالثة ترسل لطرف الراي ... وابعثوا عهدكم ممضى ومختوم لتقييد صورته بديوان الباب العالي<sup>1</sup>. وهكذا قد تم إبرام معاهدة السلام بين البلدين خلال سنة 1758م، ولكن نسخة العقد لا ندري هل أرسلت إلى الديوان الهامبوني أو لا<sup>2</sup>.

استمرت العلاقات سلمية بين الطرفين إلى غاية 1195هـ/1781م، حين أعلن محمد بن عثمان باشا الحرب على إمبراطورية النمسا بالرغم من إصرار الباب العالي على عدم معاداتها ومحاربة سفنها، إلا أنه تجاهل وصية السلطان العثماني، وقام رياس البحر الجزائريين بأسر ست سفن نمساوية محملة بالحبوب، فتوجه نائب السفير البارون "هربرت" إلى مراجعة الديوان الهامبوني وأعلمه بما فعل الجزائريون فأصدر السلطان فرمانا إلى محمد بن عثمان باشا يأمره بإعادة السفن وما فيها إلى النمسا فأجابته الداوي أنه أخذ ثلاث سفن فقط وليس ست وتلك السفن لا تمتلك وثائق ثبوتية وكانت تنقل البارود إلى أعدائنا الإسبان والبرتغاليين، ورغم ذلك أصر السلطان على إعادتها<sup>3</sup>.

لم يلبّ الداوي أوامر السلطان عبد الحميد الأول (1774-1789م)<sup>4</sup> وظل محتفظا بالسفن، ولما أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا سنة 1787م، بسبب احتلالها لبلاد القرم، انضمت إليها النمسا، واحتلوا عدة مناطق من أراضي الدولة العثمانية، ونتيجة لاجتياح الثورة الفرنسية لأوروبا طالبت النمسا بالصلح في مقابل تراجعها إلى حدودها

<sup>1</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم 07، فرمان من السلطان مصطفى الثالث إلى علي باشا حول تجديد ولايته في أواخر صفر 1172هـ / (23 سبتمبر - 2 أكتوبر 1758م).

<sup>2</sup> صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا 1754-1766م مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م، ص. 143

<sup>3</sup> عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص. 536

<sup>4</sup> أورد سامح التري في كتابه نسخة عن فرمانين أرسلهم السلطان إلى باشا الجزائر في 7 رمضان 1197هـ يأمره فيهما بعدم التعرض للسفن التجارية النمساوية وموانئها، وحذره أنه في حالة الاعتداء عليها، سوف يدفع التعويض عن الضرر من خزينة الجزائر لأن الدولة العلية قد تعهدت للنمسا بذلك وطلب منه إمضاء الاتفاق وإرساله إلى وكيل سفير النمسا، ينظر سامح التري، المرجع السابق، ص. 554-555

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الأولى ما قبل الحرب<sup>1</sup>، واستغلت النمسا الفرصة وطالبتها بإعادة السفن التي صادرتها الجزائر والحصول على تعويضات عن حمولتها، وأن تقدم لها تعهدا بعدم مهاجمة رياس الجزائر وباقي إيالات المغرب لسفنها، استنادا للمعاهدات السابقة التي تمت بينهما. وإلا ستقوم بتحصيل حقوقها بنفسها من الولايات العثمانية المجاورة لها<sup>2</sup>.

وقد جاء في معاهدة "زيوشتوفي" التي أبرمتها الدولة العثمانية مع إمبراطورية النمسا في 4 أوت 1791م<sup>3</sup>، وبالضبط في بندها الثالث أن الدولة العلية تتعهد بحماية جميع المراكب النمساوية التجارية من اعتداءات قراصنة بلاد المغرب وباقي رعايا الدولة وأن تعوض على أصحابها كل ما يعود عليهم من الضرر<sup>4</sup>.

وعليه تواصلت المراسلات الهمايونية مع خليفته حسن باشا ومما جاء في فرمان المرسل من السلطان إلى حسن باشا: "إلى والي الجزائر الغرب وزيرنا حسن باشا وإلى قاضي الجزائر بما أنه تم عقد الصلح بين دولتنا العلية ودولة النمسا فيجب تجديد سندات المعاهدة المقدمة إليكم بتاريخ 9 رمضان سنة 1197هـ كاملة، كما يجب على أوجاق جزائر الغرب تأمين وحماية السفن التجارية النمساوية، ودفع الإضرار التي تنجم من إتباع الدولة العلية من الخزينة العامرة العثمانية كما يجب على الأوجاق الجزائر تجديد سند الاتفاق المقدم من قبل النمسا"<sup>5</sup>.

2-4 **جمهورية البندقية:** في بداية عهده قام محمد بن عثمان باشا برفع ضرائب الدانمارك، السويد، هولندا والبندقية، وحسب "دوقرامون" كانت البداية مع هذه الأخيرة حيث

<sup>1</sup> أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا كرد فعل على معاهدة كينارجي المذلة سنة 1774م، التي بموجبها وصلت روسيا إلى سواحل البحر الأسود، كما أن روسيا لم تطبق نص المعاهدة بإخلاء القرم وبعد ذلك ضممتها إليها مما عجل بقيام الحرب التي دامت خمس سنوات وانتهت بإعادة كل الأراضي التي احتلتها روسيا في هذه الحرب ما عدا ساحل البحر الأسود وانتهت الحرب العثمانية الروسية بمعاهدة ياش في 9 جانفي 1792م، واتفاقية "زيوشتوفي" في 4 أوت 1791م أنهت الحرب الأخيرة بين الدولة العلية والنمسا، ولمزيد من المعلومات عن معاهدة "كينارجي" وحرب 1787-1791م العثمانية النمساوية راجع، يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص ص. 623- 642

<sup>2</sup> عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص. 541

<sup>3</sup> توفي محمد بن عثمان باشا في 12 جويلية 1791م

<sup>4</sup> محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص. 365

<sup>5</sup> عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص. 556

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

طرد سفيرها لعدم تقديمه الهدايا في المناسبات ومزق معاهدة سنة 1763م<sup>1</sup>، وقبل أن نواصل في تطورات الأحداث بين البندقية والجزائر نعود إلى بداية العلاقات بين البلدين. ظلت جمهورية البندقية إلى غاية سنة 1763م لا ترتبط مع الجزائر بعلاقات رسمية، وكانت تحمي تجارتها ومصالحها بموجب معاهدة "كارلوفيتز" (Carlowitz) المبرمة بينها وبين الدولة العثمانية سنة 1699م، والتي أقرت السلام مع إيلات المغرب الثلاث، وباقي الولايات العثمانية، ومنعت الاعتداء عليها، ورغم ذلك كانت الملاحة البحرية تتعرض لاعتداءات رياس البحر إيلات المغرب الثلاث، فكانت جمهورية البندقية في كل مرة تتقدم بشكاوي إلى الباب العالي، فيصدر أوامر لحكامها بعدم التعرض للسفن التجارية للبندقية. لكن ذلك لم يحقق أية نتيجة تذكر. وعليه قرر مجلس الشيوخ حماية تجارته البحرية عن طريق فرض الملاحة بواسطة "قوافل السفن المسلحة" ولكن سرعان ما تبين للتجار البنادقة عدم فعالية هذا الإجراء نظرا للوقت الطويل الذي تستغرقه تلك الرحلات التجارية<sup>2</sup>، والخسائر الكبيرة التي تتحملها.

ولما دخلت البندقية مع النمسا في حرب ضد الدولة العثمانية سنة 1714م، فرضت عليها بموجب معاهدة<sup>3</sup> (Passorawiz) سنة 1718م، منع الإيالات المغربية من الاعتداء على التجار البنادقة، ولكن استمرت الأوضاع على ما كانت عليه قبل الحرب وواصلت البندقية حماية تجارتها البحرية بالسفن المسلحة<sup>4</sup>.

وبدلا من أن تسعى جمهورية البندقية إلى التفاوض رأسا مع الجزائر، اتجهت إلى اسطنبول وطلبت مساعدة الوزير الأعظم، ليتوسط بينها وبين إيالة الجزائر وتونس وطرابلس من أجل إبرام معاهدة سلام معها، وذلك في عام 1720م ولكن تلك المحادثات باءت بالفشل ولم تسفر على أية نتيجة تذكر بسبب رفض التجار البنادقة تحمل مصاريف المعاهدات<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.318

<sup>2</sup> A. Sacerdoti, "Venise et les Régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699- 1764)", Trad. Mille M. Despois, in R. A, VOL. n° 101, ANN. 1957,éd. A. Jourdan, Alger , pp.273-275

<sup>3</sup> وهي مدينة تقع إلى الجنوب من بلغراد

<sup>4</sup> A. Sacerdoti, Op. cit, p.277

<sup>5</sup> عائشة غطاس، المعاهدة الجزائرية-البندقية 7 محرم 1177هـ-18 يوليو 1763م، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد7، 1993، جامعة الجزائر، ص. 95

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وقد كان للمعاهدات المبرمة بين الجزائر ودوق تسكانيا وإمبراطور النمسا سنة 1748م أضرارا كثيرة على جمهورية البندقية، فقد أضحى البحارة الجزائريين لا يجدون صعوبة تذكر في الاستيلاء على سفن البندقية والاحتفاء بموانئ النمسا وتسكانا عند الخطر في البحر الأبيض المتوسط والأدرياتيكي<sup>1</sup>.

وبسبب تضرر تجارة البندقية قررت الدخول في مفاوضات جدية ومباشرة مع حكام الولايات الثلاث قادها "نيقولا روزاليم" سنة 1753-1754م والذي زار مدينة الجزائر في سبتمبر 1753م وظل بها لمدة سنة تقريبا. إلا أن مساعيه لم تكلل بالنجاح بسبب معارضة قناصل الدول الأوروبية بالجزائر أولا، ورياس البحر ثانيا والتجار اليهود ثالثا<sup>2</sup>.

وخلال حرب سبع سنوات الأوربية (1756-1763م)، انتعشت تجارة البندقية كثيرا لكونها ظلت محايدة، فقررت حكومة البندقية إعادة المحاولة لعقد اتفاقية سلام مع داي الجزائر وباي تونس وطرابلس، من أجل ضمان سلامة التجارة البحرية للبندقية، وعليه بدأت المحادثات في فيفري 1762م، ورغم تدخل ومساعدة أحد التجار اليهود لدى الداوي إلا أنه بعد سنة لم يحقق أية نتيجة<sup>3</sup>.

بعد ذلك قرر مجلس شيوخ البندقية إرسال الوزير "جيرفازوني" (GERVASONI) إلى مدينة الجزائر، الذي تمكن من إبرام الصلح في 7 محرم 1177هـ / 23 جويلية 1763م، وكان ذلك في عهد الداوي علي بوصبع (1755-1766م)، ومن أهم النقاط التي جاءت في المعاهدة مايلي: عدم التعرض لسفن وبحارة البندقية، كما تعهدت جمهورية البندقية بمقتضى البند الأول بدفع أربعين ألف سكة جزائرية دفعة واحدة علاوة على تقديم الهدايا في المناسبات إلى الداوي وحاشيته، وتدفع البندقية أيضا مبلغ عشرة آلاف سكة سنويا<sup>4</sup>.

وفي بداية عهد محمد بن عثمان باشا عرفت العلاقات الجزائرية مع جمهورية البندقية تازما، ثم استقرت الأمور لبعض الوقت، لتعود للتوتر من جديد، فبعد أن ألغى معاهدة سنة 1763م، أعلن عليها الحرب في سنة 1767م. وحسب "دوقرامون" أنه بعد

<sup>1</sup> A. Sacerdoti, Op.cit, pp.286-287

<sup>2</sup> عائشة غطاس، المرجع السابق، ص.95

<sup>3</sup> A. Sacerdoti, Op.cit, p.292.

<sup>4</sup> Idem, p.294

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

أربعة أشهر طالب بهدية قيمتها خمسون ألف سكة من أجل الحفاظ على السلم القائم بينهما واثني عشر ألف سكة ضريبة سنوية عوضا عن عشرة آلاف سكة جزائرية، كشرط لعقد الصلح، وعليه حلّ بالجزائر في 13 جويلية 1767م الأدميرال (Angelo Emo) على رأس قطعة بحرية ولكنه لم يحرز أي نتيجة تذكر<sup>1</sup>، وكان هدفه الحقيقي هو إجراء تحريات حول القدرات العسكرية والبحرية للجزائر، وقدم ملاحظاته في شكل تقرير موجز، ونظرا للمعلومات التي جمعها والخبرة التي أصبح يتمتع بها، رجع الأدميرال "انجلو أمو" ثانية يوم 2 جوان 1768 ولكن هذه المرة وفق وكللت زيارته بالنجاح، بفضل الهدية القيمة التي ويقدر بحوالي حوالي اثنان وعشرون ألف سكة<sup>2</sup>. واستطاع تخفيض قيمة الضريبة إلى واحد وثلاثون ألف سكة وتقديم الهدايا القنصلية مرة كل سنتين<sup>3</sup>، مقابل إبرام معاهدة السلام التي تمت في الفاتح من صفر 1182هـ الموافق لـ 23 جوان 1768م.

وقد جاءت المعاهدة في ثلاث وعشرون بندا ولم يذكر أي منها مبلغ 31000 سكة والهدايا القنصلية التي تكلم عنها فنثير دو باردري، وأهم ما نصت عليه<sup>4</sup>:

- ضمان سلامة ملاحه سفن البندقية والجزائر وأمنها وتموينها بما تحتاجه.
- ضمان سلامة القنصل ورعايا البندقية مهما كانت الظروف.
- تحديد الرسم الجمركي على السلع القادمة من البندقية إلى الجزائر بنفس قيمة الرسم الذي تدفعه فرنسا وانجلترا.
- تحديد المجال البحري للسفن الجزائرية بثلاثين ميلا لا يجب تجاوزه.
- يلتزم البلدان بالمعاهدة المبررة والعمل بها في كل الظروف، والسماح لرياس البحر الجزائريين بتفتيش سفن البندقية لمراقبة جوازات السفر والتي يجب أن يصدرها قنصل البندقية بالجزائر.

<sup>1</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.318

<sup>2</sup> Idem.

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op. cit, p.167

<sup>4</sup> عثر على هذه المعاهدة عبد الجليل التميمي في أرشيف الدولة الإيطالية، وقام بنشرها، ينظر، عبد الجليل التميمي، معاهدة السلم الممضاة بين البندقية والجزائر في 23 جوان 1768م، المجلة التاريخية المغاربية، السنة الثامنة عشر، العدد 63-64، زغوان، جويلية 1991م، ص ص.381-400



## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

ورغم أن المعاهدة لا تنص على أن تدفع جمهورية البندقية مبلغ عشرة آلاف سكة سنويا، إلا أن الرسالة التي بعثها محمد بن عثمان باشا إلى دوق البندقية، بتاريخ جمادى الثانية 1199هـ الموافق ل19ماي- 20أوت 1775م تؤكد على ذلك، وقد نشرها وترجمها الأستاذ عبد الجليل التميمي في سلسلة كتبه التقديرية وجاء فيها: "وصلنا مكتوبكم الذي لا نظير له في رقة أسلوبه واستتارة عبارته وما تضمنته من كلمات طيبات نصيحات بليغات وما تضمنته من رغبتكم في تأكيد وتجديد ما معقود بيننا من معاهدة المحبة والصداقة الدائمة ولأجل ذلك تدفعون سنويا 10000 ذهبية للجزائر وقد وصل قبل من هذا المبلغ 8500 مما أثار السرور والحبور ليسود بيننا صفاء الحال وراحة البال ولتبقى شروط الصلح مؤداة، قلبا وقالبا."<sup>1</sup>

وبالرغم من انضمام الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب ضد البندقية بعد أن استولت هذه الأخيرة على جزيرة المورة سنة 1195هـ/1781م، إلا أنها واصلت في السنة الموالية 1782م دفع ضريبتها السنوية للجزائر، كما تدل على ذلك الرسالة التي بعثها محمد بن عثمان باشا إلى دوق البندقية في أواخر شعبان 1196هـ الموافق لأواسط أوت 1782م.<sup>2</sup>

وحسب التقارير التي رفعتها وزارة التجارة إلى مجلس شيوخ البندقية سنة 1787م تبين أن المعاهدات التي أبرمتها جمهورية البندقية مع الجزائر وباقي إيالات المغرب كانت في صالح الاقتصاد الوطني، حيث عرفت السفن التجارية زيادة في عددها من سنة إلى أخرى، وأضحت تسافر من دون خطر في البحار، وحققّت لخزينة الدولة مداخيل كبيرة من التجارة والرسوم الجمركية، كما أنها ادخرت الأموال التي كانت تصرف على السفن الحربية

<sup>1</sup> أصل هذه الوثائق كتبت باللغة التركية وعددها أربعة، عثر عليها كذلك عبد الجليل التميمي في أرشيف الدولة الايطالية بالبندقية في ملف: Document Turachi-Busto XIX-XIX.69. وقام بترجمتها إلى اللغة العربية، ينظر: عبد الجليل التميمي، العلاقات الجزائرية والبندقية على ضوء أربعة رسائل جديدة لدايات الجزائر إلى دوج(ق) البندقية خلال السنوات 1764-1782م، سلسلة الكتب التقديرية رقم 14، تحية وتقدير ووفاء للعلامة الأستاذ، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد

الرحيم، ج3، منشورات مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ديسمبر 2009، ص. 26

<sup>2</sup> تشير الرسالة التي أوردها عبد الجليل التميمي أن جمهورية البندقية استمرت في دفع ضريبة عشرة آلاف سكة جزائرية سنويا، عيد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 26

لحماية التجارة البحرية. في مقابل الأموال التي يصرفها القناصلة من أجل تقديم الهدايا السنوية إلى الباشاوات وكبار رجال الدولة<sup>1</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات الجزائرية-البندقية، لم تكن تسير نحو الأحسن بل كان يسودها التوتر من حين إلى آخر. بعد أن أسر رياس البحر سفينة بندقية في نهاية سنة 1796، واحتجزوا أخرى محملة بالقمح عام 1798، وظلت هكذا العلاقات بين المد والجزر إلى نهاية الحكم العثماني بالجزائر<sup>2</sup>.

### 5- العلاقات الجزائرية مع دول شمال أوروبا (هولندا، السويد، الدنمارك، إنجلترا):

**5-1 هولندا:** سارت هولندا على خطى البندقية، حينما أرادت الامتناع عن تزويد الجزائر بالذخائر الحربية التي كانت تدفعها للجزائر على شكل ضريبة سنوية، وقدمت هدايا أخرى من غير السلاح والبارود فمنعت سفنها من الدخول إلى ميناء الجزائر، وعادت من حيث جاءت بأمر من عثمان باشا، وفي يوم 22 فيفري 1769م قدم القبطان "بنكاز" (Binkes)، إلى مدينة الجزائر لتجديد المعاهدة القديمة ورافقه بارجة بحرية وثلاث سفن محملة بالهدايا المطلوبة، والتي تم إنزالها يوم 3 مارس من نفس السنة<sup>3</sup>. وتم الصلح بين البلدين على أن تدفع هولندا للجزائر مبلغ عشرة آلاف سكة جزائرية<sup>4</sup>.

**5-2 السويد:** حسب "دوقرامون" أن السويد خضعت لأوامر الداوي محمد بن عثمان مباشرة من أول استدعاء لتقديم ضريبتها من الذخائر والعتاد البحري، والتي قدرت بثلاثمائة ألف ليرة، دون حساب الهدايا المعتادة، وتشير الوثائق رقم: 438، 439، 440، 441، 442، 443،<sup>5</sup> التي مازالت تحتفظ بها المكتبة الوطنية الجزائرية إلى كميات الذخائر

<sup>1</sup> A. Sacerdoti, Op.cit, p.296

<sup>2</sup> أورد سجل الغنائم لدوفو أن رياس البحر الجزائريين أسروا سفينة لجمهورية البندقية في نهاية سنة 1796م مع طاقمها المتكون من 52 بحارا، وفي مارس 1797م قبض على سفينتين لها محملتين بسلع مختلفة وفي 13 أوت 1798م احتجز الرياس سفينة محملة بالقمح سنة 1798م. ينظر:

A. Devoulx, Le registre des primes, R.A., VOL. N°15, Ann.1871, éd. A. Jourdan, Alger, pp.368-374

<sup>3</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.318

<sup>4</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص.16

<sup>5</sup> م. و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثائق رقم، 439، 438، 440، 441، 442، 443، وهي عبارة عن بيان للمعدات والذخائر التي كانت تقدمها الدول الأوربية لإيالة الجزائر في الفترة الممتدة من 1797-1805م. وتخص الوثيقة الأولى (438) دولة هولندا والباقي خاصة بالدولة السويد.

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

الحربية والعتاد البحري الذي كانت تدفعه هولندا والسويد إلى الجزائر، ولكن للأسف الوثائق المتوفرة لدينا تغطي الفترة من 1797-1805م أي الفترة التي تلت مدة ولاية محمد بن عثمان باشا، وتبين لنا مختلف المواد التي كانت تقدمها تلك الدول وكمياتها، والتي قمنا بتلخيصها على حسب نوعية المواد المقدمة بعدما حاولنا التعرف على معنى تلك الأسماء والألفاظ المكتوبة في الوثائق من خلال القاموس الذي أعده الدكتور بن شب والموسوم ب: "الكلمات التركية المستعملة في اللهجة الجزائرية"<sup>1</sup>:

- آلات النجارة: منشار كبير، مبارد مختلفة الأحجام، مسامير كبيرة، وصغيرة.
- عتاد السفن: حبال المراسي عددها سبعة، خشب السفن، الألواح مختلفة منها لوح "روبلو" ولوح البرامل" صغير وكبير بإعداد كبيرة، صواري السفن، خشب لبناء السفن.
- ذخائر: البارود إضافة إلى كور المدافع.
- مواد ومعادن مختلفة: ورق على شكل رزم بأحجام مختلفة (كاغد)، رصاص، نحاس في أشكال مختلفة على شكل أسلاك، أو ورق، حديد، قطران.

### 3-5 الدانمارك:

لم تخضع الدانمارك لأوامر الداوي برفع الضرائب السنوية، فأعلن عليها الحرب في 14 أوت 1769م، رغم معارضة الباب العالي لتصرف الباشا إلا أنه أصر على موقفه بسبب تأخر الدانمارك في تقديم الهدايا، وكذلك بسبب سوء تصرف رجال بحريتها الذين منحوا علمهم لدولة معادية للجزائر وهي هامبورغ<sup>2</sup>.

ونتيجة لذلك أعدت الدانمارك حملة ضد مدينة الجزائر، قادها الأميرال "كاعس" (kaàs)، خلال شهر جويلية سنة 1770م، وقد شوهد من جبال بوزريعة إحدى عشرة عمارة حربية تحمل الإعلام الدنماركية، اقتربت من الساحل وألقوا مراسيمهم، فأطلقت عليهم البحرية الجزائرية نيران مدفعتها، فترجعوا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Mohammed Ben Cheneb, Mots Turks et persans conservés dans le parler Algérien, Thèse complémentaire, en vue du doctorat, université d'Alger, libraire-éditeur, Jules Carbonel, Alger, 1922, pp. 15, 71, 72

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.319

<sup>3</sup> Muhammad Ben Muhammad Al Tilimsani, Op.cit. pp.153-155

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

وقد حاولت الدانمارك بعد فشل حملتها العسكرية طلب الهدنة وعقد معاهدة سلام ولكن الداي محمد بن عثمان باشا رفض ذلك إلى غاية سنة 1772. أين قبل الصلح ولكن شريطة دفع تعويضات الحرب وفدية أسراهم<sup>1</sup>.

وعلق "دوقرامون" ساخرا من الحملة التي قادها الأميرال "كاعس" (kaàs): "لقد سخر محمد باشا من الدنماركيين وجعلهم يقومون بالحرب مع الأسماك". ويضيف ذات المصدر إلى شروط الصلح التي ذكرها الزهّار، أن الدانمارك تدفع مايلي:  
- أربعة مدافع من البرنز و400 قنبلية و40 مدفع حديدي.  
- خمسمائة قنطار من البارود و50 صارية كبيرة، حبال المراسي وخشب البناء والكثير من عتاد السفن

- الحقوق القنصلية التي لم تدفع منذ القطيعة<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الضريبة السنوية المفروضة على الدانمارك كانت تقدم في شكل ذخائر حربية وعتاد بحري كما تشير إلى ذلك الوثيقتين رقم 451، 452 ومن وأهم المواد التي اشتملت عليها الوثيقة رقم 451<sup>3</sup> لسنتي 1209 و1210 هـ / 1794-1795م: نذكر حبال المراسي والتي وردت بلفظ (قومنة)، (باز رقيق لقلوع الشقف، باز غليظ لقلوع الشقف) وكلمة (باز)، تعني قماش<sup>4</sup>، و(القلوع)، هي الأشرعة<sup>5</sup>، و(الشقف)، هي السفن، وعليه فالعبارة الأولى تعني قماش رقيق يستخدم في أشرعة السفن، والعبارة الثانية هي قماش غليظ لأشرعة السفن، وكانت الكمية المقدمة من النوع الأول حسب ما جاء في الوثيقة 2750 ذراعا، أما الثانية 2500 ذراعا، وفي السنة 1210 هـ: 500 قراطيل و465 قنطار بارود، وألف 1000 حجات البونبة، 41 قنطار حديد و22 رطل، دوائر حديدية كتبت هكذا(سيركوات) حديدية 34 قنطارا و36 أرطال .

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 25

<sup>2</sup> H-D-De Grammont, Op.cit, p.319

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 451. وهي بيان بالمعدات التي قدمتها الدانمارك لإيالة الجزائر في سنتي 1209 و1210 هـ (1794-1795 / 1796-1795م). ينظر صورة الوثيقة بالملحق رقم (4)

<sup>4</sup> Mohammed Ben Cheneb, Op. cit, p. 15

<sup>5</sup> خليفة حمّاش، وثائق عن تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص. 381

- ومن أهم ما اشتملت عليه الوثيقة 452 الخاصة بضريبة سنة 1217هـ / 1802م<sup>1</sup>:  
250 قراطيل بارود 250 و 232 قنطارا، رصاص 82 قنطار، مسمار 43 قنطار  
و 12 رطل، حبال 74 قنطار و 89 رطل، عدة أنواع مختلفة من الألواح مخصصة لأغراض  
مختلفة وبكميات مختلفة إضافة لأخشاب كبيرة عددها 25 .  
وقد حفظت لنا الذاكرة الشعبية قصيدة من الشعر الملحون حول تلك الأحداث تترجم  
عاطفة الايمان المتأججة وتشيد بنصر الإسلام على ملة الكفر والعدوان<sup>2</sup>:

اسمعوا يا قوم ما طرا	في هذي القصة نعيده
قصة هذا الكافر ظاهرا	ديل المرك أخزيو جده
حلفوا بأمانات كفرهم	جاوب ها الطمعة محرشا
لكفار ابليس غرهم ظنوا	في البهجا مشوشا
خذلهم ربي وذللهم	لا صلاح الإسلام كيف شا

### 4-5 العلاقات الجزائرية الإنجليزية:

يبدو أن العلاقات الجزائرية الإنجليزية كانت في بداية نشأتها "ودية" إلى حد أن  
القنصل الإنجليزي كان يستقبل من طرف الداوي علي باشا متقلدا سيفه على عكس قناصل  
الدول الأخرى، لكن الداوي محمد بن عثمان باشا، كان له موقف آخر، هذا يعود إلى  
شخصيته القوية، فقد أمر حاجبه بعدم دخول أي قنصل متقلدا سيفه.<sup>3</sup>  
والظاهر أن القنصل السيد "فرايزر" (Fraser) قد رأى في تجريده لسيفه مساس  
بكرامة إنجلترا وإهانة لبلده، فسعى إلى تعقيد الموقف الذي أدى إلى توتر العلاقات التي  
ازدادت تفاقما، حين طلب هذا القنصل من الداوي فتح مشروع شركات تصدير الحبوب إلى

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة، رقم 452، بيان بالمعدات التي قدمتها الدانمارك للجزائر في 22 رجب

1217هـ / 17 نوفمبر 1802م. لمزيد من التفاصيل ينظر، صورة الوثيقة بالملحق رقم (5)

<sup>2</sup> عثر على هذه القصيدة محفوظة في أوراق المستشرق فتير دو باري بالمكتبة العامة بباريس، ونشرها الأستاذ مولود قاسم  
نايت بلقاسم في كتابه، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، شركة دار الأمة، ط2،

الجزائر، 2007، ص. 104

<sup>3</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.319

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

انجلترا من الجزائر ورأى الداوي أن هذا المشروع سيكون على حساب شعبه وسينعكس على الوضع الاقتصادي في البلاد الذي قد يؤدي إلى ثورة داخلية<sup>1</sup>. ومن المحتمل أن بريطانيا المنافس الكبير لفرنسا التي كانت -كما هو معلوم- تحظى بامتيازات كبيرة في الشرق الجزائري، كانت تسعى بكل ما أتيت من قوة للحصول على مثل تلك الامتيازات التي كانت فرنسا تتمتع بها. وبالرغم من تدخل السلطان العثماني (عبد الحميد الأول 1774-1789م)<sup>2</sup> وإعطاء الأمر إلى محمد بن عثمان باشا بمقتضى "فرمان" لترضية الإنجليز إلا أن الداوي رفض له ذلك، وطالب من الملك أن يعين قنصلا جديدا عام 1776م<sup>3</sup>. وعلى أية حال، سعت إنجلترا إلى توطيد علاقتها السياسية والتجارية بإيالة الجزائر، خاصة أثناء وبعد حربها مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوروبيين، فقد كانت تحاول أن تؤلب الباشا ضد السفن الأمريكية والفرنسية والإسبانية، كما توسطت لديه لعقد معاهدة هدنة مع البرتغال سنة 1785م، حتى يتفرغ لمهاجمة السفن الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي<sup>4</sup>، التي كانت قد استقلت عنها حديثا وراحت تقطع المحيط وتجوب البحر بسفنها لتطوير نشاطها التجاري، وهذا ما لم يسمح به الإنجليز خوفا من المنافسة التجارية القوية لهذه الدولة الفتية.

وبحلول سنة 1783م برزت من جديد مشكلة حمل السيف، وهي مشكلة استفزازية مفتعلة الهدف منها كما يبدو تحقيق المصالح التي رفضها الداوي للإنجليز وهي تشبه حادثة المروحة، فأمر محمد بن عثمان باشا بطرد القنصل الإنجليزي نهائيا من الجزائر، بسبب رفضه نزع سلاحه عند دخوله مجلسه وتهديده للداوي<sup>5</sup>، ويذكر "كاثكارت" أنه منذ وفاة القنصل "بنطون" (Benton) آخر قنصل لبريطانيا بالجزائر لم تعين قنصلا جديدا حتى وصل المستر "شارل لوجي" (Charles Logie) الذي استلم منصبه قبل عقد معاهدة

<sup>1</sup>H-D-De Grammont, Op. cit, p.333

<sup>2</sup>تولى الحكم من سنة 1774 - 1789م

<sup>3</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.323

<sup>4</sup> بلبراوت بن عتو، المرجع السابق، ص. 93

<sup>5</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.333

## الفصل الثالث: السياسة الخارجية

السلام مع إسبانيا بوقت قصير سنة 1785م. وقد عين "جون ولف" التاجر البريطاني الكبير الذي كان على خبرة واسعة بشؤون بلاد المغرب قائما بأعمال القنصلية البريطانية عندما كان المنصب شاغرا<sup>1</sup>. وقد زود الملك القنصل الجديد قبل حلوله بالجزائر بتعليمات تقضي بأن يسلك سلوكا مرضيا مع الداوي<sup>2</sup>. واستمرت العلاقات بين بريطانيا والجزائر ودية إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ثم سلكت منحى آخر كما سنبين ذلك في حينه.

### رابعا: العلاقات الجزائرية الروسية

لم ترتبط روسيا بمعاهدات مع الجزائر قبل أو أثناء عهد محمد بن عثمان باشا، لكونها في حالة حرب شبه دائمة مع الدولة العثمانية، وقد شاركت الجزائر في كل حروب الدولة العثمانية في تلك الفترة ضد روسيا تضامنا معها بجزء من أسطولها الحربي، لأنها هي بدورها لم تسلم من الحروب كما رأينا، وقد شارك الأسطول الجزائري في حرب (1768-1774م) وحرب (1787-1791م)، وقد أشاد العثمانيون بالمشاركة الجزائرية في تلك الحروب<sup>3</sup>.

ويذكر "دوقرامون" أن: <sup>4</sup> "روسيا عرضت مرارا وبإلحاح على الجزائر، وخاصة في عهد محمد بن عثمان باشا عقد معاهدة سلم، ولكن الداوي رفض ذلك". وبعد انتصار روسيا على الدولة العثمانية في سنة 1791م رتبت شروطا في معاهدة "ياش" (1792/01/09م) لحماية سفنها التجارية من إيالة الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، على غرار ما قامت به النمسا في معاهدتها الأخيرة مع الدولة العثمانية، وطالبت الباب العالي بضمان سلامة سفنها ودفع تعويضات عن الخسائر التي قد تلحقها بها إيالات المغرب، ويذكر "كانتارت" أسير الداوي محمد بن عثمان باشا أن الداوي كان ينتظر وصول أوامر

<sup>1</sup> مذكرات كانتارت، المصدر السابق، ص. 15، 41، 42.

Ray.W.IRWIN, The Diplomatic Relations of The United States With the Barbary Powers, 1776-1816, The <sup>2</sup> Universty of Northe Caralina, Press , 1937,

ترجمة إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776-1816)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1984، ص. 36

<sup>3</sup> نذكر بين المؤرخين الأتراك يلماز أورتونا في كتابه، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص. 517، 573

<sup>4</sup> H-D-De Grammont, Op. cit, p.333

من الباب العالي قبل أن يتخذ موقف ضد روسيا والنمسا ومع ذلك فإن الأسطول الجزائري لم يأسر أية سفينة تابعة لهما.

### خامسا: العلاقات الجزائرية الأمريكية

قبل استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا (1783م)، كانت سفنها التجارية تسير في أمان تحت العلم البريطاني، من هجمات رياس البحر الجزائريين وباقي دول المغرب في حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>1</sup>، ولكن سرعان ما تغيرت الأمور في غير صالحها بعد استقلالها وأصبحت سفنها التجارية التي تعبر البحر الأبيض المتوسط عرضة للأسر من قبل تلك الدول وخاصة الجزائر.

وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية للدخول في مفاوضات السلام وافتداء أسراها وتأمين تجارتها، بعد مرور السفن الجزائرية إلى المحيط الأطلسي على إثر معاهدة السلام مع إسبانيا وأسرت الجزائر لأول مرة سفينتين أمريكيتين في صيف عام 1785م مع 21 أسير، بتحريض من القنصل البريطاني "لوجي" للداي محمد بن عثمان باشا ضد السفن الأمريكية،<sup>2</sup>.

وقد تولى المفاوضات مع الداي محمد بن عثمان باشا ومن الجانب الأمريكي السفير "جون لومب" الذي وصل إلى الجزائر في 25 مارس 1785م، وقد طلب المساعدة من قناصل الدول الأوروبية بالجزائر للتدخل لدى الداي لإقامة معاهدة سلام وتحرير الأسرى ولكنهم في حقيقة أمرهم كانوا يرفضون إقامة هذا السلام خاصة قنصلا فرنسا وبريطانيا، خوفا من المنافسة التجارية لهذه الدولة الفتية والغنية، ومن جهة أخرى رفض الداي الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة سلام جديدة في وقت كان مازال يتفاوض مع إسبانيا، والحكومة الجزائرية لا تدخل أبدا في مفاوضات مع دولتين في وقت واحد<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> راي إروين، المصدر السابق، ص. 8.

<sup>2</sup> مذكرات كاتكارت، المصدر نفسه، ص. 14-17.

<sup>3</sup> مذكرات كاتكارت، المصدر نفسه، ص. 43، 46.



وتم الاتفاق بين السفير الأمريكي والداي على أن تدفع حكومة دولته مبلغ 48300 دولار إسباني لفدية 21 أسير بعد عودته من بلاده في فترة أربعة أشهر، ولكن لم ينفذ الاتفاق<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن أعمال رياس البحر قد توقفت ضد السفن الأمريكية في آخر عهد محمد بن عثمان باشا نتيجة لمشاركة جزء من الأسطول الجزائري إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا ( 1787-1792م)<sup>2</sup>.

والخلاصة حول العلاقات الجزائرية في عهد محمد بن عثمان باشا أنها تميزت بالاستقرار والهدوء مع تونس والمغرب. والمساندة والتضامن العسكري بينها وبين الدولة العثمانية. واتسمت علاقاتها مع بعض دول أوربا بالاحترام للمكانة الجزائرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتجلت ذلك في تقديم تلك الدول للضرائب التي فرضت عليها كمعظم دول شمال أوروبا. وتراوحت بين العداء الشديد وقيادة الحملات الحربية ضد الجزائر مع دول أخرى كإسبانيا البرتغال والإمارات الإيطالية. وعرفت الاستقرار والهدوء وتبادل المصالح مع البعض الآخر كفرنسا.

<sup>1</sup> مذكرات كاتكارت المصدر السابق، ص.46

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص.53

# الفصل الرابع

## الأوضاع الاقتصادية

- أولا: توزيع الأراضي الفلاحية في الجزائر
- ثانيا: أنواع ملكيات الأراضي وحياراتها
- ثالثا: الإنتاج الفلاحي
- رابعا: التجارة
- خامسا: المبادلات التجارية البحرية
- سادسا: الحرف والصناعات
- سابعا: مصادر دخل الخزينة

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية في إيالة الجزائر طوال العهد العثماني تعتمد أساسا على الزراعة وتربية الحيوانات بصفة رئيسية، ذلك لأن الأغلبية الساحقة من السكان تقطن في الأرياف إذ بلغت نسبتهم 95% من مجموع السكان<sup>1</sup>، وتعيش على استغلال الأرض وتمارس نشاطا فلاحيا ورعويا، ثم يأتي النشاط التجاري في المرتبة الثانية، وبعده المهن والحرف التقليدية المختلفة.

### أولا: توزيع الأراضي الفلاحية في الجزائر

تتشكل تضاريس الجزائر من مناطق مختلفة طبيعيا ومناخيا، وعلى أساس الطبيعة والمياه والمناخ السائد، وعوامل أخرى استقر الإنسان الجزائري منذ القديم واختار المناطق الملائمة للعيش، واكتسب أراضي فلاحية قريبة منه لممارسة نشاطه اليومي. وقبل أن نفصل في أنواع الملكيات وحياسة الأراضي نتحدث عن توزيع الأراضي الفلاحية بالجزائر. تمتد الأراضي الفلاحية في الجزائر من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية الحدود الصحراوية جنوبا، وهي مساحة شاسعة تقدر بحوالي أربعمئة ألف كلم<sup>2</sup> مختلفة التضاريس والمناخ، ويظهر تأثيرها على الإنتاج الفلاحي، وتقسّم هذه المساحة إلى منطقتين رئيسيتين هما التل والهضاب العليا، ويمثل التل عموما الخصوبة والزراعة أما الهضاب العليا فتمثل الرعي وتربية المواشي<sup>2</sup>.

#### 1- التل:

يغلب عليه الطابع الجبلي ويمتد في سلسلتين متوازيتين وهما سلسلة الأطلس التلي والأطلس الصحراوي اللذين يحصران بينهما منطقة هضبية واسعة، وفي هذا القسم يتركز أغلب السكان ويسوده المناخ البحر المتوسط، والغطاء النباتي به كثيف، وتوجد به السهول الساحلية والداخلية الصالحة للزراعة، ومن أشهر السهول الساحلية التي هي عبارة عن شريط ينحصر ما بين البحر وسلسلة جبال الأطلس التلي: سهول متيجة وسهل عنابة

<sup>1</sup> René Gallissot, Essai de définition du mode de production de l'Algérie précolonial, in Revue algérienne des sciences juridiques économiques et politiques, vol. n°2, 1966, p., 386

<sup>2</sup> G. Abbé. Dervin, l'Afrique du nord, l'Algérie, son agriculture, son commerce, son industrie, sa colonisation, son avenir, éd. Epernay, Imp. Du Courrier. Nord Est. 1902. p. 10

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وهران، أما السهول الداخلية فهي مرتفعة وواسعة، أشهرها سهول تلمسان وسيدي بلعباس والسرسو وسهول قسنطينة<sup>1</sup>. وتبلغ مساحة التل الجزائري حوالي 12 مليون هكتار<sup>2</sup>.

### 1-1 المنطقة الساحلية ومميزاتها الطبيعية:

تتشكل المنطقة الساحلية من الشريط الساحلي ومنطقة القبائل الكبرى والصغرى وهي مجموعة جبلية تقطعها الأودية العميقة، ومنها وادي الصومام، وادي الزهور، وتحدها الكتل الصخرية والقمم العالية ومناخها معتدل في أجزائها المجاورة للسهول الساحلية، ولكنها تصبح باردة في أعالي الجبال المرتفعة وهوؤها جاف. ويسود المنطقة الساحلية مناخ البحر المتوسط الرطب، ومعدل التساقط السنوي بها مرتفع يتناقص من الشرق إلى الغرب والحرارة معتدلة. يكثر التساقط ببلاد القبائل من 800 - 1100 ملم في السنة، وكلما ابتعدنا عن هذه المنطقة تنخفض كمية الأمطار في مدينة الجزائر العاصمة 766 ملم، عنابة 738 ملم، وفي الغرب يتناقص معدل التساقط أكثر حيث يصل في وهران إلى 486 ملم/ السنة<sup>3</sup>.

وتتميز المنطقة الساحلية بصفة عامة بخصوبة تربتها وانتظام تساقط الأمطار بها، وتقطعها عدة أودية أهمها، وادي شيفة، مازفران، الحراش بالقرب من مدينة الجزائر، وادي يسر الذي يقطع سهل متيجة وفي الجهة الشرقية وادي سيبوس الذي يجري بسهل عنابة، ووادي الكبير وسيدي الشارف<sup>4</sup>.

ويتراوح معدل الحرارة بالمنطقة الساحلية ما بين +3° أقل درجة و +13° أعلى درجة حرارة في فصل الشتاء، و +20° أقل درجة، و +29° أعلى درجة في فصل الصيف، باستثناء بعض المدن الساحلية التي ترتفع فيها درجة الحرارة إلى غاية +42°، 45°، 48° في مدينة سكيكدة، وإلى +50° في الشلف، وفي الشتاء تنخفض إلى 2° و 3° تحت الصفر، ودرجات الحرارة المرتفعة كثيرًا، لا تدوم فترة طويلة لذلك فهي لا تؤثر على نمو النباتات. وما يميز مناخ السهول الساحلية كذلك هو ارتفاع الرطوبة في

<sup>1</sup> سمير بوريمة، محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، طبعة جديدة مزينة ومنقحة، الجزائر،

(د ت)، ص. 13

<sup>2</sup> G.CAHN, Algérie, De la Constitution. De la Propriété indigène, éd.,Challamel Aine, Paris, 1880, p., 11

<sup>3</sup> G. Abbé. Dervin, Op.cit., p., 12

<sup>4</sup> Jean Despois, Op.cit., p. 151

الهواء، والتي تنقص تدريجيا كلما ابتعدنا عن البحر، فالحرارة المرتفعة تقضي عليها في الهضاب العليا والصحراء<sup>1</sup>.

وتتميز الجهة الغربية التالية باختلاف تضاريسها، وأمطارها غير منتظمة. ومن أشهر سهولها سهل وهران، "مليتة" و"مكتة" الهضبة الصغيرة لأرزيو ومستغانم، سهل سيق، الهبرة، الشلف، وأشهر أوديتها وادي الشلف بروافده، وهذه السهول هي رعوية أكثر منها فلاحية ما عدا في جهة وادي الشلف، وفي هضبة مستغانم<sup>2</sup>.

### 1-2 السهول الداخلية:

تمتد السهول الداخلية من الحدود التونسية إلى غاية الحدود المغربية على منطقة شاسعة. ومياه الأودية فيها لا تصب في البحر المتوسط بل تنحدر باتجاه بحيرات مالحة تسمى بالشطوط والسبخات التي تقع أسفل تلك السهول، باستثناء وادي الشلف الذي يقطع المنطقة الداخلية والشريط الجبلي ويصب في البحر من الجهة الغربية<sup>3</sup>، وتعرف السهول الداخلية بارتفاعها ومناخها مناخ البحر المتوسط شبه الجاف؛ البارد شتاءً والحار صيفا. ومن أهم السهول الداخلية هي السهول العليا الشرقية القسنطينية، ونواحي سطيف وسوق أهراس، ومنخفض تبسة (800-1000م) والتي يتراوح معدل التساقط السنوي فيها من 350-400 ملم، ويصل في خنشلة إلى 510ملم، وفي قالمة (637ملم)، ومن أشهر الأودية وادي الرمال بقسنطينة ووادي الحمام<sup>4</sup>.

ومن أهم السهول الداخلية الغربية سهل مغنية، سهل تلمسان (800م)، وحوض الرمشي سهل سيدي بلعباس، وسهل غريس بالقرب من معسكر (350-800م)، ومعدل التساقط السنوي يتراوح ما بين (400-500ملم)، ويكثر في هذه السهول سقوط الصقيع الذي يضر بنمو النباتات، أما فصل الصيف فهو معتدل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> G. Abbé. Dervin, Op.cit., p., 12

<sup>2</sup> Idem, p., 91

<sup>3</sup> Carette et Warnier, Description et division de l'Algérie, Libraire, L. Hachette, Paris, Alger, 1847. P. 9

<sup>4</sup> René Raynal, Jean Despois, Géographie de l'Afrique du nord-ouest, éd., Payot, Paris.1966, pp.176-181

<sup>5</sup> Idem, pp. 100-102

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

إلا أن هذه المنطقة تتميز بعدم الانتظام في التساقط وارتفاع درجة الحرارة صيفا، ففي مدة ست سنوات يكون عام واحد جيدا، وعامان متوسطان، وثلاث سنوات جافة، وهذا الشكل من التساقط يؤثر مباشرة على مواسم زرع وجني المحصول ومردوديته، فإذا سقطت الأمطار مبكرا تتم عملية الزرع العادية في فصل الخريف أكتوبر ونوفمبر، وإذا جاء الشتاء جافا وتبعه الربيع بنفس الطريقة تموت المزروعات وتتحول إلى حقول ترعاها الأغنام. وإذا حدث العكس وسقطت الأمطار في شهر ديسمبر فإن جني المحصول يتأخر أو يكون الإنتاج ضعيفا<sup>1</sup>.

2-الهضاب العليا: هي منطقة شبه جافة ليست حقيقة تلية وليست صحراوية، وهي تمتد على شكل حزام عرضي من الأراضي يتراوح علوها ما بين 900 و1000م وهي أكثر ارتفاعا في الشرق عنها في الغرب وتتخللها الكثير من المنخفضات والأحواض المغلقة ذات التصريف الداخلي حيث تنتشر السبخات والشطوط وأهمها الشط الشرقي وشط الحضنة. وتشكل جبال الحضنة الحد الفاصل بين الهضاب الشرقية، والهضاب الغربية كما تلتقي سلسلة الأطلس التلي مع سلسلة الأطلس الصحراوي عند جبال الأوراس في شكل عقدة جبلية متميزة، وتشكل أهم مناطق زراعة الحبوب في الجزائر منذ القديم<sup>2</sup>.

وبصفة عامة تعتبر منطقة الهضاب العليا منطقة انتقالية من الشمال إلى الجنوب، من حيث المناخ والغطاء النباتي، ويقل معدل التساقط بها عن 300ملم في السنة وهي نسبة غير كافية لزراعة الحبوب ولكن إمكانياتها الرعوية كبيرة، وينقطع فيها نمو الأعشاب والغابات وتنتشر الحلفاء التي تقاوم البرد والجفاف وتكثر في الجنوب التلي وتتمو مع الشيح في الجنوب الشرقي التلي<sup>3</sup>.

ومنطقة الهضاب العليا تتعرض أحيانا للرياح الجنوبية الصحراوية الجافة، وأحيانا أخرى إلى رياح "السيروكو" التي تهب من الشرق إلى الغرب، وقليل ما تحمل معها الأمطار والثلوج في الشتاء، ولذلك فالتغيرات المناخية بها حادة، إذ تبلغ درجة الحرارة في بعض النواحي في فصل الصيف (+40° إلى +48°)، وتنخفض إلى +14° في نهار

<sup>1</sup> René Gallissot, l'économie de l'Afrique du nord, Presses universitaire de France, Paris. 1961, p. 15

<sup>2</sup> سمير بوريمة، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص.13

<sup>3</sup> René Gallissot, Op.cit., p.21

الشتاء، كما تسقط الثلوج في أماكن أخرى، أما الأمطار فهي نادرة ولا يزرع الفلاحون سوى بعض الحبوب والأشجار المثمرة في المناطق الشمالية، وكلهم يسكنون الخيم وينتقلون من مكان لآخر بحثا عن الماء والمراعي، فهي أراضي الأغنام والماعز وفي بعض الأماكن يربون الخيول أين تكثر الحلفاء أما العشب والغابات فهي نادرة.<sup>1</sup>

3- **الصحراء:** تبلغ مساحتها نحو مليوني كلم<sup>2</sup> يفصلها عن الشمال سلسلة الأطلس الصحراوي الطويلة، وهي إقليم شاسع أغلب تكويناته صخور بركانية قديمة تمتاز بتضاريسها الهادئة، التي هي عبارة عن سهول واسعة من الرمال تتخللها بعض المنخفضات في الشمال الشرقي ومن أهمها منخفض "ملغيغ" أين تنتشر أهم واحات الجزائر في وادي ريغ ووادي سوف والزيبان، ويسودها مناخ حار جاف، والغطاء النباتي خفيف أغلبه أشواك، أما الاستقرار السكاني فيقتصر على الواحات.<sup>2</sup>

وتمتد السهول الصحراوية على ارتفاع أقل من 200م وهي ذات تربة رملية فقيرة إلى الماء وشتاء معتدل الحرارة وصيف حار وجاف محرومة من الرعي ماعدا في الواحات أين يقضي البدو نصف السنة في الصحراء والنصف الآخر في الهضاب العليا.<sup>3</sup>

والخلاصة أن جغرافية الجزائر غير متجانسة من ناحية التضاريس والمناخ، وهما من أهم العوامل المتحكمة في توزيع واستقرار السكان ونشاطهم، ومن ثمة ظهرت الاختلافات في مناطق الإنتاج الفلاحي والحرفي.

### ثانيا: أنواع ملكيات الأراضي وحيازاتها:

برز خلال العهد العثماني أربعة أنواع من ملكيات الأراضي وهي:

#### 1- أراضي الملك والعرش:

إن الحيّزة تعني أن الملكية جماعية ومشاركة وتعود في نهاية المطاف للقبيلة، وهي "أراضي العرش"، بينما الملك يتضمن انتقال الملكية إلى العائلة انتقالا كاملا ونهائيا<sup>4</sup>. وهي أراضي الملك أو الملكية الخاصة.

<sup>1</sup> G. Abbé. Dervin, Op.cit., p. 16, 17

<sup>2</sup> سمير بوريمة، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص. 18.

<sup>3</sup> Jean Despois, René Raynal, Op.cit., p., 196

<sup>4</sup> جبائلي محل العين، طبيعة الملك والعرش في الجزائر ما قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، العدد، 21، النصف الأول من سنة 1986، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986، ص. 83

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وإن تحديد أي شكل من أشكال الملكية لا يمكن فصله عن تحديد البنى الاجتماعية التي هي الشرط الأول لكل تملك وأساس استمراريته، فالبنية الاجتماعية المطابقة لشكل أراضي العرش هي القبيلة والتي تعني العرش ومجالها الجغرافي في آن واحد. وهما مفهومان لا ينفصلان عن بعضهما وكانت مستخدمة في العهد العثماني والبنية الاجتماعية المطابقة لشكل الملك هو العائلة.<sup>1</sup>

و"الملكيات الخاصة"، هي الملكيات الحرة التي يحق لمالكها التصرف فيها حسب رغبته وحسب الشريعة الإسلامية كالتنازل<sup>2</sup>، الرهن، الوقف، والتقسيم على الورثة، والتي تم اكتسابها بطريقة مشروعة إما عن طريق الشراء أو الوراثة مع ضرورة وجود عقد شرعي يثبت انتقال ملكيتها. وبصفة عامة تكثر أراضي الملك في المدن وضواحيها<sup>3</sup>، وفي المناطق التي تقطنها القبائل البربرية بالجبال، أين كل قطعة أرض خاصة ومعروفة ومحاطة بسياج حقيقي<sup>4</sup>، كما أن معظم أراضي قبائل الشاوية بالأوراس هي ملك<sup>5</sup>، وتوجد الملكيات الخاصة بالتل أين توجد الأودية والسهول الشاسعة دون انقطاع، ومن حق صاحب الملكية الخاصة بيع أرضه أو رهنها أو استئجارها عن طريق عقود تثبت ذلك<sup>6</sup>.

كما كانت الملكيات الخاصة تنتشر في سهول مستغانم الخصبة، وفي سنة 1830 شاهد الفرنسيون المزارعات والمنازل الجبلية تحيط بالوديان للأغنياء المالكين لها. وكانت قبائل الحشم تسكن القمم والتلال شرق مستغانم ومعسكر أين تكثر زراعة الزيتون وأشجار اللوز والتين كثيرة العدد<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> جباتلي محل العين، المرجع نفسه، ص. 82

<sup>2</sup> التنازل أو البيع كان نادرا جدا لأنه يعتبر أولا عارا كبيرا يلحق بالبائع وعائلته لأنه فقد إرث أجداده وأسلافه وثانيا لان البيع يتطلب موافقة الباي على التصريح بالبيع، كما يشترط أيضا عدم البيع للغريب وتلك الشروط تجعل أمر البيع صعبا أو مستحيلا ولمزيد من المعلومات عن إمكانية بيع أراضي الملك ينظر:

A.Nouschi, Op.cit., pp., 89-91

<sup>3</sup> WORNS, Recherches sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulmans, éd., R. FRANK, Paris, 1846, pp., 434-436

<sup>4</sup> ERNEST, Mercier, Questions Algériennes, la propriété foncière chez les musulmans d'Algérie, éd., Ernest le Roux, Paris, 1891, p., 11,12

<sup>5</sup> Lt. Colonel Lartigue, Monographie d'Aurès, Régime des Eaux dans le Tell et Sahara, Constantine, 1904, p., 223

<sup>6</sup> ERNEST, Mercier, Op.cit., p.,12

<sup>7</sup> Janine MONSONEGO, l'Activité économique de Mostaganem de 1830 à nos jours, éd, La Rose, Paris, 1950, p.14, 15



ويحق لصاحب الملكيات الخاصة أن يوقفها على عمل خيري أو لصالح مؤسسة عمومية، وهو ما يسمى بالوقف الخيري، أو يوقفها لصالح ورثة المالك وهو الوقف الأهلي، وقد شاعت الأوقاف بنوعها في العهد العثماني كثيرا من طرف أصحاب العقارات رغبة منهم في الحفاظ على أملاكهم من البيع والمصادرة والتقسيم<sup>1</sup>، ووقف الأراضي تتغير طبيعة ملكيتها من الملك إلى أراضي الوقف وهو نوع آخر من ملكيات الأراضي والتي تتقيد فيها حرية تصرف المالك الأصلي أو تلغى نهائيا.

وأما أراضي العرش فقد كانت تتواجد بالمناطق المفتوحة وعلى السهول الشاسعة مثل السهول العليا الشرقية لقسنطينة وبرج حمزة وعلى الحدود التونسية وتوجد أيضا بالجزبال مثل الجنوب الغربي للنامشة وجزبال إيدوغ،<sup>2</sup> وتوجد هذه الأراضي كذلك بالهضاب العليا ووحدات الصحراء أين تسكن قبائل عربية شبه بدوية تمارس زراعة معاشية، وتربية المواشي وتمضي فصل الشتاء في الجنوب وفصل الصيف في التل بالتفاهم مع قبائل هذه الأراضي، ومع ذلك تمتلك أراضي خاصة بها إلا أنها غير محددة بشكل جيد وملكيتها مشتركة بين أفراد القبيلة.<sup>3</sup>

وأراضي العرش بصفة عامة هي ملكية مشتركة بين أفراد القبيلة دون أن يكون للفرد حق التصرف فيها، ولكنها تقبل الانتقال من الآباء إلى الأبناء حسب العادات السائدة في ذلك الوقت.<sup>4</sup>

ومن مميزات أراضي العرش هو الاستغلال المباشر أي زرع الأرض للمحافظة عليها والانتفاع منها، وكما يمنع التنازل عنها أو كراؤها أو تقسيمها بشكل نهائي<sup>5</sup>. ومع ذلك تقوم الجماعة في موسم الحرث بتقسيم الأراضي الزراعية بالتساوي على أفراد القبيلة على حسب وسائل الإنتاج التي تمتلكها والبذور بعد أن يوزع أفرادها على مجموعات فلاحية متساوية العدد وتقوم كل مجموعة بحرث حصتها، ويتم زرع المحصول وجنيه

<sup>1</sup> M. HAMANI, l'Impact de la colonisation sur le foncier algérien, le cas de l'est de l'Algérie, in Montpellier, CIHEAM, Option Méditerranéennes, série, B. ,Etudes et recherche N°72,ann. 2015, p., 34

<sup>2</sup> Idem, p.33,34

<sup>3</sup> ERNEST, Mercier, Questions Algériennes..., Op.cit., p., 13

<sup>4</sup> A. Nouschi, Op.cit., p. 85

<sup>5</sup> M.HAMANI, Op.cit., p., 34

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بالتعاون المشترك، وهو ما يعرف "بالتوزيع"، وفي الأخير يقسم المحصول وفقا لما قدمه كل فرد في المجموعة من إمكانيات<sup>1</sup>.

ويمكننا القول أن كل فرد في العرش لا يحقق حاجاته من خلال قوة عمله وإمكانياته الخاصة فقط، بل بفضل التعاون المشترك لكل أفراد القبيلة في زرع الأرض وجني محصولها، ومع أن له الحق في زرع حصته من الأرض وتوريثها لأبنائه إلا أنه لا يمكنه بيعها أو التصرف فيها بأي شكل من الأشكال.

**2- أراضي البايلك أو أملاك الدولة:** تتكون أملاك الدولة من عدد كبير من العقارات بالمدن والأراضي بالأرياف كما تملك أيضا قطعانا من الحيوانات<sup>2</sup>. وأراضي البايلك هي سهول شاسعة ملك للحكومة، تمتد على شكل شريط عريض يحيط بقسنطينة وعلى شكل قطع متفرقة في مقاطعة الجزائر ووهران<sup>3</sup>، ويحق للحكام التصرف فيها وأغلبها تم إلحاقه بسجلات البايلك عن طريق المصادرة والشراء ووضع اليد في حالة الشغور<sup>4</sup>، وكانت تكتسي تلك الأراضي أهمية بالغة في الحياة الاقتصادية والسياسية أيضا، باعتبارها مصدر أساسي لتوفير الغذاء والثروة للخرينة العمومية، وكذا وسيلة فعالة لكسب طاعة القبائل وتقديم خدماتهم العسكرية والإدارية في مقابل استفادتهم من أراضي واسعة، وهذه القبائل تسمى قبائل المخزن.

في بايلك الغرب استقرت قبائل المخزن من الدواير والزمالة بالسهول الواسعة الخصبة المحيطة بوهران وهي الأراضي المصادرة من قبائل الأمحال المعادية للحكام العثمانيين وتعرف "بسبقة المخزن" مع كل عائلاتهم أين قام الباي بتقسيم مساحات معتبرة من الأراضي على كل عائلة قصد زرعها تسمى "المشقة"، وتفيد في دفتر البايلك مقابل أن تقدم هذه القبائل الفرسان في حالة الحرب، وضريبة سنوية عينية (العشور)، ومن حق الباي أن يلغي هذا الامتياز في حالة ما إذا أخل القايد بأحد شروط العقد أو في حالة ارتكابه

<sup>1</sup> Lt. Colonel Lartigue, Op.cit., p., 224

<sup>2</sup> Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie en 1838, Imp., Royale, Paris, Juin, 1839, p.36

<sup>3</sup> Carette et Warnier, Op.cit., p.44

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

لخيانة أو جريمة<sup>1</sup>، وتوجد قبائل مخزنية أخرى منها: عبيد شراقة والبرجية بمستغانم والهبيرة بمعسكر.<sup>2</sup>

وأول من قام باقتطاع أراضي المشتة لقبائل الدواير والزمالة هو الباي مصطفى بوشلاغم عام 1700م عندما تحالفت معه تلك القبائل في تحرير وهران الأول، وأعاد الباي محمد الكبير تثبيت عائلات تلك القبائل في أراضيها (مشاتها) القديمة فوراً بعد التحرير النهائي لوهران سنة 1792، ووزع بنفس الشروط أراضي أخرى على أفراد من عائلته وكبار قادته العسكريين<sup>3</sup>. والظاهر أن الغرض الحقيقي من تقديم هذه الامتيازات هو ضمان الولاء السياسي للقبائل وإخلاصهم ومساعدة البايات في حروبهم.

وفي بايلك التيطري كان يوجد مخزن الدواير والعبيد بناحية البرواقية بالقرب من المدينة<sup>4</sup>، وفي الجهة الغربية "بني سليمان" تحت قيادة آغا الجزائر مقابل تقديم فرسان الصبايحية. وكانت السهول الصحراوية الجنوبية تحرسها القبائل المخزنية البدوية لأولاد عبد الله وأولاد علي بن داود<sup>5</sup>.

وبدار السلطان كانت الأراضي المحيطة بها مقسمة إلى إحدى عشرة مقاطعة إدارية تسمى الأوطان كل واحدة تحت قيادة قايد تركي، وكل وطن يقسم إلى أقسام تسمى مشايخ يشرف عليها الشيوخ، ولا توجد قبائل مخزنية حقيقية تقطن في هذه الأراضي بل تراقبها شخصيات تركية بارزة تسكن بمدينة الجزائر، وتملك أحواشاً من الأراضي الواسعة ومستغلة جيداً، في حين كان سكان متيجة والساحل يزرعون الأراضي وفق نظام الملكية الجماعية<sup>6</sup>، باستثناء بعض الملكيات الخاصة مثل ملكية حمدان خوجة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> (P.EU.)BACHE, Origine et constitution de la propriété arabe in Algérie avant 1830, in: revue Algérienne et coloniale, T3.1860. Paris, pp., 693-697

<sup>2</sup> Marcel EMERIT, Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle. In: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 21<sup>e</sup> année, N. 1, 1966, p., 52

<sup>3</sup> (P.EU.) BACHE, Op.cit., p., 697

<sup>4</sup> René Gallissot, Essai de définition..., Op.cit., p., 403

<sup>5</sup> Marcel EMERIT, Op.cit., pp., 53-54

<sup>6</sup> Marcel EMERIT, Op.cit., pp., 54-55

<sup>7</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.87

وكما كان نظام قبائل المخزن موجود بسهل "سيباو" حيث كانت قبيلة عمراوة قبيلة مخزن وتستفيد من العزل وتتلقى الضرائب من القبائل الجبلية المجاورة، في مقابل إعفائها من الضرائب والغرامات الأخرى والسخرة.<sup>1</sup>

وأما في بايلك الشرق أراضي الدولة تتكون من ملكيات الباي الخاصة والأملاك التابعة للبايلك. وأملاك الباي هي من أجود الأراضي يخصصها للحدائق وزراعة الحبوب ويستغلها عن طريق تسخير قبائل الرعية المجاورة أو عن طريق نظام الخماسة<sup>2</sup>. وتلك الأراضي التابعة للبايلك تسمى العزل وتمتد على مساحة مستمرة تقطعها بعض الملكيات الخاصة وتصل حسب إحصائيات "وارنيي" التقريبية لسنة 1846 في مجموعها إلى حوالي عشرة آلاف هكتار<sup>3</sup>، وحسب نتائج لجنة (Sénatus Consulte) لسنة 1867، التي قامت بمسح تلك الأراضي تساوي 146 693 هكتار<sup>4</sup>، وعلى هذه المساحات الشاسعة لا توجد سوى قبائل الزمول جنوب قسنطينة على طريق باتنة تعتبر كقبائل مخزن منذ استقرارها بالمنطقة في القرن الثامن عشر وأُعفيت من الضرائب مقابل تقديم خدماتها العسكرية، وكانت تمد الباي بسبعمئة فارس في وقت الحرب، وتراقب القبائل المجاورة لها<sup>5</sup>.

وباقى المساحات الأخرى كان الباي يقوم بزراعة جزء منها باستخدام الخماسة الذين يقدم لهم البايلك الأرض والمحراث والبذور وحيوانات الحرث، وفي المقابل تتحصل على أربعة أخماس من المحصول، ويأخذ الفلاح الخمس عن كل جابدة<sup>6</sup>، ويستأجر قسما آخر من العزل للفلاحين ويسمى عزل الجابري، ويعين عليه قائدا يسمى قائد الجابري، أو قائد التراب<sup>7</sup>. ويدفع صاحب العزل ضريبة الجابري وهي 12 صاعا قمحا و12 صاعا شعيرا عن كل جابدة وهي تقريبا نصف ما تنتجه الأرض<sup>8</sup>، والجابدة هي ما يحرثه محراث

<sup>1</sup> René Gallissot, Op.cit., p., 403

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op.cit., p. 79

<sup>3</sup> Carette et Warnier, Op.cit., p.44

<sup>4</sup> A. Nouschi, Op.cit., p. 84

<sup>5</sup> Marcel EMERIT, Op.cit., p., 55

<sup>6</sup> Tableau de la situation des établissements..., en 1838, Op.cit., p.36

<sup>7</sup> محمد الطاهر النقاد، المخطوط السابق، ورقة، 21

<sup>8</sup> Lt. Colonel Lartigue, Op.cit., p., 226

خشبي يجره حيوانين إما من البغال أو ثورين أو غيرهما، ومتوسط مساحتها حوالي ثمانية هكتارات<sup>1</sup>، وإضافة إلى ذلك يدفع الفلاح العشور وعدد من حمولة التبن.<sup>2</sup> هذا، وتخصص أقسام أخرى من العزل لقطعان البايك من الخيول، الجمال البغال، الأبقار والأغنام وغيرها من المواشي<sup>3</sup>. أما المناطق الجبلية فيمنحها الباي إلى العائلات الكبرى مقابل ضريبة نقدية، ومن أهم القبائل التي كانت تعيش على العزل بالشرق الجزائري، قبيلة زناتة، أولاد دراج، دريد، أولاد عزام، أولاد بن حلوف، أولاد رحمون وغيرها<sup>4</sup>. وعلى أية حال كانت الحكومة تشتري ولاء بعض القبائل وخدماتها العسكرية والإدارية نظير ما تقدمه من الأراضي الزراعية الواسعة، فهي من ناحية تخضع تلك القبائل لطاعتها ومن ناحية أخرى تفرض عليهم مراقبة باقي القبائل المجاورة وبالتالي تسيطر على الوضع السياسي الداخلي، وكما أن هذه السياسية "سياسة فرق تسد"، تزرع العداة والفرقة بين القبائل الجزائرية وتضمن عدم توحيدها ضد السلطة الحاكمة. كما كانت أراضي البايك أيضا موردا اقتصاديا لا ينضب وورقة ضغط على القبائل لإخضاعها. وفي كلا الجانبين أعطت نتائج هامة للحكام وكبار المسؤولين.

**3- أراضي الموات (البور):** وهي تلك الأراضي التي لا تنتج شيئا وهي ليست ملكا لأحد، وكل شخص مسلم أو غير مسلم يحيي أرضا شاغرة يكتسب ملكيتها ويمكنه التصرف فيها بحرية باستثناء تلك المتاخمة للأراضي المزروعة أو المراعي، ولكن الأراضي التي بها الصخور أو الأشواك وهي شاغرة، ولم تزرع منذ ثلاث سنوات وليست ملكا لأحد، يمكن أن يستغلها أي إنسان لنفسه، كما أن الذي يحفر بئرا في أرض شاغرة تصبح ملكا له<sup>5</sup>. وهذا يعني أن الفلاح بالعمل والجهد يمكنه أن يزيد من ملكيته الخاصة ومدخوله إذا استطاع استصلاح أرض بور.

كانت هذه هي أنواع الأراضي السائدة خلال العهد العثماني. ومما يسترعي الانتباه حول الملكيات أن الملكية الخاصة كانت هي الأصغر مساحة لأنها عرضة للمصادرة والتقسيم من طرف الورثة على عكس أراضي الوقف والباييك تزيد يوما بعد يوم على

<sup>1</sup> Lt. Colonel Lartigue, Op.cit., p., 226

<sup>2</sup> Tableau de la situation des établissements..., en 1838, Op.cit., p.36

<sup>3</sup> Carette et Warnier, Op.cit., p.44

<sup>4</sup> A. Nouschi, Op.cit., p. 80,81

<sup>5</sup> WORNS, Op.cit., p., 58

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

حساب الملكيات الخاصة. أما أراضي المخزن فقد كانت وسيلة ضغط على القبائل المتمردة وإخضاعها دون التدخل المباشر للحكام.

### ثالثا: الإنتاج الزراعي وتربية المواشي

#### 1 - أهم المحاصيل الزراعية في الجزائر:

1-1 زراعة الحبوب: عرفت إيالة الجزائر في عهد محمد بن عثمان باشا وفترة الإنتاج الزراعي من الحبوب وخاصة من القمح والشعير في المواسم الجيدة. ولم تخل هذه الفترة من بعض السنوات الصعبة التي انتشر فيها الجراد (1767، 1775، 1778، 1779) وعم الجفاف (1773، 1775، 1776، 1780)<sup>1</sup>، وظهر الطاعون (1787، 1788)<sup>2</sup>، ذلك لأن تأثير الكوارث في هذه الأوقات كان محدودا على مستوى إنتاج الحبوب خاصة، لأنها تعتبر الغذاء الأساسي لكل سكان الإيالة وخاصة القمح والشعير، وزراعتها منتشرة في السهول والجبال، كما يرجع الفضل إلى سياسة الداوي الذي منع تصدير الحبوب للأجانب خلال الفترات الحرجة وعاقب بشدة كل من خالف أوامره<sup>3</sup>.

وبصفة عامة ظلت الحبوب متوفرة في الأسواق لجودة المواسم الفلاحية ما بين فترات الجفاف، وبأسعار منخفضة. هذا ما تحدثت عنه الرسائل التي بعثها شيخ المعزول<sup>4</sup> بالقالة عبد الله إلى السيد مارتن وكيل الشركة الإفريقية الفرنسية الملكية والتي تبين أنه في سنوات 1768، 1769، 1778، 1779، كان المحصول "خييرا كثيرا" من القمح والشعير وسعر الشراء لم يكن يتجاوز الريالين لكيلة القمح والريال للشعير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، دار البصائر، طبعة ثالثة منقحة ومعدلة، الجزائر، 2012، ص. 96

<sup>2</sup> Ventrué de Paradis, Op.cit., p. 30

<sup>3</sup> سبق وأن أشرنا إلى معاقبة الخزناسي الذي خالف أوامر الباشا وقام ببيع الحبوب إلى الشركة الملكية الإفريقية بعد تزوير تسريح الداوي . ينظر، الفصل الأول.

<sup>4</sup> المعزول هي قبائل تسكن في ضواحي القالة، وشيخهم كان في ولاية الح باي عبد الله بن أبي العباس، وكان يتحكم في تجارة الحبوب في المنطقة، ويتحصل على رسم على كل الصادرات، ويقبض من الشركة الملكية كل سنة على نحو ما يقارب 60 أو 70 فرنكا. إضافة إلى الهدايا التي كانت تقدم إليه، ينظر:

Ch.L. Féraud, Histoire des villes de la Provence de Constantine Calle, éd. V. AILLAUD, Alger, 1877, p., 485

<sup>5</sup> A.C.CM, LIII, article 360, Compagnie royale d'Afrique correspondants à l'étranger. Barbarie correspondance avec le Cheikh Abdallah, lettres, sans numéro, Ann., 1768, 1769, 1778-1779

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

كما أن وفرة المحاصيل تعود إلى الجهد الذي بذله الفلاح الجزائري، وإلى المساحات الزراعية الواسعة والأراضي الخصبة، وليس إلى الوسائل المستعملة أو التقنيات الفلاحية، ذلك أن الفلاح الجزائري لم يكن يعرفها، بل إنه اعتمد على وسائل إنتاج أقل ما يقال عنها بدائية عتيقة وتمثلت أساساً في المحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات (ثوران أو من البغال وغيرها)<sup>1</sup>.

ومن أهم عيوبه هو الحرث السطحي للتربة، فهو لا يصل إلى العمق ولا يقطع جذور النباتات الضارة. على عكس الحرث الجيد أو العميق فهو يجعل الطبقة العليا من التراب مفتتة ومكسرة، وهي تسمح بتسرب الماء والهواء بشكل جيد نحو الجزء السفلي من التربة. وبالنسبة إلى السماد الذي هو مصدر الغذاء الأساسي للنبات ويمده بالعناصر الغذائية اللازمة لنموه، لا يستعمله الفلاح، فكان يقوم بحرق الحقول في الصيف من الأعشاب والأشواك فيصبح سطح الأرض صلباً، أو يترك الأرض لترتاح سنة بعد زرعها سنتين<sup>2</sup>.

وينتظر الفلاحون سقوط الأمطار في فصل الخريف للحرث وزرع الحبوب، وإذا كان الموسم جيداً يتم جني المحصول نهاية شهر ماي، أو بداية شهر جوان بواسطة منجل يدوي صغير، حيث تقص السنابل وتجمع على شكل كومة كبيرة في مكان واحد ثم تجري عليها الخيول أو البغال، وتسمى عملية الدرس، ثم تأتي التصفية التي يستعمل فيها الرجال المذراي لتصفية الحب عن القش في الرياح، لتبعد حطام السنابل عن حبوب القمح، ويقوم كل من يود تخزين محصوله بحفظه في المطامير، وهي عبارة حفر تحت الأرض تبقى الحبوب فيها صالحاً للاستهلاك لعدة سنوات<sup>3</sup>.

أما عن مردود الهكتار من القمح، فكان يختلف من منطقة إلى أخرى، ينتج 22 قنطاراً في الأراضي معتدلة الخصوبة. ويصل في الأراضي الأكثر خصوبة إلى 50 قنطاراً أو أكثر في الهكتار<sup>4</sup>، ولخصوبة التربة وتساقط الأمطار دور كبير في مردودية الهكتار.

<sup>1</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, 2<sup>e</sup> édition, Ch. Picquet, 1830, p. 172

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op.cit., pp.62-64

<sup>3</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique..., Op.cit., p.172

<sup>4</sup> L. Baudicour, La colonisation de l'Algérie, Libraire-éditeur, CHALLAMEL AINE, Paris, 1856, pp. 23-24

وأضاف "بوديكور" (BAUDICOUR) سببا آخر لا يقل أهمية عن بقية الأسباب المذكورة، وهي كمية البذور المستعملة في الهكتار، فهو يقول أن الفلاح الجزائري يزرع نصف كمية البذور التي يزرعها الفلاح الفرنسي في الهكتار الواحد، فالأول يزرع 1 هكتولتر من البذور في الهكتار مقابل أكثر من 2 هكتولتر يزرعها الثاني في نفس المساحة، وبالتالي يحصل على محصول أقل بكثير من الإنتاج الفرنسي.<sup>1</sup>

وبالرغم من الوسائل البدائية البسيطة وانعدام الطرق العلمية في زراعة الحبوب إلا أن المحاصيل وخاصة من القمح والشعير كانت مرتفعة، وتحقق الاكتفاء الغذائي للسكان والفائض يصدر إلى أوروبا بكميات كبيرة. كما سنتطرق إليه في حينه. ولعل من أهم الأسباب الأخرى لزيادة الإنتاج هي سياسة محمد بن عثمان باشا الرامية لتشجيع زراعة الحبوب. وكان صدى هذه السياسة واضحا من خلال اهتمام باياته بزراعة الحبوب في الشرق والغرب خاصة أين تتوفر الأراضي الخصبة.

ففي الشرق كانت زراعة الحبوب تحتل الصدارة، وخاصة القمح الصلب لوفرة السهول الخصبة، وأهمها السهول المحيطة بمدينة قسنطينة، سهول مجانة، سهل عنابة، سهل وادي زناتي وقالمة. كما أن كل القبائل في الشرق يزرعون القمح والشعير وحتى في بلاد القبائل والشاوية في الجبال<sup>2</sup>. وهذا يوضح أهمية القمح والشعير في التغذية المحلية، إضافة إلى ذلك كان البايك ينتج القمح اللين والشعير والخرطال والذرة والبقول الجافة من فول وحمص، عدس، فاصوليا وبازلاء، التي تغرس في كامل البايك وفي المناطق الجبلية الملائمة وبعض جهات الهضاب العليا الداخلية الممطرة<sup>3</sup>.

وفي عنابة استثمر صالح باي أموال الحبوب لصيانة شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة في سهل عنابة باتجاه وادي سبوس، وأشرف على استصلاح مساحات واسعة بين منطقتي عين مليلة وعين كرشة، ووزعها على قبائل الزمول والسقنية، كما شجع على

<sup>1</sup> Idem., p., 24

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op.cit., p.67

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية...، المرجع السابق، ص. 165



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بناء الطواحين المائية على جوانب الأودية بالقرب من المدن<sup>1</sup>، وبنى كذلك ثلاثة مخازن كبيرة لحفظ قمح البايك بسطيف وبرج وادي الذهب وآخر برج المعمره (؟)<sup>2</sup>.

وفي الغرب شجع محمد الكبير باي الغرب زراعة الحبوب في بايلكه وقدم سعراً أعلى من الرحبة للفلاحين ليشتري منهم القمح، وكان يزرع لحسابه الشخصي الحبوب ويتشارك مع غيره، وكما أنشأ بمعسكر بعض المخازن بشاطئ أرزيو وعين وكيلاً يدفع نقداً دون تأجيل لكل العرب الذين يجلبون القمح، بعد ذلك يقوم بإعادة بيع القمح والشعير بإذن من الداى إلى السفن الإسبانية والفرنسية التي تأتي لتشحنه.<sup>3</sup>

ومن أهم السهول المنتجة للحبوب في بايلك الغرب والتي تحقق نجاحاً سهول سيدي بلعباس، فتربتها خصبة وخفيفة تحرت بسهولة حتى بالوسائل التقليدية وتعتمد أساساً على سقوط الأمطار المبكرة أي خلال شهر سبتمبر وأكتوبر<sup>4</sup>، وكانت زراعة الحبوب منتشرة كذلك في سهل الشلف ولدى قبيلة "بني عامر" التي تمتد أراضيها ما بين وهران وتلمسان<sup>5</sup>، مع العلم أن سهول وهران كانت تحت الاحتلال الإسباني في هذه الفترة.

كما أن سهل وهران كان أقل خصوبة من سهل تلمسان أين يكثر إنتاج الحبوب والزيت، ويعتبر سهل غريس بالقرب من معسكر مخزن الحبوب لبايك الغرب، بالرغم من تمرد قبيلة "الحشم" القاطنة على أرضيه<sup>6</sup>، كما انتشرت زراعة الحبوب في سهل أرزيو الخصب وحقول مستغانم ومزرغان وتتس<sup>7</sup>.

وبدار السلطان كانت أراضي ساحل مدينة الجزائر وسهل متيجة الخصب تنتشر بها الفحوص وهي بساتين وحدائق وحقول ملك للعائلات الكبرى من الأتراك والكراغلة والحضر ويستأجرون الفلاحين لزراعتها والاعتناء بها<sup>8</sup>، وسهل متيجة كان يزود العاصمة

<sup>1</sup> E. Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1647-1792, Recueil des notes et mémoire de la société archéologique de la Provence de Constantine, 2ème volume, 2ème série, 1868, Collection, L. Arol et libraire éditeur, Constantine, pp. 363-364

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المخطوط السابق، ورقة، 21

<sup>3</sup> Ventrué de Paradis, Op.cit., pp.22-23

<sup>4</sup> G. Abbé. Dervin, Op.cit., p. 15

<sup>5</sup> Gabriel ESQUER, Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger, Chef de bataillon Boutin 1808, Librairie anciennes Hosore champion, Paris, 1927, p. 88

<sup>6</sup> Marcel EMIRIT, La situation économique..., Op.cit., p., 170

<sup>7</sup> إيف لاکوست وآخرون، المرجع السابق، ص ص. 146-145

<sup>8</sup> Pierre BOYER, Op.cit.,p.178

وأسواقها بكل ما تحتاج إليه بل ويزود البدو الرحل بالحبوب، ونظرا لخصوبته كان العرب يطلقون عليه أم الفقراء<sup>1</sup>، غير أن حمدان خوجة أعطى رأيا مخالفا لكل الفرنسيين الذين أشادوا بخصوبة سهل متيجة وقال إن قمحه سيء النوعية، وتكثر به حمى المستنقعات<sup>2</sup>، وربما أراد يصرف أنظارهم عنه، كما ذكر الأستاذ خميسي عبد الحميد<sup>3</sup> وخاف أن يخسر أملاكه فيه كتلك التي خسرها بمدينة الجزائر بعد الاحتلال.

هكذا كانت حكومة محمد بن عثمان باشا تولي زراعة الحبوب وخاصة القمح الصلب أهمية كبيرة وتضعه على رأس قائمة المحاصيل الزراعية، نظرا لجودته وكثرة الإقبال عليه من الخارج، فخصصت له الأراضي الواسعة والخصبة، وبإمكانيات بسيطة حققت نتائج كبيرة.

### 1-2 زراعة الزيتون والخضروات والأشجار المثمرة:

اهتم الفلاح الجزائري منذ القديم بزراعة أشجار الزيتون في المناطق الجبلية، خاصة تلك التي تمتد من جبال إيدوغ شرقا إلى الجبال المحيطة بالعاصمة غربا والتي تعرف بمنطقة القبائل، ويمارس سكانها نشاطا اقتصاديا ملحوظا في زراعة أشجار الزيتون والتين، حيث ينتجون زيت الزيتون بكميات كبيرة تقدر بنسبة 5/4 من إنتاج الإيالة و9/10 من التين المجفف<sup>4</sup> المشهورين به إلى غاية اليوم. ويعتبر زيت الزيتون بالنسبة لهم غذاءً أساسيا ودواءً لا يمكن الاستغناء عنه. ولم يكن إنتاج التين خاص بلاد القبائل، بل كان الفلاحون في نواحي مستغانم أيضا يجففونه ويبيعونه في مختلف الأسواق<sup>5</sup>.

كما شكلت الحدائق والبساتين أهم مصدر دخل لقبائل الشاوية خاصة في الجزء الشمالي من الأوراس، حيث كانت تزرع الحدائق بمختلف أنواع الأشجار المثمرة ويحاط بها سياج من الحجارة، وأهم منتوجاتهم المشمش الذي يجفف ويبيع في الأسواق، وأشهر

<sup>1</sup> E. DOUMAS, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Tell, Kabyle, Sahara, librairie, L. HACHETTE et Cie, Paris, 1853, p.24, 26

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص-ص 87-88

<sup>3</sup> خميسي عبد الحميد، مشكلة الغذاء وثورات الخبز في الجزائر وفرنسا خلال القرن 18 وبداية القرن 19م بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري 2، قسنطينة، 2005-2006. ص.10

<sup>4</sup> Jean Despois, Op.cit., pp., 151-163

<sup>5</sup> L. Baucadour, Op.cit., p., 41

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

الحدائق كانت لأولاد عبيدي وأولاد العبيود، على ضفاف الوديان وينتجون فيها كذلك الكثير من الخضر وخاصة البصل والبطاطا والفول والذرى والبطيخ.<sup>1</sup>

وفي بايلك الشرق، و-حسب محمد الطاهر النقاد- كان صالح باي شديد الرغبة في غرس الأشجار، فغرس حدائق وبساتين واسعة بمنطقة سيدي محمد غراب وفي غيرها، وبنى أبراجا وصهاريجا (خزانات المياه) لسقي الزرع، وأكثر خاصة من غرس أشجار الزيتون وكان يأتي بشتلاتها من أوروبا ليحصل على نوعية جيدة. وأمر قبائل المخزن وأهل الشرق أيضا بغرس الأشجار، وشجعهم على ذلك فكان يكافئ كل من يغرس شجرة بريل، ومن أثبت له أنه زرع مائة شجرة يعطيه مائة ريال، وأمر بتقليم الأشجار وتفقدتها والعناية بها.<sup>2</sup> وبضواحي مدينة عنابة أين كانت تكثر حولها البرك والمستنقعات قام بتجفيفها واستبدالها بحدائق واسعة.<sup>3</sup>

وفي مقاطعة الغرب أنشأ الحكام العثمانيون سدين متواضعين الأول من الأغصان والطين والثاني من الآجر يأخذ اتجاه المياه من وادي سيق والهبرة ويستعمل لسقي بعض المزروعات مثل الذرة والأرز، وكانت المساحة الصالحة للزراعة في سيق تقدر بـ5400 هكتار تزرع بها الحبوب والخضر والبصل والخرشوف وتروى من السد القديم.<sup>4</sup>

أما الخضر فكانت تنتج بوفرة بسهل متيجة وساحل مدينة الجزائر، وبسهل عنابة أين تتوفر الوديان لسقي تلك المحاصيل، وكل سنة كانت تخرج من ميناء الجزائر شحنة من الخضر وكذلك من مدينة عنابة باتجاه مرسيليا لصالح الشركة الملكية الإفريقية كما تدل على ذلك سجلات الغرفة التجارية بمرسيليا.<sup>5</sup> ومن بين الخضر التي كانت تزرع بالجزائر: الطماطم، الفلفل، الخيار البصل، البطيخ الأصفر والأحمر، أما البطاطا فكانت معروفة

<sup>1</sup> Lt. Colonel Lartigue, Op.cit., p., 217

<sup>2</sup> محمد الطاهر النقاد، المخطوط السابق، ورقة، 11

<sup>3</sup> H'sen Dourd, Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, Tom II, éd., société nationale d'édition et diffusion, Alger, 1983, p.150

<sup>4</sup> Jean Despois, Op.cit., p.,91

<sup>5</sup> A.C.CM. I 11, Registre des arrivées de navires venant des échelles du levant et de Barbarie du 31Mai 1769 au 31 Décembre 1774 avec les noms des navires et des capitanes, des ports d'attache des ports de Provence de la nature de chargements et des destinataires. Ann. 1766-1769 / A.C.CM. I 12, Registre des arrivées de navires venant des échelles du levant et de Barbarie du 31Mai 1769 au 31 Décembre 1774 avec les noms des navires et des capitanes, des ports d'attache des ports de Provence de la nature de chargements et des destinataires. Ann. 1770

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

ولكنها قليلة الانتشار. ومن الفواكه كان ينتج عنب المائدة الذي يصنع منه العنب المجفف والمعجون إضافة إلى أشجار الإجاص والتفاح والخوخ والمشمش واللوز والرمان<sup>1</sup>، وينتج سهل متيجة أحسن أنواع البرتقال.<sup>2</sup>

وفي الواحات الصحراوية كانت تخرس أشجار النخيل بكثرة، ومن أشهرها واحات أولاد زيان بالقرب من بسكرة، وأشهرها واحة "جموراح" وتضم ثمانين ألف نخلة تمتد على أراضي واسعة، وتسقى من منابع المياه المتوفرة بالواحة، وواحة "بني سويق" وتضم عشرة آلاف نخلة وتنتج عدة أنواع من التمر، أشهرها دقلة نور.<sup>3</sup>

ومن أهم الزراعات التي أدخلها الأتراك إلى الجزائر هي زراعة الأرز الذي كان يخرس بسهل متيجة وقد تحدث عنه الطبيب طوماس شو<sup>4</sup>، وفي سهول مجانة ببايلك الشرق<sup>5</sup>، كما قام صالح باي باستغلال المياه المتوفرة في سقي المساحات المغروسة بالأرز بمنطقة الحامة (حامة بوزيان حاليا)<sup>6</sup>، وكما يخرس أيضا بسهول مليانة و"مينا" وبضواحي معسكر بالغرب، وينتج من 5 إلى ستة آلاف قنطار سنويا، وهي تكفي للاستهلاك المحلي، ما عدا كبار الأوجاق فإنهم كانوا يستهلكون الأرز المصري.<sup>7</sup>

وكان الأرز من بين الأغذية الأساسية التي تقدم لجنود الأوجاق، إذ يوزع عليهم في الثكنات أو خلال خرجاتهم إلى مختلف أنحاء البلاد، وقد سجل دفتر التشريعات الكميات المقدمة للجنود في عدة حالات<sup>8</sup>. وما يبيّن أهميته كذلك وجود أمين يطلق عليه أمين الأرز

<sup>1</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p., 170

<sup>2</sup> Pierre BOYER, Op.cit., pp., 181-183

<sup>3</sup> Lt. Colonel Lartigue, Op.cit., p., 222

<sup>4</sup> Thomas Shaw, Op. cit., p., 291

<sup>5</sup> Venture de Paradis, Alger au (18<sup>e</sup>) siècle, Op.cit., p.23

<sup>6</sup> E. Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1647-1792, Op.cit., p. 363

<sup>7</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.23

<sup>8</sup> كان الأرز يوزع على الجنود في الثكنات، ويقدم كذلك إلى كل خيمة من الجنود أثناء خروجها؛ 25 رطل من الأرز، بالإضافة إلى الأغذية الأخرى، تشريفات، المصدر السابق، 39، 45.

يعين كباقي أمناء الحرف والصناعات يشرف على زراعته ويجمع الضرائب ويدفعها إلى الخزينة.<sup>1</sup>

**1-3 المزروعات ذات الطابع التجاري:** كالقطن والكتان والتبغ، وهذا الأخير كان ينتج منه نوع أوراقه صغيرة ويسمى بالشبلي، وكان يزرع في مناطق محددة وتختص به قبائل معينة في الشرق مجاورة للساحل،<sup>2</sup> كقبيلة "الهزابرة" بنواحي سكيكدة،<sup>3</sup> ويبيعون أوراقه في الأسواق المجاورة، كما يغرس في ضواحي مدينة الجزائر وعنابة، وهو من نوعية جيدة ومطلوب كثيرا في أسواق تونس وطرابلس وسعره يتناسب مع نوعيته.<sup>4</sup>

أما القطن فكان يزرع في ضواحي مدينة الجزائر في الملكيات الخاصة ملكية حمدان خوجة.<sup>5</sup> ويوجه محصول القطن لصناعة الملابس بعد معالجته وغزله. وكما كانت زراعة القطن مزدهرة على ضفاف وادي الشلف،<sup>6</sup> وينتج القطن كذلك بسهل مستغانم والقليل من الأرز.<sup>7</sup> وأما الكتان الذي يستعمل لنسج الأقمشة، فكانت نوعيته جميلة جدا في الإيالة وأخذت تزداد أهميته يوما بعد آخر، وهو أيضا من المزروعات التي أدخلها الأتراك إلى الجزائر.<sup>8</sup>

### 1-4 المنتجات الغابية:

كانت الغابات في الجزائر تغطي مساحات شاسعة في التل والهضاب العليا ومرتفعات الأطلس الصحراوي، إلا أنها تضررت أواخر العهد العثماني وتقلصت مساحاتها بفعل قطع الكثير من أشجارها واستغلالها بطريقة غير عادية، فمثلا أشجار غابات ساحل مدينة الجزائر قطعت بأمر من الداوي محمد بن عثمان باشا لصناعة خمسين سفينة حربية لمواجهة خطر الاعتداءات الأوربية، وبعد وفاته استغلت أخشاب غابات الشرق الجزائري من طرف الإنجليز الذين منح لهم حق استغلالها مقابل 200 ألف فرنك إلى غاية سنة

<sup>1</sup> Tachrifat, Op.cit., p.74

<sup>2</sup> L. Baudicour, Op.cit., p., 26

<sup>3</sup> A. Nouschi, Op.cit., p.,72

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Alger au (18<sup>e</sup>) siècle, Op.cit., p.24

<sup>5</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 88

<sup>6</sup> Janine MONSONEGO, Op.cit., p.,14, 15

<sup>7</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p., 170

<sup>8</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.23

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

1817<sup>1</sup>، ومع ذلك فإن الغابات ظلت تغطي مساحة واسعة في الإيالة قدرت قبيل الاحتلال بـ1.251.757 هكتار، وأغلب أشجارها من الفلين والصنوبر والزيتون البري، وأشهر الغابات هي الغابات الساحلية لبني صالح والقالبة<sup>2</sup>.

وكان لهذه الغابات فوائد كبيرة ناهيك عن الخشب والظل والثمار والصيد فهي تعتبر ملكية عامة من حق كل السكان الانتفاع بخيراتها فمنها تجلب الأخشاب لصناعة الفحم والقطران، والأعمدة لبناء المنازل والأغصان والأوراق لتغطية سقوفها. وصناعة أبوابها ونوافذها وأوانيها وغيرها من المعدات واللوازم، وأحسن أنواع الأخشاب هي أشجار الصنوبر الصلب، ويوجد في غابات بجاية والقل ولكن لا يسمح لأحد بقطعه إلا بإذن الداي وهو صالح لصناعة السفن وأغصانه لبناء السدود<sup>3</sup>.

وكما تستعمل الغابات كمراعي لقطعان المواشي حين تنقطع الأعشاب في المروج والحقول، ولذلك فإن الغابة تلعب دوراً أساسياً في حياة الإنسان والحيوان معاً.

ومن المنتجات الغابية الأخرى، الشمع والعسل وكانتا تنتجها خاصة الجهات الشرقية من الإيالة<sup>4</sup>، والأقاليم الجبلية ببايلك الغرب من رأس فالكون إلى الحدود المغربية<sup>5</sup>، وكان الأهالي مجبرين على بيع الشمع إلى وكلاء البايك لأن الدولة كانت تحتكر تجارته، ويمنع تهريبه ويسمح لهم فقط بشراء كميات لاستعمالاتهم الخاصة<sup>6</sup>. وكان يصدر من ميناء عنابة لصالح الشركة الملكية الأفريقية عدة شحنات في كل سنة<sup>7</sup>.

### 2- تربية المواشي:

كانت تربية المواشي والدواجن أيضاً حرفة مشتركة بين جميع السكان سواء منهم المستقرين أو المتنقلين من البدو الرحل، ذلك أن الحيوانات مثل الأبقار والأغنام والماعز كانت مصدر غذاء أساسي بعد الحبوب، لما توفره من حليب وزبدة ولحوم، كما أنها كانت

<sup>1</sup> L. Baudicour, Op.cit., p.,18, 53

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.60

<sup>3</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique..., Op.cit., p., 103

<sup>4</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.20,21

<sup>5</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p., 170

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p., 21

<sup>7</sup> A.C.CM., Série L III, article1274, Compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissances des marchandises expédiée à Marseille, Ann., 1780-1781

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

تعتبر بالنسبة للفلاحين من أهم وسائل الإنتاج المستخدمة في الحرث والحصاد والنقل مثل الأبقار والخيول والبغال والجمال، إضافة إلى ما توفره هذه الحيوانات من صوف ووبر وجلود تستخدم كمواد أولية لصناعة الألبسة والأغطية والأحذية، والفائض يصدر للخارج. وخلال العهد العثماني انتشرت تربية المواشي في الهضاب العليا الشرقية والغربية والمناطق شبه الصحراوية وفي المناطق الجبلية الساحلية وفي منطقة القبائل، وتختلف الحيوانات التي تربي من منطقة إلى أخرى على حسب حاجة الفلاحين، وحسب البيئة أيضا، فكانت الأغنام والإبل تربي في المناطق الصحراوية والهضاب العليا، وتكثر الأبقار في المناطق الساحلية، والأغنام والماعز مشتركة بين الجهتين، أما البغال فكانت رمز منطقة القبائل والمناطق الجبلية<sup>1</sup>.

وكانت هذه الحيوانات تربي بأعداد ضخمة من طرف القبائل الغنية خاصة في الجهات السهبية كمطقة النمامشة التي تعتمد بصفة رئيسية على تربية الأغنام والجمال وخصصت لرعي 1000 بقرة و32000 خروف، 1000 معزة و7000 حصان و2000 بغل، مساحة قدرها مليوني هكتار، وخصصت قبائل بني سليمان بمقاطعة دار السلطان مساحة قدرها 45 ألف هكتار لرعي قطعانهم، المتكونة من 8000 بقرة و15000 خروف و3000 عنزة و1400 حصان<sup>2</sup>.

هذا وقد اهتمت بعض المناطق في الإيالة بتربية الخيول للمحافظة على السلالات الأصيلة من الخيول العربية، والتي تعتبر أحسن من سلالة تونس والمغرب وتوصف بقصر قامتها، وعصبيتها وسرعتها وشدة مقاومتها للجوع والتعب، كخيول فليقة والأنجاد بوادي الشلف<sup>3</sup>، والأرياع وأولاد نايل وخيول حميان والعقوبية بجنوب معسكر<sup>4</sup>. وكانت أفراس جنوب بايلك قسنطينة تعتبر من أحسن الأنواع وخيول جنوب الصحراء من أجودها ولحدوث التهجين بينهما كان يجب توفر الظروف الأمنية الملائمة والمناخية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> A. Nouschi, Op.cit., p.,61

<sup>2</sup> L. Baudicour, Op.cit., p., 27

<sup>3</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p., 170

<sup>4</sup> L. Baudicour, Op.cit., p., 28

<sup>5</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p., 170

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وقد قدرت الإحصاءات الفرنسية في بداية الاحتلال عدد الحيوانات في إيالة الجزائر كالتالي<sup>1</sup>:

178.864	حمارا	6.850.205	رأس غنم
131.035	حصانا	3.384.902	رأس ماعز
109.069	بغلا	1.031.738	رأس بقر
		213.321	جملا وناقة .

ويضاف إلى تلك الثروة الحيوانية الهائلة الأسماك التي تتوفر عليها السواحل الجزائرية والوديان والبحيرات، ويذهب "فنتير دوباردي" إلى أن سكان الجزائر لا يفضلون تناول أكل لحوم البقر والأسماك وكان لحم الأغنام والجمال يغنيهم عن باقي اللحوم ونفس الشيء بالنسبة للأتراك<sup>2</sup>، في حين يذهب "سيمون بفايفر" الذي عاش في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني إلى أن الصيادين كانوا يزودون المدينة بأنواع كثيرة من السمك<sup>3</sup>.

ولقد سجل قانون أسواق مدينة الجزائر أن المحتسب<sup>4</sup> كان يأخذ رسوما عن كل نوع من الأسماك يدخله الصيادون إلى السوق مثل سمك السلمون والسردين والأنشوب وهو نوع من أنواع سمك السردين صغير الحجم يملح عادة (Anchois)، وكانت تباع في قراطيل وهي سلال مصنوعة من القصب أو الحلفاء، أو في براميل<sup>5</sup>، كما أن الصيادين في مدينة الجزائر كانوا منظمين في جماعة لها رئيس يسمى أمين يدفع عنها سنويا ضريبة تسمى

<sup>1</sup> L. Baudicour, Op.cit., p., 28

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p., 21

<sup>3</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 168

<sup>4</sup> المحتسب هو صاحب السوق أو متولي الرحبة وهو من الشخصيات الإدارية المهمة وذات المكانة المرموقة، وقد ارتبط اسمه بنظام القضاء والأمناء خاصة فيما يعرض عليه من شكاوي بين المتعاملين، وهذا ما جعله يسن قوانين خاصة يلزم الجميع باحترامها في السوق، ويعتبر أيضا مفتشا وجامعا للرسوم العينية على الثمار والخضار والحليب وسلع أخرى تجلب للسوق يدفع نسبة منها إلى الخزينة والباقي مقابل أتعايه، كما أنه يراقب الأسعار والأوزان والنوعية في الأسواق ويعاقب كل من يخالفها. ينظر: متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/ 1695-1705م)، تحقيق وتقديم وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2012، ص. 16/ Tachrifat, Op.cit, p., 32

<sup>5</sup> متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص. 51، 52



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

البشماك<sup>1</sup> إلى خزينة البايلك مقدارها 400 صايمة<sup>2</sup>، وهي ضريبة مرتفعة بالمقارنة مع ما يدفعه باقي أمناء الجماعات الأخرى؛ فمثلا يدفع أمين الصباغين سنويا 100 صايمة أمين الفحامين 300 ويدفع أكثر منها بقليل أمين الحدادين 500 صايمة وأمين صانعي الشاشية 600 صايمة<sup>3</sup>.

والمعروف أن الضريبة تؤسس على قدر نشاط الجماعة التجاري، وهذا يعني أن الإقبال على الأسماك واستهلاكه خاصة في مدينة الجزائر كان كبيرا، وإلا كيف تتمكن الجماعة من دفع ما عليها للخزينة وتستمر في نشاطها.

### رابعا: التجارة

تقسم التجارة إلى نوعين تجارة داخلية وخارجية:

#### 1- التجارة الداخلية:

فرض تنوع الأراضي والأقاليم المناخية السائدة في الإيالة، اختلافاً في الإنتاج وفي نشاط السكان بين التل والصحراء، وبين الأرياف والمدن. كما ألزم السكان الاستقرار أو التنقل من منطقة إلى أخرى لممارسة أشغالهم، أو من أجل اقتناء حاجياتهم الضرورية من الأسواق المنتشرة في القرى والمدن. وهذا ما أدى إلى ظهور المبادلات التجارية بين الريف والمدينة وبين التل والصحراء.

#### 1-1 التبادل التجاري في الأسواق الداخلية:

كانت المبادلات التجارية تتم في الأسواق المحلية، أو الجهوية وفي الحوانيت والمعارض السنوية ويعرض فيها كل ما يحتاج إليه السكان من منتجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة، وتتعد تلك الأسواق يوميا وتسمى بالرحبة<sup>4</sup>، أو أسبوعيا وتسمى

<sup>1</sup> ألغيت هذه الضريبة قبل تولي محمد بن عثمان باشا وبالضبط في سنة 1170هـ/1756م، تشريفات، المصدر السابق، ص 67.

<sup>2</sup> الصايمة: هي الاسم التركي للدينار الخمسيني الذي كان هو الوحدة الحسابية في سنة 1685 م، ويساوي 50 درهما، ثم حل محله الريال درايم صغار (دص) وقيمته 232 درهما بعد الهبوط الكبير لقيمة الدرهم، واستمرت بعض الدواوين التي يشرف عليها موظفون أتراك في استعمالها كما هو مسجل في دفتر التشريفات الذي أخذنا منه هذه الضرائب. ينظر، المنور مروش، المرجع السابق، ص. 48، 55.

<sup>3</sup> Tachrifat, Op.cit., pp., 65-66

<sup>4</sup> ذُكرت على سبيل المثال رحبة عنابة لبيع القمح في الرسالة التي بعثها الشيخ عبد الله إلى السيد مرتان مدير الشبكة الملكية الإفريقية بتاريخ 19 سبتمبر 1769م باسم سوق النعمة ينظر،

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بأيام الأسبوع، كسوق السبت أو الأحد، وهكذا إذ لا تخلو منه قرية أو مدينة<sup>1</sup>، وتختلف الرحبة عن الأسواق في تخصصها مثل رحبة القمح، رحبة الصوف، رحبة المواشي، وتخضع فيها الأسعار إلى قانون العرض والطلب.

كانت الأسواق الأسبوعية ملتقى للتجار والحرفيين والفلاحين وللبدو والرحل والشيوخ والقياد وكل فئات المجتمع، وكان سكان بعض المناطق الجبلية الفقيرة كبلاد القبائل والقل يبيعون في الأسواق الثمار التي تنتجها حدائقهم أو الفحم والأخشاب من الغابات، للحصول على موارد تكميلية لمعيشتهم. كما أن القبائل الغنية تتنازل عن الفائض من إنتاجها مقابل الحصول على ما ينقصها إما من الحيوانات أو من الحبوب على حسب الحاجة<sup>2</sup>.

أما البدو الرحل فكانوا ينتقلون من الصحراء إلى التل نهاية فصل الربيع ويصلون في بداية موسم الحصاد أين تكون المراعي متوفرة لقطعانهم والحبوب بأسعار منخفضة، وكانوا يقومون بنشاط تجاري كبير على أساس المقايضة، باستبدال ما حملوه معهم من تمر وأنسجة صوفية مقابل الحبوب والصوف الخام والخزف والزبدة، وفي بداية فصل الخريف يعودون إلى الصحراء في وقت جني التمر. ومن أهم الأسواق التي يشاركون فيها سوق "لوحة" بالقرب من تيارت في مقاطعة الغرب، وسوق "ربعية" في الوسط، وأسواق أولاد عبد النور والحراكتة وتلاغمة، والتظاهرات السنوية كالتي تقام في وادي العثمانية غرب قسنطينة<sup>3</sup>.

ولقد شجع الحكام العثمانيون التبادل التجاري بإقامة الأسواق الأسبوعية لتنشيط التجارة والصناعة، وفرضت الحكومة سلطتها على التجار والمستهلكين، حيث عينت قائدا على كل سوق، يفرض الرسوم على السلع المعروضة "المكوس" ويحصلها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تمكنهم هذه الأسواق من مراقبة تحركات كل القبائل الموالية لها أو تلك التي تمثل خطراً عليها<sup>4</sup>. لأن الأسواق التجارية كانت ومازالت قبلة جميع المستهلكين من كل الفئات لاقتناء حاجياتهم الضرورية.

A.C.C.M., Série, LIII 360, compagnie royale d'Afrique, correspondants à l'étranger, barbarie, Op. cit

<sup>1</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 192

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op. cit, p. 71,72

<sup>3</sup> M. Jules, E. Carette, Du commerce d'Algérie avec l'Afrique et les Etats Barbaresques, le Commerce du Soudan, imprimeur du Roi, Paris, 1844, pp. 14-20

<sup>4</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 192

وفي المراكز الحضارية الكبرى ونخص هنا بالذكر مدينة الجزائر وقسنطينة كانت الأسواق دائمة، تفتح يوميا من مطلع الفجر إلى صلاة المغرب، في أماكن محددة لا تغيرها. ففي مدينة الجزائر كان النشاط التجاري مزدهرا بفضل البضائع التي تأتيها من الدول الأجنبية عن طريق مينائها، والقوافل التجارية القادمة من مختلف المناطق التي تُحط بأبوابها الرئيسية محملة بمختلف البضائع<sup>1</sup>، كما كانت تجلب إليها فائض المقاطعات الثلاث لتخزين<sup>2</sup> أو للتصدير وخاصة إنتاج منطقة القبائل من التين والزيت، وأما الحيوانات والحليب والزبدة، فكانت تأتيها من الفحوص المجاورة لها ومن سهل متيجة<sup>3</sup>.

وكانت تعرض مختلف السلع والبضائع في الأسواق العديدة المنتشرة في الجهة السفلية والوسطى لمدينة الجزائر، وحسب إحصاء، "أ. ريمون" (A. Raymond)<sup>4</sup> كانت أغلب الأسواق تمتد على شارع طويل يسمى "باب الجزيرة" من وسط المدينة وينتهي إلى الميناء، وهي أسواق حرفية تجارية بمعنى أنها تنتج السلع وتعرضها للبيع في نفس المكان أو كما كان يسمى "الحانوت"، أو قد تكون تجارية فقط ومنها نذكر: سوق بشماقجية (الإسكافيين)، سوق الغزل، سوق الحواتين، سوق المقايصية، زقة النحاسي، سوق الرصاصين، الصياغين، سوق الشماقجية (صناع الاسلحة).

وفي جنوب المدينة كان يقع حي باب عزون أين يوجد السوق الكبير وسوق الخراطين ورحبة القمح، وسوق الزيت، وسوق الخضر، ودكاكين الخياطة الخاصة باليهود. ومما دعم النشاط التجاري في مدينة الجزائر توفرها على الفنادق، لإيواء التجار والأجانب للراحة، ولحفظ أمتعتهم كفندق البورصة الذي يقصده الأوربيون، وفندق الزيت وغيرها كثير

<sup>1</sup> Marcel EMIRIT, Les quartiers commerçants d'Alger, Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque Ottomane, in *Algérie et l'Afrique illustrée*, n°25, janvier- février 1952, éd, office Algérien d'action économique et touristique, Alger, pp. 6-13/ voire aussi, A. Raymond, Le centre d'Alger en 1830 in *R.O.M.M.*, N° 31, 1981, France. p., 13

<sup>2</sup> كان يوجد بمدينة الجزائر مستودعات كبيرة يخزن فيها القمح وأرز والنحاس والرصاص والأقمشة والصوف، وكل المواد الغذائية المختلفة وقد عثر عليها الفرنسيون مملوءة عند سقوط المدينة سنة 1830 بالرغم من الحصار الذي كان مفروض على الجزائر منذ ثلاث سنوات. وسنأتي إلى الحديث عنها في حينه.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، قانون الأسواق، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ص. 28

<sup>4</sup> A. Raymond, Op. cit., pp.78-79

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وقد أحصى الأستاذ ناصر الدين سعيدوني اثنين وثلاثين فندقاً تتوزع على مختلف أحياء المدينة<sup>1</sup>.

ولا تقل مدينة قسنطينة نشاطاً وازدهاراً عن مدينة الجزائر فقد قال عنها الحسن الورتلاني الذي زارها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر أثناء رحلته للحج: «فيها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة... سعرها رخيص، واسعة الأرزاق كثيرة الارتفاق يكثر فيها اللحم والسمن والقمح والتين، ما أحسنها من زرع وضرع تأتيها القوافل من كل النواحي»<sup>2</sup>. وفي عهد صالح باي أولها عناية خاصة فقام بمآثر عمرانية عادت على المدينة بالتطور الاقتصادي، فقد أنشأ مجموعة من الدكاكين كانت نواة لسوق الجمعة، وبنى أيضاً خارج باب الرحبة (الباب الجديد)<sup>3</sup> في الجهة الغربية للمدينة طريقاً كاملاً من الدكاكين والحوانيت والفنادق قبالة كودية العاتي<sup>4</sup>.

وحسب الأستاذة فاطمة الزهراء قشي أن سوق الجمعة كان يحتل الصدارة في معاملات صالح باي خاصة بعد التغييرات القاعدية التي قام بها في المدينة، وشكلت وجه السوق و"الحومة" المحيطة بها<sup>5</sup>.

وكما عرفت مدينة قسنطينة أسواقاً يومية حرفية وتجارية وأخرى أسبوعية كانت تعتبر مراكز تجارية هامة، انتشرت على شكل أحياء تجارية طويلة على شاكلة أحياء مدينة الجزائر، وكل حي اختص بحرفة أو تجارة معينة، وقد ذكر "شلوصر" العديد من الأسواق في مدينة قسنطينة منها، سوق العصر وقال أنه كان خاصاً بالأسلحة، وأسواقاً أخرى كسوق

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، قانون الأسواق، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ص ص. 32-33

<sup>2</sup> الحسن الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروفة برحلة الورتلاني (1713-1779)، تحقيق، محمد بن شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974، ص. 686

<sup>3</sup> كان لقسنطينة أربعة أبواب وهي: باب القنطرة شرق المدينة والأبواب الثلاثة في الجنوب الغربي يبعد الواحد عن الآخر ب200 خطوة، وهي باب الجابية، باب الوسط، (باب الواد)، وفي الناحية الغربية باب الرحبة الذي أصبح يسمى الباب الجديد منذ سنة 1836، فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتحقيق، أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص. 73

<sup>4</sup> Ernest Mercier, Histoire de Constantine, Op.cit., pp. 292-293

<sup>5</sup> فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ص ص. 72-73

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

العسل وسوق الجلد وسوق القمح وحوانيت الأقمشة التي يمتلكها اليهود، ودكاكين العطارين الخاصة بالعرب وسوق صغير للخبز إلى جانب وجود العديد من الحمامات والمقاهي<sup>1</sup>. وقد ساهمت الأسواق المحلية بمدينة قسنطينة في تنوع السلع المعروضة، كما أن موقع المدينة المتوسط بين الجزائر وعنابة وتونس جعل منها ملتقى القوافل التجارية ومحطة للبضائع القادمة من الصحراء الكبرى وتونس، وتلك المستوردة من أوروبا عن طريق ميناء عنابة، وكونها تقع في منطقة فلاحية خصبة جعلها تستقبل الكثير من الأخشاب والثمار والمنتجات الأخرى، وهذا التنوع في البضائع ووفرته جعل الأسعار بها في متناول الجميع<sup>2</sup>.

وحتى تؤدي الأسواق دورها التجاري وتكسب ثقة المتعاملين الاقتصاديين، حرص الحكام العثمانيون على تنظيمها ومراقبتها وتطبيق أقصى العقوبات على السارقين والغشاشين ليكونوا عبرة للجميع<sup>3</sup>، ولكي تبقى الأسواق مكانا دائما لممارسة التجارة يستقطب التجار والزوار، وموردا لجمع الرسوم والضرائب.

### 1-2 الأسعار:

شهد عصر فترة محمد بن عثمان باشا استقرارا سياسيا، وتدقفا في العملة الأجنبية نتيجة لتزايد كميات الحبوب المصدرة وتساعد أسعارها كما سنأتي إليه في حينه، فعرفت الأوضاع الاقتصادية استقرارا في العملة، والأسعار المحلية بصفة عامة، باستثناء الفترة التي حل بها الجفاف وما صاحبها من مجاعة، أين ارتفعت الأسعار إلى مستويات لم تنزل بعدها، ففي المرحلة الأولى الممتدة من 1766 إلى 1777م، كانت أسعار الحبوب في رجة عنابة كما تبينه رسائل الشيخ عبد الله ابن العباس إلى وكيل الشركة الملكية الفرنسية في صيف 1769<sup>4</sup>، أن سعر موزورة (كيلة)<sup>5</sup> القمح تساوي، 2 ريال، والشعير: 3/4 ريال، وال فول: 1 ريال. وقد عرفت هذه المرحلة استقرارا طويلا في الأسعار، ذلك أن البلاد لم تعرف

<sup>1</sup> فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص. 74

<sup>2</sup> فنديلين شلوصر، المصدر نفسه، ص. 87

<sup>3</sup> Marcel EMIRIT, Les quartiers commerçants d'Alger, Op.cit., p. 13

<sup>4</sup> A.C.CM. Série, LIII, 360, Compagnie royale d'Afrique correspondent...Op.cit., lettres du 06/07/1769 et 15/09/1769

<sup>5</sup> موزورة وهي كلمة معربة من اللفظ الفرنسي (Mesure) وهي تساوي تقريبا الحمل المرسيلى 160 أي لتر، المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص. 407

اضطرابات داخلية ولا تقلبات مناخية، مما أدى إلى تحسن الأنشطة الاقتصادية بصفة عامة.

وقد كانت مختلف المواد الغذائية من حبوب ولحوم وزيت في متناول جميع السكان تقريبا، ففي قسنطينة تكلم صاحب أخبار بلد قسنطينة عن رخاء كبير عرفته مدينته خلال عهد صالح باي حيث قال: « وبنى، دولة رخاء كبير فمن جملة ذلك كانت البقرة السمينة الغاية تساوي 8 فرنكات، والفرد 13 والكبش السمين يساوي زوج فرنك والفرس المعدة للولادة تساوي ستين فرنك، والعود المليح اللائق بركوب الإصباحية يساوي مائة فرنك، والصاع من القمح يساوي 2 فرنكات، والشعير 1 فرنك والرطل من السمن يساوي نصف فرنك وأقل من ذلك والعسل مثله والزيت كذلك».<sup>1</sup>

وينبغي الإشارة هنا إلى أن ضالة الفارق بين سعر البقرة (السمينة) وصاع القمح هو دليل على وفرة الأبقار والأغنام لأننا اليوم نلاحظ أن سعر البقرة هو مضاعف عشرات المرات لثمن صاع القمح. واقترب سعر صاع القمح من ثمن البقرة ليس دليلا على ندرة القمح لأن القمح كان متوفرا ويصدر للخارج بكميات كبيرة كما سنتطرق إليه في حينه.<sup>2</sup> وحسب الإحصائيات التي قدمها "المنور مروش" بعد أزمة الجفاف والمجاعة التي حلت بالإيالة في سنوات (1777-1782م)، فإن أسعار الحبوب استمرت في الصعود، وقد كان متوسط سعر موزورة القمح في سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن الثامن عشر يساوي 3.4 ريال.<sup>3</sup>

وحسب "فنتير دو باردي" الذي كان يعيش في مدينة الجزائر في تلك الفترة أن أسعار كل السلع والمواد الضرورية للحياة هي بثمن بخس وراتب اليولداش (الجندي البسيط) الذي مقدراه 142 ليرة أي 160 فرنكا في السنة، يكفي إعالته جيدا هو وزوجته وأولاده، لأن سعر الخروف في تلك الفترة كان يساوي، من 5 إلى 6 ليرات، في فصل الصيف، ومن 10 إلى 12 ليرة، في الشتاء، وقنطار من لحم البقر يساوي من 12 إلى 14 ليرة، ومتوسط

<sup>1</sup> مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق، رياض بولحبال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا، جامعة قسنطينة 2، 2010/2009، ص ص. 42 - 43

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 60

<sup>3</sup> لمزيد من التفاصيل ينظر، المنور مروش، المرجع السابق، ص - ص. 154-155

قنطار الأرز يساوي 11 ليرة، وقد سجّل دفتر التشريفات أن سعر رطل الزيت والزبدة ب8/1 (ردص) ويساوي واحد موزونة، وكيلة الملح كانت خلال سنة 1756 ب 10 ريال<sup>1</sup>. وعلى أية حال كانت أسعار المواد الغذائية وخاصة الحبوب تخضع للعرض والطلب فكانت تعرف الاستقرار عندما تكون المحاصيل جيدة، وترتفع باستمرار في حالة الجفاف والندرة وكثرة التنافس. وعلى العموم ساد الرخاء في البلاد وخاصة في بايلك قسنطينة.

### 2- التجارة الخارجية:

وتتمثل في الصادرات والواردات، أو المبادلات التجارية التي كانت تتم مع دول الجوار والسودان (الصحراء الكبرى الإفريقية) بواسطة القوافل عبر الطرق البرية، ومع دول أوروبا والأقطار الإسلامية عبر الطرق البحرية:

### 2-1 المبادلات التجارية البرية:

ونقصد بها التجارة الخارجية بالقوافل مع تونس والمغرب وطرابلس وبلاد السودان والمشرق العربي.

**2-1-1 تجارة القوافل مع تونس والمغرب:** ارتبطت التجارة مع دول المغرب بالقوافل التجارية التي كانت تسلك نوعين من الطرق، وهي السلطانية والجهوية، فالأولى طرق تجارية كبرى معروفة، والثانية جهوية صعبة وطويلة، وأهم الطرق حسب محمد العربي الزبيري هي<sup>2</sup>، الطرق السلطانية؛ وعددها تسعة طرق، منها ثلاثة تربط تونس بالجزائر والمغرب بحيث تنطلق من المدن التونسية لتصل إلى فاس أو فكيك (فجيج) بالمغرب وتسمى بالطرق العرضانية، وتقطع الجزائر في الشمال والوسط والجنوب. وكما تنطلق القوافل من صحراء وادي سوف، بني ميزاب، ورقلة، وصولاً إلى تونس وإلى غدامس بصحراء ليبيا عبر طرق تسمى بالطرق القطرية وعددها ستة طرق.

وكانت قسنطينة ترتبط مع تونس وأهل الصحراء بتجارة جد معتبرة<sup>3</sup>، وقد ذكر أحد المعاصرين لصالح باي أن هناك قافلة تجارية تتوجه إلى تونس شهرياً، تتألف من مائة

<sup>1</sup> Tachrifat, Op.cit., pp., 106-107

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص. 67-68

<sup>3</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique..., Op.cit., p.176

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وخمسين إلى مائتي بغل كلها محملة بالجلود المدبغة وريش النعام وتبر الذهب، تستوردها من بلاد السودان وتعود محملة بالأقمشة المطرزة، والشاشية التونسية، وتقدر هذه التجارة شهريا بحوالي خمسمائة ألف فرنك<sup>1</sup>.

وكانت السلع المستوردة من المغرب في مجملها سلعا كمالية، والتبادل يتم بين تجار بني ميزاب وورقلة وبسكرة مع تجار الواحات المغربية بتافيلالت، ويمدون نشاطهم إلى فاس ومكناس وتطوان وفجيج وسلجلماسة ويشترون منها الجلود المدبغة في تافيلالت والأحذية الجلدية، الحياك، الأسلحة، الحديد، الأنسجة القطنية، مواد التجميل الطبيعية، الشاشية الحمراء، الأقمشة الحريرية، الخيول، الفضة، الخردوات والمنتجات الجلدية<sup>2</sup>.

**2-1-2 التبادل التجاري مع السودان:** كانت القوافل التجارية من كل بلدان المغرب تمارس التجارة مع السودان، حيث تنطلق عبر عدة طرق باتجاه السودان الكبير وتسمى طرق القوافل لتتصل بالأسواق الصحراوية، وأهم الطرق التي تعبر تراب الإيالة<sup>3</sup>:

- طريق مراكش إلى تمبكتو (بمالي)؛ ينطلق من فاس ويمر بتندوف ويخترق الصحراء إلى تمبكتو.

- طريق فاس ومكناس إلى تمبكتو؛ ويمر على الساورة إلى توات ثم إلى تمبكتو.

- طريق وهران وأرزيو إلى تمبكتو؛ ويمر على مشرية وعين الصفراء وفجيج ويلتقي بطريق فاس مكناس إلى تمبكتو.

- طريق مدينة الجزائر إلى تمبكتو؛ ويمر على البليدة وبوغار والأغواط وغرداية والقلبية وعين صالح إلى توات حيث يلتقي مع طريق توات تمبكتو، وله فروع أخرى فرع يؤدي إلى بحيرة تشاد وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أقاديس.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، "صالح باي ومكانته في تاريخ قسنطينة"، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 69

<sup>2</sup> M. Jules, E. Carette, Op.cit., pp.22-23

<sup>3</sup> يحيى يوعزيز، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، البضائع العملات . الأسعار، الأساليب التجارية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد العلوم والبحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص ص. 127-129



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

-طريق سكيكدة قسنطينة إلى الهقار وتمبكتو؛ ويمر على باتنة وتقرت وورقلة إلى تمبكتو، ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكرة ويتجه إلى وادي سوف ومن هناك إلى غدامس.

-طريق طرابلس إلى تمبكتو؛ ويمر على غدامس والبيوض حتى يتصل بطريق قسنطينة.

وأهم الأسواق التجارية التي كانت تقصدها القوافل هي تمبكتو في السودان الغربي، وأسواق تشاد وآغاديس بالنيجر؛ وإلى الشمال منها تقع أسواق فزان وأسواق الواحات "الكفرة" بليبيا بالسودان الأوسط، وأسواق السودان الشرقي ومن ضمنها أسواق "دافور" الخرطوم.<sup>1</sup> ولكن تبقى أسواق تمبكتو من أهم الأسواق ومقصد عدد كبير من القوافل والتجار. وأهم ما كان يستورد من السودان هو الذهب والعبيد والعاج والأحجار الكريمة، إلى جانب بعض السلع المصنعة كالأقمشة والمجوهرات والتي حصتها تزيد كلما انخفضت الصادرات من الذهب والعبيد.<sup>2</sup>

وتمثلت الصادرات في المنتجات المحلية والأجنبية المتوفرة في الأسواق الجزائرية، فكانت القوافل تحمل معها الفائض من إنتاج الإيالة كالحبوب والتمور والجلود والسروج، البنادق، والبارود والأنسجة الصوفية مثل الزرابي والأحزمة الصوفية والحريية، ومن السلع الشرقية التوابل والحريير. ومن البضائع الأوربية المنسوجات الهولندية والفرنسية، الشاي القهوة، السكر، الأسلحة البيضاء والنارية والأواني النحاسية.<sup>3</sup>

كانت التجارة مع السودان تحقق أرباحا كبيرة، ولذلك تحملت القوافل التجارية عناء السفر الطويل وأخطار قطاع الطرق واللصوص، وكانت تتطلق في فصل الشتاء من قسنطينة والجزائر وتلمسان، ويتراوح عدد جمالها من 1000 إلى 3000 متجهة نحو السودان الذي تصله في مطلع فصل الربيع، وهناك يتم التبادل التجاري في معظم الأحيان

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص. 130-131

<sup>2</sup> Abitbol Michel. Le Maroc et le commerce transsaharien du XVIIe au début du XIXe siècle. In R.O.M.M , n°30. Paris, 1980. p.11, 12

<sup>3</sup> Idem, p., 15

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بالمقايضة، فكمية الملح تباع ب20 وزنة من الحبوب الجافة، والحمار الواحد يباع ب2000 من وزنة من نفس السلعة<sup>1</sup>.

لا شك أن الأمن والاستقرار الذي عرفته الإيالة داخليا ومع جيرانها طوال عهد محمد بن عثمان باشا، بالإضافة إلى وفرة الإنتاج، زاد من رواج تجارة القوافل التي تقطع الجزائر عرضيا لتتصل بأسواق تونس والمغرب، وطوليا للوصول إلى أسواق السودان وتعود بتجارة مربحة وسلع متنوعة تعرض في الأسواق الداخلية.

### خامسا: المبادلات التجارية البحرية

تتمثل في الصادرات والواردات التي كان يتم تبادلها عن طريق الموانئ، وكانت الإيالة تتعامل تجاريا مع الكثير من الدول الأوربية وبعض الأقطار الإسلامية.

### 1-الصادرات الفلاحية:

كان يصدر الفائض من إنتاج الإيالة إلى الدول الأوربية عبر أهم موانئها كميناء الجزائر، بجاية، سطورة، عنابة، القالة،<sup>2</sup> باستثناء ميناء وهران والمرسى الكبير اللذين كانا تحت سلطة الإسبان خلال عهد محمد بن عثمان باشا، فكان باي وهران يصدر منتجات مقاطعاته عبر ميناء مستغانم وأرزيو<sup>3</sup>، وفي الشرق كان اهتمام صالح باي بالتصدير متزايدا مما جعله ينشئ ميناء سكيكدة الجديد<sup>4</sup>، كما عين وكيل في كل موانئ الشرق (المركانتية) يشرف على المعاملات وتحصيل الرسوم.<sup>5</sup>

وأهم المواد المصدرة من الجزائر خلال العهد العثماني نحو البلدان الأوربية هي: الحبوب، الصوف، الجلود، الشمع والعسل. وكانت تجارة هذه المواد محتكرة من طرف البايك، فهي التي تحدد سعر الشراء والبيع والزبون. ولا يسمح ببيع الحبوب والزيت إلا بإذن الداى شخصيا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، طريق القوافل والأسواق، المرجع السابق، ص ص.131-140

<sup>2</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique..., Op.cit., p.177

<sup>3</sup> Janine MONSONEGO, Op.cit., p., 13

<sup>4</sup> محمد صالح العنثري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم، رايح بو النار، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1974، ص. 62

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 49

<sup>6</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 20, 21

### -الجلود:

كانت تجارة الجلود محتكرة من طرف وكيل الحرج ويدفع للحكومة مقابل ذلك 10000 بياستر كل شهر قمري، وينوب عنه وكيل الجلود الذي يشتريها ب 6 إلى 9 موزونات، وفقا للكبر والكمية. وكان سكان الجبال مجبورون على بيع جلودهم له، وبعد تجميعها يبيعها لوكيل الشركة الملكية الإفريقية ب30 موزونة للقطع الصغيرة أو الكبيرة . في حين جلود الأبقار التي تذبح داخل المدينة لا تدخل ضمن ممتلكات وكيل الجلود بل هي من حق البايلك يستعملها لاحتياجات الجنود والأسرى<sup>1</sup>.

وتوضح الرسالة التي بعثها صالح باي إلى وكيل الباستيون، أن أكبر أسواق الجلد كان بالقل أين يجمع ويصدر من هناك إلى مرسيليا. وكان الوكلاء يشترون الجلد بنوعيه نيء (أخضر)، وجاف، ولكل نوع سعر محدد حسب القوانين المعمول بها، ثم يبيعه إلى دار وكيل الشركة الإفريقية<sup>2</sup>.

ومن أهم الشركات الأوروبية المستوردة لمنتجات الجزائر الفلاحية كانت الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية، فقد سيطرت في مقاطعة قسنطينة على شراء الفائض من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية، بالإضافة إلى احتكارها لصيد المرجان<sup>3</sup>. حيث كانت تبيع رخص الصيد إلى السفن الإيطالية لتصطاد المرجان ولكن أكبر أرباحها كانت تحققها من المنتجات الأخرى، الصوف، والجلود والشمع والعسل والحبوب<sup>4</sup>. وكانت الكميات المصدرة من الجلود والصوف والشمع من ميناء عنابة إلى مرسيليا لحساب الشركة الملكية الإفريقية لسنتي 1780-1781م بكميات معتبرة ومتزايدة من سنة لأخرى كما يبينها الجدول التالي:

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 19

<sup>2</sup> م.وج. المجموعة 1641، رسالة رقم 40، من صالح باي الى وكيل الباستيون خلال عام 1770م/1183هـ  
<sup>3</sup> يعتبر المرجان كنز بحري في شكل أغصان بحرية كبيرة ومتشعبة، وكان في العهد العثماني يحتكر استخراجها من أعماق البحارة الفرنسيون والجنوبيون من السواحل الشرقية الجزائرية بتقنية بدائية، يوصل إلى حبات صغيرة ليصنع منها المجوهرات كما يستخدم في تزيين الأسلحة، اكتشفت حقيقته في 1725م على السواحل الإفريقية أنه من طبيعة حيوانية من طرف العالم j.a. Peyssonnel، لمزيد من التفاصيل عول الموضوع ينظر:

Patrick Boulanger, De TAabarka à la Calle, le corail, enjeu de convoitises internationales 1731-1741, in Echange en méditerranée. recueil d' études en hommage à Sadok Boubaker, Textes réunis présentés par Hayet AMMAMOU ET Mehdi Jerad, éd., LAITRACH, Tunis, p.12,14

<sup>4</sup>Marcel EMIRIT, La situation économique... , Op.cit., p., 170

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

جدول رقم (1): يمثل صادرات بايلك الشرق خلال سنتي 1780، 1781 ما عدا

الحبوب، مستخرج من السجلات الرسمية للشركة الملكية الأفريقية الفرنسية

الجلود		الشمع		صوف خشن		صوف رقيق		المواد المصدرة السنوات
سعر الشراء (بياستر)	الكمية (جلد)	سعر الشراء (بياستر)	الكمية (كوفي)	سعر الشراء (بياستر)	الكمية (بال)	سعر الشراء (بياستر)	الكمية (بال)	
4567	9 872	2 574	16	219	63	92 841	3 121	1780
9 425	18 063	1 057	25	1 497	81	53 576	189	1781
13 992	27 935	3 631	41	1 716	144	146 41	3 310	المجموع

Source: A.C.C.M. Série LIII, 1274, Compagnie d'Afrique. Bône. Factures et connaissements des marchandises expédiées à Marseille, 1780-1781

يوضح لنا الجدول أعلاه أن الكميات المصدرة من الجلود قد تضاعفت في 1781م، وبمتوسط سعر البيع يساوي تقريبا 2 بياستر مما يدل على وفرة هذه المادة بإيالة الجزائر وخاصة بالشرق الجزائري.  
-الصوف:

بوضح الجدول اعلاه أن الشرق الجزائري كان يصدر كميات معتبرة من الصوف بنوعها الخشن والرقيق إلى الشركة الفرنسية وقد بلغ سعر البيع خلال سنة 1780م، 30 بياستر للصوف الرقيقة للبال، ومتوسط سعر الصوف الخشن هو 3.5 بياستر للبال. وفي السنة الموالية 1781م، ارتفع سعر بيع الصوف الخشن إلى 18.5 بياستر للبال الواحد، بينما انخفض سعر الصوف الرقيقة إلى 24.5 بياستر، وربما هذا ما يفسر تراجع الكميات المصدرة منها إلى حوالي النصف بالمقارنة مع السنة الأولى<sup>1</sup>.

وحسب "فنتير دوباردي" أنه في سنة 1787م كان يصدر من ميناء الجزائر سنويا للدول الأوربية من 7 إلى 8 آلاف قنطار من الصوف يأتي معظمها من بايلك التيطري. بينما اشترت الشركة الفرنسية من ميناء عنابة 25 ألف قنطار من الصوف في نفس السنة

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات عن فواتير تصدير الصوف من ميناء عنابة إلى الشركة الملكية الإفريقية بمرسلها ينظر الملحق رقم

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وهي كمية اعتبرها غير عادية، بسبب الطاعون الذي قضى على العمال الذين يحيكون الألبسة الصوفية، ويبقى هذا العامل لمدة عدة سنوات السبب في تصدير الصوف سواء من الجزائر أو عنابة بكميات كبيرة مما جعل السعر ينخفض إلى أقل من عشرة بياسترات<sup>1</sup>.

### - الشمع:

قبل الحديث عن صادرات الإيالة من الشمع ينبغي الإشارة إلى وحدة قياسه (COUFFER) والتي لم نعثر عليها في قواميس الموازين الفرنسية القديمة،<sup>2</sup> وبعد أن تتبعنا عدة عمليات في فواتير وسجلات الشركة الملكية، وجدنا بأن الشمع كان يقاس أيضا بالقناطر، ومنها هذه العملية التي سجلت في سنة 1787<sup>3</sup>: " 16700 قنطار شمع يساوي 15500 بياستر"، وهو ثمن الشراء الإجمالي، وفي الجدول أعلاه كان 16 "كوفي" (COUFFER) ب2574 بياستر، وهذا يعني أن ثمن الوحدة من "كوفي" تساوي تقريبا 161 بياستر، أما القنطار من الشمع فيساوي 0.93 بياستر. وبتطبيق نظرية الرابع المتناسب نجد أن واحد (COUFFER) يساوي 161/0.93 ويساوي إلى 173 قنطار.

ولكننا نلاحظ أيضا أن الكلمة الأوربية (كوفي) التي جاء ذكرها في النصوص، هي قريبة من كلمة (كوفي) المحلية، وتعني مخزنا أسطوانيا من الطين، يستخدم بيتا للنحل. ومنه الكبير الذي يُستخدم لحفظ المؤونة بشتى أنواعها، من القمح والتين الجاف وغير ذلك. ومن جهة ثانية فإن تلك الكلمة هي قريبة من كلمة (قُفّة) أيضا. وكلاهما يمكن استخدامه لقياس حجم الشمع. وهنا تظهر أهمية المصادر المحلية في البحث من أجل كشف الملابس التي تحيط بالموضوع.

أما بالنسبة للكمية المصدرة من الشمع في خلال سنة 1780م، فقد ارتفعت في عام 1781م، ولكن متوسط سعر الشراء تراجع من 161 إلى 3، 42 بياستر وصار يساوي الربع تقريبا، كما يبينه الجدول رقم(1).

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p., 20, 21

<sup>2</sup> TABLEAU DES MESURES LES PLUS COURANTES EN USAGE DANS LE PAYS BEAUNOIS, Métrologie réalisée par Yvette DARCY-BERTULETTI, sans éditeur, pays, sans date, pp., 1-33

<sup>3</sup> A.C.C.M. Série LIII, article, 762, Inventaire compagnie royale d'Afrique, Etat des denrées et marchandises que la compagnie d'Afrique à reçu des concessions pour l'année 1788.

### -الحبوب:

كانت الإيالة تصدر من الحبوب كميات هائلة في المواسم الجيدة بعد أن تخزن ما تحتاجه، فقد كان البايلك يجمع من الفلاحين العشور عينا، وهذا يعطيه اليد العليا في سوق الحبوب الخارجية<sup>1</sup>. كما كان البايات ينتجونه في أراضي البايلك ويشترون كميات أخرى من الأسواق (الرحبة) لحسابهم الخاص عن طريق وكلاءهم ويصدرونه إلى الدول الأوربية<sup>2</sup>. وكان لشركة الملكية الإفريقية الحق في شراء كل سنة 500 قفيز من القمح، لتمون منها البحارة والصيادين بالقالا، ولكن الشركة تجاوزت الكمية المحددة بمراحل، وكانت تتعامل مع الفلاحين مباشرة ومع البايات، وتشتري وتصدر أكثر من خمسين ألف حمولة قمح وشعير إلى مرسيليا<sup>3</sup> في المواسم الجيدة.

وقد سجلت دفاتر مراقبة السفن القادمة من الشرق والإيالات المغربية للشركة الملكية الإفريقية، كميات الحبوب والمواد الأخرى التي تشتريها من موانئ الإيالة: الجزائر، بجاية، القالة، عنابة، أرزيو، مع العلم أنها تبقى أقل من الواقع لأن هذه السجلات تكتفي في بعض الحالات بذكر السفينة واسم الحمولة دون الكمية، أو تذكر وزن الحمولة مجملة بين عدة مواد دون التفصيل في كل مادة. ولكنها تبقى أهم السجلات التي احتفظت بصادرات إيالة الجزائر، ومنها أنجزنا الجدول التالي للسنوات الخمس الأولى من حكم محمد بن عثمان باشا:

<sup>1</sup> Pierre Boyer, Op.cit. p. 192

<sup>2</sup> Venture de Paradis, Op. cit. pp. 20-21

<sup>3</sup> Marcel EMIRIT, La situation économique..., Op.cit., p., 170

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

جدول رقم (2): يمثل صادرات إيالة الجزائر في الفترة من 1766-1770م من الحبوب، الخضر والزيت.

السنوات / المواد المصدرة	القمح (الحمل المرسيلي)	الشعير (الحمل المرسيلي)	الخضر (الحمل المرسيلي)	الفاول والحمص (الحمل المرسيلي)	الزيت (بمبيلر <sup>1</sup> )
1766	5 560	5 003	150	0	0
1767	6505	4 000	0	0	1 200
1768	8 060	6 110	400	0	1 500
1769	9 320	1 300	200	90	1 300
1770	54 520	7 250	300	3 380	2 700
المجموع	83 110	23 960	1 050	3 470	6 700

**Source :** A.C.CM. Série, I11,I12, Registre des arrivées de navires venant des échelles du levant et de barbarie du 12 Avril 1761 au 28 Mai 1769, et du 31 Mai 1769 au 30 Décembre 1774, avec le nom des navires et des capitaines des ports d'attache , des ports de province, de la nature de chargements et des destinataires

وخلال إعدادنا للجدول أعلاه سجلنا عدة ملاحظات أهمها:

اقتصرت صادرات الجزائر من الحبوب على القمح والشعير والفاول والحمص خلال سنتي 1766 و 1767 على موانئ عنابة والقالة، وابتداء من 1768م صارت تظهر في الوثائق حمولات من ميناء الجزائر وبكميات معتبرة من الشعير والفاول والقمح أيضا، بينما اختص هذا الأخير بتصدير كل سنة بحمولة أو حمولتين من الخضر، كما اقتصر تصدير الزيت على ميناء بجاية، وخرج من ميناء أرزيو حمولات معتبرة من القمح بلغت خلال عام 1770م، 14 900 حملا.

هذا، وتظهر النتائج الموضحة على الجدول رقم (2) ارتفاع الصادرات في جميع المواد من سنة إلى أخرى، وبصفة خاصة القمح الذي وصل في سنة 1770 إلى عشرة

<sup>1</sup> بحثنا عن هذه الوحدة كثيرا ولم نجد لها مرادف في المصادر المحلية، وكل ما عثرنا عليه هو ما جاء في السجل رقم 1046 بالأرشيف الوطني التونسي 1170-1193هـ/1756-1780م، في الصفحة 11، في بيان المؤونة التي قدمتها تونس لرياس الجزائر أواخر سنة 1171هـ، حيث ذكر عدة مواد غذائية ومنها الزيت وأشار إليها بوحدة مختلفة، فمرة سجلت: "قلة زيت"، ومرة أخرى "مطر" زيت، وفي الصفحة 13 من نفس السجل ذكر وحدة الزيت بالصاع ولا ندري أية وحدة توافق (Miller) المذكورة في النصوص الفرنسية. ومثل هذه المصطلحات هي في غاية الأهمية، وفي حاجة إلى بحث مستقل.

أضعاف تقريبا لصادرات سنة 1766، وهذا يدل على أنها سنة خصب كما يدل أيضا على جهود الداوي والبايات المبذولة في القطاع الزراعي.

كانت كميات الحبوب المصدرة إلى مرسيليا في ارتفاع من سنة إلى أخرى في الإيالة نظرا إلى جودة الحبوب، وخاصة القمح الصلب الذي ينتجه إقليم قسنطينة، الذي كان من أجود الأنواع في حوض البحر المتوسط ولم يكن يضاهيه سوى قمح سردينيا،<sup>1</sup> وكان الإقبال عليه كبيرا في الأسواق الأوروبية وخاصة الدويلات الإيطالية التي تصنع منه العجائن.<sup>2</sup>

ففي الفترة الممتدة من 22 أكتوبر 1782 إلى 25 ماي 1783، شحنت الشركة الإفريقية 22 سفينة فرنسية من عدة دول أوروبية لنقل 16 ألف قفيز من القمح والشعير من عنابة<sup>3</sup>، وهو ما يعادل 72 ألف حمل.

### 1-1 تأثير أزمة الجفاف والوباء على صادرات الحبوب:

الظاهر أن سياسة تصدير الحبوب وخاصة القمح لم تكن مبنية على خطة استراتيجية مدروسة تأخذ بعين الاعتبار المناخ السائد بالجزائر الذي يهدده الجفاف من حين لآخر، لذلك لما ضرب الجفاف في سنوات 1777 إلى 1779 عانت الإيالة من مجاعة رهيبة استمرت إلى 1782، أدت إلى ارتفاع أسعار الحبوب بشكل كبير، وقد قال صالح العنتري عن هذه الأزمة: " وقعت مسبعة ومجاعة هائلة بأهل قسنطينة ووطنها وارتفع سعر الحبوب غاية فيها، فبيع الصاع الواحد من البر ب5 ريالات"<sup>4</sup>، وفي مدينة الجزائر - وحسب الزهار-،<sup>5</sup> لم تؤثر عليهم المجاعة بشكل كبير، لأن باقي المواد الغذائية كانت في متناول الجميع، وقال: " أما سعر اللحم والسمن والأرز فكان خيرا كثيرا."

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op. cit. pp. 20-21

<sup>2</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص ص. 29 - 30

<sup>3</sup> A.O.M., Archives nationale Algérie, Série 3B6, Article 214, Etats de navires qui ont chargé du grain à Bône de puis le 22/10/1782-25/05/1783.

<sup>4</sup> صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 45.

<sup>5</sup> احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 31.



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وحسب مراسلات القناصل الفرنسيين فإن المجاعة لم تخص إيالة الجزائر فقط بل ضربت سكان تونس وطرابلس كذلك، وقد أجبرت باشا طرابلس على إرسال السفن إلى ميناء عنابة في أفريل من عام 1785م لشراء القمح<sup>1</sup>.

وكانت هذه المجاعة سببا في ارتفاع أسعار الحبوب، وخاصة القمح كما تشير إلى ذلك الرسالة التي بعث بها صالح باي إلى وكيل الباسيتيون خلال عام 1779، يخبره فيها أن سعر القفيز من القمح قد قفز إلى 42 ريال عنابي<sup>2</sup>، بعدما كان لا يتجاوز عشرة بياسترات للقفيز قبل الأزمة<sup>3</sup>، وقد رفض صالح باي بيعه إلى وكيل الباسيتيون بحجة أن الكمية المطلوبة كبيرة، والقمح المتوفر هو من أجل أهل البلد فقط<sup>4</sup>.

وفي بايلك الغرب قام محمد باي الكبير بشراء القمح من إسبانيا وبيعه للسكان بثمان منخفض، كما وزع مجانا كميات أخرى على المحتاجين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبعد زوال القحط وسقوط الأمطار زاد إنتاج الحبوب مرة أخرى وتواصل تصدير القمح من جديد، وتدل الوثائق المحاسبية للشركة الإفريقية الفرنسية التي اطلعنا عليها على تزايد صادرات بايلك الشرق نحو هذه الشركة حتى في السنوات التي ضرب فيها الوباء. ففي عام 1788 بلغت كمية القمح المصدرة 9 252 قفيز<sup>5</sup> من ميناء عنابة لصالح الشركة الملكية الفرنسية<sup>6</sup>، وهذه الكمية تساوي 41 634 حملا مرسليا.

هذا، وتشير الوثائق الأرشيفية أيضا إلى تصدير كميات معتبرة من الفول والحمص والخضر والزيت. و-حسب فنتير دو باردي- أنه في 1788، خرج من ميناء عنابة،

<sup>1</sup> René Bouyac, Histoire de Bône, éd. LELEN OUDIM et Cie, Paris, 1892, p. 102

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 68 من صالح باي إلى وكيل الباسيتيون حول طلب الفرنسيون 150 قفيز من القمح و100 قفيز من الشعير خلال عام 1779م/1197هـ وكان رد الباي عليه سلبي.

<sup>3</sup> وحسب بول ماسون فإن قفيز القمح كان يساوي في الفترة من 1771-1773م، 7 بياستر وهي تعتبر سنوات ازدهار الشركة الملكية الإفريقية. ينظر:

Paul Masson, Histoire Des Etablissements..., Op.cit. p. 540

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 68، المصدر السابق.

<sup>5</sup> قفيز عنابة يساوي 4.5 حملا مرسليا وهذا يعني أن 9252 قفيز تساوي 41 634 حملا، لمزيد من المعلومات حول هذه الكمايل والأوزان ينظر، نادية فتيسي، الحياة الاقتصادية ببيايلك الشرق في عهد صالح باي 1185-1207هـ/1772-

1792م، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة، العدد، 16، نوفمبر 2013، ص. 156

<sup>6</sup> A.C.CM. L III, Article 1280, Compagnie royale d'Afrique, factures et connaissance des marchandises expédiées à Marseille année 1788.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

والجزائر، أرزيو، وميناء مستغانم وتدلّس (دلّس) حوالي 150 ألف حمولة من القمح والشعير والخضر<sup>1</sup>.

وقبل ذلك أي خلال عام 1787م شحنت ثلاث وثلاثون سفينة فرنسية بالقمح من عنابة وتقريباً نفس العدد من سفن الدول الأجنبية الأخرى شحنت 26 حمولة قمح بأرزيو وثلاث أو أربع حمولات من دلّس وهو ميناء التيطري ونفس الكمية من بجاية. وعلى العموم حين تكون السنة جيدة المحصول يصدر من ميناء عنابة 40 ألف حمولة من الحبوب و30 ألف من أرزيو واثنان أو ثلاث حمولة من ميناء تدلّس<sup>2</sup>.

ونعتقد أن التصدير كان يتم من مخزون القمح القديم، الذي وفرته المحاصيل الجيدة، ذلك أن الوباء في مقاطعة قسنطينة كانت نتائجه كارثية على السكان، وعدد الوفيات كان يتزايد بصورة مقلقة، فحسب مراسلة وكيل الشركة الملكية الإفريقية بتاريخ الفاتح من أبريل 1785م، فإن الوباء كان يقضي في مدينة عنابة يومياً على 14 إلى 18 شخص يومياً، وفي سنة 1786 كان يموت كل يوم من ستة إلى خمسة أشخاص<sup>3</sup>. وقد ضرب في مدينة قسنطينة كذلك بشدة خاصة في عام 1787م، وقد أحصى البارون "فون روبيندي" (Von Rehbinder) الألماني الذي كان يقيم بالمدينة، عدد الموتى بسبب الوباء في الفترة الممتدة من شهر مارس إلى جويلية 1787، 13 482 مسلماً، 1771 من اليهود، 540 مسيحياً، وكان مجموع الوفيات هو 15 793 شخصاً<sup>4</sup>.

وكان هذا الوباء قد ضرب كلاً من تونس والجزائر دون المغرب إذ مس تونس خلال سنة 1785، وانتقل إلى شرق الجزائر في سنة 1786، ثم انتقل إلى الوسط خلال عام 1787<sup>5</sup>، وضرب بشدة الغرب، وخاصة معسكر وتلمسان سنتي 1790 و1791<sup>1</sup>، وراح ضحيته آلاف الموتى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Ventrué de Paradis, Op.cit., p. 21

<sup>2</sup> Idem., p. 21,22

<sup>3</sup> René Bouyac, Op.cit., p. 101

<sup>4</sup> Emile MERSOIL, La Régence d'Alger vue par un Allemand à la fin du XVIII<sup>e</sup> siècle 2<sup>ème</sup> Congrès national des sciences historiques d'Alger, 1930, publiée par les soins de la société historique Algérienne, Alger 1932, pp. 307-310

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، الرسالة رقم 84، خلال عام 1787م/ (1201-1202هـ)، جاء في الرسالة التي بعثها صالح باي إلى وكيل الباستيون أن الوباء قد توقف انتشاره في المنطقة ولا داعية للخوف.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وقد حاولنا حصر الكميات المصدرة من مختلف المواد خلال السنوات 1786، 1787، 1788 وقمنا بحساب متوسط الحمولات المصدرة من ميناء القالة وعنابة كما هو موضح في الجدول الآتي:

**الجدول رقم(3):** يمثل صادرات بايلك الشرق من مينائي عنابة والقالة الى الشركة الملكية الإفريقية في الفترة من (1786-1788م)

المواد المصدرة	1786	1787	1788	متوسط الكميات المصدرة للشركة الملكية الإفريقية
القمح (حملا)	74 200	101 650	59 135	78 328
الشعير (حملا)	20 300	7 100	3 435	10 278
الفول (حملا)	6 200	4 551	1 525	4 092
الحمص(حملا)	1 283	300	-	528
المرجان بالصندوق	50	49	48	49
الصوف الرقيق (بال)	1 018	6 320	3 978	3 772
صوف الخشن (قنطار)	48 920	269	16 854	22 014
الشمع (قنطار)	14 232	16 700	15 235	15 389
الجلود (جلد)	5 392	19 769	8 298	11 153

Source : A.C.CM. Série LIII, article, 762, Inventaire compagnie royale d'Afrique, Etat des denrées et marchandises que la compagnie d'Afrique a reçu des concessions pour l'année 1786-1788.

بمقارنة النتائج المتحصل عليها في الجدول أعلاه مع متوسط الكميات المصدرة في الفترة من ( 1766 - 1770)<sup>3</sup>، نلاحظ أن هناك فروقات واسعة بينهما. حيث كان مثلا: متوسط خمس سنوات من صادرات القمح يساوي 16 622 حملا، ومن الشعير

<sup>1</sup> لويس فالنسي، المغرب الكبير قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980، ص.28

<sup>2</sup> حسب الزهار فإن الوياء كان " يحصد خمسمائة جنازة كل يوم وقيل انه جاء في سفينة قادمة من بر الترك"، المصدر السابق، 51

<sup>3</sup> أنظر الجدول رقم (1) أعلاه

يساوي 4 792 حملا، بينما في الجدول أعلاه متوسط معدل القمح والشعير لثلاث سنوات يساوي 78 328 حملا، والشعير 10 278 حملا.

ويمكننا أن نفسر هذا التطور في زيادة الإنتاج إضافة إلى العوامل الطبيعية كالمناخ والتربة الملائمين، إلى الدور الكبير الذي لعبه صالح باي في سوق الإنتاج ومع المتعاملين الاقتصاديين.

### 1-2 صالح باي وتجارة القمح:

اهتم صالح باي بزراعة القمح نظرا للإقبال الكبير عليه من طرف الأجانب، وقد مكنته خبرته الشخصية التي اكتسبها من عمله لمدة ستة سنوات كخليفة للباي من التعرف على كل المتعاملين الاقتصاديين الأجانب والاطلاع على أسعار القمح وأحسن أنواعه، لذلك بمجرد ما إن أصبح بايا رمى بكل ثقله في هذا المجال<sup>1</sup>، فكان يتدخل مباشرة في تعيين الأراضي التي يجب حرثها والبذور التي يجب شراؤها أو حفظها ويعطي الإذن للشخصيات المحلية لإنتاج الحبوب والمتاجرة فيها<sup>2</sup>.

وتثبت وثائق الشركة الملكية الفرنسية<sup>3</sup>، أن صالح باي كان يملك مخزونا كبيرا من القمح، بحيث تمكن في شهر واحد وهو "جانفي" من سنة 1789، من بيع ما مقداره 10 062 حملا ب 27.1 بياستر للقفيز، أي ما يساوي  $(4.5/10062) \times 27.1 = 60 595.6$  بياستر، بالإضافة إلى حصته من القمح المختلط والتي قدرت ب 5 467.5 حملا مشتركا بين الباي والفلاحين بنفس السعر.

وفي السنوات الأخيرة لعهد سيطر صالح باي تماما على سوق القمح فكان يبيع للشركة الملكية الإفريقية بأسعار مضاعفة عن تلك التي يتعامل بها مع باقي التجار والفلاحين المحليين، وهذا ما يوضحه لنا الجدول التالي المستخرج من فواتير الشركة الملكية الفرنسية لسنة 1790، 1791:

<sup>1</sup> المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ...، ج1، ص.248

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص.49

<sup>3</sup> A.C.CM. Antérieurs à 1801, Série LIII, article 1281, Compagnie royale d'Afrique, Bône factures et connaissance des marchandises expédiées à Marseille, 1789

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

جدول رقم(4): يمثل كميات القمح المصدرة خلال سنة 1790 والموردين للشركة الملكية الإفريقية وعلى رأسهم صالح باي

القمح									
سنة 1790	قمح الباي بالحمل	متوسط سعر الشراء الشهري للقفيز	الثلث الإجمالي بياستر	قمح عصمان خوجة بالحمل	متوسط سعر الشراء الشهري للقفيز	الثلث الإجمالي بياستر	قمح مخازن القايد	سعر القفيز	الثلث الإجمالي بياستر
جانفي	875	28,7	25 113						
فيفري	1090	28,7	31 283						
مارس	347	28,7	9 959	263	29	6230	445	14	
أكتوبر	430	29,6	12 728						
ديسمبر	1595	28,9	46 096						
المجموع	4337	28,9	125 178	263	29	6230	7548	14	

Source : A.C.C.M. Intérieures à 1801, Série, LIII, article 1282, objet, compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissance des marchandises expédiées à Marseille, 1790

من خلال الجدول نلاحظ أن مجموع القمح المصدر من مينائي عنابة والقالة لسنة 1790 هو 5045 قفيز أي ما يساوي 5. 22 702 حملا. ويتصدر صالح باي المرتبة الأولى في تصدير القمح لصالح الشركة الملكية بكمية تعادل تقريبا 19 516.5 حملا، ثم تأتي مخازن القايد ب 5. 2 002 حملا، ثم عصمان خوجة 1 183.5 حملا، ونعتقد أن هذا الأخير هو من ديوان الباي نظرا للاسم الذي يحمله وللسعر الذي يبيع به وهو مساو لسعر الباي 29، أما قمح مخازن القايد المجمع من عند الفلاحين فالسعر المحدد للبيع هو أقل من النصف أي 14 بياستر.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وقد سجلت الوثائق التي استقينها منها نتائج الجدول أعلاه أن الباي يأخذ عن كل قفيز من القمح المباع من عند غيره 1 بياستر، تدفعه الشركة الفرنسية الإفريقية وتضيفه لمصاريف الشراء<sup>1</sup>.

ويحصل الباي أيضا على نصيبه في المعاملات مع الشركة الفرنسية حسب ما حددته بنود معاهدة 1714 الخاصة بالباستيون والتي خصصت له نسبة 10% من ثمن جميع السلع التي يشتريها وكلاء الشركة المعنية<sup>2</sup>.

وقد جمعنا في الجدول الموالي معطيات سنة 1791 لتصدير القمح حتى نقارن بين نتائج سنة 1790 و 1791 من حيث الكميات المصدرة والسعر والمورد:

<sup>1</sup> A.C.CM. Intérieures à 1801, Série, LIII, article 1282, objet, compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissance des marchandises expédiées à Marseille, 1790

<sup>2</sup> محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص.200

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

الجدول رقم (5): يمثل كميات القمح المصدرة من مخازن القايد ومن قمح صالح باي خلال عام 1791 للشركة الملكية الإفريقية

القمح						
سنة 1791	قمح الباي	متوسط السعر الشهري	الثلث الإجمالي	قمح المخازن القايد	متوسط السعر الشهري	الثلث الإجمالي
جانفي	1776	28,7	50 971,2	265	14	3710
فيفري	760	28,7	21 812,0	-	-	0
مارس	347	28,7	9 958,9	92	14	1288
أفريل	378	28,7	6,4810 8	1254	14	17556
ماي	114	28,7	3 271,8	-	-	-
جوان	755	28,7	21 668,5	-	-	-
جويلية	-	-	-	348	-	-
أوت	-	-	-	-	-	-
سبتمبر	780	27,1	21 138,0	-	-	-
أكتوبر	2368	27,1	64 172,8	-	-	-
نوفمبر	1555	27,1	42 140,5	-	-	-
ديسمبر	910	26,8	24 388,0	-	-	-
المجموع	9743	27.75	3703270	1959	14	22554

Source : A.A.CM., Série, LIII, article 1282, compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissance des marchandises expédiées à Marseille, 179

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن مجموع ما تم تصديره من ميناء عنابة والقالة خلال 1791م هو 11 702 قفيز وهو ما يعادل تقريبا 52 659 حملا من القمح، وهي كمية مضاعفة مرتين للشحنات المصدرة خلال سنة 1790م. كما نلاحظ استمرار صالح باي في المحافظة على المرتبة الأولى في تصدير القمح، والمداخيل الكبيرة التي يجنيها من هذه التجارة ففي سنة واحدة تجاوزت مبيعاته ثلاثة ملايين بياستر. ومثل هذه المداخيل تفسر ثروته الكبيرة والأموال التي كان ينفقها أثناء حملته للدنوش، ومختلف انجازاته العمرانية وأوقافه التي سبق الحديث عنها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> حول انجازات صالح باي وثرته ينظر الفصل الثاني

### 1-3 المرجان:

في الحقيقة أن المؤسسات الفرنسية التجارية تأسست منذ البداية من أجل صيد المرجان واحتكار تجارته في السواحل الشرقية لإيالة الجزائر، وتجارة الحبوب كانت تتم في الخفاء ولم تصبح شرعية إلا بعد معاهدات، 1694، 1714، 1731<sup>1</sup>، والتي سمحت بشراء كمية محددة من القمح<sup>2</sup>، وفي عهد محمد بن عثمان باشا، كانت الشركة الملكية الإفريقية هي القائمة بالامتيازات الفرنسية في شرق البلاد كما سبق ذكره. والتي تأسست بمرسوم ملكي بتاريخ 22 فيفري 1741 وبدعم مالي من الحكومة الفرنسية، وكان رأسمالها يقدر 1 200 000 فرنك مقسم إلى 1200 سهم للغرفة التجارية بمرسيليا الحق في الربع منها<sup>3</sup>.

وكان صيد المرجان يوفر للشركة أرباحا جيدة في كل سنة، وكان متوفرا بساحل القالة، خليج عنابة رأس الحديد، سواحل جيجل وبجاية والموقع الأساسي هي سواحل القالة. وهو عدة أنواع، منه المرجان الميت ويتكون من الجذور، ويبلغ ثمنه من 5 إلى 20 فرنكا للكيلوغرام، أما المرجان الأسود فيستعمل بعد صقله في تزيين المجوهرات وهو من النوعية الجيدة، وسعر الكيلوغرام يتراوح ما بين 5 إلى 20 فرنكا. مرجان الصندوق، ويتكون من الأغصان المتشعبة الطويلة ويتراوح سعره من 45 إلى 70 فرنكا. وأحسن الأنواع هو المرجان المختار من الأغصان الكبيرة يختاره البحارة ويبيعونه منفصلا، سعر الكيلوغرام ما بين 400 إلى 500 فرنكا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> وقعت أول معاهدة رسمية بين الحكومة الجزائرية وفرنسا سنة 1628 من طرف التاجر المرسيلي " نابلون سامصون " ممثلا عن الجانب الفرنسي، وقد تحصلت فرنسا بموجبها على حق احتكار صيد المرجان دون غيرها على السواحل الشرقية للجزائر مقابل دفع لزمة سنوية قدرها 40 ألف فرنك. وتجددت سنة 1694، وتقرر فيها أن يدفع 20 ألف فرنك إضافية للسلطات بايلك قسنطينة، وجاءت معاهدة 1714 لتدعم أكثر امتيازات الفرنسيين في السواحل الشرقية واحتكارهم لتجارة الحبوب والمرجان وباقي المواد المصدرة بالشرق الجزائري. ينظر العربي الزبيري، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص ص. 193-194

<sup>2</sup> Paul Masson, Op.cit., p., 527

<sup>3</sup> محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص. 195-197

<sup>4</sup> Fillias, Notes sur les produits maritimes du littoral algérien, éd., Imp., CURSACH, Alger, 1878, pp. 29, 30



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وحسب بول ماسون فإن متوسط الإنتاج من سنة 1752 إلى 1760 بلغ 11 000 ليرة، وهو ما يعادل تقريبا 12 375 فرنكا<sup>1</sup>. وفي سنوات الخمس التالية (1761-1765)، ارتفع إلى أكثر من 15 700 ليرة (17 662.5 فرنكا). وتجاوزها في السنوات الخمس من 1766-1770 إلى 20 000 ليرة (225 000 فرنكا). مما جعل الشركة تقرر زيادة عدد سفن الصيد من 23 في سنة 1759 إلى 38 سفينة سنة 1780<sup>2</sup>.

غير أن إنتاج المرجان السنوي تراجع منذ مطلع الثمانينات من القرن الثامن عشر وهو ما يثبته أرشيف الشركة الأفريقية، حيث بلغ متوسط الإنتاج من سنة 1783 إلى 1789، 65 صندوقا، وقد كان في سنة 1780 يساوي 180 صندوقا من المرجان الجيد ويساوي 25 000 ليرة (28 125 فرنكا). وتقدر أرباحه ب 150 000 ليرة (160 875 فرنكا)<sup>3</sup>، وكان في سنة 1779، 185 صندوقا بيعت ب 195 827 بياستر<sup>4</sup>، ويساوي 881 221.5 فرنكا، وكان متوسط ثلاث سنوات (1786-1788) يساوي 49 صندوقا حسب الإحصائيات المقدمة في الجدول رقم (3) أعلاه.

ولم تكن الشركة الإفريقية تدفع لداي الجزائر وباي قسنطينة سوى لزمة مقدارها ثابت ويساوي 5552 فرنكا، وتفصيلها مسجل في "يومية" وكالة الشركة الإفريقية بمدينة الجزائر لسنة 1769 كما يلي<sup>5</sup>:

- لزمة تدفع للباي كما حددتها المادة الرابعة من معاهدة 1694 وقيمتها 500 بياستر عنابي وتساوي: 1 875 فرنكا

- لزمة الداوي كما حددتها نفس المادة 11 من نفس المعاهدة، تساوي 1221 بياستر الجزائر.

<sup>1</sup> استنتجنا قيمة الفرنك بالنسبة لليرة الفرنسية من الوثائق الخاصة بالميزانية السنوية لشركة الملكية الإفريقية حيث وجدنا أن واحد بياستر يساوي إلى 4 ليرة، و واحد بياستر يساوي 4.5 فرنك فرنسي، وبتطبيق الرابع المتناسب نتحصل على أن واحد ليرة يساوي إلى 1.125 فرنك. وواحد فرنك يساوي 0.89 ليرة. وعلى هذا الأساس قمنا بعمليات التحويل أعلاه. لمزيد من التفاصيل ينظر: A.CM. Série, LIII, article, 761, Bilans annoté 1777, 1792,

<sup>2</sup> Paul Masson, Op. cit., pp., 506- 507

<sup>3</sup> Idem, pp., 507,508

<sup>4</sup> A.A.CM. Série, LIII, article, 761, compagnie royale d'Afrique, Bilans annotes, 1777-1792, Bilan 1779

<sup>5</sup> A.A.CM. Série, LIII, 1325, Compagnie royale d'Afrique journal et comptes de resettes et de dépenses (1761-1785), premier quartiers, 1769

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

لزمة الباي: 1 875 .00

لزمة الداى: 3 663. 00

الرسوم: 9 .40

نسبة الداى: 4 . 60

المجموع: 5 552 .00 فرنكا

إضافة إلى اللزمة تدفع الشركة صندوقين من المرجان الجيد للخرينة العامة بمدينة الجزائر، وتحفظ المكتبة الوطنية الجزائرية بعدة سندات تسليم تحمل الأرقام: من 406، إلى 434 بالترتيب وهي متعلقة بلزمة المرجان التي كان يدفعها وكيل الباستيون إلى الداى، وكان يحدد فيها الوزن بالأرقام والحروف وتاريخ التسليم وكمثال على ذلك<sup>1</sup>:

جاء في السند رقم 412: " تسليم مرجان 200 أرتال على يد قنصل فرنسا مرجان سنة كاملة في محرم سنة 1239 هـ جملة قنطارين اثنين مرجان وفي الأخير ختم الباشا.

ويمكننا القول أن تراجع إنتاج المرجان لم يكن بسبب اللزمة التي تدفعها الشركة لخرينة الجزائر، بل يعزى هذا التقهقر إلى نقص رؤوس الأموال الضرورية واستخدام الشركة لعمال لا خبرة لهم، بالإضافة إلى استعمال الطرق التقليدية المتوارثة منذ العصر الوسيط<sup>2</sup>. وفي الواقع لم تكن خسائر الشركة دائمة، وكذلك أرباحها، فقد حققت أرباحا معتبرة من تجارتها في الحبوب خلال سنوات الازدهار من 1771-1773م، وكانت مبيعات القمح تنتج فوائد قدرت من 30 إلى 249 و 281%، وكان سعر الشراء منخفضا يساوي 7 بياستر للقفيز، وبلغت نسبة الربح في الشعير من 66 إلى 182%، وفي الفول من 149 إلى 256%، وأرباح الشمع بلغت 100%، وكانت الأرباح من الجلود خلال عام 1775 في ميناء القل من 37 إلى 61 وبلغت 118% و 155% خلال 1776<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثائق، رقم، 406-434. تغطي هذه السندات في مجملها الفترة الممتدة من (1237-1242هـ) / (1822-1827م)

<sup>2</sup> Paul Masson, Op.cit., p., 507-508

<sup>3</sup> A.A. CM. Série, LIII, article 22, Registre de délibérations (1767-1771), pp., 139,149, 159, 192

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وحسب الميزانيات الختامية للشركة الملكية الإفريقية التي اطلعنا عليها في الفترة من 1766 إلى غاية 1791م فإن الشركة لم تحقق في جميع السنوات نتائج إيجابية بل كثيرا ما كنت تعاني من الخسائر، كما حدث في سنتي 1784، 1785، حيث تعرضت لخسارة متوالية قدرت في الأولى ب (7 698.523)، في السنة الثانية ب (26 357.38) بدقة شيك، كذلك كانت نتيجة 1787 سلبية، وبلغت (1 084.124) بدقة شيك، أما سنوات الازدهار التي تحدث عنها بول ماسون فهي من 1771 إلى 1773 وبالآحرى إلى غاية سنة 1774م حيث حققت فيها الشركة أكبر أرباحها وكانت النتائج كالتالي<sup>1</sup>:

**جدول رقم (6):** يمثل نتائج السنوات المالية للشركة الملكية الإفريقية في الفترة من 1774-1770م

السنة	النتيجة المالية السنوية ب (البدقة شيك)
1770	15 857.3.25
1771	17 281.1.25
1772	19 738.5.25
1773	26 763.6.25
1774	45 007.4.25

**Source :** A.A.CM. Série, LIII, compagnie royale d'Afrique, Alger, journal et compte de recettes et Dépense (1781-au II 1794)

من خلال نتائج الجدول نلاحظ أن نتائج الشركة الملكية الإفريقية كانت أرباحا كبيرة ومتزايدة لمدة خمس سنوات متوالية، ويبدو أن تلك الأرباح التي كانت تحققها الشركة من فترة إلى أخرى كانت تنسي التجار المرسلين الخسائر التي يتعرضون لها وتجعلهم يواصلون نشاطهم على أمل أن تتحسن الظروف ويعوضون ما فقدوه.

<sup>1</sup> A.A.CM, série, LIII, compagnie royale d'Afrique, Alger, journal et compte de recettes et Dépense (1781-au II 1794)

2- المنافسة التجارية الجزائرية الأوروبية: إذا كانت تجارة القوافل سيطر عليها تجار الجزائر فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للتجارة البحرية مع الدول الأوروبية. ذلك أن تجار مرسيليا ونواب الغرفة التجارية وحتى قضاتها أزجعتهم منافسة التجار الجزائريين، مما أدى بهم إلى أن يبعثوا برسائل احتجاج إلى الحكومة الفرنسية لتضع حدا لنشاطهم، لكن الرد لم يكن في صالحهم، وقالوا أنه من الصعب منعهم وأن الأمر سيكون نقضا صريحا للمعاهدات المبرمة بين البلدين، كما أنهم كانوا يتخوفون من ردة فعل مماثلة لحكام الجزائر. واقترحوا عليهم إزعاج التجار المسلمين، كمنعهم من زيارة مقابر المسلمين في طولون ومرسيليا<sup>1</sup>.

وخلال عام 1775م منعوا الجزائريين فعلا من زيارة مقابر المسلمين، لكن الداوي محمد بن عثمان باشا احتج لدى الحكومة الفرنسية، وقال أن هذا حق مأخوذ بالمعاهدات وحسب العادة القديمة، حينئذ دعا الوزير الفرنسي أعضاء الغرفة التجارية لتجنب هذه الحوادث وطلب منهم السماح للمسلمين بحرية زيارة مقابرهم، لأنه كان متخوفا من تعرض الفرنسيين لأعمال انتقامية في الإيالة<sup>2</sup>.

وبعد ذلك لجأ تجار مرسيليا إلى حيلة أخرى وهي منع التجار الجزائريين بالرسو في موانئها وتقريغ بضائعهم بعدة ذرائع منها؛ عدم وجود مخازن شاغرة، أو أنهم قراصنة متكرون، ومع ذلك لم يتخلصوا -حسب إميريت مارسال-، من منافسة تجار الجزائر إلا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر بعد اندلاع الحرب العثمانية الروسية، 1777-1788 وقطع العلاقات الجزائرية مع الدنمارك وتوسكانة، حينئذ انفرد تجار مرسيليا، وتجار يهود ليفورن بنقل المنتجات التونسية والجزائرية نحو المشرق والدول الأوروبية<sup>3</sup>.

وكانت النتيجة هي سيطرة تجار مرسيليا على أرباح التبادل التجاري بين الجزائر ومرسيليا، وعلى الحبوب والمواد الأولية بأسعار منخفضة استفاد منها الفرنسيون في تطوير اقتصادهم، وأدخلوا إلى الإيالة سلعا أوروبية مصنعة بأثمان باهظة لا يحصل عليها حسب

<sup>1</sup> Marcel EMERIT, L'essai d'une marine marchande barbaresque au XVIII siècle, in les cahiers de Tunisie, N°11, 3<sup>eme</sup> trimestre, 1955, Ann.3, Institut des hautes études, Tunis. pp.366-368

<sup>2</sup> Marcel EMERIT, Op. cit. p. 368

<sup>3</sup>idem. p., 369

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

"بيار بيوي" إلا الأغنياء.<sup>1</sup> أما الفلاح البسيط فكان مستوى حياته بسيطا لا يعيش تقريبا إلا على ما تنتجه الأرض.

وعلى أية حال عرف عهد محمد بن محمد عثمان باشا تطورا ملحوظا في الانتاج الفلاحي خاصة من الحبوب والمواشي في المواسم الجيدة، حيث كان يغطي احتياجات السكان من الغذاء والمواد الأولية الحيوانية، والفائض تحمله السفن خاصة إلى ميناء مرسيليا بمعدل 82 سفينة في الفترة من 1768-1775م، وبمتوسط إيرادات سنوي قدره 2 456 533 فرنكا، وبعد أزمة الجفاف والمجاعة والوباء انخفض المتوسط السنوي إلى 10 سفن في الفترة الممتدة من 1776-1787م، وبمتوسط صادرات لا تتجاوز 522 437 فرنكا.<sup>2</sup>

ومهما كان من أمر فقد ساهمت صادرات الجزائر من المواد الأولية حيوانية ونباتية كالصوف والجلود والشمع والمرجان في تطوير الصناعات الأوربية أكثر من الصناعات المحلية التي كانت موجهة أساسا لتلبية حاجات السكان، أما المرجان الذي يعتبر كنزا بحريا لم تستغل الإيالة منه شيء، سواء تعلق الأمر باستخراجه أو صقله أو تصديره، وكل ما كانت تجنيه هو لزمة تدفع إليها كل شهرين قمرين وصندوقين من المرجان.

وإذا كانت هذه هي صادرات الجزائر فما هي أهم واردتها؟

### 3- واردات إيالة الجزائر عن طريق البحر:

**3-1 من الدول الأوربية:** كانت أغلب السلع المستوردة من الدول الأوربية هي السلع الجاهزة والمصنعة، وبعض الكماليات، وحسب "فتير دو باردي" كانت تأتي من مرسيليا نحو مدينة الجزائر خمس أو ست سفن سنويا محملة بالسكر والقهوة والحديد والكاغد والخردوات والحريير والمسامير، وتقدر هذه التجارة من سبعة إلى ثمانمائة ألف ليرة. ومن ليفورن كانت تأتي سفينتين إلى ثلاث سفن محملة بالأنسجة الألمانية، وحريير الهند ودمشق والأحزمة وتقدر بمليون ليرة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 188

<sup>2</sup> A.C.C.M. Série, I 17, Statistique Etats divers, 1768-1789, Résultat, du commerce de 'Alger à Marseille, (1768-1775), et (1776-1787). Voir l'annexe n°14, page 01 et 02

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.28

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

ومن إنجلترا وهولندا تستورد الأقمشة والمعادن المختلفة وملح البارود والكبريت والخردوات والذهب والفضة لصناعة النقود، ومن إسبانيا تشتري الريالات الإسبانية. ومن ميروقة ومنروقة تستورد الجبن<sup>1</sup>.

2-3 من الأناضول والإسكندرية: كانت تأتي بانتظام سفينتان من إسطنبول وواحدة من الإسكندرية. وكان يجلب من أزمير التوابل والأحزمة والأقمشة القطنية والحريرية<sup>2</sup>، ومن سالونيك أقمشة قطنية تستعمل لبطانة الملابس ولخياطة الملابس الداخلية والقطيفة والحرير، والأواني المنزلية مثل: القدور الأبريق ومختلف الأواني المنزلية المصنوعة من الفضة، وتحمل السفينة القادمة من الإسكندرية معها البن والأرز، وقدرها "فتير دو باردي" بثلاثمائة ألف ليرة<sup>3</sup>.

وحسب شهادة القنصل "نيكولا روزلام"، (Nicolas Rosalem) فإن تجاراً من مدينة الجزائر كانوا يقومون بالتجارة مع ليفورن ومع الشرق على سفن مستأجرة من دول صديقة تنقل بضائعهم ويجلبون من الشرق القطن الخام والأقمشة الحريرية والأنسجة<sup>4</sup>.

والخلاصة أن التبادل التجاري في عهد محمد بن عثمان باشا كان يتم على نطاق واسع، ومع بلدان ترتبط مع الإيالة بعلاقات صداقة وحسن الجوار في إفريقيا وأوروبا وآسيا، مما جعل الأسواق الداخلية تعرض سلعا وبضائع من مختلف الأنواع والبلدان، إضافة إلى الإنتاج المحلي الفلاحي والحرفي. ونعتقد أن رواج التجارة الداخلية والخارجية نتج عن تضافر عدة عوامل طبيعية وبشرية تمثلت في الإمكانيات الفلاحية الهائلة التي تمتلكها الإيالة والمناخ المعتدل، وفي جهود الفلاحين والحرفيين والتجار في إطار السياسة الاقتصادية التي رسمها الداوي وطبقتها حكومته من أجل تطوير الإنتاج الحيواني وتوسيع الأراضي الزراعية من سنة إلى أخرى، وحرصها على فرض الأمن والاستقرار في ربوع الإيالة، وخاصة الأمن في الطرق التجارية وتنظيم الأسواق، تلك المهمة التي تميّز بها

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.28

<sup>2</sup> F. ELIE de la Primaudaie, Le Commerce et la navigation de l'Algérie, in Revue Algérienne coloniale, Alger, juin 1860, p.191

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.28

<sup>4</sup> Marcel EMERIT, L'essai d'une marine..., Op.cit., p., 366

الحكام خلال العهد العثماني وقد أشاد بها حمدان خوجة<sup>1</sup> وتأسف على فقدانها كثيرا بعد الاحتلال الفرنسي.

### سادسا: الحرف والصناعات

كانت الصناعة في العهد العثماني أغلبها حرف تقليدية يدوية تعتمد على المواد الأولية المحلية والجهد العضلي والآلات البسيطة، وتستهلك الوقت الطويل بسبب بعدها عن التقنية الحديثة، وغايتها الأساسية تلبية حاجيات السكان من اللباس والأثاث وبعض المعدات والأدوات التي تستعمل في العمل أو في المنزل. وتكثر الحرف وتتنوع خاصة في المدن وفي منطقة بلاد القبائل أين تقل الأراضي الزراعية الخصبة أوتزيد الكثافة السكانية، وتقتصر في الأرياف على بعض الصناعات الصوفية والخزفية والخشبية لوفرة المواد الأولية من المواشي وفي الغابات للاستعمالات الخاصة.

1- **حرف سكان الأرياف:** كانت الحرف اليدوية المنتشرة في المجالات الريفية بإيالة الجزائر تمارس خاصة من قبل النساء لانشغال الرجال بالفلاحة وتربية المواشي، فكانت المرأة تغزل الصوف والوبر وتحيك الملابس الصوفية لجميع أفراد العائلة وتنسج الأغطية وحتى الخيم، بالإضافة إلى صناعة الأواني الفخارية المنزلية كبوقال الماء، أواني الطعام، الأباريق، الخزان، المزهرية والجرة لحفظ الماء والحليب والزيت والزبدة وغيرها من السوائل<sup>2</sup>. وكانت الفتيات المقبلات على الزواج في الأرياف بالشرق الجزائري وإلى غاية العهد الاستعماري اللواتي يحسن الغزل والحياكة وصناعة الفخار هنّ الأعلى مهورا.

وفي الواقع كانت صناعة الصوف منتشرة في كامل الإيالة، حيث اشتهرت قبائل الأطلس بحياكة البرانيس والأغطية الصوفية (الحياك) والزرابي التي تباع في الأسواق بأسعار مرتفعة<sup>3</sup>. وأشهر المناطق التي كانت تنسج الحياك بالإضافة إلى تلمسان، بني عباس، والحياك الحمراء لبسكرة وحياك ورقلة الحمراء والبيضاء، ونظرا لشهرتها كان الدايات يرسلونها كهدايا للسلطين العثمانيين عند توليتهم<sup>4</sup>. كما كانت صناعة الحصائر من الحلفاء منتشرة في الشرق وتصدر منها كميات معتبرة إلى مرسيليا، حيث تبين فواتير

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 112

<sup>2</sup> حمدان خوجة المصدر السابق، ص ص. 69-75

<sup>3</sup> Marcel EMIRIT, La situation économique..., Op.cit., p., 170

<sup>4</sup> Tachrifat, Op.cit., p. 58, 59

الشركة الملكية الإفريقية التي اطلعنا عليها أنه تقريبا مع كل سفينة تشحن من الحبوب أو الصوف من ميناء عنابة تحمل معها أكثر من خمسين حصيرة إلى مرسيليا.<sup>1</sup> وفي منطقة القبائل كان تنتشر الكثير من الحرف، كالنجارة والحدادة وصناعة سكك المحاريث الحديدية والفؤوس، وتكثر عندهم أيضا حياكة الصوف كالبرنوس والجبّة والشاشية البيضاء، وينتجون زيت الزيتون ويصنعون بأنفسهم القوالب لعصره ويصنعون الشموع والصابون والآجر والقرميد ويستخرجون الجير الذي يستعملونه في تبييض المساجد والزوايا، وينسجون الحصائر والقفف والحبال، وتصل مهارتهم إلى حد تزوير النقود من مختلف الأنواع وصناعة الأسلحة النارية والبيضاء.<sup>2</sup>

**2 - الحرف والصناعات المنتشرة في المدن والحوضر:** يمكننا أن نميّز بين نوعين من الصناعات في المدن: منها تلك التابعة للبايلك وحرف الأفراد والجماعات؛ وهذه الأخيرة هي حرف يدوية تقليدية كثيرة ومتنوعة تنتشر تقريبا في كل حواضر الإيالة.

**1-2 صناعات البايلك:** وترتكز أساسا في مدينة الجزائر، وتتمثل في صناعة الأسلحة والسفن وسك العملة والتي نستطيع أن نسميها صناعة ثقيلة لأنها استثمارات تتطلب رأس مال كثيف وتتطلب موارد، ومرافق، وإدارة أكبر. ومنها:

**1-1-2 صناعة السفن:** كانت صناعة السفن في الإيالة تتم في دار الصناعة أو الترسانة ويشرف عليها وكيل الحرج. وهي عبارة عن ورشات بحرية متعددة، وأكبر الصنّاع كانوا من علوج مالطا ومن الأسرى خاصة النجارين، وكان المهندس المشرف ن إما إسبانيا أو فرنسا، والمساهمة المحلية قليلة وتختص بصناعة الزوارق الصغيرة والصنادل.<sup>3</sup>

ومعظم الخشب والمعدات واللوازم من حبال وصواري ومسامير ومناشير وأشرعة وغيرها كانت تقدمها الدول الاسكندنافية كالسويد والنرويج والدانمارك، كنوع من الهدايا أو كجزء من الضريبة التي تدفعها للإيالة، كما سبق ذكره. وكانت المساهمة المحلية تأتي عن طريق نظام الكراسته في بلاد القبائل حيث يقوم ممثل البايلك في بجاية بتعيين وقطع

<sup>1</sup>A.C.CM. Série LIII, Article 1274, compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissances des marchandises expédiées à Marseille, 1780-1781, voir par exemple, envoi à Marseille du 4 may 1781.

ولمزيد ن التفاصيل عن تصدير الحصائر، ينظر: الملحق رقم (13)، الصفحة الأولى.

<sup>2</sup> M. Doumas, M. Fabar, La grande Kabylie, étude historique, libraires d'université royale de France, Paris, Alger, 1847, pp.25-28

<sup>3</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 184



الأخشاب المستعملة في البحرية من الجبال المجاورة بعد عقد اتفاق مع رؤساء القبائل المحليين، وتحمل الأخشاب إلى ميناء بجاية ومنه إلى ميناء الجزائر وهي من نوعية جيدة خاصة الصنوبر الصلب<sup>1</sup>.

**2-1-2 صب المدافع:** كانت يتم في دار النحاس، وقد أنشأت في بداية القرن الثامن عشر من طرف مهندس أوربي بالقرب من باب الوادي،<sup>2</sup> وكانت "دار النحاس" أو كما تسمى "المسبكة" عبارة عن بناية يصل ارتفاعها إلى 30 مترا، وتنتهي ببرج به الفرن العالي لصهر النحاس أو غيره من المعادن ويصب في قالب معد بعناية لشكل المدفع المراد صنعه تحت إشراف مهندس مسؤول وقادة المدفعين<sup>3</sup>، وفي عهد محمد بن عثمان باشا كان المسؤول عن دار صب المدافع المهندس الفرنسي "فرنسوا ديبون" وابنه<sup>4</sup>. وخلفه مهندس إسباني في عام 1808م وبعد وفاته لم تنجح الإيالة في تعويضه، وظلت الدار معطلة إلى غاية الاحتلال<sup>5</sup>.

وقد اشتملت دار النحاس على ورشات أخرى لصناعة الأسلحة الصغيرة والمعدات والذخائر الحربية مثل البنادق والقنابل والمسدسات وأسرة المدافع وعجلاتها<sup>6</sup>. هذا، وقد ارتبطت صناعة الأسلحة النارية بعدة حرف أساسية مثل صناعة البارود وصناعة الخشب والخراطيش (الخراطين) والرصاص، وصناعة الفضة والمرجان للتزيين إذ كانت البنادق والمسدسات وحتى المدافع تزين بعد صناعتها بزخارف مختلفة منها: الكتابية والنباتية، والرمزية، أو الهندسية بعد أن يكتب عليها تاريخ سبكها<sup>7</sup>.

وقد لعبت "دار النحاس" دورا كبيرا في فرض السيادة الوطنية سواء تعلق الأمر بتحسين مدينة الجزائر وتسليح أسطولها أو في حماية الحدود بفضل ما تنتجه من مدافع وأسلحة وذخيرة.

<sup>1</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 184

<sup>2</sup> Idem., p., 186

<sup>3</sup> ينظر لخضر درياس، المرجع السابق، ص ص. 201-205 / علي خلاصي، المرجع السابق، ص ص. 203-207

<sup>4</sup> حول المهندس الفرنسي المشرف على صناعة السفن في عهد محمد بن عثمان باشا، ينظر الفصل الأول، ص ص

<sup>5</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 186

<sup>6</sup> علي خلاصي، المرجع السابق، ص ص. 202، 205

<sup>7</sup> لمزيد من المعلومات عن أنواع الزخارف التي كانت ترسم على المدافع ينظر: لخضر درياس، المرجع السابق، ص

**2-1-3 طاحونات ومخابز البايك:** كان البايك هو المسؤول عن توفير الخبز<sup>1</sup> لخمس ألف فرد من إدارة الجيش والبايك يوميا، ولتحضيره كان يمتلك طاحونات هوائية لطحن القمح والشعير<sup>2</sup>، والمخابز أو كما كانت تسمى " بالكوشات" لتحضير وطهي الخبز في مدينة الجزائر، وفي المدن الداخلية التي توجد بها الحاميات. وكانت الحكومة مكلفة بعمليات الصيانة والترميم لهذه الأفران<sup>3</sup>، التي كانت تقع بمدينة الجزائر بالقرب من قصر الداى في بناية تتكون من سبعة أفران<sup>4</sup>، وطهي الخبز كان يتم تحت إشراف أمين الكواشين وأمين الجبلية، والحكومة مسؤولة عن مراقبة وزن الخبز وجودته<sup>5</sup>. كما كانت هناك مخابز أخرى ملك للأفراد تساهم في تجهيز الجبز للجيش كما جاء في الرسالة التي بعثها أحمد باي إلى آغا النوبة بعناية حين طلب منه تحضير خبز النوبة في مخابز المدينة إلى حين إصلاح كوشة البايك<sup>6</sup>.

وكانت إدارة الجيش والديوان بمدينة الجزائر تتزود بالخبز والبسكويت (البشماط) من مخابز قصر الجنية التي كانت تمتد من شارع باب الوادي حاليا إلى شارع الجنية<sup>7</sup>، والخبز المقدم للجيش هو جزء من راتبه الشهري بالإضافة إلى السمن والصابون والزيت

<sup>1</sup> كان هناك نوعين من الخبز خبز الذخيرة وخبز بوزاي، بالإضافة البشماط؛ النوع الأول يوزع على الجنود العزاب وهو خليط من الدقيق القمح والشعير والنوع الثاني خبز أبيض قليل النضج يشبه خبز المشاركة، والبشماط هو بسكويت، وهو عبارة عن خبز مطهي مرتين يجففه ويأخذه الجنود معهم في الرحلات الطويلة، ينظر Venture de Paradis, Op.cit. p.26، وراجع كذلك المنور مروش، المرجع السابق، ص. 199

<sup>2</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 187

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 6، وهي رسالة من أحمد باي قسنطينة إلى آغا النوبة بعناية أحمد بن حمزة دون تاريخ. حول مسألة تعطيل فرن ( الكوشة) الخبز بالمدينة. يوجه فيها أمر إلى للمركانتي لإصلاح الفرن الذي يطبخ فيه الخبز للجنود.

<sup>4</sup> Miriam Hoexter, Taxation des corporations professionnelles d'Alger à l'époque Turque in R.O.M.M., n°36, Paris,1983. p., 30

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم، 18، وهي رسالة من أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا في أوائل ذي الحجة 1243هـ (13-22 جوان 1828م)، أخبر الحاج أحمد باي الداى في هذه الرسالة أنه يراقب جودة خبز عناية المخصص لجنود النوبة هناك.

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 6، وهي رسالة من أحمد باي قسنطينة إلى آغا النوبة بعناية دون تاريخ، المصدر السابق.

<sup>7</sup> علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 231

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

ونظرا لأهمية تلك المخازن لدى البايك في الحفاظ على هدوء الجيش، كان يخصص لها عدد من الجنود لحراستها من أي خطر قد يؤدي إلى تعطيلها<sup>1</sup>.

ومن أهم المشروعات الأخرى التابعة للبايك هي المحاجر التي تستخرج منها حجارة البناء لتشييد المرافق العمومية التي تحتاجها الحكومة كبناء الحصون والأبراج والأرصفة وغيرها، وكان أكثر عمالها هم الأسرى والمساجين. وأشهرها محاجر باب الوادي<sup>2</sup>، بالإضافة إلى ذلك -وحسب فنتير دو باردي-، كانت الحكومة تشتري الملح الذي يستخرجه الأفراد من سباح وهران وأرزيو، وتنقله السفن إلى مدينة الجزائر، وكان يلبي احتياجات الإيالة وتصدر منه كميات إلى تونس وجربة وسردينيا وميروقة<sup>3</sup>.

**2-1-4 دار السكة:** يعتبر ضرب العملة رمزا لسيادة الدولة ووحدتها<sup>4</sup>، وفي إيالة الجزائر كانت النقود تصنع من المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وتشرف عليها الحكومة وتراقب وزنها وعيارها، من أجل المحافظة على ثقة السكان والمتعاملين الأجانب، وعلى أساس الوزن والعيار يحدد معدل صرف العملات الأخرى في مختلف الصفقات الاقتصادية.

وابتداءً من القرن السابع عشر انفردت مدينة الجزائر بسك العملة<sup>5</sup> وكانت تتكون من نقود ذهبية وفضية ونحاسية. وفي عهد محمد بن عثمان باشا تواصل ضرب النقود من الذهب، وكان يسمى الدينار السلطاني<sup>6</sup>، ومن الفضة، البوجو ومن النحاس، الخروبة<sup>7</sup>. ولكل قطعة أنصاف وأرباع وأثمان.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم، 18، وهي رسالة من أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا، المصدر السابق.

<sup>2</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 187

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p., 24

<sup>4</sup> بدأ سك العملة العثمانية في الجزائر سنة 1516 بعد مقتل سالم الثعالبي استولى عروج على الحكم وبدأ في سك العملة، لمزيد من المعلومات ينظر، المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص-ص35-36.

<sup>5</sup> كانت مدينة قسنطينة تضرب الدينار الحفصي وفي تلمسان يضرب الدينار الزياني وبعد أن تم توحيد البلاد سياسيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر تركز ضرب العملة في مدينة الجزائر، ولكن تلمسان ظلت تسك الدنانير الزيانية باسم السلطان العثماني حتى بداية القرن السابع عشر. المنور مروش، المرجع نفسه، ص33.

<sup>6</sup> هو الدينار الذهبي الجزائري الذي أطلق عليه اسم السلطاني نسبة إلى السلطان العثماني، ينظر، يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص56.

<sup>7</sup> الخروبة عملة نحاسية وتساوي 50 درهما، جميلة معاشي، المرجع السابق، ص54.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وتحت إشراف أمين السكة يتم سك النقود من طرف عمال مهرة مختصين في صناعة الذهب والفضة، وحسب التشريفات كانوا كلهم يهود، ومهمة أمين السكة الأساسية هي مراقبة وزن مادة الذهب والفضة المستعملة في كل قطعة نقدية.<sup>1</sup> ويتم ضرب النقود في دار السكة، -وحسب شريف الزهار- التي كانت تقع بالقرب من قصر الجنيينة غير بعيد عن جامع كتشاوة إلى أن أمر الداوي عمر خوجة سنة 1817 ببناء مقر جديد لها بالقصبة تحت إشراف أمين السكة.<sup>2</sup>

وكانت دار السكة تخضع لأوامر وكيل الحرج ورئيسها أو مديرها هو أمين السكة وهو المشرف والمراقب على أربعة وعشرين حرفي أغلبهم يهود، بالإضافة إلى وكيل أو صاحب الطابع وراقم الطابع.<sup>3</sup> وكانوا لا يتقاضون راتبا شهريا بل يتسلمون أجرة تتناسب مع وزن المعدن المضروب أو العملة التي يبيضونها، فمثلا كان العمال اليهود يقبضون 400 صايمة عن القنطار من النقود، ويتحصلون مقابل ضرب رطل من الدينار السلطاني الذهبي خمسة ريالات، ومقابل رطل من ربع سلطاني ثلاثة ريالات.<sup>4</sup>

وفي عهد الداوي علي بوصبع أصدر أمرا خلال سنة 1758 بضرب أرباع بوجو وأثمان بوجو من الفضة، وحدد أجرة عمال دار السكة وكان فيها تفاوت ملحوظ بين العمال كما يلي: يأخذ أمين السكة على كل كيس يزن عشرة أرطال عشرة ريالات، ويأخذ وكيل الحرج ريال واحد، وللعمال اليهود عشرون ريالاً، وصاحب الطابع ينال 77 ريالاً ويتحصل على القنطار 21 ريالاً، ومقابل نفس الكمية يأخذ 77 ريالاً. ويقبض العمال عن عملية تبيض النقود والتي تتم بمعالجتها بالنار لتنظيفها وطلائها من جديد، ثلاث ريالات مقابل معالجة ألف ريال إذا كانت العملية لحساب القصر، وخمس ريالات إذا كانت لحساب البايات أو القياد.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Tachrifat, Op.cit., p.29

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 147

<sup>3</sup> كان صاحب الطابع أو حاكم الطابع هو الذي يقوم بطبع القطع النقدية بالخاتم أو الطابع، وراقم الطابع يقوم بنقش الكتابات التي يحمله الطابع بصورة مقلوبة، يمينة درياس، المرجع السابق، ص. 56.

<sup>4</sup> Tachrifat, Op. cit., p. 122, 123

<sup>5</sup> Idem., pp. 124, 125

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وبالنسبة لمعيّار النقود ونسبة مزج المعادن فقد سجل دفتر التشريعات قوانين تحددها في كل فنطار من المعادن الثمينة، وكان أحسن معيار لمزج معادن النقود الفضية هو مزج 60 رطلا من الفضة الصافية مع 40 رطلا من النحاس، ولسك النقود النحاسية كان يصفى معدن النحاس قبل صبه مما يجعله ينقص بمقدار النصف إذ يستخلص من 10 قناطر من النحاس الأحمر خمسة قناطر صافية لضرب الدراهم الصغيرة، ويمزج ما تبقى من خليط النحاس لسك النقود الفضية<sup>1</sup>.

وحسب الرسالة التي بعثها الداوي حسن باشا إلى مجلس الحكومة الفرنسية في الفاتح من شهر جويلية 1796، فإن المناجم الثمينة المعروفة وقتئذ كانت قليلة، وبالكاد تكفي لضرب النقود لدفع أجور الجنود السنوية، ولذلك اعتذر منه عن عدم إمكانيته جمع مبلغ مليون قرش التي طلبها<sup>2</sup>.

وقد اعتمدت الجزائر لضرب النقود على عدة منافذ لتدفق المعادن الثمينة فالذهب يأتي من الصحراء الكبرى ( السودان ) من خلال تجارة القوافل مع هذه المناطق، وبفضل المخزون الثابت والمستورد منها تم إصدار كميات كبيرة من النقود الذهبية في الجزائر خلال القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وقد اتبعت النقود الذهبية المسكوكة في الجزائر ( السلطاني ) نفس المقاييس السائدة في الإمبراطورية العثمانية<sup>3</sup>.

ولا تمدنا المصادر التي اطلعنا عليها بمعلومات عن مناجم الذهب بالإيالة، في حين تشير إلى منجم للفضة ببلاد القبائل التي يستغلها أهلها في تزوير النقود<sup>4</sup>، وآخر في بلاد الحراكطة استعمله أحمد باي أثناء مقاومته للاستعمار الفرنسي<sup>5</sup>. أما النحاس فقد اشتهرت به مناطق أم الطبول قرب القالة وعين البيضاء وجبل وجيل تنس وجبال الوزنة وبوجابور، ومسكانة وجبل تمولقة بمدينة الأصنام<sup>6</sup>، بالإضافة إلى الإنتاج المحلي للإيالة كانت

<sup>1</sup> Tachrifat, Op. cit., p. 123

<sup>2</sup> أوجان بلانتيث، المصدر السابق، ج2، ص ص.108-109

<sup>3</sup> شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، المدار الإسلامي، بيروت، 2005، ص.

332، 206

<sup>4</sup> M. Doumas, M. Fabar, Op.cit., p.42

<sup>5</sup> A. Temimi, Op. cit., p. 72

<sup>6</sup> S. Gsell, Vieilles exploitation minières dans l'Afrique du nord, Archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études marocaines, Paris, 1928, p.12

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

المعادن المختلفة مثل الحديد والنحاس والرصاص تجلب من الدول الأوربية عن طريق الضريبة السنوية المفروضة عليها خاصة هولندا والسويد، كما تشير إلى ذلك الوثائق رقم: 440، 441، 442، 443، 439، 438 من المجموعة 3190 بالمكتبة الوطنية<sup>1</sup>.

وقد تتحصل الإيالة على المعادن أيضا كغنيمة بحرية، فقد سجل دفتر التشريفات النسبة المحددة للبايلك من المعادن التي يغنمها رياس البحر، كما جرت العادة القديمة وهو أن يؤخذ مثلا من الرصاص قنطار واحد على كل ثمانية قناطير والكمية الزائدة يدفع ثمنها. وكان قنطار الرصاص في عهد الداوي علي بوصباع ب12 فرنكا، وقنطار الحديد في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا ب9 فرنكات<sup>2</sup>، وتتحصل كذلك على كميات أخرى من تلك المعادن كالرصاص والنحاس والحديد كهدايا من الباب العالي<sup>3</sup>.

وكما يمكنها أن تلجأ إلى كنوز الخزينة وتحفها لتتزود بالمعادن الثمينة لسك النقود، فحسب سجلات البايلك فإن دار السكة كانت تسحب في بعض الأحيان التحف الثمينة والسبائك الذهبية لصبها وضرب النقود الذهبية والفضية التي تحتاجها<sup>4</sup>.

وعلى أية حال كانت النقود المضروبة في الإيالة ذات شكل دائري نقشت عليها نصوص كتابية وعناصر زخرفية تمثلت النصوص في ألقاب السلطان العثماني والدعاء له على الوجه، وعلى الظهر مكان وسنة الضرب<sup>5</sup>. ووجود اسم السلطان على العملة المضروبة في الجزائر هو في الحقيقة دلالة على الولاء السياسي للإيالة والاعتراف بالخليفة العثماني وتمجيده. كما أن تداول النقود العثمانية في إيالة الجزائر هو بيان على مدى انتشار سلطة ونفوذ الحكام العثمانيين بها.

هكذا وبطرق مختلفة استطاعت الإيالة توفير المعادن الثمينة لضرب عملة موحدة تحتاجها لدفع أجور الجيش والموظفين، وتحصيل الضرائب ولتسهيل التبادل التجاري في كل القطر الجزائري لعدة قرون.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، وثائق غير منشورة، رقم، 438، 439، 440، 441، 442، 443

<sup>2</sup> Tachrifat, Op.cit., p.68

<sup>3</sup> Idem, p.60, 61

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص. 183

<sup>5</sup> فهيمة رزقي، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرة - قسنطينة - دراسة أثرية، مذكرة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص ص-135-164

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

### • العملة المتداولة:

ينبغي علينا التمييز في العملة بين دراهم حقيقية متداولة وأخرى حسابية، وكانت في البداية هي الدينار الخمسيني وبعد 1688م، أصبحت الوحدة الحسابية هي ريال دراهم صغار (ردص)، وتعادل 232 درهما<sup>1</sup>، وتسمى أيضا بدقة شيك، كما كانت وحدة حسابية أخرى تسمى الموزونة، وتساوي 8/1 ردص أو 29 درهما<sup>2</sup>. وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت قيمة النقود المتداولة في الإيالة كما يلي:

**جدول رقم (7):** يبين النقود الجزائرية في العهد العثماني أجزاءها وقيمتها بالوحدة الحسابية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

العملة / الوحدة	ر د ص / بدقة شيك	موزونة
السلطاني / سكة الجزائر	9	72
نصف سلطاني	4.5	36
ربع سلطاني	2.25	18
الريال بوجو	3	24
نصف ريال	1.5	12
ربع ريال	0.75	6
ثمان ريال	0.375	3
الخروبة	0.0625	0.5

**المصدر:** اعتمدنا في انجاز هذا الجدول على سجلات الغرفة التجارية المختلفة وعلى كتاب المنور المروش المرجع السابق، ج1، وجدول لمقارنة العملة الجزائرية والفرنسية من أرشيف وراء البحار:  
A.O.M. Fonds ministériels/F/80/970, L'armée expéditionnaire d'Afrique. Tarif comparatif de la valeur réciproque des monnaies du dans d'Alger et des monnaies de France.

<sup>1</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ص. 55

<sup>2</sup> A.O.M. Fonds ministériels/F/80/970, L'armée expéditionnaire d'Afrique. Tarif comparatif de la valeur réciproque des monnaies du dans d'Alger et des monnaies de France.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وقد عرفت قيمة العملة في الجزائر في الفترة الممتدة بين 1720-1815م استقرارا وثباتا<sup>1</sup>، وكان الريال الإسباني أو البياستر مصنوعا من الفضة ويزن 23.6غ، ويسمى أيضا البوجو القوي أو البوجو، أو القرش الإشبيلي ويساوي 8 ريالات جزائرية، لذلك يطلق عليه الريال المثلث<sup>2</sup>. وكان حينئذ عملة التداول النقدي العالمي، وفي الجزائر كذلك، بسبب عمليات فداء الأسرى المسيحيين، والعائدات من الصادرات نحو أوروبا. فحسب حسابات الشركة الإفريقية معظم العمليات كانت تتم بالبياستر<sup>3</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن العملة لم تكن موحدة في كامل الإيالة بل كانت توجد عملات محلية خاصة في شرق الجزائر، كما تشير إلى ذلك حسابات الشركة الإفريقية، والرسالة التي بعثها صالح باي وكيل الباستيون بالقالة، وهي رسالة بدون تاريخ ذكره فيها بأنواع العملة السائدة في الشرق وطلب منه أن يرسل الدراهم العنابية إلى القل، لأن دراهم قسنطينة أصبح لا يعمل بها في عنابة ولا في القل ولا في القالة ولو بزيادة الثمن، ولا يصرف بعنابة إلا سوى الريال العنابي الدائري الشكل، ونفس الشيء في القالة والقل، وكما أن الريال القسنطيني لا يصرف إلا في قسنطينة. ويجب عليه إتباع قانون المعاملات النقدية<sup>4</sup>. وهذا يعني، أن كل محطة تجارية في الشرق كان لديها عملتها الخاصة، وباتفاق مع الباي بقي تداولها محصورا في تلك المناطق.

وينبغي أن نشير إلى أن الشركة الملكية الإفريقية كانت تشتري البياستر من إسبانيا ثم تقوم بقصه في مرسيليا لنتناسب مع الوزن المتعارف عليه لكل مدينة، وباتفاق مع الداوي<sup>5</sup>، لتوفر النقود اللازمة لإتمام صفقاتها، وكانت تعرف "بالريالات المقصوصة".

وكان الفلاحون في الشرق لا يتعاملون إلا بالنقود المعدنية، ويرفضون الورقية منها وهذا الموضوع أخبر به عبد الله بن عباس شيخ المعزول في رسائله إلى وكيل الشركة الملكية بتاريخ 28 سبتمبر 1768 السيد مارتين، حيث قال أن الفلاحين كانوا يأتون من كل مكان لبيع القمح، من الجبال ومن الشرق والغرب ولا يرجع أحد عندما كان يتم القبض

<sup>1</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ص. 249.

<sup>2</sup> المنور مروش، المرجع نفسه، ص. 43.

<sup>3</sup> انظر جداول تصدير القمح أعلاه .

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 1641، رسالة رقم 71، من صالح باي إلى وكيل الباستيون بالقالة، دون تاريخ .

<sup>5</sup> Paul Masson, Op.cit., p., 535



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بالنقود المعدنية. وبعد أن نفذت النقود رفض الفلاحون التعامل بالأوراق المالية وامتنعوا عن بيع القمح إلى الشركة<sup>1</sup>. وربما هذا الرفض للنقود الورقية من الفلاحين البسطاء في الشرق هو ناتج عن ثقتهم في النقود المضروبة من المعادن الثمينة والتي اعتادوا عليها، على عكس النقود الورقية التي لا قيمة لها بالنسبة إليهم مما جعلهم يتركون البيع.

وكان الريال الفضي هو أشهر العملات في داخل البلاد أو كما يسمى ريال بوجو لتفضيله في مختلف المعاملات والمبادلات، وكمثال على ذلك سجل لنا الدفتر رقم واحد للزواج والطلاق لدى المحكمة الشرعية المالكية بقسنطينة لعام 1202هـ/1787م، تكرر ذكره في عقود الزواج والطلاق كالمهور ومؤخر الصداق، في عمليات البيع والشراء خاصة في العقارات.<sup>2</sup>

ومن أهم العملات الأجنبية التي كانت منتشرة في إيالة الجزائر الريال التونسي، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد النقود المحلية من حيث التعامل، بحكم الجوار وكثرة التبادلات التجارية مع تونس. ثم الفرنك الفرنسي بفضل تصدير المنتجات من بايلك الشرق إلى مرسيليا والبياستر الإسباني<sup>3</sup>، بالإضافة إلى عملات أخرى من المغرب وأوروبا دخلت الجزائر بفضل التصدير.

والخلاصة أن الصناعات التابعة للبايلك، كان منها ما يرمز لسيادة الدولة كسك العملة، وأخرى موجهة لتقوية المؤسسات الدفاعية للإيالة، كالصناعات الحربية وما تعلق بها، ومن بين اهتماماتها أيضا توفير الطاحونات والمخابز لتحضير الخبز يوميا للجيش.

<sup>1</sup> A.C.C.M., Série, LIII 360, compagnie royale d'Afrique, correspondants à l'étranger, barbarie, correspondance avec le cheikh Abdallah (et divers lettre arabe et en Turquie non traduits), lettre du 28 Septembre 1768.

<sup>2</sup> أ.و.ق.، سجل العقود الزواج والطلاق، لسنة 1202هـ/1787، ينظر كمثال على ذلك عقد الزواج المؤرخ في 3 صفر 1202هـ/18 نوفمبر 1787م، المسجل بالمحكمة الشرعية المالكية بقسنطينة، ص. 4 الذي جاء فيه: « الحمد لله وفيه تزوج أحمد بن عمارة الوسلاطي مسعودة بنت سعيد بن السحات على صداق وقدره ستون ريالاً ينفذ لها ثلاثين ريالاً والباقي يعد انقضاء خمس سنين للتاريخ.»

<sup>3</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ص. 43.

### 2-2 حرف الأفراد والجماعات:

تميزت الحرف التي كانت تقام في المدن بالدقة والإتقان والتنظيم وأهم مركز حضاري كان من نصيب تلمسان بصناعة الأعطية الصوفية والأحزمة الحمراء والبرنوس والشاشية، وكما اشتهرت مستغانم بصناعة الزرابي،<sup>1</sup> وتجتمع في مدينة الجزائر العديد من الحرف، تمارس كل منها بشارع خاص، فمثلا كان يوجد شارع الرصاصين أي النحاسين وشارع الإسكافيين وزنقة الذوادة أين تصنع الخيوط الذهبية، وزنقة الصياغة أين كان اليهود يصنعون الحلبي الذهبية والفضية، وكانت تلك الأسواق الحرفية منتشرة خاصة في حي باب الجزيرة المقابل للميناء وحي باب عزون.<sup>2</sup> وكانت المنتوجات تباع إلى سكان المناطق القريبة من المدينة كمنتجة والتيطري.<sup>3</sup>

وأما أحسن المنتوجات في مدينة الجزائر فقد كانت من الروائح والعطور المستخرجة من الورود والياسمين ومن المصنوعات الفضية وما يصنع من الحلفاء والملابس والأدوات المطرزة بخيوط الذهب مثل المحافظ وأدوات الزينة الخاصة بالأسلحة التي كانت تلقى إقبالا كبيرا من الأجانب.<sup>4</sup>

وحسب المقال الذي نشرته سميرة شرقي والموسوم ب "المورسكيون وجهود البناء في القرن السابع والثامن عشر" في مدينة الجزائر، أن أكثر الحرف اتقانا كان يحتكرها الحضر من أصول أندلسية مثل صناعة الأقمشة الحريرية (الحرارين)، وصناعة الشاشية وكانت مزدهرة خلال القرن السابع عشر، وحرفة الخياطة وصناعة البابوش والعطور وحرفة البناء، وهذه الأخيرة كان منهم المهندسون المشرفون على المشاريع الكبرى للبناء كالمساجد والتحصينات، يساعدهم البنائون والفنيون والعمال.<sup>5</sup>

وفي مدينة قسنطينة كانت صناعة الجلود والصوف يختص بها الحضر وتعتبر من أشرف المهن وأكثرها رواجاً، وقد أحصت الأستاذة "إيزابيل قرنفو" (Grangaud) من السجل

<sup>1</sup> Marcel EMIRIT, La situation économique ..., Op.cit., p., 170

<sup>2</sup> Marcel EMIRIT, Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque ottomane..., Op.cit., pp.,73-84

<sup>3</sup> Idem, pp., 12-13

<sup>4</sup> أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، ش.و.ن.ت، 1975، ص.ص. 62-63

<sup>5</sup> Samia Chergui, Les morisques et l'effort de construction d'Alger aux XVII e et XVIII e siècles, in Cahiers de la Méditerranée, n° 79, 2009. éd. Centre de la Méditerranée moderne et contemporaine, Paris, pp. 305-310

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

الأول للمحكمة الشرعية الذي يغطي الفترة الممتدة من 1787 إلى غاية 1791م (1202-1205هـ) ثلاثاً وخمسين حرفة في أنشطة السوق، ومن خلال أسماء الأفراد الذين قاموا بالمعاملات والمبادلات في مختلف العقود كالبيع والشراء، الإيجار وعقود الصلح، وشهادات التبرئة، الوقف، والتركات أو التصريح بالوفاة<sup>1</sup>، إذ كان في بعض الحالات يضاف إلى الاسم والنسب الحرفة التي يمتنها الشخص وكمثال على ذلك "بشير ابن أحمد الحصار"، أو "إبراهيم حامل الماء". ومن تلك الحرف انتقينا إحدى وثلاثين حرفة إنتاجية، والباقي هي حرف تجارية وخدمائية وتسويقية، ومنها الصياغة والصبغة والدباغة والخياطة والحدادة والنجارة وصناعة الأسلحة والسروج إلى غير ذلك<sup>2</sup>، وكانت الأسواق الحرفية متمركزة في سوق العصر، وبعد الانجازات العمرانية التي قام بها صالح باي نقل البعض منهم كالصياغين إلى رحبة الصوف حتى يكون أكثر ملاءمة لنشاطهم<sup>3</sup>.

وكان يوجد في عهد هذا الباي بقسنطينة 28 سوقا وسويقة و 21 سباطا أي ممراً تجارياً وسبع وعشرون مطحنة لطحن الحبوب منها خمسة داخل المدينة<sup>4</sup>. وقد اشتملت مدينة الجزائر على حوالي 99 جماعة حرفية في مختلف أنشطة السوق، وهذه النتيجة توصلت إليها الأستاذة عائشة غطاس من الدراسة التي أجرتها حول "الحرف والحرفيون"، من خلال سجلات المحكمة الشرعية، وكان الصناع منظمين في جماعات حرفية ولكل جماعة أمينها. وحسب نفس الدراسة فإن مصطلح الجماعة كان يطلق على أهل الحرفة وعلى جماعات البرانية أيضاً<sup>5</sup>، والتي يقصد بهم الأشخاص الوافدون

<sup>1</sup> أنجزت الباحثة صرهودة يوسفى دراسة حول سجلات المحاكم الشرعية لمحكمة قسنطينة وعددها عشرة وتغطي الفترة من 1787 إلى 1833 وصنفت العقود على الأساس المعاملات والمبادلات التي يشارك فيها الرجال والنساء وقد أحصت إحدى عشر معاملة ومبادلة وهي: البيع والشراء، الوصايا، الهبات، الاعترافات، الإيجار والشراكة والقرض والاقتراض وعقود الصلح، تبرئة، الوقف، والتركات لمزيد من التفاصيل عن تلك المعاملات ينظر: صرهودة يوسفى، المرجع السابق، ص. 25 وما بعدها.

<sup>2</sup> Isabelle Grangaud, La ville imprenable, Thèse doctorat, in histoire et civilisation, écoles des hautes études en sciences sociales, France, 1998, pp.59-61

<sup>3</sup> R. Riche, Notes et documents de la corporation des bijoutiers à Constantine avant 1830, in R.A., vol. 105, Ann., 1961. Libraire-éditeur, A. Jourdan, Alger, p., 177

<sup>4</sup> مختار حساني، التراث المخطوط في الجزائر...، المرجع السابق، ص. 239

<sup>5</sup> عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر خلال، 1700-1830، مقارنة اجتماعية اقتصادية، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص ص. 144-152

من داخل البلاد بحثا عن عمل مؤقت في المدن، وانتظموا في جماعات. وبمدينة الجزائر كانت ست مجموعات من البرانية حسب مدنهم الأصلية وهم: جماعة بني ميزاب، جماعة العسكرية والجيجلية وجماعة الأغواط، وجماعة القبائل، والزنوج الأحرار، وكل جماعة كانت تحتكر حرفة أو أكثر، ولكل منها رئيس مثل باقي الجماعات الحرفية يسمى أمينا<sup>1</sup>.  
وأما السكان الأصليون لمدينة الجزائر فقد كانوا مزيجا من الأتراك<sup>2</sup> والكراغلة والأندلسيين<sup>3</sup> واليهود والمسيحيين (أسرى تجار وقناصلة) والحضر، ونفس التركيبة السكانية نجدها تقريبا في كل مدن الإيالة مع الاختلاف في عدد كل فئة اجتماعية. وفي قسنطينة تختلف التركيبة السكانية قليلا لدى البرانية فكانوا من القبائل والشاوية وسكان واد سوف (السوافة)، بني ميزاب والزنوج. والتوانسة<sup>4</sup>.

ويمكننا أن نصنف الحرف الصناعية التقليدية إلى ثلاث مجموعات كبيرة:

**2-2-1 الصناعات الغذائية:** يندرج ضمنها طحن القمح وتحضير الخبز، وفي مدينة الجزائر كان يحتكر بني ميزاب كل المطاحن ومخابز المدينة<sup>5</sup>، ومن أهم الصناعات الغذائية أيضا عصر زيت الزيتون، والتي يقول عنها "توماس شو" أنه يحتل المرتبة الثانية بعد الحبوب في غذاء سكان الإيالة وهو ينتج في مختلف مناطق الجزائر وخاصة في بلاد القبائل، ويستعمل كثيرا في الطبخ والإنارة وصنع الصابون<sup>6</sup>. وفي مدينة قسنطينة كانت صناعة الحلويات يمتنها الفطائرية، والحلواجية من التونسيين<sup>7</sup>، كما كانت صناعة الزلابية

<sup>1</sup> Miriam Hoexter, Op.cit., p., 20

<sup>2</sup> ذكر فنتير دوباردي أن عدد سكان مدينة الجزائر كان حوالي 50 ألف نسمة من بينهم 6000 كرغولي و 3000 آلاف تركي و 7000 يهودي 2000 أسير مسيحي، و 32000 من الحضر والبرانية. ينظر:

Venture de Paradis, Op.cit., p., 03

<sup>3</sup> استقر الأندلسيون بأعداد كبيرة بمدينة شرشال وتنس ومستغانم ومدينة الجزائر ودلس وبجاية وعنابة، فاستوطنوا وأسهموا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ فتطورت بوجودهم في الجزائر والعمارة والزراعة والطب والموسيقى وصناعات الحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتب، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص.

<sup>4</sup> Isabelle Grangaud, Op.cit., p, 40, 41

<sup>5</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p., 14

<sup>6</sup> Thomas Shaw, Op. cit., p.383

<sup>7</sup> L.CH. Féraud, les corporations de métiers à Constantine avant la conquête française, in R. A. Vol, N° 16.ANN. 1872, éd., A. Jourdan, Alger, p., 454

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

معروفة في مدينة الجزائر وتصنع من عدة أنواع من الدقيق ولكل نوع سعر محدد كما جاء في قانون الأسواق<sup>1</sup>، إضافة إلى تجفيف الفواكه وصناعة المربى.

**2-2-2 الصناعات المتعلقة بالملابس والأغطية:** ومنها صناعة الغزل والنسيج، الصباغة والخياطة والتطريز، وصناعة الحلبي، والدباغة، وصناعة السروج (السراجين) وكان أصحاب هذه الحرفة في مدينة قسنطينة يصنعون بالإضافة للسروج بعض الصناعات الجلدية كالأحزمة الجلدية والمحافظ وحقائب السفر ونوع من الأحذية الطويلة، وهي من المهن المشرفة يقبل عليها أبناء الأسر الغنية. وكانت السروج تزين بالذهب والفضة بعدما تغطي بالجلود الرفيعة أو قماش من القטיפ<sup>2</sup>.

وأما حرفتي الخياطة وصناعة الحلبي والمجوهرات فكانت من اختصاص جماعة اليهود تقريبا، وكانت بمدينتي الجزائر وقسنطينة ورشات للنسيج بالقرب من قصر الحاكم ويشغل به مختصون في الغزل والخياطة والتطريز<sup>3</sup>. وفي صناعة الحلبي كانوا يحققون أرباحا كبيرة خاصة الحلبي الفضية التي تستعمل أكثر من الحلبي الذهبية في ناحية الشرق لإقبال عامة النساء عليها، أما الأغنياء فكانوا يطلبون المجوهرات الفاخرة من الذهب والأحجار الكريمة<sup>4</sup>.

**2-2-3 الصناعات الخاصة بالسكن والتأثيث:** وتضم كل من البنائين<sup>5</sup> والحدادين وصناع الأواني النحاسية (الصفارين) والنجارين والخراطين والصباعين وصانعي الآجر والجير وصانعي الحصائر (الحصرجي)، وصانعي السلال، وهذه الأخيرة تصنع من الحلفاء وخاصة بالحمالين، أما صناعة الحصائر بمدينة قسنطينة فكانت تمارس من طرف جماعة قبائل مزينة من الحلفاء، وصانعها يسمى بالحفاوي<sup>6</sup>، وفي مدينة الجزائر تصنع الحصائر

<sup>1</sup> كانت الزلاية في مدينة الجزائر تصنع من النشا ومن أنواع أخرى من الدقيق وقد حدد سعرها ب40 درهم للرطل وباقي الأنواع ب44 درهما باتفاق مع الداوي والمحتسب وأمين الأمناء، وناظر السوق في بداية القرن الثامن عشر. متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، قانون الأسواق، المصدر السابق، ص.46.

<sup>2</sup> L.CH. Féraud, Op.cit., p., 453

<sup>3</sup> Miriam Hoexter, Op.cit. p., 29

<sup>4</sup> R. Riche, Op.cit., p., 181

<sup>5</sup> يقول القنصل الأمريكي بالجزائر وليام شالر عن البنائين الجزائريين أنهم يتمتعون بمهارة كبيرة في البناء بالآجر والحجارة وأنهم بلغوا درجة كبيرة من الإتقان. وليام شالر، المصدر السابق، ص. 93

<sup>6</sup> Isabelle Grangaud, Op.cit., p., 41

من الحلفاء أو سعف النخيل يجلس وينام عليها الفقراء، أم المطارح والكتبات فهي خاصة بالأغنياء ويصنعها الخياطون.<sup>1</sup>

2-2-4 الصناعات المتعلقة بالنسخ والكتب: نظرا لانعدام الطباعة في الإيالة كان النساخون أو "كتاب يازيجي" أو "مصحف يازيجي" ينسخون بالقلم الكتب التركية والعربية على حد سواء، وينسخ المصحف الشريف كاملا في مدة شهر، ويجلد المجلدون (مصحفي) الكتب بالورق المقوى الصلب ثم يغطي بالجلد الفاخر أو القماش الرفيع من نوع المخمل الأخضر.<sup>2</sup>

ومن الحرف التجارية نذكر الداخنية وهم بائعو التبغ والجزارين<sup>3</sup>، وتجار مختلف المواد والسلع، ومن المهن المتعلقة بالخدمات الدلالين والحمالين والسقاين والحلاقين والقهواجية<sup>4</sup>، ورجال الحمام (الحمامجية) التي كان يحتكرها الميزابيون.<sup>5</sup>

2-3 التنظيم الهرمي للحرف والمهن: كانت الجماعات الحرفية بالمدن والحوضر خلال العهد العثماني كانت تخضع إلى تنظيم محكم في شكل هرمي يأتي أمين الأمناء على رأس الهرم:

2-3-1 أمين الأمناء: وظيفته الأساسية حسب الأستاذة عائشة غطاس والتي أثبتتها عن طريق وثيقة عثرت عليها في سجلات المحكمة الشرعية، تبين الصلاحيات الموكلة إليه: فهو يفصل في النزاعات بين مختلف الجماعات الحرفية ويشرف على سجلات المحكمة الخاصة بالنشاط الحرفي، وهو مسؤول أيضا عن النظام الضريبي الذي تخضع له الجماعات الحرفية.<sup>6</sup>

ونستخلص مما جاء في قانون الأسواق أن أمين الأمناء كان يمارس مهمة أخرى لها تأثير مباشر على المستهلكين، وتتعلق بتحديد الاسعار ورفعها في حالة غلاء المواد الأولية، ويحدد أيضا أمين الامناء حصة كل الصناع والحرفيين من المواد الاولية حسب

<sup>1</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص.168

<sup>2</sup> سيمون بفايفر، المصدر نفسه، ص. 168

<sup>3</sup> L.CH. Féraud, Op.cit., p., 454

<sup>4</sup> Isabelle Grangaud, Op.cit., pp., 61-61

<sup>5</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p.,14

<sup>6</sup> عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص. 181-182

شروط معينة، ولكنه لا يقوم بهذه الاجراءات فرديا بل تحدد الحصص والأسعار بعد الاجتماع مع الداى والمحتسب وكبار المسؤولين عن الحرفة والأسواق في مدينة الجزائر<sup>1</sup>. كما أنه كان يحظى بمنزلة خاصة لدى الباشا إذ يقوم بدور كاتبه الخاص حسب ما جاء في قانون الأسواق<sup>2</sup>، وقد أضاف له ابن المفتي رجب في تقييداته دورا آخر شبيها بدور المحتسب يتمثل في مراقبة الموازين والمكاييل والأسواق<sup>3</sup>. ومن خلال المهام المنوطة بأمين الأمناء نستنتج أن من يشغل هذا المنصب لا بد أن يكون من أعيان البلد وخاصتها ويحسن القراءة والكتابة، حتى يعمل ككاتب الداى الخاص، وأن يكون رجل سوق يعرف كل كبيرة وصغيرة عن السلع والأسعار والمواد الأولية، وصاحب أخلاق حميدة يلجأ إليه لحل النزاعات، ويعرف الحساب لكي يسجل الضرائب ويمسك دفاتر الحكومة.

**2-3-2 الأمين:** إن لفظ الأمين هو ذو دلالة وثيقة بالأمانة، وكان يطلق في العهد العثماني على الذين يقومون بالمراقبة والإشراف على الجماعات المهنية كأمناء الحرف وجماعات البرانية<sup>4</sup>، ويعتبر الأمين رئيس الجماعة وكبيرها ومديرها ويختار من بين أعضاء الحرفة الأكفاء<sup>5</sup>، ولا يشترط في الأمين سن معينة بقدر ما يشترط فيه معرفته بأسرار الحرفة وحسن خلقه وأمانته، ولا يصبح قرار تعيينه نافذا إلا بقرار من الباشا وبحضور القاضي بمدينة الجزائر. وقد عين الداى أحمد باشا (1805-1808م) الحاج سعيد أمينا للكواشين بمدينة الجزائر عام 1807، وهذا نصه:

" الحمد لله ... ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطب الواضح ... فإن حامله المكرم الحاج سعيد قد أنعمنا عليه ووليناها أمينا مرضيا وثقة محظيا على جماعة

<sup>1</sup> متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ينظر: ص. 46، 49، 50

<sup>2</sup> متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر نفسه، ص. 56

<sup>3</sup> ابن المفتي رجب، المصدر السابق، ص. 81

<sup>4</sup> يمينة درياس، المرجع السابق، ص. 61

<sup>5</sup> كان اختيار الأمين في القاهرة يتم بنفس الطريقة التي تجري في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، ينظر، نبيل السيد الطوخي، طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1841-1890)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009، ص. 43.

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

الكواشين ينظر في جميع أمورهم وكافة أسبابهم وشؤونهم جاريا في أموره وأحواله غاية الأمانة المتقدمين أمثاله.<sup>1</sup>

وكما عرفت مدينة قسنطينة نفس الإجراءات لتعيين أمناء الحرف حيث كان يخضع اختياره إلى أعلى سلطة (الباي) وقد عين أحمد باي سنة 1818 علي بن الزرمولي أمينا على جماعة النجارين، وقام القاضي بالمحكمة الشرعية بالمصادقة على قرار التعيين.<sup>2</sup>

ويوضح هذا القرار مهام الأمين والتي تتمثل أساسا في النظر في جميع المسائل والأمور المتعلقة بالحرفة ومشاكل الجماعة، كما ألزمه هذا القرار احترام التقاليد والأعراف المعمول بها حسب عادة الأمانة السابقين. وقد سجل دفتر التشريفات مهام أخرى للأمين وهي تحصيل الضرائب ودفعها لخزينة البايك سنويا عن طريق نظام الالتزام الضريبي، كانت هذه الضريبة تعرف بـ "البشماك"<sup>3</sup>. ونظام الالتزام هذا كان معمولا به في كل الولايات العثمانية<sup>4</sup> وهو يقضي بأن يدفع صاحب الالتزام للخزينة أقساطا مسبقة ثم يحصلها هو من الحرفيين، وفي مقابل جهده يحصل على الفائض وهو الفرق بين ما يجمعه من الحرفيين وما يدفعه للخزينة.

وفي مدينة قسنطينة كان الأمين يقوم بتحديد الرسوم المفروضة على السلع تبعا للمواد الأولية المستعملة في إنتاجها، كما أنه يراقب جودة السلع ولا يسمح ببيع المغشوشة منها، ويخضع أمناء الحرف إلى رقابة قائد الدار الذي يعينه الباي<sup>5</sup>، وهو بمثابة أمين الأمانة في مدينة الجزائر.

<sup>1</sup> عائشة غطاس، المرجع السابق، ص. 192

<sup>2</sup> عائشة غطاس المرجع نفسه، ص. 193

<sup>3</sup> Tachrifat, Op.cit. pp. 66-67

<sup>4</sup> بدأ العمل بنظام الالتزام في ولاية مصر منذ الربع الثاني من القرن السادس عشر، وكان مطبقا على الأراضي الفلاحية التي تعود ملكيتها للحكومة، وبموجبه يصبح الملتزم مسؤولا عن جباية المال المقرر على حصة التزامه (قطعة الأرض المحددة) للخزينة وفي مقابل هذا العمل يتحصل على الفائض كما يحصل على مساحة من الأرض معفاة من الضريبة يستغلها لحسابه الخاص، لمزيد من التفاصيل عن نظام الالتزام ينظر، جمال كمال محمود، نظام الالتزام في ريف الصعيد في العصر العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 2001، ص 7-10

<sup>5</sup> R. Riche, Op.cit., p., 177



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

ومهما يكن من أمر ورغم أن الصناعة بإيالة الجزائر كانت تعاني من منافسة المنتجات الصناعية التي كانت تأتي بها المراكب الأوربية أو القوافل القادمة من تونس والمغرب الأقصى<sup>1</sup>، إلا أنها كانت توفر الحاجيات والأغراض التي تباع في الأسواق وتلبي حاجيات عامة الناس، لأن السلع المستوردة تعتبر من الكماليات كالملابس الغالية وبعض المواد الغذائية مثل الشاي والسكر والقهوة تهم فقط فئة معينة من السكان من الأغنياء ورؤساء القبائل<sup>2</sup>، ويبتعد عنها الفلاحون والفقراء.

والخلاصة أن الحرف التقليدية الفردية أو الجماعية كانت أغلبها يدوية متوارثة عن الاجداد، أما الصناعات التابعة للبايلك كصناعة السفن وصب المدافع كان يشرف عليها مهندسون أوربيون لانعدام الخبراء المحليين، وابتعاد الإيالة عن التقنية الحديثة التي عرفتها أوروبا حينئذ. وبالرغم من ذلك فقد حافظ هذا النشاط المتواضع على فئة صغار البرجوازية من الحضر والصناع الحرفيين الذين لم تحسن الإدارة الفرنسية المحافظة على نشاطهم في بداية الاحتلال<sup>3</sup>.

### سابعا: مصادر دخل الخزينة في عهد محمد بن عثمان باشا

اتبع الداوي محمد بن عثمان باشا سياسة ترشيد أموال النفقات العامة لحماية وتطوير البلاد وتحقيق الرخاء لشعبه. كما سعى للمحافظة على مداخيل خزينة الدولة مبتعدا عن الإسراف والتبذير-كما سبق وأن بينا ذلك-. ولزيادة مداخيل الخزينة أولى عنايته لتطوير القطاع الفلاحي حيث شجع الزراعة وخاصة منها الحبوب لرفع الصادرات، فعادت هذه السياسة على البلاد بالثروة والرخاء ونمت مداخيل الخزينة العامة. فما هي أهم مداخيلها؟

حسب "فنتير دو باردي" أن محمد بن عثمان باشا قد تبرع من ماله الخاص ب 200 ألف دينار سلطاني أثناء حملة الإسبان على مدينة الجزائر عام 1784<sup>4</sup>. وسجل دفتر التشريفات أنه أودع 2000 سلطاني، و 25 كيس يحتوي كل منها على ألف سلطاني، ووضع أيضا 20 ألف سلطاني، وخلال عام 1787 أودع بالخزينة 60 ألف بوجو، و 40

<sup>1</sup> Marcel EMIRIT, Les quartiers commerçants d'Alger, Op.cit., p. 6

<sup>2</sup> Pierre BOYER, Op.cit., p., 188

<sup>3</sup> Marcel EMIRIT, Op.cit., p. 6

<sup>4</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p.101

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

ألف، ثم 30 ألف، و12500، و82500 سلطاني<sup>1</sup>. ومجموع ما أودعه الداوي محمد بن عثمان باشا بالخرزينة في الفترة من 1777 إلى 1787م هو تقريبا أربعمئة ألف سلطاني. ويساوي 1 188 000 فرنكا.

ومن أهم مصادر الخزينة الجزائرية خلال العهد العثماني هي:

1- غنائم الجهاد البحري والإتاوات التي تدفعها الدول الغربية:

1-1 الغنائم:

اعتمادا على سجلات الغنائم الرسمية التي قيدت فيها الغنائم البحرية بعد بيعها بالمزاد العلني، حاولنا وضع النتائج في جدول ثم تمثيلها بمنحنى بياني لنتتبع تطور الغنائم في فترة حكم محمد بن عثمان باشا وكانت النتائج كما يلي:

<sup>1</sup> Tachrifat, Op.cit., pp.118-119

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

جدول رقم(8): يوضح الغنائم البحرية الجزائرية من 1766-1792م مقدره بالفرنكات مستخرجة من سجل الغنائم.

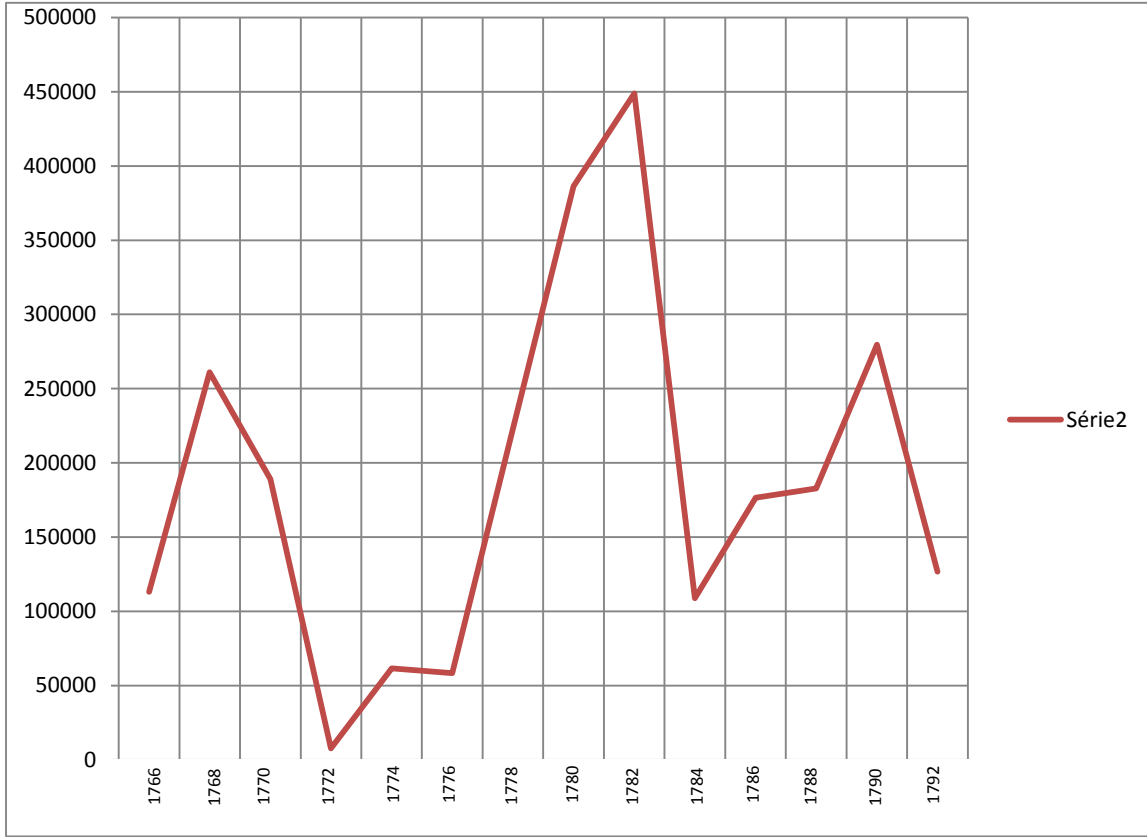
1770	1769	1768	1767	1766	السنة
86 933	165 539	165 539	356 703	113052	قيمة الغنائم بالفرنكات
1775	1774	1773	1772	1771	السنة
122 002	121 080	1 992	11 122	4 351	قيمة الغنائم بالفرنكات
1780	1779	1778	1777	1776	السنة
457 313	315 218	324 075	122 441	104 572	قيمة الغنائم بالفرنكات
1785	1784	1783	1782	1781	السنة
209 377	37 456	180 026	581 580	316 204	قيمة الغنائم بالفرنكات
1790	1789	1788	1787	1786	السنة
95 885	463 159	288 713	77 080	143 803	قيمة الغنائم بالفرنكات
			1792	1791	السنة
			82 943	170 449	قيمة الغنائم بالفرنكات

Source : A. Devoulx, Le Registre Des Primes, Op.cit. pp. 155-364

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

الشكل رقم (1): التمثيل البياني للجدول رقم (08) يمثل تطور الغنائم من سنة 1766 إلى

1792م



1 سم ← 5000 فرنك

1 سم ← سنتين

قبل أن نحاول تفسير هذه النتائج نتعرف أولاً على توزيع الغنائم:

تعتبر الغنائم البحرية من أهم مداخل الخزينة في العهد العثماني، لذلك ينبغي التعرف

على أهم مكوناتها، وكيف كان يجري تقسيمها بين البابلك والملاك والرياس والبّحارة؟

إذا استولى الرياس على السفينة تباع في الميناء فور وصولها في المزاد العلني بعد

الحصول على مذكرة عامة تسمح بذلك، فهيكّل السفينة والعتاد البحري يذهب لملاك السفن،

والمدافع والذخائر للبابلك. أما ما يوجد بغرفة السفينة فهو من حق الرياس قائد السفينة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> Venture de Paradis, Op.cit, p., 48

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

بعد بيع البضائع والسلع التي تحملها السفينة يأخذ منها البايلك نسبة 12%، أما الأسرى فكانوا يتوجهون بهم أولاً إلى "دار الإمارة" ليختار الداى من يشاء منهم، ويشترى منهم عدداً آخر بسعر السوق، وكان يستخدمهم في القصر كخدم في المطبخ، الحديقة أو ككتاب<sup>1</sup>. وفي وظائف أخرى حسب مستوى ومؤهلات الأسير.

كما كان اختيار الأسرى من طرف الداى يتم على حسب عددهم فإذا كان عددهم أحد عشر أسيراً، يأخذ منهم اثنين هما: القبطان والكاتب، أما إذا تجاوز العدد عشرين أسيراً يأخذ نسبة واحد من عشرة (10%)، إضافة إلى كل ما يزيد في سعر بيع الأسرى (في سوق النخاسة)<sup>2</sup> عن 60 سكة جزائرية. وحسب "فتنير دو باردي" كان سعر الأسرى في عام 1788م يساوي من 100 إلى 150 سكة، وبعد اقتطاع حقوق البايلك من البضاعة والأسرى، يوزع المبلغ الباقي، نصفه إلى ملاك السفن، والنصف الباقي للرياس وطاقم السفينة، كل حسب رتبته ووظيفته، وأكبر قسمة هي للرياس<sup>3</sup>.

وبعد أن تتم عملية بيع الغنائم تجمع الأموال وتقسّم إلى أسهم متساوية كل سهم أو حصة تعادل قيمة مالية معينة ثم توزع على طاقم السفينة، والعدد الأكبر من الأسهم يكون للرياس وهو 40 سهم، والبحارة سهم واحد، قايد اليولداش 3 أسهم، كل يولداش سهم، ونصف سهم للكاتب، 3 أسهم لرجال المدفعية، و3 أسهم للأسرى المسحيين<sup>4</sup>. هكذا كانت الغنائم توزع بين الخزينة العمومية ورياس البحر بنسب متفاوتة بعد بيعها في المزاد العلني. ومن خلال إعداد جدول الغنائم أعلاه لاحظنا أن أصل بلدان الغنائم في الفترة الممتدة من 1766-1785م كانت أكثرها من إسبانيا، الممالك الإيطالية (نابولي، جنوه) روسيا البرتغال وسفينة أمريكية سنة 1785م. وابتداءً من سنة 1786 اختفت السفن الإسبانية على إثر عقد معاهدة سلام سنة 1786م مع إيالة الجزائر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مذكرات كاتكارت، المصدر السابق، ص. 22.

<sup>2</sup> المكان الذي كان يعرض فيه الأسرى للبيع كان يسمى البيزستان (Bezestan) أو السوق الرئيسي. جون ب. وولف، المرجع السابق، ص. 210.

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit., p. 49

<sup>4</sup> Idem

<sup>5</sup> A. Devoulx, Le registre des primes..., Op.cit., pp., 155-364

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وفي الفترة من 1786-1792 كانت أكثر السفن من نابولي وجنوه وسفينة فرنسية واحدة لا تمتلك جواز سفر<sup>1</sup>. ويحتمل أن تكون هي السفينة التي أشار إليها "فنتير دو باردري"، وكانت محملة بالتبغ استولى عليها سليمان ريس على السواحل الإسبانية يقودها الجنوبيون وأواخر سنة 1788م<sup>2</sup>. وهذا يدل على أن الجزائر كانت تحترم معاهداتها ولا تعتدي على سفن الدول التي تربطها معها معاهدة سلام كفرنسا وإنجلترا ما عدا في الحالات التي تكون فيها السفن لا تحمل جواز السفر.

وقد التزمت الجزائر في تلك المعاهدات بحرية التبادل وضمان سلامة السفن والتجارة، ومنها معاهدات 1628-1666-1684 مع فرنسا. ومعاهدة 1682 مع إنجلترا واتفاق عام 1680م مع هولندا وأخيرا معاهدة السلام مع إسبانيا عام 1786م<sup>3</sup>. مما قيّد حرية ونشاط رياس البحر الجزائريين وأدى إلى تراجع الغنائم<sup>4</sup> عما كانت عليه في القرن السابع عشر.

وهناك عامل آخر ساهم في تدهور الأسطول ومن ثمة تراجع قيمة الغنائم، وهو تحول الإيالة المستمر نحو استعمال السفن الصغيرة (الشباك، Chébaks) ذات العشرين والثلاثين مدفعا<sup>5</sup>، وكانت تلك السفن لا تستطيع مقاومة السفن الحربية الأوربية، حتى ولو كانت من الدرجة الثالثة.

ومن ثمة كانت السفن البحرية الجزائرية (الشباك) يمكنها أن تستولي على سفن الصيد الصغيرة وكذلك على سفن التجارة المحلية التي تنتقل على سواحل البحر الأبيض المتوسط<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p.45

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le registre des primes..., Op.cit., pp., 155-364.

<sup>3</sup> حول هذه المعاهدات ينظر جمال قنان، المرجع السابق، ص ص. 314، 332، 342. وبخصوص معاهدة السلام مع إسبانيا ينظر الفصل الثالث.

<sup>4</sup> حول تراجع النشاط البحري الجزائر جلال القرن الثامن عشر ينظر، ناصر الدين سعيدوني، البحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ج1، عدد 22، الجزائر، 1987، ص ص 34-35.

<sup>5</sup> ينظر تفصيل عدد السفن ومدافعها الجزائرية. Venture De Paradis, Op.cit., p., 40، وراجع كذلك، Devoulx, La Marine de la Régence..., Op.cit., pp., 384-422

<sup>6</sup> جون ب، وولف، المرجع السابق، ص. 394

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وبالعودة للمنحنى أعلاه نلاحظ أنه متذبذب الشكل لا يستقر في الصعود ولا في النزول، حيث نجده يصعد في سنة وينزل في السنة التالية ليعاود الصعود مرة أخرى. وهذا لأسباب كثيرة سنحاول توضيحها فيما يلي:

كان متوسط الغنائم في الفترة (1766-1769م) يساوي 231576 فرنك، وهي نتائج معتبرة بالمقارنة مع باقي السنوات وتعادل بالقروش (البياستر) الإسبانية ما قيمته 46315 بمعدل صرف ذلك الوقت في الجزائر 5.20 فرنكات للقروش.<sup>1</sup>

وابتداءً من سنة 1770-1773 عرفت الغنائم تراجعاً بلغ مستوياتها الدنيا في عهد محمد بن عثمان باشا. وبلغ متوسط السنوات الأربعة 26100 فرنك، 5019 قرشاً إسبانياً، بمعدل سفينتين كل سنة.<sup>2</sup> ويرجع السبب في ذلك إلى حملة الدانمارك على مدينة الجزائر سنة 1770، واستيلاء الإسبان على سفن جزائرية من نوع شباك في نفس السنة، وسفينتين من نفس النوع في سنوات 1771-1772.<sup>3</sup> إضافة إلى الحرب العثمانية الروسية (1183-1187هـ/1769-1773م) ومشاركة 5 سفن جزائرية مع الأسطول العثماني بقيادة سليمان ريس.<sup>4</sup>

وعرفت الغنائم صعوداً مستمراً بعد انتصار الجزائر على الحملة الإسبانية سنة 1775م بلغ ذروته سنة 1782م كما يدل على ذلك صعود المنحنى. وبلغ متوسط سنوات (1775-1782م) 292926 فرنكاً<sup>5</sup>، (56332 بياستر)، وهي أحسن نتائج للغنائم في عهد محمد بن عثمان باشا، وقد عرفت تحسناً بالتزامن مع السلام الذي عرفته الإيالة قبيل الحملتين الإسبانيتين، إضافة إلى تشجيع الرياس والبّحارة وزيادة مكافآتهم. وقد سجل دفتر التشريفات حصص مالية كانت تخصص للرياس تسمى "قومانية" توزعها على طاقم السفينة وتقدم لهم أثناء انطلاق الرحلة هذا من جهة<sup>6</sup>، كما تدفع لهم رواتبهم و نصيبهم في الغنائم<sup>1</sup> من جهة أخرى، إضافة إلى عناية الداوي الكبيرة بصناعة السفن.

<sup>1</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ج2، ص.469

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le registre des primes..., Op.cit., p.185

<sup>3</sup> المنور مروش، القرصنة أساطير والواقع، المرجع السابق، ص. 468

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص. 28-29.

<sup>5</sup> A. Devoulx, Le registre des primes,... Op.cit., pp., 188 -278.

<sup>6</sup> Tachrifat, Op. cit, p., 40

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وفي عامي 1783-1784م، عرفت الغنائم انخفاضا كبيرا يعبر عنه هبوط المنحنى من الذروة إلى قيمة 108741 فرنكاً (20912 بياستر) وهو متوسط السنتين المذكورتين بسبب الحملتين الإسبانيتين المتواليتين على الجزائر. وبعد انتهاء الحرب، وقبل التوقيع على معاهدة السلام مع إسبانيا تضاعفت الغنائم في عام 1785 أكثر من خمس مرات 209377 فرنك عن سنة 1784 والتي بلغت فيها 37456 فرنك وكانت الغنائم 9 سفن، إسبانية، برتغالية، أمريكية، نابولية ويونانية.<sup>2</sup>

وبعد عقد معاهدة السلام في عام 1786 مع إسبانيا تراجعت الغنائم تقريبا إلى نسبة 2/3 عن السنة السابقة فكانت تساوي 143803 فرنكاً، كما سجلت سنة 1787 تراجعاً كبيراً للغنائم عن السنة السابقة بأكثر من النصف حيث بلغت 77080 فرنك.<sup>3</sup> ويعود السبب الرئيسي حسب "فنتير دوباردي" إلى انتشار الوباء الذي قضى على ثلث السكان في مدينة الجزائر، بحيث كان يموت كل يوم من 200 إلى 240 مسلماً دون حساب المسيحيين واليهود، ومن بينهم الكثير من البحارة.<sup>4</sup>

وفي عام 1788 تضاعفت الغنائم بمقدار أربع مرات عن السنة السابقة حيث بلغت 288713 فرنك، (55522 بياستر)، في خلال هذا العام رجع الطاعون مرة أخرى ولكنه أقل شدة، وفي سنة 1789 م حققت الإيالة نتائجاً مضاعفة حيث بلغ 463159 فرنك<sup>5</sup>، (89069 بياستر)، وفي نهاية عهد محمد بن عثمان باشا (1790-1791م) عرفت الغنائم تراجعاً مرة أخرى بلغ متوسطها السنوي 133167 فرنكاً<sup>6</sup> (25609 بياستر) وهي نتيجة متوسطة عموماً بالمقارنة مع حصيلة السنوات السابقة، وحسب المنور مروش فإن تراجع الغنائم البحرية في هذه الفترة تعود إلى الحروب الأوروبية وانخفاض قيمة الغنائم

<sup>1</sup> كان أعلى أجر يقدم للبحارة في الرحلة التي تدوم من 40-50 يوم هو 1 سكة ينظر:

Venture De Paradis, Op.cit., pp. 40-41

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le registre des primes..., Op.cit., p., 289.

<sup>3</sup> Idem, p., 290.

<sup>4</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p., 52

<sup>5</sup> A. Devoulx, Le registre des primes, Vol. N° 15, Op.cit., p., 291.

<sup>6</sup> Idem, p., 297.



## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

التر كانت كلها من جنوة ونابولي، وقيمتها عموماً أضعف من قيمة غنائم المحيط الأطلسي<sup>1</sup>.

والخلاصة حول نتائج غنائم الجهاد البحري في عهد محمد بن عثمان باشا أنها لم تحقق نتائج كبيرة مقارنة بما كانت تحققه خلال القرن السابع عشر أو ما ستصل إليه في بداية القرن التاسع عشر وسنتطرق إليها في حينه. كما أنها لم تحافظ على الاستقرار بل كانت متذبذبة تحكمت فيها عوامل خارجية و ظروف داخلية مختلفة كالحروب والأوبئة، والراجح أن تناقص الغنائم البحرية كان وراء اهتمام الداوي وباياته بالقطاع الفلاحي لزيادة مداخيل الخزينة العامة.

**1-2 فداء الأسرى:** كان وجود الأسرى بالجزائر مرتبطاً أساساً بالجهاد البحري، ويعتبر من أهم الغنائم، لما توفره عمليات الاقتداء من أموال لخزينة الدولة<sup>2</sup>، وكانت تتم بطرق مختلفة، وفي عهد محمد بن عثمان باشا، كان عدد الأسرى يتراوح ما بين ألفين وأثنى عشر ألف أسير، وانخفض في آخر عهده إلى خمسمائة أسير حسب ما جاء في سجل التشريفات<sup>3</sup>. ولعل السبب في ذلك هو عمليات اقتداء الأسرى التي تحدثت عنها سابقاً، كما أن الوباء والحملات الحربية الأوربية ضد الجزائر أثرت على تراجع الأسرى في تلك الفترة. وأولى عمليات الاقتداء كانت لصالح الأسرى الإسبان والتي وقعت حسب "فنتير دو باردري" في 1768م، وقد دفعت إسبانيا في مقابل تحرير 712 أسيراً إسبانيا 250 سكة للرأس<sup>4</sup>، وجملة ما دفعته هو 178000 سكة جزائرية وهي تعادل 365 000 بياستر وتساوي 1 851 200 فرنكاً<sup>5</sup>.

وخلال سنة 1773 افتدت إسبانيا 712 أسير كلفها أكثر من سبعة ملايين فرنك، ودفعت البرتغال مليونين ليرة، والنمسا خمسمائة ألف ليرة لتحرير أسرى البلدين بالجزائر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ج2، ص. 468

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص. 131

<sup>3</sup> Tachrifat, Op.cit., p., 132-133.

<sup>4</sup> Venture De Paradis, Op.cit., p., 52

<sup>5</sup> حسب المنور مروش كانت 1 سكة جزائرية تساوي 2 بياستر، و 1 فرنك يساوي 5.2 بياستر، ينظر: المنور مروش، الجزء الأول، ص- ص. 43-55

<sup>6</sup> H.D.De Grammont, Op.cit. , p.321

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وبعد عقد الصلح بين الجزائر وإسبانيا عام 1785، وقع تبادل الأسرى والعدد الزائد من الإسبان تم افتدائهم بالمال، فدفع عنهم ألف دورو على الرأس.<sup>1</sup> وقد أشار "فنتير دو باردو" إلى أسعار الأسرى وقال إنها تساوي من 1000 إلى 1200 بياستر للرأس، وفي موضع آخر قال من 500 إلى 600 سكة.<sup>2</sup> وهو يتفق مع الزهار في سعر الأسرى (ألف دورو)، مما يدل أن البياسر والدورو لهما نفس القيمة. كما افتدت فرنسا 315 أسيرا فرنسيا عام 1786، فرّوا من وهران وفضلوا حياة العبودية بمدينة الجزائر عن البقاء تحت حكم الإسبان، ودفعت 150 سكة (300 بياستر) للرأس دون حساب المصاريف<sup>3</sup>، ومجموع ما دفعت فرنسا هو 94500 بياستر (491 400 فرنكا).

1-3 الإتاوات التي كانت تدفعها الدول الغربية: في مقابل السلام مع الجزائر، دفعت إسبانيا في عام 1786م، مليون ريال إسبانيا، كتعويض عن خسائر الحرب، و20 ألف ريال كضريبة سنوية رفضت تقديمها في شكل عتاد وذخائر حربية كباقي الدول الاسكندنافية، ودفعت البندقية في سنة 1775م: 10000 سكة جزائرية<sup>4</sup>. وكانت فرنسا تدفع لزمة مقدارها 407 سكة جزائرية شهريا، مقابل الامتيازات التجارية في شرق البلاد، وتمكن الداوي محمد بن عثمان باشا من رفعها إلى 20 000 سكة في السنة مقابل الامتيازات التجارية في شرق البلاد على إثر تجديد المعاهدة المئوية في 29 مارس 1789م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.34، ينظر، المنور مروش، العملة والأسعار والمداخيل، المرجع السابق، ص.43.

<sup>2</sup> وهو ما يبين أن واحد سكة جزائرية تساوي اثنان بياستر خلال عامر 1786، ينظر،

Venture De Paradis, Op.cit , p., 52

<sup>3</sup> Idem

<sup>4</sup> لمزيد من التفاصيل حول المعاهدات التي أبرمها الداوي محمد بن عثمان باشا مع مختلف الدول الأوروبية ينظر الفصل الثاني.

<sup>5</sup> Paul Masson, Op.cit. p. 560

2- مساهمة البايات الفصلية: وتسمى بالدنوش، وكانت عينية ونقدية، يقدم فيها الهدايا والعاويد إلى كل عمال قصر الإمارة وعلى رأسهم الباشا والديوان، واللزمة إلى الخزينة، فكان باي الشرق يدفع لزمة مقدارها ثمانين ألف ريال كبيرة، ويدفع باي الغرب ثمانين ألف ريال صغيرة، وأما باي التيطري فيقدم 14 ألف ريال صغير، ويدفع خليفة كل باي نصف ما يدفعه البايات كل ستة أشهر، وكما يتوجب على باي الشرق والغرب إرسال لزمة البيباشي ومقدارها 4 آلاف ريال، ويدفع قايد سيباو كل ستة أشهر 14 ألف ريال كبيرة في الدنوش، وألف ريال كبيرة لزمة شهرية<sup>1</sup>.

كما كان يدفع 200 000 كيلة قمح، و100 000 كيلة شعير إلى حكومة الجزائر الأولى يقدمها شيوخ العرب، والثانية تقدم من طرف باي قسنطينة وباي وهران.<sup>2</sup>

### 3- الضرائب والرسوم المختلفة :

3-1 الضرائب على القطاع الفلاحي والأرياف: أحدث صالح باي ضرائب جديدة في مقاطعته، وهي ضريبتى الحكور، والجبري، وقد استمر العمل بها إلى غاية وصول أحمد باي إلى الحكم، حينئذ أحدث إصلاحات جديدة في نظام الضرائب، وزيادات تتناسب مع مداخيل البايلك في تلك الفترة، ومع ذلك اعتبرتها إدارة الاحتلال لا تمثل سوى 2 بالمائة من عوائد المقاطعة<sup>3</sup>.

وكانت ضريبة الحكور تعادل 12 صاعا من القمح و12 صاعا من الشعير و10 شبكات من التبغ، تدفع نقدا وبعد بيع المحصول، وقدرها نوشي قبل سنة 1830م ب23.7 فرنك<sup>4</sup>، هذا بالنسبة للفلاح العادي، أما قبائل المخزن فكانت تدفع نصف المبلغ<sup>5</sup>، وفي الغرب كانت قبائل المخزن تدفع العشور فقط<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> لمزيد من التفاصيل حول مراسيم تقديم هدايا وعاويد الدنوش، ينظر الفصل الثاني، وراجع كذلك أحمد توفيق المدني،

محمد بن عثمان باشا، ص ص. 124 - 125

<sup>2</sup> Xavier Yacono, La Régence d'Alger en 1830, d' après l'enquêtes des commissions de 1833-1834 in R.O.M.M, n° 01 ANN. 1966, Paris, p. 240

<sup>3</sup> A. Nouschi, Op.cit., p., 115

<sup>4</sup> A. Nouschi, Op.cit., p.,99

<sup>5</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 38

<sup>6</sup> (P.EU.)BACHE,Op.cit, p. 395

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وضريبة العشر لم تكن مؤسسة على عشر المحصور كما نفهم من المصطلح بل كانت تأخذ على كل جابدة صاع قمح، وصاع شعير، وتحصل في وقت الحصاد<sup>1</sup>. ويدفعها الجميع أصحاب الامتيازات مثل قبائل المخزن والملاك الخواص وكذلك المستأجرين، ويوفر لها البايلك المخازن لجمعها والاستفادة منها لحمل الدنوش، أو لمواجهة الأزمات خاصة في المجاعات يخرجها البايلك للأسواق بأسعار منخفضة<sup>2</sup>، أو يوزعها بالمجان كما فعل البايلك محمد الكبير في الغرب كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وقد قام صالح باي بتنظيمات دقيقة لفرض الضرائب وتحصيلها بسهولة<sup>3</sup> وبطريقة عادلة، فقد قسم بايلك الشرق إلى قطاع شرقي وآخر غربي يفصلهما وادي الحمام وكل قطاع تحت إشراف قائد جبلي، يخضع لقائد الدار، وهي تعادل تقريبا ضريبة الحكور تقدر ب24 صاعا<sup>4</sup> من القمح، و24 صاعا من الشعير للجابدة، وفي بعض القبائل الأخرى تقدر ب12 صاعا قمحا و12 صاعا شعيرا للجابدة<sup>5</sup>.

ولم تكن ضريبة الجابري مبنية على أسس نظرية ثابتة بل كانت تقيم على أرض الواقع من طرف قائد الجبلي، الذي كان يقوم بجولتين في السنة، يجوب خلالها أراضي البايلك الأولى في فصل الخريف لتقييم الحرث أو عدد الجابدات، والثانية في فصل الصيف بعد الحصاد لاستخلاص ضريبة الجبلي بمساعدة شيوخ الدواوير وقياد النواحي وفرسان المخزن<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Emerit Marcel, L'Algérie à l'époque d'ABD –EL-KADER, éd. Bouchene, Paris 2<sup>ème</sup> édition, Paris, 2002, p.215

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op.cit., p., 115

<sup>3</sup> حسب "صاحب أخبار بلد قسنطينة"، أن البايلك الشرق في عهد صالح باي لم يكن يواجه أية صعوبة في جمع الضرائب حيث كان يخرج إلى قرية صغيرة قرب قسنطينة ويرسل الشواش والصبايحية إلى جميع الدواوير في السهول والجبال، وفي وقت قصير يأتيه بجموع الضرائب دون تماطل، ولا يمتنع أحدا عن تقديمها. مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص ص. 250-251

<sup>4</sup> الصاع من القمح حسب محمد العربي الزبيري، يساوي 130 كلغ، المرجع السابق، ص. 60

<sup>5</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص.38.

<sup>6</sup> A. Nouschi, Op.cit., p.,96

## الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية

وفي عهد أحمد باي كان عدد الجابديات في بايلكه 300 جابري، و3 700 جابدة عشر<sup>1</sup>. وما يمكن تحصيله من القمح والشعير يساوي: 7 300 صاعا من القمح، 7 300 صاعا من الشعير.

بالإضافة إلى ذلك كانت القبائل تدفع الغرامة واللزمة، فالغرامة كانت تفرض على الحيوانات<sup>2</sup>، (بقر غنم، خيل خيول) وبعض المواد الغذائية كالزبدة (الدهان) والكسكس والمجبور، ويمكن أن تقدم نقدية أو عينية، واللزمة كانت تفرض على القبائل الصحراوية وسكان بلاد القبائل، وتجمع بخروج المحلة وهي حسب تقديرات نوشي تتجاوز 300 000 فرنك سنويا<sup>3</sup>.

كما كانت هناك ضرائب أخرى غير مرتبطة بالنشاط الفلاحي، وتتعلق بأحداث معينة كضيافة الدنوش التي تفرض بمناسبة شراء هدايا الدنوش كل ستة أشهر، وضيافة البرنوس التي تفرض على القبائل عند تعيين الشيوخ<sup>4</sup>، ومنها كذلك ضيفة الفرح والبشارة وهي تجمع في المناسبات السعيدة، عند تعيين البايات أو تجديد الولاية كل سنة<sup>5</sup>.

وقد يتبادر لذهن الباحث إذا اعتمد على المصادر الفرنسية فقط، أن الضرائب في العهد العثماني كانت تفرض على القبائل وتحصل دون إتباع للطرق الإدارية والتسجيلات المحاسبية، ولكن الذي يطلع على الدفتر الجبائي رقم 1646<sup>6</sup> مثلا، بالمكتبة الوطنية والذي يغطي فترة زمنية طويلة من 1171 - 1184هـ/1757-1770م، يتضح له أن عملية تحصيل الضرائب في الشرق كانت تتم بطريقة منظمة بحيث تسجل كل قبائل ناحية الشرقية، واسم القايد أو الشيخ المكلف بجمعها وقيمتها ونوعها، وما تم دفعه والديون المتبقية على كل قبيلة، وإذا رُصد الحساب يُشَطَّب حتى تكون واضحة لأعوان الضرائب

<sup>1</sup> وردت هذه الإحصائيات في الرسالة رقم 27 التي بعثها أحمد باي إلى الداوي حسين خلال عام 1828-1829، وهي رسالة ترجمها ونشرها "إمريت مارسال" في كتابه الجزائر في عهد الأمير عبد القادر،

Emerit Marcel, Op. cit., p., 215

<sup>2</sup> A. Nouschi, Op.cit., p. 108

<sup>3</sup> م.و.ج. سجل دفتر الضرائب، رقم 1646 يغطي عدة سنوات من القرن 12هـ/ 18م، ص.1، 179، 194

<sup>4</sup> Tableau de la situation... 1838, Op.cit., p., 35

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص. 140-141

<sup>6</sup> م.و.ج. يحتوي هذا الدفتر على خمسمائة صفحة، وقد سجل به كل أنواع الضرائب التي كانت تدفعها أعراش وقبائل الشرق الجزائري.

والبائلك. وبالرغم أن الكتابة المستعملة مختلطة مع الأرقام، إلا أنها كانت تحفظ حقوق القبائل والبائلك، ونعتقد أن هذا الدفتر كان يمسه موظف كبير مسؤول عن الضرائب في مقر البائلك كقائد الدار لأنه جامع لكل قبائل الشرق.

### 2-3 الضرائب والرسوم المفروضة على سكان المدن وعوايد النقابات المهنية:

وتتمثل في الضرائب والرسوم المهنية المفروضة الجماعات الحرفية والمهنية، ويدفعها الأثمناء وشيوخ البلد وكانت تساوي تقريباً 21 850 فرنكا، إضافة إلى رسوم أهل الذمة (اليهود) وتساوي 9 000 فرنكا<sup>1</sup>، وكان مجموع سكان المدن ملزماً بالمساهمة بعوايد فصلية وسنوية متعارف عليها كضيفة دار الباي في البائلكات الثلاثة، وضيفة دار السلطان بالعاصمة. إضافة إلى حقوق إسناد المناصب حيث كان الداي والبائيات وبعض كبار الموظفين في الدولة يتقاضون مقابل إسناد المناصب أو تجديد البقاء فيها مبالغ مالية نقدية، يأخذون منها نسبة معينة ويعود الجزء الأكبر لخزينة الدولة<sup>2</sup>.

### 3-3 رسوم الجمارك: كانت جميع السفن التي تدخل الموانئ تدفع رسوماً في مقابل حق

الرسو وتختلف قيمة الرسم على حسب طبيعة السفن، والسلع التي تحملها، والبلد الذي تنتمي إليه، فإذا كانت السفن لدولة صديقة تدفع أقل من سفن الدول الأعداء، وتتراوح ما بين 9 و 18 فرنكا<sup>3</sup>. وتفرض كذلك رسوماً على البضائع التي تحملها السفن سواء مستوردة أو مصدرة وكانت 5% على بضائع التي يستوردها المسلمين و 7% التي يستوردها اليهود<sup>4</sup>، وقد تصل إلى 12% على المستوردات وتنخفض إلى 2% على الصادرات<sup>5</sup>.

وجملة مداخيل الخزينة من الضرائب والرسوم قدرتها الإحصائيات الفرنسية قبل الاحتلال ب 5 076 705 فرنك<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Tableau de la situation...1838, Op.cit., p., 37

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص. 141-138

<sup>3</sup> Tachrifat, Op.cit., p., 72

<sup>4</sup> Tableau de la situation...1838, Op.cit., p., 37

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص. 140-139

<sup>6</sup> Tableau de la situation...1838, Op.cit., p., 37

4- إيجار أملاك البايك وحقوق إسناد المناصب: قدر وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1826م)، عوائد إيجار أملاك الدولة في مدينة الجزائر سنة 1822 ب 4000 دولار إسباني<sup>1</sup>، أما حقوق إسناد المناصب، فهي مبالغ مالية كان يدفعها كبار الموظفين مقابل حصولهم على المناصب أو تجديدها للداي أو الباي فيأخذون منها نسبة محددة ويعود الجزء الأكبر إلى خزينة البايك<sup>2</sup>.

هكذا كانت موارد الخزينة العمومية المختلفة والمتنوعة تحقق فائضا معتبرا ولم تكن تعتمد فقط على مداخيل الجهاد البحري بل ساهمت فيها مختلف القطاعات الأخرى، كمساهمة البايات والضرائب والرسوم الأخرى، أما نفقات الخزينة فكانت تتمثل أساسا في رواتب الجند والموظفين، وتتحمل النفقات في الحالات الطارئة كالحروب، الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة<sup>3</sup>.

وبالرغم ما قدمناه حول مداخيل الخزينة العامة إلا أنه لا يمكننا أن نحدد بدقة إيرادات الخزينة ونفقاتها، وحساب نتيجة كل سنة، لأن ما تم ذكره في هذا الموضوع هي أرقام تقريبية ولمدة طويلة من الزمن، كما أننا لا نمتلك سجلات وحسابات عن واردات الإيالة، إضافة إلى ذلك الإيرادات والمصاريف غير مقيّدة بشكل يومي أو حتى سنوي، وليس بإمكاننا أن نعتمد على المتوسط السنوي في حساب الإيرادات أو النفقات لأن هناك سنوات تكثر فيها المصاريف كتلك التي وقعت فيها الحروب والمجاعات والأوبئة، وسنوات أخرى تكون الأوضاع مستقرة، ونفس الشيء بالنسبة للإيرادات، فهي تزيد بشكل ملفت للانتباه، خاصة عندما لا تعاني الإيالة من التقلبات الزراعية والأزمات والحروب. ولكن بالرغم من هذا يمكننا القول أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية كانت مقبولة ومستقرة في عهد محمد بن عثمان باشا وبياتته الذين عُرفوا بأخلاقهم الحميدة وحسن أدائهم كرجال إدارة واقتصاد. وعاش السكان في استقرار سياسي ورخاء اقتصادي كبير فقدوه مباشرة برحيل هؤلاء الثلاثة الداوي وصالح باي ومحمد باي الكبير. وهذا ما سنتعرض إليه في الفصل الموالي.

<sup>1</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص. 60

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص. 140-141

<sup>3</sup> Venture de Paradis, Op.cit. p. 88

# الجزء الثاني

## الأوضاع السياسية والاقتصادية في

عهد حسين باشا (1818-1830م)

- الفصل الخامس: السياسة الداخلية
- الفصل السادس: السياسة الخارجية
- الفصل السابع: العلاقات التجارية الجزائرية  
الفرنسية وقضية الديون (1791-1830م)



# الفصل الخامس

## الأوضاع السياسية الداخلية

➤ أولا: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على

### الأوضاع الداخلية

➤ ثانيا: الثورات الداخلية بقيادة الطرق الصوفية

➤ ثالثا: السياسة الداخلية لحسين باشا

➤ رابعا: انعكاسات سياسته على العمالات الإدارية

### أولاً: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على الأوضاع الداخلية

كانت وفاة محمد بن عثمان باشا سنة 1791م نهاية ذات آثار وخيمة على البلاد لما تميز به هذا الرجل من مواصفات قلما تميز بها خلفاؤه، وحيث-كما سبق وأن بيّنا- كان حقا أدار البلاد بنزاهة وعدالة واستطاع أن يوطد الأمن والاستقرار في كامل البلاد وبفضل تشجيعه لباي وهران ماديا ومعنويا نجح في فتح وهران وتحرير المرسى الكبير من الاحتلال الإسباني الذي استمر ما يزيد عن قرنين من الزمن، وبذلك يعد محمد بن عثمان باشا من بين أفضل دايات الجزائر، ولو لم تعاجله المنية لاستطاع أن ينطلق بالجزائر انطلاقة حضارية، ولكن ماذا حدث بعد وفاته؟

#### 1- على المستوى المركزي:

الذي حدث أن الجزائر بدأت تسير نحو الانحدار والانحطاط بل باتت أوضاعها تمهد للاحتلال. ولإعطاء فكرة مختصرة نبدأ بخلفائه:

• **حسن باشا (1205-1212هـ / 1791-1798م):** حسب الزهّار فإن حسن باشا كان شخصية مخضرمة، استولى على الحكم عن طريق وكيل الحرج، ولكنه لم يوضح كيف نجح في ذلك، وإنما أضاف أنه رجل يتميز بانفصام الشخصية فهو أحيانا تجده عاقلا عارفا وأحيانا أخرى "يتصرف بحمق". ثم أنه أسند الوظائف الرئيسية إلى بعض أقاربه، في حين أبعد الأكفاء الذين يمكن الاعتماد عليهم في ترشيد سياسة البلاد، ومثال عن ذلك أسند أهم منصب في الدولة، وهو وظيفة الخزناجي لابن أخته مصطفى<sup>1</sup>، وعزل مصطفى الوزناجي باي التيطري في أفريل 1792، ثم قام بعزل وقتل شخصية من أقوى الشخصيات البايكية التي عرفت بإنجازاتها في قسنطينة، ودورها في تدبير شؤون رعية بايلكه إلى درجة كسبت محبة الناس واستولت على قلوبهم وهي شخصية صالح باي خلال نفس السنة كما سنتعرض إليه في حينه.

ثم أعاد تعيين مصطفى الوزناجي في سنة 1795م بايا على قسنطينة ثم أصدر قرارا بقتله في ديسمبر 1797م<sup>2</sup>، وأما محمد باي الكبير فقد توفي سنة 1798م وعين ابنه

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 61

<sup>2</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, p.303

عثمان خلفا له وحسب ما ذكره الزهّار أن حسن باشا أرسل من دس له السم<sup>1</sup>. وفي عهده أرسل أول شحنة قمح لفرنسا لإنقاذها من المجاعة وأقرض لحكومة الإدارة مليون فرنك دون فوائد. ويكون بذلك قد مكن لفرنسا ومهد لاحتلال الجزائر، ثم بعد هذه الاغتيالات التي قام بها وهذه الاضطرابات التي كانت آثارها وخيمة قضى نحبه عام 1798م، نتيجة مرض خطير أصابه.<sup>2</sup> وخلفه الباشا مصطفى الخزناجي.

• مصطفى الخزناجي (1212-1220 هـ / 1798-1805م):

تختلف الروايات التاريخية حول شخصية هذا الرجل، يصفه الزهّار بأحسن الصفات والأخلاق، ويقول: « كان رجلا صالحا حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء رحيمًا بالفقراء واليتامى محبا للمجاهدين والغزاة وعرف عنه الشجاعة »<sup>3</sup>. ويؤكد حمدان خوجة قول الزهّار أنه كان رجلا صالحا<sup>4</sup>، أما دو قرامون فيصفه<sup>5</sup>: « أنه كان رجلا يخاف، جاهلا قاسيا، وأحيانا يصل إلى الجنون الحقيقي. » وما يؤخذ على هذا الداى هو تراخيه وإهماله لشؤون بلاده تاركا مصطفى قارة الخزناجي "المحب لليهود"<sup>6</sup> من أمثال بكري وبوشناق، يديرونها لمصلحتهم الخاصة، وبالتالي ظهروا كعامل رئيسي في تذبذب السياسة الخارجية للبلاد نتيجة احتكارهم للتجارة الخارجية والداخلية، وصاروا هم الأسياد الحقيقيون للبلاد باستعمال وكلائهم في الخارج، وجواسيسهم الصغار في الداخل، فكان لهم تأثير كبير على الداى، يُملون عليه أفكارهم وافتراءاتهم التي تصلهم عن التمردات وتجاوزات البايات حيث تطور الأمر إلى أن باتوا يتدخلون في تعيينات وعزل الموظفين، وحتى في حياته الخاصة وفي كل صغيرة وكبيرة<sup>7</sup>.

ويبدو أن الداى مصطفى باشا كان منشغلا بجمع الثروة وشراء العقارات من اليهود، فقد عثرت الأستاذة نجوى طوبال على العديد من العقود المحفوظة في أرشيف

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص.63

<sup>2</sup> H. D. De Grammont, Op. cit, p.349

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص.71

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.150

<sup>5</sup> H. D. De Grammont, Op. cit, p.355

<sup>6</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 71، 87

<sup>7</sup> H. D. De Grammont, Op. cit, pp. 350- 351

سجلات المحاكم الشرعية تخص مشتريات عقارات لكل من الداوي حسن باشا ومصطفى باشا من التجار اليهود، وأكثرها خاصة بالداوي مصطفى الذي اشترى الكثير من المنازل والمحلات التجارية في عدة أحياء من مدينة الجزائر وكان التعامل بالدينانير الذهبية السلطانية، ومن بينهم عقد بينه وبين بوشناق، الذي يظهر باسم "موشي نفضالي بوجناح" في العقود الشرعية، اشترى منه محلا قيمته 45 ديناراً ذهبياً<sup>1</sup>.

وخلال مدة حكمه جمع مصطفى باشا ثروة طائلة مستفيداً من ارتفاع أسعار الحبوب وازدهار مداخل القرصنة بسبب الحرب الأوربية، ذلك أنه كان يستثمر أمواله عن طريق شركائه بكري وبوشناق في تجارة القمح وتسويق الغنائم البحرية. ولا شيء أدل على سعة ثروته مثل القصور والجنانات التي مازالت إلى اليوم أروع ما تبقى من العهد العثماني بالجزائر<sup>2</sup>.

وربما كانت المصالح التجارية المتبادلة بين مصطفى باشا وبكري وبوشناق تقف وراء توجيه سياسته الخارجية التي عرفت بالتوتر سواء مع الحكومة الفرنسية من جهة أو مع الدولة العثمانية من جهة ثانية، كما سنتطرق إلى ذلك في حينه.

وبالرغم من ذلك قام ببعض الانجازات لمصلحة البلاد<sup>3</sup>، إلا أن الوضع العام في الداخل سيطرت عليه الاضطرابات بسبب تغلغل نفوذ أسرتي بكري وبوشناق اليهوديتين،

<sup>1</sup> لمزيد من التفاصيل ينظر: نجوى طويال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق، الجزائر، 2008، ص ص. 297-303

<sup>2</sup> منها: جنان مصطفى الشهير الذي تحول قصر الحكومة الصفي واليوم هو قصر الشعب، وإحدى منازلها في العهد الاستعماري كانت مقر المكتبة الوطنية ثم تحولت إلى متحف الفنون الجميلة. المنور مروش، المرجع السابق، ص-ص. 260-261

<sup>3</sup> قام ببناء برجين جديدين لتحصين مدينة الجزائر وأنشأ فرقاطتين وعددا من السفن الصغيرة (النجور) في الأسطول، وجعل للبحارة راتبا ثابتا قدره 4 ريال بوجو بعد أن سجل أسماءهم في دفتر واحد، واستمر العمل بهذه الطريقة إلى غاية عهد حسين باشا، ولما وقع زلزال 1217/1802 هـ وتهدمت قرية القليعة الواقعة قرب المدينة الجزائر ومات عدد كبير من الناس، خرج مصطفى باشا بنفسه إلى القرية واعتنى بالمنكوبين فكأساهم وأعطاهم المال وكفن جميع الموتى على حسابه وأمر بدفنهم. وكما أعاد بناء جامع سيدي علي مبارك ومنازته وزاويته في مدينة الجزائر، ولمزيد من المعلومات حول هذا الداوي، ينظر أحمد الشريف الزقار، المصدر السابق، ص ص. 80-83، راجع أيضا، رشيد مريخي، الجزائر في عهد مصطفى باشا 1212-1220 هـ/1798-1805 م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010/2011، ص ص. 11-

وكثر الثورات في الشرق والغرب بقيادة الطرق الصوفية<sup>1</sup>، ومحاولات الانقلاب المتكررة للانكشارية على الحكم، وكانت للمجاعة الرهيبة التي ضربت البلاد نتيجة للجفاف ومواصلة تصدير الحبوب من طرف شركة باكري-بوشناق سنة 1805/1804م<sup>2</sup>، وما صاحبها من غلاء وارتفاع أسعار الحبوب<sup>3</sup>، إلى درجة أنهم صاروا يستوردون القمح من دول أوروبا<sup>4</sup>، آثار وخيمة على ولاية مصطفى باشا ومصيره.

وفي الداخل تابع سياسة إقالة البايات ومصادرة الممتلكات، وأول من صادر ممتلكاته كان خاله حسن باشا، وفي سنة 1800م عزل وصادر أموال عثمان بن محمد باي بن الباي محمد الكبير وغيرهما<sup>5</sup>.

ونتيجة لتقريبه لليهود تعرض لمحاولات قتل كثيرة نجا من أربعة والخامسة قتل فيها والراجح أن انحصار الثروة في يد النظام الحاكم وسيطرة التجار اليهود على إدارة البلاد ونقص الغذاء كان وراء سخط الإنكشارية التي حاولت التخلص منهم في مرات عديدة. وقد حاول مصطفى باشا امتصاص غضبهم بزيادة رواتبهم، إلا أنهم استمروا في مؤامراتهم إلى أن تمكنوا من القضاء على بوشناق أولاً ثم مصطفى الخزناسي ثانياً في صيف 1805 وقتل عدد آخر من اليهود<sup>6</sup>، وعينوا باشا جديدا هو أحمد خوجة.

هكذا قتل مصطفى باشا وجلس أحمد خوجة على عرش ملوث بالدماء بعدما استقرت الأوضاع لأكثر من خمسين سنة لم يقتل فيها دايا بهذه الطريقة<sup>7</sup>، فهل سيتمكن من فرض الأمن وتطوير البلاد بعد أن تخلص من النظام السابق؟

<sup>1</sup> سنتطرق إلى هذه الثورات في حينه

<sup>2</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص-ص. 122-123

<sup>3</sup> يقول أحمد الشريف الزهّار أن سعر صاع القمح وصل إلى 50 دورو، المصدر السابق، ص. 84.

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر نفسه، ص. 84.

<sup>5</sup> H. D. De Grammont, Op. cit, p.355

<sup>6</sup> حسب الزهّار بلغ عدد القتلى من اليهود 200 يهوديا، أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص ص. 87-88

<sup>7</sup> كان آخر باشا قتل هو محمد بكير باشا في عام 1754م، وكل الدايات الذين جاءوا من بعد إلى غاية مصطفى باشا ماتوا على فراش المرض، ينظر: أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، المرجع السابق، ص ص. 50-55

• أحمد خوجة (1220 - 1223هـ/1805-1808م):

تولى الحكم في ظروف سياسية واقتصادية صعبة، اتسمت بتدخل الإنكشارية في شؤون الدولة، وفيما لا يعنيه من أمور الحكم بدلا من أن ينصرفوا إلى الحياة العسكرية مجال تخصصهم، فكانوا يدبرون الانقلابات ليطيحوا بالحكام، ثم يختاروا من يفضلونه لمدة معينة لينقلبوا عليه كسلفه وهكذا، فبعد وفاة حسن باشا 1798م، تولى من بعده ثمانية دايات قتل منهم ستة وكان أولهم مصطفى الخزناجي باشا وآخرهم عمر باشا. وكانت الميليشيا تستفيد من رفع أجورها كلما نصبوا حاكما جديدا، وهذا ما قام به أحمد خوجة مباشرة بعد اختياره دايا على الجزائر لأنه كان يدرك أن ولاء الإنكشارية يضمن استمراره في الحكم<sup>1</sup>.

وقد واجه الداوي أحمد خوجة ثورات داخلية عنيفة في الشرق والغرب بقيادة الطريقة الدرقاوية قضى عليها البايات في الشرق بصعوبة كبيرة، ولكنها سرعان ما اندلعت وتوسعت في الغرب مسببة فوضى وهلعا كبيرين -وسنتطرق إلى هذه الثورات في حينه-، واستغل باي تونس حمودة باشا هذه الظروف وأعلن الحرب على الجزائر<sup>2</sup>. وكل هذه الاضطرابات واللامن زاد من حدة الأزمة الغذائية، التي كانت مستمرة من أيام مصطفى باشا، نتيجة للجفاف وهجرة الفلاحين لأراضيهم بسبب الظروف الأمنية الصعبة في الشرق والغرب. وقد واصل الداوي استيراد الحبوب من أوروبا لتوفير الغذاء<sup>3</sup>. ونتيجة لهذه الظروف الخطيرة قام الباشا بعزل العديد من البايات في الشرق، والغرب<sup>4</sup> بعدما أبدوا ضعفا في مقاومة تلك الثورات. وعلى المستوى الخارجي اتسمت

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 95

<sup>2</sup> سنتعرض للحروب بين تونس والجزائر في عهد حمودة باشا باي تونس وأحمد خوجة باشا في الفصل الخاص بالعلاقات الخارجية.

<sup>3</sup> ينظر، محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 34-35. راجع كذلك المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص. 388-389، وسنأتي إلى هذه الأزمة الاقتصادية بمزيد من التفصيل في حينه

<sup>4</sup> عزل الداوي أحمد خوجة في الشرق الباي عبد الله باي (1804-1807م) وأمر بقتله وعين بدلا عنه حسين بن صالح باي في عام (1807-1808م)، وبعد هزيمته أمام حمودة باشا أمر بعزله وقتله، وعين بدلا عنه علي بن يوسف ولكنه لم يستمر طويلا، حيث تأمر عليه جنوده بقيادة أحمد شاوش وقتلوه في آخر سنة 1818م، ونصب هذا الأخير نفسه بايا جديدا ولكنه قتل بعد 15 يوما، وعين أحمد بن طوبال عام (1808-1811م) بايا على قسنطينة. أما في الغرب فقد عزل

سياسته بالميل نحو الانجليز، إذ قام بمنح الامتيازات التجارية التي كانت تحتكرها فرنسا بالشرق لأكثر من قرنين من الزمان لصالح منافستها انجلترا مقابل لزمة كبيرة، عام 1807م، بعدما عجزت فرنسا عن دفع الإتاوة السنوية المفروضة عليها، وهذا الإجراء اعتبرته الحكومة الفرنسية انتهاكا صارخا للمعاهدة المئوية التي تم تجديدها سنة 1790. عندئذ كلف نابليون القائد بوتان بإعداد خطة مشروع لاحتلال الجزائر<sup>1</sup>، وفي 8 نوفمبر عام 1808م وضعت الإنكشارية حدا لحياة الداوي أحمد خوجة واختارت "علي باشا" دايا جديدا للجزائر<sup>2</sup>.

• علي باشا ( 1224هـ/1809م):

حكم فترة قصيرة جدا لم تتعدّ أربعة أشهر وثار عليه الجند وأعدموه وعين بدلا منه الحاج علي<sup>3</sup>.

• الحاج علي باشا(1224-1230هـ/1809-1815م):

اتسمت سياسته بالحزم والشدة، برزت من خلال مقاومته للثورات الداخلية، وكثرة حروبه مع تونس خارجيا. ففي بايلك الغرب عيّن أبو كابوس الذي نجح في القضاء على بقايا ثورة الدرقاوي،<sup>4</sup> وقاد حربا طويلة ومتواصلة ضد تونس بعد أن نقلها من البر إلى البحر بالرغم معارضة الباب العالي<sup>5</sup>، واستطاع أن يلحق بأسطولها<sup>6</sup> وتجارها خسائر كبيرة بقيادة "الريس حميدو"<sup>7</sup>.

مصطفى المنازلي (العجمي)، وعين بدل منه محمد المقلش بن محمد باي الكبير لعجزه عن مقاومة ثورة الدرقاوي، وبعد ما استقرت الأوضاع لمحمد المقلش جاء أمر الباشا بعزله وقتله، وأعاد تنصيب مصطفى المنازلي في عام 1808م مرة ثانية لأشهر قليلة ثم عزله ونقله إلى العاصمة وعين محمد بن عثمان (أبو كابوس) بايا على الغرب. وفي الوسط كانت الأمور أكثر استقرارا إذ استمر الباي حسان من(1801-1806م) والباي محمد (1806-1809م) في حكم بايلك التيطري، ينظر، G. Faure-Biguët, Op.cit., pp.418-420

<sup>1</sup> M. Léon Galibert, Op.cit., pp. 243-244

<sup>2</sup> Rozet et Carette, L'Algérie, éd., Firmin Didot Frères, Paris. 1850. p.505

<sup>3</sup> Idem

<sup>4</sup> Idem

<sup>5</sup> سننطرق إلى العلاقات الجزائرية التونسية في حينه.

<sup>6</sup> Voir, A. Devoulx, Tachrifat, Op.cit, p. 17

<sup>7</sup> ألبير دوفال، الريس حميدو، تعريب، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، مطبعة بولعيد، الجزائر، 1972،

كما أعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تأخرت عن دفع الضريبة السنوية، وقام بطرد القنصل والرعايا الأمريكيين بمدينة الجزائر عام 1812م.<sup>1</sup> وخلال عام 1813م أراد الحاج علي باشا أن يخضع سلطة تونس للجزائر، فأصدر الأوامر لتجهيز حملة بحرية وأخرى برية لمهاجمتها، ولكن الحملة البرية لم تخرج بسبب تمرد الباي أبو كابوس في الغرب الجزائري، مما أجبر الباشا على وقف حملته والتفرغ للقضاء على الباي وثورته،<sup>2</sup> وسنتطرق إلى ثورة أبو كابوس في حينه،-، وعين علي قارة باغلي بايا على وهران خلفا له وقد تمكن من توطيد الأمن والاستقرار في البايك<sup>3</sup>. وفي باييك قسنطينة أمر بعزل وإعدام الباي أحمد طوبال (1808-1811م) بعد سنتين ونصف من ولايته وعين مكانه محمد بن نعمان (1811-1814م) وبعد سنة أمر بعزله إعدامه أيضا، وولي مكانه محمد شاکر باي (1814-1818) وفي عهده استقرت الأوضاع لبعض الوقت<sup>4</sup>.

وعلى أية حال فقد استمرت الفوضى والاضطراب إلى نهاية عهد الحاج علي باشا حيث ثار أولاد نايل في الجنوب واتجهوا إلى الشمال وانتصروا على باي التيطري، كما تمردت قبائل جرجرة، ونهبت المناطق الواقعة بين فليسة و متيجة بالرغم من مقاومة قائد سيباو إلا أنه لم يتمكن من فرض النظام والأمن في تلك المناطق.<sup>5</sup> وفي 22 مارس 1815 دبرت الإنكشارية مؤامرة وقتلت الحاج علي باشا في حمامه<sup>6</sup>.

• **محمد باشا (1230هـ/1815م):** بعد مقتل الحاج علي وقع اختيار الإنكشارية على عمر آغا، ولكنه رفض هذا التشريف خوفا من القتل، وقبله الخرناجي محمد وكان شيخا كبيرا في السن، يعتمد على ابنه الأكبر في إدارة كل أعماله، ومن باب الحيطة والحذر أراد تخفيض عدد الانكشارية، فقام بإحصائهم فوجد أن عددهم سبعة آلاف جندي، ورأى أن

<sup>1</sup> عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص. 599

<sup>2</sup> M. Lapéne, Tableau historique de la Province d'Oran, depuis le départ des espagnoles en 1792 jusque l'élévation d'Abdelkader en 1831, imp. De L'Académie, Metz, 1842, p. 16

<sup>3</sup> H. L. Fey, Op.cit., pp. 305-306

<sup>4</sup> محمد صالح العنثري، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص ص. 101-103

<sup>5</sup> Rozet et Carette, Op.cit. p. 505

<sup>6</sup> M. Léon Galibert, Op.cit., p. 245



الكثير منهم بلا فائدة، ويتقاضون رواتبهم فقلل عددهم إلى أربعة آلاف، فثارت عليه الإنكشارية وقتلته بعد عدة أيام من توليه الحكم<sup>1</sup>.

• عمر باشا (1230-1232هـ/1815-1817م):

كانت الحروب والكوارث هي السمة الغالبة على عهد عمر آغا، ذلك أنه تولى سدة الحكم في ظروف دولية حرجية، كانت فيها الحروب قد وضعت أوزارها في أوروبا واجتمع نواب دولها في فيينا؛ من أجل تقرير مصير الجزائر ووضع حد لأسطولها ونشاطه البحري. وفي صيف 1815م، قامت قطعة بحرية أمريكية بهجوم على الرئيس حميدو وقضت عليه وحطمت سفينته، ثم توجهت إلى الجزائر وأملت شروط معاهدة جديدة لصالحها<sup>2</sup>.

وحسب "ليون قالليبار" (Léon Galibert) فإن نجاح هذه الحملة قد وجه أنظار الدول الأوروبية إلى استعمال القوة لفرض شروطها على إيالة الجزائر، وهو ما قامت به إنجلترا وهولندا في صيف 1816، حيث وجهتا أسطولا عسكريا مشتركا لقصف مدينة الجزائر، وكانت نتيجته تحطيم الأسطول الجزائري وتحرير الأسرى دون فدية، هذا ما اعتبرته الإنكشارية كارثة حقيقية حلت بهم وحملت عمر آغا المسؤولية بالرغم من الشجاعة التي أبداهما والجهد الذي بذله لإعادة تشكيل الأسطول من جديد<sup>3</sup>.

هذا، وقد أصاب الاقتصاد الوطني التقهقر منذ بداية عهده (1815م)، حيث ساد الجفاف وزحف الجراد على كامل البلاد، وقضى على الأخضر واليابس مما تسبب في أزمة غذائية حادة وطويلة بسبب الندرة وارتفاع الأسعار، وصاحبها الوباء الذي ضرب بشدة من سنة 1816 إلى 1822م وخلف خسائر كبيرة أحصيت بالآلاف في كل سنة،<sup>4</sup> كما كانت الخزينة تعاني من عجز مالي خطير إلى درجة أن عمر باشا أصبح لا يدفع أجور الإنكشارية في أوقاتها المحددة<sup>5</sup>، بسبب ظروف داخلية وخارجية سنتطرق إليها في حينها.

<sup>1</sup> عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.600

<sup>2</sup> H. D. De Grammont, Op. cit, p.377

<sup>3</sup> M. Léon Galibert, Op.cit., p.246

<sup>4</sup> J.L.G. Guyon, Histoire de chronologique des épidémies du nord d'Afrique, imp. Du Gouvernement, Alger, 1855, p.456

<sup>5</sup> عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تونس، الجزائر، ليبيا، من 1816 إلى 1871م، تقديم روبرت منتران، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص. 241

ورغم ما أظهره عمر آغا من شجاعة وكفاءة في إعادة تشكيل الأسطول وترميم دفاعات المدينة في وقت قياسي إلا أن الإنكشارية لم تسامحه وقتلته في 8 سبتمبر 1817م.<sup>1</sup>

• علي باشا (1232-1234/1817-1818م):

حسب وليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر (1816-1824م)، فإن علي باشا كان رجلاً مثقفاً متعدد المواهب، وأما لقب خوجة (الكاتب) أطلق عليه ولكنه لم يمارس مهنة الكاتب أبداً<sup>2</sup>. وقد اختارته الإنكشارية بعد مقتل عمر آغا دايا على الجزائر، وقد سعى منذ توليه الحكم للتخلص من العصاة والمتمردين في صفوف الإنكشارية، ووضع حداً لانقلاباتهم المستمرة، وتدخلهم في الحكم، وأول ما قام به هو تأمين نفسه؛ واختار حراسه الشخصيين من القبائل، والكراغلة<sup>3</sup>، ثم نقل مقر سكناه والخزينة العامة من الجينية إلى القسبة في أعلى المدينة وزود سورها بالمدفعية<sup>4</sup>.

وبعد ذلك أخذ مجموعة من القرارات أثارت استياء الإنكشارية، وبالخصوص حين طلب منهم الاختيار بين الخضوع لأوامره أو الرحيل عن الجزائر، ففر العديد منهم إلى قسنطينة واجتمعوا هناك مع المتمردين ونظموا أنفسهم وتقدموا إلى العاصمة في 29 نوفمبر 1817م، ولكنهم تعرضوا لهجوم مفاجئ وقوي أعده علي باشا مع جيشه الجديد وألحق بهم خسائر معتبرة، وهجر الناجين منهم نحو الشرق. وعفا عن الذين أعلنوا طاعتهم لأوامره<sup>5</sup>. عن طريق هذه الإجراءات حافظ الداوي علي خوجة على حياته وحياة حسين باشا من بعده، ولكنه أضعف القوة العسكرية البرية للبلاد، زيادة على فقدانها لأسطولها البحري.

<sup>1</sup> Rozet et Carette, Op.cit. p. 505

<sup>2</sup> وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش.و.ج.ن.ت. الجزائر. (د.ت)، ص-ص. 174-175

<sup>3</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p. 438

<sup>4</sup> Maurice WAHL, L'Algérie, éd. Ancienne librairie Germer, Paris, 1903, p. 95

<sup>5</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p. 438

وحسب الزهار فإن الداوي علي خوجة كان يحارب الفساد في الجيش وفي الأخلاق العامة، حيث منع ارتكاب الفواحش بالشوارع والثكنات، وأمر بتأدية الصلاة جماعة والحفاظ عليها ومعاقبة كل من تأخر عنها<sup>1</sup>.

وفي بايلك الشرق قام الداوي علي خوجة بسلسلة من الإقالات والاعتقالات في حق البايات، فبعد أن استقرت الأوضاع نسبيا في ولاية محمد شاكر باي أصدر الباشا أمرا بعزله وقتله، وعين قارة مصطفى باي في بداية عام (1818م) خلفا له وبعد شهر واحد عزله وأعدمه ونصب أحمد باي المملوك<sup>2</sup>، أما في الغرب فقد احتفظ حسن باي بمنصبه منذ أن عينه الداوي عمر آغا خلفا لعلي قارة باغلي سنة 1816م.<sup>3</sup>

وعلى المستوى الخارجي أعاد الامتيازات التجارية إلى فرنسا بعد القطيعة مع إنجلترا، وأمضى معها معاهدة خاصة بالباستيون عام 1817م<sup>4</sup>. لم يدم حكم علي خوجة لفترة طويلة وأصيب بالوباء وتوفي أول مارس 1818م<sup>5</sup>، وخلفه آخر الدايات حسين باشا.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الوضع الداخلي للإيالة تميز ولأكثر من ربع قرن (1792-1818م) بعدم الاستقرار السياسي في حكم الدايات والبايات؛ فقد حكم في هذه الفترة ثمانية دايات قتل منهم ستة، والغريب في الأمر أن القاتل يصبح هو الحاكم والأغرب من ذلك هو إسراع العلماء والأعيان لمبايعة الباشا الجديد وتطلق المدافع<sup>6</sup> وكأن شيء لم يكن.

والخلاصة أن الأوضاع الداخلية بعد رحيل محمد بن عثمان باشا على المستوى المركزي قد تميزت بعدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات والانقلابات بسبب تدخل الإنكشارية في تنصيب وعزل الدايات على حسب أهواء قادتها أصحاب القوة، فالأوجاق كانت غير راضية عن الداوي والانقلابات مستمرة، وعلى مستوى البايلكات الداوي غير راضٍ بدوره عن

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 136

<sup>2</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص ص. 103-108

<sup>3</sup> H.L. Fey, Op.cit. p. 306

<sup>4</sup> Maurice WAHL, Op. cit, p. 95

<sup>5</sup> Rozet et Carette, Op.cit. p. 506

<sup>6</sup> كما حدث عند تعيين عمر آغا باشا على الجزائر ومع أنه المتهم الرئيسي في الانقلاب ضد محمد بشا وقتله إلا أن العلماء والأشراف وأعيان البلد باركوا تعيينه، أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 115

البايات، فكانت حكومة البايات في مقاطعاتهم صورة مصغرة لحكومة الباشاوات بمدينة الجزائر، من حيث عدم الاستقرار في الحكم والاضطرابات المتواصلة للبايات ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، فعدم الاستقرار في السلطة العليا للبلاد أدى إلى اضطرابها على المستوى المحلي، وهو ما أدى بدوره إلى كثرة الثورات ضد سلطة العثمانيين من طرف القبائل وأصحاب الطرق الدينية في الشرق والغرب، فكيف حدث هذا التدهور في بايلك الشرق؟ وما هي أسبابه ونتائجه؟

## 2- على المستوى المحلي:

### 1-2- بايلك قسنطينة:

كان بايلك الشرق في عهد صالح باي يعيش في استقرار تام وزاد من استقراره الرخاء الاقتصادي الطويل، كما عرف تطورا عمرانيا وثقافيا ملحوظا، كما سبق الإشارة إلى ذلك، ولكن بمجرد أن تولى حسن باشا الحكم سنة 1791م تمرد عليه صالح باي فعزله ثم أمر بقتله وصادر ممتلكاته، فما هي الأسباب التي أدت إلى تمرد صالح باي واغتياله؟ تتفق المصادر المحلية<sup>1</sup> والفرنسية<sup>2</sup> على أن سبب عزل صالح باي كان يقف وراءه كثرة الشكايات التي رفعها سكان مقاطعته إلى الباشا الجديد. غير أن الرسائل الثلاث التي نشرها إبراهيم بحاز في دراسته السابقة الذكر، تفرد برواية أخرى لم تذكرها باقي المصادر، فقد جاء في الرسالة الأولى التي بعثها أعيان وادي بني ميزاب إلى حسن باشا مؤرخة في ذي القعدة 1206هـ (20 جوان-18 جويلية 1792م)، أن صالح باي قد استأذن حسن باشا قبل خروجه في الحملة على بني ميزاب وأذن له في ضمها إلى مقاطعته الشرقية وقدم له أموالا كبيرة مقابل ذلك، وقال صاحب الرسالة: "دخل (صالح باي) بلد الجزائر واشترى من المولى حسن الدولتلي بلاد بني ميزاب أن يكون أميرا عليهم بعدة من ألوف لا تحصى وأن يجعل أمورهم بيده."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> من المصادر المحلية ينظر، الحاج أحمد العطار، المصدر السابق، ص-ص. 142-143. راجع كذلك، محمد صالح

العنتري، المصدر السابق، ص. 84-85

<sup>2</sup> من المصادر الفرنسية، أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 286

<sup>3</sup> إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص. 249-251

وبعد أن سار صالح باي إلى بلاد بني ميزاب وضمها إلى سلطته، كتب أعيانها الرسالة السابقة الذكر إلى حسن باشا الذي أصدر أمره إلى الباي بأن يترك المنطقة فوراً ويعود إلى قسنطينة<sup>1</sup>، واعتقد الميزابيون أن تلك الرسالة كانت السبب وراء هذا القرار، وهي التي خلصتهم من صالح باي، غير أن الباي لم يمتثل لأوامر حسن باشا، فعزله وعين مكانه بايا جديدا هو إبراهيم باي سنة 1792م، ومن جانبه صالح باي لم يستسلم وتمرد وقتل الباي الجديد بعد حكم دام ثلاثة أيام مع جنده، وما إن وصل الخبر إلى الباشا في الجزائر اشتد غضبه وأرسل إلى حسن بن الباي بوحناك وعينه بايا جديدا بدلا عن صالح باي، وبعث معه قوة عسكرية كبيرة إلى قسنطينة وأمره بقتله حالا دون تردد، وقبل أن تحدث المواجهة سلم السيد عبد الرحمن الفكون شيخ بلد قسنطينة صالح باي إلى الباي الجديد فسجنه ثم أعدمه<sup>2</sup> في ليلة الثاني من شهر سبتمبر 1792م ودفن في ساحة مدرسة سيدي الكتاني<sup>3</sup>. رحمه الله.

وانتهى بذلك حكم صالح باي وصارت مدينته أسطورة وأغنية تردد إلى يومنا هذا في قصائد المألوف ومن أشهرها "قالوا العرب ... قالوا " ... إلخ.

ومهما يكن من أمر فإن الأسباب التي أدت إلى تمرد صالح باي على حسن باشا لا تتفق حولها المصادر، والحقيقة أن الكثير من الأخبار تحتاج إلى مراجعة وتوثيق وتأصيل وجميعها تبقى غير أكيدة، وحتى رسالة الميزابيين السابقة الذكر، نعتقد أنها غير كافية ليغير حسن باشا رأيه ويأمر صالح باي بالرحيل عن بني ميزاب، بعد أن أذن له وأخذ منه أموالا هائلة مقابل هذه الحملة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان حسن باشا يتوقع من صالح باي أن يمتثل لأوامره فعلا بعد أن سمح له بالخروج، وبعد كل ما تكبده من مشاق وخسائر في هذه الحملة؟

والراجح أن موقف حسن باشا لم يؤثر عليه رسالة واحدة من الميزابيين، بل ربما أراد أن يستفز صالح باي ويدفعه إلى التمرد دفعا حتى يتخلص منه، ذلك أن سياسة صالح

<sup>1</sup> إبراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص. 252

<sup>2</sup> الحاج أحمد العطار، المصدر السابق، ص. 141-143. ومحمد صالح العنزي، المصدر السابق، ص. 84-85

<sup>3</sup> Ernest Mercier, Op.cit, p. 291

باي وشخصيته القوية جلبت له الكثير من الأعداء لدى الباشا الجديد<sup>1</sup>، الذين كانوا ينشرون الدعاية على أنه كان يسعى للاستقلال بمقاطعته<sup>2</sup>.

وقد أورد الزهّار رواية مختلفة<sup>3</sup> عن سبب إعدام صالح باي ولكنها متفقة مع باقي الروايات على أن صالح باي تمرد على باشا الجزائر وخرج عن طاعته فتم اغتياله.

وخلاصة أن عزل صالح باي قد انتهى بتمرد خطير كاد أن يدخل سكان قسنطينة في حرب لا نهاية لها، لولا تدخل أعيان البلد والعقلاء لمصلحة الباي الجديد وحافظوا على أمن وسلامة مدينتهم وحياة الأبرياء. ولكن الهدوء لم يستمر لفترة طويلة، وصارت إقالة البايات واغتيالاتهم ومصادرة أموالهم عادة مستمرة، وهو ما عبر عنه العنترى قائلاً<sup>4</sup>:  
"وبسبب هذه الجريمة صارت عادة جارية بموت البايات المتأخرين".

وقد تعاقب على حكم بايلك قسنطينة العديد من البايات بعد صالح باي إلى غاية ولاية الحاج أحمد باي آخرهم في الفترة الممتدة من 1792-1826م، وأغلبهم تم اغتيالهم، فمن مجموع تسعة عشر بايا (باستثناء أحمد باي المملوك الذي تولى الحكم مرتين) قتل اثنا عشر بايا<sup>5</sup>، وحول هذه الاغتيالات يقول الزهّار: « انظر أيها المعترى في أمر هؤلاء ملوك الأتراك كيف يقتلون رجالهم. وخصوصا خيارهم. »<sup>6</sup>

<sup>1</sup> حسب ما ذكره أحد كبار موظفين صالح باي، كانت قيمة ما حجز عنده من نقود ذهبية وفضية ومن الأشياء الثمينة التي نقلت إلى الجزائر ما يساوي مليون قرش فضي و650 ألف سلطاني ذهبي، المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص. 235. ويقول الزهّار عن تركة صالح باي أنها تقارب ما يوجد في خزينة الجزائر وتتكون من الأثاث الرفيع والسلاح الثمين وأموال ومجوهرات، أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 65، ولا نعتقد أن هذه التقديرات لتركة صالح باي مبالغ فيها، لأن الباي كان يحتكر تجارة القمح في الشرق وكانت تدر عليه ملايين القروش كما بينا سابقاً، إضافة إلى ما كان يمتلكه من دكاكين وأراضي وعقارات.

<sup>2</sup> ERNEST Mercier, Op. cit, 286

<sup>3</sup> وحسب الزهّار أن عزل صالح باي وقتله كان بتحريض من زوجة حسن باشا ابنة الخرنجاني الذي وشى به صالح باي سابقاً إلى محمد بن عثمان باشا فقتله، وبمجرد أن اعتلى حسن باشا الحكم حتى عزل صالح باي وقتله لأجل خاطر زوجته، ولمزيد من التفاصيل حول هذه الرواية ينظر، أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 64-65

<sup>4</sup> محمد صالح العنترى، المصدر السابق، ص. 85

<sup>5</sup> لمزيد من المعلومات حول بايات الشرق ينظر، محمد صالح العنترى، ص. 95-115

<sup>6</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 65

ويرى العنتري أن السبب في عدم الاستقرار في سلطة البايات بعد صالح باي يعود في أغلب الأحيان إلى عدم كفاءتهم وعجزهم عن تسيير شؤون البايلك بشكل جيد، لأنهم كانوا يشترتون مناصبهم بالمال، ويقول عن ذلك<sup>1</sup>: « وكانوا (كذا) الترك في سابق زمانهم ما يرجعون واحد لوظيفة الباي إلا الذي يكون معروفًا بالشجاعة، وله خصال كثيرة في الحرب والبراعة، ولكن من زمان صالح باي وما بعده وقع الصف، فالذي يكون له صاحب متوصل عند الباشا يسعى لصاحبه حتى يرجعه لأجل المعاملة والمودة».

ويضيف حمدان خوجة عن ضعف البايات المتأخرين قائلاً<sup>2</sup>: « كان البايات لا يعزلون إلا نادراً، في الأيام الأولى من عهد الأتراك وعندما أصبح الباشوات جشعين يجرون وراء الثروة كثرت التبديلات والتغييرات التي كانت مضرّة بالنسبة للسكان والحكومة على السواء».

وقد ظهر ضعف البايات في عدم اهتمامهم بالبناء والتعمير والاقتصاد والتعليم، وركزوا على جمع الضرائب وبالغوا فيها حتى أرهاقوا الرعية، وعن ثقل الجباية على الناس في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني بالجزائر يقول الزهار<sup>3</sup>: «وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين، وما وقع هذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين».

## 2-2 بايلك التيطري:

في بايلك الجنوب لم تكن الأوضاع أكثر استقراراً من الشرق، فقد قام حسن باشا بعزل مصطفى الوزناجي في سنة 1792م، بعد عشرين سنة من ولايته، وأمر بقتله ولكنه تمكن من الفرار وظل مختبئاً، فعين بدل منه محمد الذباح واستمر هذا الأخير في منصبه سنتين، ثم عزله وأمر بإعدامه في عام 1794م، وصودرت أمواله وممتلكاته، وعين خلفاً له إبراهيم بورسالي باي (1794-1801م) الذي دامت ولايته سبع سنوات وفي عام 1801م أقيمت وسجن، وصودرت ممتلكاته، وخلفه الباي حسان من (1801-1806م) ثم الباي محمد (1806-1809م) هذا، وقد استمرت الاضطرابات وعدم الاستقرار في حكم بايلك التيطري

<sup>1</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص. 105.

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 141.

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 35.

إلى غاية عهد حسين باشا أين قام بتعيين مصطفى بمرزاق عام 1819م<sup>1</sup>، الذي حافظ على منصبه إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

## 2- 3 بايلك الغرب:

كانت الخدمات التي قدمها محمد الكبير باي الغرب مشرفة جدا وخاصة تحريره لوهران وطرد الإسبان منها، غير أن هذه الانجازات الكبيرة ربما جعلت حسن باشا يتخوف من قوته، وحسب "فور" يظهر تخوف حسن باشا من قوة محمد باي الكبير في القرار الذي اتخذته بشأن سحب القوات النظامية (الانكشارية) من مقاطعة الغرب، ولم يبق له سوى فرسان المخزن، وعند وفاته عام 1798م انتشر خبر تسميمه من قبل هذا الباشا<sup>2</sup>.

وقد شغل منصب باي وهران بعد محمد باي الكبير عدد من البايات، وتولى في الفترة ما بين 1798-1830م ستة بايات باستثناء الباي مصطفى بن عبد الله العجمي (المنازلي) الذي تولى مرتين، وهذا معناه طول فترة حكم بايات الغرب مقارنة مع بايات الشرق، أما نهاية البايات في الغرب فلا تختلف عنها في شرق الجزائر، إذ من جملة ستة بايات قتل ثلاثة منهم، بأمر من الدايات لأسباب مختلفة أي النصف وعزل واحد، وتوفي آخر وفاة طبيعية وهو مصطفى بن عبد الله العجمي (1800-1805م)<sup>3</sup>، واستمر حسن باي (1816-1830م) آخر البايات في منصبه إلى غاية الاحتلال الفرنسي، غير أن الوضع لم يكن أكثر استقرارا في المقاطعة فالاضطرابات كانت لا تتقطع في الشرق كما في الغرب.

## ثانيا: الثورات الداخلية بقيادة الطرق الصوفية

عرف العهد العثماني العديد من الثورات وكانت متعددة الوسائل والغايات فبعضها كان له طابع سياسي، وبعضها كانت له دوافع اقتصادية وبعضها الآخر كان له طابع ديني، والثورات الدينية كانت أحيانا بقيادة مرابط بعينه مثل ثورة "يحيى الأوراسي" بجبل الأوراس، أو بقيادة طريقة صوفية كاملة مثل ثورة درقاوة، تلك الثورة التي انطلقت من الشرق وتوسعت في غرب البلاد وغطت مناطق واسعة، وكثر أتباعها وهددت الوجود العثماني

<sup>1</sup> Federmann et Aucapitaine, Op.cit., in R.A. n° 09, p.280-297

<sup>2</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p.413

<sup>3</sup> لمزيد من المعلومات حول بايات الغرب ينظر، مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص-ص. 65-114. راجع كذلك

محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص-ص. 232-2536



بقوة، ودارت بينهما معارك كثيرة وأدوا بالبلاد إلى حافة الهاوية<sup>1</sup>. فما هي أسبابها؟ وطبيعتها؟ وما هي نتائجها؟

وقبل ذلك نشير إلى أنّ الطريقة الدرقاوية هي من الطرق الصوفية<sup>2</sup> المعروفة على مستوى المغرب بأكمله. وهي تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي المولود حوالي 1150هـ/1737م، والمتوفى سنة 1239هـ/1823م، وأسس زاويته "ببوريج من بني زروال" في ضواحي مراكش، وكان الشيخ يلازم دروس الصوفي الكبير الشيخ علي بن عبد الرحمن الجمل الذي يعتبر الحلقة الأخيرة في سلسلة الصوفية التي تتصل بالقطب الرياني أبي مدين الغوث واتبعتها الناس بكثرة في المغرب الأقصى والغرب الجزائري<sup>3</sup>.

#### 1- ثورة ابن الأحرش الدرقاوي:

قائد هذه الثورة هو الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش<sup>4</sup>، وهو فتى مغربي درقاوي الطريقة<sup>5</sup> درعي النسب<sup>6</sup> مالكي المذهب<sup>7</sup>، وصل إلى وادي الزهور في ربيع سنة 1804م<sup>8</sup>، قادما تونس، حسب رواية الزهار، كان في مصر وشارك معهم في الحرب ضد الفرنسيين سنة 1798م، وبعد جلاء الفرنسيين من مصر استدعاه حمودة باشا وحرضه على الثورة والاستيلاء على السلطة من العثمانيين، وطمأنه بأن العرب سيتبعونه لكثرة ظلمهم لهم، وتعد بمساعدته، وحسب عين المصدر فإن غرض باي تونس هو أن يشغل

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص. 209-221

<sup>2</sup> بقيت الطريقة الدرقاوية حتى بعد الاحتلال الفرنسي وراء الكثير من الثورات ومنها ثورة الزعاطشة والتي كان قائدها هو مقدم الطريقة الشيخ بوزيان بنواحي بسكرة. ينظر، صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 153

<sup>3</sup> صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص. 152

<sup>4</sup> H-D. De Grammont, Op. cit, p.364

<sup>5</sup> كما يسمى أيضا الشريف ابن الأحرش ولقب الشريف وهو لقب يخص ذرية النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة رضي الله عنها وهذا النسب له تأثير كبير على المسلمين. أوجين فايست، المصدر السابق، ص. 112

<sup>6</sup> مسلم عبد القادر، المصدر السابق، ص. 67

<sup>7</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 206

<sup>8</sup> A. Berbrugger, Un Chérif Kabile En 1804, in. R.A., Vol. N° 03, 1856, éd. A. Jourdan, Alger, p. 210

الأتراك عن حربه لا غير، لأن أخذ السلطة منهم شيء مستحيل، ولكن ابن الأحرش اقتنع بالأمر وسار لتنفيذه<sup>1</sup>.

اختار ابن الأحرش منطقة "وادي الزهور" الواقعة ما بين مصب الوادي الكبير والقل على الساحل الشمالي في منطقة القبائل الصغرى<sup>2</sup>، ذلك لأنه موقع محصن طبيعياً تكثر به الأشجار والجبال وطرقاته وعرة ومتشعبة<sup>3</sup>، وكانت تعيش به قبائل أولاد عطية وبني فرقون ويسكنون في مغارات جبلية<sup>4</sup>، وتمكن ابن الأحرش باستعمال الحيل أن يجمع تلك القبائل الجبلية البسيطة والفقيرة حوله<sup>5</sup>، وقال للناس أنه المهدي المنتظر، وفي الحقيقة "كان صاحب شعوذة وحيل وخبر فرأت منه الناس العجائب فكثرت أتباعه"<sup>6</sup>.

وأول ما قام به الزعيم الجديد لتلك القبائل هو مهاجمة صيادي المرجان الفرنسيين بسفينة مسلحة حيث قتل عددا منهم وأسر آخرين، وتختلف المصادر حول عددهم<sup>7</sup>. ولما علم مصطفى باشا بالخبر أرسل فوراً أربع سفن مسلحة إلى "مرسى الزيتون" للقبض على ابن الأحرش، لكنها فشلت في مهمتها بسبب دفاع القبائل عنه، كما أن انسحاب الحامية التركية من مدينة عنابة زاد من أتباع ابن الأحرش وثقتهم به<sup>8</sup>.

وبعد أن كثر أتباعه وذاع صيته وسط القبائل سار إلى مدينة قسنطينة للاستيلاء عليها مستغلاً غياب عثمان باي عنها، وقال لهم: «امشوا معي إلى قسنطينة كي ندخلها

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 85

<sup>2</sup> A. Berbrugger, Op. cit, p. 209

<sup>3</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص. 90

<sup>4</sup> A. Berbrugger, Op. cit, p. 209

<sup>4</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، 90

<sup>5</sup> من الخدع التي كان يستعملها هي تحويل البعير زبيبا، والروث تمرا أو تقطير السيف دما، وتحويل بعض الحجارة دراهم ونحو ذلك، ولما رأوا ذلك منه نصره وعقدوا له البيعة وتجنبوا الحرب معه. مسلم عبد القادر، المصدر السابق، ص. 67، هامش المحقق، رقم (5)

<sup>6</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 207

<sup>7</sup> يقول بربروقجي أن عدد الأسرى كان 54 أسيراً، A. Berbrugger, Op.cit., p.210 ولمزيد من المعلومات حول ما ذكرته باقي المصادر عن عدد الأسرى، ينظر، جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بابلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185-1253هـ)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012م، ص-ص. 87-88

<sup>8</sup> A. Berbrugger, Op.cit., p.211

فغنموا (كذا) أرزاقها ونسكنوا (كذا) ديارها»<sup>1</sup>. وزعم أنه "مأمور بذلك، ومتى يصلها يدخلها بمجرد الدعوة، وبارود عدوه لا يضره، ولا يصيب أتباعه بل يرجع عليهم ماء"<sup>2</sup>، فخرج مع جيوشه وحاصروها يوماً وليلة، ولكن سكانها بقيادة الشيخ الفكون «شيخ الإسلام» حاربهم بقوة وهزمهم شر هزيمة، وأصابوا ابن الأحرش في فخذه، ففر هو وجيشه أو من تبقى منهم راجعين من حيث جاءوا، وتختلف المصادر في تقدير جيش ابن الأحرش فحسب العنتري<sup>3</sup> كان عشرة آلاف، ومائة ألف حسب العطار<sup>4</sup>، ويذكر "دوقرامون" أنه كان يتكون من ستين ألف قبائلي<sup>5</sup>. ومهما كان أمر هذا الجيش إلا أنه لم يتمكن من اقتحام المدينة ومنى بهزيمة كبيرة مع زعيمهم وبطلت كل ادعاءاته ومزاعمه أمام القبائل ورجع خائبا من حيث أتى إلى "وادي الزهور".

ولما وصل الخبر إلى عثمان باي عاد مسرعا إلى قسنطينة، وحسب الزهار أنه أرسل رسالة إلى الباشا يستشيريه في قضية ابن الأحرش فكتب إليه: « أنت باي ذلك الأوطان وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك فواجب عليك تمشي إليه بنفسك وتأخذ منه تارك، واقصده أينما كان فاقتله أو اطرده من ذلك الأوطان»، وفورا جمع الباي جيشه وجهزه بالأسلحة والذخيرة وحمل معه حتى أمواله<sup>6</sup>، وخرج لملاقاة ابن الأحرش بوادي الزهور، وفي بداية المعركة كان النصر إلى جانب الباي ومحلته، حيث قتل الكثير من جيشه إلى أن توغل في بلادهم التي لا يعرف طرقها ومدخلها ومخارجها فحاصرت القبائل وانقلبت عليه هو وجنده وهزمهم شر هزيمة، واستولوا على أمواله وذخائرهم فكانت "هزيمة شنيعة"<sup>7</sup>، للسلطة العثمانية ونصراً كبيراً لابن الأحرش وأتباعه.

<sup>1</sup> محمد صالح العنتري، فريدة منسية ...، المصدر السابق، ص. 89

<sup>2</sup> محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص-ص. 29-30.

<sup>3</sup> محمد صالح العنتري، المصدر نفسه، ص. 30.

<sup>4</sup> الحاج أحمد العطار، المصدر السابق، ص. 112.

<sup>5</sup> H-D. De Grammont, Op.cit, p.364

<sup>6</sup> لم يترك الباي عثمان شيئاً بخزينة قسنطينة وحمل جميع ما فيها من الأموال والتحف وتركها خاوية والسبب أنه كان لا يثق بالخرناجي ويبغضه فقال إذا ظفر بعدوه، رجع وماله معه، وإن مات فالذي يأتي بعده يجدها فارغة. أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 86.

<sup>7</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 68.

وحسب "بربروجي" أن خسائر الباي كانت أكثر من خمسمائة قتيل تركي دون إحصاء فرسان المخزن<sup>1</sup> من الدائرة والأعراش<sup>2</sup>. وكان وقع الصدمة كبيرا على سكان قسنطينة فكتبوا إلى مصطفى باشا بالجزائر، الذي لم يكن أقل تأثرا منهم وأراد الخروج بنفسه لملاقاة ابن الأحرش من شدة هول الفاجعة<sup>3</sup>، لكنه بعد ذلك تريت وطمان سكان قسنطينة، وعين لهم بايا جديدا، وبعث لهم رسائل شكرهم فيها على حسن دفاعهم عن مدينتهم، فتبدد خوفهم وعادت الطمأنينة والهدوء إليهم من جديد<sup>4</sup>، لكن ليس لمدة طويلة.

وعلى إثر هذا النصر الكبير كثر أتباع الشريف بن الأحرش وزادت قوته، فتشجع أكثر واستولى على جيجل ثم تقدم إلى بجاية في عام 1806م بعد أن طرد حاميتها وحاول الاستيلاء عليها بجيش كبير، قوامه ألفان أو ثلاثة آلاف قبائلي، لكنه لم ينجح، لأن المرابطين كانوا قد سارعوا من سيدي أمقران وهم متحالفين مع الأتراك، ونادوا بالجهاد في القبائل المجاورة فحاصروا ابن الأحرش من كل الجهات وقضوا على جيشه، ونجا هو ومساعدوه فقطع وادي الصومام، ثم سهل له بني فوغال الهروب إلى ناحية سطيف<sup>5</sup>.

وتختلف الروايات حول مصير ابن الأحرش بعد هذه المعارك، فحسب العنتري فإن ابن الأحرش اختفى ولم يبق له أثر وانقطعت أخباره في الشرق<sup>6</sup>، ويذهب أوجين فايست أن ابن الأحرش قد توفي في سنة 1807م في معركة بالرابطة قرب سطيف التي شنّها ضد الأتراك بمساعدة أعوانه<sup>7</sup>. وخلافا لهما يذكر مسلم بن عبد القادر أن ابن الأحرش قد التحق بالدرقاوي الثائر في الغرب<sup>8</sup>.

وأما المحرك الرئيسي لثورة ابن الأحرش فيتبادل الفرنسيون والانجليز الاتهام حول الموضوع، ذلك أن الانجليز يقولون أن أخ نابليون "جيروم" (Napoléon Jérôme) قد زار عنابة والتقى ابن الأحرش وحرّضه على الثورة، وقد رد على هذا الاتهام "بربروجي"

<sup>1</sup> A. Berbrugger ,Op. cit,p.213

<sup>2</sup> أحمد بن العطار، المصدر السابق، ص.113

<sup>3</sup>A. Berbrugger , Op. cit,p.213

<sup>4</sup> أورد محمد الصالح العنتري الرسالتين كاملتين في كتابه، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص ص. 92-93

<sup>5</sup> Féraud(L.Ch), Histoire De Bougie, Editions, Bouchene, France, 2008, p.128

<sup>6</sup> محمد الصالح العنتري، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص.93

<sup>7</sup> أوجين فايست، المصدر السابق، ص.121

<sup>8</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص.94-95

أن الأمير زار عنابة من أجل تحرير الأسرى الفرنسيين والايطاليين الذين احتجزهم ابن الأحرش<sup>1</sup>، وأكد أن الثورة من تدبير الانجليز لأن ابن الأحرش قد قال لأحد مساعديه: « لقد سلم لي الإنجليز الأرض والله أمرني بحسن رعايتها »<sup>2</sup>.

ونعتقد أن هدف الإنجليز واضح في ضرب المصالح الفرنسية وامتيازاتها في الشرق الجزائري وإثارة المشاكل بين البلدين من خلال الاعتداء على سفينة فرنسية لصيادي المرجان، ومهما يكن من أمر فإن الثورة لم تكن فقط مؤامرة خارجية، فرنسية كانت أو انجليزية أو تونسية، بل أن الظروف الداخلية التي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة وسذاجة القبائل الجبلية ومعاناتهم من ظلم البايات والفقر والجهل، بالمقارنة مع القدرات الكبيرة التي كان يتمتع بها ابن الأحرش في التأثير على عقولهم كانت هي المحرك الفعلي للقبائل للثورة على سلطة العثمانيين في بايلك الشرق.

وقد نجح ابن الأحرش في استمالة القبائل إليه مستعملا الخدع والحيل لتحقيق طموحاته السياسية والشخصية تحت غطاء ديني، إلى درجة أنه عندما أراد الاستيلاء على قسنطينة دفن رجلا حيا تحت الأرض وترك له فتحة لخروج الصوت بعد أن طلب منه أن يقول عبارة معينة في وقت محدد وهي: « لقد حان الوقت سيعز الله المضطهدين في البلاد، محمد بن الأحرش محرركم هو صاحب الوقت، انهضوا جميعا لأن الله سيعزكم في قسنطينة وفي الجزائر أيضا »<sup>3</sup>، فظن الناس السذج أن الصوت خرج من تحت الأرض، وأن ابن الأحرش هو المهدي المنتظر فاتبعوه واعتقدوا أن النصر سيكون حليفهم. إضافة إلى تلك الوعود والحيل ادعى نسبه الشريف الذي يرجع إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم مدى تأثير هذا النسب على المسلمين في كل زمان ومكان، ولكنه في الأخير فشل ولم ينجح في تحقيق أهدافه.

والخلاصة حول ثورة ابن الأحرش أنها أول ثورة منذ زمن بعيد تحدثت سلطة العثمانيين في قسنطينة وفي الجزائر وهددت وجودها، بتحريض أجنبي ودعم من القبائل وحققت انتشارا واسعا، فجند لها العثمانيون كل قوتهم ودارت معارك كثيرة بينهما وانتهت بالقضاء على هذه الثورة وزعيمها.

<sup>1</sup> A.Berbrugger , Op.cit,p.211

<sup>2</sup> Idem

<sup>3</sup> Idem, p.,210

## 2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي:

تعتبر هذه الثورة من أكبر الثورات التي شهدتها الإيالة الجزائرية في بداية القرن التاسع عشر، تلك الثورة التي قادها الشيخ عبد القادر الشريف الدرقاوي. وقبل أن نستعرض أهم أحداثها نتعرف على قائدها. فمن هو الشريف الدرقاوي؟

هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي (يلقب عادة ب: الشريف الدرقاوي)، الفليطي من أولاد بليل الكساني<sup>1</sup>، يعود أصله إلى قبيلة كسانة البريرية. تعلم بمسقط رأسه، ثم التحق بمعهد السيد محي الدين والد الأمير بالقيطنة القادرية لأخذ العلم، ثم اتجه بعد ذلك إلى المغرب الأقصى وأخذ عن علماء فاس.<sup>2</sup>

وبالمغرب التحق بمعهد الشيخ مولاي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي وعينه مقدما لطريقته في الصحراء والغرب الجزائري بعدما كثر أتباعه هناك<sup>3</sup>، ومن ذلك الحين تغيرت حياته، فقد كان في بداياته عالما متفنا في سائر العلوم، محققا لها بقيودها والمنطوق والمفهوم ورعا زاهدا متعبدا راکعا ساجدا صائما قائما، شيخا يعلم القرآن ويعز أهله، وبعدهما صار مقدما للطريقة الدرقاوية انقلب حاله فلبس الخرق المرقعة وابتدع أمورا ينفيا العقل وينكرها الشرع، واقتدى به كثير من الناس خصوصا أهل الصحراء الذين اجتمعوا حوله وصاروا يحملون له الهدايا من كل فج، ويشكون إليه ضرر المخزن من الضرائب والمغارم التي يؤدونها فكان يعدهم بالفرج القريب<sup>4</sup>. وكان يجمع تلك الهدايا والعطايا فيأخذها إلى شيخه مولاي محمد العربي، وحسب يوسف الزباني أنه قال له في إحدى زيارته:

« يا سيدي إن في وطننا قوما يقال له الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام يظلمون الناس لا يعبتون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد وتظهر منه البلاد». فقال له: «عليك بجهادهم وقتالهم و إن الله ينصركم عليهم». وظن أن إن قوله عين الصواب<sup>5</sup>، فتشجع بأمر شيخه وكثرة أتباعه، فدعا قبائل

<sup>1</sup> Délpech André, L'Histoire De Derkaoua, In, R. A., Vol, N°18, Ann. 1874, éd. A. Jourdan, Alger, p. 40

<sup>2</sup> بونقاب مختار، انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري، 1802-1816م، مجلة، المواقف، العدد، 31 ديسمبر، 2008، ص.135

<sup>3</sup> Délpech André, Op.cit, p.40

<sup>4</sup> الآغا المزابي بن عودة، المصدر السابق، ص. 303

<sup>5</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص-ص.207-208

الصحراء فأجابوه فوراً. فأعلن الجهاد ضد الأتراك والمخزن، محللاً دمائهم وأموالهم، فالتفت حوله الناس من كل مكان وكانت أول معركة بينه وبين سلطة العثمانيين هي معركة فرطاسة<sup>1</sup>.

#### • معركة فرطاسة<sup>2</sup>:

كان في ذلك الوقت مصطفى بن عبد الله العجمي بايا على وهران، وعرف عنه أنه كان رجلاً ذكياً ولكن تنقصه الشجاعة والإقدام العسكري<sup>3</sup>، فلما سمع بخروج الدرقاوي عليه جهز جيشاً وتوجه إليه، والتقى في مكان بين وادي مينة<sup>4</sup> ووادي العبد يسمى « فرطاسة »، وقامت معركة كبيرة بين الطرفين انهزمت فيها محلة الباي هزيمة شنيعة وكان ذلك يوم الأحد 8 ربيع الأول 1219 هـ / 16 جوان 1804 م، ومات فيها عدد كبير من الناس من بينهم كاتبها الباي "الحاج أحمد بن هطال التلمساني" و"أبو عبد الله محمد الغزلاوي" ودخل الشريف الدرقاوي إلى معسكر واتخذها مقراً له وعاد الباي إلى وهران يتجرع مرارة الهزيمة والخيبة<sup>5</sup>.

وكان الباي وأعضاء مخزنه يتوقعون أن الدرقاوي لن يتوقف بما حققه وسيهاجمهم في وهران بعدما خبروا قوته وكثرة اتباعه، وربما أدركوا أيضاً طموحه السياسي، ولذلك استعدوا للحصار والحرب، وهذا ما عبّر عنه مسلم بن عبد القادر قائلاً<sup>6</sup>: « اتفق رأيهم على تحصين البلد، وما يليق بالحرب وما يحتاج إلى الحصر فشرعوا في ذلك، واستعدوا للحرب».

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.72

<sup>2</sup> فرطاسة: تسمى واد الأبطال حالياً، بونقاب مختار، المرجع السابق، ص.137

<sup>3</sup> Délpech André, Op.cit,p.41

<sup>4</sup> واد مينة: ينظر خريطة قبائل الغرب بالملحق رقم(6)

<sup>5</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.72، 74

<sup>6</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.74

• حصار وهران:

بعد الانتصار الذي حققه الدرقاوي بعث بالبشائر لجميع الرعايا وطلب مبايعتهم والجهاد معه، ومن يأبى مبايعته توعدده بالحرب، ثم توجه إلى وهران بجنود لا تحصى في زمن الحصاد، في 13 ربيع الأول 1219هـ (21 جوان 1804م)، لكنه أثناء سيره إلى وهران ارتكب أخطاء كثيرة أفقدته شعبيته وثقتهم فيه ومنها:

- تخريب كل المحاصيل الزراعية للسكان الأبرياء التي يمر عليها جيشه.

- معاقبة كل من له نسب بالمخزن بسلب ماله وسبي أولاده<sup>1</sup>.

وخوفا من تلك العقوبات انضمت إليه الكثير من القبائل للمحافظة على محاصيلها وممتلكاتها<sup>2</sup>، مع العلم أنه كان عام خصب بعد ثلاث سنوات متوالية من الجفاف، وما صاحبه من مجاعة، كما سبق ذكره، ومن أجل هذه الأسباب وغيرها سارت القبائل مع الشريف الدرقاوي.

ونظرا لخطورة الوضع بسبب الحصار الذي فرضه الدرقاوي وأتباعه على مدينة وهران وإغلاقهم لكل الطرق البرية الرابطة بين العاصمة وبايلك الغرب، قرر مصطفى باشا التدخل بسرعة لحل الأزمة، فأرسل المساعدات والامدادات العسكرية بحرا إلى وهران مع الباي الجديد محمد بن محمد الكبير المعروف بالمقلش في 1220هـ/1805م، وعادت نفس السفينة بالباي مصطفى بن عبد الله العجمي المعزول إلى العاصمة<sup>3</sup>.

وحسب أبو القاسم الزياني، فإن الباي الجديد قد كتب رسالة إلى سلطان المغرب المولى سليمان (1792-1822م)، طلب منه التدخل لرفع الحصار عن مدينة وهران، ذلك لأن شيخ الطريقة الدرقاوية يقطن ببلادهم، فأرسل السلطان الشيخ "المولى محمد العربي الدرقاوي" إلى وهران حتى يفرق المحاصرين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Délpech André, Op.cit, p.44

<sup>2</sup> Idem

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 87

<sup>4</sup> أبو القاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين المصدر...، السابق، ص. 101.



ولما حضر الشيخ إلى وهران من المغرب وسمع ورأى بنفسه تصرفات الفريقين أخبر الشريف الدرقاوي قائلاً: «يا سيدي عبد القادر بن الشريف إنك قلت لي أن الترك ومن تبعهم نصارى ولا يصومون ولا يصلون وليس لهم من الدعائم الشرعية شيئاً وسألت الإذن مني في جهادهم فأذنت لك وإني لما رأيتهم وجدتهم أشد إيماناً وعبادة مني ومنك وأتباعك هم المفسدون في الأرض فلا شك أن الجهاد فيك وفي قومك جائز في أهل وهران ولا شك أن الدائرة عليك لا لك وإني أرى القتال في هذا اليوم هو الفراق بيني وبينك وإني بريء مما أنت مرتكبه.<sup>1</sup>»

ومع أن الشيخ أفتى لتلميذه ابن الشريف ببطلان ثورته ضد الأتراك، إلا أنه واصل حربه معتمداً على كثرة أتباعه.

ولما عجز الدرقاوي وأتباعه عن فتح وهران تركوها واتجهوا إلى معسكر، وفي طريقهم هاجمهم قبائل الغرابية عند قرية "سيدي داود" وقضوا على بعض رجالهم ثم قام عليهم فرسان البرجية وهزموهم هزيمة شنيعة، وفر الدرقاوي مع قبائل الأحرار قاصداً معسكر ليلتقي مع أهله هناك ولكن سكانها منعه من دخولها وأسروا أهله وجميع أتباعه الذين تركهم هناك<sup>2</sup>. مما أجبره على متابعة سيره باتجاه الصحراء مع من بقي رفقة من قبائل الأحرار.<sup>3</sup>

ولما بلغ الخبر إلى الباي المقلش أرسل إلى فرسان مخزنه مثل: الحشم، الزمالة، الدواير والغرابية، ولم يعاقبهم على انضمامهم إلى الدرقاوي لأنهم كانوا مكرهين على ذلك<sup>4</sup>، وبعث إلى أهل معسكر وطلب منهم إرسال أهل الدرقاوي وأتباعه وفورا أرسلهم على ظهر سفينة إلى باشا الجزائر. ثم سار هو مع جيشه لملاقاة الشريف الدرقاوي، ونزل ببلد البرجية مع خليفته ينتظر الأخبار<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 213.

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر نفسه، ص. 213-215.

<sup>3</sup> Délpech, André, Op.cit,p.46

<sup>4</sup> اتبعت قبائل غرابية، الزمالة، الدواير وغيرها الشريف الدرقاوي وهي قبائل مخزنية ما عدا البرجية لأنهم م اعتقدوا بزوال ملك الأتراك وبداية ملك الدرقاوة ومنهم خافوا على محاصيلهم الزراعية لأن الوقت كان وقت حصاد.

Délpech André, Op.cit.p.43

ينظر :

<sup>5</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 215.

أما الدرقاوي فقد جمع قبائل الصحراء وقبائل مهاجر وبني عامر وعزم على غزو الباي من جديد، أراد الباي العودة إلى وهران والتحصن بها ولكن آغاته السيد قدور بن إسماعيل البحتاوي نصحه بالإسراع في استدعاء حلفائهم من أعيان الحشم والبرجية الجبلية لملاقاة الدرقاوي، والباي وفرسان مخزنه يحاربون حلفاءه من قبائل مهاجر، وبني عامر،<sup>1</sup> وبعد سلسلة من المعارك تمكنوا من هزيمة الدرقاوي وأتباعه وأخرجوهم من تلك المناطق.<sup>2</sup>

بعد تلك الانتصارات تشجع الباي وقام بحملة تمشيطية في المنطقة من وادي مينا إلى وادي المالح بحثا عن الدرقاوي وأتباعه فوجدهم قرب قرية الولي الصالح سيدي محمد بن عودة، أين قامت معركة طاحنة بينهما انتهت بمجزرة في صفوف الدرقاوي، قضى فيها تقريبا على كل جيشه،<sup>3</sup> ويعبر يوسف الزياتي عن تلك المجزرة قائلا:<sup>4</sup> « فلا ترى في جيش الدرقاوي إلا القتل والمأسور والمسلوب من الناس والمقطوع الأعضاء والرأس».<sup>5</sup>

ومنذ ذلك الحين كلما سمع الباي بالدرقاوي جمع حوله الناس قصدته وشتت شمله مما تسبب في هجرة سكان المنطقة فرارا من الموت، ولم يعودوا إلا في ولاية أبو كابوس (1808-1813م)، وهذا ما عبر عنه مسلم بن عبد القادر قائلا: "وأخلى منهم أحياء عديدة منهم بنو عامر ترك أوطانهم قفرة لا يلقى فيها سالكها أنس ولا أنيس إلا اليوم والذئاب، تعاوي من فقد الانيس وأهلها دخلوا المغرب وفارقوها من غير اختيار إلى أن رجعوا إليها في دولة محمد أبو كابوس."<sup>6</sup>

ظهر الدرقاوي من جديد بأرض غريس بعين السدرة فخرّب المحاصيل وقطع الأشجار، فطلب أهل غريس النجدة من الباي الذي كان بنواحي مليانة، فاسرع إليهم، وكان ابن الأحرش قد انضم إلى الدرقاوي قادما من الشرق مع جيشه، ورغم ذلك انهزموا هزيمة كبيرة وغنم الباي وجيشه أموالهم ونساءهم. لكن الدرقاوي أعاد جمع جيشه ونزل "بجديوية" فسار إليه الباي وحاربه وحاصره وقتل منهم ألف درقاويا، وغنم مالهم ورجع إلى وهران فرحا

<sup>1</sup> الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص-ص، 314-315

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص-ص. 315-316

<sup>3</sup> Délpech André, Op. cit, pp. 48-51

<sup>4</sup> محمد بن الشريف الزياتي، المصدر السابق، ص. 217

<sup>5</sup> الآغا المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص. 317

<sup>6</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 93

بالنصر والغنيمة الكبيرة، ثم خرج له الباي مرة أخرى بالتافنة ومعه ابن الأحرش وبالتوتة وتمكن من هزيمته وقتل من أتباعه عددا كبيرا<sup>1</sup>.

وفي ولاية مصطفى باي العجمي الثانية 1222هـ/1807م ثار عليه الدرقاوي مرتين وتمكن الباي من هزيمته مرتين، الأولى كانت في بلاد "فليتة" وتسمى بيوم الثعالبية. والثانية كانت في بلاد "مرغوسة"<sup>2</sup>.

وفي ولاية أبو كابوس (1808-1813م)، الذي خلف مصطفى باي بعد تسعة أشهر من حكمه، أحدث رعبا كبيرا في صفوف قبائل الغرب، حيث استمر في ملاحقة الدرقاوي وقطع أثاره وبالغ في ذلك إلى درجة أن كل من اشتكى بأحد حسدا أو ظلما، وادعى عليه محبة الدرقاوي ينتقم منه فورا، ولا يقبل شفاعاة أي كان، مع العلم أن الدرقاوي في ذلك الوقت تفرق عنه أتباعه وبات ينتقل من قوم لآخر وهم يطاردونه وهو في "ذلة ومسكنة"<sup>3</sup>.

#### • نتائج ثورة الدرقاوي:

امتدت ثورة ابن الشريف الدرقاوي لفترة زمنية طويلة من 1219-1229هـ/1804-1813م، وعلى رقعة جغرافية واسعة شملت القطاع الغربي من الساحل إلى الصحراء جنوبا ومن مليانة شرقا إلى الحدود المغربية، وقد قاومها ثلاثة بايات، وهددت السلطة العثمانية في الغرب الجزائري، وكادت أن تطيح بها لولا تدخل داي الجزائر وإرسال قواته عبر البحر، وأبرز مقاومة كانت للباي محمد المقلش، الذي حاربه بشجاعة وشنت جيوشه أينما وجدوا، ولكن هذه الثورة قد كلفت سلطات الجزائر العثمانيين خسائر مادية وبشرية كبيرة، إلى درجة أن عمر باشا قد طلب من السلطان العثماني أن يرسل له الجنود والأسلحة والذخائر لتغطية هذه الخسائر<sup>4</sup>. وهي بالطبع لا تقل عن خسائر الدرقاوي والقبائل المتحالفة معه، إضافة إلى تخريب الاقتصاد بالمقاطعة

<sup>1</sup>مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.94-96

<sup>2</sup>محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص.225-226

<sup>3</sup>الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص.226-227

<sup>4</sup>عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص.241

الغربية نتيجة المعارك المستمرة وإحراق المحاصيل وقطع الأشجار، وهجرة القبائل الموالية للدرقاوي وترك أراضيها دون حرث وزراعة خوفا من انتقام الحكام، والذي انعكس على سكان المنطقة بالفقر والمجاعة وانعدام الأمن في الطرقات.

• أسباب اندلاع ثورة الدرقاوي:

من خلال سردنا لأحداث الثورة يتضح لنا أن أسبابها ناتجة عن السياسة التي مارسها الحكام العثمانيون وأعدائهم من قبائل المخزن ضد السكان والمتمثلة أساسا في فرض الضرائب والغرامات المالية الباهظة، وجمعها بالقوة عن طريق الحملات العسكرية (المحلة)، وقتل العلماء والأولياء، وهي سياسة جديدة تختلف عن تلك التي كان يتبعها محمد باي الكبير خاصة مع العلماء والأولياء، فكثير الناقدون عليهم والتفوا حول أصحاب الطرق الصوفية خاصة الأشراف منهم باعتبارهم أصحاب السلطة الروحية.

وحسب بعض الروايات فإن السبب المباشر لثورة الدرقاوة في الغرب الجزائري هي تصرفات الباي مصطفى العجمي الذي قتل فقراء درقاوة، كما أنه نفى شيخهم أبو الشريف عن زاويته ووطنه فثاروا ضده<sup>1</sup>.

والواقع أنه منذ رحيل محمد الكبير باي وهران لم يسع البايات إلى انجاز مشاريع تخدم مصالح الناس وتجمعهم حولهم، كما فعل هذا الباي، كما أن معاناة الشعب من الفقر والمجاعة والأوبئة التي أعقبتها، في بداية القرن التاسع عشر خلقت هوة كبيرة بين الحكام والرعية وأصبحت مظاهر سلطة العثمانيين في الجزائر منحصرة في فرض الضرائب وجمعها، ولما تضررت منها الرعية، وتعدوا على علمائهم وأوليائهم تطورت تلك الهوة إلى المقاطعة وحمل السلاح ضد السلطة الحاكمة من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة.

وهناك روايات أخرى تقول أن سلطان المغرب مولاي سليمان قدم لها وسائل الدعم والموازة، حتى تكون سدا منيعا يقف في وجه الحكام العثمانيين بالجزائر وتعمل على إضعافهم<sup>2</sup>. ولا نستطيع أن ننكر هذه الرواية كلية خاصة أن شيخ الطريقة المولى محمد

<sup>1</sup> أحمد سحنون الراشدي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 41

<sup>2</sup> صلاح مؤيد العقبلي، المرجع السابق، ص. 153

العربي من المغرب وهو من أعطى الأمر لتلميذه الشريف الدرقاوي بالثورة على الأتراك ومحاربتهم في بادئ الأمر، كما أننا لا نعرف مصادر تمويل الثورة طوال تلك الفترة.

• طبيعة الثورة:

هناك اختلاف بين المؤرخين حول طبيعتها فمنهم من يراها ذات طابع ديني لأن قائدها صاحب طريقة دينية صوفية<sup>1</sup>، ومنهم من يراها ذات طابع شعبي لأنها كانت تعبر عن سخط الرعية ورفضها للأوضاع السائدة<sup>2</sup>.

وحسب بونقاب مختار فإن هذه الثورة انطلقت من نشاطها الديني وسلطتها الروحية واعتمدت على نفوذها الاجتماعي لتقوم بدور سياسي عسكري هدفه الوصول إلى السلطة<sup>3</sup>، ذلك لأنه بالرغم من تحريم الشيخ مولاي محمد العربي لسفك دماء الأتراك إلا أن الشريف الدرقاوي واصل ثورته ولم يهتم لرأي شيخه، واستغل معاناة القبائل لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية.

وإذا قارنا بين ثورة ابن الأحرش وثورة الدرقاوي نلاحظ أن كلا منهما اندلعت تقريبا في وقت واحد مما يدل على التنسيق بينهما، لأن كليهما ينتميان إلى نفس الطريقة الصوفية الدرقاوية، وكلاهما ادعى أنه المهدي المنتظر والنسب الشريف ولكن ابن الأحرش بالغ في استعمال الحيل والخدع لجلب الناس، بينما ابن الشريف اعتمد على فتوى شيخ الطريقة الذي دعاه إلى جهاد الأتراك، وربما يرجع ذلك إلى اختلاف المستوى الثقافي بين القبائل في الشرق والغرب. ولما فشلت ثورة الأول التحق بالثاني وواصل الجهاد معا دون الاهتمام برأي صاحب الطريقة الذي منع ابن الشريف من مواصلة الجهاد، مستغلا الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها سكان الجزائر، وهذه الثورات الدينية اعتبرها العثمانيون تهديدا مباشرا لوجودهم بالجزائر، فسخروا كل قواتهم وحاصروها وقضوا عليها في الجهة الشرقية من البلاد ثم في غربه،

<sup>1</sup> من بين المؤرخين الذين يروا أن ثورة الدرقاوي ذات طابع ديني الشيخ المهدي بوعبدلي الذي يرى أن بسبب الصبغة الدينية لهذه الثورة صار الأتراك يتهمون علماء الدين ولا يفرقون بين المنتسبين لدقاقة أو لغيرها من الطرق. أحمد بن

سحنون الراشدي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 45.

<sup>2</sup> بونقاب مختار، المرجع السابق، ص. 136.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص. 136.

باستعمال سياسة القمع والعنف ضد الثوار والقبائل المتعاونة معها، وحتى العلماء وكل من يرتابون في أمره.

والواقع أن إيالة الجزائر في بداية القرن التاسع عشر كانت تقريبا كلها مشتتة، بثورات متزامنة مع ثورات الطريقة الدرقاوية، كثورة قبائل فليسة في بلاد القبائل الكبرى سنة 1806م<sup>1</sup> وثورة الكراغلة والحضر بتلمسان والتي حاصر فيها الحضر الكراغلة حتى كادوا يموتون جوعاً<sup>2</sup> - وسنأتي إلى الحديث عن ذلك في محله من هذا البحث-، ولعل السبب الأول في هذه الاضطرابات هي السياسة التي اتبعها الحكام في أواخر الحكم العثماني والتي لم تكن سياسة رشيدة، وكثرة ظلم الرعية بصفة عامة بعد انقضاء عهد محمد بن عثمان باشا وصالح باي قسنطينة والباي محمد الكبير بوهران،<sup>3</sup> وكان من الطبيعي أن تثور عليهم القبائل محاولة استبدالهم بمن تثق فيهم أصحاب السلطة الروحية زعماء الطرق الصوفية.

والخلاصة أنه إثر رحيل محمد بن عثمان باشا أول ما قام به خلفه حسن باشا هو التخلص من صالح باي ومحمد باي الكبير خوفاً من قوة وشهرة هذين الرجلين خاصة بعد التطور الذي عرفته الإيالة في عهديهما، وبدلاً من أن تواصل البلاد ازدهارها سيطرت الإنكشارية على الحكم ودخلت في مرحلة الفوضى والاضطرابات تجلت أكبر مظاهرها في الإقالات والاحتلالات المتواصلة للدايات والبايات، فحكم البلاد باشاوات ضعفاء ونصبوا بايات أقل كفاءة منهم، فتراجعت سلطة ونفوذ العثمانيين وانتشرت التمردات والثورات في كل مكان تطالب بتغيير السلطة ورفع الظلم. واغتنم الأجانب الفرصة وحرصوا أصحاب الطرق الصوفية على الثورة في الشرق والغرب، وتم تخريب الاقتصاد وضياح الأمن والاستقرار وصارت الخزينة خاوية، عندئذ أعلنت تونس رفضها تقديم الضريبة للجزائر وأعلنت الحرب عليها، وبعد نهاية الحروب الأوربية توحدت أقوى دولها ضد الإيالة وحطمت أسطولها البحري، وأضحت الجزائر عرضة للاحتلال الأجنبي. فهل سيتمكن آخر الدايات حسين باشا من إنقاذ البلاد؟

<sup>1</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 126

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 219، 221

<sup>3</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 55

### ثالثا: السياسة الداخلية لحسين باشا (1818-1830م)

تولى حسين باشا حكم إيالة الجزائر في فترة حرجة اصطاح على تسميتها بعهد الفوضى والتي تبدأ من عهد الداوي مصطفى باشا ( 1798-1805م ) إلى غاية الاحتلال الفرنسي 1830م<sup>1</sup>، وخلال تلك الفترة حكم ثمانية دايات كانت لأغلبهم نهاية مأساوية، ولم ينج منهم سوى علي باشا، وحسين باشا الذي قدر الله له أن يكون آخر دايات الجزائر، فمن هو الداوي حسين؟، وكيف وصل إلى الحكم؟

#### 1- ترجمة للداوي حسين:

ولد حسين بن حسن في فيفري سنة 1768م، من أبوين تركيين في مدينة صغيرة في الأناضول اسمها "صندوق" على بعد ثلاث مراحل من كُتاهية من عائلة ميسورة الحال، تعلم في مسقط رأسه، ثم التحق بفرقة المدفعية والقنبلة (قومبراجي) بإسطنبول لمدة ثلاث سنوات وتحصل على شهادة شجاعته كمدفعي<sup>2</sup>، هاجر إلى الجزائر وعمل مع أخيه صيادا للسماك ثم التحق بالأوجاق، وتولى فيها عدة وظائف قبل أن يصبح وزيرا وصديقا لعلي باشا سلفه الذي أوصى بخلافته من بعده<sup>3</sup>، وكان حسين يشغل في عهده منصب خوجة الخيل<sup>4</sup>.

يتفق المؤرخون حول نبذ حسين باشا للعنف وابتعاده عن سفك الدماء، وهذا ما ذهب إليه حمدان خوجة<sup>5</sup> وهو من معاصريه قائلا: "ينتمي هذا الرجل (حسين باشا) إلى أسرة كريمة وكان يتمتع بثقافة واسعة وقد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة، ولا يحب إراقة الدماء، يفي بوعوده دائما. ويؤيده "سيمون بفايفر" الأسير الألماني ويقول<sup>6</sup>: "كان كاتب علي

<sup>1</sup> محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص.99

<sup>2</sup> Voir :A. Jale, « Détails sur Hussein-Pacha, dey d'Alger » In *Revue de Paris*, T.30, 1831, pp. 291-311.

أجرى هذا الحوار الكاتب أوغسطين جال الذي شارك في الحملة الفرنسية ضد الجزائر سنة 1830 مع الداوي حسين عندما زار باريس سنة 1831م، ونشره في مجلة باريس ونظرا لأهمية هذا الحوار قام الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله بترجمته في ثلاث حلقات، ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص، 213-267

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، دار الرائد، دار المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص. 19

<sup>4</sup> H.D. De Grammont, Op. cit, p.382

<sup>5</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص-ص. 173-174

<sup>6</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 194

خوجة الداوي من المقربين له، والواقع أن حسين داي لم يكن طاغية، يسلط على شعبه القمع والإرهاب، وإنما كان يحاول قدر استطاعته السعي نحو رفاهية بلاده، وقد كان رجلا نشيطا، يشجع العلوم والفنون ولو كانت بدايتها ضعيفة، وقد درس هو نفسه بعضا منها، ويضيف الزهّار عنه<sup>1</sup>: "أنه كان رجلا عاقلا ومتدينا، محبا للعلماء والأشراف والصالحين". وفي موضع آخر نفس الكاتب "الزهّار" يناقض هذا الكلام وكل الآراء التي تم طرحها ويراه من أسوء الحكام العثمانيين ويقول عنه: "والساعة لا تقوم إلا على أشرار الخلق ...، كذلك الأتراك لما أراد الله خراب ملكهم، تولى آخرهم هذا."<sup>2</sup> وربما كان يلومه على بعض تصرفاته التي لم يكن راضيا عنها، ويحمله المسؤولية في احتلال الجزائر، كما لامه حمدان خوجة أيضا على سياسته الفاشلة وتقصيره في واجباته حتى ضاعت الجزائر.<sup>3</sup>

## 2- تنصيبه على رأس السلطة بالجزائر:

يذكر "جال أوغسطين" في الحوار الذي أجراه مع حسين باشا لما زار باريس عام 1831م أن الداوي علي خوجة ترك قبل وفاته وصية تقول أن حسين باشا هو الرجل الوحيد الذي يقدر على خلافته وهذه الوصية قد وافق عليها أعضاء الديوان<sup>4</sup>. ويذكر الزهّار كيف اعتلى حسين خوجة حكم الجزائر فيقول: "لما مات علي باشا بالوباء لم يعلم أحد بموته، فاتجه صهره المفتي الحاج مصطفى بن الشيخ بن مالك إلى حسين باشا الذي كان حينذاك خوجة الخيل بمحله وأخبره بموت الباشا وذهب به إلى دار الملك، قبل وصول الوزراء وأجلسه على كرسي الملك، والخزناجي وبعض العمال ينظرون، وهو قائم على رأسه بسيفه في يده، فأمر الحاج مصطفى برفع الأعلام وإطلاق المدافع وعزف النوبة، ثم التفت إلى الخزناجي والعمال الحاضرين وأخبرهم بموت علي باشا، وأنه أوصى بالولاية لحسين باشا ثم تقدموا جميعا وبايعوه، ولما سمع الوزراء والآغا ووكيل بيت المال ووكيل الحرج

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص ص. 141-142

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص. 144

<sup>3</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 174

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 247



وكافة القضاة والمفاتي وأعيان البلاد جاء الجميع إليه، وألبسوه الخلعة السلطانية وبايعوه بيعة عامة".

وفي الفاتح من جمادى الثانية من سنة 1233هـ الموافق لـ 8 أبريل 1818م، أرسل السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839م) فرمان التولية لحسين باشا، ومما جاء فيه<sup>1</sup>: "قبل الآن كانت عهدة حكم الجزائر مسندة من قبل عالي المقام إلى علي باشا بعد وفاته وبناء على توجيهات الجزائر ورغبة الجميع، علمنا بان المقصور بالجلوس مكان المتوفى علي باشا هو أنت... يجب أن تتقيد بالصدق والإخلاص وأن تقوم بالتفاهم مع أمراء الأوجاق وتعتني بالأهالي من السكان وتتصدى للطامعين بالأوجاق وأن تقوم بالصيانة الكاملة والشاملة وأن تؤمن الحماية للأوجاق بشكل كامل وأن تتقيد بأمور المسألة التي تجري بين الدولة العلية وبين الدول الأوربية والتقيد بشروط المعاهدات المعقودة".

### 3- أعضاء الحكومة:

قام حسين باشا مباشرة بعد توليته بعزل كل الوزراء السابقين وتعيين أعضاء حكومته الجديدة وكانت تتألف من:

• **الخرناجي:** شغل هذا المنصب أولا السيد أحمد بن محمد ريس الزمرلي وكان من رياس البحر<sup>2</sup>، غير أنه كان رجلا مسنا لم يتمكن من القيام بمهامه فخلفه السيد إبراهيم، ويذكر الأسير سيمون بفايفر<sup>3</sup> عن هذا الأخير، الذي كان في بيته لمدة خمس سنوات، أنه كان طباخا ثم عمل شاوشا عندما كان خليفة باي قسنطينة السيد الحاج أحمد الذي سيصبح فيما بعد بايا على قسنطينة وترقي بعدها ليصبح رئيسا للشواش (جاوش باشي)، ثم انتقل

<sup>1</sup> ينظر النص الكامل للفرمان، عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص. 617.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 142.

<sup>3</sup> هو طبيب ألماني من مواليد سنة 1805م أسر في مدينة أزمير من طرف جنود الإنكشارية وقادوه مع رفاقه إلى مدينة الجزائر ليصبح أسير الخرناجي منذ شهر جويلية سنة 1825م عمل في البداية طباخا ثم أصبح الطبيب الخاص للخرناجي، ترك الجزائر في سبتمبر 1830م وفي سنة 1833م كتب مذكراته عن أيام أسره في الجزائر بعنوان رحلاتي وسنوات الأسر الخمس في الجزائر، ينظر سيمون بفايفر، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 5، 6.

إلى مدينة الجزائر على إثر مؤامرة دبرت ضده وعيّنه الداوي حسين "خزنة دار" القصبة ثم أصبح خزناجيا<sup>1</sup>.

• **وكيل الحرج:** أو وزير البحرية، عيّن في هذا المنصب "السيد حسين"، وحسب الزهار فهو الذي اهتم بأمر المفتي مصطفى بن مالك صهر الداوي علي خوجة (1817-1818م)، حيث قبض عليه وسجنه مع ابن أخيه وصار يطلب منهما الإقرار على المال فأقر بشيء منه، وعذبوه بالجلد عدة مرات إلى أن تدخل أهله وطلبوا من نقيب الإشراف التدخل عند الباشا بشأنهما فكتب له رسالة يطلب منه أن يطلق سراحهما ففعل، ولكن ابن مالك مات بمجرد خروجه من السجن وكذلك ابن أخيه<sup>2</sup>، من شدة التعذيب الذي تعرضا له. ثم عزله حسين باشا في شهر أوت سنة 1828م لأنه كان المسؤول عن إطلاق المدافع على السفينة الفرنسية المفاوضة "لابروفانس"<sup>3</sup>، وسنأتي إلى ذلك في حينه، وخلفه السيد "إبراهيم" وكان وكيل الصوف من قبل، وتشير الرسالة رقم 62، من المجموعة 3204، أن هذا الأخير قد عزل هو الآخر وعين مكانه السيد الذي شغل منصب "خزنة دار" في عهد الداوي مصطفى باشا، في أكتوبر من سنة 1829م الموافق لبداية شهر جمادى الأولى سنة 1245هـ، دون أن تذكر اسمه<sup>4</sup>.

وقبل أن نتطرق إلى باقي وزراء حسين باشا نشير إلى قضية المفتي "الحاج مصطفى بن مالك" صهر علي خوجة الباشا السابق، حيث يذكر الزهار أن ابن مالك هذا كان يستطيع أن يتولى الملك عندما توفي صهره الباشا لأن الأتراك في ذلك الوقت لم تكن لهم القدرة على منعه - لأنه كما سبق وأن ذكرنا كان علي باشا قد قضى على الجيش الإنكشاري-، وصار أغلبه من القبائل وأهل البلد وكان باستطاعته الاستعانة بهم والتحصن في القصبة دون يتعرض للخطر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 193.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 142.

<sup>3</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 61.

<sup>4</sup> لم توضح الرسالة اسم صاحب المنصب الجديد ينظر، خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص. 294.

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 143-144.

ولكنه لم يفعل وراحت فرصة كبيرة على الجزائر أن يصبح الملك في أحد أبنائها كما حدث في تونس، وربما لو حدث هذا لتغير مصيرها، والراجح أن الحاج مصطفى بن مالك لم يكن يفكر في الأمر من أساسه لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا يطيعون السلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين وباشا الجزائر لكونه ممثلا له، ولا يفكرون في الخروج عليه<sup>1</sup>.

نعود إلى وزراء الداوي ونبدأ مع الآغا:

- **آغا الانكشارية:** وهو القائد الأعلى للمشاة، أو (وزير الحربية) شغل هذا المنصب السيد يحيى بن مصطفى الذي عين آغا العرب ما بين 1818-1828م، لمدة عشر سنوات ثم أمر الباشا بإعدامه<sup>2</sup>، كان قائدا نشيطا مطيعا لأوامر الباشا، حازما مع القياد ورؤساء العرب الذين يسيئون استخدام مناصبهم، ويتكلم العربية بكل سهولة، وكان شجاعا وشهما وعادلا. خلفه إبراهيم بن علي في منصبه وهو صهر الباشا في رجب 1243 الموافق لفيفري 1827م<sup>3</sup>. وسنشير إلى قضية عزله وإعدامه في حينه.

وكان إبراهيم آغا أيضا طباحا في قصر أحد الوزراء ثم أصبح رئيسا للشواش عند يحيى آغا الذي توسط له فأصبح وكيلا للحرج وأحبه الداوي كثيرا فزوجه ابنته الكبرى وما إن تم له ذلك حتى تنكر ليحيى آغا وخاصمه ثم تأمر عليه واستولى على منصبه<sup>4</sup>.

- **خوجة الخيل:** كلف بمهامه السيد خليل خوجة<sup>5</sup>، وهو وزير أملاك الدولة<sup>6</sup>.

- **وكيل بيت المال:** أو كما يسمى ناظر بيت المال، عزل وكييل بيت المال القديم وعين الحاج إبراهيم وظل في منصبه مدة غير معلومة ثم عينه بعد ذلك وكيلا بتونس، وفي 11 جمادى الأولى 1245هـ الموافق ل 07 نوفمبر 1829م أرسل رسالة إلى حسين باشا يخبره

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص. 144

<sup>2</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 62

<sup>3</sup> N. Robin, Notes sur Yahia Agha, in R.A. VOL. N° 18, Ann. 1874, éd. A. Jourdan, Alger, p.117

<sup>4</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 193

<sup>5</sup> المصدر نفسه

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص. 194

بوصول عدد من المجندين الجدد من أزمير إلى تونس<sup>1</sup>. كما عزل وكيلى بيت الإمارة وبعض الكتاب وولى غيرهما<sup>2</sup>.

أما عن المستوى الثقافي لوزراء الداى حسين فيقول "سيمون بفايفر" الذي عاش في قصر الخزناجي لمدة خمس سنوات (1825-1830م) "إنهم كلهم لا يعرفون القراءة والكتابة باستثناء الخوجة أفندي خوجة الخيل السيد خليل خوجة"<sup>3</sup>. وإذا كانت هذه الشهادة صحيحة فإننا لا ندري كيف كانت تسيّر شؤون الإيالة الداخلية والخارجية بهذه الحكومة الأمية.

ومباشرة بعد الاحتفال بتولية حسين باشا أصدر عفوا عاما وألغى معظم القوانين التي أصدرها الداى علي خوجة، وسمح لعناصر الإنكشارية الذين نفاهم إلى المشرق بالعودة إلى الجزائر، غير أنهم استمروا على نفس سيرتهم الأولى في حبك المؤامرات وتدبير الانقلابات، وحسب "بيشو (Péchet)" فإن الداى حسين تعرض مرتين لمحاولة اغتيال، مما أجبره على الصعود إلى القسبة وإحاطة نفسه بالحراس من قبائل زواوة<sup>4</sup>، كما فعل سلفه علي خوجة، ولم يخرج من قصره طوال سنوات حكمه الثلاثة عشر، خوفا على حياته، فكانت القسبة بالنسبة إليه أشبه ما تكون بالسجن لملك يمارس فيه سلطته<sup>5</sup>.

هكذا كان الداى حسين سجينا في قصره طوال مدة حكمه لم يحتك بالرعية ولا بواقع الأحداث، وكل الأخبار كانت تصل إليه من موظفيه أو ما أرادوه أن يصل إليه. ففي اللقاء الصحفي الذي أجري معه في باريس لما طرح عليه السؤال حول عدم تحصين ساحل سيدي فرج بالمدافع كان جوابه: "أنه كان طيلة الحرب يجهل كل ما كان يجري خارج قصره، وقال أن أعوانه قد خدعوه، وأن الديوان كان يتصرف بدونه ويخفي عليه كل الإجراءات"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الملف الأول، رسالة رقم 344، مكرر، وهي رسالة من الحاج إبراهيم ناظر بيت المال السابق، في الجزائر الموجود في تونس إلى حسين باشا بتاريخ 11 جمادى الأولى 1245هـ / 07 نوفمبر 1829م.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص.142

<sup>3</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص.194-195

<sup>4</sup> L. Péchet, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Imp. Gojosso, Alger, 1914, p.131

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...، المرجع السابق، ص. 240

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 250-251

#### 4- سياسته الاجتماعية:

رغم الظروف الصعبة التي كان يمارس فيها الداي حسين مهامه وخاصة خطر الإنكشارية ودسائسها، وانتشار الاضطرابات في ربوع البلاد، تمكن حسين باشا من انجاز بعض المشاريع لفائدة المجتمع والثقافة ومنها:

• اهتمامه بإيصال المياه الشروب إلى مدينة الجزائر حيث مد قناة ماء تسمى عين الزنبوجة في سنة 1241هـ / 1825م كما سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>1</sup>، واشترى من ماله الخاص مياه أخرى، ضمها إلى المياه الواردة على المدينة فحقق الاكتفاء لسكان المدينة من المياه الشروب.

• كما قام بترميم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر بعد أن تهدمت بعض أعمدته، فأعاد بناءها<sup>2</sup>.

• قام حسين باشا أيضا بهدم جامع السفير<sup>3</sup>، وجدد بناءه في نفس السنة وهي سنة 1242هـ / 1826-1827م، وحسب مصطفى حموش أنه كتب على اللوحة التي وضعت أعلى الباب بجانب القديمة: "بسم الله وأول الذكر الحمد لله ونصلي على محمد امتثالا للأمر بالصلاة وبعد فإن مما يسره الله وأولاه تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة وكان ذلك من خيرات أسعد الولاة المخلص في مصالح العباد لوجه الله فكان التاريخ لما جدده بحمد الله حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242هـ<sup>4</sup>."

• كما أبدى حسين باشا تضامنا كبيرا مع ضحايا الزلزال الذي ضرب مدينة البليدة وضواحيها عام 1825 / 1241هـ، حيث أصدر أوامر لقائده يحيى آغا أن ينطلق إلى عين المكان مع قواته لإخراج الموتى من تحت الأنقاض ودفنهم، ومعالجة المصابين، وأمر كذلك

<sup>1</sup> أنظر الفصل الأول

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 158.

<sup>3</sup> بني هذا المسجد لأول مرة سنة 940هـ / 1533م، على يد القائد صفر بن عبد الله الذي كان مسيحيا وعبدا لمولاه خير الدين باشا والذي اعتق بعد ذلك، وانتهى من تشييده في 941هـ / 1534م، وأوقف عليه خير الدين أوقافا هامة منها أراضي

وطاحونة، مصطفى بن حموش، المصدر السابق، ص. 134.

<sup>4</sup> مصطفى بن حموش، المصدر السابق، ص. 135.

بإنشاء الخيم للمنكوبين. وقرر الداوي وأغاته بناء مدينة جديدة قريبة من المدينة التي حطمها الزلزال ولكن ظروف البلد الداخلية والخارجية حالت دون ذلك<sup>1</sup>.

#### 5- سياسته اتجاه القبائل:

سعى حسين باشا جاهدا لاستعادة الأمن وفرض سلطته على كامل البلاد مستعينا ببياناته وعلى رأسهم قائد الجيوش البرية يحيى آغا. وكانت القبائل عندما تولى حسين باشا السلطة في تمرد كبير في بلاد القبائل الكبرى والصغرى، فأرسل إليهم يحيى آغا الذي استعمل معهم أسلوب الترغيب والترهيب إلى أن تمكن في النهاية من إخضاعهم، ومن بين القبائل المتمردة<sup>2</sup>:

ثارت قبائل "قشتولة" و"بني سدقة" في قيادة بوغني ببلاد القبائل الكبرى في عام 1818م، وحاصروا برج بوغني الذي تحرسه حامية من الانكشارية. وحاول الجنود فك الحصار، ولكنهم فشلوا، إلى أن تدخل مرابطو زاوية سيدي عبد الرحمن بوغبرين لبني إسماعيل واصطحبهم إلى غاية بن هارون. وهدمت القبائل البرج وظل لعدة سنوات خرابا. وحسب "فور" (Faure) فإن يحيى آغا توجه مباشرة إلى بلاد القبائل لإخماد تمردهم، بعد أن أظهر أحمد المملوك (1818م) باي قسنطينة، عجزا في القضاء عليها، فقرر الداوي حسين باشا عزله وسجنه وعين بدلا عنه محمد الميلي (1818-1819م)، إلا أن هذا الأخير لم يبد أية كفاءة، فأقيل هو أيضا عام 1819م وعوضه بإبراهيم باي (1819-1820م)<sup>3</sup>.

وحسب "وليام شالر" فإن القبائل التي كانت تسكن جبال "ميزاية"<sup>4</sup>، القريبة من بجاية أعلنت الثورة في يوم 21 أكتوبر 1823م على حامية هذه المدينة وقتل في المعارك التي وقعت بين الثوار والقوات النظامية عدد من الأشخاص، وأسر المفتي الحنفي وأخذ

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص . 155

<sup>2</sup> N. Robin, Op.cit., p. 62

<sup>3</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., pp. 439-440

<sup>4</sup> منطقة ميزاية تقع على بعد 90 كلم من بجاية، وبسبب تكوينها الجبلي وطبيعة تربتها تعتبر من أقل المناطق إنتاجا في الجزائر مما أجبر سكانها على الهجرة والعمل كفرسان لدى الحكومة العثمانية بالجزائر أو كتجار وعمال بمنازل الأغنياء والقناصل،

(L.Ch). Féraud, Notes Sur Bougie, Légendes, Traditions, In R.A., Vol, 03, Ann. 1858, éd. A. Jourdan, Alger. p.299

كرهينة إلى الجبال<sup>1</sup>. ويذكر "شارل فيرو" أن هناك عادة قديمة كانت الحكومة العثمانية بالجزائر تلجأ إليها كلما تسببت القبائل في الفوضى أو اعتدت على السكان، كان الباشا يأمر بالقبض على كل الموجودين بمدينة الجزائر تجارا كانوا أو عمالاً في المنازل ويأخذهم كرهائن إلى أن يستسلم إخوانهم في بلاد القبائل<sup>2</sup>، وهو نفس الإجراء الذي قام به حسين باشا لقمع التمرد في سنة 1823م، حيث أمسك بالقبائل المتواجدين بمدينة الجزائر كرهائن وأرسل نواباً عنهم إلى المتمردين مع اثنين من الشيوخ لإيجاد حل للنزاع، وفعلاً تم الصلح وأطلق سراح الرهائن<sup>3</sup>.

وكان من بين الذين ألقى عليهم القبض في هذه العملية عمال لدى القنصليات الأجانب بالجزائر، وقد قام بعض القناصل بتمكينهم من الفرار والبعض الآخر سلموهم للسلطات العثمانية، ما عدا القنصل الإنجليزي "ماك دونالد" الذي رفض رفضاً قاطعاً تسليم خدمه إلى السلطات العثمانية مما أجبر الجنود على اقتحام منزله في المدينة وفي الريف، والقبض عليهم<sup>4</sup>.

ونتيجة اقتحام منزله من طرف قوات الداى حسين، قطع القنصل الانجليزي كل علاقاته مع الداى وأبحر إلى بلاده، واعتبرت حكومته الحادثة إهانة تعرض إليها قنصلها، ولم تتردد في إرسال قطع بحرية بقيادة الأميرال "هارى نيل" (Harry Neal) لمحاصرة سواحل مدينة الجزائر، ذلك الحصار الذي امتد من 23 فيفري 1824 إلى غاية 26 جويلية من نفس السنة، دون أن يحقق أية نتيجة تذكر، كما أنه لم يلحق خسائر بالمدينة، مما أجبر الأميرال نيل على العودة إلى أعالي البحار<sup>5</sup>.

وعلى أية حال فإن الثورات في بلاد القبائل لم تتوقف بالرغم من الجهد الكبير الذي بذله يحيى آغا لإخضاعها إلى غاية عام 1826 وهي سنة تعيين الحاج أحمد آخر بايات قسنطينة، كما سنتطرق إليه في حينه.

<sup>1</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص. 191.

<sup>2</sup> (Ch). Féraud, Op. cit, p.299

<sup>3</sup> N. Robin, Op. cit, p. 93

<sup>4</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p. 441

<sup>5</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص. 200.

### رابعاً: انعكاسات سياسته على العمليات الإدارية

1 - **بايلك التيطري**: عرف هذا البايلك الاستقرار في السلطة عكس باقي المقاطعات، في عهد حسين باشا فمنذ أن تمّ تنصيب مصطفى بومرزاق بايا على التيطري عام 1819م، خلفا لإبراهيم باي القسنطيني (1817-1819م) حافظ عليه إلى غاية احتلال الجزائر 1830م<sup>1</sup>، وقد واجه في بداية حكمه ثورة أولاد نايل عام 1820م، وتمكن بمساعدة يحيى آغا من إخضاعهم كما أنشأ مزرعة جديدة بالقرب من أولاد أحمد بن ساعد قرب قصر البخاري<sup>2</sup>، وكان عليه في بداية حكمه مواجهة قبائل أولاد نايل في سنة 1820م واستطاع إخضاعهم إلى سلطته، ثم سار إلى اتحاد قبائل الأريعاء التي قدمت قوات لمساعدة الشيخ التيجاني في حصار مدينة معسكر واستطاع إدخالها في طاعته سنة 1828م، وكانت تلك القبائل منتشرة في المنطقة الممتدة ما بين ثنية الأحد في الشمال إلى غاية ورقلة في الجنوب<sup>3</sup>، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر أبقت سلطات الاحتلال في منصبه بايا على المدينة، وحسب حمدان خوجة فإن مصطفى بومرزاق سرعان ما نصب نفسه باشا على الجزائر فعزله الجنرال كلوزال وعين خلفا له مصطفى بن عمر بايا على التيطري<sup>4</sup>.

### 2- بايلك قسنطينة:

منذ وفاة صالح باي لم ينعم بايلك الشرق بالهدوء والاستقرار وراحت أوضاعه تسيير من سيء إلى أسوء، وتعاقب الكثير من البايات على ولايته ولكنهم لم يتمتعوا بصفات وكفاءة صالح باي ولا بمقدرته في إدارة وتسيير المقاطعة، ولم يتمكنوا حتى من تقليده في انجازاته وأعماله، بل كان ضعفهم وعجزهم سببا في ظهور التمردات وكثرة الثورات كثورة ابن الأحرش وثورة بلاد القبائل، فانتشر الرعب وانعدم الأمن وتقلصت التجارة والفلاحة، وامتعت الرعية عن دفع الضرائب، مما تسبب في فراغ الخزينة، فكانت سلسلة إقالة البايات وإعدامهم متواصلة في بايلك الشرق، وعلى سبيل المثال عزل الداوي علي خوجة محمد شاكرا (1814-1818م)، وأمر بإعدامه في جانفي 1818م، وصادر كل أمواله وممتلكاته،

<sup>1</sup> Federmann et Aucapitaine, Op.cit., in R.A. n° 09, p.297

<sup>2</sup> Federmann et Aucapitaine, Op.cit., in R.A. n° 11, pp.369-370

<sup>3</sup> L. Péchot, Op.cit., p.132,139

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص. 245-246



ونصب خلفا له قارة مصطفى بايا لمدة شهر واحد ثم أقاله وأعدمه، بسبب عجزه عن تصريف شؤون الإدارة واختلاس أموال البايك<sup>1</sup>.

فهل أحسن الداى حسين اختيار الباى المناسب لإدارة مقاطعة قسنطينة؟، وهل نجح فى استرجاع الأمن واستعادة النظام؟

واصل الداى حسين إقالة البايات ولكنه تجنب الاغتيالات، فعندما تولى سدة الحكم كانت القبائل فى قمة تمردھا، ولم يتمكن أحمد المملوك باى من تهدئة الأوضاع والقضاء على الثورة<sup>2</sup> ربما لصغر سنه<sup>3</sup>، فعزله الباشا وسجنه وعوضه محمد الميلى (1818-1819م)، الذى كان يشغل منصب قائد العواسى، وبالرغم من خبرته إلا أنه لم يستمر فى منصبه أكثر من سنة واحدة ثم عزل أيضا وسجن بسبب كثرة الشكايات ضده إلى باشا الجزائر<sup>4</sup>، وخلفه إبراهيم باى الغربى (1819-1820م)، ولم يستمر بدوره فى منصبه لأكثر من عام واحد، وكان خليفته الحاج أحمد، ولكن سرعان ما وقع بينهما خلاف، فر على إثره الحاج أحمد إلى مدينة الجزائر، فأحسن استقباله الداى حسين، ولم يتأخر فى عزل إبراهيم الغربى<sup>5</sup>، وعين مكانه أحمد المملوك (1820-1822م)، للمرة الثانية، بعدما أخرجه من السجن. وأول ما قام به أحمد المملوك عند دخوله قسنطينة هو القبض على إبراهيم الغربى وقتله ولا ندري هل فعل ذلك بقراره الخاص أم بأمر من الباشا حسين<sup>6</sup>، غير أنه لم يستمر لمدة طويلة وقام الباشا بتتحيته وسجنه من جديد فى عام 1822م، وعوضه بإبراهيم الكريتلى (1822-1824م)<sup>7</sup>.

وفى ولاية هذا الأخير اندلعت الثورة فى بلاد القبائل بجرجرة وفى منطقة بجاية، واستدعى الداى حسين قائده يحيى آغا للقضاء عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وحسب

<sup>1</sup> ينظر، أوجين فايسات، المصدر السابق، ص ص 169-209

<sup>2</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p. 439

<sup>3</sup> مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص. 87

<sup>4</sup> Ernest mercier, Histoire de Constantine, Op.cit, p.353

<sup>5</sup> J.L.G. Guyon, Voyage d'Alger aux Ziban en 1874, imp. Du Gouvernement, Alger, 1852, pp.284-285

<sup>6</sup> عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص. 619

<sup>7</sup> L. Péchot, Op.cit., p., 132

"فور" كانت إدارة إبراهيم الكرتيلي جيدة ولكن الوشايات ضده للبasha كانت السبب في عزله، وفي آخر عام 1824م عين محمد المنامي وهو شيخ كبير خلفا له<sup>1</sup>.

وحسب الرسالة<sup>2</sup> التي اطلعنا عليها في المكتبة الوطنية الجزائرية أن محمد باي المنامي كان غير قادر على تسيير البايك، ويظهر عجزه من خلال ما كتبه لحسين باشا حين يقول أنه يبذل مجهودا كبيرا لأداء واجبه اتجاه البايك بالرغم من كبر سنه: "إني رجل كبير مجتهد في خدمة الأوجاق السعيد بالجد والجهد ويحق أن نعرفكم بما أطلعني الله عليه من أحوال الوطن والرعية ووقوفي بمصالحكم حتى أني يا سيدي فزع النوم علي في الليل والنهار ولم نقدر على المأكل والمشروب".

وأضاف أن البايك يعاني من أوضاع اقتصادية خطيرة أدت إلى فقر الرعية والركود الاقتصادي؛ مما نتج عنه توقف المبادلات التجارية من بيع وشراء تقريبا، إلى رجة أنه صار يصعب بيع بقرة واحدة بثلاثة ريالات، وكتب يقول أيضا أنه يعيش في تقشف كبير ليتمكن من جمع المال لأداء التزاماته نحو البasha وخزينة الدولة<sup>3</sup>.

ويبدو أن السبب وراء هذا الشرح الطويل للجهد الذي يبذله الباي، والتفصيل في الأسباب والظروف التي أدت إلى فراغ خزينة البايك، يقف وراءها محاولة تبرير استيلائه على أموال الخزينة، وهي "غرامة ابن قارة ومقدارها 6700 ريال"، ليتم ما نقصه من هدايا وعوايد الدنوش. وفي الأخير طلب تقييدها على حسابه الخاص إلى حين يتمكن من تسديدها<sup>4</sup>.

والظاهر أن هذا الباي قد تولى باييك الشرق في وقت كان الفساد قد انتشر في كامل أجهزة الدولة، وحتى سلطة الباي وهيبته، لم تعد لها أية قيمة، فقد كتب رسالة أخرى

<sup>1</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., p. 442

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة، 1642، رسالة رقم 8، من محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا في 7 ربيع الثاني 1241هـ الموافق 18 نوفمبر 1825م، ونظر لأهمية الرسالة من الناحية السياسية والاقتصادية قمنا بإعادة كتابتها حتى يستفيد منها الباحثون أكثر في هذه المواضيع. ينظر الملحق رقم(15)

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 8، المصدر السابق

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 8، المصدر نفسه

إلى حسين باشا في 5 رمضان 1241هـ / 1826م<sup>1</sup>، يشتكي فيها من سوء أخلاق خليفته محمود بن شاکر وعدم احترامه لتعاليم الدين الإسلامي، وانتهاكه لحرمة رمضان بشهادة العلماء، ومما جاء فيها: "وبعد، سيدي أعزك الله فالذي يجب إعلامك به أن محمود الخليفة هرب من قسنطينة ليلة الأربعاء الخامس من رمضان من غير علم لنا به وذلك سيدي أنني أخبرتك قبل هذا بأمره كلها وأنه لا زال على ذلك شهر شعبان ثم صار يأتي في رمضان ورائحة الخمر ظاهرة عليه شمها من حضر وترك ومخازنية اليوم الأول والثاني والثالث دعوته وقلت له: ألا تخاف الله وتفعل هذا في شهر الدين؟ فكيف نزرع الناس عنه والحكام يشربون في رمضان؟ فقال: لا أخاف الله. فقلت له: أنت مسلم تفعل هذا؟ فقال: لست بمسلم على لسانه، والعياذ بالله ومع هذا والله أنه منذ جاء من عندكم وهو في غاية الخلاف والإعوجاج والإفساد وعدم امتثال أمرنا، أمرته بخلص الدين فقام من عندي وذهب لداره وحين شاع أمره في البلاد وفشا حديثه بين ساير العباد وتعجبوا من جرأته على الله وشربه الخمر ظاهرا في رمضان وانفضح بين الناس وعلى رؤوس الأشهاد خرج بين المغرب والعشاء ولم ندر أين ذهب".

توضح هذه الرسالة إلى أي درجة وصل فساد أخلاق كبار رجال البايلك، ومن بينهم خليفة الباي هذا المدعو محمود بن شاکر، وعدم احترامهم لسلطة الباي فمن الحوار الذي جرى بين الخليفة والباي يتبين لنا أنه لا يخاف منه ولا يكن له أي احترام أو تقدير، وتبين أيضا مدى ضعف الباي وعجزه عن فعل أي شيء له كما قال في لرسالته: "ولم يلحقه منا شيء بل هو الذي لحقنا منه ما تعلمه من كل أحد"<sup>2</sup>.

ونتيجة لضعف هذا الباي انتشرت الفوضى أكثر من ذي قبل واستمر فراغ الخزينة، وحين حان وقت تقديم الدنوش عجز محمد باي المنامي عن تقديمه فعزله الباشا وسجنه في القليعة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، رسالة رقم، 13، رسالة من محمد باي إلى حسين باشا في 5 رمضان 1241هـ/12 أبريل 1826م

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة، 1642، الرسالة رقم 13، المصدر السابق

<sup>3</sup> G. Faure-Biguet, Op.cit., pp. 441-442

## 2-1 الحاج أحمد باي بن الشريف (1241-1246هـ/1826-1830م):

منذ أن تولى حسين باشا الحكم وهو يحاول أن يعيد إلى بايلك الشرق استقراره وازدهاره كما كان في عهد صالح باي فعين الكثير من البايات للقيام بهذه المهمة ولكنه في كل مرة يضطر لعزلهم وتغييرهم وكانت الأوضاع تزداد سوءاً إلى درجة أن أصبح البايات لا يستطيعون دفع لوازم الدار الكريمة (الدنوش) فاختر الحاج أحمد بن الشريف للقيام بهذه المهمة الصعبة.

ويقول الزهار عن سبب تولية الحاج أحمد بايا على قسنطينة: "أما السبب في تولية الكرغلي بايا على قسنطينة، بعدما كان البايات الذين تقدموا عليه كلهم أترك ذلك لأنه بعد مقتل شاكر باي قسنطينة، وحمل كل أمواله وخزائنه إلى الجزائر لم يجمع هنالك مال وكل من تولى بايا، يجمع مالا ويخفيه، لعواقبه ولذريته، وإذا قرب وقت الدنوش يأخذون أموال الناس ظلماً بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد إلا نقصاً وضعفاً، وهكذا اضطروا في هذه السنة اضطراراً كبيراً، لتولية الكورغلي أحمد باي على قسنطينة، ولم يول كورغلي آخر بايا منذ ثورة محمد باي<sup>1</sup> وهران الكورغلي". ويضيف إميريت مارسال<sup>2</sup>: "أنه منذ بداية القرن التاسع عشر عرفت مقاطعة قسنطينة تراجعاً في مداخيلها بسبب عجز البايات أو خيانتهم، وابتداء من سنة 1826م قرر الباشا تعيين الكرغلي الحاج أحمد". فمن يكون الحاج أحمد؟

الحاج أحمد<sup>3</sup> هو حفيد أحمد القلي باي قسنطينة (1755-1771م)، ولد في حوالي سنة 1784م من أب تركي هو السيد محمد الشريف وكان خليفة في عهد حسن باي بوحناك (1792-1795م)، وأمه السيدة غنية من عائلة ابن قانة ذات النفوذ الكبير على الصحراء، التي تربي بين أحضانها برعاية جده بن قانة، تلقى أحمد الكرغلي تعليماً عربياً إسلامياً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> هو الباي محمد بن عثمان المكنى بأبي كابوس أخ الباي محمد الكبير تولى بايا على مقاطعة الغرب من سنة 1805-1813م، خرج على الداوي الحاج علي باشا وقام باغتيال سنتعرض إلى ثورته في الفصل الموالي.

<sup>2</sup> Emerit Marcel, l'Algérie à l'époque d'Abdel -El-Kader, Présentation de René Gallissot, éd., Bouchene, Paris, 2002, p.211

<sup>3</sup> يقول فنديلين شلوصر الذي كن أسير الحاج أحمد باي في سنة 1832م، عن شكله الفيزيولوجي أنه كان رجلاً متوسط القامة وذا بنية جسمية قوية وعينين كبيرتين ولحية طويلة سوداء، فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص 29-30

<sup>4</sup> J.L.G. Guyon, Op.cit., p. 283

شغل منصب قائد العواسي لأول مرة سنة 1801م<sup>1</sup>، وكان لا يتولى هذا المنصب إلا الشخص الكفاء، أو الذي يكون من أقارب الباي، وبعد مقتل الباي عبد الله (1804-1806م)، استقال من منصبه وظل بعيدا عن السياسة إلى غاية ولاية محمد شاکر باي عام 1814م، أين عين من جديد قائد العواسي، وفي عهده توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ودامت رحلته 15 شهرا، قضى معظمها في مصر في ضيافة محمد علي باشا وأبنائه<sup>2</sup>، وهناك اطلع على إصلاحاته، كما مكنته اتصالاته بالمشرق من اكتساب الكثير من المعارف والتجارب<sup>3</sup>.

وعندما عاد إلى الوطن كان محمد شاکر لا يزال بايا على قسنطينة، وحسب "غيون" أنه لما تولى حسين باشا الحكم عام 1818م، تعرف على الحاج أحمد وأحبه كثيرا إلى درجة أنه أصبح يناديه بابني، فأمر الباي أحمد المملوك بتعيينه خليفة له وكلفه بحمل الدنوش إلى العاصمة، واحتفظ بمنصبه هذا إلى غاية ولاية إبراهيم الغربي (1819-1820م)، لكن خلافا وقع بينهما وصل صداه إلى حسين باشا الذي أمر بعزل الحاج أحمد<sup>4</sup>. وخوفا من الاغتيال هرب إلى مدينة الجزائر بمساعدة رؤساء القبائل، وعند وصوله أكرمه الداوي حسين باشا غاية الكرم ووفر له كل ما يحتاج إليه، وطوال فترة غيابه (1819-1826م) كان يتنقل بين العاصمة والبلدية ومليانة<sup>5</sup>، وقد شارك مع يحيى آغا في الحملات العسكرية ضد القبائل المتمردة وأنقذ الجيش مرتين في بلاد القبائل في بني مناد وبني جناد، وبسبب هذه الكفاءة العسكرية التي أبداهها صار الداوي يفكر جديا في تعيين الحاج أحمد بايا على قسنطينة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أكد الأستاذ بوضرساية بوعزة على حسب الوثائق التي عثر عليها أن الحاج أحمد شغل منصب قائد العواسي لأول مرة خلال عام 1801م، وليس كما ذكر فايسات، وعبد الجليل التميمي سنة 1809، أو كما ذكر الدكتور "غيون" سنة 1803. ينظر، بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص. 56

<sup>2</sup> J.L.G. Guyon, Op.cit., p. 284

<sup>3</sup> Abdeljelil TEMIMI, Op.cit., p.60

<sup>4</sup> J.L.G. Guyon, Op.cit., pp. 284-285

<sup>5</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 253

<sup>6</sup> J.L.G. Guyon, Op.cit., p. 285

## 2-2 سياسته اتجاه القبائل:

على إثر ذلك ذاع صيته واعترف الداوي حسين باشا بقوته العسكرية وشجاعته ونصبه بايا على قسنطينة في شهر جويلية في 1826م<sup>1</sup>، واصطحبه قائد الجيوش يحيى آغا إلى مقر حكمه في قسنطينة. فخرجا معا من مدينة الجزائر مصحوبين بالجيش ليجولوا في كل أنحاء المقاطعة ويدرسوا حاجاتها ومواردها، وأسباب التمردات المتواصلة ووسائل الحد منها، ونزلوا في أول مرحلة في منطقة تسمى "عقبة عمال" ثم استأنفوا سيرهم إلى البقعة المسماة "ونوغة" وهي بداية الحد الفاصل بين ولاية الجزائر وولاية قسنطينة ثم واصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة قسنطينة وقبل بلوغها توقفوا في عدة محطات وهي: زمورة، قصر الطير (ريغة)، سطيف، أولاد عبد النور، جبل أولاد سليمان وهو جبل متوسط بين قسنطينة والصحراء ومنه انطلقوا إلى عنابة، وأينما توقفوا كانوا يطلعون على حالة البلاد ويستمعون إلى شكاوى السكان ويصلحون ما يستطيعون إصلاحه ويجمعون الضرائب، إلى أن دخلوا قسنطينة<sup>2</sup>.

وتشير الرسالة رقم 180 من المجموعة 3190 أنهم وصلوا إلى عنابة في أوائل صفر 1242هـ الموافق لبداية شهر سبتمبر 1826م، وقاموا بحملة تأديبية على عرب مرداس في تلك النواحي بمساعدة الأهالي هناك، وسلبوا منهم ثلاثة آلاف رأس من البقر وخمسين ألفا من الغنم ومائة من الإبل وسلم الآغا كل الغنائم إلى الباي، ومن هناك أرسل الحاج أحمد باي هدية قيمة إلى الداوي حسين، ثم قاموا بإصلاح حصون مدينة عنابة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 05، مؤرخة في 26 ذي القعدة 1241هـ الموافق لـ 1 جويلية 1826م كتبها الحاج أحمد باي من "جبل عياض" ب"ريغة" قرب سطيف، أي قبل دخوله إلى قسنطينة، وذكر فيها أنه تولى مهامه كباي منذ عشرة أيام من ذلك التاريخ وأعاد فقطان التولية إلى حسين باشا وطلب منه أن يرسله له على حسب العادة ليلبسه خلال أيام عيد الأضحى. كما تشير نفس الرسالة إلى مرافقة يحيى آغا له ومشاركته في تسيير أمور البايلك.

<sup>2</sup> محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ قسنطينة)، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر 1400هـ 1980م، ص- ص. 410-411

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الملف الأول، رسالة رقم، 180 من يحيى آغا العرب أرسلها من مدينة عنابة إلى حسين باشا في 9 صفر 1242هـ/11 سبتمبر 1826م، تحدث فيها عن حملتهم على عرب مرداس بالقرب من عنابة وشكره على الهدية التي تلقاها منه

وكان استقبال القسنطينيين باعتلاء الحاج أحمد منصب الباي استقبالا متميزا، مستبشرين بما عهدوه عنه من خصال حميدة وصرامة في إقرار الأمن وإقامة العدل، واعتبروه خليفة لصالح باي، فكتبوا رسالة إلى الداوي حسين باشا يشكرونه على حسن اختياره، وقد أورد عبد الجليل التميمي تلك الرسالة، ومما جاء فيها: " منذ عهد صالح باي كنا نعتبر أنفسنا غير موجودين إلى غاية تعيين الحاج أحمد هذا الذي وطد الأمن وأعطى الأمل للليائسين ونحن الآن نهتم ببناء المنازل واستخراج المياه وزرع أرضنا ... وهذا لم يكن ممكنا إلا بفضل الله وبفضل حسن اختيارك لشخص الحاج أحمد فبارك الله فيك".<sup>1</sup>

وقبل عودة يحيى آغا إلى مدينة الجزائر أمسكوا بالمتسببين في الاضطرابات والمشاكل من سكان مدينة قسنطينة من الأتراك والعرب وقطعوا رؤوسهم، ويذكر العنتري: "إنهما (الحاج أحمد ويحيى آغا) قتلوا من الترك أصحاب الظلم ونفذوا عقوبتهم في البعض من العرب الذين هم أصحاب الشيطنة والفجور".<sup>2</sup>

وبعد رحيل يحيى آغا كان على الحاج أحمد باي توطيد سلطته ونشر الأمن والاستقرار في معظم جهات البايك، فقام بتنظيم قواته وأبعد الكثير من الأتراك وعوضهم بأفراد من القبائل.<sup>3</sup> وبعد ذلك واجه التمردات بكل قوته.

كان الحاج أحمد باي يخرج كل سنة لتحصيل الضرائب وإخضاع القبائل الممتنعة من الغرب إلى الشرق ومن الساحل إلى الجنوب، وقد نجح في معظم الحملات التي قادها بنفسه. فقد اضطر إلى غزو فرقة يقال لها "حموية"، ومعهم عدد من سكان جبل آراس بنواحي زواغة، الذين أفسدوا وأكثروا السرقة وأكل أموال الناس وامتنعوا عن إعطاء الضرائب منذ أعوام، وفي منتصف شهر جمادى الثاني 1242هـ الموافق ل 13 جانفي 1827م، هاجمهم الباي فقطع منهم 29 رأسا وأخذ لهم 500 رأس من البقر

<sup>1</sup> Abdeljelil TEMIMI, Op.cit, p.61

<sup>2</sup> محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص.116

<sup>3</sup> Abdeljelil TEMIMI, Op.cit, p.61

ومثلها غنما، و60 فرسا و100 من الخيل والبغال، وحاصره حتى طلبوا الأمان ودخلوا في طاعته.<sup>1</sup>

كما توجه الحاج أحمد باي إلى أقصى الشرق في نهاية شتاء سنة 1827م إلى بلاد الحنانشة وغزا هناك ثلاث فرق: الفرقة الأولى منهم تسمى "المقانة" لامتناعهم عن دفع الضرائب لعدة سنوات وسلبهم 615 رأسا من البقر و63 رأسا ما بين الخيل والبغال، وألف شاة، ثم غزا الفرقة الثانية وكانت تسمى "وشتاة" ببلاد الحنانشة أيضا وكانوا لا يدفعون الضرائب وكثر ظلمهم وفسادهم في المنطقة فقتل منهم الكثير، وبجوار هذه الفرقة غزا الباي فرقة تسمى "أولاد ضياء" امتنعت عن دفع حقوق البايك، فغنم من الفرقتين 1300 رأس من البقر و1400 شاة و30 رأسا ما بين الخيل والبغال.<sup>2</sup>

وأخضع الحاج أحمد باي كذلك بعض قبائل النمامشة المتمردة في صيف سنة 1828م وأخبر حسين الباشا بذلك وهما قبيلتا "أولاد رشاش" و"أولاد رناش" الأولى قطع منهم 38 رأسا وسلبهم عددا كبيرا من الحيوانات: 21600 من الغنم و958 من الإبل و33 بقرة، أما القبيلة الثانية فرقة "أولاد رناش" فقد غزاهم وقتل منهم الكثير حتى يكونوا عبرة لغيرهم لأنهم كانوا منافقين يقطعون الطرقات ويأكلون أموال الناس ظلما ولا يدفعون الضرائب.<sup>3</sup>

وتشير الرسالة رقم 20 المؤرخة في 15 محرم 1243هـ / 17 أوت 1827م، أن الحاج أحمد باي قد عزل قايد وطن فرجية "مقروة بن عاشور" ذلك لأنه لم يدفع لزمة سنة كاملة وحق القندورة (البرنوس)، وعين مكانه ابن عمه، وكتب إليه رسالة يأمره فيها

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة 14، المؤرخة في 19 جمادى الثانية 1242هـ الموافق لـ 17 جانفي 1827 من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا في / 19 جانفي 1827م، جاء في الرسالة أن الباشا أرسل هدية قيمة إلى الباي الحاج أحمد هي عبارة عن بندقيتين ذهبيتين صغيرتين، ونعقد أنها تعبيراً عن رضا الباشا عليه .

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، رسالة رقم، 15، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا مؤرخة في 29 رجب 1242هـ / 25 فيفري 1827م

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، رسالة رقم، 18، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا، مؤرخة في أوائل ذي الحجة 1243هـ / 13-22 جوان 1828م



أن يعزل نفسه عن وطن فرجيوة ويدفع ما بقي في ذمته من مال البايلك، ولكن الشيخ "مقورة" لم يرض بهذا القرار وتمرد على البايلك فقام بحرق مزارع الفلاحين انتقاماً<sup>1</sup>. وقد سبب عزل الباي لمقورة مشاكل كبيرة وخطيرة كما تشير إلى ذلك الرسالة التي بعثها الباي إلى إبراهيم الخزناجي في العاصمة، يطلب فيها نصيحته ويشتكي له كثرة أعدائه وتحالفهم ضده ومن بين هؤلاء الشيخ "مقورة"، وأعضاء مخزنه القدامى "بوزيان بن العلمي" آغا الدايرة و"ابن زكري"، و"السماري" قائد العشور، والجابري السابق، وأخطرهم جميعاً كان المدعو "ولد رابح" الذي كان يثير الفتن ويحرض قبائل الساحل على التمردات ويفشي أسرار الآغا يحيى<sup>2</sup>. ولم يستطع الحاج أحمد باي القضاء على خطر "مقورة" نهائياً وتشتتت جماعته إلا في صيف 1828م وبمساعدة شيخ العرب ورجاله، كما تبينه الرسالة التي بعثها إلى حسين باشا في 31 جويلية 1828م<sup>3</sup>.

وبالنسبة "لبوزيان ابن العلمي" و"السماري" بالرغم أنهما استوليا على أموال البايلك بغير وجه حق،<sup>4</sup> إلا أن حسين باشا طلب من الحاج أحمد باي أن يعفو عنهما ويكتب لهما بالأمان كما جاء في الرسالة رقم 27 المجموعة 1642 بتاريخ 16 ذي الحجة 1244هـ الموافق لـ 18 جوان 1829م، ولكنهما لم يدخلوا في طاعة الباي، فكتب لهما هذا الأخير رسالة أخرى بالأمان إلا أنهما ظلا هارين يثيران الفتن<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - م.و.ج. المجموعة 1642، رسالة رقم، 20، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 15 محرم 1243هـ/17 أوت 1827م

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 07، من الحاج أحمد باي إلى إبراهيم الخزناجي (د.ت).

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 28، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا في 19 محرم 1244هـ/31 جويلية 1828م

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، جاء في الرسالة رقم 05، ورسالة رقم 27، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا تفاصيل حول تجاوزات كل من بوزيان ابن العلمي والسماري وكيف استوليا على حقوق البايلك الأولى من دون تاريخ 16 ذي الحجة 1244هـ/23 سبتمبر 1828م

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 4، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا في 24 جمادى الأولى 1245هـ/ 20 نوفمبر 1829م

وحسب الرسالة رقم (19)<sup>1</sup>، فإن الحاج أحمد باي قد اتجه إلى الأوراس وغزا قبائل العمامرة بسبب رفضهم دفع الضرائب وقتل منهم 16 شخصا وأخذ منهم 15600 شاة و1660 بقرة و22 ثورا و17 من الإبل، ثم اتجه مرة أخرى إلى بلاد الحنانشة وغزا أولاد الشيخ وأولاد مسعود في الجبل فقطع منهم أحد عشر رأسا وأخذ منهم 1260 رأسا من البقر و1310 من الغنم.

وأثناء عودة الحاج أحمد باي من بلاد الحنانشة وصله خبر يقول أن أولاد بن زكري وابن النعمون ومن معهم عزموا على الهروب إلى ناحية الشرق فبعث لهم شيخ العرب بن قانة وبورنان بن عاشور مع رجالهم ليمنعوهم من التوجه إلى هناك، مقابل منحهم الأمان ولكنهم ردوا عليهم بإطلاق البارود فقامت معركة كبيرة بين أنصار الحاج أحمد باي وأتباع بن زكري، ولم ينجُ منهم إلا ثلاثة: واحد من أولاد بن زكري وآخر من أولاد بن نعمون، والسماري، وهكذا تخلص الحاج أحمد باي نهائيا من تأمرهم عليه.<sup>2</sup> وفي بداية سنة 1828م غزا الحاج أحمد باي أولاد سلطان بالأوراس قبيلتي بني زونداي وأولاد تسابح بالساحل، بسبب ممارستهما للصوصية وقطع الطريق على الناس، فقطع فيهما 60 رأسا وسلب منهم عددا كبيرا من الماشية.<sup>3</sup>

هذا، وقد واصل الباي بنفس الحزم والشدة في معاقبة القبائل المتمردة والممتنعة عن دفع الضرائب وأثبت لهم أن الأمر لم يعد كما كان في السابق، وهذا ما تبينه لنا الرسالة رقم 30 التي بعثها إلى حسين باشا في أوائل شهر ماي 1828م يخبره فيها أنه رفض خدمة أولاد سحنون ما داموا لم يعيدوا ما أخذوه من أموال ومواشي القبائل الأخرى، وقد صعدوا إلى الجبل وتحصنوا به بعدما فرقوا حيواناتهم على سكان الجبال فضاع جلها، فرأى أن لا فائدة من غزوهم سوى إلحاق الضرر بجنوده، وقبل رحيله عنهم أوصى كل شيوخ القبائل المحيطة وجميع القبائل بتلك الناحية بحراسة أولاد سحنون

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 19، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا في أواخر صفر 1243هـ / (12-20 سبتمبر 1827م)

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة، 19، المصدر نفسه.

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة 26، من الحاج أحمد باي إلى حسي باشا بتاريخ 7 رجب 1243هـ/23جانفي 1828م

والقبض عليهم إن نزلوا من الجبل لقضاء حاجياتهم. وشدد عليهم وترك الشواش بوطن ريغة يتحسون أخبارهم<sup>1</sup>.

وخلال خريف عام 1828م سار الحاج أحمد باي نحو قبيلة الشيبانة بجبال بلاد الحنانشة وهي فرقة ممتعة عن دفع الضرائب منذ زمن طويل غزاها الباي وانتصر عليها وقطع منها اثنين وخمسين رأساً وأخذ منها 3000 بقرة ومن الغنم 3200 ومن الخيل والبالغ سبعة وسبعين<sup>2</sup>.

وعلى أية حال، فإن الرسائل التي كان يرسلها الحاج أحمد باي إلى حسين باشا كانت في مجملها عبارة عن تقارير لمختلف حملاته العسكرية والمشاكل التي يواجهها مع القبائل الممتعة والمتمردة أو التي تمتهن اللصوصية وقطع الطرق على الناس، وتبين كذلك الجهد الكبير والشجاعة التي بذلها الباي لإخضاع تلك القبائل وأخذ حقوق البايلك من الضرائب المختلفة وفي الأخير تمكن من استرجاع الأمن وفرض سلطته على ربوع البايلك.

وبفضل استتباب الأمن انتعش النشاط الزراعي والتجاري في البايلك ودفعت الضرائب المتأخرة وامتألت الخزينة من جديد، وقد كتب الحاج أحمد باي إلى إبراهيم الخرناجي عن تحسن الظروف المالية للبايلك قائلاً: "وأنت تعرف سيدي أن من قبلنا كانوا عجزوا عن أداء اللزمة حتى ظن الناس أن ذلك لا يتم أبداً وأنا اليوم هذا المال الذي نبعث هل وجدت كنزاً ندفع منه، إنما هو كان في بطون الناس امتنعوا وتلددوا (كذا) وصار الذي يعطي العادة كأنه ظلم فيها، وأنت عارف بالأمور وأن حزمنا ونجاحنا إنما يكون بعدم الفساد في الوطن<sup>3</sup>."

بالإضافة إلى الحملات التي كان يقودها الحاج أحمد باي لإخضاع القبائل وتحصيل الضرائب، يذكر "إميريت مارسال" أن الحاج أحمد باي قام بإصلاح عميق في

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم، 30، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا في 30 شوال 1244هـ/ 3 ماي 1828م

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم، 29، من الحاج أحمد باي إلى حسين باشا مؤرخة في 14 ربيع الأول 1244هـ/ 23 سبتمبر 1828م

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم، 07، المصدر السابق .

النظام الضريبي، وألغى الامتيازات المالية، ووضع الجميع تحت النظام الضريبي المسمى الحكور<sup>1</sup>، كما أنه لم يقبل ممثلين عن حكومة الجزائر كخليفة له وعين الموظفين والقياد بنفسه لتحصيل الضرائب، وراقبهم ليمنع تجاوزاتهم ولا يتردد في معاقبتهم، وحقق نتائج مرضية جعلت له حصة لدى الداى حسين<sup>2</sup>.

### 2-3 علاقاته اتجاه العائلات الكبرى:

عرف الحاج أحمد باي بقوة شخصيته وذكائه الحاد وكفاءته الكبيرة كرجل إداري وعسكري ودبلوماسي، فهو يتميز بالحذر الشديد وليس من السهل خداعه، ويذكر "إميريت مارسال" أن الحاج أحمد باي بفضل حنكته السياسية ودهائه أخضع له الجميع، وهو يخاف من صديقه كما يخاف من عدوه<sup>3</sup>.

كما كان الباى يتميز ببعده النظر والحنكة السياسية منذ أن كان خليفة مما جعله يكوّن روابط متينة مع معظم رؤساء العائلات الكبرى في البايك والتي استفاد منها كثيراً أيام هروبه من قسنطينة، وعندما أصبح بايا ساعده في إخضاع القبائل المتمردة . فكيف نجح في تكوين هذه العلاقات الودية معهم؟.

عمد الحاج أحمد باي إلى تكوين تحالفات ومصاهرات مع الأسر والعائلات الكبيرة في الإقليم ذلك أن أغلبية زوجاته تنتمي إلى قبائل ذات جاه وقوة تقطن المقاطعة الشرقية فهن بنات زعماء عائلات كبرى، فزوجته فاطمة بنت بوعرارة تنتمي إلى قبيلة الحنانشة، وزوجته الثانية خديجة ابنة قايد قبيلة الحراكتة،<sup>4</sup> وزوجته الأخرى هي "ماتماصرة" ابنة أولاد بني قانة أسياد الصحراء فهم أخواله وأقاربه<sup>5</sup>. ومن جهة أخرى كسب تأييد قبائل أخرى من مقاطعة الجنوب عن طريق مصاهرته الشخصية مع الباى مصطفى بومرزاق والحاج المقراني<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الحكور هو ضريبة نقدية في حين العشور كان عيني، صالح فركوس، أحمد باي، المرجع السابق، ص.35

<sup>2</sup> Emerit Marcel, Op. cit, p.211,214

<sup>3</sup> Idem, p., 214

<sup>4</sup> بوضرساية بوعرارة، المرجع السابق، ص. 49

<sup>5</sup> A. Temimi, Op.cit, p.61

<sup>6</sup> بوضرساية بوعرارة، المرجع السابق، ص. 49

إضافة إلى تلك العائلات المؤيدة للحاج أحمد كان له أصدقاء كثر في قسنطينة يضحون بحياتهم من أجله -حسب ما ذكره ارنست مرسال- وهم: بن عيسى محمد الزواوي بن البجاوي قايد الدار، مصطفى بطوان قائده، قايد العواسي ولده بن حملاوي قايد الدار الحفصي بن عم أولاد بن العطر الناظر، وأخوه بن عيسى سي مصطفى باش تارزي قاض، سي علاوة بن شاوش، الحاج المكي بن زقوتة عمر بن الكشاحي أمين الدباغين البابوري قايد الدار، أولاد الحاج موسى الخزناجي مرابط العربي أولاد نعمان باي وعلي البسكري وهم أعضاء مخزنه والأصدقاء المقربون للحاج أحمد باي.<sup>1</sup>

وحسب "أميريت مارسال"<sup>2</sup> أن الحاج أحمد باي قد أنشأ جيشاً جديداً من القبائل وضم عدداً آخر من رجال مزارع البايك إلى فرسانه مقابل أجر محدد إضافة إلى جنود الإنكشارية وبذلك تمكن من أن يفرض احترامه على العائلات الكبرى، وكان الباي يجوب المقاطعة مع محلته لترهيب المتمردين وتحصيل الضرائب ويراقب كبار الموظفين ويوجههم ولكنه لا يتجرأ على معاقبتهم قبل أن يأذن له الداوي حسين، مخافة أن تصله شكاوي المتظلمين ويصدقهم. وربما قد يصيبه ما أصاب يحيى آغا الذي انقلب عليه الداوي حسين بعد صداقة طويلة.

وحسب "غيون" أن السنوات الأربعة التي قضاها الحاج أحمد باي على قسنطينة قبل الاحتلال تميزت بالعدل والاعتدال في كل الأعمال وخلال هذا الوقت ازدهرت المدينة بكثير من الإنجازات ومنها القصر الجميل لأحمد باي الذي اشترى أرضه وبنى به مقر إقامته، في سنة 1828 وانتهى منه عام 1832م، بأيدي عمال محليين<sup>3</sup>، ومازال قائماً إلى اليوم كواحد من أجمل التحف الأثرية العثمانية في الجزائر. وبالإضافة إلى ذلك زاد عدد المؤسسات الدينية والثقافية في مدينة قسنطينة فقد أحصي بها قبل 1830م أكثر من 35 مسجداً و7 مدارس كان يقصدها حوالي من 600 إلى 900 تلميذ، وأما عدد المدارس الابتدائية فكان يبلغ نحو 90 مدرسة يقصدها نحو 1350 تلميذاً.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Emerit Marcel, Op.cit., p.226

<sup>2</sup> Idem, p.214

<sup>3</sup> J.L.G. Guyon, Op.cit., p. 286

<sup>4</sup> Emerit Marcel, Op. cit., p.209

والخلاصة أن بايلك الشرق في عهد حسين باشا، كان يعيش في اضطرابات كبيرة وفي أزمة مالية خانقة بسبب الركود الاقتصادي وامتناع القبائل عن دفع الضرائب نتيجة لضعف البايات وعدم كفاءتهم في القضاء على الفوضى التي استفحلت في كل مكان، إلى أن وفق أخيرا حسين باشا في اختيار الحاج أحمد باي لإدارة البايك، فأعاد الاستقرار وأقر الأمن ومد سلطته على كامل المقاطعة وقضى على أعدائه وحصل حقوق البايك ومن ثمة دفع لوازم الدار الكريمة وأعاد للشرق وجهه المشرف بفضل جده وحزمه وعدله بعدما عانى سكانه من الظلم واللامن زمنا طويلا.

### 3-بايلك الغرب:

عندما تولى حسين باشا الحكم كان حسن بايا على بايلك الغرب وقد تركه يستمر في منصبه إلى غاية احتلال الجزائر، ودامت ولايته تقريبا أربعة عشر عاما. فمن يكون حسن باي؟ وكيف استطاع المحافظة على حكمه طوال تلك المدة؟ وكيف كانت سياسته اتجاه الرعية والعلماء وأصحاب الطرق الصوفية؟

### 3-1 حسن باي (1816-1818م):

هو "حسن بن موسى"، المعروف "بالباهي حسن" عمل كطباخ للصفرة في بدايته، ثم صار تباغا يبيع الدخان<sup>1</sup>، وقد جلب انتباه الباي محمد الرقيق برجاجة عقله وحسن خلقه وسداد رأيه، لذلك قربه منه وزوجه ابنته ومن ثمة انفتحت الطريق أمامه، فعينه أولاً، قائد على قبيلة "فليتة"، وهو بدوره اختار مسلم بن عبد القادر الوهراني كاتباً عنده لمدة سنة، ويقول عنه: "ولازمته سنة كاملة، فلم أسمع منه كلمة فحش، ولا مينا(كذا) ولا فخرا ولا مزاحا يظهر من محاسن ما يرضي المالك الخلاق، وكان قليل الغضب، كثير الترحم، والتودد إلى الفقراء والمساكين، محبا للعلماء والصالحين، مواظبا على الإطهار(كذا)، محافظا على الصلوات فرضا، ونفلا". ونظرا لحسن أخلاقه والكفاءة التي أبداهها اختاره الباي لمنصب أسمى وهو خليفة الشرق<sup>2</sup>، وحسب "فوي" (Fey) فإن حسن كان رجلا متعلما، ولذلك أتقن العمل الإداري في فترة وجيزة، وعلى إثر مقتل

<sup>1</sup> الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 349

<sup>2</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 112-113

صهره أبى كابوس اختفى تماما عن الأنظار طوال فترة حكم الباى علي قارة باغلي ( 1813-1816م) إلى غاية وفاته سنة 1232هـ / 1816م. وكانت رغبة الرعية في أن يتولى منصب الباى، لما عهدوه عليه من أخلاق وسيرة حسنة، وفعلا عينه علي باشا بايا بعد مقتل الباى قارة مصطفى سنة 1816م.<sup>1</sup> فكيف كانت سياسته مع الرعية؟

### 3-1-1 سياسته اتجاه الرعية:

يبدو أن تلك الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة التي عرف بها حسن باي قد اختفت بمجرد جلوسه على كرسي البايلك وأظهر طباعا أخرى يقول عنها الزباني<sup>2</sup>: "ولمّا ثبت حكمه وأطاعته الرعية خلع كل الصفات السابقة وكثر ظلمه وغضبه وبغضه وعبثه بالرعية".

وحسب الآغا مزارى، فإن سكان القطاع الغربي كان يعانون من الفقر ونقص الغذاء، إضافة إلى انتشار الوباء الذي مس كامل الوطن منذ 1816م كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وبالرغم من ذلك فرض عليهم حسن باي ضرائب وغرامات مالية كبيرة، زادت من فقرهم إلى درجة أنهم صاروا لا يملكون شيء. ولما رأى حسن باي عجز الناس وفقيرهم التفت إلى أعوانه ومساعديه من قياد وآغوات، وفرض عليهم الغرامات المالية، ثم صار إذا مات أحد من الرعية الأغنياء يضع نفسه كأحد الورثة ويقتسم معهم التركة، ولمّا عاتبه أصدقاؤه على هذه الإجراءات والقوانين التي أضرت بالناس أجابهم قائلا: "إن أهل الجزائر أكلوني بالكلية ولذلك تراني قد أكلت الرعية"<sup>3</sup>. وربما يكون هذا بسبب التزاماته الكبيرة اتجاه خزينة الدولة والباشا وأعضاء حكومته أمام نقص مداخيل البايلك، مما أجبره على زيادة الضرائب والغرامات، فأصبح السكان يعانون من الفقر والمجاعة إلى درجة أن حسين

<sup>1</sup> H.L. Fey, Op. cit, pp. 307-308

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 240

<sup>3</sup> الآغا بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص. 250-252

باشا أرسل إلى سكان المقاطعة الغربية مساعدات غذائية تتكون من خبز البشماط كما تشير رسالة حسن باي إلى وكيل الحرج في أواخر شعبان 1241هـ / 1826م<sup>1</sup>.

كما توضح لنا الرسائل المتبادلة بين الباي حسن وإبراهيم وكيل الحرج جزءاً من الواجبات المالية والعينية (العوايد والهدايا) الكثيرة التي كان ملزماً بتقديمها في أوقاتها المحدد، وقد جاء في الرسالة التي تحمل رقم (37) أنه بعث بشكاش<sup>2</sup> عيد الأضحى لحسين باشا كما جرت العادة القديمة ولوكيل الحرج أيضاً<sup>3</sup>، وتبين الرسالة رقم 9 المؤرخة في أوائل محرم 1242هـ الموافق ل (4-13 أوت 1826م) من حسن باي إلى وكيل الحرج أنه أرسل إليه، وإلى الباشا وأولاده وإلى داره بشكاش (هدية) عاشوراء<sup>4</sup>.

وفي رسالة أخرى بعثها الباي حسن إلى إبراهيم وكيل الحرج يوضح فيها أنه قد شحن له مائة وسبعة قناطير من ملح البارود وأكثر من خمسين قنطار من بذور الكتان وأرسل له أيضاً تكملة دنوش الخليفة في الخريف من الدهان والأرز<sup>5</sup>.

كما كان حسن باي ملتزماً بدفع البيباشي<sup>6</sup> وعوائد ميناء وهران كما تدل على ذلك الرسالتان الأولى تحمل رقم (11) أرسلها إبراهيم وكيل الحرج في 14 ذي القعدة 1242هـ / 8 جوان 1827م<sup>7</sup> والثانية تحمل رقم (51) أرسلها الباي إلى حسين باشا خلال عام

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3026، الملف الأول، الرسالة رقم، 07، من حسن باي الغرب إلى إبراهيم وكيل الحرج، تتحدث حول المساعدات الغذائية التي أرسلها حسين باشا إلى سكان وهران بتاريخ أواخر شعبان 1241هـ / 30 مارس - 7 أبريل 1826م.

لمزيد من التفاصيل ينظر صورة الرسالة بالملحق رقم (18)

<sup>2</sup> "باشكاش" تكتب في اللغة التركية (بشكش)، وتعني الهدايا المعتادة المقدمة إلى المسؤولين الكبار في الدولة أنظر: سهيل صهبان، المرجع السابق، ص. 62

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الثاني، رسالة رقم 37، من حسن باي الغرب إلى أولاد بسام وأولاد عمار من (د ت)

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، الرسالة رقم 9، من حسن باي الغرب إلى إبراهيم وكيل الحرج حول هدية عاشوراء، مؤرخة في أوائل محرم 1242هـ الموافق ل (4-13 أوت 1826م)

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، الرسالة رقم، 7، المصدر السابق.

<sup>6</sup> البيباشي، لمزيد من التفاصيل حول هذا المصطلح راجع الفصل الثاني، ص-ص 124-125

<sup>7</sup> م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، الرسالة رقم 11، من حسن باي الغرب إلى إبراهيم وكيل الحرج حول إرسال عوائد ميناء وهران بتاريخ 14 ذي القعدة 1242هـ / 8 جوان 1827م.



1243هـ/ (1827-1828م)<sup>1</sup>. غير أن هذه الرسائل للأسف لا تبين قيمة تلك الضرائب المالية بالأرقام.

وعلى أية حال فإن حسن باي كانت له التزامات كثيرة اتجاه الدار الكريمة والباشا وأعضاء حكومته وكان ملزماً أن يقدمها في أوقاتها ومناسبتها المحددة، وربما هذا ما جعله يفرض ضرائب وغرامات مالية على سكان مقاطعته اعتبروها ثقيلة عليهم، وعجزوا عن تقديمها في آخر الأمر.

### 3-1-2 سياسته اتجاه العلماء وأصحاب الطرق الصوفية:

منذ قيام ثورة الدرقاوي في بايلك الغرب صار الحكام يتخوفون من العلماء والأولياء وأصحاب الطرق الصوفية أن يثوروا عليهم، ففرضوا عليهم رقابة شديدة، وصاروا لا يترددون في قتل كل من يشكون في أمره، كما فعل الباي أبو كابوس حين قتل شيخ الطلبة أبي ترفاس لأنه صهر الدرقاوي،<sup>2</sup> ويذكر يوسف الزباني أن هذا الاضطهاد استمر في عهد حسن باي، الذي أمر بقتل الفقيه السيد "محمد بن أحمد الصدمي" من أولاد سيدي ابن حليلة لوشاية وصلته تقول أنه سيثور عليه<sup>3</sup>، وبعد فترة قصيرة من نفس السنة أمر بإعدام الفقيهين العالمين السيد "بن عبد الله بن حواء التيجاني الدرقاوي" والسيد "فرقان الفلتي".

وقد انعكس ذلك التخوف والارتياب حتى على الطرق الأكثر قرباً منهم والتي كانوا قد ساندوها وساعدوها على الانتشار كالطريقة القادرية<sup>4</sup>، ومن مواقفهم نحوها أن حسن باي قام بمنع "الحاج محي الدين" والد الأمير عبد القادر من الحج وفرض عليه الإقامة الجبرية في منزله بوهران، ولعل السبب في ذلك هو اجتماع عدد كبير من الناس حوله من

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3205، الملف رقم 3، الرسالة رقم 51، من حسن باي الغرب إلى حسين باشا حول إرسال لزمة ميناء وهران خلال عام 1243هـ/ (1827-1828م). لمزيد من معلومات والتفاصيل حول لزمة ميناء وهران والبيباشي ينظر، صورة الوثيقة بالملحق رقم (19)

<sup>2</sup> الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 334

<sup>3</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص. 241

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص. 223

قبائل الغرب والصحراء لمرافقته هو وابنه عبد القادر لأداء فريضة الحج سنة 1238هـ /1823م، ولكن مبعوث الباي اعترض طريقه وأمره أن يسير معه لمقابلة الباي حسن فوضعه تحت الإقامة الجبرية بوهران لمدة سنتين<sup>1</sup>. وبعد تدخل أحد رجال المخزن، وزوجة الباي وهي ابنة أبو كابوس أطلق سراحه هو وولده عبد القادر، وأذن لهما بمواصلة الطريق للحج في ربيع الثاني 1241هـ/نوفمبر 1825م.<sup>2</sup>

### 3-1-3 الثورة التيجانية:

حسب "فوي" فإن مهمة حسن باي الأولى كانت هي القضاء أو التضيق على أصحاب الطرق الصوفية الذين يدعون إلى التمرد أو الثورة على سلطة البايلك في وسط قبائل الغرب<sup>3</sup>، ومن بين الذين ضيقوا عليهم وراقبهم الشيخ محمد التيجاني بعين ماضي بسبب كثرة أتباعه وانتشار طريقته في الجهة الغربية وفي الصحراء، فلم يتردد حسن باي في الخروج إليه، بعد أن جمع جيشه وسار إلى عين ماضي وحاصر مدينته شهرا كاملا خلال عام 1241هـ / 1825م<sup>4</sup>، ولما عجز عن دخولها فرض عليه ضريبة سنوية مؤجله قدرها 500 ريال وأخرى مستعجلة قدرها 2000 ريال<sup>5</sup>. وكانت حملته هذه وراء قيام الثورة التيجانية، فمن يكون شيخها؟، والى أية طريقة ينتمي؟

-السيد أحمد التيجاني: اسمه الكامل هو أحمد بن سالم التيجاني من مواليد سنة 1150هـ/1726-1727م، بقرية عين ماضي بالقرب من الأغواط، تعلم على يد شيوخها القرآن الكريم ثم رحل إلى فاس وتلقى الأذكار والأوراد أكثر ما تلقى العلوم الدينية والأدبية، ثم سافر إلى الحج وأخذ عن بعض علماء تونس ومصر وبعد سنتين عاد واستقر نهائيا في "ابن صمخون" في الصحراء<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تشرشل، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 42-44

<sup>2</sup> عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014، ص.82

<sup>3</sup> H.L. Fey, Op.cit, p. 308

<sup>4</sup> لمزيد من التفاصيل حول الحملة العسكرية التي أعدها حسن باي وقادها بنفسه إلى عين ماضي ينظر، M. Lapéne, Op.cit., pp.20-21

<sup>5</sup> محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص.242

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.467، 510

وقد انتشرت طريقته بسرعة انطلاقاً من عين ماضي وفي الصحراء لدى سكان المدن والقبائل وصار الناس يزورونه من كل جهة<sup>1</sup>، مما جعل الباي محمد الكبير يجهز جيشاً كبيراً ليعزو منطقة عين ماضي في سنة 1199هـ/1783م، كما ذكر ابن هطال في رحلة محمد الكبير<sup>2</sup>، وقد كلف هذا الباي الشيخ محمد بن عبد الله الجلاي رئيس المجلس العلمي ليناقد الشيخ أحمد التيجاني ويحذره من مغبة دعوته، وقد نشر الأستاذ المهدي بوعبدلي في كتابه "جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني"<sup>3</sup> رسالة كتبها الشيخ "يخلف بن حواء" بأمر من شيخه الجلاي، رد فيها على الشيخ محمد التيجاني ونصحه وحذره مما قد تحدثه هذه الرسالة عند علماء الجزائر. ونستقري من رد ابن حواء إلى التيجاني أن هذا الأخير اعتبر نفسه من أكبر علماء الأمة الإسلامية على الإطلاق بل لا يضاهيه أحد من عصر الصحابة إلى يوم القيامة، وهذا الادعاء بغير دليل جعل الجميع يقع في دهشة وحيرة من أمره، فراح "بن حواء" يذكره بعلماء الأمة الكبار وبإنجازاتهم أمثال أصحاب المذاهب وغيرهم ثم سأله في الأخير "أين أنت من كل هؤلاء الأقطاب".

وقد عانى أحمد التيجاني من ملاحقة واضطهاد محمد باي الكبير من تلمسان إلى قرية ابن صمغون ومن ابنه عثمان باي من بعده، فخرج مع بعض تلاميذه وأهله إلى فاس في سنة 1211هـ/1795-1796م في عهد مولاي سليمان الذي رحب به وأكرمه وأذن له بحضور مجلسه بعدما أخبره بما لاقاه من ظلم الأتراك وجورهم<sup>4</sup>، ويذكر صاحب تحفة الزائر، أن الشيخ أحمد التيجاني ظل بفاس إلى أن مات هناك فقام بأمر الطريقة بعده ولده السيد محمد<sup>5</sup>.

وحسب الزهار فإن الشيخ أحمد التيجاني لما رحل إلى فاس ترك أولاده بعين ماضي، وهما السيد محمد والسيد أحمد، ولما كبرا كان لهما طاعة بين الناس وأتباع كثير من عرب الصحراء وفي فاس وتونس، وكان العثمانيون يخافون من أن يثوروا عليهم وعلى

<sup>1</sup> Esterhazy, Op. cit, p.199

<sup>2</sup> أحمد بن هطال، المصدر السابق، ص-ص. 72-73

<sup>3</sup> حول تفاصيل هذه الرسالة ينظر، المهدي بوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني، ج2، جمع

وإعداد، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص. 68-76

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 159

<sup>5</sup> محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 156

رأسهم الداوي حسين، الذي أمر باي قسنطينة بالقبض على السيد محمد أثناء عودته من الحج ولكنه لم ينجح في ذلك<sup>1</sup>. ولما رجع إلى عين ماضي جمع له حسن باي جيشه وحاصره ثم فرض عليه ضريبة كبيرة مقابل الصلح، وكان ذلك في سنة 1241هـ/1825م، كما سبق ذكره، حينها قرر السيد التيجاني الثورة على حسن باي.

وقبل أن يخرج الشيخ التيجاني لمواجهة حسن باي قام بالاستعدادات اللازمة، حيث جمع رجاله من التيجانية وبعث إلى القبائل الموالية له ومن بينهم الحشم الذين وافقوا على الخروج معه، ولكن لسوء حظهم علم الباي بالخبر، و فوراً توجه إليهم متظاهراً أنه لا يعلم بشيء مما اتفقوا عليه مع التيجاني، فتمكن منهم وقطع أحد عشر رأساً من قوادهم ولم ينج سوى واحد، ثم فرض عليهم غرامة كبيرة<sup>2</sup>.

وقد تسببت سياسة القمع التي استخدمها حسن باي ضد الحشم في زيادة حقدهم وتصميمهم أكثر على الثورة للأخذ بثأر قوادهم منه، فانضموا إلى التيجاني وخرجوا معه إلى معسكر في خريف 1242هـ/1826م<sup>3</sup>.

ولما علم الباي حسن بخروج التيجاني إلى معسكر بجيش قوامه ستمائة رجل من التيجانية من أهل عين ماضي ومن عرب الصحراء واليعقوبية ورجال الحشم، انطلق نحوهم بسرعة والتقى الجيشان بـ "بعواجة" من بلاد "أولاد رحو" بالقرب من غريس ودارت معركة كبيرة قتل فيها التيجاني مع جميع جيشه ولم ينج منهم أحد كما فقد الباي عدداً معتبراً من القادة والجنود<sup>4</sup>.

وحسب صاحب تحفة الزائر فإن تراجع الحشم وأتباعهم كان السبب في هزيمة التيجاني وقتله هو وأتباعه عن آخرهم<sup>5</sup>، ويذهب يوسف الزياتي أن حسن باي قد فرق الأموال على الحشم وكافة العرب فتفرقوا عن الشيخ التيجاني وتركوه وحده يواجه الموت مع

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 160.

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص. 242-243.

<sup>3</sup> محمد بن يوسف الزياتي، المصدر نفسه، ص. 244.

<sup>4</sup> الآغا بن عودة المزاربي، المصدر السابق، ص. 357-360.

<sup>5</sup> محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 156.

التيجانية<sup>1</sup>. ثم قطع رأسه وبعث به إلى حسين باشا فعلقها، وأرسل سيفه إلى السلطان محمود الثاني<sup>2</sup>.

وعلى أية حال فإن انتشار الطريقة التيجانية بين الناس كان يثير هلعاً كبيراً في نفوس الحكام في الجزائر وحتى في اسطنبول ويتخوفون من الثورات التي قد تندلع ضدهم، وهذا التخوف والشك جعلهم يرتكبون الأخطاء في سياستهم ويتسببون في التسريع بالثورة ويتحملون الخسائر الكبيرة سواء المادية أو البشرية. ومع أن المصادر المحلية لا تعطي أرقاماً دقيقة إلا أنها تشير إلى كثرة عدد القتلى بالقول "ومات عدد كثير"<sup>3</sup>.

وحسب "استرهازي" فإن الباي حسن لم يرجع إلى وهران بعد معركة "عواجة" بل لاحق الحشم وفرض عليهم ضريبة كبيرة قدرها حوالي خمسين ألف ريال بوجو مقابل الأمان<sup>4</sup>.

وهناك رسالة بعثها حسن باي إلى حسين باشا ما بين نهاية شهر جمادى الثانية وبداية رجب 1243هـ الموافق لجانفي 1828م، تشير إلى أن منطقة الأغواط كانت تعاني من الاضطرابات والنقاتل فيما بين قبيلتي أولاد الشيخ أحمد بوسالم وأولاد سرغين الشطّي، وقد سعى حسن باي لفرض النظام وتوطيد الأمن وإنهاء النزاع الدائر بينهما منذ ربيع سنة 1242هـ/1827م، فكتب لهم وهددهم بالانتقام، ثم حبس منهما عدداً من الرهائن لإجبارهم على وقف النزاع، وبعث إلى حسين باشا يطلب مشورته لحل تلك المشاكل<sup>5</sup>. وعليه فإن أوضاع بايلك الغرب تحت حكم حسن باي لم تكن تختلف عما كان يحدث في باقي جهات الوطن فالاضطرابات كانت منتشرة في الغرب كما في الشرق، إضافة إلى الثورات الدينية بقيادة الطرق الصوفية، التي خصت المقاطعة الغربية.

والخلاصة الداى حسين باشا قد وصل إلى حكم الإيالة كان في ظروف داخلية حرجة، تميزت بعدم الاستقرار في الحكم لمدة طويلة على مستوى الحكومة والبايلكات،

<sup>1</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 247

<sup>2</sup> محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 156

<sup>3</sup> ينظر، محمد بن يوسف الزياني المصدر السابق، ص. 247 والآغا بن عودة المزارى، المصدر السابق، ص. 360

<sup>4</sup> Esterhazy, Op.cit, p. 224

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3205، الملف 03، الرسالة، رقم 51، المصدر السابق. لمزيد من التفاصيل ينظر صورة الوثيقة

بالملاحق رقم(19)

وكثرة الاغتيالات في الدايات والبايات، مما أدى إلى انتشار الفوضى في الإدارة ومختلف المجالات وانحصار سلطة البايلك وامتناع القبائل عن دفع الضرائب وإعلانها عن استقلالها، وانتشرت الثورات في الشرق والغرب والجنوب، وقد سعى الداوي حسين جاهدا مع باياته وقائده يحيى آغا لاستعادة النظام وفرض سلطته، وللوصول إلى غايته شرق الجزائر عزل وغير الكثير إلى أن نصّب الحاج أحمد باي الذي نجح في مهمته وأعاد الأمن والاستقرار، وفرض هيبة السلطة من جديد، وأكثر من الإنجازات وملاً الخزينة بعد عجز مالي طويل.

أما في الغرب فقد حافظ حسن باي وهران على منصبه لمدة طويلة وأدى التزاماته اتجاه حسين باشا والدار الكريمة، لكنه لم يكن محبوبا ولا قريبا من الرعية، وكان يعيش في عزلة تامة يخاف الثورات والاغتيالات عكس الحاج أحمد باي الذي "كانت له ارتباطات عائلية وأصول وطنية وممارسات يومية مع الناس في لغتهم ولباسهم وهمومهم"، بينما الباوي حسن فقد كان مقطوعا عن كل ذلك. وكان يعتبر نفسه أجنبيا وبعد سقوط مدينة الجزائر واستسلام الداوي حسين في سنة 1830م، لم يفكر سوى في إنقاذ حياته، وبمجرد أن ضمن سلامة شخصه سلم مفاتيح المدينة إلى العدو ورحل، فلم يحزن على رحيله أحد، ولم يفكر في تنظيم الناس وإعلان الجهاد ضد العدو المشترك كما كان يفعل الأتراك في الماضي<sup>1</sup>، أو اقتدى بالحاج أحمد في الشرق الذي لم يستسلم ونظم مقاومة عنيفة ضد المحتلين بشهادة المؤرخين الفرنسيين أنفسهم إذ يقول فايسات<sup>2</sup>: "بل نظم مقاومة يائسة لجيوشنا، دامت سبع سنوات وانجرت عنها سلسلة من القساوة اللامعقولة وكلفت جيوشنا ثمنا غاليا."

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص-ص. 167-168

<sup>2</sup> أوجين فايسات، المصدر السابق، ص. 257

# الفصل السادس

## السياسة الخارجية

- أولاً: العلاقات الجزائرية مع تونس والمغرب
- ثانياً: العلاقات مع الباب العالي
- ثالثاً: علاقات الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية

### أولاً: العلاقات الجزائرية مع تونس والمغرب

#### 1- العلاقات الجزائرية التونسية:

إثر وفاة محمد بن عثمان باشا بدأت إيالة الجزائر تسير نحو المجهول خاصة لما سيطرت ظاهرة اللأمن نتيجة كثرة الاغتيالات للذبايات والبايات واندلاع الثورات المناهضة للحكام، وكذلك نتيجة التنافس الشديد على الحكم والثروة والمال بمختلف الوسائل في غيبة أولي الألباب، وإسناد المسؤوليات لغير أهلها فغاب بذلك الحكم الراشد وانتشرت الفوضى، وطغت الأهواء وبانت الإيالة محط أطماع الأجنبي، هذا الوضع المأساوي الذي آلت إليه الجزائر كان له الأثر السلبي على العلاقات الجزائرية التونسية فكيف كان ذلك؟

#### 1-1 حمودة حمودة باشا على مدينة قسنطينة ونتائجها:

كان الطابع الغالب للعلاقات الجزائرية التونسية في العهد العثماني يتميز بالعداء والتحرشات والحروب. وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت تونس تابعة للجزائر بسبب المساعدة العسكرية التي قدمها حكام الجزائر إلى أبناء الحسين باي؛ محمد وعلي لتولي عرش تونس، ومقابل ذلك وقّعوا على معاهدة تعترف بتبعية الجزائر، وتدفع بموجبها ضرائب وهدايا سنوية لباشا الجزائر وباي قسنطينة وأعيان مخزنه<sup>1</sup>. وحسب ابن أبي الضياف فإن حكام الجزائر اتبعوا نفس السياسة مع حمودة باشا الذي كان يقبلها على مضض، وسعى منذ توليه الحكم للخروج من هذه السيطرة والتبعية وتحقيق استقلاله، وكان مقتنعاً أن لا سبيل لذلك سوى الحرب<sup>2</sup>، لأن إرضاء سلطات الجزائر كان يكلف الباي وخزينته غالياً، إلى درجة أن والده كان يوصيه أن يقدم لهم ثلاثة أرباع مداخله ويحتفظ بالثلث لنفسه ليتمكن من العيش معهم بسلام<sup>3</sup>.

وبمجرد تولي حمودة باشا حكم تونس شرع في تطبيق خطة شاملة لتحقيق استقلاله عن الجزائر، حيث التفت إلى تحصين البلاد وبناء الأبراج وتسليحها واعتنى بالجيش وتدريبه وتسليحه وأنشأ له الثكنات، ولما تأكد من أن قوته العسكرية قادرة على تحقيق النصر صار يتعلل ويمتنع عن دفع الضرائب والهدايا المعتادة لباشا الجزائر ووالي

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات حول العلاقات الجزائرية التونسية خلال القرن الثامن عشر، ينظر الفصل الثالث

<sup>2</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص-ص. 38-39

<sup>3</sup> A.OUALID, Principales époques de la Tunisie, documents pour servir à l'histoire de ce pays, imp. de l'Association ouvrière, Alger, 1874, p.41



قسنطينة، خاصة بعد أن تخلص من منافسه الأمير يونس الذي كان يقيم عند حكام الجزائر يستعملونه كورقة ضغط ضده، فمنع بيع المواشي التي تأتي من الجزائر قبل المواشي التونسية، كما كان يحدث في السابق، واستقبل باي قسنطينة مصطفى انقليز عندما عزله باشا الجزائر وقرر مساعدته وإعادته لولايته في قسنطينة مما أثار استياء داي الجزائر<sup>1</sup>. وتطورت الأوضاع وازدادت تأزما وخطورة، حينما بات بايات قسنطينة يشنون الحملات المتتالية على تونس لإخضاعها فعلى سبيل المثال غزا عبد الله باي (1804-1806م) تونس؛ فقتل وسبى سكانها حتى اقترب من "الكاف"، عندئذ قرر حمودة باشا محاربة الجزائريين، فطرد وكيلهم بتونس وباقي الرعايا الجزائريين هناك، فجمعوا أموالهم ورجعوا إلى بلادهم. وفي الجزائر قام الداوي بعزل عبد الله باي قسنطينة (1804-1806م) بسبب الوشايات<sup>2</sup>، وعين مكانه حسين بن صالح باي، "وكان ولدا صغير السن حضريا لا يقدر على الركوب للغزو ولا له معرفة بالحروب وسياسة الملك"<sup>3</sup>.

ومن الواضح أن حمودة باشا قد اغتتم فرصة الاضطرابات التي يعيشها بايلك الشرق مستعملا جواسيسه في نقل أخبارها<sup>4</sup>، وكان يعتقد أنه سيحرز النصر لا محالة، على باي قسنطينة الذي كان شابا صغيرا ضعيفا لا خبرة لديه في مجال الحروب. وحسب الزهّار فإن باشا الجزائر قد راسل باي تونس حينما قطع الهدايا عن الجزائر وطلب منه أن يدفعها ولكنه رفض رفضا قاطعا، فأعلنت الحرب بين البلدين وبعث الداوي أحمد باشا (1805-1808م) السفن الحربية ليستولوا على السفن التونسية كعقاب لهم إلى أن يدفعوا ما عليهم

<sup>1</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 40

<sup>2</sup> عبد الله باي، يقول عنه العنتري أن ولايته كانت تشبه زمان ولاية صالح باي في الرخاء والامن وفرض سلطته على البايك، وكان سبب عزله هو أن أحد أولاده اشتهر بالفسق والفساد وإذاية الناس فأمر الباشا بعزله وانتقله إلى الجزائر مع أولاده وأهله في سنة 1221هـ/ 1806م، العنتري، فريدة منسية...، المصدر السابق، ص. 87

<sup>3</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 117

<sup>4</sup> محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار وشركائه، ط2، تونس، 1943م، ص. 136، أ. و. ت. صندوق، 223، الملف، 384، رسالة رقم 150، من الشيخ محمد بن الطيب بن حسن إلى مصطفى باشا باي تونس، دون تاريخ. توضح هذه الرسالة أن باشاوات تونس كانوا يستخدمون شيوخ القبائل التي تقطن في الحدود الشرقية للجزائر ليأتوا لهم بالأخبار حول تحركات الباي وعدد الجيوش وغيرها وقد عثرنا على رسالة استخبارية في الأرشيف التونسي، تبين لنا كيف كان أحد الشيوخ المدعو "الطيب بن الحسين" يجمع المعلومات ويوصلها إلى مصطفى باي تونس.

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

من الهدايا والعيود وضريبة الزيت التي التزم بها باياتهم لباشاوات الجزائر، وقد نجح رياس البحر الجزائريين في أسر مركبين أو ثلاثة مراكب تونسية<sup>1</sup>.

ومن جانبه أشرف حمودة باشا بنفسه على تحضير حملته ضد قسنطينة بالعدد والعدة، وجهاز المؤونة الغذائية اللازمة وخزنها بمدينة الكاف لتكون قريبة من الجيش، كما أمر قائد الكاف بتحصين المدينة ووضعها في حالة دفاع، ومن جهة أخرى زاد من تحصينات العاصمة تونس<sup>2</sup>.

وحسب ابن أبي الضياف فإن محلة تونس كانت تتكون أساسا من الجنود الأتراك والصبايحية وفرسان المخزن، وقبيلة "دريد" التي خرجت بنسائها وأطفالها، وعين وزيره "سليمان كاهية" قائدا أعلى عليها وخرج معه مصطفى انقليز باي<sup>3</sup>، وبلغ مجموع المحاربين ما بين أربعين ألفا ومائة ألف<sup>4</sup>. ويمكننا القول أن الجيش التونسي الذي خرج لاحتلال قسنطينة كان كثير العدد ومسلح بطريقة جيدة، وقد أشار العطار لقوة تسليحه بقوله: « مما لم يأت به أحد من قبله»<sup>5</sup>.

وقد خرجت محلة تونس في منتصف ذي القعدة سنة 1221هـ الموافق ل 24 جانفي 1807م، وحسب رواية العطار فإنها لما اقتربت من مدينة قسنطينة لقيها حسين باي (1806-1808م) بجنوده فوقعت بينها بعض المناوشات فانهمز مع جنده<sup>6</sup>، وهذا يدل على قلة جيشه وضعفه وعدم استعداده لأنه هُزم ببعض المناوشات وليس في المعارك الكبيرة واضطرته للهروب وترك المدينة للعدو.

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.96

<sup>2</sup> محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص. 137. /A.OUALID, Op.cit, p.42.

<sup>3</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.41-42

<sup>4</sup> قال العطار: "أنه كان مائة ألف"، المصدر السابق، ص. 118،

وقال وليد، وأوسكار أن عدد الجنود كان ستون ألفا، A.OUALID, Op.cit, 43/

- M.Oscar Gay, La Tunisie, Notice historique, imprimerie de W. Remquet, Paris, 1861, p. 46

وذكر رشاد الإمام من خلال مراسلات القناصل الأجانب بتونس أنه كان أربعون ألفا، رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في

تونس 1782-1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980، ص. 425

<sup>5</sup> أحمد بن العطار، المصدر السابق، ص. 118

<sup>6</sup> أحمد بن العطار، المصدر نفسه، ص.ص. 118-119

وفي اليوم الموالي وصلت محلة تونس أمام أسوار مدينة قسنطينة فسارع سكانها للدفاع عنها، لكنهم لم يتمكنوا من إجبارهم على العودة، حينئذ دخل السكان وأغلقوا الأبواب، أما الباي حسين فقد فرّ إلى قرية قرب سطيف<sup>1</sup>، وظل السكان بمفردهم يدافعون عن أنفسهم. فقام القايد التونسي "سليمان كاهية" بمحاصرة المدينة ونصب مدافعه وأسلحته وشرع يقصفها بالمدافع، وهم صامدون يقاتلون كل من يحاول التسلل إلى الداخل<sup>2</sup>.

وبعد طول الحصار (شهرين) فكر "سليمان كاهية" في حيلة لاقتحام المدينة المحصنة؛ حيث قام بدفع خمسمائة من الإبل تحمل على ظهورها سلاالم حتى تصل إلى سور المدينة، فيتسلقونها ويدخلون إلى المدينة، ولكن خطتهم فشلت لأن تلك الحيوانات بمجرد أن اقتربت من الأسوار أطلق عليها المحاصرون البارود، فذعرت وهاجت على جيش تونس، فولّوا هاربين<sup>3</sup>.

وبمجرد وصول الخبر إلى العاصمة أسرع الباشا بتجهيز محلتين زحفت الأولى برا ثم أبحرت الثانية من ميناء الجزائر، ورست بميناء عنابة، ثم تقدمت برا إلى قسنطينة<sup>4</sup>. وقد تأخر وصول محلة البر بسبب المتمردين الذين قطعوا عليهم الطريق من قبائل "فليسة"، ولم يسمحوا لهم بالمرور إلا بعد أن تفاوضوا معهم وقدموا لرؤسائهم الأموال المطلوبة، وبعد أن تم الاتفاق انضموا إلى المحلة وسافروا معها لنصرة قسنطينة، وفي طريقهم التقوا مع حسين باي ورجاله فعادوا معهم لفك الحصار عن المدينة<sup>5</sup>.

وقد عثرنا على رسالة بالأرشفيف الوطني التونسي نعتقد أنها لم تنتشر أرسلها "سليمان كاهية" قائد الحملة إلى حمودة باشا من قسنطينة بتاريخ 22 صفر 1222هـ (30 أبريل 1807م) جاء فيها<sup>6</sup>: «أنه في يوم الجمعة 22 من الشهر الثاني قدموا زوج محال محلة من الجزائر لها باش أغا وعددها سبعين خباء عسكر في كل خباء أربعة وعشرون

<sup>1</sup> أحمد بن العطار، المصدر نفسه، ص. 119

<sup>2</sup> M.OSCAR GAY, Op.cit, p.44

<sup>3</sup> A.OUALID, Op.cit, p.49

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 97

<sup>5</sup> H.D.DE Grammont, Histoire d'Alger sous..., Op. cit, p. 368

<sup>6</sup> أ.و.ت. صندوق، 223 مكرر، الملف، 384، رسالة رقم، 158، من سليمان كاهية قائد الحملة التونسية على قسنطينة إلى حمودة باشا باي تونس بتاريخ 22 صفر 1222هـ الموافق لـ 30 أبريل 1807م. لمزيد من المعلومات ينظر الملحق رقم (20)، مع إعادة كتابة النص كاملا.

نفر (1680 جنديا)...، ومحلة من عنابة بها ستين خباء بكل خبأ مثل ما ذكر (1440 جنديا)، ويوم السبت نزلوا قبلة أمحالنا بمن معهم، وخرج لهم العسكر الذي كان في القرية ومن معهم ووقع بيننا وبينهم شديد الحرب والقتال». وانتصر عسكر تونس في المواجهة الأولى مع محلة الجزائر البرية حسب ما جاء في تقرير "سليمان كاهية": «وحمّلنا عليهم ورديناهم (كذا) خائبين»، والسبب في هزيمة محلة الجزائر حسب الزهار، هو تعب عسكر الجزائر من السير بالإضافة إلى برودة الطقس لأن الفصل كان فصل شتاء، أما محلة عنابة فلم يكن للتونسيين علما بها حتى فاجأتهم بإطلاق النار عليهم<sup>1</sup>، وحاصرتهم من كل الجهات إلى أن نفذ منهم الرصاص والذخائر والمؤونة<sup>2</sup>، وانهمزوا شر هزيمة وتراجعوا هاربين إلى بلادهم، فغنم عسكر الجزائر ما تركوه وراءهم من الأموال والذخائر<sup>3</sup>. وهكذا انتصر جيش الجزائر وهزم جيش تونس وأرغموهم على التراجع إلى بلادهم، وفك الحصار عن قسنطينة وسكانها.

لما بلغ خبر هزيمة محلة تونس إلى حمودة باشا اغتاض كثيرا إلى درجة أنه أمر بسجن كل قادته وقرر الخروج بنفسه على رأس حملة ثانية إلى الجزائر، ولكن أعوانه هذأوا من روعه وقدموا له المساعدات المالية لتجهيز جيش جديد، واختاروا وزيره "يوسف صاحب الطابع"، قائدا لها وبلغ قوامه من الفرسان حوالي أربعين ألفا، من المخازنية والمرزاقية وفرسان القبائل، وسبعة عشر ألف من المشاة من زاووة والأتراك<sup>4</sup>.

وكان باشا الجزائر قد كتب لحكام تونس قبل خروج الجيش للحرب من أجل الصلح ولكن ذلك لم يزد إلا في عنادهم، حينئذ أمر الباشا أحمد خوجة بتجهيز محلة بمدينة الجزائر تحت قيادة محمد آغا، وأخرى بقسنطينة بقيادة حسين باي<sup>5</sup>، والتقى الجيشان بالقرب من وادي سراط في مكان يعرف بـ "سلاطة" في يوم الاثنين الثامن من جمادى الأولى 1223هـ (13 جويلية 1808)<sup>6</sup>، وحسب العنتري فإن المعارك قد دامت بينهما عدة أيام

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 97

<sup>2</sup> أ.و.ت. صندوق، 223، مكرر، الملف، 384، الرسالة، 158 المصدر السابق.

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 97

<sup>4</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص. 42-45.

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 97

<sup>6</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 47

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

وليالي متوالية<sup>1</sup>، فانتصر التونسيون بفضل استعمالهم مدافع الميدان التي فرقت جموع الجزائريين وولوا فارين، فغنم جيش تونس كل عتادهم وأسلحتهم التي تركوها وراءهم<sup>2</sup>، وانتقموا لهزيمتهم الأولى. وعلى العموم كانت هذه آخر معركة برية بين البلدين.

وحسب ذات المصدر أن محمد آغا قد دبر مكيده لحسين باي خوفا من أن يحمله باشا الجزائر مسؤولية الهزيمة أمام تونس، فكتب إليه رسالة سرية يخبره فيها بأن حسين بن صالح باي قد فرّ من ساحة المعركة بجيوشه مما تسبب في خسارة المعركة، ولولا هروبه كان النصر إلى جانبنا، وبهذه الخديعة أمر الباشا بإعدام حسين باي قسنطينة ظلما في عام 1223هـ (1808)<sup>3</sup>.

لم يتقبل الداوي أحمد خوجة الهزيمة وأراد أن يأخذ بثأره من حمودة باشا، فكلف الباي الجديد علي بن يوسف باي قسنطينة (1808)، بتجهيز جيش جديد والخروج لغزو تونس، ولكنه بمجرد ما اقترب من محلة وادي الرمال بقسنطينة، قُتل هو والباش آغا حسين من طرف الجنود المتمردين بقيادة أحمد شاوش، الذي أعلن نفسه بايا على قسنطينة مكانه، ولحسن الحظ لم يدم حكمه أكثر من خمس عشرة يوما، ذلك أنه خلال تلك المدة نهب المدينة مع جنده وسلب خزائنها وسلط العقوبات على سكانها مما جعل الناس في حالة رعب لا يغادرون منازلهم، ولم تستعد المدينة نشاطها إلا بعد أن وصل الباي الجديد أحمد طوبال (1808-1811)م، وقتل أحمد شاوش وعاقب المتمردين<sup>4</sup>.

وهكذا سارت الأمور؛ فبدلا من الزحف بالمحلة إلى تونس ومسح عار الهزيمة، تمرد الجند واغتالوا الباي وأكبر قواده، وخربت مدينة قسنطينة ونهبت أموالها مسببة لسكانها رعبا كبيرا ربما لم يحدثه جيش تونس من قبل.

<sup>1</sup> محمد الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص. 95

<sup>2</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 48، وحسب ما جاء في تقارير رسائل القناصل الأجانب إلى حكومات بلادهم أن عدد القتلى الجزائريين بلغ ما بين ست وسبع مائة قتيل وعدد الأسرى بلغ السبعة آلاف رجل، رشاد الإمام، المرجع السابق، ص. 428

<sup>3</sup> محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص. 96

<sup>4</sup> H.D.DE Grammont, Histoire d'Alger sous..., Op.cit, p. 368

### 1- 2 داي الجزائر ينقل الحرب من البر إلى البحر:

لم يضيّع الحاج علي باشا (1809-1815م) الوقت ولم ينس ثأر بلاده من تونس، ونقل الحرب من البر إلى البحر معتمداً في ذلك على أسطوله وقائده الرئيس "حميدو"<sup>1</sup>، وأضحت السفن الجزائرية لا تتوقف عن ملاحقة السفن التونسية التجارية مما تسبب لها في خسائر كبيرة، وحسب ما جاء في سجل الغنائم: "قام الرئيس حميدو في 11 رمضان 1225هـ / 10 أكتوبر 1810م باحتجاز كمية من البضائع التونسية كانت تحملها سفينة أوربية وتتكون في جملتها من الشاشية وعدة أنواع من الأنسجة والأقمشة، قدرها 171 374 فرنك و62 سنتيماً. وفي شهر جمادى الأولى سنة 1226 / (24 ماي- 22 جوان) 1811م، قامت ست سفن حربية يقودها الرئيس حميدو وغيره بحجز كمية من البضائع التونسية كانت محمولة على سفينة انجليزية. ونفس العمارة استولت على سفينة من جربة تحمل بضائع متنوعة وكان مجموع الغنائم للحمولة الأولى والثانية يقدر ب256173 فرنك و75 سنتيماً<sup>2</sup>.

لم يكتف باشا الجزائر بما ألحقه من خسائر بتجارة تونس الخارجية، بل سعى كذلك للاستيلاء على جزيرة جربة الغنية<sup>3</sup>، فأمر بتجهيز ستة مراكب وأربع قاذفات بقيادة الرئيس حميدو، الذي أبحر إليها في السابع من شهر ماي سنة 1811م<sup>4</sup>، ومن جانبه حمودة باشا، جهز أسطولاً يتشكل من أربعة عشر مركباً حربية يحمل عدداً كبيراً من الجنود، وأمر عليه القبطان "محمد ريس المورالي"<sup>5</sup>، وحسب الزهار فإن الأسطول الجزائري أطلق القذائف على سواحل الجزيرة فتفرق سكانها، وبقي الرئيس حميدو أياماً بمينائها ثم غادرها. وفي طريق عودته إلى الجزائر التقى مع أسطول تونس الذي خرج للقبض عليه ف وقعت معركة بينهما، فهجم الرئيس حميدو على فرقاطة من مراكب تونس فأسرها، وهربت باقي المراكب التونسية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ألبير دوفال، المصدر السابق، ص. 83

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le Registre Des Primes, R. A., Vol. N° 16, 1872, éd., A. Jourdan, Alger, pp.154-155

<sup>3</sup> A.OUALID, Op.cit, p.44

<sup>4</sup> الموافق لـ 14 ربيع الثاني 1226هـ

<sup>5</sup> أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 51

<sup>6</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 106-107

ويتحدث ابن أبي الضياف عن خيانة الجند المرافق للرئيس "المورالي" الذين انسحبوا وتركوه يقاوم لوحده حتى أسر هو وفرقاطته، وسجل دفتر التشريفات عن حادثة احتجاز الفرقاطة التونسية مايلي: «أسر الرئيس حميدو فرقاطة تونسية وأحضرها إلى مدينة الجزائر بعد معركة حامية، وكان الأسطول الجزائري يتكون من ست سفن حربية وأربع قاذفات المدافع والأسطول التونسي يتكون من اثنتي عشرة سفينة حربية ولكن المعركة وقعت ما بين فرقاطة الرئيس حميدو والفرقاطة التونسية، ودامت ست ساعات وقتل من الجزائريين أربعون رجلا ومن التونسيين مائتان وثلاثون رجلا<sup>1</sup>»، كما أننا نجد أثر تلك الفرقاطة التونسية مسجلة بين غنائم سنة 1811م، وهي ذات أربعة وأربعين مدفعا<sup>2</sup>.

وأما المؤرخ الفرنسي "أوسكار" فيذكر أن سكان جربة قد قاوموا الرئيس حميدو ورجاله الذين نزلوا على الشاطئ، وتركوا أسلحتهم وذخائرهم وراءهم في السفن، وأنهم وقعوا في سبخات الجزيرة ولم يخرجوا منها إلا بعد مضي تسع ساعات كاملة، ولما عجز الرئيس حميدو عن الاستيلاء على الجزيرة أبحر عائدا إلى الجزائر فالتقى بالأسطول التونسي بقيادة "محمد المورالي" الذي قاومهم وحيدا بعد خيانة رفقاءه له ولم يستسلم إلا بعد أن تحطمت فرقاطته فقبض عليه الجزائريون وأعدموه<sup>3</sup>.

وبمقارنة الروايات نرى ابن أبي الضياف يتفق مع أوسكار في خيانة رفاق الرئيس محمد المورالي له، ولكن رواية السباخات ومقاومة الأهالي للرئيس حميدو انفرد بها "أوسكار" كما انفرد أيضا بقصة تحطم فرقاطة المورالي التونسية، و حسب ألبير دوفو أن الفرقاطة عاد بها الرئيس حميدو إلى الجزائر واستقبله السكان والباشا بفرح كبير وظلت تحت قيادة الرئيس الحاج علي إلى غاية عهد عمر باشا (1814-1816)، وهذا يدل على أن الفرقاطة لم تكن محطمة بل وصلت إلى الجزائر سليمة وكانت تحمل 44 مدفعا وظلت تمارس نشاطها البحري إلى غاية تحطيم الأسطول الجزائري سنة 1816م<sup>4</sup>.

وتوضح الرسالة التي بعث بها "باش داي" تونس بأزمير إلى حمودة باشا في سنة 1227هـ/1812م، أن الباب العالي قد سعى لوضع حد للحرب المستمرة بين الإيالتين،

<sup>1</sup> A. Devoulx, Tachrifat, Op.cit, p. 17

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le Registre Des Primes,R. A., Vol. N° 16..., Op. cit, p. 156

<sup>3</sup> M.Oscar Gay, Op.cit, pp.51-52

<sup>4</sup> ينظر ألبير دوفال، المصدر السابق، ص. 86، 98

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

يخبره فيها أن القبطان باشا "خسرو محمد باشا" قد طلب منه التوجه إلى الأستانة وسأله عن سبب استمرار الحرب وعن عدم توقيع الصلح بين البلدين، وهدد بطرد تجارهم ورفض هداياهم وملاحقة سفنهم إذا لم يستجيبا للأمر الهمايوني الذي أصدره السلطان، وهذا نصه: « إن الحضرة السلطانية قد اهتمت بمصالحة الوجاقات وتأمير بتهيئة سفينة وبتعيين رجلٍ فصيحٍ من معتبري الترسانة العامرة كي يصل إلى تلك الجهة ويمحو ما هو موجود من المنافسة بين الوجاقات ويصالحهم وإن أحد خالف خطي الهمايوني هذه المرة أيضا فإن ضيائات (كذا) ذلك الوجاق وتجاره وهداياه لا تقبل ولا تعتبر من جانب دولتي العلية كما أن سفنه إذا خرجت للسير والسفر تعاد وترد من حيث أتت فيعلموا كيدا أنه إذا لم يطيعوا خطي الهمايوني هذه المرة يحق عليهم غضبي الملوكاني (كذا) بلا شك<sup>1</sup> . »

وذكرت نفس الرسالة، أنه خلال عام 1812م كان الأسطول الجزائري قد توجه لمهاجمة جزيرة جربة، غير أن الجزيرة تمت مهاجمتها في السنة السابقة كما ذكرنا سابقا، وفي تاريخ الرسالة أي سنة 1812م، كان أسطول الجزائر قد خرج إلى مرسى حلق الوادي، وقد أمر القبطان دريا "خسرو محمد باشا" المفوض "عمر آغا" وأكد عليه بأن يتقرب من قادة تلك السفن ويتحدث معهم لوقف الحرب، ويقول لهم إنه يحمل معه أمراً من السلطان العثماني، ويجب عليهم أن يتمهلوا إلى أن يتصل بباشاواتهم في تونس والجزائر ثم بعد ذلك لهم أن يتحاربوا أو يتصالحوا<sup>2</sup>.

وبالرغم من الجهود التي بذلها الباب العالي لوقف الحرب بين البلدين إلا أن حكام الجزائر وتونس واصلوا القتال ولم يستجيبوا لأوامر السلطان ولم يأبها لتهديداته. وحسب الزهار فإن باشا الجزائر أمر بتجهيز ستة عشر مركبا وعددا آخر من القاذفات بقيادة الرئيس حميدو فتوجه لمرسى حلق الوادي، مما أحدث هلعا كبيرا بمدينة تونس<sup>3</sup>، ووقعت معركة

<sup>1</sup> أ.و.ت، الصندوق 223، ملف 384، رسالة رقم 163، وهي تعريب رسالة تركية من مفوض الإيالة التونسية بأزمير محمد عربود إلى حمودة باشا باي تونس، بتاريخ 7 جمادى الأولى 1227هـ (18 ماي 1812م)، وهي ترجمة حرفية من التركية إلى العربية 1812م حول التدخل العثماني في النزاع بين الجزائر وتونس ومحاولة إنهاء الخلاف بينهما. ولمزيد من المعلومات ينظر سورة الرسالة بالملحق رقم (21)

<sup>2</sup> أ.و.ت. الصندوق، 223، الملف، 384، رسالة رقم، 163، المصدر السابق.

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 107.



بحرية بالقرب من حلق الوادي في 23 جويلية سنة 1812م<sup>1</sup>، ألحق فيها الأسطول التونسي تحت قيادة الوزير "يوسف صاحب الطابع" أضرارا بالسفن الجزائرية وأجبرهم على العودة<sup>2</sup>.

وقد عثرنا على رسالة في الأرشيف الوطني التونسي، هي عبارة عن أمر لم يذكر فيه اسم المرسل موجهة إلى قادة السفن التونسية، ونرجح أنها من حمودة باشا أصدرها بعد معركة جربة والهجمات التي شنها عليه الأسطول الجزائري بقيادة الرئيس حميدو، وحملت الرسالة أمرا إلى قادة السفن بالخروج إلى عرض البحر والبحث عن السفن الجزائرية والاستيلاء عليها سواء كانت تجارية أو حربية، وأما السفن الأوربية فمنعهم من الاقتراب منها ما عدا تلك التي تحمل أسلحة وذخائر موجهة للجزائر<sup>3</sup>.

### 1-3 ثورة أبو كابوس وعلاقتها مع باي تونس:

بعد هزيمة السفن الجزائرية في حلق الوادي قرر الحاج علي باشا الانتقام من حكام تونس وعدم الاستجابة لأوامر السلطان العثماني الذي يدعو إلى الصلح، فأصدر أوامره للبايات الثلاث بحشد جيوشهم وتوحيد محال البلاد وتجهيز عمارة بحرية لمحاربة تونس في عام 1813م، ولكن باي الغرب محمد بن عثمان الملقب "أبو كابوس" (1808-1813م)، ثار في وهران وأمر بقتل كل الأتراك فقبض عليه أعوان مخزنه وسلموه لعمر آغا فقتله ونكّل به<sup>4</sup>، وهكذا لم تخرج محلة البر للمرة الثانية<sup>5</sup> بسبب التمردات الداخلية. وحسب حمدان خوجة فإن تمرد أبو كابوس إنما يعود إلى انتمائه "الإثيني" إذ اتهمه الداوي الحاج علي باشا (1809-1814م) على أنه كرغلي<sup>6</sup>: « كتب إليه الحاج علي

<sup>1</sup> الموافق ل13 رجب 1227هـ.

<sup>2</sup> كان الأسطول التونسي يتكون من مائة وخمسة وسبعين مركبا من نوع "الشواني" يحمل كل واحد مدفع أو مدفعين. محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص. 137/ أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 58.

<sup>3</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223، الملف، 384، الرسالة رقم 154، وهي عبارة عن أمر إلى قادة السفن من دون تاريخ كما لم يذكر اسم المرسل، ويبدو أنه مسؤول كبير في الدولة وعلى الأرجح حمودة باشا تونس.

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 107.

<sup>5</sup> المرة الأولى كانت في عهد أحمد طوبال باي قسنطينة أنظر أعلاه.

<sup>6</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 172.

باشا داي قائلاً: إنك كرجلي وباي تونس كرجلي فأنت إذن لا تريد أن تلحق الضرر بأخيك إنك تفضل عصياني على أن تحاربه».

غير أن بعض المصادر تطرقت إلى مسألة تمرد أبو كابوس على السلطة المركزية، فمثلاً يذكر مسلم بن عبد القادر<sup>1</sup>: «وقد تظاهر أبو كابوس على الخروج على ديوان أهل الجزائر والدخول في ديوان مولاي سليمان سلطان المغرب، وتحويل البيعة إليه». وهي نفس الرواية تقريباً التي أوردها يوسف الزياني، والآغا المزاري<sup>2</sup>. ويعزز هذه الروايات ما جاء في بعض الوثائق الإسبانية التي ترجمها ونشرها مولاي بلحميسي في مقاله الموسوم "بالثورة على الأتراك في الجزائر"، التي تشير إلى أن أبو كابوس قد طلب من القنصل الإسباني بوهران أن تمده إسبانيا بالسلاح، مدعياً أنه يلقي تأييداً من طرف كثير من القبائل ومن بعض أعضاء مخزنه، وذكر أنه "على كلمة واحدة"<sup>3</sup>، مع سلطان المغرب، مما يبين أن هذا الباي كان يطمح للاستيلاء على السلطة وتحويلها من سلطة أتراك إلى سلطة كراغلة، أي أن ثورته فيما يبدو تستهدف تحقيق الانقلاب السياسي والعسكري.

إضافة إلى ذلك يحتفظ الأرشيف الوطني التونسي برسالة وجهها سلطان المغرب المولى سليمان إلى حمودة باشا بتونس خلال أحداث الثورة يحرضه فيها على غزو الجزائر، ويتهم حاكمها بالخروج عن الدين قائلاً: «وأنه خرج في الحقيقة عن الدين وأحكامه وفي الظاهر عن طاعة سلطانه». وأخبره أيضاً أنه راسل باي وهران وبيّن له ما يحرم عليه من التعرض إلى سفك دماء المسلمين، وأوصاه بعدم طاعة مخلوق في معصية الخالق وعدم الخروج لمحاربتكم في تونس، وكتب إليه أيضاً أن الباي أبو كابوس قد طلب منه في المقابل بل وألح عليه مساعدته عسكرياً ضد والي الجزائر، وفي الأخير طلب المولى سليمان من حمودة باشا مهاجمة الجزائر من جهة الشرق والاستيلاء على قسنطينة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 103، 104

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 231 / الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 336

<sup>3</sup> مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص. 46

<sup>4</sup> أ.و.ت، صندوق 223، الملف، 384، رسالة رقم 157، من المولى سليمان سلطان المغرب إلى حمودة باشا باي تونس، بتاريخ 18 جمادى الأولى 1228هـ (18 ماي 1813م). ولمزيد من المعلومات أوردنا صورة عن الرسالة بالملحق رقم

أراد السلطان المغربي من خلال هذه الرسالة الهجوم على بايلك الغرب الجزائري بمساعدة حاكمها أبو كابوس، في حين يشن حمودة باشا حملته على بايلك قسنطينة؛ ليشغل الداي في الدفاع عن الشرق وتثبيت قواته العسكرية وبالتالي يمكنه إحراز النصر مع الباي في الغرب. غير أن حمودة لم يوجه أية حملة على قسنطينة، ولا ندري ما هو السبب في ذلك هل هو امتثاله لأوامر السلطان أو هناك أسباب أخرى<sup>1</sup>. هذا، وتبين لنا هذه الرسالة الدور الكبير الذي لعبه المولى سليمان في ثورة الباي أبو كابوس وكيف كان يوجه ويخطط لها، مما يدل على أنها لم تأت فجأة دون إعداد أو تدبير كما تشير لها المصادر المحلية<sup>2</sup>. وتوضح الرسالتان اللتان أوردهما مولاي بلحميسي في مقاله السابق الذكر، رقم (2) و(3) أن هذه الثورة "كانت ضد الظلم الذي يمارسه الحكام العثمانيون على العرب". وهدفها هو تحقيق الاستقلال عن حكم الأتراك بمساعدة إسبانيا وبريطانيا، وتحدثت رسالة أخرى في نفس المقال، عن هجومات الثوار على جنود الأتراك في وهران، معسكر، مستغانم، وتلمسان وقتل ثلاثمائة وخمسين (350) جندياً<sup>3</sup>. وبالرغم من أن عمر آغا قد نجح في القبض على زعيم هذه الثورة وسجنه إلا أن الأعضاء البارزين في ثورته قد تمكنوا من الفرار إلى الحدود المغربية، كما واصل عدد كبير من أنصاره العرب مقاومة جنود عمر آغا<sup>4</sup>.

وعلى أية حال فقد كانت هذه الثورة السبب في عدم خروج الحملة البرية ضد تونس لأن إخمادها دام فترة طويلة إذ انطلقت في أول ماي واستمرت بعد 19 جوان 1813م<sup>5</sup>، وليس صبيحة واحدة كما ذكرت المصادر<sup>6</sup>. ومن خلال الوثائق الأرشيفية نستنتج أن ثورة أبو كابوس كانت لها أبعاد دولية مغربية وأوربية وفجرتها السياسة الداخلية

<sup>1</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 59

<sup>2</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 104

<sup>3</sup> مولاي بلحميسي، رسالة رقم 7، المرجع السابق، ص. 41، 45

<sup>4</sup> مولاي بلحميسي، المرجع نفسه، ص. 45-46

<sup>5</sup> مولاي بلحميسي، المرجع نفسه، ص. 50

<sup>6</sup> مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص. 104/ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 107/ محمد بن يوسف

الزياني، المصدر السابق، ص. 231

للأتراك، وأطماع الباي أبو كابوس الشخصية في الوصول إلى الحكم، ولحسن حظ سلطة الجزائر أنها تمكنت من القضاء عليها قبل أن يمتد لهيبها إلى باقي أنحاء البلاد. وبعد القضاء على ثورة الباي أبو كابوس خرجت عمارة بحرية بقيادة وكيل الحرج لإخضاع السلطة التونسية، وكان الأسطول يتكون من أربعة وستين مركبا وكان الرئيس حميدو على فرقاطته مريضا، واتفق رياس البحر والجنود الجزائريين سرا وتعاهدوا من وراء وكيل الحرج على أن لا يقاتلوا التونسيين إلا على مرأى قائدهم وكيل الحرج، وأخبروا الرئيس حميدو بذلك ولما دخلوا مرسى حلق الوادي وجدوا مائة من اللنجور في انتظارهم، وما أن بدأت المعركة حتى تراجع المراكب الجزائرية إلى الوراء، فأصبحت فرقاطة القبطان ووكيل الحرج، فخرج الرئيس حميدو إلى أصحاب اللنجور وأمرهم بالدفاع عن أنفسهم فاستطاعوا رد ضربات العدو. وفي اليوم الموالي أمر وكيل الحرج بالرجوع إلى الجزائر<sup>1</sup>.

### 1-4 مفاوضات السلام:

بعد تلك الواقعة البحرية ظلت العلاقات مقطوعة بين الإيالتين، فقرر السلطان العثماني التدخل مرة أخرى في المسألة محاولا وقف المعارك المستمرة بين البلدين وتقديم تسوية نهائية لها، حيث جرت مفاوضات بين ممثل الجزائر وممثل تونس ووزراء الباب العالي في استانبول من أجل الوصول لعقد صلح دائم، وحسب رسالة أحمد قبطان المورالي ممثل تونس باستانبول التي بعثها إلى حسين خوجة باش مملوك بتونس بتاريخ 11 ذي القعدة 1231هـ (2 نوفمبر 1816م)<sup>2</sup>، فإن الباب العالي كان في صف الجزائر وطالب تونس بمواصلة دفع ضريبة الزيت السنوية محل النزاع على حسب العادة القديمة، حيث قال: «وظهر لنا أن الباشا مايل إليهم... فذكر لي (القبطان باشا) عادة الزيت وقال لي هي عادة لا يمكن تبطيلها.» وبعد أخذ ورد اتفقوا بأن تدفع تونس بدلا من ذلك مبلغا من المال قدره خمسة وستون ألف قرش للباب العالي<sup>3</sup>. وألغوا ضريبة الزيت السنوية سبب النزاع، ولكن السلام لم يدم لأكثر من سنتين.

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 108

<sup>2</sup> أ.و.ت، الصندوق، 221، الملف 354، الرسالة رقم 3، أحمد قبطان المورالي ممثل تونس باستانبول إلى حسين خوجة باش مملوك بتونس بتاريخ 11 ذي القعدة 1231هـ (2 أكتوبر 1816م).

<sup>3</sup> أ.و.ت، الصندوق، 221، الملف 354، الرسالة رقم 3، المصدر السابق.

وبدأت مفاوضات جديدة بين مبعوثين جزائريين توجهوا إلى تونس، وهو الموضوع الذي أشارت إليه الرسالة التي بعثها سعد بن ضيف الله الكلاعي إلى حسين خوجة بتاريخ 11 ذي الحجة من سنة 1233هـ (11 أكتوبر 1818م) حيث يقول: «وأعلمكم أن أهل الجزائر الذين قدموا لأجل الصلح كساهم سيدي نصره الله وأحسن إليهم غاية الإحسان.<sup>1</sup>» وهذه المفاوضات الجديدة لم تصل إلى نتيجة مرضية ولم يتم إبرام الصلح النهائي بين البلدين، وعادت العلاقات بينهما من جديد إلى التوتر والتأزم.

وكانت القبائل الحدودية دائمة التحرش ببعضها البعض، ومن تلك الاعتداءات نذكر ما احتوت عليه رسالة أعيان تبسة إلى إبراهيم باي قسنطينة (1819-1820م) بدون تاريخ، والتي يخبرونه فيها بما قامت به قبيلة الزغالمة التونسية ضدهم، حيث حاصرتهم ليلاً ونهاراً وضيقت عليهم، ونهبت أموالهم وقتلت الكثير منهم وقالوا له: "إن لم تعجلوا فخلفكم الله في البلد وأهلها ونحن لا طاقة لنا على دفع مضرة هؤلاء"، كما طلبوا منه التدخل مع جيش الجزائر المنصور لنجدتهم ورفع الغبن عنهم.<sup>2</sup>

ويُحَمَل ابن أبي الضياف الجانب الجزائري نقض صلح سنة 1816م، لأن رياس البحر الجزائريين قد استولوا على مراكب تجارية تونسية في رمضان سنة 1235هـ الموافق لـ (جوان \_ جويلية 1820م)، غير أن الوثيقة التي ذكرناها أعلاه،<sup>3</sup> تبين أن هناك مفاوضات جديدة للصلح في سنة 1818م، مما يدل على أن النقض كان خلال تلك السنة أو قبلها وليس كما قال المؤرخ أنه نكث في سنة 1820م.<sup>4</sup>

وحسب "روسو" (Rousseau) فإنه في شهر مارس 1820م قام باي قسنطينة بغارة على القبائل الحدودية التونسية واستولى على قطعان من الغنائم وأخذ معها الرهائن وعاد إلى قسنطينة، وعلى الفور استعد محمود باشا باي تونس للحرب وأرسل قواته إلى الحدود خوفاً من حملة شاملة على تونس، ولكن عسكر الجزائر اكتف بتلك الغارة الخاطفة وعاد

<sup>1</sup> أ.و.ت، الصندوق، 221، الملف 354، الرسالة رقم 2، من ضيف الله الكلاعي، لم تحدد الرسالة منصب المرسل ولا مكانه واكتفى بذكر المرسل إليه حسن خوجة باش مملوك بتونس، بتاريخ 11 ذي الحجة 1233هـ (12 أكتوبر 1818م).

<sup>2</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223، الملف، 384، الرسالة رقم 15، من أعيان تبسة إلى إبراهيم باي قسنطينة من دون تاريخ.

<sup>3</sup> أ.و.ت، الصندوق، 221، الملف، 354، الرسالة رقم، 2، من ضيف الله الكلاعي، حسن خوجة باش مملوك بتونس،

بتاريخ 11 ذي الحجة 1233هـ (12 أكتوبر 1818م).

<sup>4</sup> أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 134

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

إلى قسنطينة<sup>1</sup>. وهناك تقرير مفصل من زعماء القبائل الحدودية التونسية من منطقة الكاف وما جاورها رفعوه على أغلب الظن إلى باشا تونس، يوجد بالأرشيف الوطني التونسي يعود تاريخه إلى أواسط جمادى الثانية عام 1236هـ (15-25 مارس 1821م)، يتحدث عن غارة قام بها أهل الجزائر على القبائل التونسية القاطنة على الحدود الشرقية، ولا ندري هل هي نفس الغارة التي يتحدث عنها "روسو" أم أنها غارة أخرى، وسنحاول أن نلخص أهم النقاط التي تعرض لها<sup>2</sup>:

كتب التقرير من طرف ثمانية شيوخ للقبائل التي تعرضت للغارات فتقدموا إلى قاضي مدينة الكاف وكاهية المدينة وشرحوا لهما ماذا حدث، وما تم نهبه وقتله بالأرقام ووضعوا أختامهم على التقرير، وكانت جملتها:

4368 قتيلا، وسلبت 42050 من الإبل، 254700 من الغنم، 269 من الخيل  
50800 بقرة، 7000 من الماعز، 2342 بغال، 2370 من الحمير المكاحل 200،  
الدرهم بالسكة التونسية 241250 ريال، ومن الطعام 21130 قفيزا.

وقد شارك في هذه الغزوة باي قسنطينة وجنوده، وعرش أولاد ذياب، شيخ الحنانشة، وعرش المحائلة، وشيخ الحراكطة، وشيخ أولاد علي بن يحيى، عرش النمامشة، شيخ قرفة، عرش صدراتة من أعراش الجزائر وأغاروا على القبائل التونسية على حين غفلة تاركين وراءهم الخسائر المذكورة أعلاه<sup>3</sup>، وهي بلا شك خسائر مفعجة في الأرواح والممتلكات إذا كانت تعبر عن الواقع.

ومن جانب آخر سجل دفتر الغنائم "لدوفو" أنه تم احتجاز حمولة ثلاث سفن تونسية بقيمة 174 95 ريال (131213.25 فرنك)، في منتصف ذو القعدة 1235هـ (14 أوت 1820م)<sup>4</sup>. وجاء كذلك في الرسالة التي بعثها وكيل تونس بالإسكندرية إلى خزندار

<sup>1</sup> A.ROUSSEAU, Annales Tunisiennes ou aperçu historique sur la Régence de Tunis, Libraire-éditeur, Bastide, Alger, 1864, p. 339

<sup>2</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223، ملف، 1/ 384، وثيقة رقم 41، وهو تقرير مفصل يتكون من خمس صفحات حول غارة عسكر الجزائر وبعض قبائل الشرق على القبائل التونسية في منطقة الكاف وما جاورها في أواسط جمادى الثانية 1236هـ (15-25 مارس 1821م) وأغلب الظن أنه موجه إلى حسين باشا باي تونس. ولمزيد من المعلومات أوردنا صورة للصفحة الأولى من التقرير بالملحق رقم (23).

<sup>3</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223، الملف 1/ 384، الوثيقة، رقم 41، المصدر السابق.

<sup>4</sup> A. Devoulx, Le registre des primes. Vol., N° 16, Op.cit, p.295

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

تونس في نهاية سنة 1820م<sup>1</sup>، أن رياس البحر الجزائريين قد استولوا على سفينة تونسية تحمل بضائع لتجار مصريين وبعد تدخل محمد علي والي مصر أفرجوا عن السفينة ولكنهم احتفظوا بحمولتها. ونعقد أنها واحدة من السفن الثلاث التي سجلها دفتر الغنائم.

وقد احتج محمود باي باشا تونس (1814-1824م) على هذه الاعتداءات البحرية والبرية من الجزائريين بعدة رسائل وجهها إلى والي الجزائر حسين باشا حينذاك، ورد عليه باشا الجزائر أنه يريد عقد الصلح معه على شرط أدائه لضريبة الزيت كما كانت تدفع للجزائر على عهد علي باشا<sup>2</sup>، ولكن سلطات تونس رفضت هذا الشرط، وكتب إليه أبو عبد الله حسين باي ابن محمود باشا يقول: « أنه يرغب في الصلح المأمور به شرعا ولاكن (كذا) لا على شرط يؤديه المسلم كجزية، وهذا الزيت الذي طلب اشتراط أدائه قد وقعت لأجله الحروب الشديدة والوقايح (كذا) العديدة وإن لم يحضرها الباشا بنفسه فقد سمع بها ثم أنه تُرك، ولم يبق له ذكر واصطاح المسلمون وصاروا وجقا واحدا»<sup>3</sup>.

ومن جانبه أرسل باي تونس المبعوث أحمد قبطان المورالي إلى الباب العالي وهناك اجتمع مع القبطان باشا مبعوث الجزائر، واتفقوا بعد نقاش طويل على أن يتم الصلح بين تونس والجزائر بإسقاط ضريبة الزيت، وأن تدفع تونس بدلها خمسة وستون ألف ريال إلى الترسانة (درا صناعة السفن) بإسطنبول، وتقدم أيضا للباب العالي هدية كل ثلاث سنوات، وتم الاتفاق على هذه الشروط<sup>4</sup>. وما نلاحظه حول هذه الشروط أنها هي نفسها شروط الصلح لسنة 1816م لم تتغير، بالاستثناء هدية الباب العالي.

<sup>1</sup> أ.و.ت، الصندوق، 231 مكرر، الملف، 433، رسالة رقم 67، من وكيل تونس بالإسكندرية إلى خزندار تونس في 15 ربيع الأول 1236هـ (20 ديسمبر 1820م). لمزيد من المعلومات عن الصلح النهائي بين البلدين ينظر صورة عن الوثيقة بالملحق رقم (24)، وكذلك إعادة كتابة الوثيقة.

<sup>2</sup> على باشا بوضبع (1756-1766م)

<sup>3</sup> أ.و.ت، الصندوق، 220 مكرر، الملف، 349، الوثيقة 19، الصفحة، ص. 8، نص حول الصلح بين الجزائر وتونس عام 1236هـ (1820-1821م).

<sup>4</sup> أ.و.ت، الصندوق، 220 مكرر، الملف، 349، الوثيقة 19، الصفحة، ص. 8، المصدر السابق

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

وقد توجه شاوش القبطان باشا من اسطنبول مصحوبا بممثل الجزائر إلى تونس وأبرما الصلح بين البلدين<sup>1</sup>. وحسب "روسو" فإنهم وصلوا إلى تونس في بداية شهر جانفي 1821 واجتمعوا مع محمود باشا في قصر باردو<sup>2</sup>، وأوجب على الجزائر تعويض كل ما أخذ من التونسيين، وأبرم الاتفاق النهائي بتاريخ منتصف جمادي الثانية 1236هـ (20 مارس 1821م)، وأطلقت المدافع ابتهاجا بالحدث السعيد<sup>3</sup>.

ورغم الصلح المنعقد بين البلدين إلا أن المناوشات ظلت هي الطابع المميز للعلاقات بين القبائل الحدودية حتى نهاية الحكم العثماني بالجزائر، كما تشير إلى ذلك الرسالة التي بعثها محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا باي تونس في 9 ربيع الثاني 1241هـ/20 نوفمبر 1825م، يخبره فيها أن قبيلة "الهمامة" التونسية قد اعتدت على دوارين من غريب التباسة (تبسة)، وقتلوا منهم عشرين رجلا وأخذوا آخر رهينة بعد أن نهبوا ماله وداره، وطالبه برد حقوق قبيلة غريب التباسة كاملة وبخصوص القتلى فقد ترك له حرية التصرف وأخذ القرار المناسب<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى غارات قبائل الحدود على بعضها البعض، ظهرت مشكلة جديدة نهاية العهد العثماني بالجزائر بين الإيالتين ووترت العلاقات بينهما، وهي فرار الجنود من الجزائر عبر تونس وطرابلس إلى الشرق مما سبب نقصا وخللا في عدد جنود الإنكشارية بالجزائر، ولم يتأخر الداوي حسين بسبب هذا الموضوع أن يكتب إلى حسين باي (1824-1835م) باشا تونس وطالب منه العمل بالقوانين السابقة التي تقضي بضرورة القبض على الجنود الفارين وإعادتهم إلى الجزائر على يد وكلائها بتونس، وأخبره أيضا أن الباب العالي قد أصدر فرمانا، ونسخة أمر من الصدر الأعظم وناظر البحرية يمنع هروب هؤلاء الفارين

<sup>1</sup> أ.و.ت، الصندوق، 220 مكرر، الملف، 349، الوثيقة 19، الصفحة، ص. 8، المصدر نفسه

<sup>2</sup> A.ROUSSEAU, Op.cit, p.342

<sup>3</sup> أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص. 134

<sup>4</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223 مكرر، الملف، 384. رسالة 62، من محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا باي تونس في 9 ربيع الثاني 1241هـ/20 نوفمبر 1825م



والقاء القبض عليهم عند وصولهم إلى تونس وتسليمهم إلى وكلاء الجزائر هناك ليرجعوهم إلى الجزائر.<sup>1</sup>

وعلى أية حال فقد استمرت العلاقات الجزائرية التونسية متوترة بين البلدين بسبب الغارات المتبادلة بين القبائل الحدودية وتجاوز بعضها الآخر للحدود الفاصلة بين البلدين<sup>2</sup>، إلا أن تلك المشاكل كانت تحل بالطرق السلمية<sup>3</sup> ولم تصل إلى حد المواجهات العسكرية كما حدث في بداية القرن التاسع عشر.

### 2- العلاقات الجزائرية المغربية:

اتسمت العلاقات الجزائرية المغربية بالاستقرار والمهادنة، ولم يعرف البلدين مواجهات مسلحة برية ولا بحرية كالتى حدثت مع إيالة تونس على إثر وفاة محمد بن عثمان باشا، إلا أن العلاقات بينهما سادها الكثير من التوتر منذ بداية حكم المولى سليمان (1792-1822م)، ووفاته المولى محمد بن عبد الله سنة 1790م<sup>4</sup>، هذا الأخير كانت تجمعه علاقات طيبة مع آل عثمان، ويتبع سياسة حسن الجوار مع الجزائر وعدم التدخل في شؤون الآخر،

<sup>1</sup> أ.و.ت، الصندوق، 223 مكرر، الملف، 384. رسالة رقم 56، وهي تعريب لرسالة تركية من حسين باشا الجزائر إلى حسين باشا باي تونس بتاريخ 23 جمادى الثانية 1243هـ (10 جانفي 1828م). حول موضوع فرار جنود الانكشارية من الجزائر إلى تونس.

<sup>2</sup> أ.و.ت. وكمثال على ذلك الرسالة التي بعثها الحاج أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا باي تونس يطلب فيها إعادة الفارين من قبيلة العوادة الجزائرية وغيرها إلى الأراضي الجزائرية من التراب التونسي ويخبره أيضا عن تجاوز قبيلة ورغة التونسية الحدود وإقامتها في أراضي الحنانشة الجزائرية. لمزيد من المعلومات ينظر: الصندوق، 223 مكرر، الملف، 384. الرسالة رقم، 60، بتاريخ 24 رمضان 1242هـ (20 أفريل 1827م).

<sup>3</sup> أ.و.ت. بعد هذه التجاوزات لم يلجأ الحاج أحمد باي إلى استعمال القوة بل طلب حل القضية بالطرق السلمية، من طرف باشا تونس والذي استعان بأخيه مصطفى باي لإجابة بدلا منه، ويحافظ على السلام والهدوء الثمين بين البلدين فكتب له أن الإيالتين في حالة سلم وهدوء ولا تسعى أية واحدة إلى التعدي على الأخرى، وعلى كل حكومة إعادة الجنود الفارين إليها، وأضاف أنه سيتأكد من أن قبيلة "ورغة" الحدودية تجاوزت الحدود ولو بقدر شبرا واحد "فإننا نرجعها إلى حدها ونحكم فيها بماذا ظهر لنا"، الصندوق، 223 مكرر، الملف، 384. الرسالة رقم 55، من مصطفى باي لأخيه حسين باشا باي تونس في 19 رجب 1243هـ (4 فيفري 1828م).

<sup>4</sup> خلف السلطان المولى محمد بن عبد الله ابنه المولى يزيد سنة 1790 ولكن حكمه لم يدم طويلا إذ قتل سنة 1792م،

وخلفه أخوه المولى سليمان، ينظر: G. Faure-Biguet, Op.cit, p.399

واهتم كثيرا بتحرير أسرى المسلمين في بلاد النصارى ومن بينهم الأسرى الجزائريين بإسبانيا<sup>1</sup>.

حسب ابن سحنون الراشدي فإن الباي محمد الكبير كان يتبادل الهدايا الثمينة مع السلطان محمد بن عبد الله وابنه يزيد عندما أصبح سلطانا على المغرب (1790-1792م)، وحينما اختلف هذا الأخير مع إخوته فرّ سليمان ولي العهد إلى بايلك الغرب قاصدا الحجاز، ونزل على الباي محمد الكبير فأمر ابنه عثمان أن يقوم بضيافته كما يليق به، ثم بعث الباي يطلب الإذن من الداوي حسن باشا للسماح للأمير سليمان بالسفر إلى الحجار عبر تراب الإيالة لكن الداوي رفض فعاد إلى بلاده<sup>2</sup>.

ومع بداية حكم المولى سليمان (1792-1822م)، عرفت العلاقات الجزائرية المغربية منحى آخر، وكانت البداية حينما استغل محمد باي الكبير الأحوال الداخلية المضطربة بالمغرب وضم إلى حكمه مدينة وجدة وخضعت له وجمع ضرائبها<sup>3</sup>. وبعد أن تمكن المولى سليمان من القضاء على كل منافسيه في السلطة ووحد البلاد تحت حكمه<sup>4</sup>، وجه جيوشه وأمرهم أن يدخلوا إلى وجدة ويحصلوا الزكاة والعشور وعين عليها واليا جديدا، وطلب منهم محاربة الباي إن هو دافع عنها. ولما خرجت الجيوش من فاس متوجهة إلى وجدة، وبلغ الخبر للباي بعث لخليفته هناك وأمره أن يرحل فورا، وكتب للسلطان معتذرا "أنه عمرها بالعساكر لأجل تسريح السبل وقمع المفسدين ولما أشرف نوركم على أفقكم تركنا لكم ما هو لكم من قديم الزمان"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات حول العلاقات الجزائرية المغربية في عهد المولى محمد بن عبد الله، ينظر الفصل الثالث.

<sup>2</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص. 144.

<sup>3</sup> G . Faure-Biguet, Op. cit, p.401

<sup>4</sup> ويذكر أبو القاسم الزياني في جمهرة التيجان، أنه بعد موت المولى يزيد تفرق حكم البلاد بين المولى سليمان وباقي الأمراء إخوته إذ بايع أهل الحوز أخاه هشام الذي حاربه، وبايع أهل السواحل والجبال أخاه مسلمة، وبايع الجند وأهل فاس والبربر المولى سليمان بن محمد، فقام لحرب أخاه مسلمة إلى أن هزمه وفر إلى المشرق، وبويع الحسين أخاه بمراكش واستطاع في الأخير توحيد البلاد تحت سلطانه وأمن إخوته. لمزيد من التفاصيل ينظر، أبو القاسم أحمد الزياني، المصدر السابق، ص-ص. 113-114

<sup>5</sup> أبو القاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين...، المصدر السابق، ص. 97.

ومع أن المصادر المحلية حجبت عن ذكر هذا الحدث، كالمؤرخ ابن سحنون الراشدي<sup>1</sup>، إلا أن محمد الضعيف وأبو القاسم الزياني يؤكدان استيلاء محمد باي الكبير على وجدة، ولكن كليهما لم يذكر التاريخ الذي وقع فيه الضم بالتحديد، واكتفيا بذكر السنة التي استرجعها فيها المولى سليمان وهي عام 1210هـ (1795م)<sup>2</sup>. وحسب محمد الضعيف، أن عثمان بن محمد باي (1798-1800م) ندم بعد موت والده على خسارة وجدة وأراد استرجاعها بالقوة، فطلب المولى سليمان من قائده أن يقبض عليه إذا دخل إليها<sup>3</sup>.

وهكذا عادت وجدة نهائيا لسلطة المغرب وتحسنت العلاقات بين السلطان وباي وهران محمد باي الكبير وصارا يتبادلان الهدايا، وحسب "الضعيف" أن باي وهران أرسل "بعض الخيل" كهدية إلى المولى سليمان وقدم له السلطان في المقابل عددا مماثلا من خيل المغرب<sup>4</sup>.

إلا أن المولى سليمان لم يتوقف عن إثارة الفتن والتحريض على الثورات ضد الحكام العثمانيين ليعمل على إضعافهم والاستيلاء على مقاطعة الغرب، وهذا ما تثبتته الرسالة<sup>5</sup> التي أرسلها إلى حمودة باشا باي تونس حين طلب منه مهاجمة الناحية الشرقية والفوز بقسنطينة مقابل أن يهاجم هو الجهة الغربية بعدما ضمن إلى صفة الباي محمد بن عثمان (أبو كابوس) كما سبق ذكره.

وقبل ذلك كانت له أياد خفية في التحريض على ثورة درقاوة ضد الأتراك تلك الثورة التي يعتبرها المؤرخ الشيخ المهدي بوعبدلي من أخطر الثورات على إيالة الجزائر لأنها استنزفت قوات الجيش العثماني وجعلت الجزائر لقمة سائغة للاحتلال الفرنسي<sup>6</sup>، لطول مدتها واتساع رقعتها وكثرة خسائرها.

<sup>1</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص. 425-428

<sup>2</sup> محمد الضعيف الرياطي، المصدر السابق، ص. 303/ أبو القاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين...، المصدر السابق، ص. 97

<sup>3</sup> محمد الضعيف الرياطي، المصدر السابق، ص. 303

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص. 312

<sup>5</sup> ينظر صورة الرسالة بالملحق رقم (22)

<sup>6</sup> ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 39

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

وحسب أبو القاسم الزياني فإن باي وهران كان يشك بأن السلطان المغربي هو المرضع الأساسي لثورة الشريف الدرقاوي، وتأكد من ذلك عندما قدم شيخ الطريقة المولى محمد العربي إلى وهران وفشل في إيقاف تلك الثورة، ويذهب أحمد الناصري إلى أكثر من ذلك ويقول أن الشيخ محمد العربي الدرقاوي عندما قدم لفك الحصار عن وهران لم يأمر الشريف الدرقاوي بالتوقف عن حربه ضد الأتراك، بل لما التقى به واشتكى له هذا الأخير ما حلّ بالفقراء وسائر الرعية من ظلم الأتراك وتعسفهم وقتلهم وتشريدهم للناس، "فتوقف الشيخ عن مهمته، وربما صدر منه تقبيح لسياسة الأتراك"، "فازدادت العرب بذلك تظاهرا وتكالبا عليهم"، فاتهم باي وهران سلطان المغرب بأنه هو الذي يحرضهم، بعدما كان ينتظر حل الأزمة على يديه وعودة الأمن إلى مقاطعته<sup>1</sup>.

ويقدم أبو القاسم الزياني والناصرى رواية أخرى أكدت شكوك سلطات الجزائر حول تورط المولى سليمان في ثورة الدرقاوي وتتعلق بحصار الكراغلة بتلمسان من طرف الحضر خلال عام 1220هـ (1805م)، في حين تذهب المصادر المحلية إلى أن الحضر قاموا بحصار الكراغلة في تلمسان والتضييق عليهم إلى أن كادوا يموتون جوعا، والسبب يعود إلى العداة القديم والمتوارث من الأجداد إلى الأولاد، وقد تمكن الباي "المقلش" من حل النزاع بينهما ومصالحتهما بعدما شنت جيش الدرقاوي وبني عامر في معركة أولاد الزائر<sup>2</sup>. بينما تذهب المصادر المغربية إلى أنه بعد فك الحصار عن وهران زحف الدرقاوي وأتباعه من العرب إلى تلمسان فنزلوا بها وحاصروا الأتراك والكراغلة "بالمشور" ونواحيه<sup>3</sup>، وكان سكان تلمسان العرب خصوصا وقبائلها عموما لهم ولاء للمولى سليمان لنسبه الشريف ولما اشتهر به من العدل والرحمة، فلما دخل الدرقاوي وأتباعه إلى تلمسان،

<sup>1</sup> أحمد الناصري، الأستقصا، ج8، المصدر السابق، ص. 110

<sup>2</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص. 87-92/ محمد يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. 219-221/ الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 318-322.

<sup>3</sup> كانت مدينة تلمسان أواخر العهد العثماني تسكنها ثلاثة فئات اجتماعية كبرى هي: الأتراك والكراغلة، اليهود، الحضر، وكانت تسكن الفئة الأولى في الجهة الجنوبية من المدينة وتوجد بها قلعة "المشور" ويقطن اليهود في وسط المدينة. أما الشمال الشرقي فقد كان خاص بالحضر، وكان الكراغلة من الطبقة التي تمتلك أكبر الامتيازات ويشغلون إما كجنود أو كمزارعين كبار ويمتلكون في فحص المدينة القسم الأكبر من المنازل والبساتين ويستأجرون الأهالي لزراعة أراضيهم، وكان عددهم بتلمسان أواخر العهد العثماني 4000 نسمة وأما الأتراك فلا يتجاوز عددهم المائة (100) نسمة ينظر:

Marcel Emerit, Op. cit, p.24

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

اتفقوا مع سكانها من الحضرة على الثورة على الأتراك ومبايعة السلطان المولى سليمان، حينئذ أخذ ابن الشريف الدرقاوي البيعة منهم لسلطان المغرب وخطب باسمه على منابر تلمسان، وبعث إليه وفدا يحمل هدية من سكانها، كما اتفق معهم على حرب الكراغلة بالقصبة فحاصروهم وضيقوا عليهم، فلم يبق لباي وهران وأعيان مخزنه عندئذ شك في أن تلك الثورة بأمر من سلطان المغرب، فكتبوا إلى باشا الجزائر يخبرونه بما حدث<sup>1</sup>.

ومهما يكن فقد انطلق وفد تلمسان باتجاه المغرب يحمل الهدايا الثمينة إلى سلطانها، وتركوا وراءهم المعارك متواصلة بقيادة الدرقاوي ضد الكراغلة بتلمسان، فأخبروه أنهم قدموا إليه لينقذهم مما هم فيه من "غبين وشدة وطأة الترك عليهم"<sup>2</sup>. وحسب -محمد الضعيف-، فإن المولى سليمان استقبل وفد البيعة مع مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة وأقام الأفراح لذلك الخبر<sup>3</sup>.

ونتيجة لانتشار لهيب ثورة درقاوي ومحاصرة الكراغلة بتلمسان، كتب أحمد خوجة باشا الجزائر إلى المولى سليمان يطلب منه التدخل لإيقاف الثورة،<sup>4</sup> باعتباره المسؤول عنها وبيده الحل، وحسب أبو القاسم الزياني فإن السلطان أرسل وفد إلى تلمسان قام بمحاولة لوقف القتال بين العرب والأتراك ورفع الحصار عن الكراغلة، والقبض على الدرقاوي زعيم الثورة، واختار لهذه المهمة قائده "أبا السرور عياد بن أبي شفرة الودي"، وأعاد معه وفد تلمسان، ورسالة وهدية من المولى سليمان إلى باي وهران ليثبت حسن نيته ويبعد عنه الشكوك. وقد نجح القائد أبو السرور في مهمته وأوقف الحرب بين الحضرة والأتراك والكراغلة وسلم تلمسان إلى الباي وأصلح بينه وبين سكانها، ولكنه لم يقبض على الدرقاوي ورجع إلى بلاده<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين...، المصدر السابق، ص-ص. 100-101/ أحمد الناصري، الاستقصا، ج8، المصدر السابق، ص. 110

<sup>2</sup> أبو القاسم الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين...، المصدر السابق، ص. 102/ أحمد الناصري، الاستقصا، ج8، المصدر السابق، ص. 111

<sup>3</sup> محمد الضعيف الرياطي، المصدر السابق، ص. 339

<sup>4</sup> أحمد سنون الراشدي، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 45

<sup>5</sup> أبو القاسم الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين...، المصدر السابق، ص. 102/ أحمد الناصري، الاستقصا، ج8، المصدر السابق، ص. 111

والظاهر أن المولى سليمان غير من موقفه وتدخل في حرب تلمسان لمصلحة الحكام العثمانيين بعد أن كشف أمره، وأراد أن يبين لسلطات الجزائر أنه يعمل من أجل مصلحتهم ويحافظ على سياسته الخارجية المسالمة لهم.

وحسب "محمد بن مصطفى المشرفي" أن الأمور لم تستقر في تلمسان وضواحيها لباي وهران لأن جلّ سكانها قد فضلوا الهجرة إلى المغرب والاستقرار هناك هرباً من المجاعة التي ضربت كامل البلاد خلال أعوام (1805-1808م)، بالإضافة إلى معاناتهم من سياسة الأتراك، وقد طالب باي وهران السلطان بعودة أهل تلمسان والعرب لبلادهم، ولكنهم رفضوا، خاصة بعد أن أمن لهم السلطان مساعدات مالية شهرية، وقالوا: «نذهب للنصارى في برهم ولا نعود لطاعة الترك»، واستمر السلطان يطلب منهم الرجوع لكنهم فضلوا البقاء بالمغرب إلى غاية زوال الجفاف وعودة الخصب<sup>1</sup>. وإذا صحت هذه الرواية، فمن الراجح أن سكان تلمسان والقبائل العربية قد تكون هاجرت هرباً من ثورة الدرقاوي وفضلت الاستقرار بالمغرب إلى أن تم القضاء عليها وعاد الأمن إلى المنطقة كقبيلة بني عامر ومهاجر اللتان هاجرتا وتركتا أراضيها خوفاً من انتقام البايك لأنها كانت إلى صف الدرقاوي كما سبق ذكره.

والخلاصة حول السياسة الخارجية للمولى سليمان اتجاه الجزائر أنه اتبع سياسة تبدو ظاهرياً مسالمة لسلطات الجزائر العثمانيين، ولكنه في الخفاء كان يلجأ إلى التحريض وإثارة أصحاب الطرق الدينية سرا، ويدعم الثورات ويخطط لها أيضاً كما فعل في ثورة أبو كابوس عام 1813م، وإذا ما انكشف أمره يسارع إلى تقديم المساعدات والهدايا الثمينة لحكام الجزائر حتى يحافظ على العلاقات الودية بين البلدين، كما فعل في حصار الكراغلة بتلمسان. وبالرغم من ذلك فقد أظهر تضامناً كبيراً مع الجزائر عندما احترق أسطولها في حملة اكسموث سنة 1816م، فحسب الزهّار أن عمر باشا أرسل السيد الحاج محمد قاضي الحنفية إلى المولى سليمان يطلب مساعدته لتجديد الأسطول الجزائري "فأكرم الرسول وبعث له مركبين من نوع كريبط وبلاندره، وأعطاه أموالاً وأمره بتسليمها للمجاهدين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن مصطفى المشرفي، الحل البهية...، المصدر السابق، ص. 55.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 127.

وقبل وفاة المولى سليمان عهد لابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام بالحكم وبعث به إلى فاس وكانت وفاته عقب ذلك في 26 ربيع الأول من عام 1238هـ (12 ديسمبر 1822م)، وعقب ذلك تمت مبايعته مباشرة<sup>1</sup>.

### ثانيا: العلاقات الجزائرية مع الباب العالي:

قبل كل شيء لا بد من الإشارة إلى أن أوضاع الدولة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر كانت أوضاعا في منتهى الفساد والانحطاط خاصة المؤسسة العسكرية، وبالأخص الجيش البري "الانكشاري"، حيث كان لا يعرف الانضباط ويعيد عن النظام العسكري الحديث ولا يهتم الدفاع عن أراضيه بقدر ما يهتم التدخل في السياسة وجمع المال، وكانت هزائمه المتوالية دليل على ضعفه وتفككه، مما جعل الدول الأوربية تطمع في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، كما أن سلطة الباب العالي وهيبة السلطان في إيالات الدولة قد ضعفت، وخاصة في الإيالات المغربية، فكانوا ينتقدون أوامر الباب العالي ويتمردون على قرارات السلطان إلا فيما يتماشى مع مصالحهم<sup>2</sup>. وهذا ما نلتمسه في سياسة الداوي مصطفى باشا (1798-1805م) إزاء أوامر الباب العالي أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م فما هي الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا الموقف؟.

### 1- الحملة الفرنسية على مصر وأثرها على العلاقات الجزائرية العثمانية:

قبل أن نتعرف على موقف الجزائر من الحملة الفرنسية على مصر ينبغي الإشارة أولا إلى علاقة الجزائر بفرنسا في تلك الفترة كيف كانت؟  
خلال العهد العثماني كانت الجزائر مستقلة في علاقاتها الخارجية بالدول الأوربية وترتبط معهم باتفاقيات ومعاهدات مختلفة، وخاصة فرنسا التي أبرمت معها عدة معاهدات منذ القرن السادس عشر يمكن تصنيفها إلى مجموعتين وهما: معاهدات السلم والتجارة، والمعاهدات المتعلقة بأنظمة الامتياز بالشرق الجزائري<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الناصري، الاستقصا، ج9، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص4.

<sup>2</sup> يلماز أوزوتونا، المرجع السابق، ص. 648

<sup>3</sup> علي تابليت، معاهدات الجزائر مع بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، ج1، دار ثالة، الجزائر، 2013، ص

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

إضافة إلى ذلك كانت فرنسا مدينة للجزائر بملايين الفرنكات نتيجة تزويدها بالحبوب والغذاء من طرف شركة باكري- بوشناق اليهودية واقتراضها المال من خزينة الدولة خلال الثورة الفرنسية وحروبها ضد الدول الأوربية (1793-1797م)<sup>1</sup>، وهذه الديون ستكون لها عواقب وخيمة فيما بعد على العلاقات الجزائرية الفرنسية وهي أهم الأسباب التي أدت إلى الاحتلال.

وبمجرد أن تولى مصطفى باشا الحكم في ماي 1798م، طالب الحكومة الفرنسية بتسديد ديونها وتعويض حمولة سفينة دنماركية ملكا لعائلة بكري كان قد احتجزها قراصنة فرنسيون وصادروها، لأنه كان يمتلك فيها حصة أيضا، لكنه لم يتلق أي رد على رسائله وكذلك على رسائل الخزنجي إلى حكومة الإدارة للجمهورية الفرنسية<sup>2</sup>.

هكذا كانت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجزائر وفرنسا متينة ومتداخلة، وتقتضي مصلحة سلطات الجزائر التريث في أخذ القرار المناسب حتى لا تضيق عليها أموالها وحقوقها، كما أن إطلاق نابليون<sup>3</sup> للأسرى المسلمين بمالطا وإرسالهم إلى بلدانهم<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> تذكر بعض رسائل حسن داي الجزائر إلى حكومة الإدارة الفرنسية أن كميات كبيرة من القمح التي تم تصديرها إلى مرسيليا من طرف عائلة بكري ومبالغ مالية هائلة اقترضها الداي إلى فرنسا، ينظر أوجين بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ج3، ترجمة وتحقيق، جبك إلياس، سلامنية بن داود، دار الوعي، الجزائر، ص 78-108، سنأتي إلى قضية الديون بالتفصيل في حينه.

<sup>2</sup> بعثت سلطات الجزائر عدة رسائل إلى حكومة الإدارة الرسالة الأولى بخصوص الديون وإعادة حمولة السفينة من الداي مصطفى خلال شهر جوان 1798م، والرسالة الثانية كانت من الجزنجي إلى المواطن "تاليران" وزير العلاقات الخارجية في 17 سبتمبر من نفس السنة، والتي ذكره فيها بنفس الموضوع، والرسالة الثالثة في نفس الشهر والسنة إلى الوزير "تاليران" كذلك حول نفس الموضوع وفي 13 أكتوبر من نفس العام، ينظر أوجين بلانتيت، المصدر السابق، ص-ص 143-161.

<sup>3</sup> ولد نابليون بوناپرت في 15 أوت عام 1769م بجزيرة كورسيكا، التحق بالمدرسة الحربية وتخصص في سلاح المدفعية تخرج منها سنة 1785م، اشتهر بتحريره لمدينة طولون من قبضة الانجليز، ثم عين قائدا عاما للجيش المحارب في إيطاليا سنة 1796م ضد الجيوش النمساوية وبعد أن هزمها عاد إلى باريس حيث كلف بفتح مصر ولما اتم مهمته فيها عاد الى باريس في سنة 1799م وعين رئيسا للحكومة (قنصل)، في 18 ماي سنة 1804م نودي به إمبراطورا على فرنسا باسم نابليون الأول، وقاد حروبا ضد جيوش أوربا فهزمها التي تحالفت عليه، وانهمز أخيرا سنة 1814م ونفي إلى جزيرة ألب التي لم يلبث أن عاد منها ونزل بجنوب فرنسا في 13 مارس 1815م فاجتمعت عليه الدول الأوربية وهزمته في واقعة "واترلو" ببلاد البلجيك في 18 جويلية 1815، ونفي مرة أخرى إلى جزيرة سانت "هيلانة" بإفريقيا التابعة لإنجلترا وظل بها إلى أن توفي في 5 ماي 1821م ودفن بها ثم نقل جثمانه إلى باريس سنة 1840م، فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص.372.



وقضائه على "فرسان القديس يوحنا" كان له وقع طيب ليس فقط لدى سلطات الجزائر بل في كامل بلدان المغرب وتيقنوا أن فرنسا لا تتوي محاربتهم أو الاعتداء عليهم.

وقد طالب الباب العالي من والي الجزائر إعلان الحرب على فرنسا والقبض على قنصلها وجميع رعاياها وسجنهم<sup>2</sup>، من خلال فرمان أرسله بتاريخ 10 أكتوبر 1798<sup>3</sup>، وأن يرسل سفنه إلى عرض البحر الأبيض المتوسط لمحاربة العدو. وأخبره أن الدولة العلية قد تحالفت مع الأسطول البريطاني لمحاصرة العدو الفرنسي ومنع سفنه من الخروج إلى أن يضعف، وسيعاقبه أشد العقاب وعليه المشاركة في هذه الحرب. ولم ينس أن يذكره مع كل أمر بالبطولات التي أظهرها أجداده في حروبهم مع الباب العالي<sup>4</sup>، غير أن سلطات الجزائر التزمت الصمت حيال هذا فرمان.

كما أرسل الباب العالي أيضا إلى إيالتي تونس وطرابلس يطلب منهما إعلان الحرب على فرنسا وقد كان باشا طرابلس أكثر استجابة لأوامر السلطان حيث سجن الفرنسيين الموجودين بإيالته، أما باي تونس حمودة باشا فقد صرح للقنصل الفرنسي هناك "دوفواز" قائلا: «أنه مجرد انقطاع ولا يقلق الرعايا الفرنسيون الذين سنغلق عليهم في فندق تحت حراسة الجنود الانكشارية»<sup>5</sup>.

وقبل نهاية السنة حمل مفوض ساميا فرمانا ثانيا من السلطان العثماني إلى مصطفى باشا وصل به إلى مدينة الجزائر في 21 ديسمبر من نفس السنة. وبعد التهديد القوي من المبعوث العثماني لداي الجزائر والخزناجي، قبض على القنصل "مالتيدو" والقس البابوي وعمال القنصلية وأرسلوا إلى السجن في صباح نفس اليوم<sup>6</sup>. كما تم تهديم منشآت

<sup>1</sup> A. Berbrugger, La Régence d'Alger sous le consulat et l'empire in R.A., vol. N°19, 1872, éd. A. Jourdan, Alger, p.18-19

<sup>2</sup> وكان الباب العالي قد قام بإجراءات مماثلة حيث قبض على السفير الفرنسي بإسطنبول وعمال السفارة وسجنوا وكل الفرنسيين المقيمين بالأراضي العثمانية وصودرت ممتلكاتهم،

Juchereau (B.D), D. Denys, Histoire de l'empire Ottoman depuis 1752 jusqu'en 1844, T. II, Imp.de Guiraudet. Paris, 1844, p.80 .

<sup>3</sup> A. Berbrugger, Op. cit., p. 331

<sup>4</sup> ألبير دوفال، المصدر السابق، ص-ص. 34-32

<sup>5</sup> Henri Garrot, Op. cit, p.606.

<sup>6</sup> A. Berbrugger, Op. cit, p.331, 332

الوكالة الإفريقية الفرنسية بالقالة، وسجن عمالها الثمانية والتسعين<sup>1</sup>، واستطاع رياس البحر الجزائريين أسر سفينتين فرنسيتين<sup>2</sup>.

ولم تتأخر حكومة الإدارة الفرنسية باتخاذ إجراءات مماثلة في حق الجزائريين المقيمين بفرنسا، وسارعت بالحجز على أموالهم، وزجت باليهوديين يعقوب بكري وأبو قاية في سجن الأعمال الشاقة<sup>3</sup>.

و بمجرد مغادرة المبعوث العثماني الذي ظل بمدينة الجزائر ثلاثين يوما أقدم الداى مصطفى على عمل جلب له المتاعب مع الباب العالي فيما بعد. حين قام بإطلاق سراح القنصل الفرنسي في 2 فيفري 1799م وكبار الموظفين وأعاد لهم ممتلكاتهم، ولم يظل بالسجن سوى عمال الوكالات التجارية بالشرق وهم أيضا تمكن اليهودي بوشناق من إطلاق سراحهم بعد مدة قصيرة<sup>4</sup>.

وكان الباب العالي غير مطمئن لما يحدث في إيالات المغرب الثالث وخاصة الجزائر، لذلك كتب "يوسف باشا" الصدر الأعظم رسالة إلى الداى مصطفى باشا بتاريخ 11 شوال 1213 هـ (17 مارس 1799م)، جمعت بين أسلوب الترغيب والتهديد، حيث طلب منه إرسال السفن والجنود والانضمام لأسطول الباب العالي لمحاربة فرنسا وأداء فريضة الجهاد من أجل إنقاذ مصر، وهدده ببيع خان الجزائر لتجنيد المتطوعين بأزمير، ومن جهة أخرى حاول أن يكسب تأييده، فجدد له الولاية وأرسل له الخلعة السلطانية، ثم أخبره بالإنجازات التي حققتها الدولة العلية من أجل إحراز النصر على فرنسا فأعلمه بفتح جزيرة "كورفو"<sup>5</sup> الفرنسية بمساعدة الروس، وبتحالف الأسطول الانجليزي مع الدولة العثمانية لمحاصرة الفرنسيين بمصر وقطع الإمدادات عنها. ومن ناحية البر قال أنه سيرسل جيشا من "الشام" وصيدا" لمحاصرة العدو، ولم ينس أن يذكره في كل مرة بأمجاد أجداده وحسن

<sup>1</sup> L. Péchot, Op. cit, p.114

<sup>2</sup> ألبير دوفال، المصدر السابق، ص.31

<sup>3</sup> أوجين بلانتيت، المصدر السابق، هامش المحقق رقم، 847، ص.166

<sup>4</sup> A. Berbrugger, Op. cit, p.404

<sup>5</sup> تقع جزيرة "كورفو" في البحر الأدرياتيكي قبالة الساحل الغربي اليوناني وهي إحدى الجزر الأيونية التي تسمى الجزر السبع، وكانت تابعة للبيندقية تنازلت عنها هي وباقي الجزر السبع لفرنسا بموجب اتفاقية "كامبو فورميو"، -Compo (Formio) في 17 أكتوبر 1797م، مقابل السلام. ينظر، خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص.383، وأوجين بلانتيت، المصدر السابق، ص.135

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

سيرتهم وطاعتهم لأوامر السلاطين العثمانيين قائلا: «أن ساير جناب أيالتكم موصوفون بالغيرة والشجاعة وكمال الديانة والدراية وبالجملة اتصاف حمية أسلافكم بزيادة الجاه وكمال الطاعة ومزيد صلابة»<sup>1</sup>.

وفي ظل هذه الظروف التي كانت تنبئ بعودة العلاقات الجزائرية الفرنسية وصل فرمان آخر إلى الجزائر في 7 جويلية 1799م يحمله مفوض من الباب العالي أمر فيه داي الجزائر بالقبض على كل الفرنسيين ونقلهم إلى فرنسا وإرسال السفن الجزائرية إلى سواحل فرنسا لقطع طريق الإمدادات الغذائية عن الجيش الفرنسي بمصر، وحجز كل السفن الفرنسية التي يلتقون بها وأسر ركابها. وأوصاهم أيضا بإطلاق الأسرى اليونانيين الذين تم احتجازهم مع سفنهم التجارية، ودفع التعويضات المالية اللازمة عن حمولة السفن التي تمت مصادرتها وبيعها<sup>2</sup>.

أطلقت سلطات الجزائر سراح 380 أسير من اليونانيين أبحروا مع المفوض العثماني، ولكنها رفضت دفع التعويضات المالية التي طلبها الباب العالي لصالح اليونان، ومقدارها 3 ملايين بياستر قوي، واعتبرتها كبيرة جدا لا يمكنها دفعها، وطردت المفوض العثماني؛ وهو القرار الذي أحدث أزمة في العلاقات بينها وبين الباب العالي وصلت إلى حد القطيعة<sup>3</sup>.

استفادت فرنسا من هذه الأزمة التي نشأت بين الجزائر والباب العالي، حيث رفض مصطفى باشا تطبيق أوامر القبودان دريا "حسين باشا" التي وصلت إليه في رسالة بتاريخ 15 شوال 1214هـ (11 مارس 1800م) تأمره بإعلان الحرب على فرنسا إلى جانب الباب العالي وعدم اعتراض السفن الإنجليزية والصقلية في البحر الأبيض المتوسط<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الرسالة رقم، 62، رسالة من الصدر الأعظم يوسف باشا إلى مصطفى باشا في 11 شوال 1213هـ (17 مارس 1799م).

<sup>2</sup> A. Berbrugger, Op. cit, p. 411

<sup>3</sup> A. Berbrugger, La Régence d'Alger sous le consulat et l'Empire, in. R.A., vol. N°19, 1872, éd, A. Jourdan, Alger, p.2,3

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، رسالة رقم، 63، من قبودان باشا إلى مصطفى باشا بتاريخ 15 شوال 1214هـ / 11 مارس 1800م.

وبالرغم من الأوامر المشددة من الباب العالي لسلطات الجزائر من أجل إعلان الحرب على فرنسا إلا أن مصطفى باشا لم يمثل لها واستقبل القنصل الفرنسي الجديد "دبوا تنفيل" الذي أرسله القنصل الأول للجمهورية الفرنسية "تابليون بونابرت" إلى الجزائر خفية<sup>1</sup>. ومهما يكن من أمر فقد وصل القنصل الفرنسي الجديد إلى الجزائر في 13 جويلية 1800م بعدما واجه الكثير من الصعوبات في طريقه، وحمل معه رسالة إلى مصطفى باشا من "تابليون" يطلب فيها إعادة العلاقات بين البلدين، وقد نجح في عقد هدنة غير محدودة الأجل في 18 جويلية من نفس السنة، وفي 30 سبتمبر تم إمضاء معاهدة سلم نهائية من طرف ديوان الجزائر والقنصل "دبوا تنفيل"، ثم أطلقت السلطات الفرنسية سراح اليهوديين يعقوب بكري وأبو قاية<sup>2</sup>. وهكذا عادت العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين البلدين.

والظاهر أن سلطات الجزائر لم تكن تقدر خطورة ما أقدمت عليه، وردة فعل الباب العالي كيف ستكون، فبعد مرور شهرين على توقيع تلك المعاهدة، وبالضبط في 21 جمادى الأولى 1215هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 1800م وصلت سفارة مصطفى باشا إلى اسطنبول تحمل هدية السلطان كما جرت العادة على ظهر سفينة أمريكية "جورج واشنطن"، حملها 131 شخصا (السفير وكبار الموظفين)، وكانت الهدية تتكون من 100 امرأة زنجية، أربعة أحصنة، 150 خروفا، 25 ثورا، أربعة أسود، أربعة نمور، أربعة ضباء، اثني عشرة ببغاء وعدد من النعام وبلغت قيمتها الإجمالية حوالي مليون دولار<sup>3</sup>.

غير أن السلطان رفض أن يستقبل تلك البعثة ولم يقبل الهدية، ولم يسمح حتى لأعضاء البعثة بالخروج من مقر إقامتهم وأعطى قائد البعثة "يوسف حاجي" وكيل الحرج مهلة شهرين ليتصل خلالها بالجزائر ويخبر مصطفى باشا أن الباب العالي رفض استقبال البعثة وقبول هديته، ما لم يتم بإلغاء الصلح مع فرنسا ويعلن الحرب عليها، وإطلاق سراح الأسرى البريطانيين والنمساويين واليونانيين بالجزائر، وأن يعرضهم كذلك عن الخسائر التي

<sup>1</sup> وصل "دبواتنفيل" في 13 جويلية إلى مدينة الجزائر عن طريق مبروكة بعد أن استطاع النجاة من أيدي حاكم ماهون أين

كانت توجد فرقاطة انجليزية، ينظر : Berbrugger, La Régence d'Alger sous le consulat et l'empire, in

.R.A., vol. N°16, 1872, éd, A. Jourdan, Alger, p.11

<sup>2</sup> Henri Garrot, Op. cit, p.607

<sup>3</sup> G.W., Allen, Our Navy and the Barbary Corsairs. Gardner W. Allen, The voyage of The George Washington to Constantinople, The Riverside Press, 1905, pp.78-80

لحققتهم من جراء احتجاز سفنهم ومصادرة بضائعهم، وكما هددته بمنع التجنيد في الأناضول<sup>1</sup>. وقام رجال الباب العالي بمصادرة أموال التجار هناك وأخرجوهم من محلاتهم ووضعوا الأختام على أبوابها<sup>2</sup>.

اضطر المبعوث الجزائري أن يبقى في اسطنبول مع الهدية وطلب من قبطان السفينة أن يرجع بسرعة برسالة السلطان إلى داي الجزائر، وعند مغادرة السفينة قدم القبطان باشا إلى ريان السفينة الأمريكية رسالة تضمن له الحماية في كل الموانئ العثمانية ومعها فرمان إلى الداوي. وصلت السفينة الأمريكية إلى الجزائر في 21 جانفي 1801 وسلم القبطان رسالة السلطان إلى الداوي مصطفى. وفي اليوم الموالي أعلن الداوي الحرب على فرنسا وأطلق سراح 400 أسيرا من البندقية ومالطة وصقيلة كانوا قد أسروا تحت جوازات سفر بريطانية ونمساوية.

وكان فرمان الموجه إلى مصطفى باشا شديد اللهجة، حيث عاتبه فيه على عدم طاعة أوامره السابقة وعلى إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وامتناعه عن مهاجمة سفنهم واعتداءات رياس البحر الجزائريين المتكررة على رعايا الباب العالي، وتموين العدو الفرنسي بالمواد الغذائية في ميناء ابن غازي بطرابلس، وأكثر من ذلك هو إقدام الجزائر على عقد معاهدة سلم مع فرنسا وقال: «إن ما تقومون به لا يقبله السلطان ولا الشرع». وهدده أنه إذا لم يبلغ المعاهدة ويعلن الحرب ضد فرنسا فإنه سيتخذ ضده الإجراءات التالية<sup>3</sup>:

- منع التجنيد من الولايات العثمانية.
  - القبض على السفن الجزائرية في كل الموانئ العثمانية.
  - طرد كل الوكلاء الجزائريين من الدولة العثمانية.
  - منع السفن الجزائرية من الملاحة.
- وبالرغم من كل هذه التهديدات من السلطان العثماني إلا أن سلطات الجزائر لم تعلن الحرب على فرنسا، وكل ما قامت به هو تجميد للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين في حين ظلت العلاقات التجارية مستمرة ولم يتأثر التجار الفرنسيون بأي حال من الأحوال بهذا

<sup>1</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي...، المرجع السابق، ص. 162

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 72

<sup>3</sup> ألبير دوفال، المصدر السابق، ص ص. 36-41

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

الإجراء الدبلوماسي<sup>1</sup>، وكما قام الداي بترحيل الرعايا الفرنسيين بالجزائر مع القنصل "دبواتفيل" إلى مدينة أليكانتا الإسبانية وكان عددهم 140 فرنسيا<sup>2</sup>، حملتهم نفس السفينة الأمريكية<sup>3</sup>. وقد كتب الداي مصطفى رسالة إلى القنصل الأول "تابليون بونايرت" شرح فيها الأسباب التي دفعته للقيام بهذه الإجراءات ضد الحكومة والرعايا الفرنسيين، وأخبره أنه اضطر لطرد القنصل الفرنسي من الجزائر وقطع العلاقات مع الجمهورية الفرنسية طاعة للسلطان فقط، و" لو لم تكن طاعة السلطان واجبة لما لحقكم إن شاء الله منا عدوان ولا ضرر"، وفي الأخير طمأنه أن هذه الخلاف لن يدوم طويلا<sup>4</sup>.

إثر إعلان الجزائر الحرب على فرنسا عادت العلاقات بين الجزائر والباب العالي إلى الاستقرار من جديد؛ حيث استلم السلطان العثماني هدية مصطفى باشا، وأثقل بدوره سفينة وكيل الحرج يوسف حاجي بالهدايا التي وصلت إلى الجزائر في 22 شوال 1215هـ (15 مارس 1801م) وكانت تتكون من: خمسين مدفعا من النحاس، ستة هاوونات، أربعون عمودا حديديا، ألف مجذاف شباك، ألف مجذاف للزوارق، ألف وخمسمائة قنطار من البارود ألف ومائتي من قذيفة ثلاثمائة قنطار تبغ خمسمائة قنطار زفت خمسمائة قنطار ملح البارود ومائة قنطار من أسلاك الحديد وثلاث عشرة من كرات المدافع<sup>5</sup>.

وقد دامت القطيعة بين الجزائر وفرنسا أقل من سنة، وبعد جلاء الفرنسيين من مصر في (10 جمادى الأولى 1216هـ الموافق لـ 18 سبتمبر 1801م)، وأبرامهم للصلح مع الدولة العثمانية في نوفمبر 1801م، أمضت فرنسا مع الجزائر معاهدة سلم في 28 ديسمبر

<sup>1</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص. 235.

<sup>2</sup> Henri Garrot, Op.cit, p.609

<sup>3</sup> Allen, G.W., Op.cit, p.86

<sup>4</sup> أوجين بلانتيت، المصدر السابق، ص. 173، 175.

<sup>5</sup> A. Berbrugger, La Régence d'Alger sous le consulat., vol. N°19, Op. cit, p.122

<sup>6</sup> عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة، الكابتن، أ.ج. سعد ج. مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص. 107.

من نفس السنة، احتوت على أربعة عشر بنداً أكدت جميعها على المعاهدات السابقة بين الطرفين<sup>1</sup>.

كانت الحملة الفرنسية على مصر دلالة على عدم التكافؤ في العلاقات الأوربية الغربية والدولة العثمانية، والإيالات التابعة لها (العالم الإسلامي)، وكذلك على صعود القوة الفرنسية والإنجليزية وبداية لتقويض أملاك الدولة العثمانية في شمال إفريقيا، كما كشفت أيضاً عن تلاشي قوتها أمام العالم الغربي وضمحلل نفوذ السلطان العثماني في البلاد المغاربية وخاصة في الجزائر التي أمضت مع فرنسا معاهدة سلم وصدقة غير مهمة بالحرب العثمانية الفرنسية، وقررت الوقوف على الحياد ربما لأنها اعتبرت أن الحرب دائرة بين فرنسا وبريطانيا وليست مع الباب العالي كما زعم ذلك "نابليون". ولم تتمكن الدولة العثمانية من فرض سلطتها على داي الجزائر ليقطع علاقاته مع فرنسا إلا بعد التهديد والوعيد، كما أن استعادة مصر لم تتم إلا بفضل التحالف الأوربي مع الباب العالي والذي كانت مصلحته في خروج فرنسا من مصر.

هذا، وقد سار دايات الجزائر الذين جاءوا بعد مصطفى باشا على نفس سياسته إزاء الباب العالي بل تضاعف عصيانهم، حيث كان رياس البحر الجزائريين يحتجزون سفن الدول الأوربية الصديقة أو التابعة للدولة العثمانية<sup>2</sup>، مما جعل الباب العالي في عهد الحاج علي باشا (1809-1814م) يستاء للأمر ويحجز على فندق بأزمير كانت الإيالة قد أنشأته من أجل تجنيد المتطوعين<sup>3</sup>.

ولم يقتصر عصيان السلطان العثماني على حكام الجزائر بل تعداه إلى بايات تونس، وقد ظهر ذلك في الحروب المتواصلة بين الإيالتين منذ بداية القرن التاسع عشر، حيث لم تحقق مساعي الباب العالي أية نتيجة تذكر لإيقاف الحرب وتوقيع الصلح بالرغم من إرسال الفرمانات والمفوضين إلى الإيالتين، واستمرت المعارك الدامية التي راح ضحيتها الآلاف

<sup>1</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر...، المرجع السابق، ص. 212

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 28، وهي فرمان من السلطان مصطفى إلى باشا الجزائر من دون تاريخ، أمره فيها بالإفراج عن سفينة روسية استولى عليها رياس البحر الجزائريين في البحر المتوسط على الرغم من أن قباطنتها يحملون معهم رخصة مرور من الباب العالي، راجع كذلك الوثيقة رقم 21 من نفس المجموعة ونفس الملف.

<sup>3</sup> ألبير دوفال، المصدر السابق، ص. 52.

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

من الجنود والسكان المسلمين. وبالرغم من تدخل السلطان العثماني وإرساله مفاوضا مع خط همايوني فيه الكثير من التهديدات لوقف الحرب سنة 1227هـ (1812م) إلا أن ذلك لم يجد نفعا واستمرت الحرب بين البلدين إلى غاية سنة 1821م أين تم الصلح النهائي<sup>1</sup>.

### 2- تطور العلاقات إثر مؤتمر فيينا (1814-1815م):

على إثر هزيمة "واترلوا" في 18 جوان 1815م، والتي أطاحت بنابليون بوناپرت إلى الأبد قرر النواب الأوروبيون المجتمعون في مؤتمر فيينا بالنمسا إعادة رسم الخريطة السياسية الأوروبية<sup>2</sup>، وفرض قوانين جديدة في البحر الأبيض المتوسط تقضي بتكوين حلف عسكري بحري أوروبي يرغم إيالات المغرب وخاصة الجزائر على وقف استرقاق المسيحيين وفرض الضريبة على الدول الأوروبية مقابل سلامة تجارتها البحرية<sup>3</sup>.

والراجح أن الظروف الدولية الأوروبية الجديدة كانت تقف وراء السياسة التي اتبعتها عمر باشا، فمنذ وصوله إلى حكم الجزائر خلال سنة 1815م (1232هـ)، سعى لتوطيد علاقاته مع الدولة العثمانية مخالفا للسياسة التي سار عليها الدايات السابقين<sup>4</sup>. ويتضح ذلك من خلال السفارة التي أرسلها إلى استانبول بمناسبة توليه الحكم تحمل هدية قيمة تتكون من التحف والجواهر والعبيد والخيول العتاق والحيوانات المفترسة إضافة إلى الألبسة والأغطية المصنوعة بالجزائر<sup>5</sup>، من أجل كسب رضا وتأيد السلطان

<sup>1</sup> ينظر، العلاقات الجزائرية التونسية أعلاه.

<sup>2</sup> عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص. 309.

<sup>3</sup> D.G.T. Raynal, Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique septentrionale, T1, éd. Amble Coste, Paris, 1826, pp. 132-135.

<sup>4</sup> ونقصد بذلك كل مصطفى الخزناجي داي (1212-1220هـ/1798-1805م)، أحمد خوجة (1220-1223هـ/1805-1808م) علي باشا (1224هـ/1808-1809م)، الحاج علي باشا (1224-1230هـ/1809-1814م)، محمد الخزناجي باشا (1230هـ/1814م)، لمزيد من المعلومات عن مدة حكم هؤلاء الدايات وأهم انجازاتهم ينظر، الفصل الخامس.

<sup>5</sup> ولمزيد من التفاصيل عن هدية عمر باشا وقيمتها ينظر: خليفة حماش، العلاقات الجزائرية مع الباب العالي...، المرجع السابق، ص ص. 152-155.



وزرائه، وقد قال عنها الزهّار: «هذه الهدية التي بعث بها هذا الأمير لم يقدم مثلها أمير قبله ولا أمير بعده»<sup>1</sup>.

وقد رحب الباب العالي بالسفارة الجزائرية المعبرة عن إخلاص الإيالة<sup>2</sup>، وأرسل محمود الثاني (1808-1839م) فرمان التولية لعمر باشا، وذكره بالأخطاء التي ارتكبها الدايات السابقون: وتتعلق خاصة بالاعتداءات على السفن الصديقة أو التابعة للدولة العثمانية وحجز حمولتها وأسر رعاياها. وهدده بوقف تجنيد المتطوعين من الأناضول، وطلب منه إطلاق سراح أسرى تلك الدول، وأوصاه بالطاعة وعدم مخالفة أوامره في المستقبل<sup>3</sup>.

وقد استجاب عمر باشا لكل أوامر السلطان من أجل إعادة العلاقات الودية مع الباب العالي وكسب دعمه ومساعدته عند الحاجة، ووعده أن رياس البحر الجزائريين لن يتعرضوا لسفن الدول الصديقة للباب العالي، كما أنه أطلق سراح بعض الأسرى الأوربيين وأعاد سفينة، ولكنه اعتذر عن دفع التعويضات المالية لأن الخزينة كانت تعاني من عجز مالي، واغتتم الفرصة وطلب منه إرسال الجنود المتطوعين لسد النقص في صفوف الانكشارية<sup>4</sup>.

وخلال صيف 1816م علم عمر باشا بتحركات أساطيل الدول الأوربية في البحر المتوسط ضد الجزائر فأخبر السلطان العثماني أنها تريد الاعتداء على الجزائر بلا شك، وطلب منه الأسلحة لتقوية الجيش والجنود وشرح له أن سبب هذا النقص هي الحروب الدرقاوية في شرق وغرب البلاد والتي قضت على الكثير من الجنود<sup>5</sup>، واستجاب السلطان لطلب عمر باشا، وأصدر فرمانا إلى سلطات أزمير في أواخر شعبان 1231 (16-24 جويلية 1816م)، قال فيه: "إن قرصان إيالة الجزائر كانوا يأسرون سفن رعايا الدولة العليا بركابها وأموالها ولذلك صدر منا "خط شريف" (أمر) من الباب العالي ومنعنا عنهم تجنيد

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 121

<sup>2</sup> ألبير دوقال، المصدر السابق، ص. 53.

<sup>3</sup> عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص. 602-603.

<sup>4</sup> كتب عمر باشا رسالة إلى السلطان محمود الثاني بتاريخ 5 جمادى الآخر 1230 هـ الموافق ل16 ماي 1815م. ينظر،

عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 246-247.

<sup>5</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه، ص. 250.

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

الجيش من أزميز وسواحلها، وبعد توقف قرصان الجزائر عن جرائمهم السابقة نغفو عنهم ونقدم لهم مساعدة تجنيد الجيش"<sup>1</sup>.

وكان الباب العالي على علم بالتحركات الأوربية ضد إيالة الجزائر، فقام بإرسال سفارة برئاسة القبطان "حسين باشا" يحذر عمر باشا ويطلب منه أخذ الحيطة والحذر والاستعداد لمواجهة الأعداء في أية لحظة<sup>2</sup>.

لم يمض وقت طويل على تحذيرات الباب العالي حتى قادت إنجلترا وهولندا حملة عنيفة على الجزائر لم يسبق لها مثيل، راح ضحيتها عدد كبير من الجند واحترق فيها الأسطول الجزائري برمته وتحطم جزءاً كبيراً من تحصينات المدينة ومبانيها<sup>3</sup>. بعد ذلك مباشرة أرسل عمر باشا مبعوثاً من الجزائر في السفينة الوحيدة،<sup>4</sup> التي نجت من الحريق مع تقارير حول الحملة إلى السلطان، وطلب منه مساعدات عسكرية مستعجلة<sup>5</sup>، فأصدر السلطان أمراً بتقديم قطع من السفن ومساعدات أخرى إلى الحاج حافظ داي أوجاق الجزائر مبعوث عمر باشا، وكتب له فرماناً أوصاه فيه بالالتزام بطاعة السلطان والامتثال لأوامره<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، ملف 1، وثيقة رقم، 29، وهي فرمان من السلطان محمود الثاني إلى عمر باشا في أواخر شعبان 1231هـ (16-24 جويلية 1816م)، وهو منشور في كتاب سامح عزيز التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص.600

<sup>2</sup> Abdeljelil TEMIMI, Document inédits sur le bombardement d'Alger en 1816, in. R.O.MM. N° 05, Paris, 1968, p. 116

<sup>3</sup> جاء في تقرير رفعه قائد ميناء الجزائر إلى اسطنبول حول الحملة في تاريخ 25 ذي القعدة 1231هـ (17 ديسمبر 1816م)، أنه بتاريخ 3 شوال من نفس السنة ظهر أمام ميناء الجزائر الأسطول الإنجليزي والهولندي يتألف من ثلاثين إلى أربعين سفينة، وكانوا قد دخلوا إلى الميناء رافعين علماً أبيضاً وسلموا رسالة إلى حكومة الداى وطلبوا وان يكون الرد في خلال ساعة لا أكثر مع إطلاق الأسرى المسيحي إلا أن الداى قرر الاجتماع ورفض الطلب، وأما الإنجليز فقد استعملوا الحيلة واستفادوا من ساعة الانتظار فدخلوا الميناء وشرعوا في إطلاق القنابل والقذائف على القلاع والحصون وردت عليها دفاعات مدينة الجزائر بكل قوة واستمرت المعركة من الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل وفي الغد أرغم الداى على عقد الصلح وإطلاق سراح ألف وخمسمائة أسير مسيحي واحترق الأسطول الجزائري برمته وقسم من المدينة أصابه الضرر، لذلك اغتتم الفرصة وطلب من السلطان تزويدهم بالأسلحة والبارود الأسود وبالسفن ذات الحمولة الصغيرة. عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص-ص.257-258

<sup>4</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه، ص. 258

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 127

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، فرمان رقم، 30، من السلطان محمود الثاني إلى عمر باشا في أواسط شهر ربيع الأول 1232هـ ( 28 جانفي- 7 فيفري 1817م)، حول تسليم المساعدات العسكرية لمبعوث الداى "الحاج حافظ".

وقد فصل أحمد الشريف الزهار تلك المساعدات كما يلي: ثلاثة مراكب من نوع فرقاطة وزوج من نوع كرابت ومدافع آلات حربية رجعوا بها إلى الجزائر<sup>1</sup>.

### 3- تطور العلاقات إثر مؤتمر "اكس لا شيبيل" (Aix La chapelle):

اعتقدت الدول الأوروبية أن الجزائر لن تقوم لها قائمة بعد الضربة القوية التي تلقتها من انجلترا وأن رياستها لن يلاحقوا السفن الأوروبية من جديد في حوض البحر المتوسط، لكن بفضل المساعدات التي قدمها الباب العالي وطرابلس والمغرب<sup>2</sup> للجزائر لم تتوقف حركة السفن الجزائرية في البحر إلا لمدة ثلاثة أشهر، وابتداء من نهاية شهر نوفمبر أفلعت ست سفن جزائرية للجهد في عرض البحر<sup>3</sup>.

وهكذا رجعت الأمور إلى ما كانت عليه قبل حملة "إكسموث" 1816م، واتضح لبريطانيا أن جهودها السياسية والعسكرية باءت بالفشل فقررت إدراج قضية الإيالات المغربية في جدول أعمال مؤتمر "اكس لا شيبيل" الذي انعقد في 30 سبتمبر من عام 1818م، بألمانيا وقد صدر عنه قراران ضد الجزائر: يقضي الأول بأن تتوقف الإيالات المغربية الثلاث حالا عن ممارسة "القرصنة" ضد السفن الأوروبية والثاني إلغاء عبودية المسيحيين الأوربيين، وقد أمضى ممثلو كل من انجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا مع الدوق "ريشليو" (Richelieu) المفوض الفرنسي ميثاق المؤتمر في 20 نوفمبر 1818 الذي عهد إلى فرنسا وانجلترا تبليغ الإيالات المغربية (الجزائر، تونس، طرابلس) بقرارات المؤتمر، حيث أن أي تعدي على السفن التجارية للدول الأوروبية المتعاقدة يؤدي إلى الحرب فورا من قبل القوى المتحالفة<sup>4</sup>.

إلا أن الدول الأوروبية في هذه المرة أيضا لم تصل إلى أية نتيجة مع الداوي حسين، الذي رفض رفضا قاطعا في اجتماعه مع المبعوثين الانجليزي نائبا الأميرال،

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 127

<sup>2</sup> قدم ملك المغرب المولى سليمان إلى مبعوث الجزائر مركبين من نوع "كريبط"، و"بلاندره" أما باشا طرابلس فقد بعث بلاكرة إعانة للجزائر، أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص. 127.

<sup>3</sup> Abdeljelil TEMIMI, Op.cit, p. 117

<sup>4</sup> Henri Garrott, Op.cit, p. 640

(Freemantle) واللواء الفرنسي، (J. De La Gravière)<sup>1</sup> بمدينة الجزائر في 5 سبتمبر من عام 1819م تقديم تعهد كتابي لهما يمنع ممارسة بلاده للقرصنة في المستقبل وصرح أنه يحترم تعهداته والتزاماته مع جميع الدول التي ارتبط معها بمعاهدة صلح أما باقي الدول الأخرى فهي دول معادية لبلاده<sup>2</sup>، وأضاف أنه لن يتنازل عن حقه في تفتيش السفن الأوربية لأنه حق مشروع<sup>3</sup>.

لم يعترف السلطان العثماني بمؤتمر "أكس لاشبيل" ولا بقراراته، واعتبر أن تحالف الدول الأوربية ضد إيالات المغرب يعتبر عدوان مباشر على الدولة العثمانية وتدخل في شؤونها الداخلية وخاصة أن أكبر تلك الدول الأوربية المشاركة في المؤتمر (فرنسا، إنجلترا، روسيا) ترتبط مع الإيالات الثلاث بمعاهدات سلم وصدقة، والدول الأخرى (النمسا، روسيا) ترتبط رأساً مع الباب العالي بمعاهدات صدقة. والدولة العثمانية ملتزمة بدفع التعويضات في حالة الاعتداء عليها من طرف الإيالات المغربية<sup>4</sup>.

أدرك الباب العالي خطورة السياسة الأوربية الجديدة وفهم أن في تحالفها تهديدا لوجود الإيالات المغربية، التي تزعجها من حين لآخر وتفرض عليها إرادتها للمرور في حوض البحر الأبيض المتوسط بسلام، لذلك قرر إرسال الدعم العسكري إلى إيالة الجزائر ووجه الأوامر إلى دار الترسانة بتحضير العتاد الحربي، وإلى حكام الأقاليم في الأناضول بالسماح بتنظيم عمليات التجنيد، وفي أوائل نوفمبر من سنة 1819م نقلت سفينة دانماركية من الأستانة إلى مدينة الجزائر أجهزة عسكرية مختلفة خاصة بمعدات بناء السفن

<sup>1</sup> كلف المؤتمر نائب الأدميرال الانجليزي (Freemantle) واللواء الفرنسي، (J. De La Gravière) لإبلاغ القرارات والتوقيع عليها من طرف حكام الإيالات المغربية (الجزائر تونس طرابلس)، وكان قرار الداوي حسين بالفرض إلا أن باي تونس طرابلس وافقا عليها. ينظر

Henri Garrott, Op.cit, pp 640-641

<sup>2</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص. 262

<sup>3</sup> L. Péchot, Op.cit, p.131

<sup>4</sup> خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي...، المرجع السابق، ص. 221

وتجهيزاتها، كما أرسلت لها سفينة حربية ذات اثنتين وعشرين مدفعا وعلى متنها عددا من الجنود<sup>1</sup>، لدعم الأسطول الجزائري.

### 4- الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م):

كانت اليونان ولاية عثمانية إلى غاية العشرينات من القرن التاسع عشر<sup>2</sup>، وعلى إثر الضعف الذي أضحت عليه الدولة العثمانية وسلسلة الانهزامات التي تعرضت لها أمام روسيا، قرر اليونانيون بقيادة جمعية (Hétérie) إعلان الثورة ضد الباب العالي، والمطالبة بالاستقلال<sup>3</sup>.

وبالرغم من نقص قطع الأسطول الجزائري في عهد حسين باشا إلا أنه أسرع لتلبية نداء الجهاد ومساعدة الباب العالي لإخماد تمرد اليونانيين الذين ثاروا ضد الحكم العثماني سنة 1821م<sup>4</sup>، ونظرا للضعف الكبير الذي كان يعاني منه الجيش الإنكشاري في ذلك الوقت<sup>5</sup>، فقد أرسل الداوي حسين عدد من السفن<sup>6</sup> تحمل أربعة آلاف رجل<sup>1</sup>، بقيادة الرئيس

<sup>1</sup> خليفة حماش، المرجع نفسه، ص. 222.

<sup>2</sup> فتح العثمانيون اليونان في عهد السلطان محمد الفاتح (1451-1481م)، وظلوا يتمتعون بالامتيازات المادية والأدبية التي أقرها لهم الإسلام باعتبارهم أهل الذمة. خليفة حماش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، المجلة التاريخية المغربية، السنة التاسعة عشر، العدد 65-66، أوت 1992، زغوان، تونس، ص. 175

<sup>3</sup> Juchereau (B.D),D. Denys, Histoire de l'Empire Ottoman depuis 1752 jusqu' en 1844, T. III, Imp. de Guiraudet. Paris, 1844, pp. 96-115

<sup>4</sup> تعرضت الدولة العثمانية لسلسلة من الهزائم المتتالية أمام روسيا منذ سنة 1774 لذلك رأى اليونانيون أن طرد العثمانيين من أوربا سيكون أمر سهل، واستطاع اليونانيون بمساعدة الدول الأوروبية وخاصة روسيا التي ساعدتهم على تأسيس جمعية Hétérie داخل أراضيها وقدمت لها المال اللازم لتتطلق في سنة 1820م من هناك تطالب باستقلال اليونان وأعلنت بداية الثورة ضد الباب العالي متحججين بظلم الأتراك والضرائب المرتفعة وندرة المواد الغذائية في مقاطعات المورة، ينظر :

Juchereau (B.D),D. Denys, Op.cit. pp. 96-120

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف، الأول، الرسالة رقم، 71، من نفس المجموعة ونفس الملف، كان الجيش الإنكشاري يعيش لحظاته الأخيرة في الدولة العثمانية نظرا للهزائم المتتالية التي تلقاها أمام خصومه وخاصة روسيا، والأخطر من ذلك أنهم هجموا على سرايا السلطان وخلعوا سليمان الثالث وعينوا مكانه السلطان مصطفى الرابع في 21 ربيع الأول 1222هـ (29 ماي 1807م)، كما عزلت الإنكشارية الصدر الأعظم ونصبوا "جلبي مصطفى" باشا ثم قتلوه رميا بالرصاص.

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم 88، تشير هذه الرسالة التي وجهها علي قبطان قائد الأسطول الجزائري المشارك في حرب اليونان إلى حسين باشا في 9 أبريل 1823 (27 رجب 1238هـ) أن عدد السفن التي دخلت مضيق البسفور من أجل الترميم هي تسع سفن مع الأخذ بالاعتبار الثلاث سفن التي لحقت بالأسطول الجزائري في نهاية

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

"علي قبطان" إلى بحر إيجه للالتحاق بالأسطول العثماني هناك<sup>2</sup>، ابحروا في شهر أوت 1821م<sup>3</sup>. وفي شهر مارس 1823م طلب محمد علي<sup>4</sup>، والي مصر من حسين باشا تجهيز فرقاطتين وسكونة لمرافقة السفينة المصرية العائدة من لندن إلى مرسى الإسكندرية مع الجنود ورجال المدفعية<sup>5</sup>، لتخوفه من اعتداءات السفن اليونانية عليها، وحسب رسالة وكيل الجزائر بالقاهرة إلى حسين باشا أن السفن الثلاث الجزائرية والسفينة المصرية وصلت إلى ميناء الإسكندرية في 30 مارس 1823م وأنها ستتطلق من هناك إلى بحر إيجه للمشاركة إلى جانب الأسطول العثماني في حرب اليونان<sup>6</sup>.

مارس من نفس السنة وتم توقيف إبريك القبطان الحاج سليمان وسفينة أخرى من نوع بلاندره لم تحتل الترميم لقدمها. وهذا يعني أن عدد السفن التي شاركت هي تسع سفن، وتضررت اثنان منها، وعن عدد سفن تونس وطرابلس فتقول الرسالة أنها ست سفن، والجدير بالملاحظة أن هناك اختلاف بين المصادر حول عدد السفن الجزائرية المشاركة في المرحلة الأولى من الحرب اليونانية، وقد حاول الأستاذ خليفة حماش في مقاله الذي يحمل الموسوم ب: "الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)" أن يبين تلك الاختلافات بين المصادر ينظر: خليفة حماش، المرجع السابق، ص- ص. 178-180

<sup>1</sup> Henri Garrot, Op. cit, p.641

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الملف الأول، رسالة رقم 85 من السيد أحمد وكيل الجزائر في "خرنة" إلى حسين باشا خلال عام 1237(1821-1822م)

<sup>3</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 176

<sup>4</sup> محمد علي باشا والي مصر (1805-1848م)، يعتبر مؤسس الدولة الحديثة في مصر دخل إليها جندي بسيط قادما من اليونان لمحاربة الفرنسيين وانتهى به الأمر واليا عليها أدخل عليها سلسلة من التغييرات والإنجازات في مختلف الأصعدة العسكرية الإدارية والاقتصادية والتعليمية معتمدا على خبراء فرنسيين في تدريب الجيش وإنشاء المصانع للأسلحة والذخيرة وإرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا. وافق السلطان العثماني على استقلاله بمصر مقابل جزية سنوية تقدر بـ 20 ألف جنية. تضامن في البداية مع الدولة العثمانية وساعدها في حروبها الأوربية والداخلية ثم قاد ضدها حملة انطلقت من الإسكندرية ووصلت إلى مشارف اسطنبول ولولا تدخل الدول الأوربية الكبرى خوفا على مصالحها التي أوقفت تقدمه لأسقط الخلافة العثمانية مبكرا. توفي سنة 1848م بعد مرض أصابه في عقله. لمزيد من المعلومات عن أعمال وحروب محمد علي باشا ينظر، جميل بيضون، شحادة الناطور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، الأردن، 1992، ص. 79- 98.

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم 88، من الحاج علي قبطان قائد السفن الجزائرية في حرب اليونان إلى حسين باشا، في 27 رجب 1238هـ (9 أفريل 1823م)

<sup>6</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الملف الأول، الرسالة رقم 91، من وكيل الجزائر بالقاهرة إلى حسين باشا في 17 رجب 1238هـ (30 مارس 1823م)

وقد أمضت السفن الجزائرية ستة وعشرين شهرا في بحر إيجه -حسب الزهار- وأدت فيها ما عليها<sup>1</sup>، ثم سمح له القبطان باشا بالعودة إلى الجزائر مع بداية فصل الشتاء من عام 1823م للراحة على أمل العودة في ربيع عام 1824م<sup>2</sup>، ولكن الأزمة التي عرفت الجزائر في تلك السنة مع إنجلترا منعت حسين باشا من إرسال سفنه إلى شبه جزيرة "المورة" لمساعدة الأسطول العثماني في حربه ضد اليونان وقرر الاحتفاظ بها لحماية مدينة الجزائر من السفن الإنجليزية التي حاصرت سواحلها من 23 فيفري إلى غاية 26 جويلية 1824م (29 ذي القعدة 1239هـ)<sup>3</sup>، أين رفع الحصار وأعلنت الجزائر عن تجديد السلم مع إنجلترا في نفس التاريخ.

وخلال عام 1825م بعث السلطان محمود الثاني فرمانا إلى حسين باشا يطلب منه إرسال ثماني سفن جزائرية وتجهيزها حالا بقيادة مصطفى رايس للمشاركة في حصار شبه جزيرة المورة من ناحية البحر مع أسطول الباب العالي بقيادة القبطان دريا "محمد خسرو باشا"<sup>4</sup>، ومن ناحية البر كان "السر عسكر رشيد محمد باشا"<sup>5</sup>.

وفي التقرير الذي أرسله مصطفى قائد السفن الجزائرية إلى حسين باشا ذكر فيه أنه سافر مع الأسطول الجزائري من ميناء الجزائر في 4 رمضان 1240هـ (22 أبريل 1825م)، ووصلوا إلى ميناء نافرين بشبه جزيرة المورة في 18 رمضان (6 ماي)، أين التقوا بقباطنة الباب العالي والأسطول العثماني، وكذلك بإبراهيم باشا<sup>6</sup> محاصرا بجيشه قلعة نافرين برا وبحرا ليلا ونهارا يقصفها بالقنابل، وحاولت السفن اليونانية (32 سفينة) فك الحصار عن المدينة المذكورة بعد معركة كبيرة شاركت فيها السفن الجزائرية إلا أنها

<sup>1</sup> ينظر الوثيقة رقم، 14 المجموعة 3204، الملف الأول، خليفة حماش، وثائق التاريخ العثماني، المرجع السابق، ص ص. 92-90

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 149. وينكر القنصل الأمريكي وليام شارل بالجزائر أن تاريخ عودة السفن الجزائرية كان في 28 أكتوبر 1823م. وليام شارل، المصدر السابق، ص. 199

<sup>3</sup> عن تفاصيل الأزمة بين الجزائر وإنجلترا والحصار البحري لسواحل المدينة ينظر وليام شالر، المصدر السابق، الصفحات من 199 وما بعدها.

<sup>4</sup> تولى وظيفة قبطان دريا في الفترة من 24 ربيع الأول 1238هـ إلى 12 رجب 1242هـ الموافق لـ 9 ديسمبر 1822م إلى غاية 9 فيفري 1827م، خليفة حماش، وثائق التاريخ العثماني ...، المرجع السابق، ص. 102

<sup>5</sup> المجموعة 324، الملف الأول، الرسالة رقم 16، المرجع السابق، ص-ص. 101-102

<sup>6</sup> هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر، وقائد جيوشه.

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

انهزمت وطلبت الأمان وسلموا المدينة في 6 شوال (24 ماي 1825م)، وتركوا وراءهم الأسلحة والذخائر وألفا ومائتي أسير<sup>1</sup>.

بعد سقوط مدينة نافرين واصل الجزائريون حربهم مع الأسطول العثماني والمصري ضد اليونانيين إلى غاية شهر شوال 1241هـ (ماي 1826م)<sup>2</sup>، أين قرر القبطان مصطفى قائد السفن الجزائرية العودة إلى الجزائر خفية دون أخذ الإذن من القبطان باشا خسرو باشا، حيث انفصل عن الأسطول العثماني في جزيرة "زنطة" وعاد مباشرة إلى الجزائر<sup>3</sup>، بعد أن قضوا أربعة عشر شهرا في المرحلة الثانية من الحرب اليونانية العثمانية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم 140، رسالة من مصطفى قبطان قائد السفن الجزائرية في حرب اليونان إلى حسين باشا في 27 شوال 1240 (14 جوان 1825م) في شكل تقرير عن نشاط السفن الجزائرية في حرب اليونان. وكما تشير الرسالة رقم 141 من نفس المجموعة والملف، من علي وكيل الجزائر في إحدى المدن العثمانية إلى حسين باشا في نهاية شوال 1240 هـ (16 جوان 1825م)، إلا أن التواريخ التي ذكرها بعيدة كثيرا عن التي ذكرها القبطان مصطفى قائد الأسطول الجزائري حيث يذكر مثلا أن السفن الجزائرية وصلت بحر إيجه نهاية شوال 1240 هـ (16 جوان 1825م).

<sup>2</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص. 181

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة رقم، 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم، 154، من خسرو باشا القبطان دريا إلى حسين باشا والتاريخ المكتوب على الوثيقة هو 15 صفر 1241هـ (29 سبتمبر 1825م)، غير أن الأستاذ خليفة وضح في مقاله الموسوم بـ "الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)"، المرجع السابق، أن هذا التاريخ خاطئ وذلك لأنها وثائق غير أصلية منقولة عن الأصل المفقود، والشخص الذي قام بعملية النقل ارتكب خطأ فبدل أن يكتب 1242 هـ كتب 1241 هـ واستدل على ذلك بالرسالة التي بعثها القبطان باشا إلى السلطان العثماني ليخبره عن حادثة فرار السفن الجزائرية، وكانت تحمل تاريخ 12 شوال 1241 هـ (19 مايو 1826م) وقال إنه من غير المعقول أن يكتب إلى حسين باشا الرسالة المشار إليها قبل أن يخبر السلطان بحادثة انفصال السفن الجزائرية. خليفة حماش، المرجع نفسه، ص. 182

- م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الرسالة رقم 154، ومما يدل على أن هناك خطأ أيضا في تاريخ الرسالتين 154 و 161، هو وجود رسالة من "الحاج حسين باش دايي" الجزائر بأزمير أرسلها إلى "حسين باشا" تحمل رقم 167، من المجموعة 3190 الملف الأول، تحدثت عن عودة السفن الجزائرية وأكدت أنها وصلت إلى الجزائر في تاريخ كتابة رسالته وهو 13 ذي القعدة 1241هـ (19 جوان 1826م). وكما أشارت أيضا إلى محاصرة الأسطول العثماني لجزيرة "جامليجة" التابعة لليونان، وهي نفس الأخبار التي حملتها الرسالة رقم 154 من "محمد خسرو قبودان دريا" إلى "حسين باشا" حول موضوع عودة السفن الجزائرية إلى الجزائر. وذكرت الرسالة رقم 161 من نفس المرسل إلى حسين باشا، بتاريخ 7 رجب 1241هـ (14 فيفري 1826م)، أخبار حول محاصرة العثمانيين لجزيرة "جامليجة"، مما يدل على أن جميع تلك الرسائل قد كتبت في نفس فترة وقوع تلك الأحداث تقريبا، وهو نهاية سنة 1241 هـ وبداية صيف 1826م.

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 156



## الفصل السادس: السياسة الخارجية

وقد أثار تصرف الجزائريين بهذه الطريقة ومغادرتهم دون استئذان غضب "خسرو باشا" فكتب إلى السلطان وأخبره بما حدث<sup>1</sup>، وبعث إلى حسين باشا يلومه على سوء تصرفهم وطلب منه إرسال سفنه مرة أخرى في رسالتين<sup>2</sup> متواليتين. وبعد عودة السفن إلى الجزائر لا تذكر الرسائل<sup>3</sup> التي اطلعنا عليها من وكلاء الجزائر في أزميز وجزيرة كريت وتونس إلى حسين باشا أية معلومات حول رجوعها مرة أخرى للمشاركة في الحرب اليونانية أو في معركة نافرين الشهيرة التي جرت في 20 أكتوبر 1827م، وتقتصر أخبارها عن الحرب الدائرة في بحر إيجه والأساطيل المشاركة، ومعلومات أخرى حول دور الأسطول العثماني والمصري والسفن التونسية. وهذا ما ذهب إليه الباحث خليفة حماش في مقاله سابق الذكر، إذ يؤكد حسب المصادر التي اطلع عليها أن السفن الجزائرية لم تسافر مرة أخرى نحو الشرق بعد عودتها في ذي القعدة 1241هـ/ جوان 1826م، ولم تشارك في لا معركة نافرين ولا في غيرها<sup>4</sup>. وجاء في الرسالة التي أرسلها مصطفى ريس قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد المحاصرة بالإسكندرية<sup>5</sup> إلى حسين باشا في 12 جمادى الثانية 1243هـ (30 ديسمبر

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص. 156

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، وثيقة رقم 154، كتب القبطان دريا "محمد خسرو باشا" الرسالة الأولى إلى والي الجزائر حسين باشا وبالاعتماد على الملاحظات المذكورة في الهامش رقم (1) أعلاه تكون بتاريخ 29 سبتمبر 1826م (15 صفر 1242هـ). والرسالة الثانية من نفس المجموعة والملف تحمل رقم 161 بتاريخ 7 رجب 1242هـ (4 فبراير 1827 م).

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، ينظر، الرسائل رقم، 192، 198، 222. وفي المجموعة 1903، الرسالة رقم 33، المجموعة 3204، الملف الأول الرسالة رقم، 27، 28

<sup>4</sup> خليفة حماش، المرجع السابق، ص-ص. 183-185

<sup>5</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، حاصرت السفن الفرنسية السفينتين الأولى كربيط اسكندراني اسمها رهبة كانت تنقل الحجاج ويقودها القبطان عبد الرحمن ريس والمركب الثاني هي فرقاطة تحمل العساكر لحراسة الحجيج واسمها مفتاح الجهاد بقيادة مصطفى قبطان، خرجتا في شهر رمضان من عام 1242هـ (أفريل 1827م)، من ميناء الجزائر أصيبت إحدهما بعطب فتوقفت في ميناء تونس أين تلقت الإصلاحات اللازمة ثم واصلتا سفرهما، وقد دخلتا ميناء الإسكندرية في 11 ماي 1827م، وهناك وصلت الأخبار عن بداية الحصار الفرنسي على الجزائر ومنع محمد علي باشا والي مصر سفرهما في هذه الظروف حتى يفهم حقيقة الأوضاع وسبب النزاع الفرنسي الجزائري. بعد ذلك عينت فرنسا أربع فراقط تراقبهما صباحا ومساء، وظلت السفينتين تعانين من الحصار المفروض عليهما إلى غاية الاحتلال ولم يعرف مصيرهما ينظر، الوثيقة رقم 232، 236، 269. المصدر نفسه، راجع كذلك خليفة حماش، حول السفينتين الجزائريتين اللتين كانتا

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

1827م) أن الدول الأوروبية الكبرى (فرنسا وانجلترا وروسيا)<sup>1</sup> قد تحالفت ودخلت بأسطول مشترك إلى ميناء نافرين وقامت بتحطيم الأسطول العثماني والمصري والتونسي، وقدمت معلومات دقيقة عن السفن المشاركة في المعركة ولكنها لم تذكر شيء عن الأسطول الجزائري ومشاركته<sup>2</sup>، وقد أخبر محمد قبطان قائد السفن التونسية في حرب اليونان في رسالته إلى حسين باي تونس عن بداية المعركة، وكيف منع الأسطول الانجليزي إبراهيم باشا من مغادرة ميناء نافرين أين كان يرسو الأسطول العثماني والمصري والتونسي، ثم دخول الأسطول المشترك الفرنسي والإنجليزي والروسي لميناء نافرين، وذكر أيضا أن بداية المعركة كانت في غرة ربيع الثاني 1243هـ (22 أكتوبر 1827م)، واستمرت من الثامنة صباحا إلى غاية الواحدة بعد منتصف الليل، كما أعلمه عن خسائر الدولة العثمانية، والأسطول المصري حيث قال: "وليكن في علم ولي النعم أفندم لم يبق بهذا الطرف سواء كان للدولة العلية أو لطرف أخيك محمد علي باشا سفن بحال فسائر السفن عمهم الفساد."<sup>3</sup>

وهناك رسالة أخرى تؤكد نفس الكلام أرسلها محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر بتونس إلى حسين باشا في جمادى الثانية (28 ديسمبر 1827م)<sup>4</sup> استقى معلوماتها من سفينة أمريكية قدمت من مالطا وأخبرتهم "أن الانجليز والفرنسيين والروس قد هاجموا سفن

بالإسكندرية قبيل الحملة الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 79-80، زغوان، تونس، ماي 1995، ص. 423 وما يليها.

<sup>1</sup> عقدت الدول الثلاث إنجلترا فرنسا روسيا اتفاقية لندن في 06 جويلية 1827م وقرروا الضغط على الباب العالي لصالح اليونان ووضع حد للحرب بين العثمانيين واليونانيين، الذين كانوا يريدون تأسيس إمارة يونانية في شبه جزيرة المورة مستقلة ذاتيا ومرتبطة بالباب العالي وتدفع ضريبة سنوية للباب العالي مثل صربيا والأفلاق والبغدان Juchereau (B.D),D. Denys, Histoire de l'Empire Ottoman depuis 1752 jusqu' en 1844,Tome III, Imp.de Guiraudet. Paris, 1844, pp. 295-307

<sup>2</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم 236، من القبطان مصطفى ريس قائد السفينة الجزائرية المحاصرة بميناء الإسكندرية إلى حسين باشا في 2 جمادى الأولى 1243هـ (21 نوفمبر 1827م)، حول عدد السفن التونسية التي هلكت في المعركة وكانت خمس سفن.

<sup>3</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الأول، رسالة رقم، 276، محمد قبطان قائد السفن التونسية في حرب اليونان إلى حسين باشا باي تونس في غرة ربيع الثاني 1243هـ (22 أكتوبر 1827م)

<sup>4</sup> قام ألبير دوفو محافظ الأرشيف الجزائري بتعريب ونشر مجموعة من الوثائق التي تتحدث عن الحرب اليونانية العثمانية ومن بينهم الوثيقة رقم، 31 من المجموعة رقم 3204، تحت رقم 23 في مقاله بالمجلة الإفريقية سنة 1857م:

السلطان العثماني وسفن محمد علي باشا والي مصر في ميناء نافرين أين خاضوا معركة كبيرة تحطمت فيها كل سفن المسلمين<sup>1</sup>.

ومجمل تلك الرسائل ذكرت السفن المشاركة في معركة نافرين وقدمت عنها تفاصيل دقيقة مثل أعدادها وأنواعها وحجم الخسائر التي تعرضت إليها ولم تشر إلى المشاركة الجزائرية لا بالأسطول ولا بالجنود، ولو أنها شاركت في تلك المعركة ما أغفلتها رسائل وكلاء الجزائر في الأناضول وفي بحر إيجه.

وما ذكرته الوثائق أكدته المصادر المعاصرة حيث جاء في كتاب (Denys و Juchereau) الذي صدر سنة 1844م حول تاريخ الدولة العثمانية، أن أساطيل دول الاتفاق (فرنسا إنجلترا وروسيا) اتحدت تحت قيادة الأميرال الانجليزي (Codrington) ودخلت بحر إيجه ورست مقابلة للسفن العثمانية والمصرية وجرت معركة هناك انتهت بتدمير الأسطول العثماني في 20 أكتوبر 1827م، وعلى الفور غادر سفراء الدول الثلاث العاصمة إسطنبول<sup>2</sup>.

### 5- الجزائر والحرب الروسية العثمانية (1828-1829م):

إثر تحطم الأسطول العثماني في معركة نافرين فقدت الدولة العثمانية آخر قواتها العسكرية تقريبا؛ بعد أن قضت على جيشها البري الإنكشاري في الواقعة الخيرية سنة 1826م<sup>3</sup>، أصبحت لا تمتلك مؤسسات عسكرية دفاعية برية وبحرية، وأول من استغل الفرصة هي روسيا التي أعلنت الحرب عليها في 26 أبريل 1828م وفي 7 ماي من نفس السنة اتجه الجيش الروسي نحو الدانوب وأجبر الجيش العثماني الجديد على ترك ساحة القتال، وقد عبرت الجيوش الروسية جبال البلقان واحتلت "أدرنة" عنوة، وأصبحت الطريق مفتوحة أمامها إلى استانبول، غير أن مصلحة فرنسا وإنجلترا كانت تتعارض مع اسقاط الروس للدولة العثمانية، لذلك تدخلتا وأوقفتهما عند ذلك الحد وفرضت روسيا عليها معاهدة "أدرنة" في 14 سبتمبر 1829م، وكان من بين بنودها أن تدفع الدولة العثمانية تعويضا

-A. Devoulex , Recherche sur la coopération de la régence d'Alger à la guerre de l' indépendance Grecque, in R.A.,vol,N° 02 , Ann ,1857,éd.A.Jourdan, Alger, p.134

<sup>2</sup>Juchereau (B.D),D. Denys, Op.cit., pp.318-329

<sup>3</sup> ينظر فريد بيك المحامي، المرجع السابق، ص ص. 429-431

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

ماليا كبيرا قدره أحد عشر مليون فرنك لصالح روسيا بالرغم من الأزمة المالية التي كانت تعيشها<sup>1</sup>.

وخلال الحرب العثمانية الروسية (1828-1829م) كانت الجزائر في نزاع مع فرنسا وتعاني من الحصار البحري المفروض عليها، ومن عجز في عدد الجنود بسبب انقطاع الإمدادات من الأناضول، لذلك اعتذر حسين باشا عن تقديم المساعدة التي طلبها منه الباب العالي بإرسال سفنه إلى البحر الأسود للمشاركة إلى جانب الأسطول العثماني في الحرب ضد روسيا المشار إليها أعلاه<sup>2</sup>.

وبالرغم من أن الباب العالي كان على دراية بالظروف الصعبة التي تعاني منها الجزائر واستحالة مشاركتها في حربها مع روسيا إلا أن الفرمانات كانت متواصلة إلى حسين باشا لإرسال سفنه للمشاركة في الحرب<sup>3</sup>، وهذا يدل على الضعف الكبير الذي باتت الدولة العثمانية تعاني منه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يؤكد لنا أن السفن الجزائرية لم تتحطم في معركة نافارين عام 1827م، وإلا كيف يطلبها السلطان إذا كانت قد شاركت وتحطمت في المعركة!؟

وعلى أية حال كانت هذه آخر حرب يطلب فيها الباب العالي مساعدة الجزائر لأنها في السنة الموالية 1830م ستفقد الجزائر نفسها. وسنرى موقفها من احتلال الجزائر في حينه.

<sup>1</sup> Léon Guérin, Histoire de la dernière guerre de Russie 1850-1853, éd, Dufour Mulat et Boulanger, Paris, 1858, pp.100-103

<sup>2</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، وثيقة رقم 381، وهي رسالة من حسين باشا إلى أحد وزراء الباب العالي (د. ت)

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، ينظر كمثال على طلب إرسال السفن الجزائرية الرسالة رقم 296 وهي مرسلة من "عزت محمد باشا" القبطان دريا باستانبول إلى حسين باشا في 21 ربيع الثاني 1244هـ (1 أكتوبر 1828م)، كذلك الرسالة رقم 231، من نفس المجموعة والملف، وهي من محمد صادق أفندي أمين الترسانة باستانبول إلى حسين باشا في 13 ربيع الثاني 1244هـ (23 أكتوبر 1828م)، وكان آخر طلب من السلطان العثماني محمود الثاني نفسه وهو فرمان يحمل رقم 309، من المجموعة رقم، 3190، الملف الأول، وكان قد أرسله إلى حسين باشا في غرة شوال 1244هـ (6 أبريل 1829م)، وطلب منه إرسال سفن أوجاق جزائر الغرب لمساعدته على أن يكون سفرها في أول الربيع لاستانبول وقال له: "ولا تعتذروا بالحصار وإلا فابعثوها إلى الإسكندرية لتنتقي هناك مع سفن الباب العالي وأسطول محمد علي".

وفي الأخير يمكننا القول أن العلاقات الجزائرية العثمانية مرت بمرحلتين: مرحلة أولى امتدت من الحملة الفرنسية على مصر إلى غاية مؤتمر فيينا، ومرحلة ثانية من مؤتمر فيينا إلى غاية الاحتلال، وعرفت العلاقات في المرحلة الأولى توترات وأزمات بدأها مصطفى باشا الذي رفض إعلان الحرب على فرنسا وطاعة أوامر السلطان العثماني وفضل الوقوف إلى جانب فرنسا، وعقد معها معاهدة سلم وتجارة وهي مازالت في حرب مع الدولة العثمانية. وسار خلفاؤه على سيرته في رفض أوامر الباب العالي ومهاجمة السفن الصديقة للباب العالي إلى غاية انعقاد مؤتمر فيينا الذي تقرر فيه منع استرقاق المسيحيين وفرض الضريبة على الدول الأوروبية من طرف الإيالات المغربية وخاصة الجزائر، وتزامن مع وصول عمر باشا إلى الحكم فغير من سياسة سلفه وسعى بمختلف الطرق لاستعادة العلاقات الودية مع الباب العالي، إلى أن نجح في ذلك.

ومن جانبه لم يتأخر السلطان العثماني في تحذير سلطات الجزائر من الأخطار التي تهددها، وتقديم التدعيم العسكري لتعزيز قواتهم أمام خطر الدول الأوروبية التي تكتلت للقضاء عليها في مؤتمر فيينا ومؤتمر إكس لاشبيل. وفي مقابل ذلك شاركت الجزائر في الحرب اليونانية العثمانية بسفنها وأدت واجبها لمساعدة الأسطول العثماني.

### ثالثا: العلاقات الجزائرية الأمريكية

عانت الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها عن بريطانيا سنة 1776م من عجز مالي وديون كبيرة، وقد سعت للخروج من أزمتها إلى تحقيق مكانة تجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، بفضل امتلاكها لموارد طبيعية معتبرة، وكان عليها حتى تضمن سلامة سفنها التجارية أن تبرم معاهدة سلام مع دول المغرب. وقد نجحت بعثة "باركلي" المفوض الأمريكي في سنة 1785م أن تمضي معاهدة سلام مع سلطان المغرب الأقصى وتحصلت بموجبها الملاحة الأمريكية على حرية أكبر في المحيط الأطلسي.<sup>1</sup>

غير أن "جون لومب" فشل مع محمد بن عثمان باشا في تحقيق ما نجح فيه مع سلطان المغرب. وغادر الجزائر وترك انطبعا سيئا عنه لدى سلطات الجزائر والأسرى

<sup>1</sup> راي إروين، المصدر السابق، ص-ص 61-62

الأمريكان عندما رحل من غير رجعة<sup>1</sup>. فهل سعت الولايات المتحدة مرة أخرى لإبرام معاهدة سلام مع الجزائر ولتحرير أسراها؟ أم أنها اختارت طرائق أفضل للمحافظة على سلامة تجارتها في البحر الأبيض المتوسط؟

### 1- معاهدة السلام الجزائرية-الأمريكية:

في نهاية سنة 1790م تقدم "ألبيير جيفرسون" كاتب الدولة للخارجية والذي أصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة، بمشروع إلى الرئيس "جورج واشنطن" (1789 - 1797م) ومجلس النواب اقترح فيه استعمال قوة مشتركة مع الدول الأوروبية ضد الجزائر من أجل حماية الملاحة الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط لكن مشروعه لم يجد آذانا مصغية في الداخل وفي الخارج من طرف الدول الأوروبية، نظرا للعجز المالي الذي كانت تعاني منه الولايات المتحدة من جهة، ولارتباط معظم الأمم الأوروبية بمعاهدات سلم وتجارة مع الجزائر تضمن سلامة تجارتها في حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>2</sup>.

وكانت الولايات المتحدة لا تمتلك أسطولا بحريا يحمي تجارتها إلى غاية بداية جانفي من سنة 1794م، حين وافق الكونجرس على مشروع إنشاء نواة أسطول أمريكي ويعزي هذا التأخير للعجز المالي الذي كانت تعاني منه للبلاد. وكانت النواة الأولى للبحرية الأمريكية تتكون من ست سفن لم تتعد تكاليفها ستمائة ألف دولار<sup>3</sup>.

وبالتوازي مع إنشاء القوة البحرية سعت الحكومة الأمريكية لإبرام معاهدة سلام مع إيالة الجزائر، خاصة بعد عبور السفن الجزائرية مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي بموجب الهدنة التي عقدها مع البرتغال في عام 1793م، إذ تشير المصادر الأمريكية أن البحرية الجزائرية احتجزت عشر سفن وارتفع عدد الأسرى إلى مائة وتسعة عشر أسير

<sup>1</sup> كان "جون لومب" قد وعد محمد بن عثمان باشا أنه سيعود بمال افتداء الأسرى بعد أربعة أشهر من حكومة الولايات المتحدة ولكنه لم يرجع ثانية للجزائر، لمزيد من المعلومات ينظر الفصل الثالث.

<sup>2</sup> راي إروين، المصدر السابق، ص. 82

<sup>3</sup> علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ج، 2، دار ثالة، الجزائر، 2013، ص. 20، 23

أمريكي<sup>1</sup>، غير أن دفتر الغنائم "لدوفو" سجل ست سفن أمريكية، احتجزت خلال سنتي 1793 و 1794م وكانت تحمل في معظمها حبوبا، ومجموع قيمتها تقدر بحوالي 624,08 842 فرنك. وسجل أربع سفن أخرى احتجزت خلال سنة 1794م غير محددة الجنسية ربما تكون هي أيضا أمريكية<sup>2</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن عبور السفن الجزائرية إلى المحيط قد أحدث هلعاً كبيراً لدى الحكومة الأمريكية بسبب الخسائر الكبيرة التي ألحقتها بسفنها التجارية وارتفاع عدد الأسرى بالجزائر، فسارعت بإرسال بعثة للتفاوض من أجل إتمام السلام على إثر موافقة الكونجرس على السلام من دول المغرب، ولكن داي الجزائر ظل يرفض استقبال أي مفوض أمريكي إلى غاية جوان 1795م<sup>3</sup>.

وكان الرئيس الأمريكي جورج واشنطن قد عين الكولونيل "دافيد همفريز" (David Humphreys) سفيرا إلى بلاد المغرب للتفاوض حول الأسرى الأمريكيين في الجزائر وصحب معه موظفا بسيطا يعمل بوزارة المالية هو السيد "جوزيف دونالدسون" (Joseph Donaldson)، افترقا في مدينة "ألكانتا" الإسبانية إذ قصد الأول باريس وتوجه الثاني إلى الجزائر التي وصلها في 3 سبتمبر 1795م ومعه تعليمات حول معاهدة السلام وفدية الأسرى<sup>4</sup>.

وقد عمد المشاركون في مفاوضات السلام الأمريكية الجزائرية إلى إخفاء الأمر عن قناصل الدول الأوروبية، لأن جميع هذه الدول رفضت استعمال نفوذها لدى الداي لإبرام معاهدة سلام بين الولايات المتحدة والجزائر، رغم وجود بنود في المعاهدات التي تربط الولايات المتحدة الأمريكية مع أكبر تلك الدول وتنص على ضرورة مساعداتها لإتمام السلام مع سلطات الجزائر. ونذكر على سبيل المثال المعاهدة التي وقعتها أمريكا مع فرنسا

<sup>1</sup>مذكرات كاتكارت، المصدر السابق، ص.192، وذكر راي إروين، أن عدد السفن التي احتجزتها الجزائر على إثر الهدنة مع البرتغال هو 11 سفينة و 119 أسير. راي إروين، المصدر السابق، ص. 92، كما ذكر وليم سبنسر نفس العدد، ينظر وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 185

<sup>2</sup> A. Devoulx, Le registre des primes, Op. cit, pp.363-365

<sup>3</sup> علي تابلت، المرجع السابق، ص.28

<sup>4</sup> علي تابلت، القنصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796-1797م، جويل بارلو، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، مجلة الحوليات جامعة الجزائر، العدد 09، ج1، أبريل 1995م، الجزائر، ص.50

عام 1778م، شملت على مادة يتعهد بموجبها ملك فرنسا باستعمال نفوذه لدى الجزائر لحماية الولايات المتحدة. ومع بريطانيا حاولت عام 1783م أن تضيف نفس المادة غير أن هذه الدول الأوروبية وغيرها رفضت أن تطبق تعهداتها، أما بريطانيا فقد رفضت إضافة هذه المادة أصلا. ويعزى السبب في ذلك إلى تخوف تلك الدول على مصالحها التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>1</sup>، من منافسة هذه الدولة الفتية صاحبة القدرات الاقتصادية الهائلة.

حسب "كاتشارت" فإن الداوي حسن كان متحمسا لإتمام مفاوضات السلام مع الولايات المتحدة وكسب صداقتها إلى درجة أنه استقبل المفوض الأمريكي في يوم الجمعة بالرغم من أنه كان يوم عطلة، وربما كان الداوي يتوقع أنه سيجني فوائد كبيرة من هذه المعاهدة. وقد اقترح حسن باشا في بداية المفاوضات مبلغا كبيرا قدره 2247000 دولارا مما جعل السفير "دونالدسون" يرفضه، وبعد تبادل الاقتراحات حول ثمن المعاهدة تم الاتفاق على أن تقدم الولايات المتحدة 585000 دولارا<sup>2</sup>، مضافا لها الضريبة السنوية وقدرها 21600 دولارا. بالإضافة إلى الهدايا القنصلية التي كان يدفعها قناصل الدول الأجنبية كل سنتين كما جرت العادة، وتم توقيع المعاهدة يوم السبت 5 سبتمبر 1795م (21 صفر 1210هـ)، من الجانب الجزائري الداوي حسن وعن الجانب الأمريكي "جوزيف دونالدسون"<sup>3</sup>.

ونشير هنا إلى دور اليهودي "كوهين بكري" في إبرام المعاهدة الجزائرية- الأمريكية، فحسب كاتشارت أن (بكري) من استقبل السفير الأمريكي ونقله إلى منزله وكان حاضرا أيضا في قصر الداوي أثناء توقيع المعاهدة بين البلدين<sup>4</sup>. وبالمقارنة مع سياسة محمد بن عثمان باشا يتضح لنا أن بروز اليهود على السياسة الخارجية لم يكن ظاهرا بهذا الشكل

<sup>1</sup>مذكرات كاتشارت، المصدر السابق، ص. 157. لمزيد من المعلومات راجع، أبو القاسم سعد الله، العلاقات الأمريكية-

الجزائرية 1766-1830م، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص. 284.

<sup>2</sup> يضاف إلى المبلغ المذكور أعلاه نسبة مئوية لتحرير الأسرى وعمولة السمسار اليهودي وهدايا القنصلية ليصل المبلغ الواجب دفعه نقدا للخزينة الجزائرية إلى: 642500 دولارا. لمزيد من التفاصيل عن المبلغ المقدم نقدا للجزائر ينظر رأي إروين، المصدر السابق، ص. 107، وراجع أيضا علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية...، المرجع السابق، ص.

<sup>3</sup> مذكرات كاتشارت، المصدر السابق، ص. 158-177.

<sup>4</sup> مذكرات كاتشارت، المصدر نفسه، ص. 174-188.



كما برز في عهد حسن باشا، حيث استطاعوا التغلغل في المجال السياسي والاقتصادي معا، مما تسبب في نشأة الديون الفرنسية الجزائرية، التي كانت من أهم أسباب احتلال الجزائر.

إنّ القراءة المتأنية لبنود معاهدة السلام الجزائرية-الأمريكية، الاثنتين والعشرين يجد أن مجملها ينص على حماية تجارتها البحرية ومنع حجز سفنها وأسر رعاياها. وتؤكد على حرية التجارة والعبادة للرعايا الأمريكيين وحماية ممتلكاتهم وحصانة القنصل وحرية الشخصية بالجزائر. وضمنت للجانب الجزائري سلامة سفنه ورعاياها من الأسر وتقديم المساعدة في المجال البحري بتأجير السفن الأمريكية للجزائر لنقل البضائع أو الحجاج مقابل سعر معقول إلى أي مكان يريدونه<sup>1</sup>.

وحسب "كاتكارت" فإن كاتبة المعاهدة قد تمت باللغة التركية وهو من قام بترجمتها إلى الإنجليزية وعرضها على الداوي حسن، ثم أعد نسخة أخرى أرسلها إلى السفير الأمريكي "هامفريز" ب"الشبونة" وقد حملها إليه القبطان الأسير "ابراين" وصلتته في نهاية شهر سبتمبر من نفس السنة ومعها رسائل السفير الأمريكي بالجزائر ليحضر مال المعاهدة وأجهزة ومعدات السفن الخاصة بالضريبة<sup>2</sup>.

والواقع أن نجاح أية معاهدة مرهون بتنفيذ بنودها كاملة من كلا الطرفين، غير أن الولايات المتحدة تأخرت في دفع مال المعاهدة والضريبة السنوية المتفق عليها لثمانية أشهر كاملة من تاريخ توقيعها، مما أثار غضب الداوي وقرر إعلان الحرب عليها خلال شهر، خاصة بعد أن التزم بوعوده اتجاه الولايات المتحدة وتدخل لدى باي تونس<sup>3</sup> وباشا طرابلس<sup>1</sup> من أجل عقد معاهدة سلام معهما.

<sup>1</sup> انظر بنود المعاهدة كاملة نشرها علي تابلت في كتابه معاهدات الجزائر مع دول أوروبا وأمريكا، المرجع السابق، ص.

<sup>2</sup> كاتكارت، المصدر السابق، ص. 186

<sup>3</sup> طالب باي تونس مقابل معاهدة السلام وتحرير الأسرى الأمريكان بمبالغ كبيرة. فأرسل إليه الداوي حسن بعدة رسائل لكنه لم يستجب لها فهدده أن يستخرج أمرا من الباب العالي لحمله على عقد السلام مع الولايات المتحدة ودون أي مقابل إلا أن هذه التهديدات لم تصل إلى تونس فأعلن الداوي لحرب على تونس وبعد وقت قصير قدم الباي ترضيات للداوي وبعث له بالهدايا. وفي شهر نوفمبر 1797م أبرمت معاهدة سلام بين تونس والولايات المتحدة بلغت تكاليفها 107000 دولار. راي

إروين، المصدر السابق، ص. 127-133

وقبيل إعلان حسن باشا الحرب على الولايات المتحدة وصل إلى الجزائر السفير الأمريكي المستر "جويل بارلو" (Joel Barlow)<sup>2</sup> ممثل الحكومة الأمريكية بالجزائر في 4 من شهر مارس وعرض على الداوي سفينة ذات 36 مدفعا لترضيته عن هذا التأخير وطلب منه على مهلة ثلاثة أشهر أخرى لانتظار وصول المال المستحق من أوروبا، إلا أن الأمر كان صعب المنال نظرا لظروف الحرب التي كانت تعاني منها أوروبا وندرة الذهب والفضة في الأسواق<sup>3</sup>.

ويبدو أن سلطات الجزائر كانت تفضل السلم عن الحرب مع الولايات المتحدة، ونلتمس ذلك من خلال المهل المتجددة التي كان يمنحها الداوي من أجل إتمام بنود معاهدة السلام. وفي الاخير قرر أن يرسل رسالة للرئيس الأمريكي جورج واشنطن حملها إليه الأسير "كاتكارت"، الذي كان يشغل منصب مدير الديوان لدى الداوي قبل سفره إلى الولايات المتحدة في الخامس من ماي 1796م، وقد نبه فيها الداوي حسن الرئيس الأمريكي حول هذا التأخير، وطلب منه الإسراع في إرسال المعدات والأجهزة البحرية المتفق عليها للمحافظة على السلام بين البلدين. ومنحه مهلة تسعة أشهر لوصول العتاد البحري<sup>4</sup>.

وبعد أن حصل السفير "هامفريز" على قرض قيمته 600000 دولار، واقترض "بارلو" السفير المفوض الأمريكي بالجزائر مبلغا آخر لفدية الأسرى من دار بكري، أطلق

---

<sup>1</sup> سعى الداوي حسن لمساعدة الولايات المتحدة لعقد معاهدة سلام مع طرابلس، فقد بعث رسالة إلى باشا طرابلس مقابل 40000 دولارا إضافة إلى 12000 دولارا ضريبة سنوية. وتم إبرام المعاهدة في 4 نوفمبر 1796م، وتحتوي المعاهدة على اثني عشر بند على شاكلة معاهدة الجزائر ونصت المادة الأولى والأخيرة على أن داوي الجزائر هو الذي يضمن استمرار المعاهدة والمطلوب منه تقديم المساعدة لتسوية النزاعات بين الطرفين ووقع عليها الداوي والسفير الأمريكي "بارلو"، المصدر نفسه، ص. ص. 124-126

<sup>2</sup> **جويل بارلو (1754-1812م):** هو أديب ودبلوماسي ناجح مثقف وثوري تعلم في الولايات المتحدة وتحصل فيها على شهادة الليسانس ثم هاجر إلى فرنسا أين تعلم الفرنسية واشتغل بها ثم عين قنصلا بالجزائر في الفترة ما بين 1796-1797م، وكان له دورا بارزا في إبرام معاهدة السلام والصدقة مع الجزائر وباقي ايلات المغرب تونس وطرابلس. لمزيد من المعلومات ينظر، علي تابليت، القنصل الأول في الجزائر...، المرجع السابق، ص. 45.

<sup>3</sup> علي تابليت، القنصل الأول في الجزائر...، المرجع السابق، ص. 45.

<sup>4</sup> كاتكارت، المصدر السابق، ص. 258-259

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

حسن باشا سراح الأسرى الأمريكيين في شهر جوان 1796م، وتم نقلهم على متن سفينة جزائرية إلى مرسييليا.<sup>1</sup> ومن هناك أبحروا إلى الولايات المتحدة.

وبعد انتظار طويل وصلت إلى الجزائر رسالة من الرئيس الأمريكي الجديد "جون آدمز" بتاريخ 25 ديسمبر 1797م، جاء فيها أن الولايات المتحدة قد عينت السيد "أوبريان" قنصلا عاما لها في الجزائر، وطالب "آدمز" من الداوي تسهيل مهمة هذا القنصل، واعتذر له عن تأخر وصول المواد التي نصت عليها المعاهدة لظروف خارجة عن نطاقه. وحسب الرسالة<sup>2</sup> التي أوردتها كاتكارت من وزير الخارجية الأمريكية إلى السيد "بارلو" أن السفينة التي جاء بها القبطان كاتكارت من الجزائر قد شحنت بالعتاد والأجهزة البحرية الموجهة للجزائر لكن قيمتها ماتزال ناقصة، ووعده أنهم سي شحنون باقي السفن في الربيع القادم بجميع العتاد والأجهزة المطلوبة.

وعلى أية حال كان الداوي حسن باشا حريصا على إقامة السلام مع الولايات المتحدة، ذلك أنه بالرغم من تأخر وصول أول شحنة من العتاد والأجهزة البحرية عن المهلة المحددة، إلا أنه لم يعلن عليها الحرب.<sup>3</sup>

ومهما يكن من أمر فقد وصل إلى الجزائر أول جزء من الضريبة السنوية الأمريكية في 22 شوال 1210هـ/ 29 أبريل 1796م وكانت عبارة عن عتاد وأجهزة البحرية وذخائر حربية سجلتها الوثيقة رقم 444 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية<sup>4</sup>، وأهم ما اشتملت

<sup>1</sup> راي إروين، المصدر السابق، ص. 112

<sup>2</sup> الرسالة من السيد "يتموني بيكرينج" وزير الخارجية الأمريكي بتاريخ 3 ديسمبر 1796م، كاتكارت، ص. 271

<sup>3</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 444، سجلت هذه الوثيقة بيان لأول ضريبة سنوية قدمتها الولايات المتحدة إلى الجزائر بتاريخ 22 شوال 1210هـ (29 أبريل 1796م) وهو تقريبا سنة من تاريخ سفر كاتكارت إلى الولايات المتحدة حملته.

<sup>4</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الوثيقة رقم، 444، وهي عبارة عن بيان بقائمة المواد والأجهزة المقدمة للجزائر بتاريخ 22 شوال 1210هـ/ 29 أبريل 1796م. وتعتبر أول ضريبة تحصلت عليها الجزائر من الولايات المتحدة، لمزيد المعلومات ينظر صورة الوثيقة بالملحق رقم (25).

عليه: 1000 قنطار بارود، 5000 قذيفة (وردت تحت اسم قنبرة<sup>1</sup>)، ألواح خشبية مختلفة 3000 ذراع وكمية معتبرة من حبال المراسي (قمن)<sup>2</sup>.

واستمرت الولايات المتحدة في تقديم الضريبة السنوية بشكل منتظم كما تدل على ذلك وثائق المكتبة الوطنية منها: الوثيقة رقم 3445<sup>3</sup> بتاريخ 11 رمضان 1212هـ (26 فيفري 1798م)، سجلت أن الولايات المتحدة أرسلت أربع سفن؛ ثلاث منها أمريكية، وواحدة سويدية، وصلت السفينة الأخيرة في شهر رمضان، والسفن الأمريكية وصلت قبلها خلال شهر رجب من نفس السنة. والوثيقة رقم 45<sup>4</sup> وسجلت بيان بمعدات ولوازم وذخائر الحربية حملتها سفينة أمريكية إلى الجزائر في 14 جمادى الأولى 1215هـ (2 أكتوبر 1800م). ومجمل ما حملته هذه السفن هو ذخائر حربية، معدات ومواد أولية خاصة بإنشاء السفن وتسليحها كما نصت عليه المعاهدة. وعلى سبيل المثال نذكر بعض المواد والذخائر التي حملتها فرقاطة أمريكية إلى الجزائر في 12 رجب 1212هـ: 275 قراطيل (كذا) بارود، 200 كورة (قذيفة)، 10 مدافع بقراطيلهم (كذا)، وآلاتهم، وحبال المراسي وحملت باقي السفن كذلك عدة قناطر من المسامير والألواح الخشبية المختلفة قوالب الرصاص القطران صواري السفن من نوع فرقاطة<sup>5</sup>. وسجلت الوثيقة رقم (5)<sup>6</sup> من نفس المجموعة كميات من حبال المراسي والبارود والمسامير ونوعين من الألواح الخشبية دفعتها خلال سنة 1800م.

<sup>1</sup> Mohammed Ben Cheneb, Op. cit, p. 71

<sup>2</sup> "قمن" أو "قومنة"، لفظ تركي ومعناه حبال المراسي، ينظر محمد بن شنب المرجع السابق، ص. 72.  
<sup>3</sup> و. ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم، 445، بتاريخ 11 رمضان 1212هـ (26 فيفري 1798م)، وهي بيان بما أحضرته أربعة سفن تابعة للولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر رجب ورمضان من سنة 1212هـ.

<sup>4</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الثاني، الوثيقة رقم (5)، وهي بيان بقائمة المعدات واللوازم التي قدمتها الولايات المتحدة إلى الجزائر في 14 جمادى الأولى 1215 هـ (2 أكتوبر 1800م)، لمزيد من المعلومات ينظر الملحق رقم (26)  
<sup>5</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم، 445. المصدر السابق.

<sup>6</sup> م. و. ج. المجموعة 3190، الملف الثاني، الوثيقة رقم (5)، المصدر السابق، لم نعثر في المكتبة الوطنية على وثائق أخرى تشير إلى الضريبة السنوية التي كانت تدفعها الولايات المتحدة للجزائر من غير تلك التي أثبتناها أعلاه. ولمزيد من التفاصيل ينظر، خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين المرجع السابق، ص. 9

بالإضافة إلى المعدات والأجهزة البحرية المقدمة كضريبة سنوية استقادت الجزائر في المجال البحري والعسكري من أربع بوارج بحرية كبيرة: الأولى كانت هدية لابنة الداوي تحت اسم "الهلال" أبحرت من الولايات المتحدة في شهر جوان سنة 1797م، وسفينتان طلب الداوي أن تبنى له على حسابه في الولايات المتحدة، وقد أبحرتا في ديسمبر 1798م باتجاه الجزائر، والسفينة الرابعة "الحمد لله" قدمتها الولايات المتحدة بدلا من العتاد الحربي والأجهزة البحرية<sup>1</sup>. وتلك الأجهزة والمعدات والسفن التي سجلتها الوثائق والمصادر استقادت منها حكومة الجزائر في تقوية أسطولها ونمو غنائم الجهاد البحري.

### 2- توتر العلاقات الأمريكية الجزائرية:

أخذت العلاقات الجزائرية بعد وفاة حسن باشا داي الجزائر منحى آخر نحو التوتر وربما يعزى ذلك إلى القوة البحرية التي أصبحت تمتلكها الولايات المتحدة وأضحت تعتبر نفسها أكبر من أن تخضع لرغبات الجزائر، ذلك أنه في سنة 1800م أرست بميناء الجزائر أول سفينة أمريكية حربية "جورج واشنطن" بقيادة القبطان "وليام بانبريدج" (William Bainbridge) تحمل الضريبة السنوية من المعدات واللوازم البحرية<sup>2</sup>. واستنادا إلى المادة العاشرة من معاهدة 1795م، والتي نصت على إمكانية استئجار سفن أمريكية لنقل البضائع أو المسافرين إلى أزمير أو اسطنبول بسعر معقول، ومن جانبها الولايات المتحدة لا يمكنها الرفض لأن ذلك يعد تهريبا<sup>3</sup>، تجرأ مصطفى باشا وطلب من قبطان السفينة أن ينقل سفارة جزائرية تحمل هدايا إلى السلطان العثماني كما سبق ذكره.

وقد سعى الداوي من خلال هذه البعثة أن يعيد العلاقات الودية مع الباب العالي وينال رضا السلطان، إلا أن قبطان السفينة رفض في البداية بحجة أن الأوامر لا تسمح له القيام برحلة طويلة كهذه، كما أنها سفينة حربية ولا تتسع لنقل المسافرين. ورغم كثرة احتجاجات قبطان السفينة والقنصل الأمريكي "إبراهيم" إلا أنهم وافقوا في الأخير على نقل

<sup>1</sup> راي إروين، المصدر السابق، ص. 136

<sup>2</sup> Charles Oscar Paullèn, Diplomatic Negotiations Of American Naval Officers, 1778-1883, Baltimore The Johns Hopkins Press, 1912, p.58

- م.و.ج. نعتقد أنها نفس المعدات التي سجلتها الوثيقة رقم 5، الملف الثاني، المجموعة 3190 المصدر السابق.

<sup>3</sup> ينظر، بنود المعاهدة كاملة نشرها علي تابلت، في كتابه معاهدات الجزائر مع دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، المرجع السابق، ص. 91

السفارة الجزائرية إلى الباب العالي<sup>1</sup>. ويبدو أن سبب تهرب القنصل الأمريكي وقبطان السفينة لا يعود إلى تلك الحجج الواهية التي قدموها وإنما اعتبروا في الأمر إهانة لهم، ذلك أن أول سفينة حربية تدخل البحر الأبيض المتوسط وتحمل اسم بطل كبير وأول رئيس أمريكي يطلب منها نقل سفارة جزائرية إلى اسطنبول.

ومهما كان فإن السفينة الأمريكية "جورج واشنطن" نقلت البعثة الجزائرية إلى الباب العالي رافعة الراية الجزائرية ورجعت إلى الجزائر في جانفي 1801م ومعها فرمان إلى الداوي مصطفى، وأثناء عودتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية نقلت الرعايا الفرنسيين إلى أليكانتا من دون أي احتجاج، بل بالعكس قام القبطان "وليام بانبريج" بتلك المهمة بصدر رجب<sup>2</sup>.

وبعد أن تمكنت الولايات المتحدة من إنشاء أسطول بحري قوي<sup>3</sup> أصبحت لا تروق لها مطالب حكام إيالات المغرب<sup>4</sup>، لذلك قررت إبراز قوتها لكي تتمكن من فرض احترام تلك الدول لها. وفي بداية صيف 1801م وصل إلى الجزائر أسطولاً أمريكياً يتكون من أربع سفن حربية بقيادة القبطان "دال" يحمل الضريبة السنوية في شكل عتاد وأجهزة بحرية ومبلغ ثلاثين ألف دولار نقداً ضريبة السنة الموالية (1802م). وبالرغم من هذه القوة البحرية التي أصبحت تمتلكها الولايات المتحدة أعلن الداوي مصطفى عن رفضه قبول الضريبة السنوية نقداً، وطالب بتقديمها في شكل عتاد بحري وأجهزة بحرية كما نصت عليها معاهدة 1795م.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Allen, G.W., Op. cit, p.75

<sup>2</sup> Idem, p.86

<sup>3</sup> وصل عدد قطع الأسطول الأمريكي خلال سنوات 97-1799م، إلى ثلاثين سفينة إضافة إلى مجموعة أخرى من السفن قدمها مجموعة من المواطنين الأمريكيين لتدعيم الأسطول الوطني، ومع نهاية سنة 1800م، كان عدد الجنود أكثر من 700 ضابط و5000 بحار. على تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية...، المرجع السابق، ص-ص. 39-40

<sup>4</sup> لم تطالب الجزائر بأي شيء جديد خارج شروط المعاهدة المتفق عليها بينما طالب باي تونس بسفينة مماثلة لتلك التي قدمتها الولايات المتحدة هدية لابنة الداوي حسن، وطالب باشا طرابلس برفع قيمة الضريبة السنوية، والهدايا الثمينة كتلك المقدمة للجزائر وهي مطالب رفضتها الولايات المتحدة وقررت استعمال القوة خاصة ضد طرابلس التي أعلنت عليها الحرب

في 14 ماي 1801، ينظر، راي إروين، المصدر السابق، ص.151

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص.171

إثر وفاة مصطفى باشا (1805م) خلفه الداوي أحمد خوجة، وأول ما قام به هو المطالبة بالضريبة المتأخرة على الولايات المتحدة لمدة سنتين، ولكن قنصلها بالجزائر السيد "طوبياس لير" (lear) راح يعلن أنه لا يمكنه تنفيذ طلب الداوي، مما جعل هذا الأخير يعلن الحرب على الولايات المتحدة سنة 1807م، وكانت النتيجة هو أسر رياس البحر الجزائريين لثلاث سفن أمريكية مع حمولاتهم وبحارتهم، وأمام هذا التصعيد اضطر القنصل الأمريكي للخضوع واقتراض المال من اليهودي بكري وتقديمه للداوي<sup>1</sup>. وعادت العلاقات بين البلدين ولكن بشكل فاتر إلى غاية 1812م أين وصلت إلى طريق مسدود.

ويذهب "وليم سنسر" المؤرخ الأمريكي إلى أن سبب الاضطراب بين البلدين يعود إلى التخوف الأوربي من ظهور الويات المتحدة الأمريكية كمنافس تجاري في البحر الأبيض المتوسط يضاف إلى ذلك مؤامرات القناصل الفرنسيين والإنجليز في مدينة الجزائر، وعدم الاستقرار داخل الحكومة الجزائرية<sup>2</sup> (منذ مقتل الداوي مصطفى صارت الاغتيالات متوالية للداويات)، بينما يذهب القنصل "وليام شارل" بالجزائر أن السبب في إعلان سلطات الجزائر الحرب على الولايات المتحدة هو الأخذ بنصيحة بعض كبار التجار اليهود الذين يتمتعون بحظوة لدى الداوي. فقد أخبروه بمدى اتساع نطاق التجارة الأمريكية وما ستجنيه الجزائر من أسر سفنها، وفي نهاية الأمر ستخضع لمطالب الجزائر<sup>3</sup>.

### 2-1 الجزائر تعلن الحرب على الولايات المتحدة:

عرفت سنة 1812م تقاربا بريطانيا جزائريا كانت له نتائج خطيرة على العلاقات الجزائرية الأمريكية، فقد عملت الدبلوماسية البريطانية على كسب صداقة الجزائر لضرب المصالح الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط. وشجعتها على إعلان الحرب عليها، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها ولي العهد البريطاني إلى الداوي، فقد جاء في رسالته بأن الصداقة بين البلدين وطيدة، وحثه على ضرورة التعاون بينهما وأكد له أنه

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، العلاقات الجزائرية الأمريكية، المرجع السابق، ص. 295.

<sup>2</sup> وليم سنسر، المرجع السابق، ص. 187.

<sup>3</sup> وليام شارل، المصدر السابق، ص. 141.

سيحمي عاصمته بواسطة أسطوله منوها بأنه يمتلك أقوى أسطول يرهب كل أعدائه، وأخبره في الأخير عن الحفاوة التي استقبل بها السفير الجزائري والهدايا التي حملها معه<sup>1</sup>.  
وفعلا أعلن الداوي "الحاج علي" (1809-1815م) الحرب على الولايات المتحدة في صيف 1812م مدعيا أنها خرقت معاهدة 1795م، بعد الاستيلاء على سفينة حربية جزائرية (طراد) من طرف وحدة بحرية أمريكية بقيادة "دكاتور" (Decateur)، واقتيدت إلى إسبانيا وهناك وضعت عليها الحكومة الإسبانية يدها بحجة أنها احتجزت في المياه الإسبانية، وفي المقابل احتجزت البحرية الجزائرية سفينة أمريكية "إدوين" وطاقمها المتكون من أحد عشر شخصا<sup>2</sup>.

وقد أجبر الداوي القنصل "طوبياس لير" والرعايا الأمريكيين على مغادرة الجزائر في مهلة محددة بعد أن رفض قبول العتاد الحربي والأجهزة البحرية التي حملتها السفينة "الليقاني" (Allegheny)، متعللا بنقص كمية البارود المتفق عليها<sup>3</sup>، وفورا أمر بإعادة شحن حمولتها وطالب من "لير" أن يدفع الجزية عن السنوات المتأخرة نقدا وفورا وقدرها بسبعة وعشرين ألف دولار، وتمكن القنصل الأمريكي من دفع المبلغ خلال المدة المحددة وأبحر مع مواطنيه على ظهر السفينة "الليقاني" باتجاه جبل طارق<sup>4</sup>.

لم تعلن الولايات المتحدة الحرب على الجزائر في نفس سنة 1812م بل تركت الأمر إلى سنة 1815م، لأنها كانت منشغلة في حربها مع بريطانيا، واختارت الظروف المناسبة بعد عقدها الصلح مع هذه الأخيرة في بداية نفس السنة<sup>5</sup>. وكانت الحروب النابليونية الأوروبية قد وضعت أوزارها وعاد السلم إلى كافة الأمم المسيحية، واجتمعت الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا (1814-1815م) وتألبت ضد الجزائر<sup>6</sup>، بقيادة بريطانيا التي راحت تقترح المخططات على المجتمعين للقضاء على البحرية الجزائرية بعدما غيرت

<sup>1</sup> تحمل الرسالة تاريخ الرابع من شهر جانفي 1812م، وليام شالر، المصدر السابق، ص.140

<sup>2</sup> وليم سنسر، المرجع السابق، ص. 188

<sup>3</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص- ص. 142 - 143

<sup>4</sup> Allen, G.W., Op. cit, p.279,280

<sup>5</sup> أبرمت الولايات المتحدة معاهدة سلام مع بريطانيا في شهر فيفري 1815م. على تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية، المرجع السابق، ص. 216، 217

<sup>6</sup> Moulay Belhamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1830), éd, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1983, p.124



سياستها اتجاه سلطات الجزائر<sup>1</sup>. والغريب في الأمر أنها كانت قبل ذلك التاريخ بأربع سنوات تعرض عليها أسطولها القوي لحمايتها من أي خطر قد تتعرض إليه. وهكذا أضحت إيالة الجزائر في عزلة تامة في البحر الأبيض المتوسط تتربص هجوما مسيحيا عليها في أي وقت.

### 2-2 مقتل الرئيس حميدو:

قرر الكونجرس الأمريكي أنه لم يعد يحتمل دفع الضريبة للجزائر وأعلن الحرب عليها في بداية سنة 1815م، وأرسل قطعة بحرية إلى البحر الأبيض المتوسط لكي ترغم سلطات الجزائر على قبول الصلح من دون جزية أو تقوم بحماية السفن التجارية الأمريكية ضد هجمات رياس البحر الجزائريين، واختار رئيس الولايات المتحدة "وليام شالر" والقبطان "بندريج" والقبطان "ديكاتور" وكلفهم بعقد الصلح مع الجزائر<sup>2</sup>.

وقد اعتمدت الولايات المتحدة في حربها مع الجزائر على عامل المفاجأة، ولم تعلن الحرب رسميا وكان ذلك يتنافى مع القوانين الدولية<sup>3</sup>، وقد التقت فرقة الأسطول الأمريكي بقيادة "ديكاتور" سفينة الرئيس حميدو "مجمودة" لوحدها في عرض البحر مقابل رأس القاط، (Cap Gatte) في 16 جوان سنة 1815م، وبعد قصف عنيف كانت نتيجته منطوية لصالح الأمريكيين، نظرا لعنصر المفاجأة وعدم التكافؤ بين القوتين<sup>4</sup>، قُتل الرئيس حميدو وأسرت سفينته وكل أفراد طاقمها، ثم احتجز "ديكاتور" سفينة ثانية اسمها "ستيديو" مع طاقمها أيضا<sup>5</sup>.

وتقدم "ديكاتور" إلى مدينة الجزائر التي وصلها في 28 جوان من نفس السنة وفاجأ السلطات والسكان في غياب الأسطول الجزائري. وقدم الشروط التالية لعقد الصلح بين البلدين<sup>6</sup>:

<sup>1</sup> حول مؤتمر فيينا (1814-1815م) انظر أعلاه.

<sup>2</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص.146

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، العلاقات الجزائرية الأمريكية، المرجع السابق، ص.298.

<sup>4</sup> كانت فرقة "ديكاتور" البحرية تتكون من ثلاث حراقات وقارب وشيق وثلاثة مراكب أخرى بينما كان الرئيس حميدو لوحده

على سفينته، ينظر: ألبير دوفال، المصدر السابق، ص.92

<sup>5</sup> Dupuy.Email, Etudes d'histoire d'Amérique, Américains et Barbaresques (1776-1824),éd. R. Roger et F. Chernoviz, Paris, 1910, p.157

<sup>6</sup> Allen, G.W., Op.cit, pp.281,287

1- رفض تقديم الجزية في أي شكل من الأشكال.  
2- دفع تعويضات عن الضرر الذي أصاب المواطنين الأمريكيين بالجزائر بعدما أرغموا على تركها عام 1812م.

3- تحرير الأسرى الأمريكيين من دون فدية.  
4- وفي مقابل الشرط الأخير فرضت الجزائر على المفاوضين استعادة السفينتين اللتين أسرهما "ديكاتور" وتم اتفاق الطرفين على شروط المعاهدة وأمضوا عليها في 30 جوان من نفس السنة، وأوصى مجلس الشيوخ بالتصديق على معاهدة شالر - ديكاتور، مع الجزائر في 21 ديسمبر 1815م، وأعلن عنها الرئيس في 4 أبريل 1816م<sup>1</sup>.  
كانت هذه المرة الأولى التي ترغم فيها إيالة الجزائر على إمضاء معاهدة بهذا الشكل وبشروط ليست في مصلحتها، لذلك اعتبرتها إهانة لها ولمسمعتها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وأرادت التخلص منها، بأي شكل من الأشكال واغتتمت فرصة تأخر الولايات المتحدة في إعادة إحدى السفينتين المتفق عليها، وأعلن الداوي عمر باشا الجزائر أن الولايات المتحدة قد خرقت المعاهدة، وعلى إثر هذا التصريح عقد القنصل "شالر" اتفاقاً شفهيًا مع حكومة الجزائر يقضي بأن يحرر الداوي بنفسه رسالة ويرسلها إلى الرئيس الأمريكي "ماديسون"<sup>2</sup>.

وفعلا كتب الداوي عمر باشا الرسالة في شهر أبريل من عام 1816م، أعلمه أن القبطان "ديكاتور"، لم يف بوعده بخصوص إعادة السفينتين مما يتوجب عقد معاهدة جديدة أو الرجوع للعمل بمعاهدة 1795، وقد رد عليه الرئيس أننا قد أعدنا إليكم إحدى السفينتين، أما الأخرى قد حصل تأخير في استعادتها لأن السلطات الإسبانية احتجزتها في قرطاجنة بدعوى أنها أسرت في مياهها الإقليمية، وطمأنه أن الحكومة الإسبانية قد وعدت بتسريحها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية...، المرجع السابق، ص. 222

<sup>2</sup> وليام شالر، المصدر السابق، ص. 147

<sup>3</sup> كتب الداوي رسالته في 24 أبريل 1815م، ورد عليه الرئيس ماديسون في 21 أوت 1816م أورد وليام شالر نصيَّ الرسالتين كاملتين، ينظر المصدر السابق، ص. 285-287، 313-315

غير أن جواب الرئيس لما وصل إلى الجزائر كانت هناك أحداث خطيرة قد وقعت في صيف تلك السنة استغلتها أمريكا لصالحها مرة أخرى.

ويبدو أن ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية قد شجع بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية لاستعمال القوة والخديعة ضد الجزائر، حيث أرسلت بريطانيا أسطولها بقيادة اللورد "اكسموث" وهو يحمل راية بيضاء (علم الهدنة) إلى مدينة الجزائر في صيف عام 1816م لتدميرها. ولم تنته الأزمة إلا بعد حرق الأسطول الجزائري ومخازن صناعة السفن في 27 من أوت 1816م. وأملت بريطانيا شروطها هي أيضا على الجزائر.

وقبل نهاية سنة 1816م وصل إلى الجزائر أسطول أمريكي يتكون من ست بوارج بقيادة القبطان "إسحاق شونسي" ومعه القنصل "شالر" وكان ذلك في 17 من شهر ديسمبر وقاموا بتسليم جواب رئيس الولايات المتحدة إلى الداى عمر من أجل التفاوض، وقد حاول الداى التملص من تجديد المعاهدة، ولكنه في النهاية وافق وبالشروط التي اقترحها الرئيس الأمريكي وتم إمضاؤها في 23 ديسمبر 1816م<sup>1</sup>. كان عمر مرغما على قبول شروط المعاهدة، نظرا لتدمير أسطوله وتحصينات مدينة الجزائر، والتي كانت عرضة للاحتلال وضياع سيادتها بكل سهولة لو أنه رفض. ومنذ معاهدة 1816م عرفت العلاقات الأمريكية الجزائرية الاستقرار إلى غاية الاحتلال الفرنسي عام 1830م<sup>2</sup>.

والخلاصة أن العلاقات الجزائرية الأمريكية في العهد العثماني مرت بمرحلتين الأولى (1785-1815م)، والثانية من (1815-1830م). وكانت الأولى لمصلحة الجزائر وبالتحديد منذ عقد معاهدة السلام سنة 1795 إلى غاية سنة 1812م تحصلت فيها الجزائر بموجبها على مبلغ مالي كبير وضريبة السنوية من الولايات المتحدة حسب شروطها، استفادت منها في تطوير أسطولها البحري والحربي، كما استفادت الولايات الأمريكية أيضا

<sup>1</sup> نصت هذه المعاهدة على إلغاء الضريبة بالنسبة لأمريكا، تسريح الأسرى ومعاملتهم كأسرى حرب، دفع تعويض إلى أمريكا مقداره عشرة آلاف دولار مقابل السفينة "إدوين". لمزيد من المعلومات ينظر نص المعاهدة كاملة أورده، Dupuy. Email, Op.cit. p. 346. غير أن الأستاذ أبو القاسم سعد الله شكك في صحة هذه المعاهدة لغياب الوثائق الجزائرية، وكذلك لعدم موافقة الكونجرس عليها إلا بعد سبع سنوات، وهذا الأمر غير معقول حسب رأيه لأن أية معاهدة لا تصبح ملزمة إلا بعد التصديق عليها وإعلانها رسميا من الطرفين، ينظر، أبو القاسم سعد الله، العلاقات الجزائرية الأمريكية، المرجع السابق، ص. 300

<sup>2</sup> علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية...، المرجع السابق، ص. 307

## الفصل السادس: السياسة الخارجية

في تطوير تجارتها وسلامة مواطنيها في البحر الأبيض المتوسط خاصة عندما كانت لا تمتلك قوة بحرية لحمايتهم.

وفي المرحلة الثانية: سارت الأمور في غير صالح الجزائر بعد نهاية الحروب الأوربية والأمريكية سنة 1814م وتوحيد كلمتهم ضد الجزائر، ولعل السبب الرئيسي لتغيير سياسة الولايات المتحدة ضد الجزائر هو إنشاءها لأسطول بحري قوي، فراحت تتماطل في تنفيذ التزاماتها فتأزمت العلاقات، ثم خرقت القوانين الدولية وفاجأت سفينة الرئيس حميدو أشهر رياستها وقضت عليه، ومن ثمة أملت شروط معاهدة مهينة على الجزائر. والأكثر خطورة من ذلك هو تشجيع البلدان الأوربية الكبرى، وخاصة بريطانيا التي لم تتأخر متحدة مع هولندا في القضاء على نشاط وقوة الأسطول الجزائري، وعلى هيئة الجزائر في حوض البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي أصبحت مستهدفة من قبل الجميع.

# الفصل السابع

## العلاقات التجارية الجزائرية

### الفرنسية وقضية الديون (1791-1830)

- أولاً: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على الأوضاع الاقتصادية
- ثانياً: أزمة الديون ومشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر
- ثالثاً: الحملة الفرنسية على الجزائر واستسلام الداى حسين

### أولاً: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على الأوضاع الاقتصادية

كان لرحيل محمد بن عثمان باشا آثاراً وخيمة على الاستقرار الداخلي، وعلى الاستقرار الاقتصادي حيث -وكما بينا سابقاً- عرف عهده تطوراً في مداخيل الخزينة بفضل تشجيعه للقطاع الفلاحي ونمو الصادرات خاصة الحبوب مما عاد بالوفرة والرخاء الاقتصادي طوال مدة حكمه<sup>1</sup>، لكن السياسة الاقتصادية التي سار عليها خلفه أدت إلى الأزمات الغذائية وفراغ الخزينة وعلى المستوى الخارجي خلقت مشكلة الديون الفرنسية التي انتهت باحتلال الجزائر، ولكن كيف حدث ذلك؟

### 1- السياسة الاقتصادية في عهد الداى حسن (1791-1798م):

ورث حسن باشا ملكاً مستقراً ووضعاً اقتصادياً مقبولاً - كما بينا سابقاً -، وزادت في عهده مداخيل الخزينة بسبب ظروف دولية استثنائية، غير أنه سمح لليهود بالسيطرة على أمور السياسة والاقتصاد، فخرّب كل ما أنجزه الداى محمد بن عثمان باشا لأكثر من ربع قرن، فضعف الاستقرار وتآزم الوضع الاقتصادي وعانى السكان كثيراً، وبمنحه القروض والحبوب إلى فرنسا تسبب في قضية الديون.

إنّ أول ما قام به حسن باشا عند توليه سدة الحكم هو إقالة صالح باي وإعدامه عام 1792م، والذي حقق تطوراً ملحوظاً في شرق البلاد على مختلف الأصعدة - كما سبق ذكره -، وأبرم معاهدة الصلح مع الإسبان في نفس السنة، وبموجبها صار لديهم حق شراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح سنوياً، وصيد المرجان في ساحل الغرب الجزائري<sup>2</sup>، وبذلك أصبحوا منافسين للتجار الفرنسيين. حيث تمكنت الشركة الإسبانية "كمبانية" في الفترة الممتدة ما بين 30 سبتمبر 1792 إلى 21 ديسمبر 1793م من تصدير 122 32 ميزورة من الحبوب من موانئ الغرب الجزائري، وحققت أرباحاً معتبرة<sup>3</sup>.

وابتداءً من نفس السنة فضّل الداى حسن سياسة تصدير المنتوجات الزراعية موجهة من مدينة الجزائر، وتعاون وثيق مع الوسطاء اليهود هما بكري وبوشناق<sup>4</sup>. وساهمت

<sup>1</sup> لمزيد من المعلومات حول النشاط الاقتصادي في عهد محمد بن عثمان باشا ينظر الفصل الرابع

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص. 491

<sup>3</sup> Ismet Terki-Hassaine, Op.cit. pp. 220-221

<sup>4</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص. 253

الظروف المناخية الملائمة في وفرة المحاصيل طوال عهده، وزادت الحروب الأوربية (1793-1815) في مداخل الخزينة الجزائرية، بسبب شدة التنافس بين تجارها على قمح الجزائر، وارتفاع الأسعار بشكل متزايد<sup>1</sup>. ومن جهة أخرى ازدهرت الغنائم البحرية بشكل لم يسبق له مثيل طيلة القرن الثامن عشر. فقد بلغت قيمتها بالفرنكات خلال 1793، 1794، 1797، 1798م، أكثر من مليون فرنك، كما سجلها دفتر الغنائم<sup>2</sup>.

ولعل السبب الرئيسي في نمو الغنائم البحرية خلال تلك الفترة هو مرور الأسطول الجزائري إلى المحيط الأطلسي بعد عقد هدنة مع البرتغال عام 1793، وأسر السفن التي تحمل السلع والبضائع الثمينة بقيادة الرئيس حميدو، وأغلبها سفن تجارية ملك للولايات المتحدة الأمريكية وهولندا<sup>3</sup>.

وكان لزيادة مداخل الدولة وتعدد مصادرها أثر واضحاً على استقرار الأسعار في الجزائر واستمرار الرخاء الشعبي الذي عرفته الإيالة منذ عهد محمد بن عثمان باشا، وحسب العنترى فإنه إلى غاية بداية القرن التاسع عشر كان متوسط سعر صاع القمح لا يتجاوز الريال والنصف<sup>4</sup>. غير أن الأوضاع السياسية في الشرق فقدت استقرارها الذي عرفته مع صالح باي، إذ قُتل خلال مدة حكم الداوي حسن لسبع سنوات، أربع بايات من بينهم صالح باي ومصطفى الوزناجي، ومنذ ذلك العهد لم يعرف بايك الشرق الاستقرار إلى غاية تعيين أحمد باي قبيل الاحتلال الفرنسي كما سبق ذكره.

### 1-1- التبادل التجاري الفرنسي الجزائري:

كان التبادل التجاري مع الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية يسير بشكل عادي إلى غاية اندلاع الثورة الفرنسية، فقد تمكنت الشركة من تحقيق أرباح طائلة، ونقلت الحبوب

<sup>1</sup> تشير سجلات الشركة الملكية الإفريقية إلى أن أسعار القمح عرفت ارتفاعاً متزايداً منذ بداية الثورة الفرنسية حيث كان متوسط سعر القفيز في سنة 1789 يساوي 27 بياستر، وفي عام 1790 ارتفع إلى 29، وخلال عام 1791 وصل إلى 28 بياستر. لمزيد من التفاصيل حول الأسعار ينظر الفصل الرابع،-، وحسب رسالة القنصل فاليار وكيل الوكالة الإفريقية بعناية إلى القنصل فالبير بالجزائر أن سعر القفيز وصل إلى 38 بياستر في مارس 1794، ينظر،

A.O.M. Aix 1 MI 46, 1B13, Documents du consulat de France à Alger, lettre du Césaire Philippe Vallière, consul général de France à Alger à l'agent Guibert de Bône, n° 446, ANN. 1794,

<sup>2</sup> A. Devoulex, Le registre des primes, vol., n° 15, Op.cit., pp., 362-370, 447-454

<sup>3</sup> Idem

<sup>4</sup> محمد صالح العنترى، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 35

والأصواف والجلود إلى مرسيليا بكميات ضخمة كما سبق ذكره، واستمرت في ازدهارها حسب العربي الزبييري إلى غاية القرار الذي أصدره المجلس الوطني الفرنسي بتاريخ 1791/07/21، وهو قرار خول لجميع الفرنسيين المتاجرة في كل المؤسسات الفرنسية الموجودة في المشرق وشمال إفريقيا وأباح صيد المرجان لمن يريد مما قضى على أرباح الشركة، وزاد من عجزها المالي<sup>1</sup>.

وحسب بول ماسون<sup>2</sup> فإن تخلي الداي حسن عن مساعدة الشركة الملكية الإفريقية وتفضيله للإسبان كان السبب في عجزها عن مواصلة نشاطها، ذلك أن حسن باشا في بداية ولايته 1791 قد ساعد الفرنسيين دون غيرهم من التجار الأوربيين، حيث كتب إلى صالح باي خلال نفس السنة، وطلب منه أن يبيعهم 20 000 حمولة قمح بسعر 31 بياستر؛ وهو سعر أقل من السوق. ثم سرعان ما غير سياسته لصالح الإسبان بعد إبرام معاهدة الصلح في بداية عام 1792، مما جعلها تتكبد خسائر كبيرة خلال تلك السنة، وعجزت عن إتمام عمليات الشراء ودفع اللزمة لخزينة الجزائر، نتيجة لارتفاع الأسعار وصعوبة المنافسة. وفي السنة الموالية (1793) تعذر على الشركة الحصول على البياستر الإسباني لإتمام صفقاتها، وذلك بسبب إعلان إسبانيا الحرب عليها، وحصار الإنجليز لميناء طولون (1792-1794م)، فانسحب منها أغلب المساهمين، وتمت تصفيتها في 8 فيفري 1794م.

وإلى غاية آخر أيام الشركة الملكية كانت لجنة المؤونة الفرنسية لا تكف عن طلب شراء القمح مهما كان الثمن ومهما كانت الوسائل، وقد كتب القنصل العام بالجزائر السيد "فالبيير" خلال شهري جانفي وفيفري عدة رسائل تحمل تعليمات إلى السيد "قبيار" (Guibert) وكيل الشركة بعناية الوكيل لشراء القمح، ووجه رسائل أخرى إلى السيد "جيمون" (Gimon)

<sup>1</sup> محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص. 203-204

<sup>2</sup> من بين الأسباب الأخرى في إفلاس الشركة الملكية الإفريقية هي نتائج الثورة الفرنسية السلبية التي أدت إلى فراغ الخزينة وهجرة كبار التجار المرسلين بسبب الإرهاب والمجاعة التي ضربت فرنسا وخاصة المقاطعات الجنوبية،

Paul Masson, Op.cit, pp., 562-569

وعليه قرر المسؤولون الحجز على كل مشتريات الشركة من الحبوب توزيعها على المتضررين مما سبب لها خسارة قدرها حوالي 2 400 000 فرنكا، لم تعوض مما أدى إلى إفلاسها، محمد العربي الزبييري، المرجع السابق، ص. 206، 207، وليس السبب هو امتناع حسن باشا عن مساعدتها.



صاحب شركة "الأخوة جيمون" للاستيراد والتصدير بمرسيليا، لتموين فرنسا بالقمح، وتبين لنا هذه الرسائل العجز المالي وحدة المجاعة اللذين كانت تعاني منهما فرنسا<sup>1</sup>. وعلى إثر تصفية الشركة الملكية تم إنشاء الوكالة الإفريقية خلفا لها في مارس من نفس السنة، وقد تكفلت الجمهورية بتمويلها ماديا، وأما مسيروها فكان جلهم من المسؤولين القدامى للشركة المنحلة<sup>2</sup>، وقد ورثت الوكالة نشاطها التجاري ومشاكلها أيضا. وتبين سجلات الوكالة الإفريقية لسنتي 1794 و1795م أنها وسعت نشاطها التجاري إلى ميناء وهران وأرزيو ومدينة الجزائر، ونقلت كميات متوسطة<sup>3</sup> من الحبوب إلى مرسيليا، إذ بلغت خلال عام 1794م حوالي 21740 حمولة حبوب (قمح، شعير وفول)، وبلغت تقريبا 50 483 حمولة قمح خلال عام 1794م<sup>4</sup>، ولعل الدافع وراء توسيع نشاط الشركة الجديدة لشراء الحبوب هو الظروف الداخلية الصعبة التي كانت تعاني منها فرنسا وكثرة المنافسة الأوروبية بسبب الحرب.

وبسبب المشاكل التي عانت منها الوكالة، وهي نفسها مشاكل الشركة المنحلة، عجزت عن إتمام صفقاتها التجارية وخاصة شراء الحبوب، مما جعل لجنة الإنقاذ العام تبرم صفقتين مع شركة بكري-بوشناق، قصد تزويدها بالقمح خلال عام 1795م، قيمة كل منها 100 ألف حمولة وخلال عام 1796، وسعت شركة بكري-بوشناق عمليات التصدير نحو فرنسا وأضحت مخازنها في مرسيليا محل مخازن الوكالة الإفريقية، وباعت للحكومة الفرنسية في نفس السنة 40 ألف قنطار من الحبوب. وخلال الحملة الفرنسية على مصر طالبت الحكومة الفرنسية من ذات الشركة أن تزودها مرة أخرى بالحبوب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> A.O.M., Aix MI/46 MIOM/ Série, 1B13, documents du consulat de France à Alger, 1794, Op. cit, lettres n° 423,424, 425,426, 427.

<sup>2</sup> Paul Masson, A La veille d'une conquête concessions et compagnie d'Afrique (1800-1830), in bulletin de géographie, histoire et descriptive, 1909, pp., 50-51

<sup>3</sup> اعتبرناها كميات متوسطة مقارنة مع إحصائيات التي قدمناها سابقا خاصة في سنوات ازدهار الشركة الملكية الإفريقية (1772-1777م) إذ وصلت عدد الحمولات إلى حوالي 100 ألف حمولة قمح. لمزيد من المعلومات ينظر جداول تصدير القمح بالفصل الرابع.

<sup>4</sup> A.C.CM. Série I16, Etats des bâtiments arrivés du levant et de barbarie, vers Marseille, Sept. 1791 au Brumaire An IV.

<sup>5</sup> Paul Masson, Op.cit., pp., 57-61

وقد أدى انعدام الدعم المالي للوكالة الإفريقية من باريس إلى توقف نشاطها<sup>1</sup>، واستغل اليهود تلك الظروف وسيطروا على كل المراكز التجارية بالإيالة وأصبحت المنافسة مستحيلة<sup>2</sup>، وهكذا احتكرت الشركة اليهودية تصدير الحبوب إلى فرنسا<sup>3</sup>.

## 1-2 نشأة الديون الفرنسية:

كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية مستقرة خلال الثورة حينما كانت فرنسا في أحوج ما يكون للجزائر لتموينها بالقمح، حيث أقرضها الداوي حسن مبلغا من المال قدره 200000 قرش إسباني (مليون فرنك)، بدون فائدة ولمدة سنتين لتغطية مشترياتها من الحبوب في الشرق الجزائري خلال عام 1796م<sup>4</sup>. وخفّض لهم الأسعار دون غيرهم لشراء كميات هائلة من الحبوب عن طريق الشركة الملكية الإفريقية، كما سمح لشركة بكري-بوشناق بيعهم كميات معتبرة من الحبوب لتأمين الغذاء لشعبها وجيشها، وبلغت قيمة تلك الحبوب التي زودت بها الشركة اليهودية حكومة الجمهورية الفرنسية في الفترة الممتدة ما بين 1794-1796م من القمح مليوني فرنك فرنسي، وفي سنة 1798م مؤنت نفس الشركة الجيش الفرنسي بمالطة بكميات أخرى من القمح<sup>5</sup> وكان التسديد بالآجال<sup>6</sup>. وهذه المساعدة الجزائرية لم تحصل عليها الحكومة الفرنسية إلا من طرف سلطات الجزائر ذلك أنها كانت في حرب مع أغلب الدول الأوروبية<sup>7</sup>. ولذلك يعتبر الداوي حسن هو المسؤول عن قضية الديون مع فرنسا التي مهدت لاحتلال الجزائر.

<sup>1</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، مجلد1، الغزو وبيداتيات الاستعمار (1827-1871)، تمت الترجمة بالمعهد العربي العالي للترجمة، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص ص.41-42

<sup>2</sup> A. Jullien, Marseille et la question d'Alger à la veille de la conquête, in R.A., N°60, Ann, 1919, p.17

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Les commencements d'un Empire: la prise d'Alger 1830, éd. Champion & l'Afrique latine, Paris & Alger, 1923. P.20

<sup>4</sup> بمجرد وصول الداوي مصطفى إلى الحكم في صيف سنة 1798م طالب من حكومة الجمهورية تسديد قرض المليون فرنك، واستجابت الحكومة لذلك حيث قام وزير المالية بتقديم ثلاثة كمبيالات باسم يعقوب كوهين بكري في الجزائر ومجموع ثمنها يساوي قيمة القرض، وبدوره المواطن "رامل" قدمها إلى القنصل "مولتيديو" وأمره أن يسلم الأموال إلى الداوي الجديد واستلمها الداوي مصطفى في 22 سبتمبر 1798م. أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ج3، ص.145

<sup>5</sup> Camille Rousset, La conquête d'Alger, éd, E. Plon, Cie, Paris, 1879, p.27

<sup>6</sup> Gabriel Hanotaux, Alfred Martineau, Histoire de colonies françaises dans le monde Tom II, Algérie, Augustin Barnard, Librairie, Plon, Paris, 1929. p.92

<sup>7</sup> Paul Masson, Marseille depuis 1789, étude historique, éd, E. De Boccard, Paris, Imprimerie Barlatier, Marseille, 1916. P.186

وقد كانت بداية تدخل اليهود وخاصة بكري وبوشناق في الحياة الاقتصادية والسياسية بالجزائر بداية النهاية للإيالة والوجود العثماني بالجزائر؛ لذلك يجدر بنا التعرف على بداية هذين اليهوديين من أجل الوقوف على أسباب تأزم العلاقات بين الجزائر وفرنسا والتي أدت إلى الحملة على الجزائر في 1830م.

كان الباي مصطفى الوزناجي صديقا قديما لليهودي بوشناق (بوجناح) ويثق فيه ثقة عمياء إلى حد أدت به إلى سوء المصير، فبعد أن صار بايا على قسنطينة عينه مستشاره الخاص<sup>1</sup>، وقد سعى الفرنسيون إلى كسب الباي الجديد كحليف لهم، إلا أنهم فشلوا، وقد كتب السيد "قيبار" ممثل الوكالة الإفريقية في عنابة إلى مرؤوسيه بفرنسا قائلاً: «لقد وضعت تحت تصرف الباي ترجماننا وطبيبنا، وكلما لدينا من إمكانيات، أملا منا في الحصول على مساعدته ولكنه يبدو مترددا<sup>2</sup>»، وحسب "فايسات" فإن بوشناق قد وقف حاجزا بين الطرفين، واحتكر تجارة القمح ومنع بيعه للوكالة الإفريقية، وهو مما جعل القنصل الفرنسي "جون بون سان أندري" (Jean Bon Saint André)، الذي خلف "قالبير" يتقدم بشكوى ضده لحسن باشا وبعد أيام وصل إلى قسنطينة أمرٌ بإعدامه<sup>3</sup>.

لم ينته أمر بوشناق بنهاية مصطفى الوزناجي لأنه قد دخل في مصاهرة ومشاركة ناجحة مع عائلة بكري الثرية في مدينة الجزائر، والتي حققت نجاحا هائلا بفضل تعاقدتها مع الحكومة الفرنسية لتزويدها بالحبوب، فأصبحت الشركة التي حملت اسم "الأخوة بكري - بوشناق" في وقت قصير من أهم الشركات في حوض البحر الأبيض المتوسط<sup>4</sup>.

ولقد تمكن بكري وبوشناق أن يجمعوا ثروات ضخمة بفضل إتقانها للهِجة الجزائرية وحماية الحكام لهما ومهارتهما في التجارة<sup>5</sup>، وقد أورد حمدان خوجة رواية يقول جاء فيها أن مصطفى الباي الوزناجي أراد أن يقدم هدية قيمة لزوجة الباشا حسن فطلب من مستشاره بوشناق أن يشتري له حلية ثمينة فاحضر له واحدة قيمتها ثلاثمائة فرنك، وبما أنه لم يكن يملك المبلغ نقدا فقد تعهد أن يدفع له قيمتها كيلات من القمح، ثمن الكيلة الواحدة أربعة

<sup>1</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p. 19

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 221.

<sup>3</sup> E.VAYSSETTE, Op.cit., p.193, 194

<sup>4</sup> Eisenbeth Maurice, Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque Turque (1516-1830), in R.A., N° 96, Ann. 1956, p. 373.

<sup>5</sup> Emérite Marcel, La satiation économique..., Op.cit., p. 171

فرنكات، وبعد جني المحاصيل قدمت مراكب شركة بكري- بوشناق وشحنت خمسا وسبعين ألف كيلة من القمح نقلوها إلى فرنسا وباعوها هناك بخمسين فرنك للكيلة الواحدة، وهكذا ربحوا من هذه العملية 3750000 فرنك، ويقال أن الثمن الحقيقي للحلية هو ثلاثون ألف فرنكا فقط<sup>1</sup>. وهكذا باستعمال الخداع استطاع بكري وبوشناق تحقيق أرباح هائلة أضرت بالاقتصاد والفلاح الجزائري.

وبفضل رعاية وحماية بعض باشاوات الجزائر وخاصة حسن ومصطفى باشا أصبح اليهوديان بكري وبوشناق يوجهان سياسة الإيالة إلى ما يخدم مصالحهما التجارية. وتشير الرسائل<sup>2</sup> التي بعثها حسن باشا إلى حكومات إسبانيا وفرنسا إلى المكانة العالية التي وصل إليها هذان اليهوديان، وخاصة يوسف بكري الذي لعب دورا بارزا في المفاوضات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيالة الجزائر من أجل عقد معاهدة السلام<sup>3</sup>.

وفي عهد مصطفى باشا (1798-1805م) سيطر بوشناق على شؤون الدولة بعدما عين مستشارا له إلى درجة أصبح يعين ويعزل الموظفين ويتوسط في حل الخلافات بين الجزائر والدول الأوربية ويستقبل باسم الداوي قناصل الدول ومبعوث الباب العالي ويشارك في المفاوضات مع الدول الأجنبية كما حدث في مفاوضات البرتغال سنة 1803م، فأصبح الناس يطلقون عليه "ملك الجزائر" لتحكمه في كل شؤون الجزائر<sup>4</sup>. وقد كتب روزي وكاريت عن بوشناق يقولان: « هذا التاجر صاحب الذكاء الخارق والشجاعة غير العادية في نظر أبناء أمته أصبح له تأثير شبه مطلق على قضايا الدولة.»<sup>5</sup>

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 159

<sup>2</sup> على سبيل المثال ينظر الرسالة التي بعثها الداوي حسن بتاريخ 9 أكتوبر 1795م إلى ملك اسبانيا والتي تدخل فيها لصالح عائلة بكري من أجل تسديد باقي ديونهم لدى زبائنهم الاسبانيين. رسالة أخرى كتبها الداوي حسين إلى الوزير الأول الاسباني بتاريخ 6 جانفي 1797م أكد فيها أيضا على ضرورة تسديد ديون عائلة بكري. يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية، المرجع السابق، ص. 201. أما الرسائل التي بعثها الداوي حسن إلى الحكومة الفرنسية فهي كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال الرسالة التي كتبها إلى لجنة الإنقاذ العام الفرنسية بتاريخ 12 جويلية 1795م يوصيهم فيها يعقوب بكري كثيرا وقال فيها: « أن أوصيكم به على وجه الخصوص، لأنه شخص يهمني كثيرا ». أوجان بلانتيث، المصدر السابق، ج3، ص. 94، 95.

<sup>3</sup> حول دور اليهودي بكري في العلاقات الجزائرية الأمريكية، ينظر: الفصل السادس.

<sup>4</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p.20

<sup>5</sup> Rozet et Carette, L'Algérie, Op.cit. p.504

ولقد اكتسب بوشناق وبكري هذه المكانة بفضل علاقاتهما القوية مع كبار المسؤولين في كل موانئ البحر الأبيض المتوسط وفي فرنسا نفسها<sup>1</sup>. وكذلك بفضل القروض التي يمنحها أو الوساطة التي يقوم بها<sup>2</sup>. وأيضا بفضل الأخبار التي تجمعها لهما شبكة الجوسسة المنتشرة في داخل البلاد وخارجها، مستخدمين التجار والسماسرة اليهود عبر كامل الوطن، وفي الخارج كان وكلاؤهما في الموانئ يجمعون لهم أخبار التجارة والسياسة الخارجية<sup>3</sup>. وبالطبع يقدمان المعلومات التي تتوافق مع مصالحهما لحكام البلاد. وبينما كان بوشناق مهتما بالأمر السياسية للإيالة انشغل بكري بالتجارة الداخلية والخارجية، وتبين سجلات السفن القادمة من مختلف موانئ الإيالة إلى مرسيليا أن شركة بكري بدأت تظهر بقوة في شراء وتصدير الحبوب، خلال صيف 1795م حيث كانت تشتري القمح من موانئ أرزيو وعنابة وتصدرها إلى مرسيليا منافسة بذلك الوكالة الإفريقية، وقد بلغت كميات القمح في نفس السنة: 17 957 حملا، ومن الشعير 4 600 حمل<sup>4</sup>. وحسب إسحاق بلوش " أن الشركة اليهودية احتكرت التجارة الخارجية في ميناء وهران منذ سنة 1801م<sup>5</sup>. ومع مطلع القرن التاسع عشر أحكم بكري وبوشناق سيطرتهم على التجارة الداخلية والخارجية في الجزائر.

هذا، وقد بدأت المطالبة بديون شركة بكري-بوشناق خلال عام 1797، حين تقدم ممثلها في باريس والقائم بأعمالها "سيمون أبو قاية"، وطالب بديون شركته من حكومة الجمهورية الفرنسية وكانت قيمتها 3377445 فرنك، غير أن وزير الشؤون الخارجية حينذاك "دولاكروا" رفض التسديد بعدما اعلمه القنصل الفرنسي بالجزائر السيد "جون بون سان أندري" بالتصرفات العدائية لبكري ضد حكومته وتعامله مع الانجليز<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Paul Masson, A La veille..., Op.cit., p. 57

<sup>2</sup> Eisenbeth Maurice, Op.cit., p.349

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p.20

<sup>4</sup> A.A.CM. Série, II6, Op.cit. Ann. III/1795

<sup>5</sup> Isaac Bloch, Les Israelites d'Oran de 1792-1815, d'après des documents inédits extrait de la revue des études juives, Tom ,III, éd., A. JOURDEN, Alger,1886. P.9

<sup>6</sup> E. LE Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger. D'après des documents originaux tirés des Archives de l'État, librairie académique, Paris, 1913. p.53

وقد كتب "دولاكروا" في 26 أبريل 1797م: « سمنعهم من التلاعب بمصالحنا ونجبرهم على أن يكونوا أكثر حذرا في تعاملهم مع الإنجليز ».

وبسبب هذا التأجيل أبلغ اليهود الداوي مصطفى باشا من جهة، ووزير الخارجية الفرنسي "تاليراند" (Talleyrand) من جهة أخرى للحصول على ديونهم، وأصبحت قضية الديون تطرح على مستوى الحكومتين. بعد أن اقنعوا الداوي الذي كان دائنا لهم بمبلغ ثلاثمائة ألف فرنك<sup>1</sup> أنهم لا يستطيعون دفع ما عليهم إلا بعد أن يتحصلوا على حقوقهم من الحكومة الفرنسية. كما أنهم استطاعوا أن يكسبوا إلى جانبهم "تاليراند" الذي خلف "دولكروا" بطرقهم الخاصة، وأصبح يدافع عنهم ويُذكر الحكومة الفرنسية بالخدمات التي قدمها التجار اليهود للجيش الفرنسي<sup>2</sup>، وطالب بدفع ديونهم التي قدرت سنة 1800م ب 7943000 فرنك، وعليه قررت حكومة الجمهورية أن تدفع لهم تسبيقا يساوي 3726000 فرنك<sup>3</sup>.

وبالرغم من مساعي مصطفى باشا لحصول بكري وبوشناق على حقوقهما إلا أنهما لم يدفعوا له شيئا من هذا التسبيق، وهذا يدل على مدى سيطرتهما وتلاعبهما به. ويقول "ايزنبيت" (Eisenbeth) حول علاقة بوشناق بالداوي "أنه كان يسيطر على مصطفى داوي بفضل مهاراته واتساع معرفته بالأعمال وعقليته المتفتحة"<sup>4</sup>.

وكان مصطفى باشا لا يكف عن مطالبة فرنسا بحقوق اليهوديين<sup>5</sup>، ففي سنة 1802م طالب القنصل الأول بونابرت بتسوية حسابات بكري، واستجاب هذا الأخير له وأعطى الأمر لمراجعة حساباتهما باهتمام كبير<sup>6</sup>، وكان الدين في تزايد من سنة إلى أخرى بسبب الفوائد المتراكمة التي كان يعمل بها اليهود، فحسب حمدان خوجة المعاصر لهذه الأحداث أن اليهود كانوا يستعملون فائدة قدرها ثلاثون في المائة على الديون، والقوانين

<sup>1</sup> يذكر حمدان خوجة أن بكري كان مدينا لخزينة الجزائر بمبالغ هامة تمثل قيمة كميات من الصوف اشترها من الدولة. حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 178

<sup>2</sup> أرسلت شركة بكري-بوشناق مؤن غذائية وذخائر حربية للجيش الفرنسي الذي بقي في مصر تحت قيادة الجنرال "مونو" (Meno)، Eisenbeth Maurice, Op.cit., p.375

<sup>3</sup> Augustin Barnard, Op.cit., p.92, 93

<sup>4</sup> Eisenbeth Maurice, Op.cit., p.375

<sup>5</sup> كان مصطفى باشا يغتتم كل فرصة يكتب فيها إلى الحكومة الفرنسية أو قنصلها ليطالبهم بتسديد ديون بكري وبوشناق، ينظر أوجان بلانتيث، المصدر السابق، ج3، ص ص. 157-200

<sup>6</sup> E. Le Marchand, Op.cit., p.55

الأوربية لا تعترف سوى خمسة في المائة فقط، وفي الجزائر لا نطالب سوى برأس المال<sup>1</sup>.  
وعليه فقد وصلت ديون بكري في تلك السنة 8151012 فرنكا<sup>2</sup>.

وكان الداى مصطفى قد كرس لهما حقهما في الحصول على ديونهما من الحكومة الفرنسية عن طريق اتفاقية السلام التي أبرمت بين الجزائر وفرنسا نهاية سنة 1801م، والتي وضعت حداً للقطيعة بين البلدين، وقد جاء في البند الثالث عشر منها أن الداى يتعهد بتسديد ديون الرعايا الجزائريين التي اقرضوها من الفرنسيين كما يتعهد المواطن "تائفيل" (القنصل) باسم الحكومة الفرنسية بتسديد كل الديون المشروعة المستحقة للرعايا الجزائريين<sup>3</sup>، وباعتبار بكري وبوشناق جزائريين فلهم كل الحق في تحصيل ديونهما من الحكومة الفرنسية.

## 2- الأزمة الاقتصادية الغذائية (1804-1808م):

شهد مطلع القرن التاسع عشر تطورات جديدة وخطيرة في إيالة الجزائر على المستوى السياسي والاقتصادي معا خاصة بعد أن تمكن اليهود من فرض سيطرتهم على المجالين، بفضل ظروف كانت إلى جانبهم أحسنوا استغلالها فأصبحوا هم حكام الجزائر الحقيقيين، يوجهان السياسة لخدمة مصالحهم الاقتصادية، بحكم أنهم كبار التجار وشركاء للداى مصطفى باشا، فما هي انعكاسات هذه السياسة على الاقتصاد والمجتمع؟

بينما كان الداى مصطفى باشا يسعى لتحصيل ديون بكري، كانت الأوضاع في الداخل تسير نحو التدهور والأزمات بعد فترة طويلة من الاستقرار السياسي والاقتصادي، ففي بداية عهده كانت المحاصيل جيدة، واستمرت صادرات الحبوب في التطور والغنائم البحرية في النمو، نتيجة استمرار الحروب الأوربية، فحسب سجل الغنائم فإن قيمتها قد تجاوزت المليون ونصف المليون فرنك خلال سنتي 1798، 1799م<sup>4</sup>، غير أن التقلبات التي عرفها المناخ منذ 1803م والجفاف الذي ساد لثلاث مواسم متوالية أدى إلى تراجع

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص- ص. 181- 182

<sup>2</sup> E. Le Marchand, Op.cit., p.55

<sup>3</sup> ينظر نص معاهدة 28 ديسمبر 1801م كاملة نشرها جمال قنان، المرجع السابق، ص ص. 393-395

<sup>4</sup> خلال سنة 1798 كانت الغنائم البحرية تساوي، 1 510 529 فرنكا، وخلال 1799 بلغت 1 583 482 فرنكا،  
A. Devoux, Le registre des primes, vol., n° 15, Op.cit., p.454

المحاصيل الزراعية، وارتفاع الأسعار في الأسواق الداخلية إلى مستويات خيالية في عام 1805<sup>1</sup>. بسبب ندرة الحبوب مما اضطر السلطات إلى استيراد القمح من أوروبا وهذا ما أشار إليه الزهار قائلاً<sup>2</sup>: "وصاروا يأتون بالقمح إلى الجزائر في البحر". وهذا القحط والندرة في الإنتاج الزراعي وما انجر عنه من ارتفاع في أسعار الحبوب سجلتها قصيدة شعبية من أداء الشيخ بلقاسم الرحموني الحداد، وهو من سكان من قسنطينة قائلاً<sup>3</sup>:

الأسعار راه أغلات وحتى      أمطار الصيف أذفاقوا  
الحرث راه صعب نبتة      أليس والحجر يكثر

وحسب الإحصائيات التي قدمها الأستاذ المنور مروش وقد استقاها من سجلات القنصلية الأمريكية في مدينة الجزائر عن أزمة (1804-1808م)، حول أسعار صاع القمح بمدينة الجزائر، أنها كانت في بداية سنة 1803 ما بين 2.25-2.50 رص وارتفعت إلى 3.75 رص في خريف 1803م ثم قفزت في شتاء 1804م، إلى 6.88 رص. وفي ماي من نفس السنة ارتفعت إلى 15 رص. ومن مارس إلى نهاية 1805م ارتفعت إلى 35 رص. وفي بداية السنة الموالية (1806) تراجعت قليلاً إلى 30 رص، وفي 1807م تراجعت أكثر (ما بين 10.5 و18.75 رص)، ولم تستقر الاوضاع إلا في سنة 1808م<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه الاحصائيات نلاحظ أن سعر الصاع من القمح قد تضاعف أكثر من عشر مرات من خريف 1803 إلى 1805م، (3.75-35) رص، ثم بدأت في التراجع إلا أنها لم تنخفض إلى ما كانت عليه في سنوات ما قبل الأزمة، كما أنه عندما بلغت أسعار الحبوب ذروتها اندلعت الثورة ضد اليهود في مدينة الجزائر، وبدأت الإنكشارية بمقتل بوشناق صاحب شركة تصدير الحبوب، وربما اعتبروه المسؤول عن ندرتها، وفي

<sup>1</sup> محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 29.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 84.

<sup>3</sup> A. Cour, Constantine en 1802, d'après une chanson, in R.A. Vol. n° 60, 1919, éd. A. Jourdan, Alger, pp. 230-231

<sup>4</sup> المنور مروش، المرجع السابق، ج1، ص ص. 388-389



اليوم الموالي هاجم السكان اليهود وسلبوا ممتلكاتهم وقتلوا منهم حسب الزهار مائتي يهودي، ولم تستقر الأوضاع إلا بعد مقتل الداى مصطفى باشا والخزناجي نهاية شهر أوت 1805 كما سبق ذكره.

هكذا كان تراخي الداى مصطفى باشا في إدارة البلاد واهتمامه بمصلحته التجارية وسيطرة اليهود على السياسة واحتكارهم للتجارة الداخلية والخارجية سببا في نقص الغذاء وانتشار المجاعة، وقد زادت الثورات في شرق البلاد وغربه بقيادة الطرق الصوفية من حدثها، فكانت النتيجة حاسمة في القضاء عليه وعلى نظامه الحاكم.

لم تنتهي الأزمة الاقتصادية بنهاية نظام مصطفى باشا، ففي الشرق كانت ثورة ابن الأحرش الدرقاوي خلال عام 1804، واحدة من الأسباب التي مهدت إلى أزمة (1804-1808م)، نتيجة للرعب الذي نشرته في المقاطعة، والهلع الكبير الذي تركته وسط الفلاحين والحضر، بعد المعارك التي جرت في مدينة قسنطينة ومقتل الباى وتشيتيت جيشه في وادي الزهور- كما ذكرنا سابقا-، وهو ما جعل الفلاحين يتركون الحرث والزرع، والكثير منهم هاجروا أراضيهم بحثا عن الخصب والأمان، وكل ذلك تسبب في قلة الإنتاج، كما أن انعدام الأمن في الطرقات والجفاف أدى إلى تناقص الحبوب في الأسواق، وارتفاع أسعارها لنقص العرض وزيادة الطلب، فبلغ صاع القمح 15 ريالا، وصاع الشعير 7ريالات خلال عام 1804، فعانى الناس من مجاعة شديدة، ولم تنته الأزمة إلا بعد 1808م<sup>1</sup>.

وفي الغرب كان اندلاع ثورة الدرقاوي خلال عام 1804-1805 من أهم العوامل التي ساهمت في تردي الأوضاع الاقتصادية بالإضافة إلى القحط، فتناقص إنتاج الحبوب وانتشرت المجاعة، وذلك لأن ثورة الدرقاوي امتدت لفترة طويلة وانتشرت على رقعة واسعة في بايلك الغرب الجزائري، وخلفت خسائر بشرية ومادية كبيرة، ومن أهم تلك الخسائر؛ هو تخريب الاقتصاد ونشر والرعب بين القبائل، وقد سجلت المصادر المحلية أن الدرقاوي كان يحرق المحاصيل الزراعية ويقطع الأشجار أينما توجه انتقاما من الرجال والقبائل التي لا تنضم إليه مثلما فعل في أراضي غريس الخصبة<sup>2</sup>. وكما هاجرت قبائل أخرى وتركت

<sup>1</sup> محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص ص. 33- 34

<sup>2</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص.93

أراضيها خوفا من انتقام الباي مثل قبيلة بني عامر ومهاجر<sup>1</sup> انضمت إلى الدرقاوي سابقا، مما أدى إلى تراجع الإنتاج الفلاحي وانتشار الفقر والمجاعة.

وبالإضافة إلى ذلك كان التجار اليهود يتحكمون في التجارة الخارجية في ميناء وهران، وتمكنوا من تصدير 75 000 قنطار قمح و 60 000 قنطار شعير عن طريق البحر وباعوا نفس الكمية تقريبا إلى عرب الصحراء في وقت المجاعة، مغتتمين حاجة فرنسا وإيطاليا وإسبانيا للحبوب بسبب الحرب الأوربية وحققوا أرباحا هائلة لفارق السعر بين الشراء والبيع<sup>2</sup>.

وفي عهد الداوي أحمد خوجة (1805-1808) عاشت البلاد في اضطرابات خطيرة بسبب استمرار ثورة الدرقاوي في الغرب، واندلاع الحروب الجزائرية التونسية المتواصلة، وكانت نتيجتها استمرار الأزمة الاقتصادية الغذائية إلى نهاية عهده، بالرغم من أنه حاول التخفيف منها باستيراد الحبوب من أوربا، كما سبق ذكره. ورغم انتعاش الغنائم البحرية إلا أن الأسعار كانت في ارتفاع مستمر، فحسب التقرير الذي أعده بوتان في عام 1808 كانت أسعار المواد الغذائية قد تضاعفت ثلاث مرات من 1793 إلى 1808م<sup>3</sup> وهو ما زاد من بؤس ومعاناة السكان.

وحسب ما جاء في الرسالة التي كتبها عمر باشا إلى السلطان العثماني، أن الخزينة كانت في عجز مالي منذ ولاية أحمد خوجة، إلى درجة أنهم أصبحوا غير قادرين على دفع أجور الإنكشارية في مواعيدها، نتيجة للاضطرابات، والثورات وسوء تصرف الحكام، وما إن استقرت الأوضاع قليلا حتى ساد الجفاف، وانتشر الجراد في صيف 1815 عبر كامل أنحاء الأيالة، متلفا القسم الأكبر من المنتوجات الزراعية<sup>4</sup>، وهو ما أدى إلى انهيار الصادرات. وفي السنة الموالية تحطم الأسطول وانعدمت مداخيل الغنائم البحرية<sup>5</sup>، وسرح الأسرى بدون فدية<sup>6</sup> فصار الوضع المالي أكثر حرجا.

<sup>1</sup> مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص. 93

<sup>2</sup> Marcel EMIRIT, La situation économique..., Op.cit., p., 171

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger..., Op.cit., p., 8

<sup>4</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 241

<sup>5</sup> منذ سنة 1816م أصبح سجل الغنائم لا يكاد يسجل شيء يذكر من الغنائم، لمزيد من المعلومات راجع،

A. Devoulex, Op. cit. p p., 294-295

<sup>6</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 240

هذا، ولم تعرف الأوضاع الداخلية الاستقرار نتيجة الانقلابات العسكرية المتوالية إلا بعد وصول علي باشا إلى السلطة في عام 1817م الذي قضى على تمرد الإنكشارية ونقل دار الإمارة إلى القصبة كما سبقت الإشارة. لكن في عهده ظهرت أزمة أخرى خطيرة وطويلة الأمد تمثلت في ظهور الوباء (1816-1822م) وقد قضى عليه هو شخصياً، واجتاح كامل دول المغرب مما قلل من عدد السكان<sup>1</sup>، وحسب الزهّار فإنه كان قويا وفتاكا بحيث كان يموت يوميا مائة شخص<sup>2</sup>.

ونتيجة لتلك الظروف والأوبئة عانت البلاد من الركود الاقتصادي، فعلى سبيل المثال كان بايات الشرق غير قادرين على تجهيز الهدايا وعوايد الدنوش كما حدث مع الباي محمد المنامي (1824-1826م) الذي عجز تماما عن تقديم الدنوش في أوقاته المحددة كما سبق ذكره<sup>3</sup>. وكان من نتائج عدم الاستقرار في الحكم على مستوى البايكات انتشار الفوضى وغياب السلطة وانحصار نفوذ الحكام إلى درجة أصبحت أملاك الدولة تباع وتشتري من طرف الأفراد، ولما تولى الحاج أحمد باي عام 1826 حاول التصدي لظاهرة الفساد واغتصاب أملاك الدولة، بعد أن وجد أن أراضي البايك تباع وتشتري بشهادة الشهود ووثائق تثبت ذلك من طرف أشخاص لا حق لهم فيها؛ فكتب رسالة إلى الداوي حسين واشتكى له هذه التجاوزات في 19 محرم 1244 / 2 أوت 1829.<sup>4</sup>

وعلى أية حال فإن تنامي مداخيل الجهاد البحري إلى مستويات خيالية لم يضع حدا للأزمة التي عرفتها البلاد في بداية القرن التاسع عشر، نظرا لسوء تسيير النظام الحاكم المتعاون مع اليهود، وتراجع الانتاج الزراعي، وزاد من حدتها الثورات الدينية في الشرق

<sup>1</sup> Dominique TABUTIN, L'histoire de la population de l'Afrique du Nord pendant le deuxième millénaire (Université catholique de Louvain, Belgique) Éric VILQUIN (Université catholique de Louvain, Belgique) Jean-Noël BIRABEN (INED, Paris, France), Communication présentée à la conférence « The History of World Population in the Second Millennium », organisée à Florence du 28 au 30 juin 2001 par le Comité de Démographie Historique de l'UIESP, p.2

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 151

<sup>3</sup> حول الأزمة الاقتصادية إلى كان يعيشها بايالك الشرق ينظر الفصل الخامس

<sup>4</sup> الرسالة تحمل رقم 29 مؤرخة في 19 محرم 1244 / 2 أوت 1829، منشورة في كتاب:

Marcel EMERIT, Algérie à l'époque..., Op.cit., p., 218

والغرب، وكان من نتائجها القضاء على النظام السياسي الحاكم وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية معا.

### 3- المنافسة الفرنسية الإنجليزية على احتكار امتياز الباستيون:

سعت فرنسا لاستعادة نشاط الامتيازات بعد عودة السلام مع الإيالة (1801م)، ولكن منافسة اليهود كانت من بين المعوقات لنشاطها إضافة لانشغال فرنسا بالحرب الأوروبية، لذلك لما استؤنف التبادل التجاري بين فرنسا والجزائر كان ضعيفا، وحسب بول ماسون بلغ مجموع البضائع والسلع الصادرة والواردة من وإلى موانئ عنابة وبجاية ووهران، خلال عام 1806م حوالي 2 639 طنا، وفي 1807م تقريبا 2 064 طنا، وفي 1808م كانت 1 771 طنا، وبمتوسط 20 سفينة في السنة<sup>1</sup>.

وبسبب تماطل السلطات الفرنسية في دفع ما عليها من ضرائب مقابل استغلال الامتيازات جعل الداوي أحمد خوجة يلغي جميع المعاهدات المبرمة مع فرنسا فيما يخص شراء الحبوب سنة 1806م ثم سلمها بعد ذلك ببضعة أشهر إلى الانجليز، مقابل لزمة مضاعفة لتلك التي كانت تدفعها فرنسا قدرها 50000 بياستر<sup>2</sup>، وكان غرض الانجليز من الاستيلاء على الامتيازات الفرنسية هو فرض سيطرتهم على البحر المتوسط وإقامة قواعد عسكرية في عنابة لدعم مراكزها في كل من مالطا وجبل طارق. واستغل الانجليز سواحل عنابة والقاللة لمدة عشرة سنوات وتركوا ميناءي جيجل والقل لآل بكري، ومنحوا رخص صيد المرجان للصيادين من صقلية وجنوة ونابولي وسردينيا وكثالونيا مقابل ضريبة على كل مركب<sup>3</sup>.

وبما أن غرض الانجليز لم يكن التجارة وتحقيق الأرباح، وبالتالي كان استغلالهم للامتيازات ضعيفا، وحسب "فيرو" فإن التجار الانجليز الذين ساهموا بإنشاء المحطات التجارية بعنابة قد خسروا جزءاً كبيراً من أموالهم، لأن الفلاحين كانوا مستائين، ورفضوا التعامل معهم كما تشير إلى ذلك الرسالة التي كتبها عبد الله باي قسنطينة إلى الداوي الحاج

<sup>1</sup> Paul Masson, A La veille..., Op.cit., p., 78

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة في الشرق...، المرجع السابق، ص. 97

<sup>3</sup> Paul Masson, Op.cit., p., 78

علي باشا (1809-1814م) لذلك كان النشاط التجاري في تدهور مستمر إلى غاية الحملة التي قادها اللورد اكسموث ضد مدينة الجزائر صيف 1816 وحدث القطيعة بين البلدين<sup>1</sup>. وعلى أية حال فإن الانجليز قد نجحوا في استغلال الامتيازات، بعد ما احتكرها الفرنسيون قرنين من الزمان، بفضل قوتهم البحرية والمالية. لكنهم فشلوا في بناء قاعدتهم العسكرية، هذا المشروع الذي رفضه الديوان رفضا قاطعا<sup>2</sup>.

### ثانيا: أزمة الديون ومشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر

#### 1- الداى حسين باشا يطالب بالديون الجزائرية:

بمجرد تولي الداى حسين الحكم عام 1818م حتى فتح قضية الديون وطالب بها من جديد، وربما كانت الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد أدت به إلى البحث في الديون القديمة والمطالبة بديون بكري وبوشناق التي مضى عليها ربع قرن. وبناء على طلب رفعه إلى حكومة لويس الثامن عشر الفرنسية، شكلت لجنة رباعية لإعادة النظر في ديون بكري خلال عام 1819م، ومراجعة الحسابات التي تقدم بها محامي شركة بكري بباريس السيد "نيكولا بليفيل" (Pléville Nicolat) المبلغ المطلوب دفعه في البداية كان كبيرا وقدر ب 16401305 فرنك، بسبب تراكم الفوائد ولكنهم اتفقوا على تخفيضه إلى سبعة ملايين فرنك لانعدام الوثائق الثبوتية وطول المدة، تدفعها الخزينة الملكية، وتم التوقيع على مخالصة 28 أكتوبر 1819م بهذا الشأن من طرف اللجنة والمحامي وتم تثبيتها عن طريق قانون 24 جويلية 1820م<sup>3</sup>.

وحسب المؤرخين الفرنسيين<sup>4</sup>، فإن الداى حسين قد وافق على مخالصة أكتوبر 1819م ظنا منه أنه سيتحصل على حقوقه بعد أن يحصل يعقوب بكري وميشال بوشناق أخ نפטالي على ديونهما، وقد نصت هذه الوثيقة في أحد بنودها على تخصيص مبلغ مالي

<sup>1</sup> L.Ch. Féraud, Op.cit., p., 593

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.97

<sup>3</sup> E.LE Marchand, Op.cit., p.59

<sup>4</sup> Nettement, Histoire de la conquête d'Alger, libraire Jaques Le Coffre, Paris, 1867. P.141/ Gabriel Hanotaux, Augustin Bernard, Op.cit., p. 93/ Paul Gaffarel, La conquête d'Afrique, imp. LAHURE, Paris, 1892, p.64

احتياطي لصالح الدائنين الفرنسيين لشركة بكري، يُحتفظ به في خزانة الودائع والأمانات وقدره 2500000 فرنك إلى حين تفصل المحاكم الفرنسية في صحة الشكاوي المقدمة<sup>1</sup>.

مهما كان من أمر فإن الداوي لم يكن على علم أنّ النواب قد سجلوا أسماء دائني شركة بكري ورفعت القائمة للمحاكم وانتهى الأمر، وأن مبلغا قد اقتطع لهم من أصل الدين، وهكذا ضاع دين باشا الجزائر في صمت وغموض ولم يسجل اسمه مع المطالبين بديونهم بالرغم من أنه هو الوحيد الذي كانت ديونه مؤكدة على عكس باقي الدائنين الوهميين، ولم يخبره اليهود ولا القنصل دوفال بالاحتياطات التي يجب أن يتخذها لاسترجاع حقوقه في المحاكم المكلفة بالنظر في الاحتجاجات المقدمة من طرف دائني شركة بكري<sup>2</sup>.

وقد دفعت الحكومة الفرنسية 4500000 فرنك لحساب شركة بكري-بوشناق، واحتفظت بـ 2500000 فرنك كوديعة، واعتبر الداوي حسين باشا، دوفال شريكا لهم، وطالب الحكومة الفرنسية أن ترسل له يعقوب بكري، الذي رفض العودة إلى الجزائر، ومبلغ الدين كاملا، لأخذ ماله وتسوية حسابات دائني بكري الفرنسيين بنفسه<sup>3</sup>. ولكن للأسف لم يحصل على شيء، وتطورت الأمور بشكل خطير.

ونعتقد أن ضياع ديون الجزائر على الداوي حسين يرجع إلى الدور الذي قامت به اللجنة الرباعية التي تشكلت في سنة 1819م وبذلت مجهودات من أجل إبعاد القضية السياسية وهي الأساسية<sup>4</sup>، كما نصت عليها المعاهدة المبرمة بين الحكومتين لسنة 1801م-، واعتبرتها تسوية بسيطة لديون أفراد، وبين طرفين في شكل منازعات شخصية<sup>5</sup>، وأقرها قانون المالية لسنة 1820م، وسجلت أسماء الدائنين لبكري وأغلقت القضية، واعتبرت الحكومة الفرنسية أنها برأت ذمتها وأعطت لكل ذي حق حقه<sup>6</sup>.

وعلى أية حال فإن الأوان كان قد فات على أي تصرف يمكن أن يقوم به الداوي حسين باشا لاسترجاع ديونه، فمهما اتهم القنصل دوفال أنه خدعه وأخذ رشوة كبيرة من هذه

<sup>1</sup> Camille Rousset, Op.cit., p.27

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، المصدر السابق، ص. 49

<sup>3</sup> Nettement, Op.cit., p.142, 143

<sup>4</sup> Alexandre De Laborde, Au roi et aux chambres, sur les véritables causes de la rupture avec Alger et sur l'expédition qui se prépare, Imprimerie chez Truchy, Libraire, Paris.1830, p.17

<sup>5</sup> شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص. 48

<sup>6</sup> Charles Roux, Op.cit., p.529

القضية<sup>1</sup> ومهما كتب إلى الحكومة الفرنسية يطلب استدعاءه فلم يحقق أية نتيجة، وخاصة بعد جواب رئيس الحكومة الذي جاء فيها: "أن سيرة القنصل لا غبار عليها ولم يتصرف إلا في حدود اتفاقية سنة 1819م التي أمضيت أنت عليها بنفسك. وأن الحكومة الفرنسية نفذت شروطها كاملة دون نقصان من أجل تسديد مبلغ سبعة ملايين فرنك، وبوشناق قد هرب إلى ليفورن ويعقوب بكري تحصل على الجنسية الفرنسية."<sup>2</sup> وبالتالي ليس بإمكان الحكومة الفرنسية تسليمهما.

ومع ذلك استمر الداوي حسين يطالب بحقه ويتغيير القنصل دوفال وقرر أن يكتب إلى وزير الشؤون الخارجية "دي دوماس" مباشرة عن طريق قنصل نابولي وقد رد عليه في رسالة مطولة نشرها "أوجان بلانتيث" في كتابه<sup>3</sup>، ولكن أعضاء الحكومة رفضوا إرسالها وفضلوا الانتقام منه في أقرب فرصة بسبب مضايقاته المتكررة.

وبعد طول انتظار كتب حسين باشا رسالته مباشرة إلى الملك شارل العاشر نهاية 1826م عن طريق قنصل سردينيا بنفس المطالب التي رفعها إلى وزير الخارجية في صيف نفس السنة ولكنه لم يحصل على رد منه، لأنه اعتبر مطالبه شخصية وغير مؤسسة وتتناقض مع اتفاقية 1819م التي وقعها بنفسه<sup>4</sup>.

لم تكن قضية الديون وحدها السبب في القطيعة للعلاقات الجزائرية- الفرنسية بل أن الامتيازات ومبلغ الإتاوات السنوية المستحقة مقابل استغلالها من طرف الفرنسيين كان أيضا موضوع خلاف<sup>5</sup>. ومما زاد في أسباب التوتر هو مطالبة الحكومة الفرنسية تسليح تلك المنشآت التجارية والتي رفضها الداوي حسين لأنها تتنافى مع الاتفاقيات المبرمة بين

<sup>1</sup> يقول حمدان خوجة أن أحدا لم يستفد من الدين غير السيد دوفال وأصدقائه، حمدان خوجة المصدر السابق، ص. 179

<sup>2</sup> Alexandre De Laborde, Op.cit., p.20, 21

<sup>3</sup> كانت رسالة الداوي حسين بتاريخ 26 أوت 1826م، وقد تأخر جواب دي دوماس إلى 27 فيفري 1827م ولكنه لم يصل أبدا إليه، ينظر: أوجان بلانتيث، المصدر السابق، ص. 278-294، 290-302.

<sup>4</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 93/ Lamie Fleury, Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse, éd., Allouard et karpplin, Paris. 1848. P. 179

<sup>5</sup> عندما تولى حسين باشا قام بتعديلات على مستحق اللزمة والإتاوة التي تدفع لخزينة الجزائر ولباي قسنطينة في معاهدة 24 جويلية 1820م. وقد رفع اللزمة إلى 45000 قرش سنوي يدفع إلى خزينة الجزائر، و5600 قرش تدفع إلى باي قسنطينة إضافة قنطارين من المرجان وإتاوة تدفع كل عشر سنوات. لمزيد من التفاصيل ينظر، جمال قنان، المرجع السابق، ص-ص 397-398

البلدين، وبالرغم من ذلك تجرأ وكيل القنصل بعنابة السيد الكسندر دوفال - وهو ابن أخ بيار دوفال القنصل العام بالجزائر-، وقام بتسليح عدة أماكن في عنابة والقالة بمساعدة عمال صيد المرجان وزاد من تحصيناتها بالمدافع والرجال المسلحين وكأنها ملكية خاصة لفرنسا<sup>1</sup>.

وقد أثار هذا التصرف سكان المنطقة عليه فزارها باي قسنطينة بنفسه مع قواته، وأرسل الداوي من الجزائر جنود قاموا بهدم كل المباني وطردوا منها الفرنسيين<sup>2</sup>. وما قام به دوفال اعتبره الداوي اختراقاً صريحاً للاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين البلدين، كما تثبته المعاهدات الخاصة بالباستيون في 6 أبريل 1718، والمعاهدة الموقعة في 10 جوان 1768م وجاء فيهما: «أن المباني الموجودة بالقالة لا ينقص منها ولا يزداد عليها». وهما تقران وتضبطان وضعية المباني الموجودة بالقالة لكي لا تتحول إلى أغراض أخرى وخاصة إلى تحصينات عسكرية<sup>3</sup>. وهو ما زاد في العداوة الذي يكنه الداوي حسين للقنصل دوفال.

## 2- حادثة المروحة وخلفيات الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لم تعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية القطيعة منذ سنة 1689م<sup>4</sup> كتلك التي حدثت سنة 1827م، وهو ما يربو عن 138 سنة، وتميزت بالاستقرار والتفاهم بصفة عامة وخاصة في عهد محمد بن عثمان باشا وعهد لويس السادس عشر. أما القطيعة المؤقتة التي حدثت عام 1798م كانت مجرد توقف للعلاقات الدبلوماسية بأمر السلطان العثماني لباشا الجزائر ولا يمكن اعتبارها حالة حرب. فما هي الأسباب التي أحدثت القطيعة النهائية بين الجزائر وفرنسا في سنة 1827م؟

### 1-2 حادثة المروحة:

اعتبر الفرنسيون أن القرار الذي اتخذه الداوي أحمد خوجة في سنة 1807م بمنحه حق استغلال مؤسسات الباستيون للإنجليز هو انتهاك صريح للمعاهدات والاتفاقيات التجارية المبرمة بين البلدين منذ أكثر من قرنين من الزمان<sup>5</sup>، لكن الظاهر أن الباشا كانت

<sup>1</sup> Alexandre De Laborde, Op.cit., p.24

<sup>2</sup> Idem

<sup>3</sup> ينظر نص المعاهدتين في كتاب، جمال قنان، المرجع السابق، ص. 378، 387

<sup>4</sup> تم إبرام معاهدة السلم المئوي عام 1689م وتجددت في عهد محمد بن عثمان باشا سنة 1790م

<sup>5</sup> Paul Masson, A La veille ..., Op.cit., p. 75



له دوافع ومصالح أخرى تتوافق مع الإنجليز خاصة بعد توقف الفرنسيون في عهد الإمبراطورية عن دفع اللزمة وتقديم الهدايا القنصلية على حسب العادة.<sup>1</sup>

وربما أراد نابليون بمنعه للهدايا القنصلية تغيير المبادئ والعادات التي كانت تقوم عليها العلاقات بين البلدين، ولكن الداوي أحمد لم يتساهل معه ومنح حق استغلال امتياز الباستيون لصالح عدوتها إنجلترا وبإتاوة مضاعفة.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن سياسة نابليون اتجاه الجزائر قد تغيرت كثيرا وخاصة بعد عقد معاهدة أميان في سنة 1801م التي أنهت الحرب مع إنجلترا. ويتضح ذلك من خلال رسالتين شديديتي اللهجة بعث بهما إلى مصطفى الباشا بسبب تحطم سفينة فرنسية على السواحل الجزائرية ومقتل ركابها، وتجاوزات أخرى عادية تحدث في أغلب الأحيان، فهدده بغزوه برا وبحرا وتحطيم ملكه كما فعل مع المماليك في مصر. وأنكر عليه دين قد وعده به القنصل الفرنسي كتعويض من فرنسا على الخسائر التي تعرضت لها الجزائر من طرف الباب العالي بسبب وقوفها إلى جانبه أثناء الحملة الفرنسية على مصر. ومما جاء في رسالته: « كما أبلغك عن سخطي من تجرؤ ووزرائك على أن يطلبوا مني دفع 200000 قرشا ولم أكن قد دفعت لأحد شيئا أبدا،... فقد أطحت بدولة المماليك لأنهم أهانوا دولتي، تجرأوا على أن يطالبونني بالمال مقابل السلام فلتخش هذا المصير... وإذا لم توقفوا سفنكم التي تتجرأ على إهانة رايتي فسوف أرسل ثمانين ألف رجل ولأطحننا بإيالكتم<sup>2</sup>». وقد رد مصطفى باشا على رسائل نابليون نقطة بنقطة مستعملا أسلوبا فيه الكثير من المسايرة والهدوء وتجاهل فيها كل إهاناته وتهديداته له<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> رفض "ديواتانفيل" دفع الهدايا القنصلية إلى غاية سنة 1811م، حين ضغط عليه كل ضباط الايالة فاقنع حكومة الإمبراطورية بإرسال الهدايا المطلوبة إلى الجزائر وكانت قيمتها 202307 فرنك و55 سنتيما واشتملت على أواني فخارية فاخرة ومزهريات وأقمشة وخطوط وغيرها وفي مقابل ذلك قدم الداوي الحاج علي إلى نابليون حصانين رائعين بكامل جهازيهما. ينظر أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ج3، ص-ص 207-218.

<sup>2</sup> كان تاريخ الرسالة الأولى التي بعثها نابليون إلى مصطفى داي في 18 جويلية 1802م، وكتبها بعد عشرة أيام وبلهجة أشد من الأولى وأخذنا منها المقطعات أعلاه، لمزيد من المعلومات ينظر، أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ج3، ص-ص 188-195.

<sup>3</sup> ينظر رسالة الداوي مصطفى إلى بونابورت بتاريخ 12 أوت 1802م، أوجان بلانتيت، المصدر نفسه، ج3، ص 196-201.

وعلى إثر القطيعة بين الجزائر وانجلترا بسبب حملة اكسموث 1816م، أعادت الجزائر إلى فرنسا الامتيازات التي فقدتها في 17 مارس 1817 بنفس العوائد والإتاوات التي كانت يدفعها الانجليز كما جاء في المعاهدة المبرمة في نفس التاريخ حول البند الإضافي الخاص بالباستيون<sup>1</sup>. وعندما تولى علي باشا (1816-1818م)، تساهل مع الفرنسيين وقام بتخفيض مقدار الضرائب السنوية وأعادها إلى ما كانت عليه في سنة 1790. وثبتها في معاهدة 26 أكتوبر 1817م الخاصة بالباستيون<sup>2</sup>.

وكان تساهل علي باشا مع الجانب الفرنسي يعزى إلى تدخل القنصل "دوفال"<sup>3</sup> الذي حل بالجزائر في 23 أوت عام 1815م<sup>4</sup>، وكان دوره الأساسي إعادة العلاقات الودية بين البلدين، فقدم هدايا قيمة للداي وكبار رجال الدولة، ووعد بتسوية ديون بكري وإعادة حقوق الخزينة الجزائرية التي تمتلك جزءاً من تلك التموينات<sup>5</sup>.

وبالرغم من استرجاع فرنسا لامتيازاتها وتقديم القنصل دوفال للهدايا القنصلية إلا أن العلاقات راحت تسير نحو طريق مسدود، وكان للقنصل الفرنسي دور بارز في تأزمها، بسبب إخلافه لوعده اتجاه داي الجزائر حول تسوية ديونه، وتواطؤه مع بكري والنواب المحافظين الذين يعملون باسم الحكومة ضد الداوي<sup>6</sup>.

إلى غاية ربيع سنة 1827م والداي حسين مازال ينتظر رد الحكومة الفرنسية على رسائله، وينتظر أيضا استبدال القنصل الفرنسي الذي ضاق منه ذرعا، وفي ليلة عيد الفطر من سنة 1243هـ الموافق 30 أبريل 1827م، تقدم القنصل دوفال إلى القسبة لتتهنئة الداوي كما جرت العادة، وأراد أن يقدم احتجاجا حول سفينة تحمل الراية الفرنسية احتجزت من طرف الجزائريين حديثا، قابله الداوي بغضب شديد وعاتبه حول التحصينات

<sup>1</sup> ينظر بنود المعاهدة منشورة في كتاب جمال قنان، المرجع السابق، ص.397.

<sup>2</sup> ينظر الهامش رقم 1 أعلاه، ونص المعاهدة راجع جمال قنان، المرجع نفسه، ص.399.

<sup>3</sup> "بيار دوفال" هو ابن الكاتب والمترجم الأول للحكومة الفرنسية بإسطنبول كان طالبا بمدرسة اللغات سنة 1774م وعمل رئيس المترجم في صيدا سنة 1779م ثم في حلب والإسكندرية، ثم قنصلا في بغداد من 1786 إلى 1794م وهي الفترة التي عزل فيها من طرف لجنة العلاقات الخارجية.. وفي سنة 1815م عين قنصلا بالجزائر خلفا لدبواتفيل، أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ج3، ص- ص.230-231.

<sup>4</sup> E.LE Marchand, Op.cit., p.58

<sup>5</sup> Alexandre De Laborde, Op.cit., p. 8

<sup>6</sup> شارل أندري جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، المصدر السابق، ص.47، 49،

التي سمح بها في القالة وعنابة، وقال له أنه لن يقبل بأي مدفع أجنبي على أرض الجزائر، وأضاف له أنه بدلا من أن توجه لي الملاحظات حول موضوع لا يهكم من الأفضل إعادة الجواب عن رسائلي التي بعثتها إلى الملك، وطلب منه إن يحضر الرسائل والنقود أن كانت قد وصلت<sup>1</sup>. وكان رد دوفال حسب حمدان خوجة الذي كان شاهد عيان أنه قد رد عليه بمحضر جميع أعضاء الديوان قائلا: « أن حكومتي لا تتنازل لتجيب رجلا مثلك<sup>2</sup> ». لم يتمالك الداوي نفسه وضربه على وجهه بمروحة كان يحملها في يده لأنه أهانه أمام ديوانه وجرح كرامته<sup>3</sup>، وهو رجل كبير في السن.

كان التصرف الذي أقدم عليه الداوي منتظرا لأن الحكومة الفرنسية سعت إلي استفزازه بكل الوسائل. فهي لم ترد على رسائله بخصوص الدين ولم تعين قنصلا آخر بدل دوفال الذي أصبح لا يتحمله، بسبب تجاهله لكل الاتفاقيات التي تربط البلدين والوعود التي التزم بها. وأنهى مهمته بتلك المسرحية التي أحكم فصولها ووصلت العلاقات الجزائرية-الفرنسية إلى القطيعة النهائية. والحقيقة أن الخلفيات التاريخية سواء منها السياسية، الاقتصادية، العقائدية أو العسكرية كانت الأسباب الرئيسية التي حركت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر وتنفيذ مشروع احتلالها. فما هي تلك الخلفيات الحقيقية لاحتلال الجزائر؟

## 2-2- خلفيات الاحتلال الفرنسي للجزائر

### 2-2-1- الخلفيات الدينية:

ظلت الجزائر خلال العهد العثماني درعا واقيا للخلافة العثمانية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولذلك سميت بـ "دار الجهاد المحروسة"، وقد نجحت في

<sup>1</sup> Nettement, Op.cit., p.144

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص.180

<sup>3</sup> في الحوار الصحفي الذي أجراه الكاتب الصحفي أوغسطين جاك مع الداوي حسين أثناء زيارته لباريس سنة 1831م، لما سأله عن حادثة المروحة قال: " عند نهاية شهر رمضان جاءني دوفال في زيارة رسمية كما هي العادة، وقد شكوت له من عدم تلقي جواب عن الرسائل الأربعة التي بعثت بها إلى ملك فرنسا فرد علي: « إن للملك أمورا أخرى يقوم بها عوض إن يكتب لرجل مثلك... ». وإن الصداقة لا تعطي له الحق في الإهانة وأنا رجل كبير في السن ويجب احترامي وفوق ذلك فأنا داوي، واستمر في توجيهه كلام خشن ومهين لي فأردت أن أجبره على السكوت ولكنه تعنت مع ذلك، فصحت فيه أخرج أيها اللئيم. ولكن دوفال تحداني بالبقاء فوصل الأمر أن رميته بمروحتي على وجهه. أبو القاسم سعد الله، زيارة الداوي حسين إلى باريس، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، المرجع السابق، ص.261

صد الهجمات الأوربية المتوالية عليها-لمدة ثلاثة قرون-، والتي كانت تهدف إلى تحطيمها ونهب خيراتها وإعادة المسيحية إلى سابق عهدها في شمال إفريقيا<sup>1</sup>.

ولعل التعاون الوثيق بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر للدفاع عن حوزة الإسلام، قد دفع بالدول المسيحية في أوروبا لأن تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر، وفي كل أرجاء الدولة العثمانية، حيث ترسخت لدى تلك الدول فكرة ضرورة القضاء على دار الجهاد مدعية أن الجزائر تلجأ إلى محاربة المسيحيين في كل مكان، وكانت الخطوة الأولى لتجسيد فكرة القضاء على الجزائر في الحلف الأوربي لمؤتمر " فيينا" عام 1815، و"إكس لا شيل" عام 1818، بحجة تحرير الأسرى المسيحيين بالجزائر وتحطيم قوة الأسطول الجزائري، حيث تناست تلك الدول المسيحية خلافاتها، وظهرت بوضوح الروح الصليبية والاتحاد ضد الجزائر والخلافة العثمانية الإسلامية<sup>2</sup>.

وكانت الحملة الفرنسية على الجزائر تحمل بين طياتها صبغة صليبية بدت مظاهرها ليست فقط من خلال تصريحات قادة الحملة<sup>3</sup>، ومجموع المبشرين ورجال الدين الذين رافقوا الجيش الفرنسي أثناء الحملة على الجزائر<sup>4</sup>، ولكن أيضا من خلال تلك الرسائل السرية المتبادلة بين الفاتكان والسفير البابوي من جهة وهذا الأخير والملك الفرنسي شارل العاشر وأعضاء حكومته من جهة أخرى. وقد قامت بنشرها المستشرقة الإيطالية "لورا فيشيا فاقلييري"<sup>5</sup>. وجاءت تلك الرسائل في جملتها لتزيل اللثام عن الخلفية الصليبية للحملة الفرنسية على الجزائر، فهي تكشف عن العلاقة الوطيدة بين الفاتكان وملك فرنسا شارل

<sup>1</sup> سعدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري، أساليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2009، ص. 15

<sup>2</sup> صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م- 1962م)، دار العلوم، الجزائر، 2002، ص. 130

<sup>3</sup> هناك أقوال عديدة تبين التعصب الديني الذي دفع فرنسا إلى القيام بحملتها ضد الجزائر ومنها ما صرح به كليرمونت دي طونير، أثناء الحصار، وحيث قال: «...وربما يساعدنا الحظ بهذه المناسبة لنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم في المسيحية.»، صلاح العقاد، المغرب العربي، دراسات في تاريخه الحديث، ومشاكله المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1993، ص. 86

<sup>4</sup> سعدي مزيان، المرجع السابق، ص. 16

<sup>5</sup> لورا فيشا قالييري، أرشيف الفاتكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة، تقديم إيمانويل باتاي، ترجمة، حميد عبد القادر، علم الأفكار، الجزائر، 2013، ص. 17-87.

العاشر الذي يعتبره البابا "الابن البكر للكنسية، وحامي الكاثوليكية"<sup>1</sup>، وتوضح لنا كيف سعت الحكومة الفرنسية لحماية الملاحة البابوية من خطر رياس البحر الجزائريين، من دون توقيع لمعاهدة السلام بين البلدين ومن دون دفع لأي جزية للإيالة كما جرت العادة<sup>2</sup>.

وبعد رفض الداوي لهذه المطالب قام رياس البحر الجزائريين باحتجاز سفينتين وطاقمهما في 18 جويلية عام 1826م، توجه الفاتيكان لحاميته فرنسا، التي قررت استعمال القوة لإرغام الداوي على احترام السفن البابوية وعدم التعرض لها في المستقبل، وقد كتب السفير البابوي في باريس الكاردينال ماشي في سرية تامة بتاريخ 7 فيفري 1827، بابا الفاتيكان يطمئن أن الملك الفرنسي سوف يرسل من موانئ فرنسا خلال الخريف المقبل أسطول حربي لغزو الجزائر وإجبارها بالقوة على تنفيذ وعدها الذي قطعه للبابا بخصوص احترام البواخر البابوية، وفي حالة الرفض ستقصف المدينة وأكد له على سرية الخبر حتى لا يصل إلى الداوي ويستعد للمواجهة<sup>3</sup>.

ويتضح من خلال هذه الرسالة أن الحكومة الفرنسية قد قررت إرسال أسطولها الحربي ضد الجزائر من أجل احترام السفن البابوية ووضع حد لجرأة رياس البحر الجزائريين في تاريخ سابق لحادثة المروحة وهو 7 فيفري 1827، وهو ما يؤكد أن فرنسا قد قررت القيام بمشروع الاحتلال في تاريخ سابق لحادثة المروحة الشهيرة، وبضغوط من الفاتيكان، وفعل الداوي الذي اعتبرته فرنسا إهانة لقتلها وشرفها جاء في الوقت المناسب لكي تحتج به أمام الرأي العام الداخلي والأوروبي، وترسل حملتها ضد الجزائر.

وقبل إرسال الحملة للجزائر كتب السفير البابوي يشجع الملك على الحملة ضد الجزائر يقول: «وأصر على أن فرنسا تكون فخورة بهذا الغزو، وهي بمثابة أحد أجمل هدايا

<sup>1</sup> كان شارل العاشر يرى نفسه محقا في الدفاع عن الدين المسيحي لأنه من سلالة القديس لويس التاسع وكان عليه أن يسير على خطى أجداده في نصرته الدين، ولهذا كان يتدخل لصالح الكنسية في روما واكتسى عهده بصفة عامة طابعا دينيا كان له أثره في احتلال الجزائر. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، دار دحلب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص. 14

<sup>2</sup> وقد كتب قنصل نابولي رسالة في 28 مارس 1825 إلى حكومته يخبرها أن الداوي مستعد لإمضاء اتفاقية سلام مع الفاتيكان، وقد نقل هذا الخبر إلى البابا ولكنه لم يرسل أي مفاوضات من جانبه لعقد معاهدة سلام بين البلدين. مما جعله يطلق يد رياسه للاستيلاء على السفن البابوية. ينظر، لورا فيشا قالييري، المرجع نفسه، ص- ص. 19-44

<sup>3</sup> لورا فيشا قالييري، المرجع نفسه، ص- ص. 45-46

الملكية، ويتعلق الأمر بحماية الكاثوليكية على سواحل شمال إفريقيا، وبشكل واسع من الإمبراطورية العثمانية، وعليه نجد أن مكانة البابا السامية معترف بها ومضمونة<sup>1</sup>. وكان قرار شارل العاشر لتنفيذ الحملة مدفوعا أيضا من الأسقف الكبير الفرنسي وزير الشؤون الدينية "فرنسيوس" الذي كانت من ورائه روما<sup>2</sup>.

وبعد أن سقطت مدينة الجزائر خطب "دوبورمون" في الصلاة التي أقامها بالقصبة وشارك فيها جيشه قائلا: «لقد أعدتم معنا فتح باب المسيحية لإفريقيا...»<sup>3</sup>. وكما أرسل السفير البابوي في مرسيليا يقدم تهانيه للملك شارل العاشر وقال له: «إن النجاح تحقق بفضل صلوات البابا»، وشارك في الاحتفالات التي نظمت في كنيسة السيدة العذراء بمرسيليا، وفكر السفير البابوي وكتب الدولة في منح الغفران للقائدين دوبورمون ودوبري نظير ما قدمه لنجاح الحملة<sup>4</sup>.

وقد يرى البعض أن الزمن قد تجاوز الحروب الصليبية في سنة 1830 خاصة بعد الثورة الفرنسية وما أحدثته في فرنسا وأوروبا من تغييرات في مختلف المجالات، ولكن هل فعلا كان قد انتهى؟

حسب ما جاء بالرسائل المتبادلة بين الفاتيكان وحكومة فرنسا أنه لا يمكن استبعاد الجانب الديني لاحتلال الجزائر، لأن بعض المؤرخين الفرنسيين<sup>5</sup> أنفسهم يصفون الحملة الفرنسية على الجزائر بالحملة الصليبية.

والغريب في الأمر أنه في أيامنا هذه وبالرغم من انتشار العولمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، مازلنا نسمع تصريحات من أكبر زعماء الغرب يتداولون نفس المصطلحات التي كنا نعتقد أنها مرتبطة بالماضي، فعقب أحداث سبتمبر 2001 تحدث "جورج بوش الأب" الرئيس الأمريكي عن الحروب الصليبية ضد الإرهاب، ومؤخرا تطرق

<sup>1</sup> لورا فيشا قالييري، المرجع نفسه، الرسالة رقم 1 في 9 مارس 1827، المرجع نفسه، ص-ص 59-60

<sup>2</sup> خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص. 15

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, les Commencements... Op.cit., p.320

<sup>4</sup> لورا فيشا قالييري، المرجع نفسه، ص.78

<sup>5</sup> Paul Gaffarel, Op.cit. p.75

وزير الخارجية الفرنسي "كلود غيون" إلى مسألة الحرب الصليبية وهو يتحدث عن التدخل العسكري في ليبيا<sup>1</sup>.

## 2-2-2- الخلفيات السياسية:

يعتقد "شارل أندري جوليان" أن الأسباب الحقيقية للحملة على الجزائر، لم يكن القصد منها "الثأر للإهانة" التي كانت تعتبر أقل ضررا بكثير من العار الذي لحق فرنسا في أوروبا، خلال عام 1815<sup>2</sup>. بل كانت تريد أن تمنح للنظام الملكي النفوذ اللازم لخنق المعارضة والفوز بنتائج الانتخابات<sup>3</sup>، أي أن أوضاع فرنسا السياسية كانت هي الدافع للحملة على الجزائر، فقد شهدت خلال سنة 1830 أزمة داخلية خطيرة بعد فوز الليبراليين بالأغلبية في الانتخابات العامة، فقام الملك بحل مجلس النواب، في 19 ماي 1829، ودعا إلى تنظيم انتخابات تشريعية جديدة في شهر أوت 1830<sup>4</sup>، وكان الوضع على وشك الانفجار، ورأى الملك وأتباعه أن الحملة على الجزائر هي أحسن وسيلة لتحقيق الفوز في الانتخابات، وتحويل اهتمام المعارضة عن الثورة، لهذا يجب الإسراع في تطبيقها<sup>5</sup>.

ومن جهة أخرى كان الجيش الفرنسي ممزقا في ولائه بين النابوليين والمؤيديين للملك شارل العاشر. وكان في حالة غضب وهيجان ويبحث عن الثورة، وكان من الضروري نقله بسرعة إلى الساحل الإفريقي لإبعاد خطره عن باريس. وقد حرص "دوبومون" قائد الحملة ووزير الحربية على توحيد هذا الجيش تحت لواء الملك في الحملة على الجزائر بحجة تحطيم القرصنة<sup>6</sup>.

وقد لخص الأهداف السياسية للحملة على الجزائر وزير الخارجية السابق السيد "كليرمونت طونير" في الرسالة التي بعثها إلى خلفه "دوبورمون" وكتب يقول: « أنتم تعلمون كم كنت أتمنى أن أقوم بالحملة على الجزائر منذ سنتين وتعرفون ما هي أسبابي... اعلم أن تلك الفترة كانت أحسن...، وليس لديكم في هذا الوقت وسيلة أخرى لإشغال العقول وتحويل

<sup>1</sup> لورا فيشا قالبييري، المرجع نفسه، ص.12

<sup>2</sup> عرفت فرنسا أكبر هزائمها في معركة واترلو في عام 1815، كما أذلت بمعاهدة باريس في نفس السنة.

<sup>3</sup> شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 69

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء...، ج3، ص.257-258

<sup>5</sup> Louis Bertrand, De Bourmont et la conquête d'Alger, *La Revue Hebdomadaire : Romans, Histoire, Voyages*, n° 39<sup>e</sup> Année, 4 janvier 1930, Librairie Plon, Paris, 1930, p. 410

<sup>6</sup> Louis Bertrand, Op.cit, pp.407-408

اهتمام الشعب إلا كفاحنا السياسي، والأمر الثاني هي فرصة طبيعية وشرعية لتكوين وجمع جيش موحد كل عناصره موالية للملك»<sup>1</sup>.

كما كانت فرنسا تسعى من خلال مشروع احتلال الجزائر إلى زيادة مناطق نفوذها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لتنافس الوجود الإنجليزي في المنطقة، ففي تلك الفترة كانت إنجلترا تسيطر على جبل طارق ومالطة والجزر الأيونية<sup>2</sup>، مما جعل فرنسا تشعر بالخطر الدائم على مصالحها. وسعت لاحتلال الجزائر لتجعل منها قاعدة بحرية أمامية تساعد في القضاء على التفوق الإنجليزي.<sup>3</sup>

### 2-2-3- الخلفيات العسكرية:

تزايد اهتمام الفرنسيين بتوجيه حملة ضد الجزائر منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ويتضح ذلك من خلال المذكرات والتقارير التي قدمها القنصل إلى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية وأهمها مذكرة "فتير دو باردي" مترجم القنصل، و"ديكارسي" القنصل العام بالجزائر سنة 1791. وقد سبق الحديث عنهما.

يذهب ش. رو<sup>4</sup> أن فرنسا كانت قبل نهاية القرن الثامن عشر والتاسع عشر تخشى حقيقة من توسع الروس والنمسا على حساب أملاك الدولة العثمانية، واحتمال سقوطها (المسألة الشرقية) كان يشكل كابوسا للدبلوماسية الفرنسية في تلك الفترة، وكانت الحكومة الفرنسية ترى أنه من الضروري ضمان حصة لها. وقد اعتبر الكثير من الشخصيات السياسية أن مصر هي أحسن حصة لها، وفي غياب مصر فإن الجزائر تعوضها.

وقد انتهج نابليون سياسة المهادنة مع الجزائر في حملته على مصر عام 1798، وحرص على استمرار العلاقات ودية بين البلدين، من أجل ضمان تزويد جيوشه بالقمح ولإنقاذ الفرنسيين من المجاعة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن بعد تدخله في إسبانيا وتنصيب أخيه "جوزيف" ملكا عليها<sup>5</sup>، صار يحلم بتحطيم إيالات المغرب الثلاث وتحويل

<sup>1</sup>Idem, p.407

<sup>2</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p.97

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Les commencements..., Op.cit., p.30

<sup>4</sup> Charles Roux, Op.cit., p.360

<sup>5</sup> صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 140



البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية من أجل قطع الطريق على بريطانيا إلى الشرق وضمن حملة جديدة على مصر وآسيا. وعلى إثر معاهدة "تلسيت" في 9 جويلية 1807م، التي أنهت الحرب القارية وعاد السلام إلى أوروبا مؤقتا، أظهر نابليون اهتمامه بالجزائر في اتفائه السري الذي عقده مع قيصر روسيا الإسكندر الأول<sup>1</sup>.

وبعد أن تجرأ الداوي أحمد خوجة على منح الامتيازات التجارية بالشرق الجزائري لصالح إنجلترا مقابل لزمة كبيرة عام 1807<sup>2</sup>، قرر نابليون إعداد خطة عسكرية دقيقة لاحتلال الجزائر دون أية احتمال للهزيمة فيها، فطلب من وزيره للحربية (Duc Decrès) إعداد مشروع في أجل أقصاه شهر؛ سواء كانت برية أو بحرية وزوده بأهم النقاط التي يجب دراستها في إعداد المشروع، وخاصة مكان الإنزال والتاريخ المناسب للحملة، وطلب منه أن يرسل سرا أحد جنوده يكون يتميز بالمهارة الهندسية وضابط في البحرية، إلى الجزائر ويقوم عند "دبوا تانفيل" القنصل الفرنسي هناك، ويتجول بنفسه في داخل وخارج الأسوار، ويجمع له المعلومات الضرورية. فعين لهذه المهمة الضابط المتميز "بوتان"<sup>3</sup> (Yves Boutin).

انطلق "بوتان" من ميناء طولون في 8 ماي 1808، ووصل إلى الجزائر عبر تونس في 24 جويلية وأقام عند القنصل "دبوا تانفيل" متكرا وظل بمدينة الجزائر إلى غاية 17 جويلية، وخلال تلك المدة زار وفحص بدقة كل الحصون والقلاع وتقل من "رأس ماتيفيو" (برج البحري) شرقا إلى سيدي فرج غربا وأعد تقريرا شاملا ودقيقا جمع فيه المعلومات اللازمة وأرفقه بالخرائط والمخططات<sup>4</sup>.

وبالرغم من أنه قد أعدم كل الخرائط والرسومات التي أنجزها عن الجزائر بعدما أسر الإنجليز سفينته أثناء عودته إلى فرنسا، وقادوه إلى مالطة، إلا أنه احتفظ بملاحظاته واعتمد عليها لاحقا في إعادة كتابة تقريره، بعدما استطاع التخفي والإبحار إلى اسطنبول في أول سبتمبر من نفس السنة. ومن هناك أرسل تقريره مع بريد القنصلية الفرنسية إلى باريس واستلمه وزير البحرية في 18 نوفمبر بعنوان "اكتشافات عامة لمدن وقلاع وبطريات الجزائر

<sup>1</sup> بنور فريد، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر، 1782-1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008،

<sup>2</sup> M. Léon Galibert, Op.cit. p. 244

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Reconnaissance..., Op.cit. p. I

<sup>4</sup> Gabriel ESQUER, Reconnaissance..., Op.cit , p. XV, XVI

وضواحيها". وقد درس في تقريره بصفة عامة الموانئ الأساسية لإيالة الجزائر وتونس، الحرارة، الأمراض، اللغة، السكان، الإنتاج، التجارة المداخل والعمل<sup>1</sup>.

واقترح "بوتان" أن تكون الحملة برية وليست بحرية وبين السبب في ذلك، واختار مكان الإنزال هو سيدي فرج لأنه مناسب لرسو البوارج البحرية ونزول الجيش بدون خطر نظرا لخلو المكان من أية تحصينات وبطريات باستثناء الصور الوحيد الذي لا يستحق الذكر. أما الجيش اللازم فاقترح أن يكون ما بين خمسة وثلاثون ألف إلى أربعين ألف، ومعظمهم مشاة، مع بعض المدافع. وعلى هذه القوات أن تسير إلى حصن الإمبراطور وهو أعلى مكان في المدينة ويتحكم في باقي الأبراج، ويجب الاستيلاء عليه، وأفضل وقت مناسب للحملة هو من ماي إلى جوان. واقترح مؤونة كافية لمدة شهرين وكمية الأسلحة والذخائر اللازمة. واقترح أيضا لضمان النجاح السريع؛ السرية في تحضير الحملة ومفاجأة العدو. ولكن هذا المشروع لم يستغل في حينه نظرا لانشغال نابليون بالحروب في أوروبا<sup>2</sup>.

وبعد سقوط نابليون وعودة الملكية في فرنسا بدأت تظهر مشاريع الحملة العسكرية من جديد ضد الجزائر خاصة بعد تدويل قضية الجزائر في مؤتمر فيينا، وإكس لاشبيل، متأثرة بقراراتهما من أجل القضاء على دار الجهاد، ومن بين أهم المشاريع مشروع القنصل "دوفال" الذي أرسله إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في عام 1819، يطلب من حكومته تطبيق الحصار وتنظيم حملة على الجزائر من جهة البر وعدم اللجوء إلى القصف البحري لأنه أثبت فشله مع كل الدول الأوروبية التي جربته من قبل. وذكر فيه أنه إذا تخلصنا من نظام القرصنة في الجزائر ستكون رادعا لباقي إيالات المغرب. وقد ظل دوفال يطالب الحكومة بضرورة التدخل العسكري في الجزائر من سنة 1819م إلى 1829م وهي سنة وفاته<sup>3</sup>.

هكذا كان دوفال يلعب دورين في الظاهر يبدوان متناقضين ولكنهما في الواقع يسيران في نفس الاتجاه، وهو إحداث القطيعة واحتلال الجزائر، فكان يقوم بمهامه القنصلية بطريقة مريبة نتج عنها ضياع حق خزينة الجزائر في ديون بكري وبوشناق مما أدى إلى تأزم العلاقات بين البلدين وكانت وقاحته سببا في حادثة المروحة التي اتخذتها فرنسا ذريعة

<sup>1</sup> Idem, p. XVII, XVIII

<sup>2</sup> Voir Charles Roux, Op.cit., pp. 457-473

<sup>3</sup> Charles Roux, Op.cit. p. 523

لفرض الحصار على الجزائر، ومن جهة ثانية أعد تقريراً للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر حرّض الحكومة الفرنسية على تطبيقه، ولكن لسوء حظه وفاته المنية قبل أن يتحقق حلمه. هذا، وقد توالى على وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية منذ بداية الحصار مشاريع لحملة عسكرية ضد الجزائر وإنهاء الحصار. ولكن الحل العسكري في تلك الفترة رفضه رؤساء الحكومات المتعاقبة إلى عهد بولينياك. ومن بين الأعمال التي رفضت مشروع أعده الجنرال "لوفاردو" (Loverdo)، وكان دراسة شاملة حول الجزائر تاريخية وجغرافية وعسكرية. كما اقترح قائد النقيب "دي بتي توار" (Du petit Thouars) في أوت 1827م، هجوماً برياً قوبل بالرفض أيضاً<sup>1</sup>، ثم تولى وزير الحربية "كلارمونت تونير" (Clermont- tonnerre) بنفسه تحضير مشروع آخر اعتمد فيه على مشروع بوتان السابق الذكر وسار على خطواته<sup>2</sup>.

#### 2-2-4- الخلفيات الاقتصادية:

تعتبر الأطماع الاقتصادية من أهم العوامل المحركة للاستعمار الأوربي في كل الأزمنة، وغناء الجزائر بثرواتها الطبيعية وخزيرتها العامرة جذب اهتمام الساسة والبرجوازية الفرنسية، ويتضح ذلك من خلال التقرير الذي أعده وزير الحربية "كليرمونت طونير" سنة 1827، حول مشروع الحملة العسكرية على الجزائر. حيث قدم فيه وصفاً مغرباً لخيرات الجزائر الاقتصادية تجذب البرجوازية وأصحاب رؤوس البلاد للهجرة إليها وحتى العسكريين، وقال إن خزينة الجزائر تضم 150 مليون فرنك، والجزائر غنية طبيعياً، موانئها جميلة، سهول خصبة، غاباتها صالحة لبناء السفن، المناجم بها كثيرة ومختلفة من حديد وورصاص، وجبال الملح وغيرها، وأوصى بإقامة المستعمرات واستغلال هذه الخيرات<sup>3</sup>. ويرى أن الاضطرابات التي تحدث في أوروبا لن تنتهي إلا إذا فتحت لشعوبها المتنامية أبواب سواحل إفريقيا لتحقيق طموحها وتطورها الصناعي<sup>4</sup>.

وقد طالبت البرجوازية الفرنسية من جانبها بغزو الجزائر لجعلها مستعمرة دائمة وقطراً جديداً، يسمح لهم بنقل الفائض من السكان ونشاطهم إليها. وقد عملت الحكومة

<sup>1</sup> شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص. 57.

<sup>2</sup> Nettement, Op.cit., pp.154-157

<sup>3</sup> Charles Roux, Op.cit., p.573

<sup>4</sup> Nettement, Op.cit., p.157

الفرنسية على تحقيق مطالب البرجوازية، وبصفة خاصة إرضاء رغبات التجار المرسلين الذين اعتادوا على التعامل مع الجزائر منذ زمن طويل.<sup>1</sup> وقد صرح وزير الحربية الجنرال "جيرار" (Gérard)، في اليوم الموالي لاحتلال مدينة الجزائر حول الفائدة الاقتصادية من مشروع الحملة قائلاً:<sup>2</sup> « إنها تعتمد على الجوانب الأكثر أهمية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحفظ النظام العام في فرنسا وفي أوروبا أيضاً، ويتعلق الأمر بفتح سوق واسعة للفائض من سكاننا ولتدفق إنتاج مصانعنا ولتبادل منتجات أخرى غريبة عن أرضنا وعن مناخنا.»

وبعد ثلاث سنوات من احتلال فرنسا للجزائر أي في سنة 1833 كان القادة الفرنسيين منبهرين بخيرات الجزائر ويدعون إلى استغلالها فلاحياً وبشريا، فقد كتب المحامي "كابي" نائب رئيس المستعمرة الإفريقية رسالة إلى الصحافة بالعاصمة وباقي المقاطعات تقريراً عن الفوائد الاقتصادية التي حققتها فرنسا من احتلال الجزائر قال فيها أن هذا البلد يمتلك 215 موقع ساحلي غني بالموانئ والمرافئ، ومجعداً بالأشجار والجدال والتربة الخصبة والمناخ الملائم لجميع مزروعات المدارات تتجهها اليد العاملة القوية من السكان الأصليين مع قليل من النفقات نكسهم لزراع أراضيها ورعاية بيوتنا، وسيصبح هذا البلد في الأخير مصدر لا ينضب للثروة الهائلة للمعمرين والوطن الأم في نفس الوقت إنه امتلاك عظيم الأهمية لتزايد قوتنا البحرية في الحوض المتوسط.<sup>3</sup>

هكذا استغل ملوك فرنسا فكرة احتلال الجزائر لتعويضها عما فقدته من مستعمرات في أوروبا، وأمريكا وجزر الهند الغربية وتأكدت فكرة التوسع لديهم من خلال المقولة الفرنسية " الراية تتبع التجارة"<sup>4</sup>.

والخلاصة حول خلفيات الاحتلال أن فرنسا وعلى رأسها شارل العاشر كانت تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية وترى في احتلال الجزائر عملاً هاماً ستقدمه للبابا والعالم المسيحي ولكنه ليس السبب الوحيد والدافع لاحتلال الجزائر، بل إن هذه الأسباب السياسية، الاقتصادية، العسكرية القريبة منها والبعيدة متلاحمة فيما بينها هي التي حركت الجيوش

<sup>1</sup> إيف لاقوست، وآخرون، المرجع السابق، ص. 224

<sup>2</sup> Collette et Francis Jaenson, l'Algérie hors la loi, préface, Abdelaziz Bouteflika, éd, ministère de la culture, Algérie, 2009, p.32

<sup>3</sup> M. CAPPE, Lettre sur la Régence d'Alger à MM. les rédacteurs des journaux de capitale et de la province, bibliothèque nationale de France, 28 Juillet 1833, Paris, source, Gallica, bnf.fr. p.1,2

<sup>4</sup> صالح فركوس المرجع السابق، ص. 134

الفرنسية إلى احتلال الجزائر، تحقيقاً لتلك الأطماع والمكاسب، ولعل أهمها التخلص من قضية الديون والمعارضة الداخلية والحصول على كنوز خزينة الجزائر، والتوسع في شمال إفريقيا والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، ورد الاعتبار للجيش الفرنسي أمام العالم الغربي والإسلامي بعد الانهزامات التي تعرض لها مع نابليون.

### ثالثاً: الحملة الفرنسية على الجزائر واستسلام الداي حسين

#### 1- الحصار البحري:

كان رد فعل فرنسا على حادثة المروحة سريعاً إذ قامت بإرسال قطعة بحرية أمام الجزائر بقيادة القبطان "كولي" (Collet)، وصلت يوم 11 جوان 1827 وصعد القنصل دوفال إلى السفينة التي تسمى لابروفانس. وقد طالب كولي من حسين باشا:

1- تقديم ترضية شخصية للقنصل الفرنسي بأن يحضر بنفسه إلى السفينة ويعتذر له. وتوقع كولي أن يرفض حسين باشا هذا الطلب، عندئذ تقدم باقتراحات أخرى أقل صعوبة من الاقتراح الأول وهي:

2- أن يقدم الباشا اعتذاره للقنصل في ديوانه بحضور القبطان ورئيس أركانه والقناصل الأجانب.

3- أن يرسل بعثة برئاسة وكيل الحرج (وزير البحرية) إلى قطعة الأسطول الفرنسي ليعتذر باسم الباشا إلى القنصل. وفي الحالات الثلاث يرفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية، بما في ذلك القصبية وتطلق مائة طلقة تحية له<sup>1</sup>.

وبعد دراسة تلك الاقتراحات من طرف النقيب كولي وقائد الفرقاطة "ديبتي توار" (Dupétit Thouar)، طلب منه هذا الأخير إرسال الاقتراح الثالث فقط لأن هناك نسبة لقبوله أما الاقتراحين الأول والثاني فرأى استبعدهما نهائياً لأن الداي يستحيل أن يقبلهما، وإذا قبل أحدهما ستندلع ثورة في المدينة<sup>2</sup>.

أرسل القبطان كولي مذكرة في 15 جوان إلى الباشا تعلمه أن الملك استاء كثيراً من الإهانة المقترفة في حق قنصله، ولذلك هو يطلب منه ترضية سريعة. وأعطاه مهلة

<sup>1</sup> Prince Sixte De Bourbon, La dernière conquête du roi d'Alger 1830, Nouvelle collection historique, éd., Cahilmam-Levy, Paris, 1930, pp.33-34

<sup>2</sup> Nettement, Op.cit., p.146

أربع وعشرين ساعة لكي يرسل وفدا رسميا يتكون من وزير البحرية وقائد الميناء برفقة أربعة من كبار خوجات قصر الداى ليقدموا اعتذاراتهم باسم الداى وتطلق المدافع كما هو مبين في الاقتراح الثالث أعلاه، وقد حمل هذا الإنذار قنصل سردينيا في الجزائر "الكونت داتي" (D'Attili) الذي أصبح يرفع المصالح الفرنسية بعد رحيل "دوفال"<sup>1</sup>.

لم يوافق الداى على الاقتراح المقدم واعتبره مضحكا، ذلك أنه كان يرى نفسه المجني عليه، وقد تعرض لإهانة القنصل الفرنسي وتجاهل حكومته وضاع حقه. وعندما انقضت المهلة المحددة بدون جواب أعلن كولي الحصار في 16 جوان 1827 والحرب على الجزائر. ورد الباشا على هذا القرار بأن أمر باي قسنطينة أن يستولي على المؤسسات الفرنسية في القالة وعنابة ويهدمها<sup>2</sup>.

كانت الاقتراحات أو الترضيات المقدمة من طرف الحكومة صعبة القبول وتحمل الكثير من الإهانة إلى سلطات الجزائر، ولم يقدم مثلها في ظروف مماثلة هكذا كتب أحد الفرنسيين وأضاف أن هذه الشروط قاسية أكثر من تلك التي فرضها لويس الرابع عشر عندما انتقم ليس من أجل الإهانة ولكن لمقتل قنصله الذي وضع في فوهة مدفع ورمي به.<sup>3</sup>

### 1- 1 آثار الحصار:

أحدث الحصار الفرنسي المفروض على السواحل الجزائرية منذ البداية انقساماً في الأوساط الفرنسية الحاكمة فكان "كولي" من أنصار الحملة والإنزال والاحتلال وكان "كليرمونت" رئيس الحكومة يطالب بنفس الفكرة ولكن غالبية الوزارة التي يرأسها "دي فيلال" كانت ترى في الحصار وسيلة فعالة لتأديب الداى وإرغامه على قبول المطالب الفرنسية، ولذلك أعطيت الأوامر إلى "دوفال" بأن لا يغادر السفن الحربية المحاصرة للجزائر<sup>4</sup>.

وقد فرض الحصار على طول الساحل الجزائري ليمنع خروج السفن الجزائرية من الميناء وقطع المبادلات التجارية عن الجزائر، ونتيجة لذلك تمكنت السفن الفرنسية من أسر

<sup>1</sup> غادر دوفال مدينة الجزائر من غير عودة بعد أن تلقى تعليمات حكومته في 11 جوان 1827، وجمع الرعايا الفرنسيين بالجزائر، وعهد إلى القنصل العام لسردينيا أن يتولى المصالح الفرنسية بالجزائر وأعضاء القنصلية وأبحروا على الغيلوطة (La Torche) أما هو فقد التحق بالقبطان كولي على ظهر سفينة لابروفانس ينتظر إلى ما تسفر عليه

المفاوضات مع الداى، Camille Rousset, Op.cit., p.33

<sup>2</sup> Nettement, Op.cit., p.146

<sup>3</sup> Alexandre De Laborde, Op.cit., p. 32

<sup>4</sup> Charles Roux, Op.cit., p.149

السفينة السويدية "لورفي" (Lourfie) في 04 أوت 1827، كانت قادمة للجزائر محملة بالذخائر الحربية كإتاوة سنوية فتعرضت لهجوم قوات الحصار فاحتجزت واقتادوها إلى ميناء طولون في 14 سبتمبر.<sup>1</sup> وأمام هذه الوضعية حاول الجزائريون فك الحصار فتقدموا بإحدى عشرة سفينة تحمل أكثر من ألف متطوع واختاروا المولد النبوي لبداية الهجوم في ليلة 4 أكتوبر 1827م، انطلق الأسطول الجزائري يحمل الراية الإنجليزية، يتجه نحو الغرب فوجه إليهم القبطان كولي 12 فرقاطة 2 بريك وزورق قاذف للمدافع. وقعت معركة كبيرة بين الأسطولين الجزائري والفرنسي ودامت لمدة ساعتين دون نتيجة حاسمة لكلا الطرفين.<sup>2</sup> وتجدر الإشارة إلى أن الحصار لم يمه عمليات الجهاد البحري وبالتالي لم يحقق هدفه الأساسي ولم يكن ناجحاً، فقد شوهد البحارة الجزائريين في شهر مارس من عام 1828 على سواحل سردينيا وجزر البليار وحتى في شواطئ بروفس.<sup>3</sup> وتمكنوا من أسر سفينة تجارية فرنسية في بداية سنة 1829م ونقلوها إلى تطوان لبيعها هناك، ولكن السلطان مولاي عبد الرحمن منعهم من ذلك بعد تحذير الحكومة الفرنسية له.<sup>4</sup> وعلى إثر محاولة ثلاثة أو أربعة صنادل فرنسية ملاحقة بريك جزائري بالقرب من رأس تمنقفوس استطاع أن يدخل إلى مرسى الدجاج ولم يتضرر، فتابعه الفرنسيون ونزلوا إلى البر فأحاطت بهم طوائف العرب من كل ناحية فلم ينج أحد وكانوا أكثر من ثلاثين رجلاً قتلوا كلهم وغنم أهل الجزائر مراكبهم وأسلحتهم وسائر لوازمهم.<sup>5</sup> وقد كان الحصار يكلف الخزينة الفرنسية تسعة ملايين فرنكا سنوياً<sup>6</sup>، ومع ذلك لم تتخذ الحكومة موقفاً موحداً حول العمل العسكري ضد الجزائر، ويعزى السبب في ذلك إلى

<sup>1</sup> Gabriel ESQUER, Les commencements..., Op.cit., p.81

<sup>2</sup> Prince Sixte De Bourbon, Op.cit, p.37

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p.82

<sup>4</sup> وقد أرسل السلطان مولاي عبد الرحمن رسالتين بخصوص هذا الموضوع إلى عامله في تطوان الأولى في 13 سبتمبر 1828، والثانية كانت في 24 جانفي 1829م، وهذا يدل على أن الحصار الفرنسي لم يضع حداً نهائياً لنشاط الجهاد البحري، ينظر، خليفة إبراهيم حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب، ووثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنية والخزانة الحسينية بالرباط)، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016، ص.48، 165.

<sup>5</sup> المجموعة 3204، الملف الأول، الوثيقة رقم 62، خليفة حماش، والتاريخ العثماني، المرجع السابق، ص. 293-294

<sup>6</sup> العقيد م. فرنال، حملة إفريقية 1830، دون ذكر اسم المترجم، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص. 13.

مشاركة فرنسا مع إنجلترا وروسيا، في الحرب اليونانية ضد الدولة العثمانية بعد أن وقعت معاهدة تحالف مع الدولتين في 6 جويلية 1827 وساهمت في ثورة اليونان بأحسن القطع البحرية<sup>1</sup>، بالإضافة إلى تخوف وزارة مارتيناك الذي خلف فيلال في 04 جانفي 1828م من تعرضها إلى حرب بريطانية أو روسية في حالة ما إذا قامت بحملة ضد الجزائر<sup>2</sup>.

والراجح أن هذه الاسباب والظروف مجتمعة قد ساهمت في تأجيل الحملة العسكرية على الجزائر لسنة ونصف أخرى. إلا أن هذا التأخير لم يهمل البحث والدراسة التي كانت تتم على مستوى عالي، وفي هذا الصدد عينت الحكومة لجنة برئاسة الجنرال "لوفردو" في صيف 1828م تابعة لوزارة الحربية لمتابعة ودراسة الشروط التقنية لإنزال القوات في سيدي فرج والسير بها صوب حصن الإمبراطور. ولكن ظل المشروع نظري ولم تطالب الحكومة بأي اعتماد مالي لتنفيذه<sup>3</sup>.

كانت حكومة مارتيناك تعتقد أن الحصار هو أفضل حل لإنهاء النزاع الفرنسي الجزائري، كما أن الخيار العسكري كان صعب تحقيقه في ذلك الوقت نظرا لمشاركة أسطولها في الحروب الخارجية في الشرق وفي المحيط الأطلسي، فقررت فتح باب المفاوضات مع داي الجزائر مرة أخرى من أجل رفع الحصار الذي تزايدت تكاليفه المالية، فأرسلت بعثة للتفاوض مع سلطات الجزائر بقيادة الضابط "بيزار" (Bézar) التقت مع الداي حسين 29 أبريل 1828م، وقد لاحظ "بيزار" أن شكاوي الباشا قد زادت ضد "دوفال" وتصريحاته كانت تناقض تلك الاحتجاجات الفرنسية ضده، ولم يلتزم بتقديم أية ترصيات للحكومة الفرنسية، وصرح بشكل قاطع مواصلة الحرب التي تكلفه ماديا أقل من فرنسا<sup>4</sup>.

كما فشلت بعثة الضابط "بيزار" إلى الجزائر مرة ثانية خلال نفس السنة، ذلك أن حسين داي رفض الشروط الجديد التي اعتبرتها الحكومة الفرنسية مخفضة إلى حد لا يمكن تجاوزه<sup>5</sup>. وأهم شرط رفضه الباشا هو الذي أوصى بإرسال المبعوث الجزائري إلى باريس من

<sup>1</sup> Charles Roux, Op.cit., p.542

<sup>2</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 95

<sup>3</sup> شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص.60

<sup>4</sup> Charles Roux, Op.cit., p.600, 601

<sup>5</sup> Idem



أجل تقديم الاعتذار وإمضاء هدنة هناك، واشترط الباشا أن يتم عقد المعاهدة في الجزائر ثم يرسل المفوض إلى فرنسا<sup>1</sup>. واعتبره شرط غريب يكتنفه الغموض.

### 1-2- حادثة السفينة لابروفانس:

استمرت الحكومة الفرنسية في تطبيق الحصار على الجزائر وتحملت تكاليفه المادية لسنة إضافية، مما جعلها تواجه معارضة قوية في الدورة البرلمانية لسنة 1829م، لذلك قررت الدخول في مفاوضات جديدة مع الجزائر بنفس الشروط الأخيرة<sup>2</sup>، وأرسلت تعليمات إلى قائد الحصار الجديد "لابروتونيير" (La Bretonnière) الذي خلف "كولي" بعد وفاته عام 1828، لإعادة محاولة عقد السلام عن طريق المفاوضات مع داي الجزائر، وطلب منه أن يصحب معه القبطان "نارسيا" (De Nercia) وزودته بشروط الصلح الثلاثة وهي: أولاً إطلاق سراح الأسرى. وأوصت بضرورة التركيز عليه لأنه هو الهدف الحقيقي السري للمفاوضات، ثانياً إرسال وزير مفاوض من الجزائر إلى باريس للاعتذار للملك ويقول بأن الداي حسين لم يرد إهانة الملك، والشرط الثالث هو توقيع هدنة بين البلدين.<sup>3</sup>

أبحر الوفد المفاوض على متن البارجة "لابروفانس" و"بيريك" "Alerte" في 30 من شهر جويلية 1829 تحمل راية التفاوض، ومعهم قائد المدفعية السيد "سينوري" والسيدان "بيانشي" مساعد مترجم الملك الذي تولى الترجمة في هذه المفاوضات ومعهم أيضاً القائد "قابري". ووصلوا في نفس اليوم إلى الجزائر وكان في استقبالهم قائد الميناء الرئيس "سيمون" والسيد "سامون" مترجم الداي وقنصل سردينيا السيد "داتيلي"<sup>4</sup>.

التقى الوفد المفاوض مع الداي بقصره في اليوم الموالي أي 31 جويلية من نفس السنة، وبعد استماعه لشروط الصلح طلب مهلة إلى غاية 2 أوت للرد عليهم، وقد جاء رده سلبياً فغادر المفاوضون الفرنسيون في 3 أوت في منتصف النهار، وكانت الرياح قوية

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ش.و.ن.ت. ط3، الجزائر، 1982، ص.

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص.61

<sup>3</sup> Nettement, Op.cit., p.173 .

<sup>4</sup> Nettement, Op.cit., p.174, 175

والبحر هائجا مما جعل السفينتين تسييران قريبا جدا من سور بطريات المدافع. فأطلق رجال المدفعية عدة طلقات على السفينة "لابروفانس" أصابتها ولكن استطاع قائدها أن ينقذها<sup>1</sup>. وقد اعتبر الفرنسيون هذه الحادثة اختراق كبير للقانون الدولي، وأوعزوا السبب إلى زيارة فرقاطتين انجليزيتين إلى الجزائر خلال المفاوضات الأخيرة مع الداى. وقد كتب الداى عن طريق ترجمانه رسالة أعرب فيها عن أسفه على تصرف رجال المدفعية بالحصون، وقام بإقالة وزير البحرية وطرده كل رؤساء الطوباجية<sup>2</sup>.

كانت تلك المفاوضات هي الأخيرة بين فرنسا والجزائر وكان محكوم عليها بالفشل مسبقا لأنها مبنية على نفس الشروط السابقة التي رفضها الداى، وحتى الفرنسيون كان لا يهتمهم من تلك المفاوضات سوى تحرير أسراهم، أما باقي الشروط فإنهم كانوا على يقين أن الداى لن يعقد معهم هدنة بتلك الطريقة المهينة. ومما زاد في الطين بلة هو إطلاق النار على سفينة المفاوضات الفرنسيين وهي تحمل الراية البيضاء ربما لأن رجال المدفعية رأوها اقتربت كثيرا من بطاريات الحصون وظنوا أنها ستخدمهم كما حدث مع التجربة الإنجليزية التي اقتربت سفنها من الحصون وهي تحمل نفس الراية وفاجأتهم بالهجوم. أما الفرنسيون فقد قالوا أن سبب اقترابهم من الحصون هو شدة الريح واعتبروا الهجوم عليهم إهانة عظيمة لم تتعرض إليها فرنسا من قبل<sup>3</sup>.

كانت الحكومة الفرنسية تبحث عن إجماع للرأي العام الفرنسي حول مشروع الحملة ضد الجزائر، وجاءت حادثة السفينة "لابروفانس" لتقدم لها فرصة ذهبية كانت تبحث عنها فتحصلت إثرها على مساندة شعبية واسعة لتطبيق مشروع الحملة العسكرية ضد الجزائر. وبمجرد ما أعلنت الخبر للرأي العام حتى أجمعت الصحافة والمعارضة على ضرورة الانتقام لشرف فرنسا الذي أهانه الجزائريون كثيرا<sup>4</sup>.

غير أن تجدد الحرب العثمانية الروسية في سنة 1829م أخرج الحملة الفرنسية على الجزائر إلى سنة 1830م.

<sup>1</sup> Idem, pp. 176-180

<sup>2</sup> Alexandre De Laborde, Op.cit., p. 33

<sup>3</sup> Paul Gaffarel, Op.cit., pp.69-70

<sup>4</sup> Paul Gaffarel, Op.cit., p.70

### 1-3 مشروع بولينياك محمد علي باشا لاحتلال الجزائر:

بسبب مشاركة فرنسا في الحرب اليونانية ضد الدولة العثمانية سعى بولينياك الذي تولى رئاسة الحكومة في 8 أوت 1829م لإيجاد طرف آخر يقوم بمشروع الحملة ضد الجزائر بدلا من القوات الفرنسية، وفكر في إطلاق يد أكبر صديق لفرنسا محمد علي والي مصر على الجزائر<sup>1</sup>، فاقترح مشروع غير متوقع عرضه عليه القنصل العام بالإسكندرية السيد "دروفتي" (Drovetti) في أول سبتمبر من نفس السنة<sup>2</sup>.

وحسب الرسالة التي بعث بها يوسف باشا والي طرابلس إلى حسين باشا فإن محمد علي باشا قد وافق على تجريد حملة ضد الإيالات المغربية بمساعدة الفرنسيين وقال أنها ستكون بقيادة ابنه إبراهيم باشا، في مقابل تسليمهم إيالة الجزائر وبعد نجاحه سيستقل هو بالملك ويعلن نفسه سلطانا. كما طمأنه بأنه قد جهز جيشه لملاقاته في بلاده لإرغامه على العودة من حيث جاء<sup>3</sup>.

وقد سعى "بولينياك" إلى تنفيذ مشروعه عن طريق حملة برية يقودها إبراهيم باشا تسير على الساحل الإفريقي وبالتوازي يبحر معه أسطول فرنسي لحمايته، وبعد نجاح الحملة الفرنسية المصرية تفرض فرنسا سيطرتها على كامل شمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط<sup>4</sup>.

ويبدو أن حلم "بولينياك" كان أكبر من رد الاعتبار لشرف فرنسا وتأديب الداوي وأراد الحصول على كامل شمال إفريقيا والسيطرة على البحر المتوسط عن طريق حليفها محمد علي، وأراد من خلال هذا المشروع كذلك إخضاع الإيالات المغربية الثلاث<sup>5</sup>.

وقد حاول "بولينياك" أن يضيف على مشروعه الشرعية من الباب العالي، لذلك سعى لإقناع وزرائه بالفوائد التي ستجنيها الدولة العلية من هذا التعاون المشترك بينه وبين محمد علي باشا، ومنها أن هذه الإيالات إذا استولى عليها والي مصر فإنها عندئذ ستدفع إليه إتاوة سنوية كتلك التي يدفعها محمد علي باشا، ويمكن حينئذ للسلطان العثماني أن

<sup>1</sup> Idem, p.72

<sup>2</sup> شارل روبيير أجرون، المصدر السابق، ص. 63

<sup>3</sup> A.M.G. Série, H1. Lettre de Youcef Ali Pacha au Dey Hocine, le 24 Dou El kaada, 1245/1829, voir l'annexe n°(27)

<sup>4</sup> E.LE Marchand, Op.cit., p. 150

<sup>5</sup> E.LE Marchand, Op.cit., p. 150-158

يستعين بها في دفع التعويض المالي الذي فرضته عليه روسيا بموجب اتفاقية "أدرنة" 1829م، كما أن الايالات الثلاثة نفسها ستحقق ازدهارها لأن محمد علي سيقوم بها إدارة مماثلة كتلك التي أسسها في مصر. والفائدة الأكبر ستكون لصالح فرنسا وكل دول أوروبا وهي التخلص من القرصنة و من دفع الضريبة السنوية وتحرير الأسرى المسيحيين<sup>1</sup>.

كانت هذه هي أهم الفوائد التي أعلنتها الحكومة الفرنسية من مشروع الحملة المصرية الفرنسية لكن في حقيقة الأمر، كانت فرنسا قد اتفقت مسبقا مع والي مصر، أنها بعد نجاح حملته ستحتفظ بأماكن استراتيجية على الساحل الشمالي الإفريقي، وعلى محمد علي باشا أن يعترف بالملك والنفوذ الفرنسي الذي يمتد من وهران إلى غاية الحدود الأسيوية<sup>2</sup>. وعليه فإن المشروع في حقيقته يطمح إلى السيطرة على قسم كبير من أملاك الدولة العثمانية وبسط نفوذ الملك الفرنسي في إفريقيا والبحر المتوسط.

ومهما يكن من أمر فإنه تم تكليف القبطان "هودر" "Huder" الذي كان يعمل بالسفارة الفرنسية بإسطنبول في 19 أكتوبر 1829م، لمساعدة "ميمو" الذي خلف "دروفتي" بالإسكندرية في المفاوضات مع محمد علي باشا. وقد أقر محمد علي لتنفيذ هذا المشروع أن تقدم له حكومة "بولينياك" أربع بوارج بحرية هدية ذات 80 مدفعا وتقرضه عشرين مليون فرنك، وافقت الحكومة الفرنسية مبدأيا على اقتراحات والي مصر، ومن جهة أخرى كثفت مساعيها لدى الباب العالي وأرسلت سفيرها بإسطنبول السيد "جيومينو" (Guillominont) في 10 أكتوبر 1829م لعرض نتائج مشروع محمد علي باشا على الدولة العثمانية ومحاولة الحصول على فرمان من السلطان العثماني يأذن فيه لمحمد علي باشا القيام بحملته على الايالات المغربية الثلاث<sup>3</sup>.

لم يوافق الباب العالي على المشروع ورفضه متعللا بالحرب الروسية العثمانية وأضاف إلى ذلك أن تعاليم الدين الإسلامي لا تسمح بالاعتداء على بلد مسلم واقترح إرسال مفوض سامي إلى الجزائر لتسوية الخلاف بين فرنسا والجزائر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Idem

<sup>2</sup> Paul Gaffarel, Op.cit., p.72

<sup>3</sup> G. Douin, Mohamed Aly et l'expédition d'Alger (1829-1830), imp., de l'institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, Caire, 1930. pp. 10-31

<sup>4</sup> Idem, p. 30,31

كما أن مشروع "بوليناك" واجه معارضة من قبل أعضاء حكومته وخاصة من قبل وزير البحرية السيد "دوسي" (D'Haussez) ووزير الحربية "دوبورمون" (De Bourmont) وشككا في نجاحه بقيادة محمد علي باشا، وطالبا بضرورة انتقام فرنسا بنفسها لشرفها. ومن جانبه الملك الفرنسي اعتبر المشروع مكلفا وأصدر قرار في 31 جانفي عرض فيه على محمد علي تقسيم العمل بينه وبين فرنسا وطلبت منه الاكتفاء بطرابلس وتونس مقابل مبلغ قدره 10 ملايين فرنك، وضرورة ترك الجزائر لفرنسا تسير إليها بنفسها، إلا أن محمد علي رفض كل التعديلات وقرر أن لا يخرج عن طاعة السلطان العثماني وقال أنه يكفي ما ضاع من البلاد الإسلامية.<sup>1</sup>

وكان الباب العالي متفطنا إلى النوايا الحقيقية الفرنسية من مشروعها مع محمد علي باشا، ورغبتها في التوسع على حساب ممتلكات الدولة العثمانية، ولذلك قرر رئيس الكتاب "بترف أفندي" الذي تفاوض مع المبعوث الفرنسي السيد "جيومينو" إرسال مفاوضات سامي إلى الجزائر له دراية واسعة بالسياسة الجزائرية هو "طاهر باشا" من أجل وضع حد للنزاع الفرنسي الجزائري، ذلك أن النزاع في نهاية الأمر هو بين فرنسا والجزائر ولا دخل لباقي الايالات الأخرى، ولكن فرنسا رفضت هذا القرار بحجة أن مشكلتها ليست مع الجزائر لوحدها بل مع كامل الايالات.<sup>2</sup>

كما أن إنجلترا لعبت دورا فعالا في إفشال مشروع محمد علي - بوليناك، فبمجرد أن علمت بالمشروع لم تصدق أهدافه المعلنة وسعت لدى الباب العالي لمنعه من إصدار فرمان لصالح محمد علي يسمح له بتنفيذ مشروعه، وقالت أنه سيزيد من قوته وسيعلن استقلاله عن الدولة العثمانية، ومن جهة أخرى سعى سفيرها بمصر لدى محمد علي وحذره من انجاز هذا المشروع الذي يتعارض مع رغبة السلطان العثماني.<sup>3</sup>

وعلى أية حال لم ينجح مشروع محمد علي - بوليناك لأنه ربط المسألة الشرقية مع المسألة الجزائرية واصطدم بمعارضة الباب العالي والانجليز المعادين للتحالف الفرنسي المصري ومشروع الحملة على شمال إفريقيا لأنها تعزز من النفوذ الفرنسي في البحر المتوسط على حسابهم.

<sup>1</sup> E.LE Marchand, Op.cit., pp.157-169

<sup>2</sup> Idem, p.153

<sup>3</sup> E.LE Marchand, Op. cit, pp.161-164

#### 1-4 الأسباب المعلنة من طرف الحكومة الفرنسية لاحتلال الجزائر:

أدركت حكومة بولينياك بعد فشل مشروع محمد علي، وكذا الحصار على سواحل الجزائر وارتفاع تكاليفه يوما بعد الآخر أنه حان الوقت لتنفيذ مشروع الحملة العسكرية ضد الجزائر بنفسها لرد الاعتبار لشرفها المهان من طرف داي الجزائر منذ عدة سنوات. وقد قرر مجلس الوزراء الفرنسي في جلسة 30 يناير 1830، القيام بالحملة ضد الجزائر، وفي 7 فبراير أصدر الملك شارل العاشر قرارا لتنفيذ الحملة. وقد تذرعت فرنسا لشن حملتها ضد الجزائر بعدة أسباب نذكرها كما أوردها بيليسي قائد الأركان ورئيس مكتب العرب بالجزائر في 1833-1834م، والذي شارك في الحملة على الجزائر بدرجة نقيب، كما يلي<sup>1</sup>:

1- معاهدة 1817م الخاصة بالباستيون، نصت على رسوم قدرها ستون ألف فرنك وبعد ثلاث سنوات زادت بشكل تعسفي لتصل إلى مائتين ألف فرنك، وقبلتها فرنسا رغم عنها.

2- في عام 1818م تم نهب منزل وكيل القنصل الفرنسي في عنابة ولم نتحصل على أي نوع من التعويضات.

3- تم القبض على سفن بابوية كانت تحمل راية فرنسية تحت الحماية الممنوحة من طرف فرنسا، كما تمت مصادرة السلع الفرنسية على متن السفن الإسبانية رغم مضمون المعاهدات التي تنص على أن العلم الفرنسي يحمي السلع، والسلع الفرنسية لا يجب الاعتداء عليها.

4- أعطى الداوي إذن غير شرعي للتجار الانجليز للإقامة والتجارة في مدينة عنابة وعلى سواحل مقاطعة قسنطينة. ذلك أن فرنسا كانت تعتبر نفسها صاحبة سيادة على المناطق الممتدة من ما بين وادي سيبوس ورأس بونة منذ القرن الخامس عشر.

5- في عام 1827م أهين القنصل الفرنسي السيد "دوفال" من طرف الداوي بضربة مروحة<sup>2</sup>. وقد اتخذتها فرنسا سببا مباشرا لإعلان الحرب على الجزائر، وقد سبق وأن بينا، كيف تسارعت الأحداث وفرض الحصار على سواحل الجزائر ورفض الداوي تقديم الترضيات

<sup>1</sup> أ. بيليسي، حوليات جزائرية، المجلد الأول، ترجمة، دليلة حياتي، دار أصالة، الجزائر، 2013، ص ص. 17-18  
<sup>2</sup> Arsèn Bertueil, l'Algérie française, T. I, Libraire éd, Dentu, Paris, 1856, p. 86

المطلوبة من قبل الحكومة الفرنسية في مفاوضات عديدة إلى أن أصدرت الحكومة قرارا بتجريد حملة عسكرية ضد الجزائر في 30 جانفي 1830م.

إن تلك الأسباب المعلنة لشن الحرب على الجزائر، اعتبرها المؤرخ الفرنسي "إيف لاکوست" أسباب واهية، لا تقنع إلا من يحمل نية مسبقة للعدوان، وهي غير كافية لتبرير الحملة، وقال إن القرصنة لم تكن تعني فرنسا أصلا وقصة الدين كانت فرنسا فيها ظالمة للداي وهي السبب في حادثة المروحة، وملكية الساحل الشرقي الجزائري لا أساس لها لأن فرنسا لم تدفع أي مقابل مالي ولا توجد معاهدة تثبت ذلك. وأما قصة السفن البابوية قال عنها إن فرنسا أرادت أن تهيمن على السياسة الخارجية للداي وتفرض عليه احترامها دون دفع الضريبة السنوية<sup>1</sup>.

كما أن حادثة السفينة "لابروفانس" التي اعتبرتها فرنسا خرقا للقانون الدولي وإهانة جديدة لشرفها قدم الداي عنها اعتذاره وعزل وكيل الحرج وعاقب رؤساء المدفعية لخروجهم عن أوامره، إلا أن حكومة بولينياك لم تعبأ باعتذاره، بالرغم من أنها سعت من قبل لتحصل على مثل هذا الاعتذار، مما يدل على أن الحكومة كانت مصممة على شن الحملة العسكرية على الجزائر وأن أسباب هذا المشروع أعمق بكثير مما تبدو عليه، وهذا ما أكده المؤرخ الفرنسي "أوغسطين برنارد" (Augustin Bernard) حيث قال أن الحملة على الجزائر إلى جانب الظروف المفاجئة كان لها أسباب ظرفية، وأخرى عميقة، ولم تكن بسبب حادثة المروحة صرف مائة مليون فرنك وإرسال أربعين ألف رجل<sup>2</sup>.

## 2- نحو الاحتلال

### 2-1- الاستعدادات الفرنسية للحملة على الجزائر:

تبنى البرلمان الفرنسي خلال شهر جانفي من عام 1830م، المشروع المقدم من طرف (Dupetit Thouars)، وقد وضّح فيه نقطة الإنزال تكون بسيدي فرج، ثم يجب السير للاستيلاء على حصن الإمبراطور للسيطرة على المدينة، ومن ثمة لن تتفحها تحصيناتها في شيء. وقد أعطى الملك أمرية التحرك في 7 فيفري، وأعلن عن الحملة في الغرفتين في

<sup>1</sup> إيف لاکوست، وآخرون، المرجع السابق، ص ص. 217-223

<sup>2</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p.99

خطاب ألقاه يوم 2 مارس تحدث فيه عن طول معاناة شرف بلده وعن فائدة الحملة بالنسبة للدول الأوروبية والمسيحية جمعاء، ومما جاء فيه: « بسبب حوادث خطيرة وعندما كانت أوروبا مشغولة أجلت رد فعلي ضد دولة بربرية ولكن لا أستطيع أن اتركها مدة أطول دون عقاب إهانتها لراية بلدي، الترضيات التي أريد أن احصل عليها لشرف فرنسا ستتحول لمساعدة كل الدول وإلى فائدة المسيحية»<sup>1</sup>.

وقد وعد وزير البحرية "دي هوسي" أن تكون الحملة جاهزة قبل 15 من شهر ماي<sup>2</sup>، وفعلا استطاعوا جمع القوات البرية والبحرية والعتاد الحربي والمؤن الغذائية في الفترة الممتدة من 10 فيفري إلى 14 ماي، وحسب العقيد م. فرنال الذي شارك في الحملة فإنهم قد قاموا ببناء جزء كبير من السفن الحربية في موانئ المحيط ونقلت إلى ميناء طولون وفي شهر أفريل بدأوا بتسليحها، بالإضافة إلى السفن المحاصرة لسواحل الجزائر وهي أربع فرقاطات وثمانية عشر مركب خفيف<sup>3</sup>. وكما استأجرت أكثر من خمسمائة سفينة تجارية من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وتم تجهيزها لاستقبال الجنود والعتاد والمؤن ونقلهم إلى الجزائر<sup>4</sup> وتجدر الإشارة إلى أنه تم استخدام لأول مرة سبع قطع من السفن البخارية لاتصالات الجيش مع فرنسا<sup>5</sup>. وقد قسم الأميرال "ديبيري" الأسطول إلى ثلاث مجموعات بحرية كبيرة وهي: السفن الحربية، سفن القافلة، سفن الإنزال والاحتياط.

- المجموعة الأولى (السفن الحربية): وكل سفنها هي ملك للدولة الفرنسية وتقسم بدورها إلى ثلاث قطع بحرية. ومجموع سفنها: 71 سفينة، كما يبين الجدول التالي:

<sup>1</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 103

<sup>2</sup> Idem

<sup>3</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.15

<sup>4</sup> Paul Gaffarel, Op.cit. p.73

<sup>5</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.15



جدول رقم (09) يبين عدد السفن الحربية المكونة للمجموعة الأولى من الأسطول البحري الفرنسي

أنواع السفن	عددها	القطع البحرية المكونة للسفن الحربية
- بوارج مسلحة حربية - فرقاطات مسلحة - بريك	3 14 2	القطعة البحرية الأولى للمعارك
- بوارج مسلحة - فرقاطات - بريك	8 6 4	القطعة البحرية الثانية للإنزال
{ - بريك - غيلوطة - قاصفة	34	القطعة البحرية الثالثة للاحتياط
	71	المجموع

**Source:** Gabriel Rouquerol, Expédition de 1830 et prise d'Alger par les Français, Organisation et rôle de l'artillerie du corps expéditionnaire, Libraires- éd, Bercer Levrault, et Cie, Paris. Nancy. 1894, pp.36-38

- المجموعة الثانية: القافلة، وهي السفن التجارية المستأجرة وتتشكل من كل أشكال السفن ومقسمة بدوها إلى ثلاث قطع بحرية ومجموع سفنها 359 سفينة.

- المجموعة الثالثة: وتسمى الأسطول الصغير المخصص للإنزال والاحتياط ومجموع المراكب التي يتكون منها دون حساب المراكب الخفيفة هو 147 مركب كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (10) يوضح عدد السفن الخفيفة المكونة للمجموعة الثانية

100	مراكب مختلفة
40	زورق كبيرة
55	مراكب خفيفة (Chalands)
7	سفن بخارية

Source: Gabriel Rouquerol, Op.cit., pp.,36-38

وكان مجموع سفن الأسطول الفرنسي هو 577 سفينة من كل الأشكال، وكانت الغاية وراء استعمال السفن الحربية في الحملة هو لضرورة العمل العسكري عند الإنزال على ساحل سيدي فرج، وكذلك لإفشال أي محاولة تدخل من طرف الانجليز المتربصين في البحر المتوسط<sup>1</sup>.

أما الجيش فقد استدعي من مختلف الأقاليم الفرنسية، وكان الإقبال كبيرا بين صفوف الشباب للانخراط في صفوف الحملة وخاصة من الأقاليم الجنوبية، التي تحس بالخوف الدائم من الجزائريين، كما شارك في الحملة أناس من مختلف فئات المجتمع كأشباه الجنود وقدماء المحاربين في جيش نابليون، ومن المغامرين والفلاحين وحتى المتسكعين، ومنهم كذلك الأدباء والمؤرخين والكتاب والصحافيين والرسامين والمترجمين، وكان منهم من دفع للجيش أموالا لكي يسمح له بالمشاركة على أن يدفع له راتب شهري بعد ذلك<sup>2</sup>. وهكذا شاركت مختلف فئات المجتمع الفرنسي في الحملة ضد الجزائر جنود، مدنيين، متقنين، بطالين وجهلة، وأرادوا أن يقدموا خدماتهم حسب خبرتهم وقدراتهم، والأكد أن كل واحد كان لديه طموح خاص يرغب في تحقيقه من هذه المغامرة ولا شك أن الثروة هي القاسم المشترك بين الجميع.

<sup>1</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., pp.,36-38

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية... المرجع السابق، ص. 22

ومند نهاية شهر أفريل تجمعت القوات في معسكراتها حول طولون، أين توجد مقر القيادة المركزية للجيش وقد قسم الجيش إلى ثلاثة فرق: الفرقة الأولى بقيادة الفريق البارون "برتزان" (Berthezène) ومقرها طولون، والفرقة الثانية بقيادة الفريق الكونت "لوفيردو" (Loverdo)، مقرها بمرسيليا، والفرقة الثالثة يرأسها الدوق "ديسكار" (D'Escars) يتمركز ب إيكس (Aix) وضواحيها<sup>1</sup>. وكانت قيادة الجيش البري للجنرال "ديبري" (Desprez). أما القائد العام للحملة فلم يعلن عنه إلا بأمرية في 11 أفريل من الملك وهو وزير البحرية نفسه المارشال دوبورمون<sup>2</sup>. وكان مجموع الجيش الفرنسي المشارك في الحملة هو 37577 رجل موزع كالاتي:

جدول رقم (11) يوضح فرق الجيش المشاركة في الحملة الفرنسية وعدد الجنود في كل

منها

العدد	الفرقة
30906 رجل	عدد المشاة
534	الفرسان
2368	رجال المدفعية (دون حساب رجال مدفعية السفن)
1341	المهندسون
2428	عمال الإدارة والصحة وغيرهم
37577	المجموع

Source : Gabriel Rouquerol, Op.cit., p.30

ويندرج ضمن مصالح الإدارة مصالح الصحة والميدان، التي نظمت بعناية كبيرة لغرض مواجهة الصعوبات المحتملة، كما أرسلت الصيدلية المركزية بباريس كميات معتبرة من الأدوية إلى مرسيليا، ووزعت على الجنود قبعات بيضاء لمقاومة الحرارة وأحزمة من

<sup>1</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.15

<sup>2</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., p.30

الصوف وأكياس وغطاء لكل واحد. وجمعت أيضا 4500 خيمة وأخذوا معهم خريطتين أنجزهما القبطان بوتان سابقا<sup>1</sup>.

ومن أهم الأسلحة المستعملة في الحملة هي سلاح المدفعية بمختلف أنواعه، وعدد قطعها كان 183 قطعة مخصصة في الحصار ومعارك الميدان<sup>2</sup>، هذا، وقد زودت المدفعية بعناد جديد جرب استعماله لأول مرة في عام 1827. وكانت فرق المدفعية تحت قيادة الجنرال "فالي" (Valées)<sup>3</sup>.

وقد تمركز جنود الهندسة "بأرل" (Arles) والفرسان بطراسطون (Tarascon)، وكانت تتكون ثلاث فرق للمطاردة، وخيل وبغال الإدارة بفالونس (Valence) وأفينيون (Avignon)<sup>4</sup>. وبلغ عدد الخيول ما بين ثلاثة وأربعة آلاف وخمسمائة حصان<sup>5</sup>.

بالرغم من ضخامة هذه التحضيرات ودقتها إلا أن تخوفات الحكومة الفرنسية كانت كبيرة وبالخصوص فيما يتعلق بعدم الاتفاق التام بين قائد الحملة "دوبورمون" و"ديبري" قائد الاسطول، نظرا لانتمائهما إلى حزبين متعارضين، فقائد الاسطول كان رجل بحرية ممتاز وقد قام بحملة ناجحة خلال عام 1810م في الهند وفي الجزر الفرنسية. ولكنه لم يؤمن بنجاح الحملة على الجزائر، وآرائه الليبرالية جعلت الملك لا يثق فيه إلى درجة كبيرة، كثفته في "دوبورمون" الذي كان يشغل منصب وزير الحربية في حكومة "بولينياك" وكان معروفا بولائه للنظام الملكي. والرأي العام الفرنسي لم ينس أنه ترك فرقته خلال معركة "واترلوا" ليلتحق بشارل الثامن عشر عام 1815م. لذلك سعى أن يقود هذه الحملة ليمحو ذكرى تلك الخيانة<sup>6</sup>. وقد أعطاه الملك مرسوما جعله قائدا عاما للحملة، والأميرال "ديبري" تحت تصرفه، احتفظ به ليستعمله وقت الضرورة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., p.29

<sup>2</sup> Paul Gaffarel, Op.cit., p.75

<sup>3</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., pp.31-34

<sup>4</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.15

<sup>5</sup> ذكر بول قفارال أن عدد الأحصنة هو 3853، المصدر السابق، ص. 75، وقال العقيد م. فرنال إنها كانت أربعة آلاف

حصان، المصدر السابق، ص. 22، بينما ذكر أوغسطين برنارد إنها أربعة آلاف وخمسمائة حصان، ص. 103

<sup>6</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 103

<sup>7</sup> Louis Bertrand, Op.cit., pp. 408-412.

وفي الفاتح من شهر ماي كان الجيش في معسكراته وجاهزا للإبحار، وقد وزعت عليه جميع مستلزماته، كما كانت سفن النقل محملة بمئونة تغطي مدة شهرين للجنود والعلف لمدة ثلاثة أشهر للحيوانات<sup>1</sup>.

ولتعريف الجنود الفرنسيين أكثر بطبيعة الأرض التي ستجري عليها المعركة بالجزائر وزعت عليهم نسخا من الكتاب الإعلامي الذي يحمل عنوان: "وصف تاريخي وإحصائي وطبوغرافي للجزائر لفائدة الحملة الإفريقية". يعرف بالجزائر من الناحية الجغرافية والتاريخية والثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية والبشرية وغيرها، وقد جاء الكتاب في 237 صفحة مزودا بخرائط ومعطيات إحصائية وخاصة في الجانب العسكري<sup>2</sup>، وزيادة على ذلك فإن قيادة الحملة وزعت مطبوعات أخرى على الجنود والضباط تمثلت في قوائم بالكلمات العربية والتركية الرئيسية المستخدمة في الجزائر، ومنشورات تتعلق بالإجراءات العسكرية والصحية اللازم اتخاذها أثناء القتال<sup>3</sup>.

يتضح لنا من خلال هذه التحضيرات أن القائمين على الحملة العسكرية قد بنوا استعداداتهم على طرق علمية وقواعد عسكرية مدروسة مسبقا، فهم لم يهتموا بالتجهيزات والمعدات فقط، بل فكروا بالمناخ والأمراض وكيفية تقاؤها بالإضافة إلى المؤن والعتاد والذخائر الحربية. فكيف استعدت حكومة الداوي حسين لهذه الحملة؟

## 2- 2 استعدادات حسين باشا لمواجهة الحملة الفرنسية:

كان الداوي على علم بالتحضيرات العسكرية التي تعدها فرنسا بطولون وبأمر الحملة ضد الجزائر، فقد كتب إليه المبعوث العثماني "خليل أفندي" بتونس رسالة بتاريخ 23 شوال 1245هـ (16 أفريل 1830م) يخبره فيها أن سفينة فرنسية اعترضت طريقه ولم يسمح له بالمرور إلى تونس إلا بعد أن كتب إلى القائد الفرنسي، وقد وصل إلى تونس في 19 شوال 1245هـ. وهناك اتصل بسفينة قادمة من مرسيليا، وسألها عن أخبار الحملة فأجابه قبطانها أن الفرنسيين قد أكملوا تحضير أسطولها، "وأن عدد سفنها هو 200 سفينة

<sup>1</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 18، 19

<sup>2</sup> Anonyme, Aperçu historique, statistique et topographique, Op.cit. pp.1-250

<sup>3</sup> F. Desprez, Journal d'un officier de l'armée d'Afrique, éd. Chez Anselin, Paris. 1831, p.51

للمحمولة من سفن التجار، لتكن منه على بال". كما أخبره بمكان نزول الفرنسيين وقال: «ولتعلم أن الفرنسيين سينزلون قواتهم في شرشال وسيدي فرج بكل مكان محلة.»<sup>1</sup> من خلال هذه الرسالة يتضح لنا أن حسين باشا قد أخبر مسبقا باستعدادات الفرنسيين وبمكان انزال الحملة وقوة الأسطول، لكي يأخذ حذره ويستعد لمواجهة الأعداء. وكما أن جواسيسه في إيطاليا ومرسيليا وطولون وباريس، نقلوا إليه خبر الحملة الفرنسية ضد الجزائر وأخبروه بأهم التفاصيل، حيث أعلموه أن فرنسا تعد أسطولا كبيرا لإرساله للجزائر، ويتألف من مائتي سفينة حربية وخمسمائة سفينة تجارية على متنها أربعون ألف جندي، أن الأسطول سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر ماي 1830م، وأنه سيتم الانزال برا على الأرجح غربي الجزائر في شبه جزيرة سيدي فرج.<sup>2</sup> وعلى أية حال كان الداوي حسين يعلم بخبر الحملة الفرنسية وبقوة الأسطول وعدد الجيش ومكان الإنزال، فكيف استعد لمواجهة هذه القوة الفرنسية الكبيرة وماذا حضر لحماية مدينة الجزائر؟

شرح حسين باشا في تعزيز قوة الجيش البري، الذي كان يعاني من النقص العددي بسبب انقطاع الإمدادات عنه من الأناضول، فمنذ إعلان الحصار لم يصل المدد من المتطوعين إلى الجزائر. إضافة إلى مقتل عدد كبير من الإنكشارية في بعض الفتن الداخلية التي شهدتها الإيالة نهاية عهد العثماني، وفرار عدد آخر منهم بسبب تلك الاضطرابات إلى الشرق كما سبق ذكره.<sup>3</sup>

وأمام هذا النقص في القوات العسكرية فقد كتب حسين باشا رسالة إلى أحد وزراء الباب العالي بدون تاريخ- ولكن من خلال الأخبار التي تحملها يتضح لنا أنها كتبت بعد الحصار-، وقد أخبر فيها الباب العالي عن نقص المتطوعين من "بر ترك الأناضول"، ليرسلوا له أعدادا جديدة يعزز بها قواته البرية والبحرية ومما جاء في رسالته: «فمن البر والبحر الأوجاق في احتياج العساكر المرقومة مما أجبره على تجنيد عددا من نفر العرب

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم، 353، وهي رسالة من خليل أفندي مبعوث الباب العالي إلى تونس

إلى حسين باشا، في 23 شوال 1245هـ/ 16 أبريل 1830

<sup>2</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص.64

<sup>3</sup> لمزيد من المعلومات حول فرار جنود الإنكشارية من الجزائر نحو الشرق ينظر الفصل السادس.

والقبائل وأعطاهم مرتبا وخبزا كالعساكر»<sup>1</sup>. ونجد صدى هذا التجنيد الذي قام به حسين باشا من العرب والقبائل في ما سجله الزهار الذي ذكر أنه تم تجنيد ألفين من قبائل منطقة الزواوة<sup>2</sup>. كما أنه أرسل مبعوثين عنه إلى داخل البلاد ليدعو الناس للجهاد ضد الفرنسيين<sup>3</sup>. وكتب كذلك إلى حسن باي الغرب وأوصاه بتحسين مدينة وهران واليقظة، وأمر أحمد باي قسنطينة بتحسين مدينة عنابة، وطلب منه أن يحمل إليه الدنوش كما جرت العادة ودون أن يزعم القبائل<sup>4</sup>. ومن بين الاستعدادات الأخرى التي قام بها الداوي حسين هو تقريب الرعية منه وجمع شمل سكان الجزائر عربا وأتراكا لمقاومة الأعداء، ولتحقيق هذه الغاية أعطى أوامر للإنكشارية بأن لا يعتدوا على الجزائريين ولا يلحقوا بهم أية إهانة، وذكرهم أنهم في حاجة إليهم في هذه الظروف الحرجة. ومن جهة أخرى أمر وزراءه بزيارة قبور الأولياء الصالحين في مدينة الجزائر وذبح الذبائح عند قبورهم والتوسل بهم في الدعاء من أجل تحقيق النصر على الفرنسيين. وأمرهم كذلك بتفريق الأموال على الفقراء<sup>5</sup>.

كما لم ينس حسين باشا العلماء والوجهاء من أهل الجزائر، فقد دعاهم إلى قصره وأغدق عليهم الهدايا<sup>6</sup>، وقد حاول بهذه الإجراءات كسبهم إلى جانبه في تلك الظروف نظرا لتأثيرهم الكبير على الأهالي وطاعة أوامرهم بين الناس.

كما عزل المفتي التركي وعوضه بابن العنابي المفتي العربي<sup>7</sup> (الحنفي) وهذا الأخير هو عالم وفقه متميز عن بقية علماء عصره انتبه إلى الانحطاط الذي كانت تعيشه الأمة

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة 3190، الملف، الأول، الوثيقة رقم، 381، وهي رسالة من حسين باشا إلى أحد وزراء الباب العالي، بدون تاريخ.

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 164

<sup>3</sup> Gabriel ESQUER, Les Commencement..., Op.cit., p. 317

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 187

<sup>5</sup> سيمون يفايفر، المصدر السابق، ص. 74

<sup>6</sup> المصدر نفسه

<sup>7</sup> هو محمد بن محمود بن محمد حسين الجزائري المشهور بابن العنابي (1189-1267هـ/1775-1851م)، تولى المناصب الدينية العليا في الجزائر وفي مصر، اشتغل بالتدريس ومنح الإجازات في مصر وفي تونس والجزائر وغيرها، وسافر في مهمات سياسية إلى المغرب الأقصى وإلى اسطنبول، وحج وساح عدة مرات، وعاصر أحداث كثيرة في المشرق والمغرب مثل الحملة الفرنسية على مصر والاحتلال الفرنسي للجزائر. وكان المفتي ابن العنابي موضع شبهة للسلطات الفرنسية منذ الاحتلال مما تسبب في نفيه إلى الإسكندرية ووفاته هناك سنة 1267هـ/1851م. صالح فركوس، الوجيز في

الإسلامية وحذر الحكام الأتراك من مغبة السياسة التي كانوا ينتهجونها، وخطر الدول الأوربية المتربص بهم، ودعا إلى تجديد وإصلاحات النظم الإسلامية عامة والنظام العسكري خاصة في الجزائر وباقي العالم الإسلامي من خلال كتابه الذي يحمل عنوان "السعي المحمود في نظام الجنود"، الذي طرح فيه أفكاره حول الطرق التي يجب أن يأخذ بها المسلمون ليتطوروا ويواجهوا الغزو الأوربي الذي يريد تمزيق شملهم والقضاء عليهم. وطالب منهم أن يتعلموا كل الاختراعات التي جاءت بها الحضارة الأوربية في مجال الأسلحة والعتاد الحربي في تدريب وتنظيم الجنود وحتى في تضييق الملابس لتسهل حركتهم<sup>1</sup>. وقال أن الواجب على المسلمين تطوير أسلحتهم حتى تكون أكثر قوة من أسلحة الأوربيين حتى يمكن ردعهم، واعتبر كل ذلك أمراً شرعياً، وعاتب المسلمين على تمسكهم بأسلحتهم العتيقة مقارنة مع قوة الأوربيين العسكرية وحادثة اختراعاتهم الحربية، وقال أن تمسكهم بالأمور البالية مخالف للشريعة والرجولة معاً<sup>2</sup>.

وعلى أية فإن تعيين ابن العنابي مفتياً جاء متأخراً، وكان الوقت قد فات على العمل بآرائه والاستفادة من نصائحه، وظهر صدق كلامه عند أول مواجهة مع جيش الاحتلال الفرنسي، وعجز الجيش العثماني عن مواجهة القوة العسكرية الفرنسية الأوربية، كما سنتطرق إليه في حينه.

ومن الاستعدادات الأخرى التي قام بها الداوي حسين هي تقديمه لأموال معتبرة لقائد القوات البرية لتشجيع المحاربين وتحفيزهم على القتال وطلب منه أن يوزعها عليهم لكي يسرعوا في أعمالهم، وأن يكافئ كل من يحمل له رأس جندي فرنسي بـ 500 فرنك، ولكن للأسف هذه المبالغ لم توزع، وكان القائد يطلب من الجنود أن يعودوا بعد نهاية المعركة ليقبضوا أموالهم. ولا أحد يدري أين اختفت تلك المبالغ الضخمة<sup>3</sup>.

الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق م - 1962م)، المعارف للطباعة، الجزائر، 2015، ص- ص. 148، 149

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى في 1850، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص ص. 64-70

<sup>2</sup> صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية، من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، ج1، دار أيدكوم، الجزائر، 2013، ص. 465-467

<sup>3</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 194



وتجمع المصادر أن إبراهيم آغا الذي عينه حسين باشا قائدا أعلى للجيش لم يكن مؤهلا على الإطلاق لهذا المنصب، ولا يمتلك أية قدرات عسكرية أو قيادية وكان مؤهله الوحيد هو قرابته من الباشا فهو "صهره زوج ابنته"<sup>1</sup>، ويرى حمدان خوجة أن أكبر خطأ ارتكبه حسين باشا طيلة مدة حكمه هو عزله ليحيى آغا<sup>2</sup> وتعويضه بإبراهيم آغا. وكان يحيى آغا قائد كفاء وشجاع أعاد الأمن إلى منطقة القبائل والشرق الجزائري رفقة أحمد باي كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ومن أهم التحضيرات التي قام بها إبراهيم آغا استعدادا لمواجهة الجيش الفرنسي هو تجميعه الرجال للقتال، فقد جمع من سكان متيجة خمسة آلاف رجلا، ولكنهم كانوا لا يعرفون شيئا عن الحروب والمعارك، كما أنه استدعى رجال القبائل للجهاد غير أنه تأخر كثيرا وأرسل في طلبهم آخر لحظة، فلم يحضر منهم سوى القليل، والذين وصلوا لم يقدم لهم الأسلحة والذخائر اللازمة<sup>3</sup>، وبسبب نقص الأسلحة عاد الكثير منهم إلى بلادهم.<sup>4</sup>

وكان الجيش النظامي أو الإنكشارية قليل العدد و-حسب بفايفر -، كان عدد الجنود الأتراك اثني عشر ألف، وبسبب طول مدة الحصار، والفتن الداخلية وفرار الجنود من الجزائر نحو الشرق، نزل العدد إلى ستة آلاف<sup>5</sup>، وقد جاءت الدراسة الإحصائية التي قام بها "مارسيل كولومب" من خلال سجلات ودفاتر الجند الإنكشارية الرسمية، لتثبت أن عدد الجنود كان أقل بكثير من الرقم الذي أشار إليه سيمون بفايفر، إذ توصل إلى أن عدد

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 163

<sup>2</sup> شغل يحيى آغا منصبه كأغا العرب لمدة اثني عشر سنة وكان مقربا جدا من حسين باشا، وكان شديد الطموح ذو رأي سديد، تحبه العرب والقبائل، مما أثار الغيرة والحسد في نفس الخزناجي مما جعل هذا الأخير يتآمر عليه وفس له تقارير كاذبة وشهود زور فعزله الباشا من منصبه ونفاه إلى البليدة واستبدله بإبراهيم آغا صهره. وخشي المتآمرون أن تتكشف مكيدتهم فتآمروا عليه من جديد واتهموه أنه تحالف مع رؤساء العرب والقبائل للاستيلاء على الحكم تحت رئاسة يحيى آغا، وقدمت وثائق مزيفة لتأكيد ما يزعمون، وفعلا اقتنع بها الباشا وأمر بإعدام يحيى آغا. ينظر، حمدان خوجة المصدر نفسه، ص. 188-189

<sup>3</sup> يقول الزهار أن الآغا إبراهيم استدعى رجال القبائل بعد نزول الفرنسيون إلى سيدي فرج ولم يعطيهم الأسلحة والبارود اللازم ربما لأنه كان يخاف منهم أن يعودوا بتلك الأسلحة والذخائر إلى بلادهم ويثورون عليهم، ينظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 171

<sup>4</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 190

<sup>5</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 72

المجندين ما بين سنة 1801م إلى 1809م بلغ 2264 مجندا ، ثم ارتفع العدد سنة 1820م إلى 4115 مجندا لكنه تراجع إلى 2154 مجندا ما بين سنة 1821م إلى 1830م<sup>1</sup>. وهو عدد ضئيل لا يمكنه الصمود أمام أربعين ألف فرنسيا، حتى لو أضفنا له ألفين رجل من زواوة، والأربعمائة فارس التي أحضرها أحمد باي وألف رجل التي قدمت مع باي التيطري الذي جاء مدنشا أيضا والقوة التي وصلت مع خليفة باي وهران ولكنها قد تكون غير ذات بال، ذلك أنه ترك جنوده يحرسون مدينة وهران كما فعل أحمد باي بمدينة عنابة. ومهما يكن من أمر فقد اجتمعت كل هذه الجيوش باسطاولي<sup>2</sup>، التي تبعد بمسيرة ساعة عن سيدي فرج<sup>3</sup>.

ولم يكن الجيش الإنكشاري يعاني من النقص العددي فقط، بل كان يعاني كذلك من عدم الثقة في قادته الآغا إبراهيم وحسين باشا، الأول بسبب عدم كفاءته العسكرية، والثاني بسبب حادثة خطيرة وقعت في وقت حرج -فحسب أحمد الجزائري-، أن حسين باشا أمر بإعدام أربعة من قادة الجيش أسبوعين فقط قبل نزول الحملة بسيدي فرج، دون أن يعلم العساكر عن الجناية التي ارتكبوها، فنفرت قلوبهم ودبت العداوة فيما بينهم وبين الباشا، وأخذ كل واحد حذره من الآخر<sup>4</sup>.

وحسب ذات المصدر أن الباشا قد أخبر محافظ ثكنات العساكر أنه قتل هؤلاء الأربعة من المجموعة التي تبلغ سبع وعشرون إنكشاريا اتفقوا على قتله<sup>5</sup>، وحسب الزهار فإن مدبري هذه المؤامرة قد اتفقوا في وقت سابق على قتل حسين باشا عندما يدخلون عليه لتنهنته بالعيد وتعويضه بمصطفى خوجة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> M. Colombe, Op.cit., p. 178,179

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 191

<sup>3</sup> أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان، نشره وقدمه صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962، ص. 29

<sup>4</sup> أحمد الجزائري، المصدر السابق، ص. 28

<sup>5</sup> أحمد الجزائري، المصدر نفسه .

<sup>6</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 169

أما شبه جزيرة سيدي فرج<sup>1</sup>، المكان الذي اختاره الفرنسيون للإنزال فكان خاليا من التحصينات<sup>2</sup>، ما عدا حصن صغير بناه يحيى آغا، وزوده بعدد قليل من المدافع في بداية النزاع مع فرنسا فلم يحفر الخنادق ولم يحصن المكان بالمدافع والرجال مع أنه كان يعلم بالمكان الذي ستنتزل به الجيوش، ومع ذلك لم يتخذ أي نوع من التدبير ولم يعط أي أوامر لمواجهة الفرنسيين<sup>3</sup>، إلى وقت حضور أحمد باي قسنطينة مدنشا، عشية وصول الحملة إلى سيدي فرج، فطلب منه حسين باشا التوجه إلى مكان تمركز الجيوش، وهناك عقدوا مجلسا حربيا على وجه السرعة ضم إضافة إلى أحمد باي والآغا إبراهيم كل من خوجة الخيل وخليفة باي الغرب لتحديد خطة الدفاع عن البلد لأن الآغا لم يحضر خطة حقيقة للدفاع مسبقا<sup>4</sup>.

وقد اقترح الآغا في هذا الاجتماع بناء الحصون على شاطئ البحر وتزويدها بمدافع قوية لمنع الفرنسيين من النزول، فرد عليه أحمد باي أن هذا الاقتراح متأخر وليس بمقدورنا تنفيذه لأننا لا نملك الوسائل اللازمة لحمل المدافع والذخائر الحربية، والحصن الموجود قديم ومخرب نحتاج شهورا لإصلاحه، كما أن نيران السفن الحربية الفرنسية ستقضي على تلك المنشآت بسرعة<sup>5</sup>.

ورفض الآغا إبراهيم بدوره العمل بنصائح أحمد باي، وخاصة الخطة التي اقترحها عليه بأن ينسحب غربا نحو وادي مزفران، إذ فشلت القوات العثمانية الجزائرية في رد الفرنسيين، وأن تهاجم من هناك مؤخرة العدو، وتنقض على سفنه إذا حاول الزحف على العاصمة. أما إذا قرر مطاردة القوات الجزائرية غربا فإن عليها أن تستدرجه لتتهكه وتضعفه خاصة أن الفصل كان صيفا والحرارة ستتعب الفرنسيين فأجابه إجابة المتواكل على الله وقال: «إن عدم مجابهة العدو ليس من عمل الرجال الشهام، وإن الله لن يغفل عن مساعدة

<sup>1</sup> حملت اسم قبر الولي الصالح سيدي فرج المدفون بها وليام شالر، المصدر السابق، ص. 76

<sup>2</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص. 161

<sup>3</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 189، 190.

<sup>4</sup> أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد القلي المتوفى: 1850م، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، تقديم

وتحقيق وترجمة، الدكتور محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت.، ط2، الجزائر، 1981 م. ص. 11.

<sup>5</sup> أحمد باي بن محمد الشريف، المصدر نفسه، ص. 12

من سيهاجمون الكفرة عند نزولهم وهم وانثون.»<sup>1</sup> ونسي إبراهيم آغا قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ»<sup>2</sup>. وهو لم يعد شيئاً مسبقاً لمنع الفرنسيين من النزول إلى البر، وعندما أعلمه قنصل نابلي أن الحملة الفرنسية ستنتزل بعساكرها بسيدي فرج، وأوصاه بتحسين المنطقة بالمطاريس والمدافع والمهارس، ووضع ألف عسكري على كل متراس فإن الفرنسيين إذا نزلوا إلى البر لا يستطيعون أن يتقدموا عن موضعهم. رد الآغا رداً استنفر القنصل وأغضبه لأنه كان يعتقد نفسه أقوى من الجيش الفرنسي بكثير<sup>3</sup>.

والغريب في الأمر أن رجلاً جزائرياً بسيطاً من رياس البحر أدرك مدى ضعف الجيش الجزائري أمام نظيره الفرنسي حيث قال: «إن هذا الجيش قوى لا نقدر عليه ولا عندنا عدة ولا عدد مثله.»<sup>4</sup> بينما قائد الجيوش كان يثق في قواته ويقلل من شأن عدوه، حيث كان يقول أنه سيتزكهم ينزلون ثم يهجم عليهم ويقطع رؤوسهم وينتهي الأمر، وكأنه لا يعيش في ذلك الزمن ولا يدري أين وصلت الجيوش الأوربية من تدريب وتسليح، أو أنه لم يسمع بالخسائر التي ألحقها بالدولة العلية قبيل الحملة على الجزائر خير مثال على ذلك.

ومهما كان من أمر فقد سارع الآغا إبراهيم بعد انتهاء اجتماع المجلس الحربي إلى بناء المطاريس بسيدي فرج<sup>5</sup>، ونصب فيها بطاريتين للمدافع، إحداها تتكون من سبع قطع مدفعية ومدفعين من نوع الهاون<sup>6</sup>، بالإضافة إلى حصن صغير به اثني عشر مدفعاً كان يحيى آغا قد نصبهم في بداية إعلان الحرب<sup>7</sup>، وخرج لملاقاة الفرنسيين مع ثلاثة أو أربعة آلاف فارس، وهذه التحضيرات للدفاع أثارت دهشة كبيرة لدى القادة والجنود الفرنسيين

<sup>1</sup> أحمد باي بن محمد الشريف، المصدر نفسه.

<sup>2</sup> سورة الأنفال/ الآية 60

<sup>3</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 168

<sup>4</sup> المصدر نفسه.

<sup>5</sup> أحمد باي بن محمد الشريف، المصدر السابق، ص. 15

<sup>6</sup> L'Amiral Baron Duperré, Rapport sur l'Expédition d'Afrique, détails sur le départ de la flotte de Toulon, le débarquement de l'armée française, et la prise d'Alger, vaisseau la Provence, le 02 juin 1830, source, gallica.bnf.fr/Bibliothèque nationale de France, p.4

<sup>7</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 190

وخاصة عندما وجدوا ساحل سيدي فرج خاليا من أي تحصينات، مع أن الصحف الأوروبية قد كتبت أنه سيكون نقطة إنزال الجيوش الفرنسية<sup>1</sup>.

ربما كان حسين باشا يظن أن الحملة الفرنسية لن تتعدى الهجوم البحري كما كانت الحملات الأوروبية السابقة، وستفشل هي أيضا، ولعل هذا ما يفسر اهتمامه بالتحصينات البحرية أكثر من الاستعدادات البرية. فقد زاد من تحصينات الميناء وقام ببناء أبراج وحصون جديدة تمتد من اليمين إلى اليسار على طول سبع أو ثماني أميال<sup>2</sup>، ووضعت فيها حاميات لحراسة الشاطئ من الشرق إلى الغرب وتحتوي على بضعة آلاف من المدافع الثقيلة<sup>3</sup>، وأغلق الميناء بثلاث سلاسل حديدية قوية ورتب وراءها خمسين زورقا قاذفا للمدافع، مسلحة بالرجال والمدافع الخفيفة. كما ملأ الآغا إبراهيم مخازن المدينة بالمواد الضرورية من الحبوب والغذاء<sup>4</sup>.

وإذا قارنا بين التحضيرات الفرنسية للحملة والاستعدادات الجزائرية لصدها، يمكننا القول أن هناك فروق واسعة، فالحكومة الفرنسية أسست عملها بطريقة علمية مبنية على دراسات سابقة وخرائط أنجزها مختصون وخطة محكمة، حضرت بعد دراسة تاريخية للحملات الأوروبية السابقة على مدينة الجزائر، وجمعوا جيوشا غفيرة في وقت مبكر، وقاموا بتنظيمها وتدريبها في معسكراتهم على أسلحة حديثة، وتحديدًا في مجال المدفعية، كما لم ينسوا المجال الصحي والأدوية اللازمة وعتاد الحصار، وحسب العقيد م. فرنال أنهم احضروا معهم حتى لوازم بناء ثمانية أفران لصناعة الخبز ومعدات ولوازم لتجهيز المستشفيات للتكفل بالجرحي، ناهيك عن المؤن والذخائر<sup>5</sup>. زيادة على ذلك التنظيم المحكم لفرق الجيش والبحرية وحسن اختيارهم للقادة الذين قاموا بواجباتهم من ناحية العمل وأخذ الحيطة والحذر وطاعة الأوامر.

وعكس ما تم تحضيره في فرنسا، ارتكزت الاستعدادات الجزائرية على جيش نظامي قليل العدد والتدريب ويعاني من عدم الثقة في قادته وأسلحته تقليدية عتيقة مقارنة بأسلحة

<sup>1</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 33

<sup>2</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p. 317

<sup>3</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 65

<sup>4</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p. 317

<sup>5</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 41

الجيش الفرنسي، وقائده إبراهيم آغا كان بعيداً كل البعد عن الميدان العسكري، فهو لم يحضر شيئاً ذو قيمة، وترك ميناء سيدي فرج بدون تسليح، وأكثر من ذلك لم يعد خطة للدفاع عن البلد ورفض كل الاقتراحات المقدمة له. وكل ما قام هو استدعاء رجال القبائل دون أن يزودهم بالأسلحة اللازمة، وأقام بعض المخازن للحبوب حول المدينة. فكيف كانت النتيجة بين هاتين القوتين غير المتكافئتين؟

### 2-3- انطلاق الحملة من طولون إلى سيدي فرج:

انطلقت الحملة الفرنسية من ميناء طولون في 25 ماي عام 1830م وذلك حسب التقرير الذي أعده الأدميرال "ديبري" قائد الأسطول، وفي ليلة 28 من نفس الشهر واجهتهم رياح قوية، بالقرب من جزيرتي "ميروقة" (Maiorque) و"منروقة" (Minorque)، فقاد الأسطول تحت الرياح إلى تلك الجزر لحمايته، وفي اليوم الموالي أي 28 أبحر بعد هدوء الرياح الأسطول الصغير للإنزال من ميناء "بالما"، وقد شاهدوا ساحل مدينة الجزائر في مساء يوم 29، فتحرك باقي الأسطول ليلة الثلاثين من نفس الشهر ووصل عند الفجر إلى رأس كاسين على بعد خمسة أو ستة أميال على الأكثر من مدينة الجزائر<sup>1</sup>.

ولكن الإنزال لم يتم بسبب السحاب الكثيف الذي كان يغطي الساحل والرياح القوية التي دفعت الأسطول بعيداً عن الساحل، وعليه قرر الأدميرال ديبري العودة إلى خليج "بالما" بعدما أعاد جمع وتنظيم سفن الأسطول ريثما يتحسن الطقس<sup>2</sup>.

وبعد عدة أيام من الانتظار في ميناء "بالما" تأهب جزء من الأسطول للسفر متجهاً نحو الجنوب وكان ذلك في 10 جوان، وتبعته بقية القطع البحرية، ولم يشاهدوا سواحل مدينة الجزائر إلا في 12 جوان<sup>3</sup>، وفي صباح يوم 13 كان الأسطول على خط واحد أمام مدينة الجزائر من رأس كاسين إلى غاية سيدي فرج، وبعد الظهر أرسى الأسطول في خليج سيدي فرج غرب مدينة الجزائر، واستعدوا للإنزال في 14 جوان على الساعة الثالثة فجراً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> L'Amiral Baron Duperré, Op.cit., p. 1,2

<sup>2</sup> Idem, p. 2

<sup>3</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.31

<sup>4</sup> L'Amiral Baron Duperré, Op.cit., p.3

## 2-4- الإنزال البحري والمقاومة الجزائرية:

ما أن اقترب الأسطول الفرنسي من مدينة الجزائر وأعلن عن الخبر حتى انتشر الفرع بين سكانها، وخرج الجميع إلى سطوح منازلهم ليتأكدوا بأنفسهم، وحين بددت أشعة الشمس ضباب البحر ظهر أسطول يمتد من الشرق إلى الغرب<sup>1</sup>، و"كانت قوة لا قبل لهم بها" على حسب تعبير ابن أبي ضياف.<sup>2</sup>

وكانت الفرقة الأولى التي يقودها "بارتيزان" هي التي نزلت أولاً على الثالثة صباحاً دون عراقيل، بعد أن نقلتهم الزوارق إلى الشاطئ، ووزعوا عليهم في الليل الغذاء والخرطيش والسلاح<sup>3</sup>، تكفي لمدة خمسة أيام<sup>4</sup>، وفي نفس الهدوء نزل إلى البر عشرة آلاف رجل في حوالي ربع ساعة، وبمجرد أن نزلوا إلى اليابسة أخذوا مواقعهم كمحاربين للمساعدة في عمليات إنزال باقي الجنود<sup>5</sup>، وتمكنوا من الاستيلاء على حصن سيدي فرج الذي يوجد به ضريحه وغرسوا به رايتهم البيضاء، وكانت البوارج الحربية الفرنسية تحمي النازلين، وتطلق نيران مدافعها على بطاريات الجزائريين<sup>6</sup>.

وبالرغم من مقاومة الجزائريين وإطلاق نيران بطارياتهم على الأسطول والجيش الفرنسي إلا أن مدافعهم كانت غنيمة سهلة للفرنسيين<sup>7</sup>. أما خسائر الفرنسيين فلم تكن أكثر من اثنين من الجرحى من رجال البحارة -حسب المصادر الفرنسية-، واستقرت القيادة العامة في حصن سيدي فرج<sup>8</sup>.

هذا، وقد تواصل إنزال الجيوش في نفس اليوم، وبمجيء المساء نزل أكثر من ثلاثين ألف جندي على شاطئ سيدي فرج. ومنذ اليوم الأول للإنزال شرع الجنرال "فاليزي" في رسم خندق يحيط بشبه الجزيرة واستعمل فيه آلاف العمال يحفرون ليلاً ونهاراً، وأحاطوه بسياج وزودوه بـ26 قطعة مدفعية من مدفعية البحرية<sup>9</sup>. وبدأ إنزال العتاد مباشرة بعد نزول

<sup>1</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 76

<sup>2</sup> ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج3، ص. 161

<sup>3</sup> Théodore de Quatre barbes, Souvenirs de la compagnie d'Afrique, Imprimeur-libraire, chez G.A., Dentu, Seconde édition, Paris, 1831, p. 22

<sup>4</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., p.45

<sup>5</sup> L'Amiral Baron Duperré, Op.cit., p. 3

<sup>6</sup> Théodore de Quatre barbes, Op.cit., p.23

<sup>7</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., p. 44

<sup>8</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص.37

<sup>9</sup> Théodore de Quatre barbes, Op.cit., p.26

الجنود، غير أن عاصفة قوية واجهتهم ليلة الخامس عشر وصبيحة السادس عشر عرقلت سير العملية وكادت أن تحطم الأسطول برمته وأعدت للفرنسيين ذكرى حملة شارل الخامس<sup>1</sup>.

بعد هدوء العاصفة واصل الجيش البري تقدمه واحتل كامل شبه الجزيرة. كما أتمت فرقة المهندسين تنظيم المعسكر وانتهى حفر الخندق وتسليحه خلال أيام 15، 16، 17 و 18 جوان، لحمايته من هجوم الجزائريين<sup>2</sup>. وعندما انتهت الأعمال كان المعسكر على هيئة مدينة تحتوي على كل المرافق، خيم الجنود، المطاعم والمخازن وغيرها من المرافق التي يحتاجها الجنود<sup>3</sup>، وقد اتخذها الفرنسيون قاعدة خلفية لبداية زحفهم على مدينة الجزائر. هكذا نجح الفرنسيون في الاستيلاء على شبه جزيرة سيدي فرج وجعلوها معسكرا محصنا لهم يصعب اختراقه كما قال الزهار "ولو اجتمع عليه كافة أهل الجزائر وغيرهم ما دخلوه"<sup>4</sup>.

لم يستغل الجيش العثماني-الجزائري، تلك العاصفة لأنه كان قد فقد كل مدافعه وأهم ما قام به في اليوم السادس عشر هو تجديد مناوشاتهم ضد المواقع الأمامية للجيش الفرنسي. وفي اليوم الموالي (17) تبادل الطرفان طلقات البنادق طوال النهار وكان عدد الجزائريين أكثر من اليوم السابق ولم يتوقفوا عن المناوشات بشجاعة كبيرة<sup>5</sup>. وحسب العقيد م. فرنال فإنه منذ نزول القوات الفرنسية وإلى غاية 18 جوان لم تتوقف القوات الجزائرية عن إطلاق النار على المراكز الأمامية للمعسكر، وقد استخدموا بنادق طويلة واجههم الفرنسيون بنيران المدفعية وجنود مسلحين بالبنادق ذات الحراب<sup>6</sup> (Baionnettes)، ويضيف نفس

<sup>1</sup> وبسبب تلك العاصفة انتشر القلق بين القادة والجنود وخافوا أن يدمر الأسطول أو تشتت سفنه بفعل قوة الرياح وهم لم ينزلوا منه سوى مؤونة أيام قلائل. وقد صرح الجنرال "ديسبيري" أن هذه العاصفة ستكون الحملة الثانية لشارل الخامس، وكما كتب الأميرال "ديبيري" إلى وزير البحرية "دوهاسي" أن الأسطول كان سيواجه تدمير كلي: Gabriel ESQUER, Op.cit., p. 317

<sup>2</sup> Gabriel Rouquerol, Op.cit., p. 49

<sup>3</sup> Théodore de Quatre barbes, Op.cit., pp.27- 28

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 171

<sup>5</sup> Théodore de Quatre barbes, Op.cit., p.27

<sup>6</sup> بدأ استخدامها الرسمي في الجيش الفرنسي بداية من عام 1703، وهي عبارة عن بندقية مثبتت في نهايتها سكين قوي أو ما يسمى حربة تستخدم في القتال في المعارك للدفاع والهجوم معا، وخصوصا عند الاشتباك ونفاذ الذخيرة الحربية، ولمزيد



المصدر أن تلك المناوشات قد كلفت الفرنسيين ما بين 50 و 80 قتيلًا يوميًا، أما عن الشهداء الجزائريين فيقول أنه لا يمكننا إحصاءهم لأن الأتراك كانوا لا يتركون وراءهم موتاهم حتى ولو عرّضوا أنفسهم للخطر<sup>1</sup>.

وكان الجيش العثماني-الجزائري في معركة سيدي فرج -حسب المؤرخ الفرنسي "لويس بارترون"-، غير متماسك، ولكن نواته من الإنكشارية كانت ممتازة من المحترفين والمسلحين بشكل جيد. وحاربت بشجاعة وضراوة غير عادية، ولكن مشكلتها في تسليحها وخاصة في المدفعية التي تستخدمها كانت قديمة وناقصة، ولكن بنادقهم تسببت في خسائر في صفوف القوات الفرنسية، على عكس المدفعية الفرنسية أكثر حداثة وتتميز بالسرعة في تنقلها، وقاومت شجاعتهم<sup>2</sup>.

## 2-5- معركة اسطاوالي الحاسمة:

تعتبر معركة اسطاوالي التي جرت يوم السبت 27 ذي الحجة عام 1245هـ / 19 جوان 1830م<sup>3</sup> أهم حدث عسكري ميّز المواجهة بين الجزائريين والفرنسيين في تلك الحملة. فبعد نجاح الفرنسيون في نزولهم إلى البر واستيلائهم على شبه جزيرة سيدي فرج وصل الخبر إلى الباشا يقول أن الفرنسيين قد حطموا حامية سيدي فرج تماما، وأنهم قد نزلوا على الرغم من مقاومتهم الشديدة، فبعث رسولا إلى الآغا إبراهيم يأمره بالانسحاب إلى سهل اسطاوالي<sup>4</sup> والدفاع عنها إلى أن تصله القوات المحاربة من البايات والشيوخ<sup>5</sup>. وقدرت المصادر الفرنسية القوات العثمانية-الجزائرية بحوالي خمسين ألف رجل<sup>6</sup>، في حين يذكر حمدان خوجة الذي زار معسكر اسطاوالي أن عدد القوات التي جمعها إبراهيم

من المعلومات عن البايونات ينظر، خليفة حمّاش، قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطه والي، المرجع السابق، ص 191-194

<sup>1</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 47

<sup>2</sup> Louis Bertrand Op.cit., p. 415

<sup>3</sup> M. Rozet , Relation de la guerre d'Afrique pendant les années 1830-1831, t1, éd., chez firmin didot frères, Paris, 1832, p.145

<sup>4</sup> وهي منطقة شبه سهلية تقع إلى الغرب من مدينة الجزائر، وتقع إلى الغرب من مدينة الجزائر، وتبعد عنها بنحو 25 كلم وتقع في منتصف الطريق ما بين سيدي فرج ومدينة الجزائر، خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص. 173

<sup>5</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 76

<sup>6</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 106

آغا أقل من عدد الجيش الذي كان يقوده يحيى آغا زمن السلم<sup>1</sup>، كما أن الزهار تحدث عن نقص الجيش النظامي وقال أنه في مدينة الجزائر كان هناك محلطان فقط عدد الرجال في كل واحدة هو ألف رجل من الانكشارية<sup>2</sup>.

ومهما كانت عدد الجيوش العثمانية-الجزائرية فقد تمركزت بسهل اسطاوالي. ولم يكن المعسكر الجزائري كالمعسكر الفرنسي، لا من ناحية التخطيط والتنظيم ولا من ناحية المؤن والذخائر أو حتى الحراسة<sup>3</sup>. كما أن اختيار المكان نفسه اعتبره أحمد باي خطأ عسكرياً لأنه في حالة ما إذا انهزم الجيش سيكون انسحابه دليل للفرنسيين إلى مدينة الجزائر، وقد اقترح تغيير مقر القيادة إلى الدار البيضاء التي تبعد بمسيرة أربع ساعات عن اسطاوالي مع ضرورة تقسيم الجيش إلى مجموعات يتولى أمرهم قادة مختارين، وبسبب إهمال وقصر نظر الآغا إبراهيم فقد رفض كل هذه الاقتراحات<sup>4</sup>.

كما أن المؤن والذخائر لم تكن كافية لكل الجيوش مما دفع الآغا وفرقته للسفر كل مساء إلى معسكر الدار البيضاء وتعود في الصباح إلى اسطاوالي. إضافة إلى ذلك لم يجهز الآغا خندقاً لحماية المدافع والجيش ولم يتم حفره إلا ليلة المعركة من طرف العرب، وكان بدون فائدة حسب حمدان خوجة<sup>5</sup>. وكل ما قام به الآغا هو إنشاء حصونا باسطاوالي بطريقة سريعة وزودها ببعض المدافع، ووزع حسين الباشا بنفسه عدد منها على جميع القادة وعلى الذين قدموا من مناطق بعيدة<sup>6</sup>.

وقد ارتكب الآغا إبراهيم خطأ آخر إضافة إلى كل أخطائه السابقة تسبب في حدوث تمرد ضده والخروج عن وحدة الصف استفاد منها العدو، فقد رفض معاقبة انكشاري قتل رجل من القبائل وذهب ليبيع رأسه على أنه أحد الفرنسيين وقبض الجائزة التي وعد بها

<sup>1</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 195

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 171

<sup>3</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 194

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص. 192

<sup>5</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 192-193

<sup>6</sup> أحمد باي بن محمد الشريف، المصدر السابق، ص. 15

حسين باشا (500 فرنكا)، مما أزعج القبائل واقسموا على الانتقام بترك الميدان في أول معركة<sup>1</sup>.

هكذا وبتلك التحضيرات الارتجالية وذلك التنظيم العشوائي انطلق الهجوم العثماني الجزائري على المعسكر الفرنسي بعد صلاة الفجر من يوم السبت 27 ذي الحجة 1245هـ، بشجاعة وشراسة على المعسكر الفرنسي بسيدي فرج وسط ضباب الصباح الكثيف مما أحدث صدمة كبيرة للجيش الفرنسي<sup>2</sup>. وكانت النتيجة في البداية لصالحهم ولكن بعد مغادرة القبائل لمواقعهم وتبعهم الباقين في منتصف النهار، وقع الاضطراب في بقية الجيش<sup>3</sup>. وفورا أعطي القائد العام الفرنسي أوامره لكل الجيش بالتقدم نحو الأمام وأحاطوا بالجزائريين في شكل دائرة وحاصروهم، وكان الجيش من الخلف والبحر من الأمام، وتقدمت الفرق الأخرى نحو بطاريات الجزائريين ومعهم مدفيعتهم (مدفعية الميدان)<sup>4</sup>، ففر جميع العرب والقبائل والأتراك في كل الاتجاهات تاركين وراءهم معسكرهم بما فيه من أسلحة وذخائر وعتاد وخيم وغداء وحيوانات<sup>5</sup>، وقد كانت هزيمة الجزائريين ثقيلة جدا، آلاف الضحايا والجرحى من الإنكشارية والعرب والقبائل وحتى من النساء والأطفال<sup>6</sup>، وأما الخسائر الفرنسية فقد قدرها بستمائة قتيل وجريح<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit., p. 318

<sup>2</sup> Idem, p. 322

<sup>3</sup> Idem, p. 328

<sup>4</sup> كانت مدفعية الميدان الفرنسية المستعملة في معركة اسطاوالي متحركة على عجلات كبيرة تجرها الخيول والبغال بدلا من الثيران البطيئة ويمكن نقلها عبر مختلف التضاريس أعطت للفرنسيين تقوفا كبيرا وفاجأتهم سببت لهم الرعب في كل العمليات العسكرية خلال الحملة، ولم يكن لدى الجزائريين سوى المدافع الثابتة التي لم يكن لها أي تأثير على وحدات الجيش الفرنسي لمزيد من التفاصيل ينظر: F. Desprez, Op.cit. p.105، وحسب ما جاء في الكتاب الإعلامي الذي وزع على الجنود الفرنسيين أن الجزائريين كانوا لا يستعملون مدفعية الميدان في معاركهم بسبب التضاريس الصعبة وغياب الطرق المستوية، Anonyme, Op.cit., p.232

<sup>5</sup> حول تفاصيل ما ترك الجيش العثماني الجزائري في معسكر اسطاوالي غنيمة للفرنسيين ينظر:

M. Rozet, Op.cit. pp.158-159

<sup>6</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ص. 83-89

<sup>7</sup> تختلف المصادر الفرنسية حول عدد الخسائر البشرية التي تعرض إليها الجيش الجزائري-العثماني حيث يذكر العقيد م. فويال، أن عدد القتلى هو خمسة آلاف رجل، المصدر السابق، ص. 54، بينما يذهب أ. بيليسي، المشارك في الحملة أيضا أن عدد القتلى هو ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف رجل ما بين الجرحى والشهداء، أ. بيليسي، المصدر السابق، ص. 47

وحسب الجنرال "دييري" كان بإمكان "دوبرمون" بعد هذا الانتصار الاستيلاء على مدينة الجزائر في نفس اليوم لو أراد ذلك وتتبع الفارين من الجزائريين إلى المدينة، دون أن ينتظر عتاد الحصار والمدفعية الثقيلة لأن مدفعية الميدان لوحدها كانت كافية، هكذا قال الجنرال في مذكراته، ووجه اللوم إلى الجنرال دوبرمون على تباطئه<sup>1</sup>.

على إثر هزيمة اسطاولي انكشف المستوى الحقيقي للجيش العثماني-الجزائري وقائده، الآغا إبراهيم واتضح الأخطاء التي ارتكبها، وربما كانت أكبرها هي مشاركته بكامل جيشه في المعركة دون ترك عدد منه في حراسة المعسكر للاستعداد به عند الحاجة أو على الأقل ليقوم بنقل الأمتعة والأسلحة والذخائر بعيدا عن متناول العدو، حتى لا تكون الخسائر مضاعفة.

كما توضح هذه الهزيمة أيضا مستوى الأسلحة الخفيفة والثقيلة التي استعملها الجزائريون وطريقة قتالهم مقارنة مع الجيش الفرنسي وتسليحه المتطور "كمدفعية الميدان الحديثة"، و"البنادق ذات الحراب" التي أحدثت خسائر كبيرة في الجيش العثماني-الجزائري<sup>2</sup>، وكذا اعتماد العدو على خطط مبنية على قواعد علمية عسكرية، وإتباعهم الحذر في كل خطواتهم، إضافة إلى التنظيم الجيد لمختلف فرق الجيش والانسجام فيما بينها.

ومهما كانت الأسباب في هزيمة اسطاوالي فإنها قررت نتيجة الحملة وفتحت الطريق لمدينة الجزائر، ودخول الجيش الفرنسي إلى المدينة صار قضية أيام معدودة.

<sup>1</sup> F. Desprez, Op.cit. p. 113

<sup>2</sup> Gabriel ESQUER, Op.cit, p. 323

## 2-6- معركة برج مولاي الحسن:

ومهما يكن من أمر فقد تولى الآغا إبراهيم قيادة ما تبقى من الجيش وهاجم القوات الفرنسية باسطوا على محاولا استعادة معسكره فتحركت إليه فرقة من المشاة وفرقتين من الفرسان من اسطوالي، ففر الجزائريون ولم يتوقفوا حتى وصلوا إلى مرتفعات بوزريعة التي تقع على بعد ميل من مدينة الجزائر وتوقف الفرنسيون عن متابعتهم عند الهضبة التي تقع بها قرية سيدي خالف. وكما حاولت قوات كبيرة من العرب من جهة أخرى الهجوم على قاعدة سيدي فرج ظنا منهم أنها خالية فأوقفتهم فرقة المدفعية المتواجدة هناك لحراسة القاعدة، وقد أصيب في هذه المعركة ابن القائد العام "إميدي دو بورمون" ومات بعد أيام قليلة<sup>1</sup>.

وقد حاول حسين باشا جمع المحاربين مرة أخرى للدفاع عن مدينة الجزائر، فاستدعى المفتي، "ابن العنابي" وسلمه سيفاً وطلب منه أن يجمع الشعب للجهاد والدفاع عن البلد وحارب أياماً ثم توقف لأن شيخ الإسلام لم يكن رجل حرب بل رجل فكر ودين<sup>2</sup>، وعين حسين باشا هذه المرة مصطفى بومرزاق باي التيطري بدلا منه، وقد عرف هذا الباي بالشجاعة وخبرته في الحروب، ولكن الوقت كان قد تأخر والفرنسيون قد اقتربوا من برج مولاي حسن (حصن الإمبراطور)، وكل ما قام به هو بعض المناوشات أيام 25، 26، 27، 28<sup>3</sup> على عدة مواقع، وتمكن من إلحاق خسائر معتبرة بالعدو قدرت بسبعمئة قتيل وجريح حسب المصادر الفرنسية<sup>4</sup>، ومن تلك الخسائر التي ذكرها النقيب أ. بيليسي المشارك في الحملة، التي وقعت في اليوم السابع والعشرون حيث قال أنه قضى على مجموعتين من النخبة الفرنسية، وعلى كتيبة أخرى من المشاة، وقطعوا 150 رأساً بقيادة بومرزاق<sup>5</sup>.

وبالرغم من ذلك لم يتمكن باي التيطري من وقف زحف الجيوش الفرنسية يوم 29 إلى مدينة الجزائر، مع أنها أظلت الطريق، بسبب الضباب الذي كان يغطي المدينة مما

<sup>1</sup> أ. بيليسي، المصدر السابق، ص 52-55.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي...، المرجع السابق، ص 9.

<sup>3</sup> أ. بيليسي، المصدر السابق، ص 57.

<sup>4</sup> A.M. Perrot, La conquête d'Alger, ou relation de la campagne d'Afrique, éd, H. Langlois fils, Paris, 1830, p.121

<sup>5</sup> أ. بيليسي، المصدر السابق، ص 59.

جعل قائد الأركان يعتقد أنه رأى البحر من ذلك الجانب وأن خريطة بوتان خاطئة فواجهوا فوضى وارتباك كبيرين في صفوف الجيش، ولكن لسوء حظ الجزائريين لم تستغل هذه الظروف أيضا لمهاجمة العدو خلال تلك الفوضى. وبعد تعب كبير والسير في الاتجاه المعاكس عاد الجيش الفرنسي إلى المكان الذي انطلقوا منه في الصباح<sup>1</sup>، ووصلوا إلى أسوار مدينة الجزائر يوم الثلاثين من جوان<sup>2</sup>، إلى حصن الإمبراطور حسب الخطة المعدة من أكثر من عشرين سنة.

وحصن الإمبراطور هذا كان يسميه سكان مدينة الجزائر برج مولاي الحسن، أو برج الطاووس بني في المكان الذي نصب فيه شارل الخامس خيمته سنة 1541م<sup>3</sup>، عندما قاد حملته الشهيرة ضد مدينة الجزائر، ومن ثمة حمل اسمه. وكان هذا الحصن الوحيد الذي يحمي المدينة من الجهة البرية من الجنوب إلى الشمال<sup>4</sup>، على المرتفعات التي تتحدر شيئا فشيئا نحو البحر. وقد كان مسلحا عشية الحملة بعشرة مدافع وكمية قليلة من البارود وكورات المدافع حسب الجرد الذي أعده الزهار للباشا<sup>5</sup> وثلاث حاميات لحراسته<sup>6</sup>.

وقبل وصول القوات الفرنسية إلى الحصن عقد حسين باشا مجلسا حربيا اتفقوا فيه على ضرورة تجميع الجيش وتجهيزه من جديد لخروجه لقتال العدو، وتسليح برج مولاي الحسن<sup>7</sup>، وقد تم تجهيزه بمائة وعشرون مدفعا<sup>8</sup>، وألف رجل بقيادة الخزناجي<sup>9</sup>، وأغلبهم كان من المدفعيين، وخرجت العساكر ومعهم عدد قليل من قبائل الزواوة لقتال الفرنسيين من جهة البساتين<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> Augustin Bernard, Op. cit., p. 107,108

<sup>2</sup> Louis Bertrand Op.cit., p. 417

<sup>3</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p. 108

<sup>4</sup> أ. بيليسي، المصدر السابق، ص. 64.

<sup>5</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 173.

<sup>6</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 92.

<sup>7</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 173.

<sup>8</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 79.

<sup>9</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 92.

<sup>10</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 173.

وكان الفرنسيون قد تمركزوا على بعد ستمائة متر من برج مولاي الحسن على هضبة أكثر ارتفاعا منه وانشغلوا في حفر خندق موازي له<sup>1</sup>، وسلحوه بالبطاريات والتي بلغ عدد مدافعها حسب الزهار مائتي مدفعا<sup>2</sup>، من المدافع الثقيلة المخصصة لتحطيم الأسوار<sup>3</sup>، وحصنوها بأكياس ملئوها بالتراب<sup>4</sup>، وحسب المصادر الفرنسية أن جنودهم قد تعرضوا إلى خسائر هائلة أثناء حفر الخندق<sup>5</sup>، ومن أجل تخفيف القصف عليهم وتشتيت قوة الجزائريين أمر الأدميرال "ديبري" بعض القطع البحرية بإطلاق نيران مدافعها على أبراج وحصون مدينة الجزائر في اليوم الأول والثاني والثالث من جويلية، وقد تصدى لها الجزائريون بكل قوة وأرغموهم على العودة إلى قاعدتهم بسيدي فرج. وقبل طلوع شمس اليوم الرابع كانت أشغال الخندق قد انتهت، وفورا شرعت البطاريات الفرنسية في إطلاق نيران المدافع على الحصن بصورة مكثفة، ورد الجزائريون بقوة وشجاعة، ولكنهم سرعان ما توقفوا عن إطلاق النار، وتابعت البطاريات الفرنسية من أجل فتح ثغرة في الحصن والدخول إليه<sup>6</sup>.

وقد أصاب سكان المدينة هلع كبير من جراء القصف البحري المتواصل للسفن الفرنسية، وإطلاق نيران المدافع من الجهة البرية، مما تسبب في تهديم منازلهم، وقد حاولوا النجاة بأنفسهم مع عائلاتهم والخروج من المدينة عن طريق باب عزون، الوحيد الذي لم يكن محاصرا<sup>7</sup>. وهذا الخوف والهلع أصاب الخزناجي قائد معركة الحصن مما جعله يفقد تركيزه ويفجر خزينة البارود التي أحدثت انفجارا هائلا وهدم جزء من الحصن وكان ذلك على الساعة العاشرة صباحا<sup>8</sup>، وقد اعتقد أن الحصن سيتهدم على رؤوس الفرنسيين، ولكن

<sup>1</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 79

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 173

<sup>3</sup> وصل إلى ميناء سيدي فرج العتاد ومدفعية الحصار ونقلت إلى اسطاولي يوم 26 جوان وكانت تحتوي قطع مدفعية من عيار 12 و 16، مع ذخيرة كاملة، وكانت تحتوي أيضا على عتاد سلاح الهندسة وأكياس لتملأ بالتراب وحزم من الحطب لتغطية الخنادق، العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 70

<sup>4</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 96

<sup>5</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 81

<sup>6</sup> A.M. Perrot, Op.cit., p. 130

<sup>7</sup> لم تتمكن القوات الفرنسية من إطباق الحصار على كل أبواب المدينة، وتركت باب عزون مفتوحا نظرا لنقص عدد الجنود. العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 81

<sup>8</sup> L'Amiral Baron Duperré, Op.cit., p.11

للأسف تساقطت حجارته على سكان المدينة مما زاد في خوفهم وحيرتهم<sup>1</sup>، وسهل الدخول الفرنسي إلى البرج والاستيلاء على كل المدافع والأسلحة والذخيرة، بعدما هرب من استطاع الهرب ممن بقي على قيد الحياة<sup>2</sup>.

لم تكن هزيمة الجيش العثماني-الجزائري في معركة برج مولاي الحسن بسبب النقص العددي أو لفقدانهم الشجاعة، بل على العكس فقد ثبتوا وحاربوا بكل قوة، وقد أشاد بشجاعتهم الفرنسيون الذين شاركوا في المعركة، ولكن تأخر مدفعيتهم عن المدفعية الفرنسية، وجهلهم بطرق الدفاع العسكري جعلهم يخرجون من المعركة مبكرا، ومن أمثلة الأخطاء التي ارتكبوها وقد ذكرها العقيد م. فرنال هي، فتحات المدافع الواسعة في الحصن جعلتهم عرضة للقصف الفرنسي، كما أنهم لم يركزوا وسائل دفاعهم على السور الذي يعلو الحصن، وعلى المرتفعات المجاورة للحصن في تنصيب بطارياتهم وجنودهم ضد الفرق الفرنسية التي تعمل في حفر الخندق<sup>3</sup>، وبصفة مختصرة هو جهلهم لفنون القتال الحديثة وتمسكهم بالطرق القديمة مع جيش يمتلك أحدث الأسلحة ولدى غالبيتهم وبالخصوص قاداته خبرة كبيرة في مجال الحروب والحصار اكتسبوها من مشاركتهم في الحروب مع نابليون في أوروبا وفي مصر.

وحسب التقرير الذي قدمه الجنرال "دييري" القائد الأعلى للجيش البري إلى الحكومة الفرنسية بباريس أعدته إدارة الاحتلال العامة في 27 أوت 1830م، حول عدد الضباط والجنود الذين قتلوا أو أصيبوا في المعارك منذ 14 جوان إلى غاية 4 جويلية، فإن عدد القتلى هو 485 قتيل، و1910 جريح<sup>4</sup>، ونعتقد أن هذه النتائج لا تعبر عن الواقع، بشهادة الضباط الفرنسيين أنفسهم الذين شاركوا في الحملة وكتبوا عن الخسائر الجيش الفرنسي وقد أشرنا إليها أعلاه.

ومهما كانت خسائر الجيش الفرنسي فقد سيطروا على برج مولاي الحسن وعندئذ اقتنع حسين باشا والأعيان أن الاحتلال قد وقع ولن تزيد المقاومة إلا من كثرة الضحايا

<sup>1</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص.96

<sup>2</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.174

<sup>3</sup> العقيد م. فرنال، المصدر السابق، ص. 79-80

<sup>4</sup> A.M.G., Série, H1.N° 14221, Rapport du Générale Despry au gouvernement français le 29 Aout 1830. Voir l'annexe n° (28)



والخسائر، وكان للبيانات التي وزعها الفرنسيون<sup>1</sup>، دورا كبيرا في ترجيح فكرة الاستسلام على مواصلة الحرب عند الجزائريين وخاصة لدى النخبة لاقتناعهم أن أمة متحضرة ستضمن لهم حقوقهم ودينهم وممتلكاتهم<sup>2</sup>.

وقد جاء البيان للدعاية، وهدفه التأثير على عقول الرعايا الجزائريين وتفريق وحدتهم، ويحد من مقاومتهم للفرنسيين، حيث قالوا لهم فيه أنهم جاؤوا للانتقام لشرف فرنسا الذي أهانه الداوي حسين، وتخليصكم من هذا الطاغية المستبد الذي يحكمكم ويستغل خيرات البلاد لمصلحته الخاصة، وأنهم ما جاؤوا ليحاربوكم، وتعهدوا لهم أنهم لن يتعرضوا لهم بأي سوء وسيضمنون لهم حقوقهم وممتلكاتهم وحياتهم، ويخلصونهم من هذا الحاكم الطاغية<sup>3</sup>.

حسب أحمد الجزائري أن حسين باشا قبل أن يجتمع مع أعيان البلد لأخذ القرار المناسب حول مصير مدينة الجزائر، أرسل رئيس ديوانه مع القنصل الانجليزي إلى القائد الأعلى للجيش الفرنسي<sup>4</sup>، وطلب التفاوض معه لكنه رفض<sup>5</sup>، وكتب إليه هذا الأخير أن أمامه أربع وعشرون ساعة لتسليم القلعة طوعا أو أخذها عنوة. ولما اتصل برسالته قرأها

<sup>1</sup> وهو عبارة عن نداء يحمل عنوان: "هذه مناداة من سار عسكر أمير الجيوش الفرنسية إلى سكان الجزائر أهالي القبائل". وقد وزع البيان بطرق عديدة منها عن طريق القنصل الفرنسي بتونس السيد "ماتيو دي ليسبيس"، ومباشر داخل الجزائر بواسطة عناصر من المخابرات الفرنسية، أرسلت خصيصا لتأدية هذه المهمة، وعن طريق ثالث هو إسبانيا بواسطة التجار اليهود المحتكرين للجارة الخارجية حينئذ. وقد شرع في توزيعه بالجزائر منذ نزول الحملة بسيدي فرج وبالضبط في 18 جوان. وقد أعده كل من المريكيز "كليرمون تونير" عضو القيادة العامة الذي كان يعرف اللغة العربية وترجمه إلى اللهجة العامية الجزائرية المستشرق الفرنسي "دي ساسي" قبل طبعه بإحدى مطابع "أنقولام" بفرنسا. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، طبعة منقحة ومزودة، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص. 14. ونص البيان منشور في العديد من الكتب التي تتحدث عن احتلال الجزائر منها كتاب أحمد الشريف الزهار المصدر السابق، ص. 177، وكما قام بدراسة وثيقة البيان الأستاذ أبو القاسم سعد الله، في كتاب، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص. 277-280. ودرسها أيضا عبد الحميد زوزو، في كتابة نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر...، المرجع السابق، ص. 14-21.

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 200-202.

<sup>3</sup> عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص. 16-18.

<sup>4</sup> أحمد الجزائري، المصدر السابق، ص. 31.

<sup>5</sup> سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص. 96.

على أعيان البلد وطلب رأيهم فوافقوا جميعا على الاستسلام<sup>1</sup>. وكانت وثيقة نكث العهد حسب ما أوردها حمدان خوجة وشروطها مكتوبة كما يلي<sup>2</sup>:

- 1- يسلم حصن القصبه وجميع الحصون الأخرى التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة إلى الجيوش الفرنسية، هذا الصباح على الساعة العاشرة صباحا (بتوقيت الفرنسي).
  - 2- يتعهد قائد جنرالات الجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته وكذلك جميع ثرواته الشخصية.
  - 3- الداي حر في الانسحاب مع أسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يحدده، وسيكون هو وكامل أفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات الجيش الفرنسي، وذلك طيلة المدة التي يبقاها في الجزائر، وستقوم فرقة من الحرس بالسهل على أمنه وامن أسرته.
  - 4- يضمن قائد الجنرالات نفس المزايا ونفس الحماية لجميع الجنود الميليشيا.
  - 5- تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، كما أنه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأملاكهم وتجارتههم وصناعاتهم، ونساءهم سيحترمن.
- إن قائد الجنرالات يتعهد بشرفه على تنفيذ كل ذلك. وأن تبادل هذه الاتفاقية سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح، وبعد ذلك مباشرة تدخل الجيوش الفرنسية إلى القصبه ثم إلى جميع حصون المدينة والبحرية.
- في المعسكر المخيم أمام الجزائر، يوم 5 جويلية سنة ثلاثين وثمانمئة وألف  
إمضاء: كونت دوبرمون

خاتم حسين باشا، داي الجزائر.

دخل الجيش الفرنسي إلى المدينة يصول ويجول وقد رفع الأعلام الفرنسية على مينائها وكل القلاع والحصون، وغنموا ما كان يوجد بخزينة القصبه، من ذهب وتحف وأموال، وما بمخازن المدينة من قمح وأرز ونحاس وورصاص وأقمشة وصوف، وجميع المواد

<sup>1</sup> أحمد الجزائري، المصدر السابق، ص. 31

<sup>2</sup> حمدان خوجة، المصدر السابق، ص-ص. 203-204

الغذائية<sup>1</sup>، إضافة إلى 1500 قطعة من المدفعية البرونزية وأكثر من ثلاثين سفينة من مختلف الأنواع: فرقاطات، زوارق، والزوارق قاذفات المدافع، وكل العتاد البحري، والأسلحة والذخائر الحربية<sup>2</sup>.

وبموجب وثيقة الاستسلام حافظ الداوي على حياته وأمواله بعدما دخل إلى الجزائر لا يملك شيء وخرج بالملايين، وربما لو كان من أبناء البلد ما سهل عليه ذلك وفضل إعادة تنظيم المقاومة حتى النصر أو الاستشهاد كما فعل أحمد باي في الشرق، والأمير عبد القادر في الغرب، "بل كان أول همه المحافظة على ماله الذي لم يرثه عن أهله"<sup>3</sup>. ورحل إلى المكان الذي اختاره<sup>4</sup>، وترك وراءه جيش الاحتلال يزرع الموت والدمار في كل مكان.

### 3- المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر

#### 3-1- موقف الرأي العام الفرنسي:

لم يكن الشعب الفرنسي كله مع الحملة الفرنسية ضد الجزائر بل كان هناك معارضون كثر، فالمعارضة في البرلمان ومجلس الشيوخ الفرنسي قد رفضت الحرب ونادت بالسلام وعودة العلاقات الودية بين البلدين، وقام بهذا الدور الجمهوريون والاشتراكيون والليبراليون عموماً<sup>5</sup>. وحسب التقرير الذي أرسل إلي حسين باشا من جواسسه حول المعارضة في مجلس الشيوخ الفرنسي فإن المعارضين قد رفضوا توجيه الحملة ضد الجزائر واعتبروها اعتداء يخالف كل القوانين والشرائع الدولية لأن سبب القطيعة منذ البداية هو ظلم للداوي وسلب حقه في دينه من طرف الحكومة الفرنسية، ورأوا أن هذه الحملة أفرغت خزائن الحكومة وأن هناك أخطار كبيرة ستواجهها في البحر الأبيض المتوسط بسبب قوة الرياح وقد

<sup>1</sup> J. Ladimir, Les guerres de l'Afrique depuis la conquête d'Alger par les Français, Libraires- éd, B.Reault.et C° , Paris, 1859. P. 32,34

<sup>2</sup> L'Amiral Baron Duperré, Op.cit., p.12

<sup>3</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.167

<sup>4</sup> رحل الداوي إلى مدينة نابولي التي اختارها هو بنفسه في العاشر من شهر جويلية، وفي نفس اليوم رحلت الإنكشارية إلى استانبول. لمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر: Louis Bertrand, Op.cit. p.422.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 263، 264

يتحطم الأسطول كما حدث لحملة شارل الخامس، أو تفاجئ بالخطر الانجليزي في عرض البحر وبذلك لن تحقق أية فائدة من هذه الحرب سوى تحمل الخسائر في الأموال والجيش<sup>1</sup>. وبخلاف ذلك فإن أصحاب المصالح من رجال الأعمال والتجار والموالين للنظام الحاكم، فقد أيدوا الحملة، بالإضافة إلى الجيش الذي أثارته إهانة الداى للشرف الفرنسي كما كان يشاع<sup>2</sup>.

### 3-2- تباين مواقف الدول الأوروبية الكبرى:

تباينت المواقف الدولية الأوروبية من الحملة الفرنسية ضد الجزائر بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، وكان موقف الدول الأوروبية في عمومها مؤيدا لمشروع الحملة والقضاء على حكم الداى حسين، حيث شجعت بروسيا والنمسا المشروع وكذلك روسيا، وابتهجت الدويلات الايطالية لأنهم رأوا فيها تحرير لتجارتهم وأبدت هولندا التي عانت كثيرا من دفع الجزية ارتياحا كبيرا للحملة، وكذلك الأمر بالنسبة للبرتغال واسبانيا لم يبديا أي اعتراض<sup>3</sup>، أما انجلترا فإنها كانت المعارض الوحيد لأنها رأت في ذلك تهديدا للتفوق الانجليزي في البحر المتوسط وأعلنت أنها لن تسمح بأكثر من عملية قصف لتأديب مدينة الجزائر، وطالبت حكومة بولينياك عن طريق سفيرها في باريس بتقديم التزامات دقيقة حول مستقبل الجزائر بعد السيطرة عليها ورفضت أن تحتفظ فرنسا بالجزائر بشكل دائم<sup>4</sup>. ولكن انجلترا لم تترجم هذا الموقف عمليا، ولم تقم بأي شيء لمصلحة الجزائر مثلما فعلت مع الفرنسيين عندما احتلوا مصر.

### 3-3- موقف الباب العالي:

علم الباب العالي بوقوع الحرب بين الجزائر وفرنسا في بداية أوت 1827م عن طريق مذكرة قدمها السفير الفرنسي السيد "جيمينو" والتي طالب من خلالها بوجود تدخل الباب العالي لتأديب والي الجزائر، وقد جاء في ختام مذكرته أن السفن الفرنسية محاصرة

<sup>1</sup> م.و.ج. المجموعة، 3190، الوثيقة رقم 382، وهي بيان حول المعارضة التي جرت في مجلس الشيوخ الفرنسي بخصوص إعلان الحرب ضد الجزائر مرسله إلى حسين باشا دون تاريخ. لمزيد من المعلومات ينظر صورة البيان بالملحق رقم (29)، ونظرا لأهمية البيان قمنا بإعادة كتابته.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 264

<sup>3</sup> Paul Gaffarel, Op.cit, p.76

<sup>4</sup> Augustin Bernard, Op.cit., p.98

لمدينة الجزائر، وقد صرح رئيس الكتاب السيد بترف أفندي بعدم شرعية عمل الحكومة الفرنسية دون إخبار الباب العالي وأضاف أنه عمل يتنافى مع الاتفاقيات المبررة بين البلدين ولفهم أساس المسألة أرسل حسين باشا رسالة إلى الصدر الأعظم في آخر يوم من جمادى الأولى عام 1243هـ<sup>1</sup>، شرح فيها أن سبب النزاع يعود إلى الديون الجزائرية على فرنسا وإلى تجاوزات قنصلها ووقاحته التي أدت إلى حادثة المروحة ومن ثمة فرضت فرنسا الحصار على الجزائر وطالبت بتعويضات لم يقبلها باشا الجزائر، وأخبره عن النصر الذي أحرزته سفنه لفك الحصار وطلب منه إمداده بالجنود المتطوعين من أزمير والمناطق الأخرى لتغطية النقص الذي تعاني منه الإيالة<sup>2</sup>.

وبعد معاهدة أدرنة 1829م وجه الباب العالي اهتمامه بالمسألة الجزائرية وحاول إنهاء النزاع القائم بين فرنسا والجزائر عن طريق المفاوضات والطرق السلمية، فأرسل وكيل الجزائر المفتي "خليل أفندي" إلى الجزائر التي وصلها في أوائل شهر ديسمبر من نفس السنة لتقريب وجهات النظر بين البلدين وبالتعاون مع القنصل الانجليزي ولكنه فشل بعد أن رفض الداوي حسين تقديم أية تنازلات لصالح الفرنسيين، وامتناع الجانب الفرنسي عن المصالحة مع الجزائر ما لم ينفذ الداوي حسين شروط الترضية التي قدمت إليه<sup>3</sup>.

كانت الحكومة الفرنسية مصرة على إلغاء الأنظمة الحاكمة بإيالات المغرب وترفض الصلح مع الجزائر جملة وتفصيلا، ومن أجل ذلك تقدم سفيرها بإسطنبول بمذكرة حول مشروع محمد علي للسيطرة على الإيالات المغربية الذي سبقت الإشارة إليه. أما رئيس الكتاب "بترف أفندي" فقد اقترح إرسال مفاوض عثماني هو "طاهر باشا" مع مفوض من السفارة الفرنسية بإسطنبول للجزائر لإجراء محادثات مع الداوي حسين لحل القضية سلميا، غير أن "جيميو" السفير الفرنسي رفض إرسال مفاوض فرنسي من سفارتها للجزائر وأصر على إرسال الحملة المصرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>الموافق لـ 17 ديسمبر 1827 م

<sup>2</sup> E. Kuran, La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand Visir d'Empire Ottoman, in R.A., Vol. N°96, Ann. 1952, éd. A. Jourdan, pp.189-194

<sup>3</sup> خليفة حماش، العلاقات بين الإيالة الجزائرية والباب العالي...، المرجع السابق، ص-ص. 227-226  
<sup>4</sup> أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي، ترجمة، عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية،

1970، ص-ص. 51-46

ومهما يكن من أمر فإن رئيس الكتاب الجديد "حميد باي" قد أصر على إرسال "طاهر باشا" إلى الجزائر وطلب من السفير الفرنسي تزويده برسالة إلى قائد الحصار يسمح له بدخول مدينة الجزائر. وفعلا أبحر طاهر باشا في 16 أبريل 1830م باتجاه مدينة الجزائر وهو يحمل معه رسالة إلى قائد الحصار ومعه أمرا من السلطان فيه تعليمات مفصلة عن مهمته لتسوية الخلاف<sup>1</sup>.

ويبدو أن "طاهر باشا" كان متأكدا أن قائد الميناء الفرنسي لن يسمح له بدخول الجزائر، ولذلك فضل أن يدخل الجزائر عبر تونس برا، وحسب - ابن أبي ضياف - أنه قد وصل إلى ميناء حلق الوادي في ذي القعدة 1245هـ (أفريل - ماي 1830م). ولكنه تفاجأ من تصرف باي تونس معه؛ فقد منعه من النزول من سفينته بحجج واهية لم تقنعه، فأبحر إلى الجزائر وحاول مع قائد الحصار دخولها ولكنه لم ينجح<sup>2</sup>.

هكذا فشل "طاهر باشا" في مهمته أمام تصلب الحكومة الفرنسية التي استطاعت أن تسد كل الطرق الممكنة لحل النزاع سلميا، لأنها في ذلك الوقت كانت قد أخذت كل القرارات واستكملت كل تحضيرات الحملة، وعلى وشك الانطلاق من ميناء طولون باتجاه الجزائر. وقد التقى معها "طاهر باشا" في سفره راجعا إلى طولون بعد أن منع من دخول الجزائر، وهناك حاول التفاوض مع الوزير الخارجية الفرنسي لكن بدون جدوى، فالأخبار التي وصلتهم عن انتصار الفرنسيين على الجزائريين جعلتهم يرفضون استقباله<sup>3</sup>. فعاد إلى اسطنبول بعد الاحتلال ولم ينجح في مهمته.

والخلاصة حول موقف الدولة العثمانية من احتلال الجزائر أنها لم تنجح في مهمتها السلمية لإنقاذ الجزائر من الاحتلال الفرنسي، وذلك للضعف العسكري الكبير الذي أضحت عليه نتيجة لحروبها الطويلة ضد الدول الأوروبية والتي أفقدتها مساحات واسعة من أراضيها وقضت على قدراتها الدفاعية، بالإضافة إلى ابتعادها عن التطورات الحضارية الحاصلة في أوروبا، مما جعلها دولة ضعيفة عاجزة عن التدخل في المسألة بصفة إيجابية

<sup>1</sup> أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص. 54

<sup>2</sup> وقد منع حسين باي طاهر باشا مروره إلى الجزائر برا خوفا من التحذيرات والتهديدات الفرنسية، ينظر: ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص-ص. 165-167.

<sup>3</sup> أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص. 57، 58

لمصلحتها ولمصلحة الجزائر، فلم تفكر في استعمال القوة لأنها لم تكن تمتلكها، فلجأت إلى الطرق الدبلوماسية وفشلت فيها أيضا أمام القوة الاستعمارية الفرنسية الصاعدة.

### 3-4- موقف تونس والمغرب:

كان باي تونس من المؤيدين للاحتلال نظرا للخلافات التي كانت بين الإيالتين منذ زمن طويل كما سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>1</sup>، وقد استغلتها فرنسا لمصلحتها، ففي مشروع بوتان لاحتلال الجزائر طالب بأن يوجه باي تونس حملته على الشرق الجزائري لمساعدة فرنسا في السيطرة على الجزائر في أسرع وقت<sup>2</sup>. وقبيل الحملة بعث رئيس الحكومة بولينياك رسالة القنصل الفرنسي بتونس يخبره فيها عن قرب خروج الحملة من طولون ضد داي الجزائر، وطلب منه أن يحذر باي تونس وأن يلتزم بالحياد التام ولا يقدم هو أو الرعايا التونسيين أية مساعدة للجزائر، وإلا فإنهم سيواجهون نفس المصير، وأن يبين لحاكم تونس أن مصلحته في سقوط داي الجزائر الذي عانى كثيرا من تسلطه عليه وطمانه بعدم وجود أي خطر فرنسي يهدد سلامة بلاده<sup>3</sup>.

وفي رسالة أخرى بعثها القنصل الفرنسي السيد "ماتيو دي ليسبيس" إلى الوزير الأكبر السيد "شاكير" أطلعه أن الهدف الحقيقي من محاربة الجزائر هو ليس الانتقام فقط من الداوي بل القضاء القرصنة وأسر المسحيين واسترجاع امتيازات صيد المرجان<sup>4</sup>. وهي الأسباب التي أعلنتها فرنسا للرأي العام قبل الحملة على الجزائر.

أما موقف سلطان المغرب المولى عبد الرحمن (1822-1835)، فيذهب شارل أندري جوليان أن المولى عبد الرحمن سار على سياسة عمه (المولى سليمان) في إثارة الفتن وحبك المؤامرات ضد باشا الجزائر مع باي تونس، إذ كان يرأسه عن طريق المتسولين كما أنه لم يتردد في مد باريس بمعلومات عن الوضع الداخلي للجزائر، وعلى إثر احتلال مدينة الجزائر أظهر هو وحسين باشا باي تونس شماتة لما حل بالإيالة، لذلك تظاهر كلا

<sup>1</sup> لمزيد من التفاصيل حول العلاقات الجزائرية التونسية قبل الاحتلال الفرنسي ينظر، الفصل السادس

<sup>2</sup> Gabriel ESQUER, Reconnaissance..., Op.cit., p. 29

<sup>3</sup> أ.و.ت. العلية، 223، الملف، 384، مكرر، الوثيقة رقم، 1، وهي وهي نسخة ثانية ( Duplicata ) لرسالة من دو بولينياك رئيس الحكومة الفرنسية إلى القنصل الفرنسي بتونس، في 13 أبريل 1830 الموافق ل 19 شوال 1245هـ.

<sup>4</sup> أ.و.ت. العلية، 223، الملف، 384 مكرر، الوثيقة رقم 2 وهي رسالة مترجمة عن النص الأصلي بالفرنسية المفقود (د.

منهما بالحياد الكامل<sup>1</sup>. وأما الشعوب في تونس والمغرب فكانت على عكس الحكام، فقد كتب القنصل الفرنسي بالمغرب عن أهل المغرب يقول: « إن عيون المغرب برمته مصوبة نحو الحملة العسكرية على مدينة الجزائر وكان لوقع سقوط المدينة الأثر البالغ في نفوس المغاربة» ورفض الرأي العام اعتبار هزيمة الأتراك أمراً نهائياً وبقي يأمل في تدخل الأسطول الانجليزي أو استعادة مدينة الجزائر من طرف جيش يجنده رئيس الزاوية التيجانية<sup>2</sup>. ويضيف "بيشو" (Péchet)، أن خبر احتلال مدينة الجزائر استقبله سلطان المغرب بكثير من الرضا والارتياح وتمنى بعد سقوط الجار العدو إلحاق مقاطعة الغرب بملكه ولكن للأسف لم يتحقق حلمه<sup>3</sup>.

إلا أن الوثائق التي تم نشرها حول تاريخ الجزائر بالمغرب والمحفوظة بالمكتبة الوطنية والخزانة الحسينية بالرباط، تظهر عكس ما ذكره شارل "أندري جوليان" و"بيشو"، وتبين أنه لم يكن هناك فرق بين موقف سلطان المغرب المولى عبد الرحمن وشعبه، فكلاهما قد أظهر تأثره العميق واستيائه الشديد للاحتلال الفرنسي للجزائر. وحسب الرسائل التي كان المولى عبد الرحمن يرسلها إلى عامله بتطوان فإنها تبين أن المولى عبد الرحمن قد أبدى تضامنا وقدم مساعدات كثيرة للجزائريين منذ الحصار وتآلم لسقوط دولتهم. وكمثال على تعاونه أثناء الحصار مع الجزائريين؛ حين اتصلت به السلطات الفرنسية وحذرت من السماح لرياس البحر الجزائريين من بيع غنائمهم بمدينة تطوان لم يمثل لأوامرها وكتب لعامله هناك وأمره أن يقدم لهم كل ما يحتاجونه وأن يساعدهم سرا في بيع غنائمهم<sup>4</sup>.

وبعد أن وصله الخبر بسقوط مدينة الجزائر كتب رسالة إلى عامله بتطوان عبر فيها عن استيائه الكبير لما حدث للجزائر واعتبرها مصيبة عظيمة حلت بالمسلمين، وكتب يقول: « وصلنا كتابك ... على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين، وأقذت عيون أهل التقوى والدين، من استيلاء عدو الدين الفرنسيص على ثغر الجزائر واحتوائه على ما

<sup>1</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م،

تعريب، محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1978م، ص.385

<sup>2</sup> Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), éd, Casbah, Alger, 2004, p.59

<sup>3</sup> L. Péchet, Op.cit. pp. 203-205

<sup>4</sup> خليفة إبراهيم حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب، المرجع السابق، ص.48



وجد فيها من الأموال والذخائر... إنَّ الله وإنَّ إليه راجعون اللهم آجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى، واجعل رد هذا الثغر لهم قضاء سابقا وحكما.<sup>1</sup>

لم يكتف المولى عبد الرحمن بالدعاء بالنصر للجزائريين بل أحسن استقبال عدة أفواج من المهاجرين وأكرمهم. فعندما وصلن إلى تطوان سفينتين تحملان المهاجرين الجزائريين في بداية سبتمبر 1830م، أوصى السلطان عامله هناك بحسن استقبالهم، كما وصلت أعداد أخرى إلى المدن الغربية بالمغرب في بداية شهر نوفمبر من نفس السنة وكانوا من الجنود المختصين في سلاح المدفعية وبحارة وتجار وأهل الحرف فاقترح عليهم السلطان العمل في نفس مجال تخصصهم.<sup>2</sup>

وعكس ما حدث في المغرب، لما وصل خبر التحضيرات للحملة الفرنسية إلى تونس ثار أهلها وطالبوا من حسين باي الجهاد ضد الفرنسيين ولكنه قاوم كل الضغوطات، ومباشرة بعد سقوط مدينة الجزائر سارع إلى تقديم التهاني إلى دوبرمون<sup>3</sup>. ويبدو أن الشعور التونسي المعادي لسلطات الجزائر ظل قائما وظهر أخيرا في رفض باي تونس تقديم المساعدة لمنع الحملة الفرنسية على الجزائر، فلم تتعاون السلطات التونسية مع القوات الفرنسية ولكنها منعت المبعوث العثماني من النزول إلى البر وكانت النتيجة العملية هي ابتلاع فرنسا للإيالتين قبل نهاية القرن التاسع عشر.

<sup>1</sup> خليفة إبراهيم حماش، المرجع نفسه، ص.50

<sup>2</sup> ينظر، خليفة إبراهيم حماش، المرجع نفسه، ص.51-52

<sup>3</sup> L.PECHOT, Op.cit., p.205

الختامة

## الخاتمة:

من بين النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال دراستنا لموضوع: "أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1830م/1179-1245-1246هـ) - الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجاً-":

أولاً: في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا خلصنا إلى عدة نتائج منها:

### ■ على المستوى السياسي:

1- عرفت البلاد في عهده الأمن والاستقرار، واستطاعت أن تسترجع هيبتها الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط، بعد أن تمكن الداوي محمد بن عثمان باشا من ردّ الحملات الأوروبية المتكررة على مدينة الجزائر، بفضل كفاءته العسكرية والتضامن الاجتماعي لكل فئات المجتمع.

2- سعى هذا الداوي لتعزيز سيادة البلاد؛ إذ أنه شجع باي الغرب محمد الكبير معنوياً وعسكرياً، إلى أن تمكن من تحرير وهران والمرسى الكبير واستكملت البلاد سيادتها بعدما ظلا ما يزيد عن قرنين من الزمان تحت الاحتلال الإسباني المسيحي وحافظت الجزائر بفضلها على مكتسباتها الاستراتيجية.

3- استطاعت البلاد كذلك في ظل حكم محمد بن عثمان باشا والباي محمد الكبير وصالح باي قسنطينة، أن تواجه التحديات الداخلية والخارجية، ذلك أن هذه الشخصيات الثلاثة كانت على جانب كبير من الحنكة السياسية، حيث تمكنوا من بسط الأمن وتوسيع السلطة المحلية إلى الصحراء.

4- استغلّت السلطة الحاكمة على المستوى المركزي والمحلي الأمن الذي عرفته البلاد في تفعيل المعالم الحضارية (أبراج، مساجد، مدارس، جسور، أحياء، أسواق...)، وتنشيط الحركة الثقافية وبعثها من جديد من خلال تشييد المؤسسات الدينية والتعليمية فظهرت أسماء من الأدباء والعلماء وخاصة في بايلك الغرب الجزائري.

5- اختفت تلك المشاريع باختفاء الشخصيات الحاكمة، ذلك لأنها كانت تعتمد على جهود فردية نابعة من ثقافتها الخاصة وليست على سياسة مرسومة ومتواصلة.

■ على المستوى الاقتصادي:

- 1- كان الاقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني يرتكز أساسا على الزراعة وتربية المواشي ويعتمد على الأمطار التي تسقط خلال فصل الشتاء، بالرغم من أن المناخ السائد في الجزائر كان وما زال يعاني من تقلبات مناخية قاسية يسود فيها القحط أحيانا لسنتين أو ثلاث سنوات متوالية؛ تترك آثارها واضحة على التراجع في الإنتاج الفلاحي ونقص الغذاء.
- 2- إدراك محمد بن عثمان باشا لأهمية القطاع الفلاحي والمداخل الكبيرة التي يمكن أن يوفرها لخزينة الولاية، جعله يبني سياسته الاقتصادية على تشجيع الاستثمار في هذا القطاع كبديل لغنائم الجهاد البحري التي تراجعت كثيرا في عهده.
- 3- ونتيجة لتشجيع القطاع الفلاحي صار الإنتاج يحقق الاكتفاء الذاتي الذي نطمح إليه اليوم، ويصدر الفائض الى الخارج بكميات معتبرة وخاصة من الحبوب الاصواف، الجلود والشمع.
- 4- عرفت الصادرات خاصة من الحبوب (قمح، شعير، فول) نموا كبيرا في عهدي صالح باي والباي محمد الكبير، نتيجة وفرة الإنتاج واعتدال المناخ حملتها مئات السفن الأوربية من موانئ الشرق، وميناء أرزيو إلى ميناء مرسيليا وسردينيا وميروقة.
- 5- انعكست سياسة تشجيع تصدير الإنتاج الفلاحي، ونمو الصادرات من الحبوب وخاصة القمح على زيادة الثروة لدى كبار التجار وهم غالبا أنفسهم كبار المسؤولين، وكذلك لدى الفلاحين الذين أصبحوا يوسعون في زراعة القمح لزيادة الطلب عليه، وارتفاع أسعاره خاصة القمح الصلب الذي يعتبر من أجود الأنواع في العالم في ذلك الوقت.
- 6- أمام غياب الوعي بأهمية المرجان في الاقتصاد الجزائري الذي يعتبر كنزا بحريا جعل سلطات الجزائر لا تستغله في شيء سواء في استخراجها أو صقلها ولا في تصديره، ذلك لأنه كان محتكرا من طرف الشركات الفرنسية المتعاقبة على امتياز "الباستيون" بالشرق الجزائري. وكل ما كانت تستفيده هو إتاحة تدفق إليها كل شهرين قمرين وصندوقين من المرجان.
- 7- بفضل تنشيط الفلاحة وتنظيم الحرف وتشجيع التجارة وتخفيض الضرائب ساد في البلاد رخاء اقتصادي كبير وطويل تجلت مظاهره في انخفاض الأسعار، والاستقرار في

قيمة العملة المحلية، ووفرة الثروة بين أيدي الناس. فكان الاستقرار الاقتصادي يرافقه الاستقرار السياسي طوال مدة حكم محمد بن عثمان باشا.

8- ساهم الأمن الداخلي والوفرة الاقتصادية في تطوير التبادل التجاري الداخلي في الأسواق والمعارض السنوية. كما زاد في نشاط تجارة القوافل مع البلدان المجاورة وبلاد السودان.

9- من خلال هذا البحث تمكنا من تعريف عدة مصطلحات إدارية ومالية وردت في المصادر والوثائق باللغة التركية منها، مصطلح "يياشي"، أو "يياشي"، وهي ضريبة مالية شهرية. يدفعها باي الشرق والغرب كل ستة أشهر وتحسب ابتداء من جمادى الأولى إلى شوال وتسمى "يياشي"، أو تدفع كل ثمانية أشهر وتحسب من ذي القعدة إلى جمادى الثانية وتسمى "يياشي"، لكن مقدارها غير متفق عليه في المصادر التي اطلعنا عليها، كما تمكنا من تحديد وحدة قياس الشمع التي ذكرت في الوثائق الفرنسية باسم "Couffer" عن طريق المقارنة والعمليات الحسابية استنتجنا إنها تساوي 173 قنطارا.

■ **ثانياً: من أهم النتائج التي خلصنا إليها في عهد الداوي حسين باشا هي:**

■ **على المستوى السياسي:**

1- إثر رحيل محمد بن عثمان باشا خلفه دايات ضعاف تنقصهم الكفاءة في إدارة البلاد اهتموا بجمع الثروات وأهملوا مصالح البلاد وفسحوا المجال واسعا أمام اليهود فسيطروا على السياسة والاقتصاد وأصبحوا هم سادة الجزائر.

2- نتيجة لسيطرة اليهود على شؤون الحكم في البلاد وعدم مبالاة الدايات بمصالح السكان تدخلت الإنكشارية وقضت على النظام الحاكم. ومنذ ذلك الحين باتت تنصب من تشاء حاكما على الجزائر وتعزله متى أرادت عن طريق الانقلابات الدموية المستمرة، فراح ضحيتها أغلبهم وسادت الفوضى والاضطرابات لأكثر من عشر سنوات، ولم تهدأ الأوضاع إلا بعد القضاء على العناصر المتمردة في الإنكشارية ووصول حسين باشا إلى الحكم عام 1818م.

3- وعلى المستوى المحلي كانت حكومة البايات في مقاطعاتهم صورة مصغرة لحكومة الدايات على المستوى المركزي، من حيث عدم الاستقرار في الحكم وكثرة الاغتيالات

والإقالات والمصادرات لأموال البايات وكبار المسؤولين، وهذه الفوضى شجعت الطرق الصوفية بمساعدة الدول الأجنبية على قيادة أكبر الثورات في الشرق والغرب مثل ثورة الدرقاوي وأبو كابوس في الغرب الجزائري، وقد واجهها العثمانيون بكل قوة مما تسبب لهم في خسائر مادية وبشرية كبيرة أثرت على قدراتها الدفاعية أمام قوات الاحتلال الفرنسي.

4- وقد شجع الضعف العام الذي كانت تمر به البلاد إيالة تونس على شن عدة حملات عسكرية قصد احتلال شرق الجزائر، وعلى إثر مؤتمر فيينا 1815م توحدت الدول الأوروبية للقضاء على إيالة الجزائر وكان لفرنسا ذلك في عام 1830.

5- تولى حسين باشا الحكم في فترة حرجة كانت البلاد تعاني فيها من تفكك داخلي، وضعف عسكري وعجز مالي، وتكتل خارجي ضدها، فحاول جاهدا استرجاع الأمن والاستقرار مبتعدا عن العنف وسفك الدماء، وخارجيا تصدى لقرارات الدول الأوروبية الكبرى ورفضها جملة وتفصيلا، ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما أرغم على الاستسلام والرحيل من الجزائر.

6- كانت نية الاحتلال الفرنسي للجزائر مبيّنة كشفتها تصريحات كبار القادة العسكريين والوثائق والمشاريع العسكرية المتراكمة في وزارة الحربية منذ زمن طويل، وكانت الحكومة الفرنسية تنتظر الفرصة المناسبة لتطبيقها، وقد اتخذت من حادثة المروحة ذريعة لتطبيق الحصار وتنفيذ أطماعها في الجزائر.

7- أصاب الجزائر منذ بداية القرن التاسع عشر ضعفا عاما أسهمت فيه عوامل داخلية وخارجية بشكل متفاوت، أدى إلى تدهور الأوضاع العامة بالجزائر، ولم يحدث هذا التدهور بصفة فجائية بل حدث على مراحل وكانت نهايته القضاء على الحكم العثماني بالجزائر، ولا يمكن فهم هذا الضعف إلا في إطار فهم تاريخ العالم الإسلامي كله آنذاك، فقد كان ذلك التخلف مشتركا بين كل دول العالم الإسلامي، ولم تحاول الجزائر ولا غيرها من الدول الإسلامية مسايرة التطورات التي حدثت في أوروبا، والأخذ بأسباب الحضارة، واحتفظت بنظمها التقليدية العتيقة وكانت النتيجة أنها لما اصطدمت بالقوة الأوروبية الحديثة انهارت بسرعة.

■ على المستوى الاقتصادي:

1- غياب سياسة اقتصادية مبنية على استغلال ثروات البلاد لزيادة موارد الدولة، جعلها تواجه أزمة غذائية حادة في بداية القرن التاسع عشر تحولت إلى انتفاضة حاسمة قضت على النظام الحاكم، بالرغم من ارتفاع غنائم الجهاد البحري في تلك الفترة إلى مستويات خيالية. فكان للأزمة الاقتصادية انعكاس مباشر على الأحداث السياسية.

2- ظل التنافس اللاشريف بين الشخصيات التي تطمح للسلطة وكسب المال من الانكشارية وكبار المسؤولين يتحكم في الصراع بينها وفي ظهور الاضطرابات على مستوى القمة والقاعدة. كما أن الأزمات الاقتصادية كانت مبررا لكثير من الثورات الداخلية كثورة القبائل، وابن الأحرش ودرقاوة، والتي زادت بدورها من تدهور الوضع الاقتصادي للبلاد.

3- لم تستغل حكومة الداوي حسين باشا الإمكانيات الهائلة للقطاع الفلاحي، لزيادة مداخيل الخزينة بعد انقطاع الغنائم البحرية، كما لم تستثمر الكنوز والأموال المحفوظة بخزينة الدولة منذ ثلاثة قرون، لإنجاز استثمارات تنموية منتجة بل ظلت محفوظة إلى أن سلمت مفاتيحها إلى سلطة المحتل. وقد لجأت عوضا عن ذلك إلى فرض ضرائب إضافية على الأهالي، وقد كان لهذه السياسة الضريبية انعكاسات سلبية على الوضع العام للبلاد مما أدى إلى اندلاع انتفاضات كادت تقضي على السلطة العثمانية بالجزائر.

4- نتج عن نظام الاحتكار الذي مارسته الحكومة على تجارة بعض المواد كالصوف والشمع في نهاية العهد العثماني تدهور التجارة الخارجية وتراجع الزراعة لأن فوائد الاحتكار استفاد منها الوسطاء اليهود، الذين سيطروا على الاقتصاد الوطني خاصة عائلة بكري وبوشناق وحققوا لحسابهم أرباحا معتبرة، وخلقوا مشكلة الديون التي أدت إلى كارثة الاحتلال الفرنسي في سنة 1830م.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن هناك الكثير من الحقائق رصدتها لنا وكشفتها النصوص والوثائق حول حقيقة الوضع السياسي والاقتصادي لإيالة الجزائر، منذ بداية عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية نهاية حكم حسين باشا وبداية الاحتلال الفرنسي، تبين مدى مساهمة تلك الأوضاع مباشرة في الاضطرابات المحلية وتراجع قوة البلاد، كما أن تغيّر موازين القوى لصالح الغرب الأوربي وتكتله ضد إيالة الجزائر عجل بنهاية كيانها السياسي، وتبقى هناك حقائق أخرى يمكن تفصيلها من خلال بحوث أكاديمية مستقبلية.

الملاحق

والوثائق



١٢

السلطان مصطفى

١٢

فدوة الفرائد والمرابطين عمدة البهائم والمجاهدين المختصين بدعنا  
 الملك المعين داي او جافق اير القرب ملا مجر فوجه زيد حكر، التوقيع  
 الريع من تاي ايقال الواجل ايتيكي في علمه انه قد بلغنا وفات  
 باي البيلا راجلوف ج اير القرب كبح باقنا وارتحاله بنا والله تعالى لدار  
 النفا والخلال مع الباي بيلا وكنت اننا لكتعوب في المربور فوجه ثم خي نما  
~~المرحوم الملك محمد~~ في الخدمتين المصنوبين ووسية وراعتكنا ووجبي في المربور  
 يجب من كل وجه معنى اتممت فافتك لتقدم اللواخصه ما بناؤنا بانتخابات معاني  
 الجرايم والقضاة وراعة الاجارة والقبائل والكابر الايوان والعلماء والمعلمين  
 والصلحاء والائمة والخطباء وسائر النعمى والنعيم باستعوا ب راي واتفاق  
 فلما اطابته انما ونصبوك داي وتباي بكارهم وهكذا الاتوجه واحسان  
 باي القبا التما للفرق ~~من~~ ومراجل محرف هذا الرجال الكابر  
 في حفظ من دعناية علمكناك وقرية رافة سلطنة حضورها  
 فعنايه اليوم السابع عشر من ربيع الاول سنة الف ومائة وثمانين  
 وهي عواصف عاليه ملكنا وعمار ب بهية خمس واتصدر  
 امر بنا القبا وشوكته مفرونة موبهها ذر خرف باي بيلا راجل  
 القرب في التوجيه والعناية وشان الاعلاء  
 تعيين رفر ام صاحب القبا وشوكته مفرونة با صد ار هذا  
 العومان بجيل القدر موجه سابق الذكر باي بيلا راجل اير القرب  
 ود ايبها انت هو التفر من خطه ورية السلطنة وحماية وصيانة  
 فورا ورعية بانك وسائر ملاء هذا فندام الدولة العلية اذ وتشتبه  
 وتكميله فذ افذ راجل في سعي تاع هذا فخرس لغوا ارعية وسكان  
 الولاية وفطمان المملكة بزيادة خضاع الائمة والشعبية من جميعا  
 ورعيي اولادهم بكم اذ فة وغاية الخذر والمجاهدية عن كوني والتمسك  
 والتعدد وعلمنا فيه ونهضه جعلت علامتة الشراعية هذا  
 بعيتة اعتمادكم في رابع اليوم السابع عشر من ربيع الاول  
 سنة الف ومائة وثمانين

اسلاميون  
١٢

م.و.ج. مجموعة 3190 الملف 01، الوثيقة رقم 12: غير منشورة، وهي فرمان تولية من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد بن عثمان باشا بتاريخ 17 ربيع الأول 1180هـ/22 أوت 1766م

الملحق رقم (01) تابع:

إعادة كتابة الوثيقة :

السلطان مصطفى

قدوة الغزات(كذا) والمرابطين عمدة الكماة والمجاهدين المختص بمزيد عناية الملك المعين داي أوجاق جزاير الغرب حالا محمد خوجة زيد مجده التوقيع الرفيع من باي العالي الواجل(كذا) إليكم، يكن في علمكم أنه قد بلغنا وفات باي البيلاز بأوجاق جزاير الغرب على باشا وارتحاله بأمر الله تعالى لدار البقا (كذا) وانحلال حكم الباي بيلاز وكننت أنت للمتوفى المزبور(كذا) خوجة ثم خزنادار وبالخدمتين أظهرت فروسية وافتكا (كذا) ومجرب الطوال يحب من كل وجه حسن استحقاقك لتقديم اللوا (كذا) خصوصا بناؤه بانتخاب مفاتي (كذا) الجزاير (كذا) والقضاة وأغة (كذا) الأوجاق والضباط وأكابر الديوان والعلماء والصلحاء والأئمة (كذا) والخطباء وسائر الكبير والصغير بإستصواب (كذا) رأي واتفاق قلب إصابة إتمام نصبوك داي وباي بيلازهم وهكذا إلا توجيه وإحسان باي العلي التماس العرض ومن اجل محضر هذا الرجال الأكابر في حقك مزيد عناية علو مكانك وقرية رافة سلطنتي ظهورها هنا في اليوم السابع عشر من ربيع الأول سنة ألف ومائة وثمانين وهي عواطف عالية ما كنا وعوارف (كذا) بهية خسر وأننا صدر أمر نباننا العالي وشوكته مقرونة موجبها وتوضيف (كذا) باي بيلاز جزاير(كذا) الغرب الا التوجيه والعناية وشان الإعلام

تعيين بروز امر باب العالي وشوكته مقرونة بإصدار هذا الفرمان جليل القدر موجب سابق الذكر باي بيلاز جزاير(كذا) الغرب وداييها أنت هو المتصرف من ضبط وربط المملكة وحماية وصيانة قول ورعية بابك وسائر فرساني هذا خدام الدولة العلية أدو تسميته وتكميله تدل فدره وصرف سعي تام بعد نظرك لفؤاد الرعية وسكان الولاية وقطان المملكة بزيادة جناح الرافة و الشفعة من حمي ورعي أولادهم بكمال دقة وغاية الحذر والمجانبة عن طريق الظلم والتعدي وعلى ما فيه وبمضمونه جعلت علامتي الشريفة هذه بغية اعتمادكم تحرير في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وثمانين

إسلامبول

3190

14

السلفان مصطفى

١٤

امين الامراء الكرام كيين النبياء الفخام ذوالقدر والاحتياج صاحب العز والاحسان  
 المختص بمزيد عناينة الملكة الاعلى المتصرف ببايالة جناب الغريب صالحا لا محذور  
 دام افعالها التوفيق الرجوع من البياض العال الواصل اليك معلومك انت  
 امين الامراء الكرامتد وقد رك من كل وجه مستحق عنايتك ومقتنيته  
 عاطفة اللوايدك ومن اجلك على ما تقدم وبالا يالة المنزورة ~~مستحق~~ الا التوج  
~~مما~~ ما لا يفتد ويجب في عهد مزيد عناينة علوم مكانتك ومنزوية راجدة  
 سنية سلطنتك كنهو الموجد ~~هنا~~ هذا اليك بميليه المورخ باليوم الرابع  
 من شوال المكرم سنة الالف ومائة واحد وثمانون عواطف عليية ملوكتنا  
 وعوارب بدعية تخصنا واتقوا نفسا بعد صدور نكح باي العال او شتونه  
 مفرقة بين موجبه الايالة المنزورة الا ابقاء كسفر بافح على ما كان  
 تصحى بك باقم الكبار بهذا الرزاق نكح باي العال وشتورقه مفاربا  
 لا صد ارهذ الالمان جليل القدر ابقاوسمى ربا فجي على الكوي في المذكور باي  
 بيلا رجن اير الغريب انت المتصرف من صبيك وربك المملكة وحماينة  
 وحياية ~~في~~ رعية بايدك وسائر جومات هذا اعداه علوم مكانة ادو  
 تمثيية وتكميله بذال اعتذار وسعبي تاغ من بعد نكح كسفر  
 الرعية وسكان الولاية وفطان المملكة وعناينة الاحتياج من  
 وحيوا الكظم والتفاد وجمانيتك كرفه وعلى ما عيب جعلت علامت  
 الشريفة عناينة الاعتماده في مراية اليوم الرابع من شوال المكرم  
 حسنة احدى وثمانين ومائة والالف

اسلامسون  
المحرور

م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 14، غير منشورة، وهي فرمان من السلطان مصطفى الثالث إلى محمد بن عثمان باشا فرمان لإعادة التولية بتاريخ 4 شوال 1181 هـ (22 فيفري 1768م).

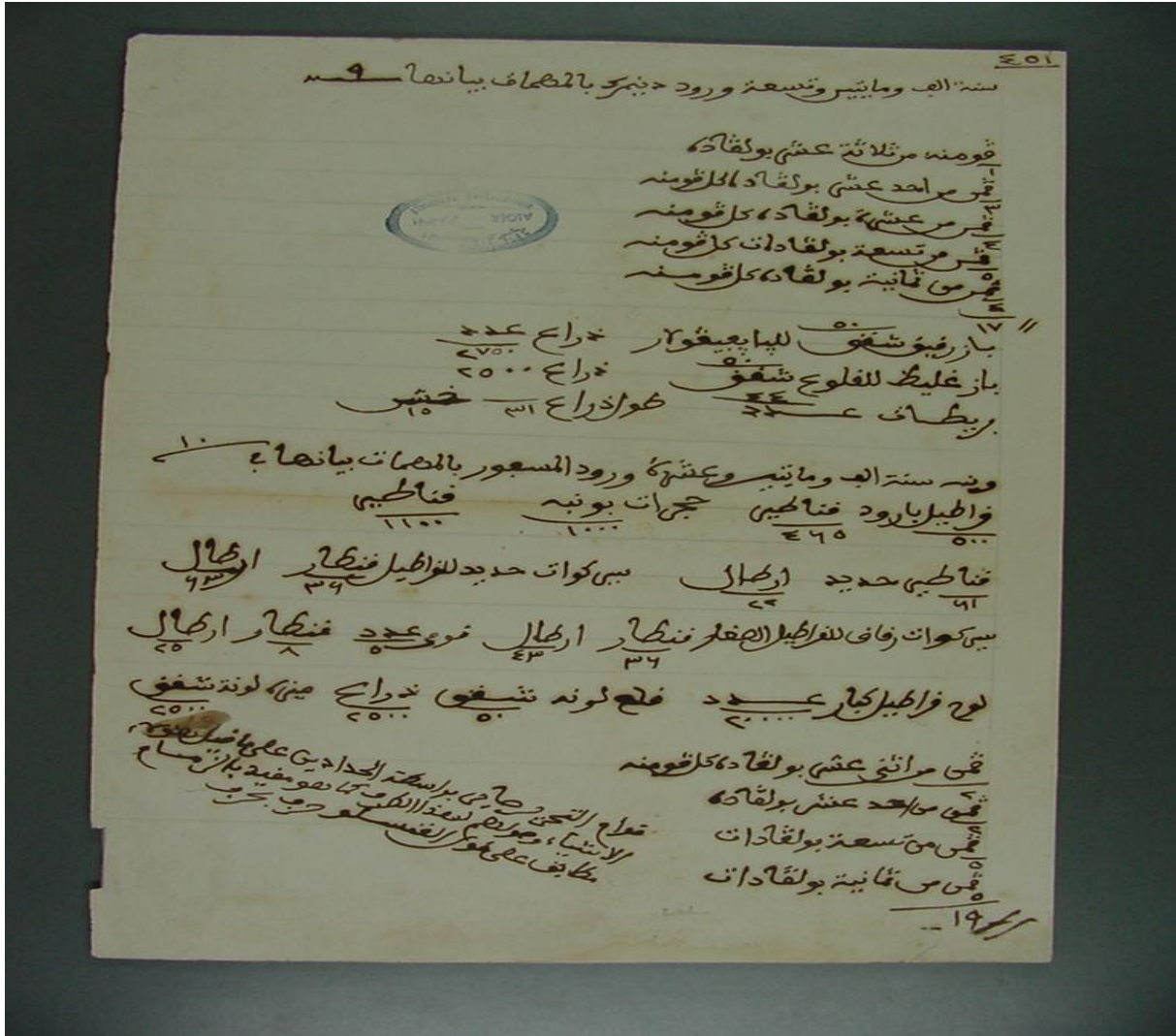
الملحق رقم (03)



- 1 - بجاية، 2 - بني بومسعود، 3 - بني ميمون، 4 - بني عمروس،
- 5 - آيت وطاس وعلي، 6 - بني محمد، 7 - بني حسين،
- 8 - بني سفلال، 9 - تايابور منصورية، 10 - بابور،
- 11 - بني فولكاي، 12 - بني اسماعيل، 13 - بني بويوسف،
- 14 - بني ملول، 15 - بني سليمان، 16 - بني تيزي،
- 17 - جرمونة، 18 - بني مرعة، 19 - أولاد صالح،
- 20 - ساحل قبلية، 21 - فرفور، 22 - أولاد نابت، 23 - عموشة،
- 24 - الدهمشة، 25 - سطيف، 26 - بني مروان،
- 27 - لعوانة، 28 - بني فوغال، 29 - فرجيوة، 30 - أولاد بوصلح
- 31 - بني قائد، 32 - بني أحمد، 33 - جيغل، 34 - بني عمران
- 35 - بني خطاب، 36 - بني عافر، 37 - زغاية، 38 - أولاد كياب
- 39 - أولاد بلعفو، 40 - بني سيار، 41 - بني معمر، 42 - بني يدر
- 43 - أولاد عسكر، 44 - زواغة، 45 - عزل، 46 - بني صالح
- 47 - بني حبيبي، 48 - بني عائشة، 49 - بني فتح،
- 50 - بني خطاب، 51 - ميله، 52 - الجناح، 53 - أولاد عواط،
- 54 - بني بلعيد، 55 - بني فرقان، 56 - مشاط،
- 57 - أولاد عيادون، 58 - بني تليلان، 60 - أولاد عطية،
- 61 - بني توفوت، 62 - أولاد الحاج، 63 - بني ولبان،
- 64 - عشائش، 65 - قسنطينة، 66 - بني حميدوش،
- 67 - بني اسحاق الكوفي، 68 - بني بونعيم،
- 70 - بني صالح، 71 - بني اسحاق، 72 - علمة معسلة،
- 73 - بني بشير، 74 - الثعابنة، 75 - مجاجة، 76 - أولاد نوار،
- 77 - معسلة، 78 - الزرامنة، 79 - سكيكدة.

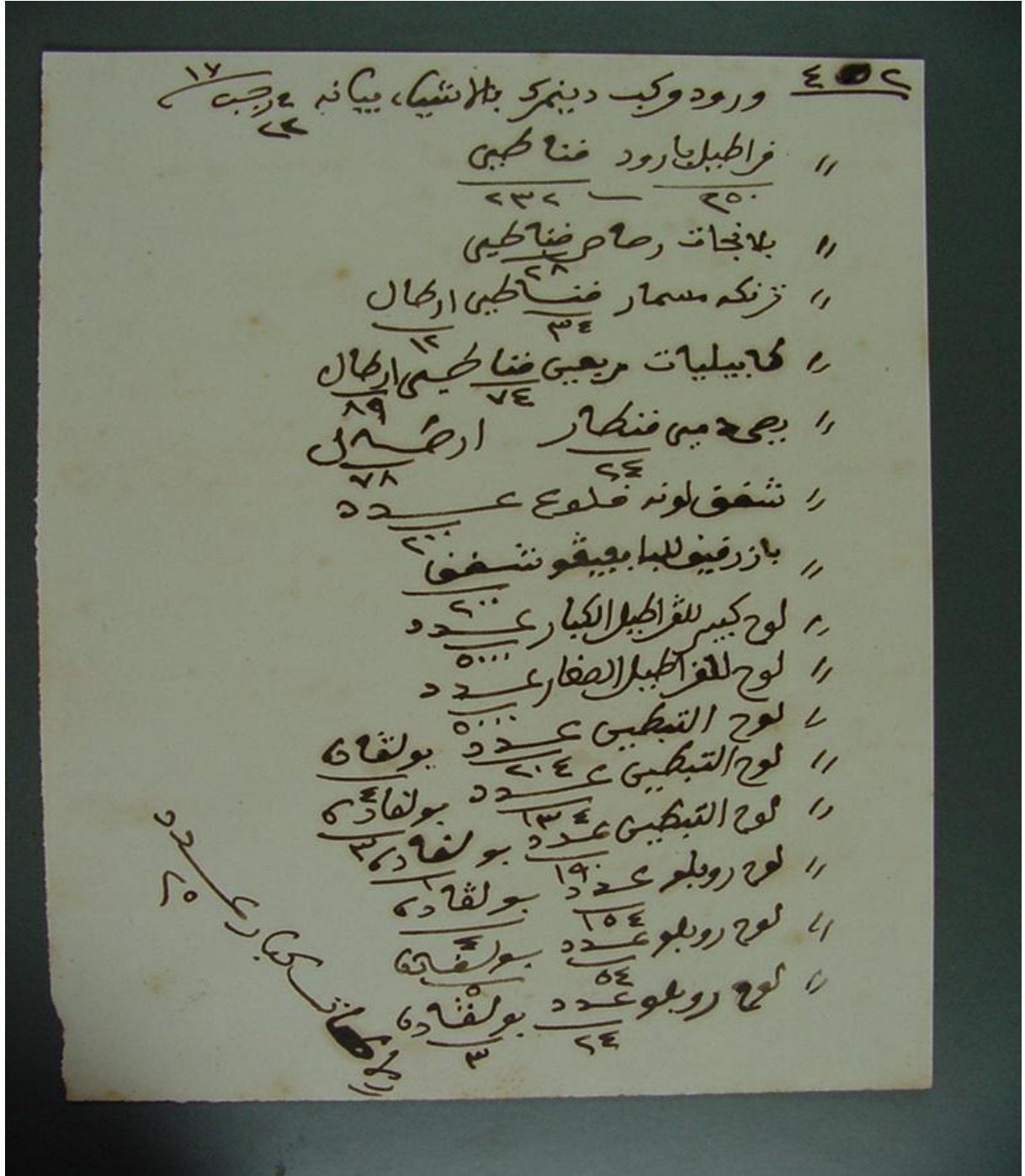
خريطة لقبائل الشرق الجزائري من وضع عبد الكريم بجاجة

الملحق رقم (4)



م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 451، غير منشورة، وهي بيان بالذخائر الحربية والمعدات ولوازم السفن قدمتها الدانمارك لإيالة الجزائر كضريبة في سنتي (1209-1210هـ - 1794-1795 / 1795-1796م). اشتملت على حبال المراسي (قومنة)، (باز رقيق لقلوع الشقف، باز غليظ لقلوع الشقف) وتعني قماش رقيق يستخدم في أشرعة السفن، والعبارة الثانية هي قماش غليظ لأشرعة السفن، وكانت الكمية المقدمة من النوع الأول حسب ما جاء في الوثيقة 2750 ذراعا، أما الثانية 2500 ذراعا، وفي السنة 1210هـ، 465 قنطار بارود، وألف 1000 حجرات البونبة، 41 قنطار حديد و 22 رطل، دوائر حديدية كتبت هكذا (سيركوات) حديدية 34 قنطارا و 36 أرطال.

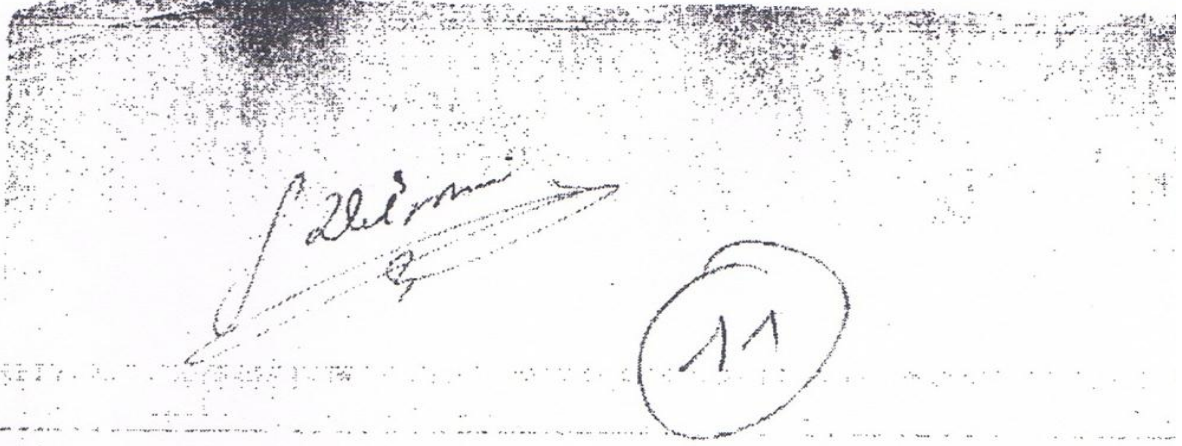
الملحق رقم (5)



م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة، رقم 452، وهي بيان بالذخائر والمعدات التي قدمتها الدانمارك كضريبة سنوية للجزائر في 22 رجب 1217هـ / 17 نوفمبر 1802م. ومنها الألواح مختلفة الأنواع المخصصة لإنشاء السفن و 250 قنطار من البارود و 82 قنطار من الرصاص، مسمار 43 قنطار و 12 رطل، حبال 74 قنطار و 89 رطل.

الملحق رقم (6)

الملحق رقم (7)



الحمد لله وحده  
صلی الله علی سیرنا ومولاتنا محمد وآله وسلم

أمر الله بسرد الهراية والتكميم وحزق برروع الحماية والتعظيم مقامات المعظم الإبراهيم الهام الانجع  
نبي الأياض الباهرة والمحاسن الطاهرة السير ابراهيم وكيل خرج باب الجهاد على الله شبابك ويسم الخيمات اسبابك  
وسلام الله الاتم ورضوانه الشامل العالم المطلق الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته ما نلت. آيات الله وكلماته  
وبعربا العار وعلى مسامحة القبيح وعقولك المنبجة هو اتنا ابراهيم الله وابناكم وكان لك وارفاكم فزوجهمنا  
للرار الكريمة والمكة العيمة **بياشي** ستة اشهر اولها جمادى الاول واخها شوال كالمعجزة الغريبة والكريمة  
المستقيمة ومع خزيمة الاعوار وما هو معروف اللهم سيء الاشهر المذكورة والاور جعل الله وروحه الجميع عليكم  
بالسلامة والعافية ونعم الله المتأيرة الضافية ولا تقصها الله علينا عافية وجعلها سنة معتادة ومع  
حوام ايام مولينا المنصور بالله تعلق السلطان الاعظم والخاف الاثم السير حسيني باشا بلغه الله مقصود  
وما يشاء بانه ما دام في الوجود بما لنا ولكم ولسايم السليم الا البرج والسعود وهذا ما وجب اعلامك  
به ولا زيارت رسوم حبيكم والسؤال عن كاية احوالكم المرضية ابفاها المولى علي وبومر ١٢٤٢م وكتب يوم  
الاحد الرابع عشر من ذى القعدة الحرام ١٢٤٢م بامر المعظم الاجل الوجيه الافضل السير حسيني باشا وفده الله  
وفروصلنا من عندكم بارك الله بكم زجا جنتنا من عمر الياسمين كثر الله خيركم وشكر سعيكم والسلام

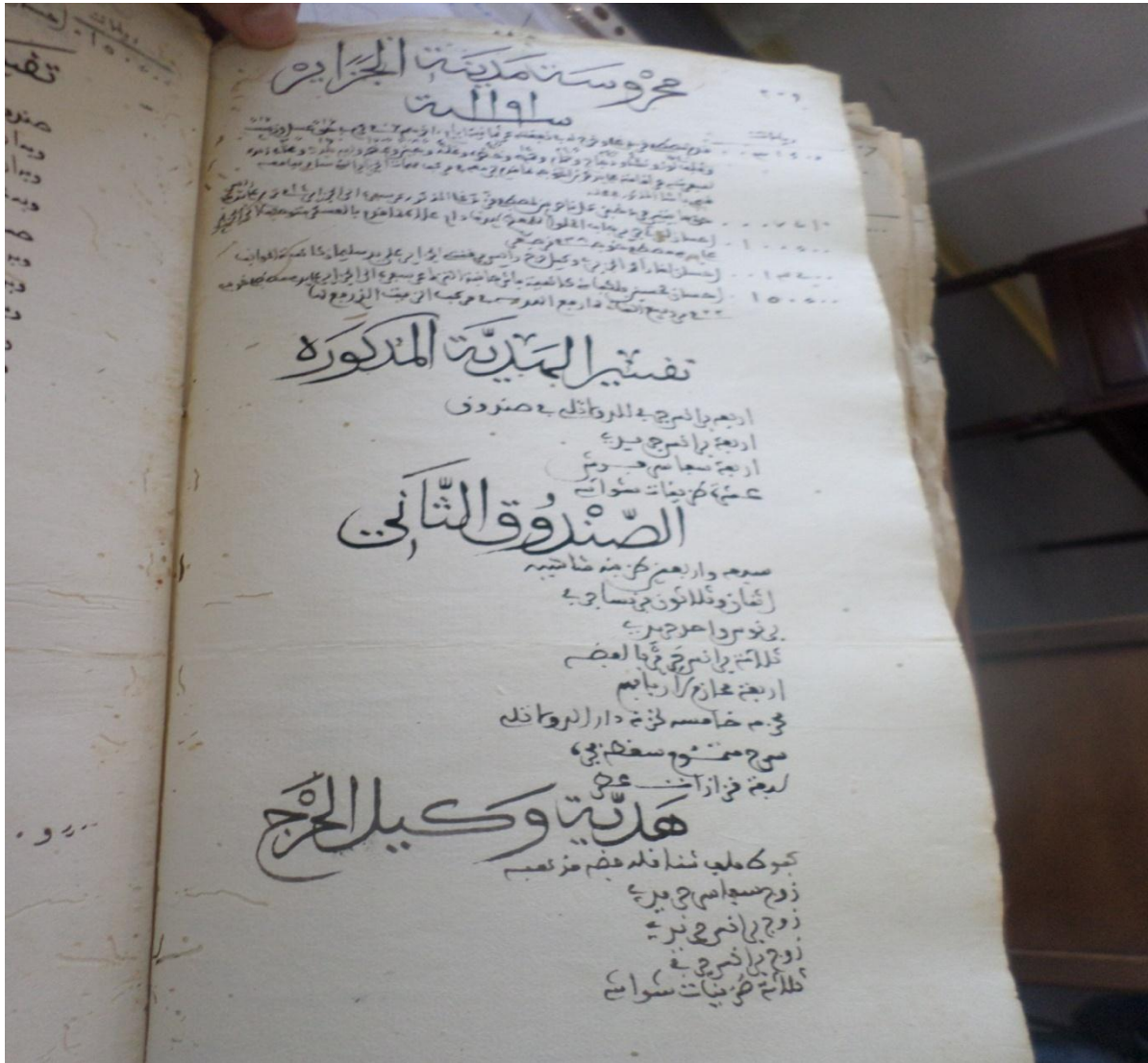
م.و.ج. المجموعة 3206، الملف الأول، رسالة رقم، 11، غير منشورة، وهي من حسن باي الغرب  
إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 14 ذي القعدة 1242هـ/8 جوان 1827م. يعلمه أنه أرسل إلى الدار  
الكريمة لزمة "بياشي" لمدة ستة أشهر ومعها عوائد ميناء المرسى الكبير لنفس الفترة.







الملحق رقم (10)



أ.و.ت. دفتر رقم، 193، محاسبة الوكلاء على الأملاك يغطي الفترة من 1187 -1202هـ/ 1773-1788م، سجل بهذا الدفتر الهدايا المقدمة لأوجاق الجزائر لسنة 1191هـ/ 1777م. ومن بينهم هدية وكيل الحرج وتتكون من ملابس فاخرة والشواشي التونسية.



تاريخ مجيء كفرة مخذول الصبنيول لمحروسة الجزائر الغرب في جمادى الأولى سنة 1189هـ

الباعث لتحرير حروفه ما يذكر في غرة جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة ألف ومائة وتسعة وثمانون بفصل ياي يعني 19 يونيو بموسم العنصر، سكان البر المقابل لنا كفرة مخذول جنس الصبنيول أكبر شرير أعداء الكفر قهره الله ودوه (كذا)، مباشرة مجيئه لطرف الجزائر بعد دابر خمسة أو ستة سنين سفر الباب العالي عواقبه الميمونة برا وبحرا عساكر متوافر نقلها متعسف ومتعسر بل متعصب ومتعذر ومباشرة مجيئه من زعمهم ضعف حال الموحدين بطرفنا دائما الاختلال في ساير النواحي والجهات من بغي العريان والسحاري وجهل القبائل ونفاقهم وشقاقهم بالخلاف وأكثر الرعية ضعفاء اليقين مع ما طرق سمعهم من السنة الجواسيس النواجيس تعبير وتقرير فلهذا اتحاد أفاقهم مبني من تعمير دونمة عظيمة داقمقطلونية وداقم من قادش وداقم قرطاجنة فبالجملة ما يتجاوز أربعمائة سفينة على ما تخميننا فستون سفينة من القراصين العظام وخمسة عشر براكننتية وعشرة جكتريات واثنى عشر مزقلارة وثمانية فراقط غلايط وخمسة لرمي البومبة يعني بومباردة، وما بقي من العدد مشحونين بألة الحرب والقتال والبارود والجنود العساكر والمأكولات والمشروبات ولوازم المتارس وغيره كله ما ذكر مشحون بالسفن الكبار والصغار وبعد يومين وليلتين من الخروج من محلهم المذكور وكانوا في أعظم التفاخم والتجاسر والتكابر بوقت دخولهم للجفون ومستقين(كذا) صفوفًا صفوفًا بروتهم كلهم لناحية وادي الحراش ولما بلغوا على رمية كورة المدفع سقطوا الجميع المخاطف بعظيم افتخار واعتزاز حملته مشاهدتنا بالعيان من (...)، ضوء هؤلاء الكفرة الخذلة يتحير العقل ويكثر الاستعجاب إلا رب الأرباب الواحد القهار المستعان استنادا إليه بالأدعية المأثورة اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم، ومقتضى النص الشريف "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"، قد تمسكنا بوعده الجميل نسأله جبر الخواطر الموحدين في الوقت والحين بالوقف الميمون الوالي محمد باشا أمنه الله تعالى مما يتحاشى من شعار شجاعته ومعيار عدالته وميزان ديانته وفطانتته مظهر العلامات المذكورات معتصما بالله من بيده الأكوان تشجيع خواطر جملة أصناف العساكر بأحسن تدبير متوكلا على السميع البصير والأمر للمولى النصير من داخل محروسته تعيين الأولاد من السبعة سنين لفوق ما عدى أصناف البلدية وأصناف الجنود المختلفة فوق الطاقة عزم واهتمام عظيم من حزم وعزم وتشمير الباع وتعمير القلاع والقلل والأبراج والطبايين وترتيبهم كل على

مرتبته تعيين وترتيب وتجريد عساكر المحلة ما يجاوز المائة خباء بالمقاتلين النواصر وتقسيم المحلة المذكورة وتوزيعها على من سيذكر قسم مع محلة المكرم الخرناجي السيد حسن أنجاه الله تعالى من المحن مضاف لتوابعه محط محلته بعين الربط، وقسم مع آغة العرب علي آغا ذي البال وحسن الأحوال مضاف لتوابعه محط محلته بخنيس وقسم مع خوجة الخيل حافظ القرآن ذو الفطنة والإذعان محلته وتوابعه محطها خارج باب الوادي وباي الشرق المكرم صالح باي فمحلته وتوابعه محطتها بالحراش وباي التيطري مصطفى باي محلته وتوابعه وبعض القبائل وفرسان سيباو محطهم بقرب تمنفوس وخليفة الغرب صحبته أربعة آلاف فارس من الدواير محطتهم بقرب محلة الخرناجي وباي الغرب إبراهيم باي قريهم محطة فكل الجميع تعيين وترتيب صادر وكل واحد ممن ذكر بانفراده مترس على محلته بقدر الإمكان وجهه الإنسان من الليل والنهار يتبع ويشبون حرب العدو وساعة فساعة بالبارود والطرقات وبحمد الله تعالى صوت دوي الطرقات الإسلامية تحدي هناك سطر أو سطرين محذوفين

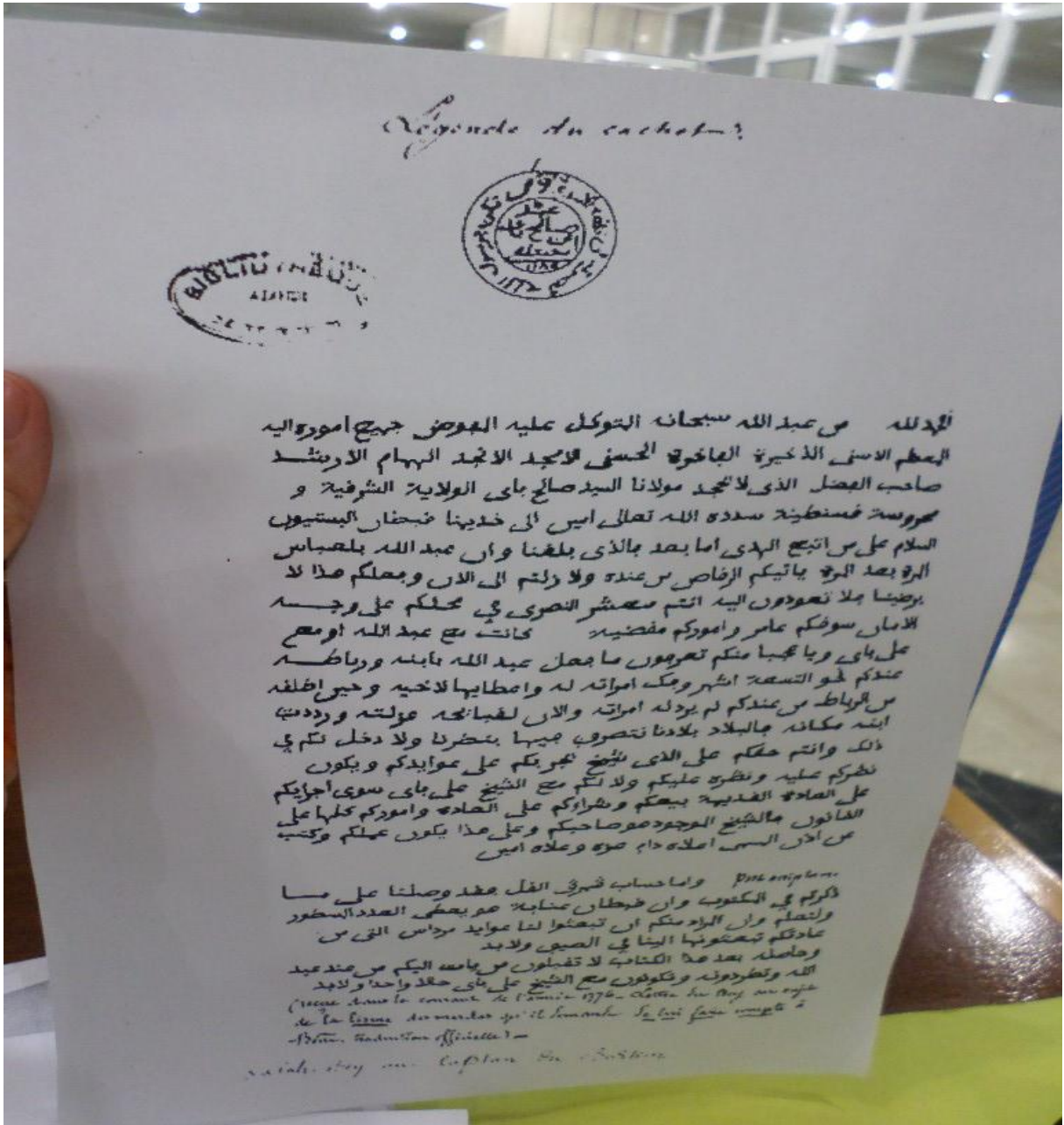
الردع العاصف ودايم بكل وقت من غير انقطاع والمعهود بعد السبعة أيام بيوم الخميس ثم من (محذوفة) يرمون على طبانة الحراش وخنيس بالتدافع والتحارب وبحمده تعالى هذا، الجمع حرر كبير ويرجع لمحلته الذي قام هنا مكسورا، وبعد يومين بيوم السبت وقت زياق الفجر مع الصباح قيام المراكب القرصانية، بعض من صغار مراكب دونانتمهم صبحوا ساحل خنيس يرمون على أهل الإسلام بالمدافع والقنبرة الطالعة في السماء تسمع لها دوي كالرعد وكثرة الصيلان والصنادل مبسطين بالشط فعلى رواية نزلوا أزيد من اعبة وعشرون ألف من الكفرة جميعهم الخروج وبعد إغلاق الصبح عساكر نواحي الإسلام والغزات (كذا) الظواهر المجاهدين ذوي الشجاعة والإذعان بصميم تثبيت بسرعة سير وعزم الشهادة وقصد الجنة بمتارسهم المحروسة هجوم الكفرة الخذلة على طريق المارتس كم من دفعة تحاملهم بقوة كاملة يقابلونهم تلونهم وزايد عساكر المسلمين لم يحسوا بخروج الكفرة وقد بلغ المنحوس المقهور إلى حد البناء الجديد لخزنة طبانة خنيس لحد الجنابن الوصول وعساكر الإسلام مترسوا أنفسهم بزوج الأجنة ومن بناء الأبراج يتقاتلون، ومن جانب الحراش باي الشرق وباي التيطري بسرعة حين اقبلوا صحبتهم نحو الخمسمائة من الإبل مثل المتارس وينصر الباري سيوف المسلمين وقاتل مقاومة المجاهدين للكفار الخاسرين في الوقت والحين انهزام وافتراق ومن ساعته المقتول من الكفرة رؤوسهم موضوعين صمعة بدار الكريمة وهذا (...)

والحرب والقتال الواقع باقيا إلى انقراض الزمان يمدحون به المداحون في كل مكان ومن كثرة البخار والدخان الطالع لعنان السماء وضجة صياح البارود مثل الردع الحاصل للكفرة المخذولين والملائكة

الحفظة أشعلوا فيهم النيران بعون الباري يوم وليلة الكفار أعقبهم الانكسار نحو محل خروجهم المزبور لشاطئ البحر قرب سفنهم وتارة تنحصر عليهم الطريق وقد كانت متارسهم ستين صفا بها آلات حربهم وطنبرهم ومبيتهم وبالليلة الأولى الذي انكسروا فيها وتفرق شملهم من شدة الرعب فجاء جملة آلات حربهم ومكاحلهم وستة عشر مدفع من النحاس ومهرزين وطوبلهم وسائر جملة الأسلحة وغيره، سلموا في الجميع هدية مسلمة مثال حمر (...) ودخلوا لصلانهم وصناديلهم وهربوا ويحمد الله تعالى كم من يوم بعد ذلك تبين وتعين علامات خسارة جملة هذه الدونانمة فأظهار وعزم وقوعها في نار جهنم. والمسلمين قد اشتغلوا بتلقيط الكورة الذي رمي بها على جنابنهم والذي وقعت بالبرية فساير عدد الذي لقطونه أزيد من ألف كورة وعلى قول مقالة الكفرة العدد مات منهم أزيد من ألف نصيب النيران وشهداء المسلمين مقدار مائتين ساروا عزما من لرأي الجنان برحمة الرحمن قاصدين الحور والغلمان بالبستان والحمد لله على هذا. اللهم شفعم فينا بجاه نبينا صلى الله عليه وسلم وانصرنا على القوم الكافرين آمين

بيان الصبنيول الكافر لما قدم لمحروسة الجزائر لرمي البومبة في شعبان سنة 1197هـ كفرة الصبنيول قدومهم لمحروسة الجزائر لرمي البومبة في شعبان الشريف تسعة وعشرين منه يوم الثلاثاء يوليو. بيوم العاشر من رمضان الشريف بيوم السبت ومن 29 يوليو اثنين وعشرون منه رفع سنة 1197هـ.

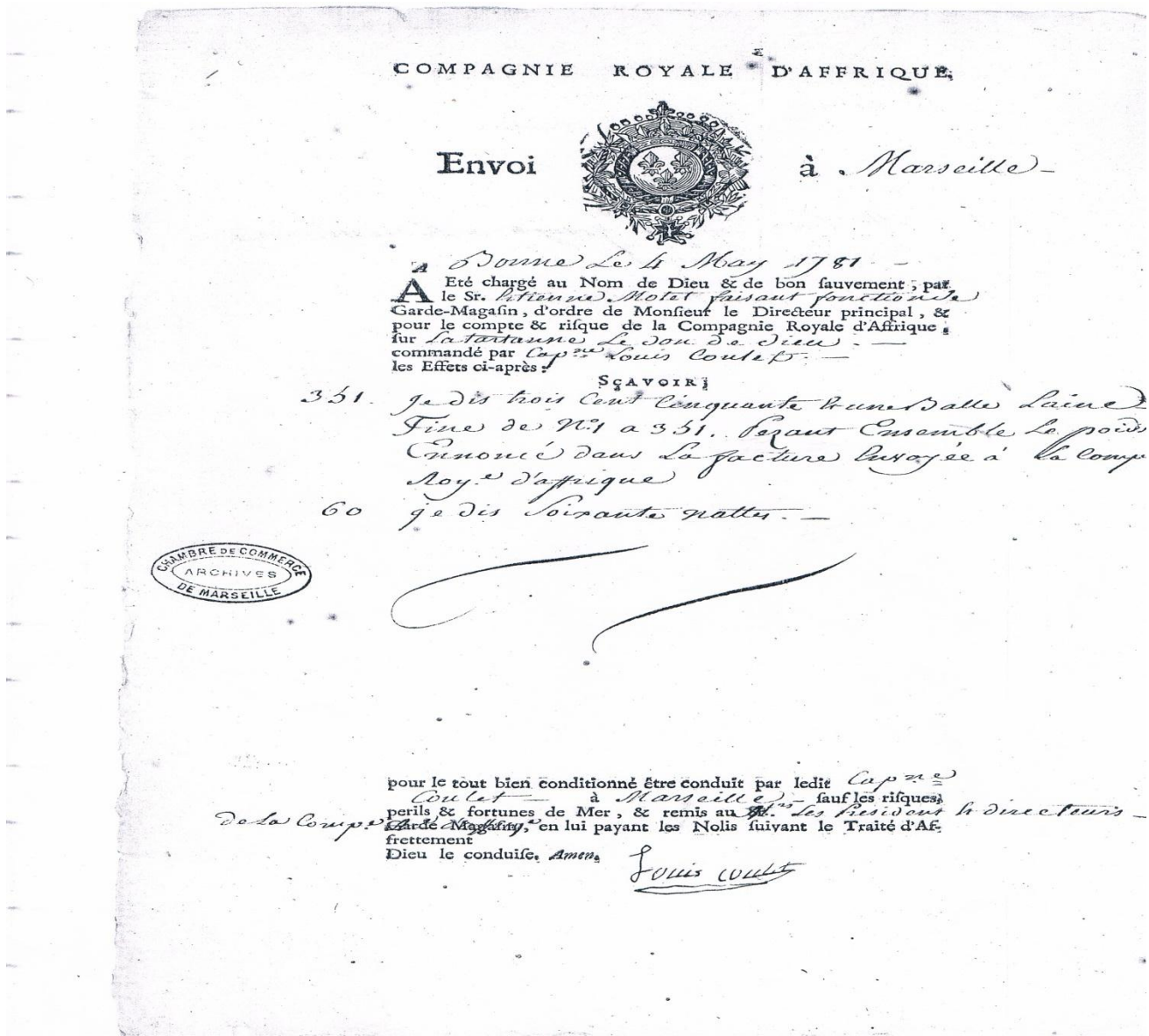
الملحق رقم (12)



م. و. ج. المجموعة 1641، الوثيقة رقم 58، وهي صورة عن رسالة من صالح باي (قسنطينة) إلى وكيل الباسطيون بالقالة كتبت خلال عام 1776م، غير منشورة. طلب فيها عدم تجاوز أوامره ومنعه من التعامل مع شيخ المعزول عبد الله بن العباس لأن الباي قد أقاله لأخطاءه قد ارتكبها وعين بدل منه علي باي. وذكر وكيل الباسطيون أنه لا يسمح أن يتدخل في تسيير مقاطعته.



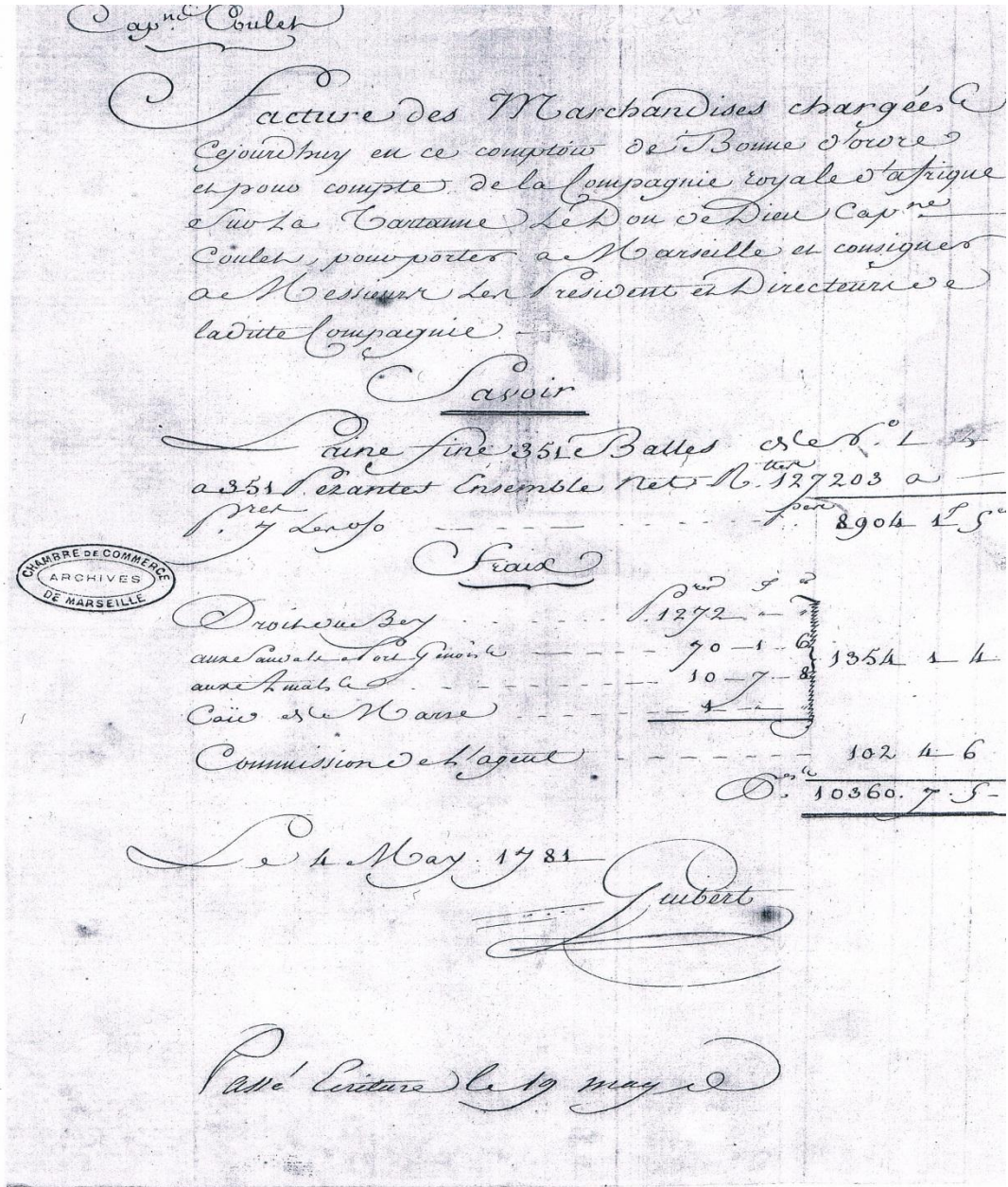
الملحق رقم (13) ، الصفحة الأولى



A.A.CM.Série LIII, article 1274, Compagnie royale d'Afrique, Bône, Factures et connaissements des marchandises expédiées à Marseille 1780-1781

إرسال بتاريخ 4 ماي 1781 لشحن حمولة من الصوف 351 بال و 60 زربية أرضية (حصائر) إلى مرسيليا من ميناء عنابة بأمر من (Litiene Motet) لصالح الشركة الملكية الإفريقية على متن الباخرة (Le Dou De Dieu)، تحت قيادة القبطان (Louis COLET).

الملحق رقم (13) الصفحة الثانية



A.A.CM.Série LIII, article 1274, Compagnie royale d'Afrique, Op.cit

فاتورة لنقل شحنة حمولة من الصوف الرقيق قدرها 351 بال من ميناء عنابة في تاريخ 4 ماي 1781،  
 بأمر ولصالح الشركة الملكية الإفريقية على متن الباخرة (Le Dou De Dieu)، تحت قيادة القبطان  
 (Louis COLET) إلى مرسيليا. مع بيان لتكاليف الشراء وتوقيع (Guibert) الوكيل بعنابة.

Resultat du Commerce de la Barbarie à Marseille  
Depuis 1768. jusques à 1775.  
8. années.

	<u>Eunis</u>	<u>Alger</u>	<u>Tripoly de Barbarie</u>
1768	Bâtimens	62.	1,827,039
69	"	58.	2,047,720.
1770	"	56.	1,478,195.
71	"	117.	2,965,048.
72	"	95.	2,844,305.
73	"	123.	4,130,736.
74	"	74.	2,287,840.
75	"	82.	1,971,081.
		<u>662.</u>	<u>19,652,264.</u>
	82. Bât <sup>es</sup> par année	2,456,533.	

A.C.CM. Série, I 17, Statistique Etats divers, 1768-1789, Résultat du commerce d'Alger à Marseille (1768-1775).

وثيقة مستخرجة من سجلات الشركة الملكية الإفريقية الخاصة بنتائج التجارة بين مدينة الجزائر ومرسيليا. وهي تبين أن عدد السفن السنوية الصادرة من ميناء مدينة الجزائر في الفترة من 1768-1775م، إلى مرسيليا كان يساوي ب 662 سفينة. ومتوسط عدد السفن في السنة يساوي 82 سفينة والتمن الإجمالي للبضائع يقدر ب: 652 264 فرنكا. ومتوسط سعر البضائع المصدرة في السنة هو 2 456 533 فرنكا.

الملحق رقم (14) تابع

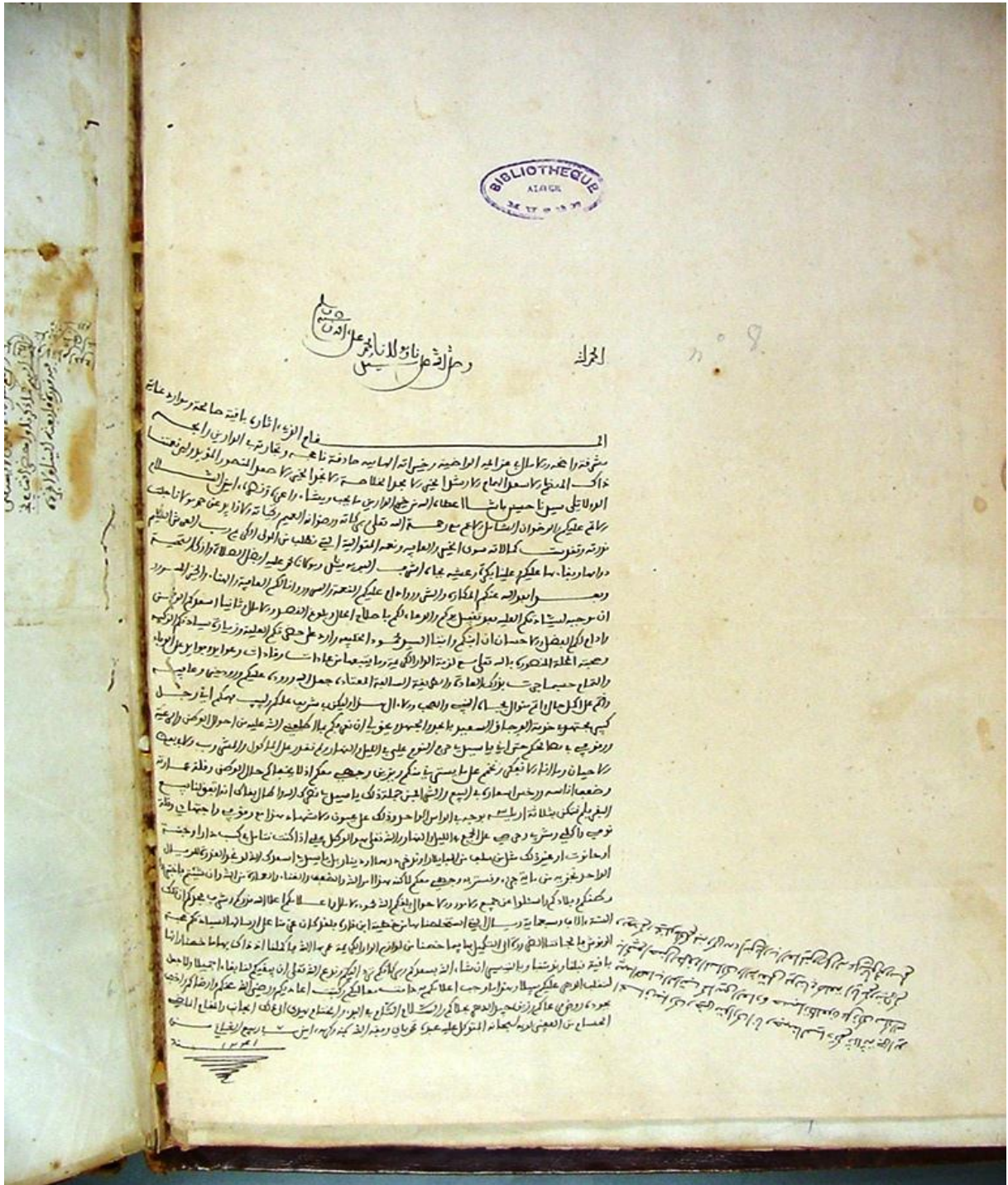
*Alger.*  
*12. années*

1776	Bâtimens	7.	371,584
77.	—	9.	314,475
78	—	7.	444,280
79	—	2.	388,808.
1780	—	4.	262,469
81	—	9.	321,130
82	—	13.	539,549
83	—	10.	485,182
84	—	12.	562,523
85	—	11.	763,949.
86	—	27.	1,222,330
1787	—	15.	501,871
<u>12 Années</u>		<u>126</u>	<u>6,269,250</u>
10. Bat <sup>e</sup>			522,437.

A.C.CM. Série, I 17, Statistique Etats divers, Op.Cit. Résultat du commerce d'Alger à Marseille (1776-1787).

وثيقة مستخرجة من سجلات الشركة الملكية الإفريقية الخاصة بنتائج التجارة بين مدينة الجزائر ومرسيليا، وهي توضح أن عدد السفن السنوية الصادرة من ميناء الجزائر في الفترة من 1776 إلى 1787م والمتوجهة إلى مرسيليا كان يساوي 126 سفينة. أما المتوسط السنوي للسفن فكان 10 سفن. والسعر الكلي للبضائع المصدرة خلال اثني عشر سنة هو 6 269 250 فرنكا، والمتوسط السنوي يساوي 522 437 فرنكا.

الملحق رقم (15)



م. و. ج. المجموعة، 1642، رسالة رقم 8، غير منشورة، من محمد باي قسطنطينة إلى حسين باشا في 7 ربيع الثاني 1241هـ الموافق 18 نوفمبر 1825م، يتحدث فيها عن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في بايلك قسطنطينة.

الملحق رقم (15) تابع

إعادة كتابة الوثيقة :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم

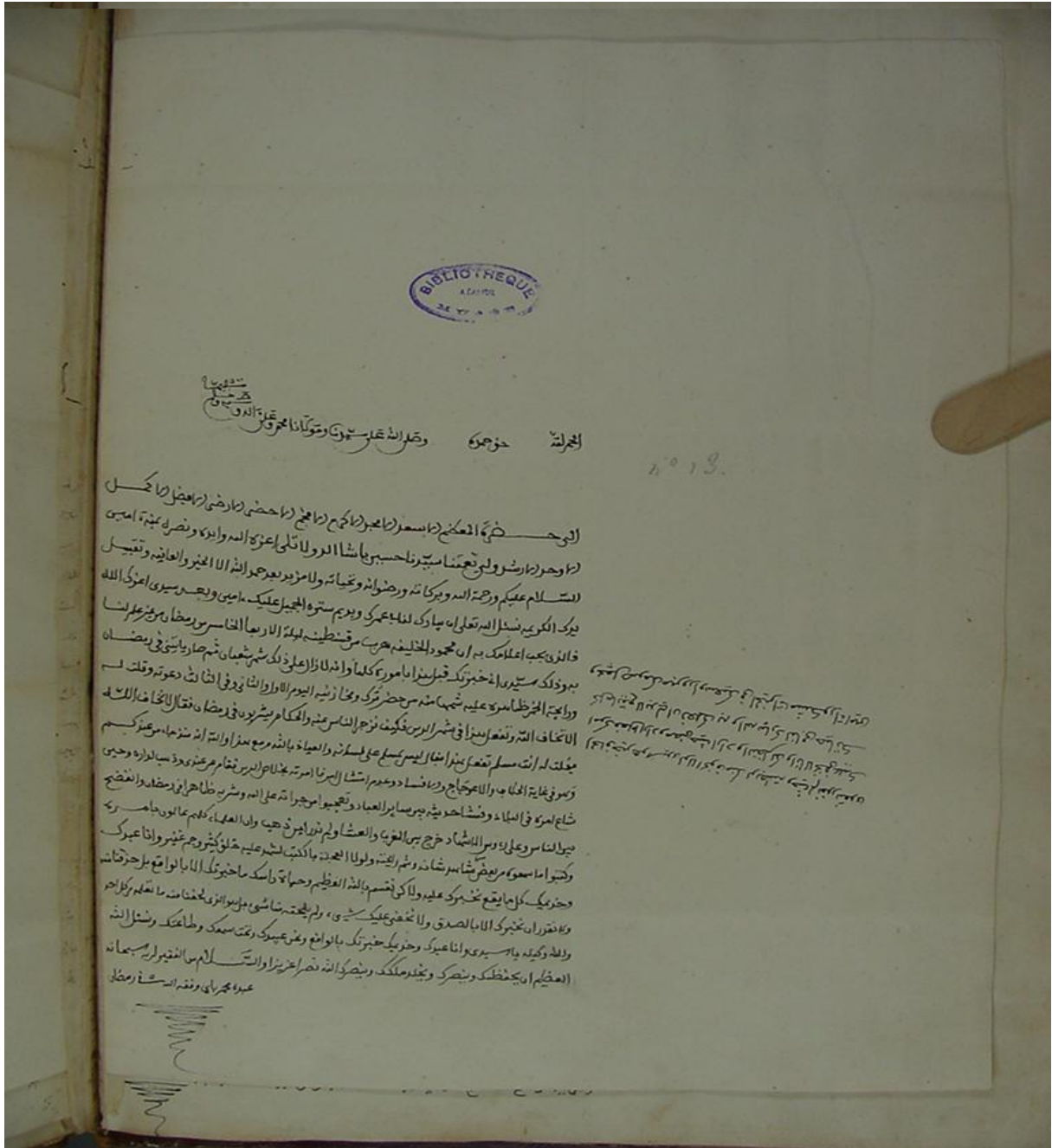
المقام الذي آثاره باقية صالحة وموارد عنايته مشرفة واضحة ولا ملل في عزايمه الراضية وخيراته الهامية صادقة ناجحة وتجارته في الدارين رابحة ذاك المعظم والأسعد الهمام الأرشد الخير الأمجد الخلاصة الأمجد الخير الإصر المنصور المؤيد ولي نعمتنا الدولاتلى سيدنا حسين باشا أعطاه الله من خير الدارين ما يجب وبشاء واعزه ونصره أمين السلام الأتم عليكم والرضوان الشامل الأعم مع رحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه العميم وتحياته ولا ذا ير عن حم مولانا جلت قدرته وتقدم لك سوى الخير والعافية ونعمه المتواليه التي نطلب من المولى الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها عليكم بكرة وعشية بجاه أشرف البرية سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وبعد، أبعد الله عنكم المكارة والشورر وأدام عليكم النعمة والشورر وأنالكم العافية والهناء والخير الممدود إن نوجه لسيادتكم العليا بعد تقبيل يديكم والدعاء لكم بإصلاح الحال وبلوغ النصر والآمال ثانيا أسعدكم الله [ ... ] أدام لكم الفضل والإحسان . إن ابنكم وابننا السيد محمود الخليفة وارد على حضرتكم العليا وزيارة سيادتكم الزكية وصحبته المحلة المنصورة بالله تعالى مع لزمة الدار الكريمة وما يتبعها من عادات وقادات وعوايد وفوايد على الوفاء والتنام حسبما جرت بذلك العادة والطريقة السالفة المعتادة جعل الله وروده عليكم ورود خير وعافية وأنتم على أكمل حال وانتم منوال بجاه النبي والصحب وولاه [ ... ] ليكون شريف علمكم ولييب مهمكم أني رجل كبير مجتهد في خدمة الأوجاق السعيد بالجد والجهد وبحق أن نعرفكم بما أطلعني الله عليه من أحوال الوطن و الرعية ووقوفي بمصالحكم حتى إني يا سيدي فزع النوم علي في الليل والنهار ولم نقدر على المأكل والمشروب ولا في بعض الأحيان وما إن نفكر ونخمم على ما يسترني منكم ويزين وجهي معكم إذ لا يخفاكم حال الوطن وقلة عمارته وضعف أناسه ورخص أسعاره في البيع والشراء فمن جملة ذلك يا سيدي نصرك الله وأطال بقاءك إن انفق لنا بيع البقر فلم نتمكن بثلاثة أريلة بوجه في الرأس الواحد وذلك على عيون الأشهاد هذا مع وقوفي واجتهادي وقلة نومي واكلي ومشربي وحرصني على الجميع في الليل والنهار والله تعالى هو الوكيل علي إذا كنت نتأمل في كسب دارا وجنة أو حانوت او غير ذلك مثل من سلف من البايلارا وندخر درهما أو دينارا بل يا سيدي أسعدك الله لو نجد القدرة للريال الواحد نجزيه من مائة جزء ونستر به وجهي معكم لكنه هذا أمر الله والضعف والغناء والعمارة من الله .

وان شئت فاختبروا وطنكم و بلادكم واسألوا عن جميع الأمور والأحوال بلغكم الله محموده لا ملل بإعلامكم أعلى الله قدركم وشرف مجدكم أن تلك الستة آلاف وسبعماية ريال التي استخلصناها من خطية ابن قارة فلقد كان عزمنا على إرسالها لسيادتكم محبة الدنوش فلجأتنا الضرورة إلى التكميل بها فيما خصنا

من لوازم الدار الكريمة عمرها الله، فأكملنا إذ ذاك بها ما خصنا وإنها باقية قبلنا وبذمتنا ..... إن شاء الله بسعدكم وبركاتكم ترد إليكم وندع الله تعالى أن يقيقكم لنا بقاء جميلا ولا جعل لتغلب الدهر عليكم سبيلا وهذا ما وجب إعلامكم به دامت معاليكم وكتب عليكم ورضي الله عنكم وأرضاكم واخص بجوده روض من عامكم وزين الدهر بحلاكم والسلام التام في البدء والختام سيدي...الجانب والمقام الماضي الحسام من الفقير لربه سبحانه المتوكل عليه عبده محمد باي وفقه الله بمنه وكرمه أمين. في 7 ربيع الثاني من 1241هـ.

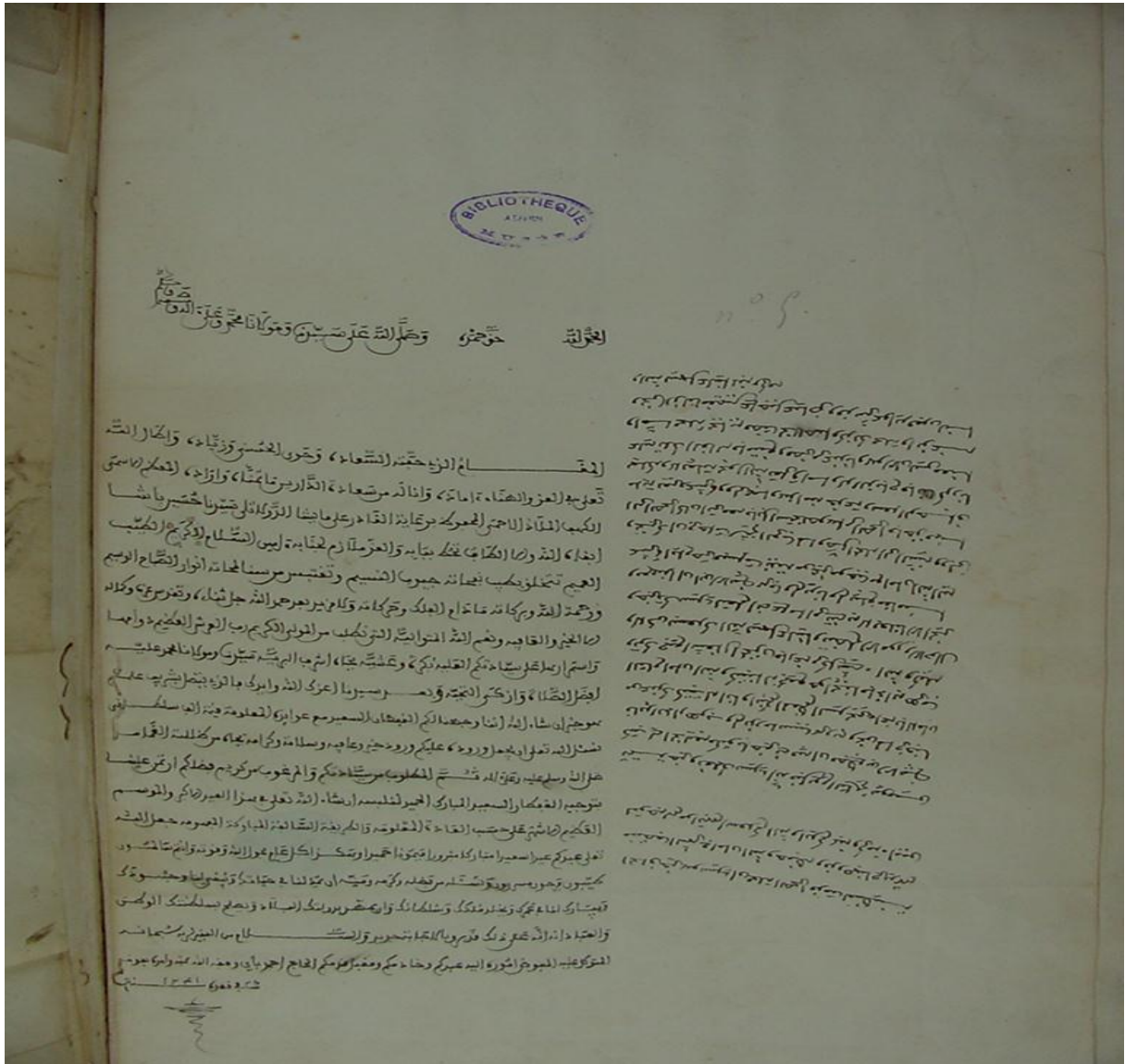
الهامش: الحسان مبارك وخير تدارك أنا وجهنا لسيادتكم ثلاثة جرايد فيها الصاب الراتب كما هي العادة حسبما تطلعون على ذلك سلك الجميع أحسن الطرق والمسالك والله تعالى يرينا في طلعة أيامكم وينصركم ويودكم بخير.

وفقه الله بمنه وكرمه أمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم



م. و. ج. المجموعة 1642، الرسالة رقم 13، غير منشورة، من محمد باي إلى حسين باشا في 5 رمضان 1241هـ/12 أبريل 1826م، يشتكي الباي في هذه الرسالة من فساد أخلاق كبار رجال البايك ومن بينهم خليفته المدعو محمود بن شاكور، وعدم احترامه لسلطته، وجرأته على مخالفة الشرع، وإفطاره في رمضان جهارا وتبين كذلك مدى ضعف الباي وعجزه عن فعل أي شيء أمامه حيث قال: "ولم يلحقه منا شيء بل هو الذي لحقنا منه ما تعلمه من كل أحد."





م.و.ج. المجموعة 1642، وثيقة رقم 05، غير منشورة، وهي رسالة مؤرخة في 26 ذي القعدة 1241هـ الموافق لـ 1 جويلية 1826م كتبها الحاج أحمد باي (قسنطينة) من "جبل عياض" ب"ريغة" قرب سطيف، قبل دخوله إلى قسنطينة، وذكر فيها أنه تولى مهامه كباي منذ عشرة أيام من ذلك التاريخ وأعاد قفطان التولية إلى حسين باشا وقدم معه ألف سلطاني مقابل توليه منصبه كما جرت العادة، وطلب منه أن يرسله له على حسب العادة ليلبسه خلال أيام عيد الأضحى. كما تشير الرسالة إلى مرافقة يحيى أغا له ومشاركته في تسيير أمور البايك. وأخبره كذلك بقدوم محلة الصحراء إلى قسنطينة في منتصف ذي القعدة وأنه أرسل إليهم مرتبات الجنود مع سجل لأسمائهم (الجريدة)، وبخروج محلة بجاية وونوغة لاستخلاص الضرائب، كما أخبره أيضا عن هروب قائد الدار مصطفى الأبيض وترك منصبه شاغر رغم أنه أعطاه الأمان.

الملحق رقم (18)

7

صلى الله على سيرة نبي محمد وآله وصحبه وسلم

الجرلة وحرة

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه مقام ذات المعظم الاجل النبي الحي الافضل الارضى الاسعدي اخونا ومحبتنا السيرة اجمع  
وكيل الحرج ياب الجهاد هانء الله ورعاه واخصب بمنه وروح من عاهه امير السلام الشام عليخ ورحمة الله تعالى  
وبه كانه وخيماته واحسانه اما بعد حمد الله والمصلاة والسلام على رسول الله العزيم منج حيا ارشاه الله تعالى  
ان كتابكم الاعمز وصلنا صبيحة يوم الجمعة التاسع والعشرون يوما من شعبان ليلة رابع الم كتب متاعنا علم الحجة ففاناه  
وعى منا ما به جلة وتبصلا اولاستجرنا منه محتم وعما جيتنح والجرلة على ذلك وله من يرالفنك على ما هذا لك  
واكرت لنا ونفك الله انك بعثت لنا ما بغير من هذا الوطاني فعزنا بحاله بارك الله بهيك وكثر خيرك وشكر سعيدك  
واذاع الله لنا وجودك واخذتنا بالصلح الجليل الجاهر الجليل ناصر الدنيا والدين المعظم الرابع والعشرون  
مولانا الرولا تلى سيرنا حسين باشا نصر الله فرامرك ان تبعت وتوسر مع من كتبنا ما بشير وخمس غرار بشارة  
لاجل العفراء والمساكم فبعل الله منه واعطاءه النصر والظفر بجاء سيره الاولي والاخير وكذا عن مننا العشيبة  
التي بغير لها الشويه بعثت لك منها العايشة تنضه بلتعلم اخونا وبفك الله اننا سابقا كمال نعم بهنوع الشويه  
غير الغونفل الاول كالحلب مناتسم جعها جسم حناها له بفضي منها ما فضر ونهيب ولما رحع هذا الغونفل  
الجرير حلب منا ايضا تسم جعها جسم حناها له مثل زمان بلع بوجر منها الامفدار عشره فتلحج ولم يجرها الا على قول  
وذرولنا خلك اللوح من الحجز الذي مثله بوجر محروسه تلمسان جود العباد في حرم في الشيع سيرة ايه مريين  
الغوث بعين الله واياهم بين كانه عن موضع يقال له البعل فنظف مثله اعنه مثل ذلك اللوح ونعشوا الكرم منه  
خمس لوما الى مائة لوح بها غي بانع الاث بعثت الي تلمسان وبفضوا لنا ما ام تنابه ونبعثوا الحج الي  
حرم في السعيرة ارشاه الله واما الكريه ورايسه كان في فرغ من شغله يوم الاثنين ٤٠ يوما من شعبان  
وس حناه الي حرم في صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرون يوما جاله يبلغه اليك غيم وعابية وعليكم  
السلام وكتب باسم المعظم الاجل الخيم السيرة حسن باي امينه الله واخر شعبان عتقنا  
زيادة اليك خيم ارشاه الله وذر وسفنا في ذلك الكريه ملح البارود عزمه مائة وسبعة فنانم لا غي  
مع الكتلر خمس فنتارا ومن الزربعة متاعه اثني وثلاثين غرار والباقي تم كناه لاجل الزربعة ووسفنا  
ايضا به نصيب من الدهار والروز كارباف عندهنا من فونش الخليجه زمما الخريف وكتبنا اليك  
كتاب كونا به هذا العهد كلد يصلح امع رويدن الشيط الكريه عمل والسلام  
وما هو يملك رلام عشيبة الشويه بانكره كما ام تننا والسلام

م.و.ج. المجموعة 3026، الملف الأول، الرسالة رقم، 07، غير منشورة ، من حسن باي الغرب إلى  
إبراهيم وكيل الحرج، تتحدث حول المساعدات الغذائية أرسلها حسين باشا في سفينة من نوع كربيط إلى  
فقراء وهران بتاريخ أواخر شعبان 1241هـ (30 مارس - 7 أبريل 1826م) تتمثل في خبز البشماط مقداره  
250(غرارة).

الملحق رقم (19)

انزل الله بالملك الدائم والسعد الملازم من هو سيف الدولة ولسانها : وغيره  
 اوليك الاعيان ولسانها : وناصر الملة الحمديّة الخنيفة : وعضد الدولة  
 الجريوية العثمانية الخنيفة : المؤيد بالله المنصور بعون الله سولانا الدولاتلى اجد  
 المرتضى السيد حسين باشا : اعصابه الله ما يجب وميثاء السلام على على مقام  
 سيدنا الكريم المحفوف بالتبجيل والتعظيم : ما تفتقت من احوالها الازهار  
 وعذرت على اذنانها الاحليار : ورحمة الله تعالى وبركاته : ما تليت وايات الله  
 همامته : امامه محمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فاننا وجهنا لحضرتكم  
 العالية : وطلعتكم العزيزة الغالية : بيباشي ثمانية اشهر مع خدمة اعوانه  
مع لزمة مرسى وهران والاشهر المذهور اولهم ذو القعدة الحرام عام ١٢٤٤ م  
 واخرى جماد الثانية عام ١٢٤٣ م للجملة مقررة حسب العادة والقانون : والرسم  
 القديم المنسوق : لا اقلعها الله من عادة : ولا اعدمها من افارة : مع سلامتكم  
 وسعادة نياستم رامين دامين يا حبيب السارين وشم اعرف سيادتكم بما سيذكر  
 وذلك اننا كتبنا بحمومهم الاء اطلما اوتنا بحضرتكم السعيدة المباركة الحميدة  
 عليهم يمشلون ايام الصغار : الذي يحافظه في الله وقوته لا نستطيع  
 بان يقدم الينا منهم جماعة من الفريقين المنطوق في ايامهم : وللخلاف الواقع  
 بينهم : وما جرى بينهم من الفتور : التي تفرقت بهم الى الحى : وشدنا عليهم  
 وهدناهم : والاحتفام من قبلهم او عدلهم : فقدم الينا اولاً اخ الشيخ احمد  
 بن عمام ومعه رجل واحد وهم من جهة الاخلاف : وزعموا انهم الاء على  
 الامتثال : لانهم : ثم قدم علينا بعدهم وذلك في اليوم الذي هو قبل اليوم الذي  
 ورد علينا كتاب اسبينا المسمى باسم السيد ابراهيم باغة من الفريق الاخر وهم  
 اولاد سرعين الشطبي ومعه واحد اخر من جهة اخر رجل ثالث وكان عندنا  
 اثنان اختلفت اجهته في موضع المراهين ولهم مدة ضويلة وذلك من اخر فصل  
 الربيع وهم من اولاد سرعين ايضاً حبسناهم عندنا سدا للذريعة : وحسماً  
 للقطيعة : للجملة سبعة اناس ولقد اضعناهم لبعضهم بعضاً واجتمعوا في  
 مكان واحد ورفعنا ابرهم الى مشورتهم السعيدة التي عليها التعمير سده الله رايكم :  
 واعذب بمنه رايكم : وهذا ما بنا به اليكم : ادام الله لنا وجودكم : وانما  
 علينا برؤسكم ووجودكم : رامين دامين وجهتم السلام التام في الله

م.و.ج. المجموعة 3205، الملف رقم 3، الرسالة رقم 51، غير منشورة، من حسن باي الغرب إلى  
 حسين باشا خلال عام 1243هـ/ (1827-1828م). توضح تاريخ تقديم بيباشي مع لزمة ميناء وهران  
 لمدة ثمانية أشهر، كما أخبر فيها أن منطقة الأغواط تعاني من الاضطرابات والتقاتل فيما بين قبيلتي أولاد  
 الشيخ أحمد بوسالم وأولاد سرعين الشطبي والجهود التي يبذلها لإنهاء النزاع بينهما.



163

D388



جواب من محمد غرسيود المقيم بازمير الى والي تونس مورخ في ٧ من  
جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ هجرية

في احدى موضوعات المائدة التوفيقية  
مع يا زعيم اي المولى محمد بن  
به بالذوق المستند على من وزير العدل  
امثاله ليتم عمل هذا المراسلة والاحوال  
الوضعية التي بين تونس والجزائر  
ما جعله عرض في التوفيق على الخليفة  
طالته وبن ذفر سلطان في توجع  
بعض ذلك المائدة ليصلح بينهما

فوالدولة والعمانية والرافة والرؤة ولي النعم حفرة سيدي وسلطاني  
الكثير الكرم  
بعد اداء الدعاء الى الله تعالى بان يحفظ وجود مبارك ذاكتم العلية ويصنه من كافة  
الادكار الدهرية وان يزرقكم بمزيد العزم والمزيد امين يعرض عليكم وهوانه بينما  
عبيكم هذا مقيم بازمير اذ اناني مكتوب عالي من طرف زى الدولة ولي النعم حفرة  
سيدنا محمد خنصر وباشا قنوان البحر يطب حضورى خصوصيا الى دار السعادة بموجب  
الذين الدولة العلية فبنا على ذلك وامثالا للامر قد حضرت الى الاستانة  
موجبا ان تشرفت بتقبل ايادي دولة واديت ما يلزم للملاقات حفرة اجابني  
بالسؤال الآتي : اعلمني عن الاحوال والكيفيات التي عليها تلك الجلات  
وما هو السبب في النزاع الحاصل بين الوجقات وعدم وقوع الصلح بينهم وانقاذ  
هكذا باردين . فاجابه عبيكم على قدر ما في الامكان ثم بعد ذلك توجه  
حضرت الى الذات الهامونية وعرض عليها ملخص ما اجابه به عبيكم فصدر الخطاب  
العام في امرا او قرار سلطاني . وهذا نص ملاب الاشارة ان ذاتي

الملحق رقم (21) تابع

قد سماع ان الجزائريين خرجوا باثني عشر سفينة و خمسة ...

الشاهانية مهمة للغاية في اجراء الصلح بين الوجقات ولاجل انقاذ  
 ذلك فلتنهي سفينة وتضج با مد الفصحاء من رجال ترسانتي العامة  
 المتعدين ويرسل بالمأمورية الى تلك الجهة ليصح ما هو حال بين وجاقا  
 من النفسانية ويصالحهم وان من يخالف منهم فخطي الهايوني الطار  
 هذه المرة فان ضايات ونجار وهديات تلك الولاية لا تقبل ولا تعتبر  
 من طرف دولتي العلية كانه اذا كانت لهم سفن جاية بتلك الوجاحي  
 ترد الى محلاتنا و اءكديضا انهم اذا لم يطيعوا هذه المرة فخطي الهايوني  
 فليخفقوا ان ذلك سيحلب فضبي الشاهاني . وبتلك قد صدر الخط  
 الهايوني الشريف والحق يقال ولوان وقوع البرودة بين هذه الوجقات معلوم  
 فان ذاك الدولة العلية لا تعد ذلك من اليمن والسعادة ولما ان شاهدت  
 ما هو عكس المطلوب وقع الاجترار بهذه الطرف بما يحتمى التاكيد ثم على  
 مقتضى الخط الهايوني المذكور فان حضرة سيدنا القبودان باشا  
 قد هيا سفينة من نوع القرويت ونصب احد معتبري الترسانة  
 العامة حضرة عمر فا باشا انما الاسطول الهايوني مأمورا هذه الغاية  
 ثم ان حضرة الباشا المرمي اليه قال لي اني اريد ان ارسلت برفقة القرويت  
 المذكور المذكور بلاغا المرمي اليه خزان باش ضايات الجزائر ليس موجود  
 الآن بازمير ولن يكون كما باش ضايات المذكور موجود معلوم بالاستئانة كتبت  
 ارسلتك انتم الى تونس وارسلتكم هو الى الجزائر ولكن فلمم وجود  
 الاخر ان ارسلتك الآن الى تونس يوجب الذل لوجي تونس والبيان  
 الى الاخره ولما كانت جميع الوجقات بهذا الطرف بمقتلة واحدة ولم يريدوا

163  
 384

الملحق رقم (21) تابع:

قد شاع ان الجزائريين خرجوا بالثلاثين عشر سفينة . خمسة راجون  
 وهم الآن يجرون حول تونس ورب انهم هم على جزيرة جربة وخرابها .  
 وكذلك ان حفة سيدنا الباشا قد امر عمر اغا المذكور بانه ياتي الى القصور انات  
 ويقول لهم اهلوا الى ان اطلع باشا وانكم على الخط الراجوني الذي بيدي  
~~الشيخ محمد بن عبد الله~~ . وبعد ذلك اغلوا ما تريدونه من ابقاع حرب او اجاز  
 صلح تم ان حفة الباشا المسمى اليه فمدد السي الجليل في حقنا وحق تونس  
 وجفنا وقال اني قد بينت الى روع العلم حفة سيدنا السلطان العظيم ما  
 لكم وتونس من كل الطاعة للدولة العلية ثم ياسيدي ان وكيلكم حفة سليم ثابت  
 افندي سيكون موجودا مع الامور المذكور في كل محل وكل مسئلة وزيادة على  
 ما هو عليه من زيادة المعونة والسعي والغيرة المعلومه فدصدر له الامر من  
 طرف الدولة العلية بان يخرج من طرفه مكاتيبا لكل من الوجاقات بحشتم  
 على الخضوع والطاعة الى الخط الراجوني الصادر هذه المرة ويوصيهم ايضا  
 بان يجرون الحركة والعمل بما هو واجب ما ذكر . وبيان ذلك قد نجاسر  
 عيكم بتقديم هذه المرصنة ان شاء الله تعالى عندما تعلم وولتكم  
 الكيفية ان لا تنسوا عيكم من مبارات خاطركم والامر في ذلك  
 الى اللطف وعناية وكرم ومروءة ذي الدولة والرافة كثير الكرم حفة سيدي  
 ولي انتم ما حة ٧ حة ١٤٤٧  
 محمد بن عبد الله  
 محمد عرنبود

أ.و.ت. الصندوق، 223، ملف، 384، رسالة رقم 163، غير منشورة، وهي تعريب لرسالة بالتركية من باش داي تونس بأزمير السيد محمد عرنبود إلى حمودة باشا باي تونس، بتاريخ 7 جمادى الأولى 1227هـ (18 ماي 1812م)، وهي ترجمة حرفية عن الأصل باللغة التركية إلى العربية، أخبره فيها أن القبطان باشا قد استدعاه إلى مقر الباب العالي وطلب منه توضيح عن أسباب استمرار الحرب بين أوجاقات تونس والجزائر، وأعلمه أن السلطان مهتما شخصيا بهذه المسألة وسيصل قريبا إلى البلدين مفوض سامي لتوقيع الصلح بينهما وإنهاء الحرب وهدده أن من يرفض هذا القرار فسيطبق عليه عقوبات تجارية ويطرد وكلاءه ولا يتقبل هداياه.







١٢٣٦

و في عمل و فتح من اهل الجزائر <sup>(A)</sup> تعرف على اهل تونس بالغرور و نرا والتهيب يرا وتبوءت  
 الرسايل بين باسقا تونس و باسقا الجزائر في تسامح ليل بكتاب باسقا الجزائر ان يصلح اهل تونس على  
 تسامح اهل الرزيت ان يذبحوا يؤذونه و نه سايذ على عهد علي باسقا باسقا به باسقا تونس صيغر باسقا  
 باسقا برضا في الصلح الما تفرده تسامح و لا كس لا على تسامح يؤذيه الصلح بجزية وهذا الرزيت الغد  
 كلبا استرا الح اذ ان في وقت لاجله الحروب الكسريد والوفايح العريد وان لم يحضرها  
 اباسقا بنوعه بوقه سمع بالاشع انه قتل و لم يبق له في كسر واصلح المسلمون وصاروا و جفا واحدا  
 ثم وجه الباي احمد فبكان الحورالي لذلك مع الباي العاللي في تسامح هذا الصلح و في اسفاه  
 الرزيت با جمع بفتحها باسقا و عرض <sup>عليه</sup> النازله و حال هذا التبايع بينهما و من فبكان باسقا  
 محضه يدعوي الجزائر ايضا و اخيرا ان فصلت النازله على ان يصلح الوجفان و يسفح  
 الرزيت لجزيرة اهل الرزيت لجزيرة و يؤذي بدله خمسة و مئونة اب فرش للثمن سنان  
 السلطانية كما تفرده تونس الهدية كل ذلك سنوات بفتح الامر السلطانية بذلك و قد  
 تسامح فبكان باسقا و صحو باسقا تسور الجزائر و اير ما بين الوجفان الصلح الى اخذونه  
 با حسنة ابو عبد الله حسين الى تسامح فبكان باسقا برزيت الالات والى باسقا و الجزائر  
 برزيت الالات كما احسن الى راس الحركب الحاملة من كبر برزيت الالات و تسامح برزيت الالات  
 و في استلخ سوال من عمل و قد يعرفان بتخوير تجديد و تعرف رواية في اثناء محمود باسقا  
 امير امراء تونس

الأرشيف الوطني التونسي

أ.و.ت. الصندوق 220 مكرر، الملف 349، الوثيقة رقم 19، الصفحة 8، غير منشورة، وهي نص الصلح بين الجزائر وتونس عام 1236هـ/1820-1821م.

إعادة كتابة نص حول الصلح بين الجزائر وتونس عام 1236هـ

وفي عام 1236هـ وقع من أهل الجزائر تعد على أهل تونس بالغزو بحرا والنهب برا وتبذلت (كذا)، الرسائل بين باشا تونس وباشا الجزائر في شأن ذلك فطلب باشا الجزائر أن يصلح أهل تونس على شرط أداء الزيت الذي كانوا يؤدونه سابقا على عهد علي باشا فأجابته ولي العهد أبو عبد الله حسين باي بأنه يرغب في الصلح المأمور به شرعا ولاكن (كذا) لا على لا شرط يؤديه المسلم كجزية وهذا الزيت الذي طلب اشتراط أدائه قد وقعت لأجله الحروب لشديدة والوقايح(كذا) العديدة وأن لم يحضرها الباشا بنفسه فقد سمع بها ثم أنه ترك ولم يبق له ذكر واصططح المسلمون وصاروا وجقا واحدا. ثم وجه الباي أحمد قبطان المورالي للكلام مع الباب العالي في شأن هذا الصلح وفي إسقاط الزيت فاجتمع بقبطان باشا وعرض عليه النازلة وطال فيها التفاهم بينهما بحضرة مبعوثي الجزائر أيضا وأخيرا انفصلت النازلة على أن يصططح الوجقان ويسقط أداء الزيت للجزائر ويؤدي بدله خمسة وستون ألف قرش للترسخانة السلطانية كما تؤدي تونس الهدية كل ثلاث سنوات فتم الأمر السلطاني بذلك وقدم شاوش قبطان باشا مصحوبا بباشدور الجزائر وأبرما بين الوجقين الصلح المأذون به فأحسن أبو عبد الله حسين إلى شاوش قبطان باشا ب 10000 ريات والى باشدور الجزائر ب 1000 ريات كما أحسن إلى رابيس المركب الحاملة لمن ذكر به 500 ريات وشاوشه ب 50 ريات وفي شوال من عام 1236 ورد الفرمان بتجديد وتقرير ولاية أبو التناء محمود باشا أمير أمراء تونس

أ.و.ت. الصندوق رقم 220مكرر، الملف 349، الوثيقة رقم 19، ص.8







*de l'Afrique.*

**Résumé général,**  
des Officiers, sous Officiers et Soldats  
tués ou blessés depuis le 14 Juin 1830.  
Jusqu'au 4 juillet suivant


Cote 21407

SECRETARIAT GÉNÉRAL

Indication des Corps	Enco	Blessés	Morts par suite de blessures (1)	Observations.
Etat major	1	1	1	(1) Les hommes morts des suites de leurs blessures comptent au nombre des blessés. (2) On n'a porté dans cette colonne que le nombre d'hommes dont le décès a été constaté par des actes. A l'époque du 31 juillet il y avait plus, 189 hommes morts par suite de blessures, pour lesquels cette formalité n'avait pu encore être remplie.
1 <sup>re</sup> Division	88	805	27	
2 <sup>e</sup> Divis.	74	473	16	
3 <sup>e</sup> Divis.	103	768	32	
Artillerie	10	33	1	
Génie	1	16	1	
Regt. de Chasseurs	2	7		
Bat. <sup>on</sup> d'ouvriers d'ad.	6	1		
Trains des équip <sup>es</sup> mab.	3	3		
	288	2107	78	

<p>Morts sur le champ de bataille ————— 288</p> <p>Morts par suite de blessures et connus nominativement ————— 78</p> <p>Morts, à Mahon, à bord des vaisseaux, ou dans les hôpitaux, connus seule- ment numériquement ————— 119</p>	<p>} ————— 485.</p>
<p>Blessés ————— 2107.</p> <p>Il faut déduire, les morts par suite de blessures ————— 197.</p>	<p>} ————— 1910.</p>
<p>Total des hommes hors de combat ————— <u>2395.</u></p>	



*Remis le 28 août 1830  
par le Général Desprey  
au Ministre de la Guerre*

A.M.G., Série, H1.N° 14221, Rapport du Générale Desprey au gouvernement français le 29 Aout 1830.

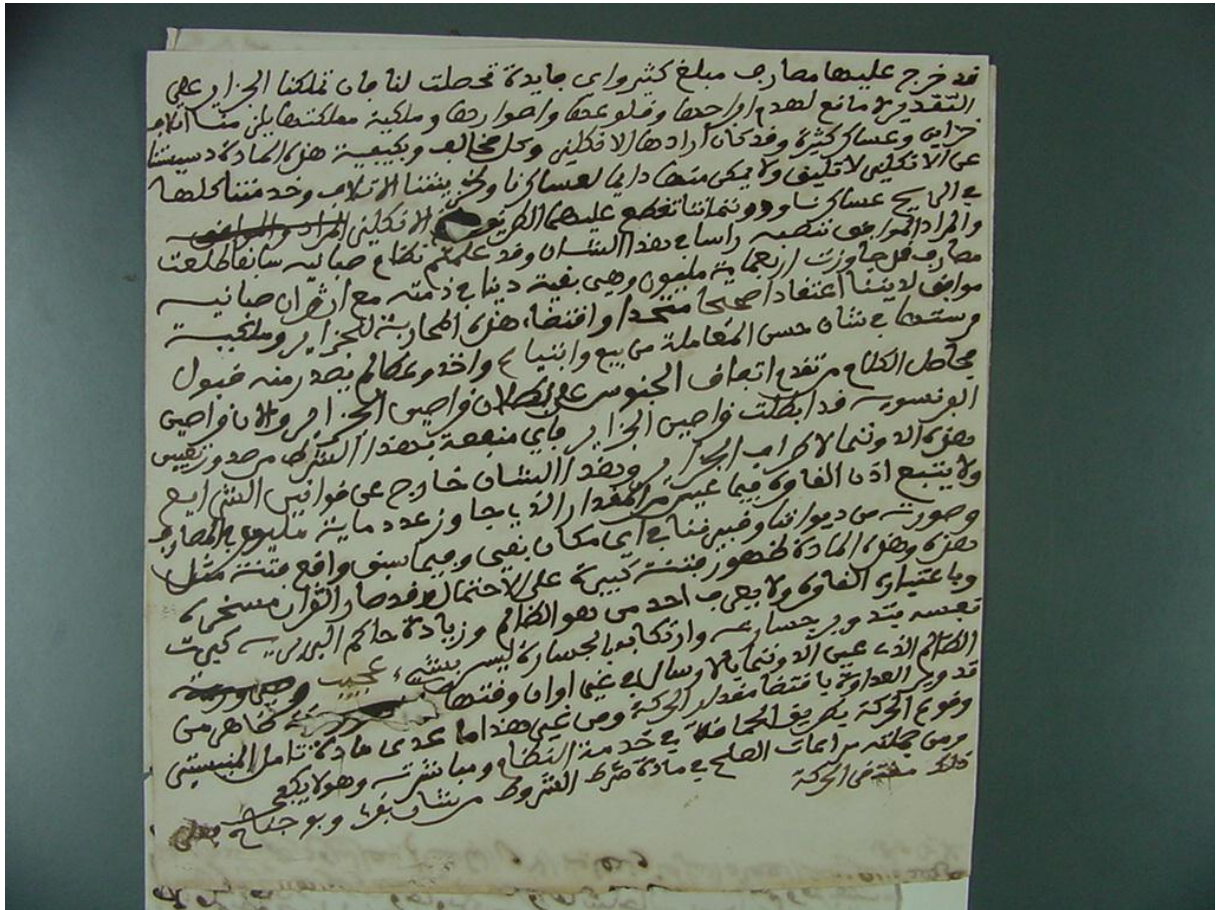
تقرير غير منشور من الجنرال ديبري إلى الحكومة الفرنسية في 29 أوت 1830 حول عدد القتلى من الجيش الفرنسي في كل المعارك التي جرت من 14 جوان إلى 4 جويلية 1830.

الملحق رقم (29)

٨٢ بيان ما نكلمو بديوان خانة مدينة باز در تحرير حضور صدر من احد رجال القاموس  
 مسما به ليكسندر ريبورد في شأن شك وشبهة مادة خفتهم وعقلهم الناظر الناشئ  
 النفساني بحزبية على ما قيل من نسبتة قريب سواد لغوا غيب تير يا كير في القفران وفاوتيه  
 تحرير وتخصيص كما سينتظر  
 على نحو هذا لا مجال

لا يسيب تعيين الادوية في الجوارح وشان تدوير الحيلة لغالب صدور الهدايا  
 وارتياب ارسال نفقة الادوية ابتداء منها كالم وسطحها فيج ونفعا فيدها من غير ما يادة  
 بنفسي، وفعل باب الديوان من تعيين هذه الادوية ونما خارج على قوانين جميع الشرايع  
 ابتداء اذ لم اركبهم فمسلنا ودولة وانسه فمسلها وزيادة في معلوم من اصل هذه الهدايا  
 مبنى وقوعها من تركب من اقساما عديدة ومن جملته نفق، وبوجناح مكالهم متعلقة  
 بنسبتنا منذ وثلاثين سنة واقعه ومخالبة وكل يعلم بان كل مبلغ المال الوالي الجزاير  
 وزيادة صدور مخالفتها من ازارا وهو مبلغ واكثر ثم وقعت السالحة على  
 جمع سبعة ملايين وفي خزانة الباشا حملة السبعة ملايين اتصا لعلها ليرى وزيادة ايضا  
 على المنوال المذكور انفق الشك ونهاية الا ان الباشا لم يتصل به درهم من عدد  
 باله في حفرة العداوة وواجب بطرفه في خزينتنا ارتكاب كثرة الجيول الى ان تحصلت  
 معه الحق بالذم لم يتصل به درهم من اموالنا في وقت مفاد من الماز ليرى الجزاير  
 السالحة وفتت على جمع السبعة ملايين وحصلت بها وصولها ليرى بعد الانقضاء  
 الشك وصدور الفصول بواسطة فنلود ولت وانسه هو اسطحة بين الدولة المذكورة  
 والجزاير وباراد الوالي المذكور من حرمنا الجواب فلم يقبض له اثر ومن بعد بحث مكتوبا  
 للقراة في ارسال بكتا والى تعيين له جواب فلم يقبض له اثر ومن بعد بحث مكتوبا  
 الفصول الكاشا وعين الملاحظات قد كان الباشا استغنى عن بعض الاعمال اجتمع  
 الباشا بشأنها في جواب الباشا انت مبعوث في شأن استخفاف جنس الباشا في الفسلف  
 وانتم ظنتم في مخطا مدخل في مادة سائر الاجناس من غير ان تتسلي له في الامدخل  
 والاربع لم يقم بغير جواب واحد منهم هذا والى اشاها حكاهم وقد بعثت مكاتب  
 القسلسو بسوا، الادب وجاء بترتيب هذا والى اشاها سيرايرت في مجمع ونطق  
 ملازم بغير جواب اولي ملك نفسه الباشا من قور الفصول بل مع يدك وطرف  
 هذا سبب قور الفسلف وخصوصية هذا الباشا من قور الفصول بل مع يدك وطرف  
 لهذا من تدوير في الادب بكلامه الشنيع لم يجد صوابا في سلفنتهم هكذا اتسافها  
 وهذا المادة سببها علم وباطل جدورها في كلامه الشنيع لم يجد صوابا في سلفنتهم هكذا اتسافها  
 صدر الكلام — وبقره العداوة بالحق او بالباطل فمد صدت ملابد لنا التخي  
 يقع الخلان في هذه الادوية بالحق او بالباطل فمد صدت ملابد لنا التخي  
 عن احوال السواحل والوقوف عليها وينبغي ان يتسلف في شأنه تامل زمان واعر وتدوير  
 في بوقت فهو بغيرها في حاله ونسبتنا في الشك في العما وعرف بعض من  
 ال وحينئذ الادوية ما لها بهم صار وعرف هذه القويحة سيرايرت  
 ما كنه السلف في ما يادة لنا بنفسي، جوهرة الادوية





م.و.ج. المجموعة 3190، الملف الأول، الوثيقة رقم 382، غير منشور، وهي بيان حول المعارضة التي جرت في مجلس الشيوخ الفرنسي بخصوص إعلان الحرب ضد الجزائر مرسله إلى حسين باشا دون تاريخ.

الملحق رقم 29

إعادة كتابة الوثيقة:

بيان حول المعارضة التي جرت في ديوان أو مجلس الشيوخ الفرنسي بخصوص اعلان الحرب ضد الجزائر لأي سبب تعيين الدوننما لطرف الجزائر وشان تدور الحيلة لغلّب صدور العداوة بشيء وإغلاق باب الديوان من تعيين هذه الدوننما خارج عن قوانين جميع الشرايع(كذا) ابتداءه ظلم ارتكبه قنصلنا ودولة فرنسا وزيادة في معلومكم أصل هذه العداوة مبني وقوعها متركب من أشياء عديدة ومن جملة بكري وبوجناح مطالبهم متعلقة بدمتنا منذ ثلاثين سنة واقعة وطالبة وكل يعلم بأكثر مبلغ المال لوالي الجزائر وزيادة صدور مطالبته منا وهو مبلغ وافر ثم وقعت المصالحة على دفع سبعة ملايين وبقي الأمر معطلا وفي خزينتنا ارتكاب كثرة الحيل إلى أن تحصلت بالطريق هذه العداوة وواجب بطريق منوال الحكم بعث مقدار من المال لزوما هو إلى الجزائر معد الحق بالذي لم يتصل ليرة درهم بحال ويوما فيوما في انفعال تزايد التماطل مع أن المصالحة وقعت على دفع السبعة ملايين وجملتها وصولها ليرة بهذا وانعقاد الشرط وصدر القبول بواسطة قنصل دولة فرنسا بواسطة بين الدولة المذكورة والوالي الجزائر فأراد الوالي المذكور من طرفنا الجواب فلم يتبين له اثر و من بعد بعث مكتوبا تحرير وإرسال فكا الأول لم يتبين له جواب وعلى القادة المستمرة ببعض الأعياد اجتماع الباشا في شأنها فجاوبه الباشا أنت مبعوث في شان سنجقك لك فيه وإشغالي المربوطة معكم لأي حال لم يجاوبوني عليها حكامكم وقد بعثت مكاتبي مرارا فلم يظهر جواب واحد منهم هذا والباشا جالس بين دايرته بمحضر الجمع فنطق القنصل بسوء الأدب وجاوبه كيف سيدي يجاوب أحدا مثلك أو يحزر له مكتوب فلم يملك نفسه الباشا من قول القنصل بل رفع يده وضربه هكذا سبب ضرب القنصل وخصوصيا لباشا من تدوير ترك الأدب بكلامه الشنيع لم يجد وكبرة سلطتهم هكذا إنشائها وهذه المادة سببها ظلم وباطل صدورنا منا ومن الباشا جسارة واقعة بهذا صدر الكلام- وهذه العداوة بالحق أو بالباطل قد صدرت ف بد لنا التحميم يكفي العجلان فبهذه الأفعى تدارك الدوننما يستجيب في شأنه تأمل زمان وافر وتدبر ومشاورة لإرسالها محل نزول العساكر و المحاربة يستجيب لذلك زمان وافر وجوبا والتطلع عن أحوال السواحل والوقوف عليها وينبغي لسرفة ابتداء شهر أفريل أواسط بوقت هبوبهما كيف حالة الدوننما ورأينا لويس الخامس أو معرفة السواحل وحينئذ الدوننما مالها فهم صاروا عن الطريقة سيرتكم هاته الشيء لا فائدة لنا بشيء فهذه الدوننما

قد خرج عليها مصارف مبلغ كثير وأي فائدة تحصلت لنا فان تملكنا الجزائر على التقدير لا مانع لهدم أبراجها وقلوعها أسوارها وملكية مملكتها يلزما إتلاف خزائن وعساكر كثيرة وقد كان أرادها الانكليز وكل مخالف وبكيفية هذه المادة دسيستنا عن الانكليز لا تليق ولا يمكن منها دائما لعساكرنا ولخزينتنا

الإتلاف وخدمتنا كلها في الريح عساكرنا تقطع عليها الطريق الانكليز والمراد الموافق تنصبه رأسا في هذا الشأن وقد علمتم نظام سابقا طلعت مصارف قد تجاوزت أربعمائة مليون وهي بقية ديننا في ذمته مع انقران صبانية موافق لديننا اعتقادا صحيحا متحدا واقتضاء هذه المحاربة للجزاير وملكية مرستها في شان حسن العاملة من بيع وابتياح واخذوا عظام يصدر منه قبول الفرنسيين قد أبطلت قراصين الجزاير فأبي منفعة بهذا الشرط من صدور تعيين هذه الدونما لأطراف الجزاير وهذا الشأن خارج عن قوانين الشرايع ولا يتبع إذن القوة فيما غير المقدار الذي جاوز عدد مائة مليون في المصارف وصورته من ديواننا خبرتنا احتمال وقد صار القران مسخرة تفسد فتدور بسرعة وارتكابه الجسارة ليس بشيء عجيب الظالم الذي عين الدونما بالإرسال في غير أوان وقتها ظاهرة من تدوير العداوة باقتضاء مقدار الحركة ومن غير هذا ما عدى مادة تأمل المبنستي وقوع الحركة بطريق الحمافة في خدمة النظام ومباشرته وهو لا يكفي ومن جملته مراعات الصلح في مادة شرط الشروط من شان بكري وبوشناق ذلك مقتضى الحركة.



فهرس الجداول

والأشكال

## فهرس الجداول والأشكال

### 1- فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	منحنى بياني يمثل تطور الغنائم من سنة 1766 إلى 1792م	294

### 2- فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	جدول يمثل صادرات بايلك الشرق خلال سنتي 1780، 1781 ما عدا الحبوب، مستخرج من السجلات الرسمية للشركة الملكية الإفريقية الفرنسية	254
02	جدول يمثل صادرات إيالة الجزائر في الفترة من 1766-1770م من الحبوب، الخضر والزيت.	257
03	جدول يمثل صادرات بايلك الشرق من مينائي عنابة والقالبة الى الشركة الملكية الإفريقية في الفترة من (1786-1788م)	261
04	جدول يمثل كميات القمح المصدرة خلال سنة 1790 والموردين للشركة الملكية الإفريقية وعلى رأسهم صالح باي	263
05	جدول يمثل كميات القمح المصدرة من مخازن القايد ومن قمح صالح باي خلال عام 1791 للشركة الملكية الإفريقية	265
06	جدول يمثل نتائج السنوات المالية للشركة الملكية الإفريقية في الفترة من 1770-1774م	269
07	جدول يوضح النقود الجزائرية في العهد العثماني أجزاءها وقيمتها بالوحدة الحسابية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر	281
08	جدول يوضح الغنائم البحرية الجزائرية من 1766-1792م مقدرة بالفرنكات مستخرجة من سجل الغنائم.	293
09	جدول يبين عدد السفن الحربية المكونة للمجموعة الأولى من الأسطول البحري الفرنسي	475
10	الجدول يوضح عدد السفن الخفيفة المكونة للمجموعة الثانية	476

## فهرس الجداول والأشكال

477	جدول يوضح فرق الجيش المشاركة في الحملة الفرنسية وعدد الجنود في كل منها	11
-----	--	----

المصادر

والمراجع



أولاً: الوثائق غير المنشورة

1 - بالمكتبة الوطنية الجزائرية الرصيد العثماني، سلسلة (م.و.ج):

المجموعة	الملف	رقم الوثيقة
1641	/	84 ، 68 ، 58 ، 52 ، 49
1642	/	4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 13 ، 14 ، 15 ، 18 ، 19 ، 20 ، 26 ، 28 ، 29 ، 30
1903	/	33
3026	الأول الثاني	7 ، 9 ، 11 37
3190	الأول الثاني	4 ، 5 ، 12 ، ، 14 ، 30 ، 309 ، 62 ، 63 ، 66 ، 71 ، 85 ، 88 ، 91 ، 140 ، 141 ، 161 ، 180 ، 192 ، 198 ، 222 ، 231 ، 276 ، 296 ، 344 ، 21 ، 28 ، 29 ، 42 ، 43 ، 154 ، 232 ، 236 ، 269 ، 381 ، 382 ، 438 ، 439 ، 440 ، 441 ، 442 ، 443 ، 444 ، 445 ، 451 ، 452 ، 453 سندات تسليم 406 - 434 متعلقة بلزمة المرجان. 5
3205	الثالث	51
3206	الأول	11
1646		سجل دفع الضرائب خاص بقبائل الشرق الجزائري خلال القرن 12هـ

## المصادر والمراجع

### 2-الأرشيف الوطني الجزائري بـير خادم، سلسلة ( أ.و.ج):

العلة والتاريخ	السجل	نوع الوثيقة
علة 24 - 33 ( 1699 - 1716م)	سجل 1	س.ب.م
علة 24-33 (1211-1232هـ-1796-1816-1817م)	سجل 7	//
علة 24 - 33 (1756-1757م)	سجل 36	//
علة 24-33 (1730-1748م)	سجل 139	//

### 3- الأرشيف الولائي بقسنطينة سلسلة (أ.و.ق):

التاريخ	السجل	نوع الوثيقة
(1202-1205هـ/1787-1791م)، صفحات مختلفة	سجل 1	سجلات المحاكم الشرعية

### 4-الأرشيف الوطني التونسي سلسلة (أ.و.ت):

#### ✓ وثائق السلسلة التاريخية:

رقم الوثيقة	الملف	الصندوق أو العلة
119	120	212
3، 1	348	220
19	349	
2، 1	354	221
163، 158، 157، 150، 62، 60، 56، 55، 52، 41، 15، 2، 1	384	223
67	433	231

✓ الدفاتر الإدارية الجبائية:

رقم الدفتر	تاريخ الدفتر	الصفحات
94	محاسبة الوكلاء على أملاك الدولة في شمال البلاد ، أواخر 1169-1177هـ/1755-1764م	ص. 119
100	حساب المدخول والمخرج من البارود والرصاص، 1171-1187هـ/1757-1773م	ص. 25
139	محصول الحاج بن زكري وعلي فريخ، وكلاء الجزائر من بيع البقر والغنم الإبل في تونس، في شعبان 1179هـ/جانفي - فيفري 1766م	ص. 2
143	هدية للجزائر بتاريخ 1171-1194 هـ / -1757- 1781م	صفحات، 60، 61، 62، 67، 87، 89
193	محاسبة الوكلاء على الأملاك من 1187- 1202هـ/1773-1788م	ص. 6
1046	بيان المؤونة التي قدمتها الدولة لقرصان الجزائر ما بين 1170-1193هـ/1756-1780م	ص. 13، 14
2145	بيان الإحسان والصدقات الموجهة من بيت خزندار لفائدة سكان سائر أماكن البلاد والهدايا الموجهة إلى بلدان أجنبية وأهمها الجزائر وذلك من سنة 1191- 1197/1777-1778-1782-1783م	ص. 2، 182
2847	نسخ لأوامر صادرة عن الباي وتخص علاقة تونس مع الدول الأجنبية وأولها قضية الحدود بين تونس والجزائر سنة 1023هـ/1723-1833م	ورقة رقم 2
2984	حساب البقر الذي أتى به من الجزائر وذلك في 1170- 1182هـ/1756-1769م	صفحاته دون ترقيم

5- أرشيف ما وراء البحار اكس\_ آن بروفنس سلسلة (A. O. M):

- سجلات الجزائر العربية التركية (228 MI)

288, 17 vol 15 سجل رقم 62

- سجلات القنصلية الفرنسية بالجزائر لسنة 1794 (AIX1 MI 46)

• article, 1B13، رسالة رقم، 423، 424، 425، 426، 427، 446.

• المجموعة 3B6، Article 214، إحصاء للعدد السفن التي شحنت الحبوب من عنابة خلال الفترة من أكتوبر إلى ماي 1783.

• المجموعة F80، علبة رقم 970، بها معلومات عن الاقتصاد والعملية الجزائرية والفرنسية نهاية العهد العثماني.

6- أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا سلسلة (A.C.CM):

• المجموعة LIII، Articles، 22، 360، 761، 762، 1271، 1274، 1280، 1281،

1282، 1325، وهي في مجملها عبارة عن حسابات ومراسلات وسجلات لمداولات وفواتير شحن السلع من الموانئ الجزائر باتجاه مرسيليا خاصة بالشركة الملكية الإفريقية.

• المجموعة I11، I12، وهي سجلات للسفن التي تصل من الشرق ومن الإيالات المغربية بها كل المعلومات عن الشحن والسفينة وقائدها وطاقمها.

• المجموعة I17،، تشمل على إحصائيات مختلفة حول ما استوردته مرسيليا من الجزائر وعدد السفن التي حملت السلع إليها في الفترة ما بين (1768-1789)

7- أرشيف وزارة الحربية بفانسان بباريس سلسلة (A.M.G):

• المجموعة H1، رسالت رقم 14221 من يوسف باشا إلى الداوي حسين يعلمه بأخبار الحملة الفرنسية ضد بلاده في 1829

• المجموعة H1، تقرير من الجنرال ديبري رقم 14221 إلى الحكومة الفرنسية إلى باريس حول عدد القتلى في المعارك لاحتلال الجزائر.

ثانيا: الوثائق المنشورة

1\_ وثائق منشورة باللغة العربية:

1. إبراهيم بحاز، ثلاث رسائل محفوظة حول الإباضية الميزابيين بالجزائر في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغاربية العددان 89-90، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1998.
2. أوجين بلانتيث، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ج2، ج3، ترجمة وتحقيق، ججيك إلياس، سلامنية بن داود، دار الوعي، الجزائر. 2014.
3. خليفة حماش، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ج1، منشورات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013.
4. سجل صالح باي للأوقاف ( 1185-1207/1771-1792)، تحقيق، فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع الجزائري، الجزائر، 2009/1430 .
5. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تونس، الجزائر، ليبيا، من 1816 إلى 1871م، تقديم روبر منتران، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
6. \_\_\_\_\_ وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، 1980، تونس.
7. لورا فيشا فاقاليري، أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة، تقديم إيمانويل باتاي، ترجمة، حميد عبد القادر، علم الأفكار، الجزائر، 2013.

2\_ وثائق منشورة بالفرنسية:

1. A.Berbrugger, Province de Constantine, Les Anciens Etablissements Religieuse, Musulmans De Constantine, in R.A., vol. N° 12, 1868,éd. A. Jourdan, Alger.
2. \_\_\_\_\_ La Régence d'Alger sous le consulat et l'empire, in R.A., vol. N°16, 1872, éd, A. Jourdan, Alger.
3. A. Devoux , Recherche sur la coopération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance Grecque, in R.A.,vol,N° 02 , Ann ,1857,éd.A.Jourdan, Alger.

4. —————Le Registre Des Primes, R. A., Vol. N° 15 , 16 Ann.1871, 1872, éd., A. Jourdan, Alger.
5. —————Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, imp. Du gouvernement, Alger, 1852
6. —————Ahad Aman ou Règlement Politique et Militaire, taxe turc traduit, en Arabe Mohamed Ben Mostafa et reproduit en Français par A. Devoulx fils, in. R. A, Vol. n°04, Ann. 1860.
- 7.E. Kuran, La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand Visir d'Empire Ottoman, in R.A., Vol. N° 96, année, 1952, LIBRAIRE-ÉDITEUR, A.JOURDAN, 1952.
- 8.Eugène Plantet, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833,T2, (1700-1833),Paris,1889.
- 9.L.Ch.Féraud, Mœurs et Coutumes Kabyles, in R.A, vol. n° 07, éd, A. Jourdan, Alger, 1863.

### ثالثا: المخطوطات

1. محمد الطاهر النقاد، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح أمير بلد قسنطينة، مخطوط، رقم 263، كتب بتاريخ أوائل ذي القعدة 1264 هـ/أواخر سبتمبر أوائل أكتوبر 1848، دار الكتب الوطنية، تونس.

### رابعا: مصادر أولية منشورة

#### 1- باللغة العربية:

1. القرآن الكريم
2. أ. بيليسي، حوايات جزائرية، المجلد الأول، ترجمة، دليلة حياتي، دار أصالة، الجزائر، 2013.
3. ابن المفتي رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان، بيت الحكمة، سطيف، ط1، 2009.
4. ابن عثمان المكناسي، إحرار المعلي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، (رحلة المكناسي) تحقيق وتقديم، محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
5. ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق، تقديم، محمد ابن عبد الكريم، الجزائر، ش. و. ن. ت. ط2، الجزائر. 1981.

6. أبو القاسم أحمد الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور سرا وبحرا، تحقيق وتعليق، عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة، الرباط، 1991.
7. \_\_\_\_\_ الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي، وهو منقول من كتاب الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، مطبعة الجمهورية، باريس، 1886.
8. \_\_\_\_\_ جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
9. أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته تقديم، تحقيق، محمد عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
10. أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان، نشره وقدمه صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962.
11. أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. ط. 2، الجزائر، 1980.
12. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.
13. أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق، تعليق تقديم، عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011.
14. أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق، تقديم، المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ط 1، (د.ت.).
15. أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق، تقديم، محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1979.
16. الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر التاسع عشر، ج 2، تحقيق، يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007.
17. ألبير دوفال، الرئيس حميدو، تعريب، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، مطبعة بولعيد، الجزائر، 1972.
18. تشرشل، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

19. الحسن الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروفة برحلة الورتلاني(1713-1779)، تحقيق، محمد بن شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974.
20. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب، وتحقيق، محمد العربي الزيري، ش.و.ن.ت. ط2، الجزائر، 1982.
21. سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو العيد دودو، دار هومة، ط2، الجزائر، 2009.
22. الشيخ الصغير بن يوسف، المشرع الصغير في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق، أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، (د.ت)
23. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى حال ادعى العلم و الولاية، تحقيق، تقديم، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
24. راي إروين، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776-1816)، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1984.
25. فنديلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة وتحقيق، أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت.الجزائر، 1981.
26. ليفي بروفونصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب، عبد القادر الخلافي، دار المغرب، الرباط، 1977م.
27. مارمول كرخال، إفريقيا، ج1، ترجمة، محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بنجون، دار المعرفة، الرباط، 1989.
28. متولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/ 1695-1705م)، تحقيق وتقديم وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2012.
29. محمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ج1، ج2، دراسة وتحقيق، بوركية محمد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
30. \_\_\_\_\_ عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم، تحقيق، محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا، الجزائر، 2008.



31. محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق، تعليق، تقديم، أحمد العماري، دار المؤثرات، الرباط، 1986.
32. محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار وشركائه، ط2، تونس، 1943م.
33. محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق، حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
34. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، تعليق، ممدوح حقي، ثالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
35. محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، ج2، دراسة وتحقيق، إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2005.
36. محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران، تحقيق، تعليق، المهدي بوعبدلي، ش.و.ن.ت. الجزائر. 1979.
37. محمد صالح العنثري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قنسطينة واستيلاءهم على أوطانهم أو تاريخ قنسطينة، مراجعة وتحقيق وتعليق، يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005.
38. \_\_\_\_\_ مجاعات قنسطينة، تحقيق وتقديم، رابح بو النار، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1974.
39. مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تقديم وتحقيق وترجم، الدكتور محمد العربي الزبيبي، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر، 1981.
40. مذكرات أسير الداوي كاتكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
41. مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكيس والوثائق العثمانية، ترجمة، تحقيق، تعليق، مصطفى بن حموش، دار الأمة، الجزائر، 2010.
42. مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، ذخائر المغرب العربي، تاريخ البايات المتأخر، تحقيق، وتقديم، رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

43. مؤلف مجهول، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، دراسة وتحقيق، رياض بولحبال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا، جامعة قسنطينة2، 2010/2009.
44. مؤلف مجهول، تاريخ قسنطينة، تحقيق، مختار حساني، منشور في كتاب التراث الجزائري المخطوط، في الجزائر والخارج، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
45. علي بن محمد الماوردي(364-450هـ)، الأحكام السلطانية، الولايات الدنية، المكتبة التوفيقية، مصر(د س).
46. أبو العباس أحمد القلقشندي(756-821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922.
47. أحمد الناصري، الاستقصا، ج 7، 8، 9، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.
48. العقيد م. فرنال، حملة إفريقية1830، دون ذكر اسم المترجم، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014.
49. أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد القلي المتوفى 1850 م، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تقديم وتحقيق وترجمة، الدكتور محمد العربي الزبييري، ش.و.ن.ت.، ط2، الجزائر، 1981.
50. أوجين فايست، تاريخ بايات قسنطينة في عهد التركي من 1792م 1873، ج2، ترجمة، صالح نور رحمه الله، دار طليطلة، الجزائر، 2013.
51. وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ش.و.ج.ن.ت. الجزائر.(د ت).

### 2- مصادر أولية مطبوعة باللغة الأجنبية :

1. A.Devoulx, Les Archives du Consulat Général de France à Alger, Imp., V. Marius Olive, Marseille, 1863
2. A.M. Perrot, La conquête d'Alger, ou relation de la compagne d'Afrique, éd, H. Langlois fils, Paris, 1830.
3. Alexandre De Laborde, Au roi et aux chambres, sur les véritables causes de la rupture avec Alger et sur l'expédition qui se prépare, Imprimerie chez Truchy, Libraire, Paris.1830.
4. Anonyme, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, 2<sup>e</sup> édition, Ch. Picquet, 1830.

5. Carette et Warnier, Description et division de l'Algérie, Libraire, L. Hachette, Paris, Alger, 1847.
6. D.G.T. Raynal, Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique septentrionales, T1, éd. Amble Coste, Paris, 1826,
7. Don Diégo de Haede, Topographie et Histoire Générale d'Alger, 1612 ,Trad, MM, Le Dr. Monweaaw et A. berbrugger, Imp., valladolid.
8. E. DOUMAS, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Tell, Kabyle, Sahara, librairie, L. HACHETTE et Cie, Paris, 1853.
9. F .Desprez, Journal d'un officier de l'armée d'Afrique , éd. Chez Anselin, Paris. 1831.
10. H. L. Fey, Histoire d'Oran avant pendant et après la domination espagnole, éd. Adolphe Perrier, Oran. 1858.
11. J. Ladimir, Les guerres de l'Afrique depuis la conquête d'Alger par les Français, éd. B.Reault.et C<sup>e</sup>, Paris, 1859.
12. J.J. Marcel, Histoire de Tunis, éd, Firmin Didot Frères, Paris.1851.
13. J.L.G. Guyon, Histoire de chronologique des épidémies du nord d'Afrique, imp. Du Gouvernement, Alger, 1855.
14. ————— Voyage d'Alger aux Ziban en 1874, imp. Du Gouvernement, Alger, 1852.
15. Juchereau (B.D),D. Denys, Histoire de l'Empire Ottoman depuis 1752 jusqu' en 1844,T. II, T.III, Imp.de Guiraudet. Paris, 1844.
16. L. Baudicour, La colonisation de l'Algérie, éd., CHALLAMEL AINE, Paris, 1856.
17. L'Amiral Baron Duperré, Rapport surExpédition d'Afrique, détails sur le départ de la flotte de Toulon, le débarquement de l'armée française, et la prise d'Alger,vaisseau la Provence, le 02 juin 1830, source, gallica.bnf.fr/Bibliothèque nationale de France.
- 18.Lamie Fleury, Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse, éd., Allouard et karpplin, Paris. 1848.
- 19.Laugier de Tassy, Histoire de Royaume d'Alger, éd.,Henry du Sauzet Amsterdam, 1725.
- 20.Léon Galibert, Histoire d'Alger ancienne et moderne, éd. FURNE ET C<sup>ie</sup> , Paris, 1843.
- 21.Léon Guérin, Histoire de la dernière guerre de Russie 1853-1850,éd, Dufour Mulat et Boulanger ,Paris, 1858.
- 22.M. CAPPE, Lettre sur la Régence d'Alger à MM. les rédacteurs des journaux de capitale et de la province , bibliothèque nationale de France, 28 Juillet 1833,Paris, source, Gallica, bnf.fr.
- 23.M. Doumas, M. Fabar, La grande Kabylie, étude historique, libraires d'université royale de France, Paris, Alger, 1847.

24. M. Jules, E. Carette, Du commerce d'Algérie avec l'Afrique et les Etats Barbaresques, le Commerce du Soudan, imp. du Roi, Paris, 1844.
25. M. Lapéne, Tableau historique de la Province d'Oran, depuis le départ des espagnoles en 1792 jusque l'élévation d'Abdelkader en 1831, imp. De L'Académie, Metz, 1842.
26. M. Oscar Gay, La Tunisie, Notice historique, imp. W. Remquet, Paris, 1861.
27. M. Rozet, Relation de la guerre d'Afrique pendant les années 1830-1831, t1, éd., chez firmin didot frères, Paris, 1832.
28. Muhamad Ben Muhammad Al Tilimsani, Chroniques de la Régence d'Alger, Traduite d'un manuscrit arabe, El-Zohrat-El-Nayerat, par Alphonse Rousseau, Imp. du Gouvernement, Alger, 1841
29. Nettement, Histoire de la conquête d'Alger, libraire Jaques Le Coffre, Paris, 1867.
30. Peyssonnel Et Desfontaines, Les Régences De Tunis Et D'Alger, Librairie, Decitte, Paris, 1838
31. Rozet et Carette, L'Algérie, éd., Firmin Didot Frères, Paris.1850.
32. Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie en 1838, Imp., Royale, Paris, Juin, 1839.
33. Théodore de Quatre barbes, Souvenirs de la compagnie d'Afrique, Imp. chez G.A. , Dentu, Seconde édition, Paris, 1831.
34. Thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger, Trad, J. Maccathy, éd., chez Marlin, Paris, 1830
35. Venture De Paradis, Alger Au XVIII Siècle, éd, Bouslama, Tunis, (s.d).
36. —————Tunis et Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle, Mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, éd, Sindbad, Paris, 1983.
37. W. Esterhazy, De La Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger, Paris, Libraire De Charles Gosselin, 1840.
38. WORNS, Recherches sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulmans, éd., R. FRANK, Paris, 1846 .

خامسا: المراجع

### 1- المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم شحاته حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)م، دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت).

2. إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر، 2009.
3. ابن زيدان عبد الرحمن المكناسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج3، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
4. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975.
5. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
6. \_\_\_\_\_ الحركة الوطنية، ج1، دار الرائد، دار المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
7. \_\_\_\_\_ تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007.
8. \_\_\_\_\_ رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى في 1850، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990.
9. \_\_\_\_\_ محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ش.و.ن.ت. ط3، الجزائر، 1982.
10. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعرف الخلف برجال السلف، القسم الأول، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة، تونس، 1982.
11. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492-1782، ش.و.ن.ت. ج. الجزائر، 1976.
12. أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1756-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
13. أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي، ترجمة، عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، 1970.
14. أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة، لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1991.
15. إيف لاکوست، اندري نوشي، بريان، الجزائر بين الماضي والحاضر، إطار نشأة الجزائر المعاصرة ومراحلها، تعريب، رابح اسطمبولي، المنصف عاشور، مراد تفاحي، المطبوعات الجامعية، باريس، 1960.

16. بلعاطفي عياش، نوي سميحة، آليات ترشيد الإنفاق العام من أجل تحقيق التنمية البشرية المستدامة في الجزائر 2001-2014، أبحاث المؤتمر الدولي، تقييم أثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل والاستثمار والنمو الاقتصادي خلال الفترة من 2001-2014، جامعة فرحات عباس، سطيف، مارس 2013
17. بن عتو بلبراوت، وقائع الاحتلال الفرنسي لمعسكر وأحوازها ما بين 1835-1842م، معسكر، المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، طباعة مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014.
18. بنور فريد، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر، 1782-1830م، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
19. توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان القانون الأساسي للسياسي والعسكري للجزائر وثائق تنشر لأول مرة، الدار العثمانية، الجزائر، 2009.
20. جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، دار هومة، الجزائر، 2010.
21. جميل بيضون، شحادة الناطور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، الأردن، 1992.
22. جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة وتعليق، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
23. حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015.
24. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، دار دحلب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
25. خليفة إبراهيم حماش، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط)، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016.
26. خليفة حماش، اسم كتشاوة الذي يطلق على أشهر جامع لمدينة الجزائر هل هو اسم تركي، أم محلي، أعمال المؤتمر التاسع عشر للدراسات العثمانية وبحوث أخرى، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تشرين الثاني/أكتوبر، 2007، تونس.

27. ——— كشف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013.
28. ——— كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نوميديا، قسنطينة، 2012.
29. ——— وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ج1، منشورات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013.
30. خنوف علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبابليك الشرق الجزائري، نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.
31. الرزقي شرقي، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية، المؤتمر العاشر للاتحاد العام للأثريين العرب، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 2007.
32. رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980.
33. رشيد بوربيبة، رشيد الدكالي، المساجد في الجزائر، سلسلة فن والثقافة، وزارة الأخبار، مطبعة التامير، إسبانيا، 1970.
34. روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992.
35. سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة الجزائر، 2006.
36. سعدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري، أساليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892م، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2009.
37. سلام عبد الكريم آل سميسم، السياسة المالية في التاريخ الاقتصادي الإسلامي، دراسة لصدر الإسلام والدولة الأموية، دار مجدلاوي، الأردن 2010.
38. سمير بوربيمة، محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، طبعة جديدة مزينة ومنقحة، الجزائر، (د ت).
39. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب، محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978.

40. \_\_\_\_\_ تاريخ الجزائر المعاصرة، مجلد 1، الغزو وبدايات الاستعمار (1827-1871)، تمت الترجمة بالمعهد العربي العالي للترجمة، دار الأمة، الجزائر، 2013.
41. شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، المدار الإسلامي، بيروت، 2005.
42. الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني، دار مداد الجزائر، 2013.
43. صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
44. \_\_\_\_\_ المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين ( 814 ق.م-1962م)، دار العلوم، الجزائر، 2002.
45. \_\_\_\_\_ الوجيز في الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق م- 1962م)، المعارف للطباعة، الجزائر، 2015.
46. \_\_\_\_\_ تاريخ الثقافة الجزائرية، من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، ج1، دار أيدكوم، الجزائر، 2013.
47. صلاح العقاد، المغرب العربي، في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1993.
48. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009.
49. عبد الجليل التميمي، العلاقات الجزائرية والبنديقية على ضوء أربعة رسائل جديدة لبدايات الجزائر إلى دوج(ق) البنديقية خلال السنوات 1764-1782م، سلسلة الكتب التقديرية رقم 14، ج3، منشورات مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ديسمبر 2009.
50. عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصفالقرن التاسع عشر، درا بئر الزمان للنشر، تونس، 2012.
51. عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999.



52. عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمود عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
53. علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ج، 2، دار ثالثة، الجزائر، 2013.
54. ——— معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ج1، دار ثالثة، الجزائر، 2013.
55. علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007.
56. عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة، الكابتن، أ.ج. سعد ج. مكتبة مديولي، القاهرة، 1990.
57. عميروحي أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009.
58. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، الجزائر، 2010.
59. فاطمة بن سليمان، الأرض والهوية، نشوء الدولة الترابية في تونس، 1574-1881م، منشورات إدي سيونس، تونس، 2009.
60. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007.
61. لويس فالنسي، المغرب الكبير قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980.
62. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983.
63. محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الأساسية في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002.
64. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972.
65. محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ قسنطينة)، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر 1400 هـ / 1980م.

66. محمد الهادي التّازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، مجلد، 9، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1988.
67. محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب، محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار السراس، تونس، 1993.
68. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1981.
69. محمد مصطفى شلبي، أحكام الوصايا والأوقاف، مطبعة دار التأليف، مصر، 1962.
70. مختار حساني، التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (نماذج)، ج2، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009.
71. مزيان وشن، مقاومة الاحتلال بالهضاب العليا عبر العصور، إقليم برج بوعريريج نموذجاً، دار كوكب للعلوم، الجزائر، 2013.
72. مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830م، من واقع الأوامر السلطانية وعقود المحاكم الشرعية، ط1، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000.
73. المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج1، ج2، دار القصب، الجزائر، 2009.
74. المهدي بوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر هجري، ج2، جمع وإعداد، عبد الرحمان ذويب، عالم العلم والمعرفة، الجزائر، 2012.
75. المهدي بوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
76. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، شركة دار الأمة، ط2، الجزائر، 2007.
77. ناصر الدين سعيدوني، "صالح باي ومكانته في تاريخ قسنطينة"، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
78. \_\_\_\_\_ النظام المالي في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

79. \_\_\_\_\_ النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، دار البصائر، طبعة الثالثة منقحة ومعدلة، الجزائر، 2012.
80. \_\_\_\_\_ تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2013.
81. \_\_\_\_\_ دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001.
82. \_\_\_\_\_ دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
83. \_\_\_\_\_ موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر (د.ت).
84. \_\_\_\_\_ ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
85. نبيل السيد الطوخي، طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1841-1890)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009.
86. نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق، الجزائر، 2008.
87. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2007.
88. ودان بوغفالة، المدينة ومليانة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينتي المدينة ومليانة في العهد العثماني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2009.
89. وليم سبنسر، الجزائر في عهد "رياس" البحر، تعريب، تعليق، عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006.
90. يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780-1798، دار البصائر، الجزائر، 2009.
91. \_\_\_\_\_ طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، البضائع العملات، الأسعار، الأساليب التجارية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد العلوم والبحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

92. ——— علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوروبا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
93. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سليمان، مراجعة وتقيق، محمد الأنصاري، ج1، مؤسسة فيل للتمويل، تركيا، 1988.
94. يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

2-المراجع باللغات الأجنبية:

1. A. Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 .Essai d'histoire économique et sociale, Paris, Tunis ,1961.
2. A.OUALID, Principales époques de la Tunisie, documents pour servir à l'histoire de ce pays, imp. de l'Association ouvrière, Alger, 1874.
3. A.ROUSSEAU, Annales Tunisiennes ou aperçu historique sur la Régence de Tunis, éd. Alger, 1864.
4. Abdeljelil TEMIMI, Le Beylik De Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1847), La Société Tunisienne Des Arts Graphiques, Tunis, 1978
5. Ahmed Abdesslem, Les Historiens Tunisiens des, XVIII<sup>e</sup>, XIX<sup>e</sup> Siècles, Essai d' histoire culturelle, Librairie, C. Klincksieck, Paris, 1973.
6. Albert SOREL, La question d'Orient au XVIII<sup>e</sup> siècle, Librairie, Plon, Paris, 1889.
7. Allen, G.W., Our Navy and the Barbary Corsairs. Gardner W. Allen, The voyage of The George Washington to Constantinople, The Rivervide Press, 1905.
8. Arsèn Bertueil, l'Algérie française, Tome I , Librairie éd, Dentu, Paris, 1856.
9. Camille Rousset, La conquête d'Alger, éd, E. Plon, Cie, Paris, 1879.
10. Charles André Jullien, Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), éd, Casbah , Alger, 2004.
11. Charles Oscar Paullèn, Diplomatic Négotiations Of Amirican Naval Officers, 1778-1883, Baltimore The Johns Hopkins Press, 1912.
12. Charles Roux, France Et Afrique Du Nord Avant 1830, Les Précurseurs De La Conquête, Imp., Librairie, Felise, Alger, Paris, 1932.
13. Collette et Francis Jaenson, l'Algérie hors la loi, préface, Abdelaziz Bouteflika, éd, ministère de la culture, Algérie, 2009.
14. Dupuy. Email, Etudes d'histoire d'Amérique, Américains et Barbaresques (1776-1824), éd. R. Roger et F. Chernoviz, Paris, 1910.
15. E. LE Marchand, L'Europe et la conquête d'Alger. D'après des documents originaux tirés des Archives de l'État, imp. académique, Paris, 1913.

16. Emile MERSOIL, La Régence d'Alger vue par un Allemand à la fin du XVIII<sup>e</sup> siècle 2<sup>ème</sup> Congrès national des sciences historiques d'Alger, 1930, publiée par les soins de la société historique Algérienne, Alger, 1932
17. ERNEST Mercier, Histoire De Constantine, Imp. éd. J. Marle et F. Biron, Constantine, 1903
18. \_\_\_\_\_ Histoire de l'Afrique septentrionale (berbères), Tome 3, éd. Ernest le roux, Paris, 1868.
19. \_\_\_\_\_ Questions Algériennes, la propriété foncière chez les musulmans d'Algérie, éd., Ernest le Roux, Paris, 1891.
20. Fillias, Notes sur les produits maritimes du littoral algérien, éd., Imp., CURSACH, Alger, 1878
21. G. Abbé. Dervin, l'Afrique du nord, l'Algérie, son agriculture, son commerce, son industrie, sa colonisation, son avenir, éd. Epernay, Imp. Du Courrier. Nord Est. 1902.
22. G. Douin, Mohamed Aly et l'expédition d'Alger (1829-1830), imp., de l'institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, Caire, 1930.
23. G. Faure-Biguet, Histoire de l'Afrique Septentrionale sous la domination musulmane, éd. Henri Charles Lavanzelle, Paris, 1905.
24. G. CAHN, Algérie, De la Constitution. De la Propriété indigène, éd., Challamel Aine, Paris, 1880.
25. Gabriel ESQUER, Les commencements d'un Empire la prise d'Alger 1830, éd. Champion & l'Afrique latine, Paris & Alger, 1923.
26. \_\_\_\_\_ Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger, Chef de bataillon Boutin 1808, Librairie anciennes Hosore champion, Paris. 1927.
27. Gabriel Hanotaux, Alfred Martineau, Histoire de colonies françaises dans le monde Tom II, Algérie, Augustin Barnard, Librairie, Plon, Paris, 1929.
28. Gabriel Rouquerol, Expédition de 1830 et prise d'Alger par les Français, Organisation et rôle de l'artillerie du corps expéditionnaire, Libraires- éd, Berceur Levrault, et Cie, Paris. Nancy. 1894.
29. Gaid Mouloud, Chronique des Beys de Constantine, O.P.U., Alger, 1983.
30. \_\_\_\_\_ Les Berbères Dans L'histoire, Lutte Contre Le Colonisation, Tome 3, éd., Mimouni, (s.d.), Alger.
31. H'sen Derdour, Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, Tom II, éd., société nationale d'édition et diffusion, Alger, 1983
32. H-D. De Grammont, Histoire d'Alger Sous La Domination Turque (1515-1830), éd. Ernest, Paris, 1887
33. \_\_\_\_\_ Relations entre la France et la Régence D'Alger au XVII<sup>e</sup> siècle, éd., A. Jourdan, Alger. 1879

34. Henri GARROT, Histoire Générale de l'Algérie, Imp. P. Cresenzo, Alger, 1910.
35. Isaac Bloch, Les israélites d'Oran de 1792 à 1815, éd. A. Jourdan, Alger, 1886
36. Janine MONSONEGO, l'Activité économique de Mostaganem de 1830 à nos jours, éd. LaRose, Paris, 1950.
37. Jean Cazenave, Un Consul français en Alger au XIII<sup>e</sup> siècle, Languisieur De La Vallée, in R.A, Vol. N° 78, éd. A. Jourdan, Alger, 1936.
38. Jean Christian Petit fils, LOUIS XVI, éd. Perrin, Paris, 2010.
39. L. Ch. Féraud, Histoire des villes de la Provence de Constantine à Calé, éd. V. AILLAUD, Alger, 1877.
40. ————— Histoire De Bougie, Editions, Bouchene, France, 2008.
41. L. Péchot, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Imp. Gojosso, Alger, 1914.
42. Louis RINN, Le Royaume, D'Alger sous Le Dernier Dey, Imp. éd. Adolphe Jourdan Alger, 1900.
43. Lt. Colonel Lartigue, Monographie d'Aurès, Régime des Eaux dans le Tell et Sahara, Constantine, 1904.
44. M. Habart, histoire d'un parjure, Paris, 1960.
45. Marcel Emerit, l'Algérie à l'époque d'Abdel -El-Kader, Présentation de René Gallissot, éd., Bouchene, Paris.
46. Maurice WAHL, L'Algérie, éd. Ancienne librairie Germer, Paris, 1903.
47. Moulay Belhamissi, Histoire de la marine Algérienne (1516-1830), éd. Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1983.
48. Paul Gaffarel, La conquête d'Afrique, imp. LAHURE, Paris, 1892.
49. Paul Masson, Histoire Des Etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560- 1793), Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Librairie Hachette, Paris, 1903.
50. —————Marseille depuis 1789 étude historique, éd. E. De Boccard, Paris, Imp. Barlatier, Marseille, 1916
51. Pierre BOYER, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, éd. Hachette, Paris, 1963.
52. Prince Sixte De Bourbon, La dernière conquête du roi d'Alger 1830, Nouvelle collection historique, éd., Cahilmam-Levy, Paris, 1930.
53. René Bouyac, Histoire de Bone, éd. LELEN OUDIM et C<sup>ie</sup>, Paris, 1892.
54. René Gallissot, l'économie de l'Afrique du nord, presses universitaires de France, Paris. 1961.
55. René Raynal, Jean Despois, Géographie de l'Afrique du nord-ouest, éd., Payot, Paris. 1966.

سادسا: الرسائل الجامعية

1 باللغة العربية:

1. بركاهم دهان، دور القناصل الفرنسيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689-1789م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012-2013.
2. بلقاسم العياشي، قضايا التاريخ العثماني عند الجزائريين منذ 1962م، مذكرة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، جماعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006/2007.
3. بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1826-1848م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1990/1991.
4. جمال كمال محمود، نظام الالتزام في ريف الصعيد في العصر العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 2001.
5. جميلة معاشي، الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (16-19م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1992.
6. \_\_\_\_\_ الانكشارية والمجتمع ببالك قسنطينة رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، جامعة منتوري2، قسنطينة، 2007/2008.
7. جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185-1253هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2011-2012.
8. حصام حورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران. 2013.
9. حليلة أمقران، موقع المخزنية في النظام العثماني في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004، 2005.
10. حورية قايش، التحليل اللغوي الخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي ديوان أشعار أبوالقاسم سعد الله نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشلف، 2007-2008.
11. خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، جامعة منتوري قسنطينة، 2006.

12. — العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988.
13. خميسي عبد الحميد، مشكلة الغذاء وثورات الخبز في الجزائر وفرنسا خلال القرن 18 وبداية القرن 19م مذكرة مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري 2، قسنطينة، 2005-2006.
14. رجاء رهيوي، ديات الجزائر صور وأبعاد (1671-1830م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية، قسنطينة، 2007/2008.
15. رشيد مريخي، الجزائر في عهد مصطفى باشا 1212-1220هـ/1798-1805م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2010/2011.
16. رقية قندوز، مراسيم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2006.
17. السايح فيلال، العلاقات الجزائرية التونسية 1792-1837م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1997-1998م.
18. الشيخ لكحل، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م (1604-1659م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012-2013.
19. صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا 1754-1766م مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م.
20. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر خلال، 1700-1830، مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000/2001.
21. — العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 1984-1985.
22. عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014.



23. فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداى حسين ( 1818 - 1830م)، "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010/2011
24. فهيمة رزقي، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرة - قسنطينة- دراسة أثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2010-2011.
25. كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2012-2013.
26. محمد مقصورة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014.
27. معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005، 2006.
28. يوسفى صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، 2004-2005.

### 2\_ باللغة الفرنسية:

1. Isabelle Grangaud, La ville imprenable thèse doctorat, in histoire et civilisation, écoles des hautes études en sciences sociales, France, 1998.
2. Mohammed Ben Cheneb, Mots Turks et persans conservés dans le parler Algérien, Thèse complémentaire, en vue du doctorat, université d'Alger, libraire-éditeur, Jules Carbonel, Alger, 1922

### سابعا:الدوريات

#### 1\_ باللغة العربية:

1. بلبروات بن عتو، محمد بن عثمان باشا وسياسته، مجلة عصور، عدد 6-7، ديسمبر 2005، جامعة وهران، الجزائر.
2. بن قايد عمر، أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/ 17م، مجلة الواحات والدراسات، العدد، 17، 2012، قسم التاريخ، جامعة غرداية.
3. بونقاب مختار، انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري، 1802-1816م، مجلة، المواقف، العدد، 31 ديسمبر 2008، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر

4. جبائلي محل العين، طبيعة الملك والعرش في جزائر ما قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، العدد، 21، النصف الأول من سنة 1986، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986.
5. خليفة حماش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827م)، المجلة التاريخية المغربية، السنة التاسعة عشر، العدد 65-66، أوت 1992، زغوان، تونس.
6. ——— حول السفينتين الجزائريتين اللتين كانتا بالإسكندرية قبيل الحملة الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 79-80، زغوان، تونس، ماي. 1995.
7. ——— دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني، عامي 1118هـ/1706-1707م و1205هـ/1791م، مقاربة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 09، 2001، دار البعث، قسنطينة.
8. ——— قراءة في أسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطه والي في 27 ذي الحجة 1245هـ/19 جوان 1830، مجلة المعالم، العدد، 16، محرم 1436هـ/نوفمبر، 2014، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة.
9. شهاب الدين يلس، الوثائق الوطنية، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني 1058-1279 هـ/1648-1862م، مجلة الوثائق الوطنية، عدد خاص (8-9)، 1980، الجزائر.
10. صالح فركوس، الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايالك الغرب الجزائري، مجلة الثقافة، العدد، 71، سبتمبر، أكتوبر 1982، ش. و. ن. ت، الجزائر.
11. عائشة غطاس، المعاهدة الجزائرية-البندقية 7 محرم 1177هـ-18 يوليو 1763م، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد 7، 1993، جامعة الجزائر.
12. عبد الجليل التميمي، معاهدة السلم الممضاة بين البندقية والجزائر في 23 جوان 1768م، المجلة التاريخية المغربية، السنة الثامنة عشر، العدد 63-64، زغوان، جويلية 1991.
13. ——— من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، عدد 19/20 أكتوبر 1980، تونس.
14. عبد الحق شرف، تراجم لبعض علماء مدرسة الباي في وهران من خلال بعض الآثار المخطوطة، دورية كان التاريخية، العدد 23، مارس 2014. [www.kanhistorique.org](http://www.kanhistorique.org)

15. عبد القادر فكاير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، مجلة كان التاريخية الإلكترونية . العدد الثامن عشر، ديسمبر 2012.
16. علي تابليت، القنصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796-1797م، جويل بارلو، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، مجلة الحوليات جامعة الجزائر، العدد 09، ج1، أبريل 1995م، الجزائر.
17. كمال فيلاللي، البايك نظام حكم في الجزائر العثمانية، مجلة الهجرة والرحلة، أبريل 2014، عدد خاص، جامعة قسنطينة 2.
18. محمد بوشنافي، الداوي حسين وسقوط الايالة الجزائرية 1818-1830م، مجلة عصور، العدد 6-7، جوان- سبتمبر 2005م، جامعة وهران، وهران، 2005.
19. محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جانفي-جوان، جامعة دمشق، 2012.
20. المهدي بوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة، العدد 8، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثانية ماي جوان 1972.
21. مولاي بلحميسي، الثورة على الأتراك في الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 48، ديسمبر 1978. ش. و. ن. ت، الجزائر.
22. نادية فتيسي، الحياة الاقتصادية بباييك الشرق في عهد صالح باي 1185-1207هـ/1772-1792م، مجلة المعالم، العدد، 16، محرم 1436هـ/ نوفمبر، 2014، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة.
23. ناصر الدين سعيدوني، البحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ج1، عدد 22، الجزائر، 1987.
24. \_\_\_\_\_ المعاهدة الجزائرية الإسبانية، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، العدد 7، 1993، جامعة الجزائر.
25. يحيى بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة والسياحة، عدد 80، مارس، أبريل، 1984، الجزائر.
- 26.

2 الدوريات باللغة الفرنسية :

1. A. Berbrugger, Des frontières de l'Algérie, in R.A. Vol, N° 04, 1860, éd. A. Jourdan, Alger.
2. ————— Un Chérif Kabile En 1804, In R.A., Vol. N° 03, 1856, éd. A. Jourdan, Alger.
3. A. Cour, Constantine en 1802, d'après une chanson, in R.A. Vol. n° 60, 1919, éd. A. Jourdan, Alger.
4. A. Devoulx, La Marine De La Régenced'Alger, in R.A. N° 13, ANN. 1869, éd. A Jourdan, Alger,
5. ————— Les Edifices, religieuse de L'ancien Algérie, in R.A, N°6, 1862, éd., A, Jourdan, Alger.
6. A. Jale, « détails sur Hussein-Pacha, dey d'Alger» In Revue de Paris, T.30, 1831
7. A. Raymond, Le centre d'Alger en 1830 in R.O.M.M, N° 31, Paris 1981.
8. A. Sacerdoti, "Venise et les Régences d'Alger, Tunis et Tripoli (1699-1764)", Trad. Mlle M. Despois, in R. A, VOL. n° 101, ANN. 1957, éd. A. Jourdan, Alger .
9. Abdeljelil TEMIMI, Document inédits sur le bombardement d'Algeren 1816, in. R.O.MM.N°05 Ann., Paris, 1968,
10. Abitbol Michel. Le Maroc et le commerce transsaharien du XVIIe au début du XIXe siècle.. In R.O.M.M , n°30, Paris, 1980.
11. Charles André Jullien, Marseille et la question d'Alger à la veille de la conquête, in R.A., N°60, Ann, 1919,éd. A. Jourdan. Alger.
12. Délpech, André, L'histoire De Derkaoua, In, R.A., Vol. N°18, Ann. 1874, éd. A. Jourdan. Alger.
13. Dominique TABUTIN, L'histoire de la population de l'Afrique du Nord pendant le deuxième millénaire, Éric VILQUIN (Université catholique de Louvain, Belgique) Jean-Noël BIRABEN (INED, Paris, France), Communication présentée à la conférence « The History of World Population in the Second Millennium», organisée à Florence du 28 au 30 juin 2001 par le Comité de Démographie Historique de l'UIESP,
14. E. Vayssettes, Histoire des Derniers Bey de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'hadj Ahmed in R. A. Vol.n°03, 1858, Alger.
15. ————— Histoire de Constantine sous la domination turque de 1647-1792, Recueil des notes et mémoire de la société archéologique de la Provence de Constantine, 2émevolume, 2éme série, 1868, Collection, L. Arol et libraire éditeur, Constantine.
16. Eisenbeth Maurice, Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque Turque (1516-1830), in R.A., N° 96, Ann. 1956. éd. A. Jourdan. Alger.

17. F. ELIE de la Primaudaie, Le Commerce et la navigation de l'Algérie, in Revue Algérienne coloniale, Alger, juin 1860.
18. Gorguos, Notice Sur Le Bey D'Oran Mohamed El Kabir, in, R.A., Vol. n° 1, 02, Ann.1856, 1857 ,éd.A. Jourdan, Alger.
19. Henri Federmann, Notice sur l'histoire et l'Administration du Beylik de Taiteri et les Beys, in, R.A.Vol. n° 09, 11, Ann.1865,1867, éd., A. Jourdan, Alger.
20. Ismet TERKI-HASSAINE, Oran au XVIIIe siècle du désarroi à la clairvoyance politique de l'Espagne in, InsaniyatRevue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, n°23-24, janvier – juin 2004, CRASC . Oran.
21. J.CAZENAVE, Gouverneurs d'Oran pendant l'occupation Espagnole de cette ville (1505-1792),In, R.A, Vol,71,Année,1930, éd., A. Jourdan , Alger.
22. ————— Présides espagnoles d'Afrique (leur organisation au XVIIIe siècle), suite, in R.A. Vol. n° 63, Ann. 1923, éd. A. Jourdan, Alger.
23. L. Ch. Féraud, Notes Sur Bougie, Légendes, Traditions, In R.A., Vol, 03, Ann. 1858, éd. A. Jourdan, Alger.-
24. ————— Ain, Beida (Province De Constantine), In. R.A. Vol. n ° 16, éd. A. Jourdan, Alger. 1872
25. ————— Exploitation des Forêts de la KARASTA dans la Kabylie Orientale Sous La Domination Turque in R. A, vol. n° 13, éd.A.Jourdan, Alger, 1869.
26. ————— Ferjouia et Zouara , Notes Historiques sur La Province de Constantine, Vol. n°22, in R.A, éd, A. Jourdan, Alger, 1878.
27. ————— les corporations de métiers à Constantine avant la conquête française, in R.A.vol, n° 16.ANN. 1872,éd., A. JOURDAN, Alger.
28. ————— Les Harar Seigneurs Des Hanencha, Etudes Historiques Sur La Province De Constantine, In R.A.,Vol. n°,18, 1874, éd. A. Jourdan, Alger.
29. ————— Les Trois attaques des espagnoles contre Alger au XVIII EME siècle, in ; R. A. Vol. N° 20. ANN. 1876. éd.A. Jourdan, Alger.
30. ————— Ben Gjellab Sultans De Tougourt, Notes Historiques Sur La Province De Constantine ,In R. A.,Vol. n° 23, 1872, éd. A. Jourdan, Alger.
31. Louis Bertrand, De Bourmont et la conquête d'Alger, La Revue Hebdomadaire Romans, Histoire, Voyages, n° 39<sup>e</sup> Année, 4 janvier 1930, Librairie Plon, Paris, 1930,
32. M. Colombe, Contribution à l'étude de recrutement d'Odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence in R.A., vol, 87, 1943 , éd. A. Jourdan, Alger.

33. M. HAMANI, l'Impact de la colonisation sur le foncier algérien, le cas de l'est de l'Algérie, in Montpellier, CIHEAM, Option Méditerranéennes, série, B. ,Etudes et recherche N°72,ann. 2015.
34. Marcel EMERIT, La situation économique de la régence d'Alger en 1830, in Information Historique, n°5,1952, librairie J-B. Baillière et Fils, Paris.
35. ————— Les quartiers commerçants d'Alger à l'époque ottomane, in Algérie et l'Afrique illustrée, n°25, janvier- février1952, éd, office Algérien d'action économique et touristique, Alger
36. ————— Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle. In Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 21<sup>e</sup>année, N. 1, 1966.
37. ————— L'essai d'une marine marchande barbaresque au XVIII siècle, in les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, N°11, 3<sup>eme</sup> trimestre, 1955, Ann.3, Institut des hautes études, Tunis.
38. Miriam Hoexter, Taxation des corporations professionnelles d'Alger à l'époque Turque in R.O.M.M., n°36, Paris ,1983.
39. N. Robin, Notes sur Yahia Agha, in R.A. VOL. N° 18, Ann. 1874, éd. A. Jourdan, Alger.
40. P.EU. BACHE, Origine et constitution de la propriété arabe in Algérie avant 1830, in Revue Algérienne et coloniale, T3.1860. Paris.
41. Patrick Boulanger, De TAabarka à la Calle, le corail, enjeu de convoitises internationales 1731-1741, in Echange en méditerranée, recueil d' études en hommage à Sadok Boubaker, Textes réunis présentés par Hayet AMMAMOU ET Mehdi Jerad, éd., LAITRACH, 2017, Tunis.
42. Paul Masson, A La veille d'une conquête concessions et compagnie d'Afrique (1800-1830), in Bulletin de géographie, histoire et descriptive, Paris. 1909
43. R. Riche, Notes et documents de la corporation des bijoutiers à Constantine avant 1830, in R.A., vol. 105, Ann., 1961. éd., A. JOURDAN, Alger.
44. René Gallissot, Essai de définition du mode de production de l'Algérie précolonial, in Revue algérienne des sciences juridiques économique et politiques, vol, n°2, 1966.
45. S. Gsell, Vieilles exploitation minières dans l'Afrique du nord, Archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études marocaines, Paris, 1928
46. Samia Chergui, Les morisques et l'effort de construction d'Alger aux XVII e et XVIII e siècles, in Cahiers de la Méditerranée, n° 79 ,2009. éd, Centre de la Méditerranée moderne et contemporaine, Paris.
47. Xavier Yacono, La Régence d'Alger en 1830, d' après l'enquêtes des commissions de 1833-1834 in R.O.M.M., n° 01 ANN. Paris,1966.

### ثامنا: المعاجم

1. ابن المنظور لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف، يوسف، خياط ، مجلد1، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
2. سهيل صهيان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000.
3. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1996.
4. معجم قبائل ودواوير الجزائر، إشراف لومير ديفيلر، إعداد، ف. اكاردو، ترجمة، حمزة الأمين يحيايوي، مالك بن خيرة، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

# فهرس الموضوعات



## فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
22-1	مقدمة
305-25	الجزء الأول: الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)
85-25	الفصل الأول: السياسة الداخلية
29-25	أولاً: ترجمة لمحمد بن عثمان باشا
25	1- نشأته
26	2- صفاته الخُلقية والخُلقية
29-26	3- تنصيبه على رأس السلطة العثمانية بالجزائر
57-30	ثانياً: سياسته الإدارية
45-30	1- التنظيم الإداري وجهاز الحكومة
57-45	2- التنظيم القضائي
71-57	ثالثاً: سياسته الاجتماعية
63-57	1- مد الشبكة المائية في مدينة الجزائر
71-63	2- تجديد المعالم الدينية -مسجد السيدة نموذجاً-
74-71	رابعاً: سياسته اتجاه القبائل
85-74	خامساً: سياسته العسكرية
75-74	1- تقوية دفاعات مدينة الجزائر
79-75	2- دعم التسليح العسكري
85-79	3- دعم الأسطول
145-87	الفصل الثاني: آثار وانعكاسات سياسته الداخلية على البايلكات

## فهرس الموضوعات

112-87	أولا: بايلك قسنطينة في عهد صالح باي (1772-1792م)
88-87	1- المجال الجغرافي للبايلك- الموقع والتضاريس-
89-88	2- ترجمة لصالح باي
100-89	3- تنظيماته الإدارية وسياسته اتجاه القبائل
103-100	4- علاقة صالح باي مع السلطة المركزية
112-103	5- إنجازاته في المجال الاجتماعي والثقافي
145-112	ثانيا: بايلك الغرب في عهد محمد بن عثمان الكردي الملقب الباي الكبير (1779-1798م)
113-112	1- المجال الجغرافي للبايلك-الموقع والتضاريس-
116-113	2- ترجمة للباي محمد الكبير
129-116	3- تنظيماته الإدارية وسياسته اتجاه القبائل
136-129	4- إنجازاته العمرانية والثقافية
145-136	5- محمد باي الكبير يحرر وهران والجزائر تستكمل سيادتها
219-147	<b>الفصل الثالث: السياسة الخارجية</b>
156-147	أولا: العلاقات الجزائرية العثمانية
149-147	1- فرمان التولية
150-149	2- تبادل الهدايا
156-150	3- التحالفات والإمدادات العسكرية
185-156	ثانيا: العلاقات المغاربية
170-156	1- العلاقات الجزائرية التونسية

## فهرس الموضوعات

185-170	2- العلاقات الجزائرية المغربية
219-185	ثالثا: العلاقات الجزائرية الأوربية
195-185	1- العلاقات الجزائرية الإسبانية
204-195	2- العلاقات الجزائرية الفرنسية
205-204	3- العلاقات الجزائرية البرتغالية
212-205	4- العلاقات الجزائرية مع النمسا وجمهورية البندقية
217-212	5- العلاقات الجزائرية مع دول شمال أوربا (هولندا، السويد، الدانمارك، إنجلترا)
218-217	رابعا: العلاقات الجزائرية الروسية
219-218	خامسا: العلاقات الجزائرية الأمريكية
305-221	<b>الفصل الرابع: الأوضاع الاقتصادية</b>
232-221	أولا: توزيع الأراضي الفلاحية في الجزائر
224-221	1- التل
225-224	2- الهضاب العليا
232-225	ثانيا: أنواع ملكيات الأراضي وحيازاتها
228-225	1- أراضي الملك والعرش
231-228	2- أراضي البايك ( أملاك الدولة)
232-231	3- أراضي الموات (البور)
243-232	ثالثا: الإنتاج الفلاحي
248-232	1- أهم المحاصيل الزراعية في الجزائر
243-240	2- تربية المواشي
252-243	رابعا: التجارة

## فهرس الموضوعات

249-243	1- التجارة الداخلية
252-249	2- التجارة الخارجية
273-252	<b>خامسا: المبادلات التجارية البحرية</b>
270-252	1- الصادرات الفلاحية
271-270	2- المنافسة التجارية الجزائرية الأوربية
273-271	3- واردات إيابة الجزائر عن طريق البحر
291-273	<b>سادسا: الحرف والصناعات</b>
274-273	1 - حرف سكان الأرياف
291-274	2- الحرف والصناعات المنتشرة في المدن والحوضر
316-291	<b>سابعا: مصادر دخل الخزينة</b>
301-292	1- غنائم الجهاد البحري والإتاوات التي تدفعها الدول الغربية.
301	2- مساهمة البايات الفصلية
305-301	3- الضرائب والرسوم المختلفة
305	4- إيجار أملاك البايلك وحقوق إسناد المناصب
507-308	<b>الجزء الثاني: الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد حسين باشا ( 1818-1830م )</b>
368-308	<b>الفصل الخامس: الأوضاع السياسية الداخلية</b>
322-308	<b>أولا: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على الأوضاع الداخلية</b>
318-308	1- على المستوى المركزي
322-318	2- على مستوى المحلي
337-322	<b>ثانيا: الثورات الداخلية بقيادة الطرق الصوفية</b>
328-323	1- ثورة ابن الأحرش الدرقاوي
337-328	2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي

## فهرس الموضوعات

345-337	ثالثا: السياسة الداخلية لحسين باشا (1818-1830م)
338-337	1- ترجمة للداي حسين
339-338	2- تنصبيه على رأس السلطة بالجزائر
342-339	3- أعضاء حكومته
344-343	4- سياسته الاجتماعية
345-344	5- سياسته اتجاه القبائل
368-346	رابعا: انعكاسات سياسته على العمالات الإدارية
346	1- بايلك التيطري
360-346	2- بايلك قسنطينة
368-360	3- بايلك الغرب
430-370	الفصل السادس: السياسة الخارجية
393-370	أولا: العلاقات الجزائرية مع تونس والمغرب
387-370	1- العلاقات الجزائرية التونسية
393-387	2- العلاقات الجزائرية المغربية
415-393	ثانيا: العلاقات الجزائرية مع الباب العالي
402-393	1- الحملة الفرنسية على مصر وأثرها على العلاقات الجزائرية العثمانية
405-402	2- تطور العلاقات إثر مؤتمر فيينا (1814-1815م)
407-405	3- تطور العلاقات إثر مؤتمر اكس لا شابيل (1818)
413-407	4- الجزائر والحرب اليونانية العثمانية (1821-1827)
415-413	5- الجزائر والحرب الروسية العثمانية (1828-1829)
430-415	ثالثا: علاقات الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية

## فهرس الموضوعات

423-416	1- معاهدة السلام الأمريكية الجزائرية
430-423	2- توتر العلاقات بين البلدين
507-432	<b>الفصل السابع: العلاقات التجارية الجزائرية الفرنسية وقضية الديون (1791-1830م)</b>
447-432	أولا: آثار نهاية حكم محمد بن عثمان باشا على الأوضاع الاقتصادية
441-432	1- السياسة الاقتصادية في عهد الداى حسن (1791-1798 م)
446-441	2- الأزمة الاقتصادية الغذائية (1804-1808م)
447-446	3- المنافسة الفرنسية الإنجليزية على احتكار امتياز الباستيون
463-447	ثانيا: أزمة الديون ومشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر
450-447	1- الداى حسين باشا يطالب بالديون الجزائرية
463-450	2- حادثة المروحة وخلفيات الاحتلال الفرنسي
472-463	ثالثا: الحملة الفرنسية على الجزائر واستسلام الداى حسين
474-463	1- الحصار البحري
501-474	2- نحو الاحتلال
507-501	3- المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر
513-509	<b>الخاتمة</b>
557-515	<b>الملاحق والوثائق</b>
560-559	<b>فهرس الجداول والأشكال</b>
592-562	<b>المصادر والمراجع</b>
599-594	<b>فهرس الموضوعات</b>

## ملخص البحث بالعربية:

يعالج هذا البحث الأوضاع السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1830م)، وكانت في جزئين اشتمل الجزء الأول على أربعة فصول والثاني على ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات تدور حول الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولزيادة توثيق الموضوع وتوضيحه وضعت قسما للملاحق اشتمل على خرائط ووثائق، وفهرسا للأشكال والجداول، وآخر للمحتويات.

جاء الجزء الأول من الدراسة لتوضيح مدى تأثير النظام الحاكم في عهد محمد بن عثمان باشا في إقرار الأمن والاستقرار لمدة أكثر من ربع قرن، على المستوى المركزي والمحلي، وخاصة في عهدي صالح باي قسنطينة ومحمد الكبير باي الغرب اللذان تمكنا من توسيع سلطة البايلك إلى أقصى الجنوب شرقا وغربا وكانت لها أيادي بيضاء في نهضة عمرانية وثقافية طيبة. وبفضل تشجيع محمد بن عثمان باشا محمد الكبير باي الغرب تمكن من تحرير وهران والمرسى الكبير، واستكملت الجزائر سيادتها سنة 1792، وعلى المستوى الخارجي فرضت الجزائر هيمنها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بعد نجحت في ردّ الحملات البحرية الاوربية المتوالية على مدينة الجزائر.

وعلى إثر رحيل محمد بن عثمان باشا وأهم باياته برز اليهود على المستوى السياسي والاقتصادي، وتحكموا في توجيه النظام لخدمة مصالحهم، وكانوا السبب في نشأة الديون الفرنسية الجزائرية، وظهر غليان سياسي وأزمات الاقتصادية خانقة، ولم تستقر الأوضاع إلا بعد مقتل العديد من الديات ووصول حسين باشا إلى الحكم. هذا الأخير حاول استعادة الأمن وديون الجزائر لكنه اصطدم مع القوات الفرنسية المتطورة وسقطت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي وأنتهى بذلك الوجود العثماني بالجزائر.

## الملخص بالفرنسية:

Cette étude traite les situations politiques et économiques en Algérie depuis l'époque de Mohamed Ben Ottoman Pacha jusqu'à l'époque de Hocine Pacha (1766-1830) en deux parties : La première partie comprend quatre chapitres, la deuxième partie contient trois chapitres, en plus d'une introduction et d'une conclusion, cette dernière était une collection des résultats sur la réponse du problème, et les questions soulevées, et une section des annexes incluant des cartes et des documents.

La première partie de l'étude précise l'étendue de l'influence du régime au pouvoir à l'époque de Mohamed Ben Ottoman Pacha pour établir la sécurité et la stabilité pendant plus d'un quart de siècle au niveau central et local, en particulier à l'époque de Salah bey de Constantine, et Mohamed Elkabir bey d'Oran, qu'ils ont été en mesure d'étendre l'autorité de Baylik à l'extrême Sud-Est- Sud-ouest. Aussi ils ont réussi à établir une bonne renaissance urbaine et culturelle. Grâce à l'encouragement du dey Ben Ottoman Pacha à Mohamed bey Elkabir, ce dernier a réussi à libérer Oran et El Marssa El Kabir de la colonisation espagnole en 1792, l'Algérie acheva sa souveraineté.

Sur le plan extérieur Algérie a imposé sa domination dans la méditerranée après avoir réussi à vaincre les compagnes maritimes européennes successives sur la ville d'Alger.

Après le départ de Mohamed Ben Ottoman Pacha et ses beys, les juifs ont émergé sur le niveau politique et économique, et ils ont dirigé le pouvoir vers leurs intérêts, de ce fait ils ont causé les dettes franco-algériennes et aussi la crise politique et économique étouffant. Les situations ne sont pas stabilisées qu'après la mort de plusieurs deys et l'arrivée de Hocine Pacha au pouvoir ce dernier a tenté de rétablir la sécurité et récupérer la dette de l'Algérie mais il entra en collision avec la force française moderne. Finalement Alger tomba sous l'occupation française qui mit fin à la présence ottomane en Algérie.